المقـــدمة

الحمد لله الذي جعل العزّة والرحمة لهذه الأمة المحمدية في اجتماعها وتمسكها بالعقيدة الصحيحة النقية، وفق ما كان عليه الرعيل الأول، الذين هم خير القرون وأفضلها وأكثرها علماً، وأعمقها فهماً، واستقامةً وعدلاً، والذين هم فوقنا في كل علمٍ ودينٍ -الصحابة رضوان الله عليهم والتابعون لهم بإحسانٍ-، قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜﭼ[1]، وقال سبحانه: ﭽ ﭑ ﭒﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣﭤ ﭼ[2].

فقد نهى الله تعالى في كتابه عن التفرق والاختلاف، وعن اتباع الأهواء والسبل المضلة، حيث قال جل من قائل: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊﮋ ﭼ[3]، وقال تعالى: ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ[4].

والصَّلاة والسَّلام على نبي الرحمة المبعوث رحمةً للعالمين نبينا محمد ﷺ، أمرنا بالاجتماع والاعتصام بالكتاب امتثالاً بقوله سبحانه: ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲﭳﭼ[5]، كما أمرنا بطاعة الله وطاعته ﷺ.

وحذَّرَنا من الفرقة والاختلاف ونهانا عن التحزب والتعصب للأهواء والخروج على جماعة المسلمين وأئمتهم وقتالهم بسيف أو بغيره، وأمر بالسمع والطاعة

---

1 (?) التوبة آية (100).
2 (?) الفتح آية (29).
3 (?) الأنعام آية (153).
4 (?) آل عمران آية: (105).
5 (?) آل عمران آية: (103).

في المعروف في العسر واليسر وفي المكره والمنشط والصبر على الظلم مهما اشتدت الظروف .

وكان الصحابة الكرام السلف الصالح – رضي الله عنهم- خير هذه الأمة بالكتاب متمسكين وبهدي نبيهم مهتدين؛ فضربوا أروع الأمثلة في الصدق والإخلاص والاجتماع والائتلاف والسمع والطاعة. وقمع البدع والأهواء وأهلها، فمضوا في ذلك النور وأوصوا من بعدهم به والعضِّ عليه بالنواجذ.

فلما حدث في أواخر خلافة عثمان أمور أو جبت نوعاً من التفرق؛ حيث قام قوم من أهل الفتنة والظلم فقتلوا عثمان بن عفان الخليفة الراشد، فتفرق المسلمون بعد مقتله إذ خرجت الخوارج على أمير المؤمنين علي وفارقوا الجماعة وأغاروا على أموال المسلمين وقتلوهم، وكان هذا أول تفرق وابتداع في الإسلام، حيث قطعوا ما أمر الله به أن يوصل من اتفاق الكتاب والسنة وأهل الجماعة، ففرقوا بين الكتاب والسنة وفرقوا بين الكتاب وجماعة المسلمين، وأفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وصار دينهم المعظم مفارقة جماعة المسلمين وتكفيرهم واستحلال دمائهم وأموالهم والله المستعان.

ثم توالت الانحرافات في الأمة الإسلامية وظهرت عواصف الطوائف والفرق والأهواء والآراء الفاسدة، والأفكار المضلة، والعبادات والسلوكيات المبتدعة، فانتشر الشرك والغلو في الدين؛ وازداد حال المسلمين سوءاً وبلاءً وتشتتا وتفرقاً إلا من رحم الله.

هذا وقد كان أهل العلم والبصيرة لكل انحراف بالمرصاد يُبَيّنون بطلان كلام أهل الباطل والإلحاد ويردون عليهم ما يلبسون به على الناس، وحذَّروا من أهوائهم أَشَدَّ التحذير وينصرون الحق ويدعون إليه، ويحثون على الجماعة ويحذرون من الفرقة ويدعون إلى الصراط المستقيم قرناً بعد قرنٍ حتى القرن السابع

الذي أظهر الله فيه الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية مفتي الأنام تقي الدين – رحمه الله-.

إذ واصل السير والمسير بدوره المشهور في إعادة من ضل وشذَّ إلى المسير.

وقد كان له –رحمه الله- جهود كبيرة في جمع كلمة الأمة على الحق والحث على الجماعة والاعتصام بالكتاب والسنة والتحذير من التفرق والاختلاف، فلأهمية تلك الجهود وحاجة الأمة إليها خاصة في هذا العصر الذي طغت فيه البدع، ومزق التفرق وحدة الأمة، وتلاطمت فيه أمواج الفتن والجهل والظلم، وانتشر فيه الغلو في الدين والتكفير والقتل، وتكالبت الأعداء ضد الأمة بكل ما يملكونه من وسائل ومكائد، ولسان حال كل مسلم ينادي ويقول: الجماعة، الجماعة؛ فأردتُ جمع ذلك في هذا البحث من خلال كلام شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- الذي كان له في هذا المضمار جهود مشهورة وآثار ظاهرة معلومة، إذ كان من العلماء العاملين والدعاة المخلصين على نهج السلف وطريقة أئمة الإسلام المتقين، فلعل الله أن يجعل في ذلك نصحاً للأمة ومنفعةً للدعاة إلى الله ليسلكوا سبيل الاجتماع وينبذوا طريقة الفرقة والاختلاف.

وقد رأيتُ أن يكون عنوان بحثي:

((جهود شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- في الحث على لزوم الجماعة والتحذير من الاختلاف والفرقة)) لمرحلة العالية العالية " الدكتوراه"، والله سبحانه وتعالى أسأل أن يوفقني وجميع المسلمين لما يحب ويرضى، وينفع بهذا البحث الأمة، ويجعل عملي فيه خالصاً لوجهه الكريم، هو ولي ذلك والقادر عليه نعم المولى ونعم النصير. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهمية المــوضوع وسبب الاختيار:

لقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع أمور كثيرة منها:

1- حاجة الأمة إلى الجماعة والائتلاف ونبذ الفرقة والاختلاف، إذ أن تفرق الأمة واقع نعيشه وهو داء من أدوائها وليس له علاج إلا الرجوع إلى ما كان عليه السلف الصالح من منهج الاجتماع على الكتاب والسنة والتزام نهجهما إذ هو سبيل الاجتماع والائتلاف ونبذ الفرقة والاختلاف.

2- أن شيخ الإسلام له جهود متميزة في هذا الباب وهي متفرقة في كتبه، فأحببتُ أن أجمعها في مكان واحدٍ ليسهل عليَّ وعلى طلبة العلم الرجوع إليها والاستفادة من غزارة علم هـذا الإمام وجهوده في هذا الباب.

3- فشو ظاهرة الخروج على الأئمة والولاة ومواجهتهم بالسيف وما نتج عن ذلك من المفاسد على الأمة الإسلامية، وانتشار ظاهرة القتل والتدمير والترويع في هذه الأزمان من قِبل بعض من اشتبه عليهم الحق بالباطل مع الغلو والجهل بأهمية الجماعة والطاعة والإصلاح الذي دعا إليه هذا الدين وأكده في الكتاب والسنة.

4- حاجة الأمـة الإسلامية إلى مثل هذا الموضوع الذي يعد من أساسيات هذا الدين وأصوله.

5- حاجة الأمة للرجوع إلى ما كان عليه سلفهم الصالح من منهجٍ صافٍ بعيدٍ عن الغلو والتطرف؛ لتثبيت كيانها واستعادة عزتها ومجدها باجتماعها وائتلافها على العقيدة الصحيحة.

6- كثرة المادة العلمية وغزارتها في كتب شيخ الإسلام ولم أجد أحداً حسب اطلاعي من كتَب فيه بهذا العنوان مقيداً بشيخ الإسلام ابن تيمية.

7- حب الاطلاع والاستفادة من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية بصفة خاصة؛ لأنها تشتمل على معلومات صافية متعلقة بمنهج السلف الصالح، والتي لا تكاد تجدها مجتمعة في كتب غيره، حتى وجد من الغربيين من تخصص في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- وهو من غير أهله، فكيف بأهله الذين هم أحق بها.

الدراســات السابقـة:

بتوفيق الله سبحانه وتعــالى فقد قمت بتتبع كل ما كتب عن شــيخ الإســلام ابن تيمية – رحمه الله – من الرســائل الجامعية للتأكد من عدم وجود تشابه بين موضوع منها وبين هذا الموضوع فلم أجد رسالة واحدة منها كذلك.

فقد كتب عن شــيخ الإســلام ابن تيمية – رحمه الله تعــالى رحمة واسعة _ في العقيـدة والفـرق حـوالي سـبعة وخمسـين **(57)** رســالة علمية جامعية بمختلف الجامعــات المملكة العربية السعودية وخارجها في شتى أنحـاء العـالم[1]**، و**لم أجد من هـذه الرسائل الجامعية ما يشبه موضوعي هذا ولله الحمد.

وقد قمت أيضا بدراسة خطة رســالة الأخ شـــرف الـــدين المسجل بقسم العقيدة كلية الدعوة وأصول الدين في ((الإمامة عند شــيخ الإســلام ابن تيمية)) فلم أجد تشــابها بينها وبين هــذا الموضـــوع إلا في مبحث واحد ذكـــره في التمهيد (**المبحث الثالث: الأمر بالاجتماع والنهي عن التفرق وأسبابه**).

ذكر هـذا المبحث في التمهيـد، وعلى كل حـال؛ فـإن خطة رسالة الأخ في جانب وخطة رسالتي في جانب آخر.

فإنه تناول في الباب الأول:

مفهوم الإمامة وطرق انعقادها عند شيخ الإسلام.

الفصل الأول: الإمامة وحكمها والمقصود منها عند شيخ الإسلام

(منزلة الإمامة – مقاصد الإمامة – الإمامة والخلافة والعلاقة بينهما).

الفصل الثـاني: طـرق انعقـاد الإمامة وحكم تعـدد الأئمة عند شيخ الإسلام.

---

[1] (?) انظر: دليل الرسـائل الجامعية في علـوم شـيخ ابن تيميـة- رحمه اللــه- إعــداد: عثمــان بن محمد الأخضر شوشــا، طبعــة/ مؤسسة الوقف الإسلامي، فقد ذكر فيه المؤلف: (177) رســالة علمية، كتبت عن شيخ الإسلام ابن تيمية– رحمه الله-، في علوم القـرآن، وعلـوم الحـديث، وفي العقيـدة، والفـرق والملـل، وفي الفقــه، والسياسة الشــرعية، وفي الــدعوة، والاقتصــاد، وأصــول الفقــه، وفي القواعد الفقهيــة، واللغة العربيــة، والعلــوم العقليــة، وفي التربية، والأخلاق، والثقافة، والتاريخ.

(خطــورة الإمامة– اختيــار أهل الحل والعقــد- الاســتخلاف– التغلب– حكم تعدد الأئمة).

وفي البــاب الثــاني: في شــروط الإمامة ووجباته وحقوقه عند شيخ لإسلام.

الفصل الأول: الشـــروط الـــتي يجب توفرها في الإمام عند شيخ الإسلام.

(اشتراط العدالة – اشتراط القرشية اشتراط الأفضلية).

الفصل الثاني : واجبات الإمام عند شيخ الإسلام.

(تنفيذ الدين وحمايته- اسـتيفاء الحقـوق – اختيـار الأكفـاء إقامة ولاية الحسبة إقامة الحدود).

الفصل الثالث: حقوق الإمام عند شيخ الإسلام ابن تيمية

(ضوابط طاعة الإمام- حكم طاعة الإمـام الجـائر– النصـرة والجهاد- المناصحة – دفع الحقوق المالية،...).

الفصل الرابـع: موقف شـيخ الإسـلام من الخـروج على الإمــام (الأمر بالصـبر، موقفه من الخـروج مـتى يجـوز الخروج– موقفه من الإمام الحاكم بغير ما أنـزل الله– موقفه من البغاة).

الباب الثالث: جهود شيخ الإسلام في تقرير خلافة الخلفاء الأربعة وموقفه من الملوك بعدهم.

الفصل الأول: تقرير شـــيخ الإســـلام ابن تيمية لخلافة الخلفاء الراشدين

(تقرير خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنـه- تقرير خلافة عمر رضي الله عنه- تقرير خلافة عثمـان رضي الله عنه – تقرير خلافة علي رضي الله عنه تقرير خلافة الحسن رضي الله عنه).

الفصل الثاني: موقف شيخ الإسـلام ابن تيمية من الملوك بعد الخلفاء الأربعة.

(موقفه من ملك كل من: معاوية رضي الله عنه وبـني أمية وعبد اللـــه بن الزبـــير رضي الله عنه وبـــني العبـــاس وملك العبيديين ومن الملوك في عصره ...).

البـاب الرابـع: موقف شـيخ الإسـلام ابن تيمية من الفرق الضالة في باب الإمامة.

الفصل الأول: **موقف شـــيخ الإســـلام من الفـــرق الضالة في باب الإمامة**.

(ذم الخـوارج– سـبب خطـأهم في هـذا البـاب- الفـرق بين الخـوارج والبغـاة– فسـاد منهجهم في معاملة الـولاة موقفه من تكفيرهم).

الفصل الثاني: موقف شـيخ الإسـلام من أقـوال الشـيعة في باب الإمامة.

(موقفه من الرافضة الإمامية– مفهـــــــــــوم الإمامة عند الرافضة– قولهم بـالنص ت منزلة الإمامة عنـدهم عصـمة الأئمة في الرجعة– في الزيدية...).

ثم الخاتمة.

هذه هي العناصر التي تناولها في رسالته الأخ جزاه الله خير الجـزاء وزاده علما ونفع بعلمه الأمـة. ولا شك أن خطـتي هـذه تختلف عن تلك الخطة.

وفقني الله وإياه وجميع المسلمين لما يحب ويرضى، وصلى الله وسـلم على نبينا محمـد، وآله وصـحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

خطـة البحث

أما خطة البحث فقد اشتملت على: (مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة).

المقدمة، وتشتمل: (على الافتتاحية _ وأهمية الموضوع _ وأسباب الاختيار_ والدراسات السابقة _ وخطة البحث _ ومنهجي فيه) .

الباب الأول
جهود شيخ الإسـلام ابن تيمية في الحث على لزوم الجماعة والائتلاف

فيه تمهيد وفصلان:

التمهيد:

فيه مباحث:

المبحث الأول : تعريف الجماعة والائتلاف لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني : جهود شيخ الإسلام في بيان المراد بالجماعة

المبحث الثالث **:** جهود شيخ الإسلام في بيان أهمية الجماعة وبيان حاجة كل أمة للاجتماع.

الفصل الأول : جهوده في بيان الاستدلال على وجوب لزوم الجماعة.

المبحث الأول : بيان الأدلة من الكتاب والسنة في الحث على لزوم الجماعة والائتلاف.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : بيان الأدلة من الكتاب في الأمر بالجماعة.

المطلب الثاني : الأدلة من السنة في الحث على الجماعة والائتلاف

المبحث الثاني : بيان الآثار عن السلف الصالح في الحث على الجماعة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : آثار الصحابة رضوان الله عليهم في الحث على الجماعة.

المطلب الثاني **:** الآثار عن التابعين ومن بعدهم من الأئمة في الحث على الجماعة.

الفصل الثاني: جهوده في بيان أسباب الجماعة وأثر ذلك

فيه مبحثان:

المبحث الأول : جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان الأسباب المؤدية للجماعة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : بيان أن تحقيق توحيد الله من أعظم أسباب الاجتماع والائتلاف.

المطلب الثاني : الاعتصام بالكتاب والسنة وأهميته في الجماعة.

المطلب الثالث : التمسك بهدي سلف هذه الأمة وأثره في الجماعة.

الباب الثاني

جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان الاختلاف والتفرق والتحذير منه وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: جهوده في بيان مفهوم التفرق والاختلاف وخطورته ونتيجته

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : تعريف الفرقة والاختلاف

المبحث الثاني : بيان أنواع الاختلاف الجائز.

وفيه مطالب:

المطلب الأول : بيان الاختلاف المذموم

المبحث الثالث : تحقيقه لمعاني بعض النصوص التي يظن أنها تسوغ التفرق والاختلاف

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : معنى قوله تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ[1] عند شيخ الإسلام

المطلب الثاني : قول بعض العلماء ((اختلاف العلماء رحمة)) والمقصود منه.

المبحث الرابع : خطورة الاختلاف ونتيجته.

الفصل الثاني : جهوده في بيان تفرق الأمم قبلنا في الدين وهلاكهم بسببه.

---

1 (?) هود.

منهجي في البحث:

لقد سِرْتُ -بتوفيق الله ومشيئته- في هذا البحث على النحو التالي:

1- إجتهدتُ في تتبع وجمع ما يدخل في الحث على لزوم الجماعة واجتناب الاختلاف والفرقة من خلال مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- وجمع كلامه المتفرق في هذا الباب وترتيبه على حسب موضوعات البحث، مع ربط كلامه حسب الإمكان- بواقعنا المعاصر وضرب الأمثلة عليه، حسب الحاجة.
2- قد ذكرتُ كلام بعض العلماء المتقدمين من السلف أو المتأخرين؛ تأكيداً لكلام شيخ الإسلام ابن تيمية حسب الحاجة إلى ذلك.
3- إذا نقلت عن شيخ الإسلام بالمعنى أقول: ((انظر إلى كذا مثلاً))، وقد لا أحيل إلى موضعه من الكتب التي نقلت عنها، الجزء مباشرة وذلك مراعاة لترتيب الأجزاء إن إن كان الكتاب في عدة أجزاء، مثلاً أقول: (مجموع الفتاوى ج1/33 وج2/55 وج3/77) وهكذا.
4- إذا قلتُ ((قال)) أو ((وقال أيضاً)) غالبا المقصود به شيخ الإسلام ابن تيمية. أيضا: وقد أنقل نصاً من نصوصه مطولاً لأهميته ولعموم فائدته، وقد أكرر ذكر النص الواحد من نصوص في أكثر من موضع للمناسبة.
5- وقد ترجمت للأعـلام الـواردة ذكـرهم في البحث على أن يكونـوا غـير مشـهورين ولا معاصـرين عنـد أول موطن يرد فيه ذكر الاسم، وعند تكـراره لا أحيـل إلى مكان الترجمـة اكتفـاء بفهـرس الأعلام حيث سـأجعل موضع الترجمة بين قوس.
6- عزوتُ الآيات إلى سورها مع ذكر أرقامها.
7- إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بهما أو بأحدهما مع ذكر الكتـاب والبـاب والـرقم والصـفحة غالبا، وإذا لم يكن الحديث في الصـحيحين أخرجه من مظانه مع نقل الحكم عليه من أقوال العلماء الأثبات.
8- إلتزمتُ بعلامات الترقيم وضبط ما يحتاج إلى ضبطه.
9- شرحت الألفاظ الغريبة الواردة في صلب الموضوع
10- عرفت بالفرق والأديان والمذاهب والأماكن
11- عرفتُ بالبلدان والأماكن.

12- ذَيلتُ البحث بالفهارس العلمية اللازمة.

13- الفهارس:

ذيلت البحث بالفهارس الآتية:

- **فهرس الآيات**
- **فهرس الأحاديث النبوية والآثار**
- **فهرس الأعلام**
- **فهرس المصادر والمراجع**
- **فهرس الموضوعات**

الخاتمة:

وفيها ذكرتُ أهم نتائج البحث والتوصيات العلمية إن شاء الله تعالى.

الباب الأول
جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في الحث على لزوم الجماعة والائتلاف

فيه تمهيد وفصلان:

التمهيد:

التمهيد:

فيه مباحث:

المبحث الأول : تعريف الجماعة والائتلاف لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني : جهود شيخ الإسلام في بيان المراد بالجماعة

المبحث الثالث : جهود شيخ الإسلام في بيان أهمية الجماعة وبيان حاجة كل أمة للاجتماع.

- المبحث الأول : تعريف الجماعة والائتلاف لغة وشرعا

1- تعريف الجماعة لغة:

1- أصل الكلمة: من **مادة (جمع) ، قال ابن الفارس :** ((الجيم والميم والعين أصل واحد يدل على تضامّ الشيء)) [1] .

2- تصاريفها: الجماعة: مصدر جمع من باب منع **. يقال** : جمعت الشيء جمعا. وأجمعت على الأمر إجماعا و أجمعته وجماعة. خلاف التفريق.[2]

3- معانيها: لهذه الكلمة استعمالات متعددة في لغة العرب منها:

الجماعة: يطلق من كل شيء على القليل والكثير. وأجمعوا على الأمر: اتفقوا عليه.

جمع: مكة، سمي لاجتماع الناس به.وجمعت الشيء : إذا جئت به من هاهنا وهاهنا.

وإذا أردت جمع المتفرق قلت: جمعت القوم فهم مجتمعون، قال تعالى: **:** ﮋ   ﮊ.[3]

تَجمَّع القوم: اجتمعوا أيضا من هاهنا وهاهنا.

والجميع : ضد المتفرق.

وأجمع أمره: أي جعله جميعا بعد ما كان متفرقا.

اجتمع : اجتمع السيل من كل موضع. **فلاة مجتمعة** : يجتمع فيها الناس ولا يتفرقون خوف الضلال.

استجمع الفرس جريا. [4]

---

1 (?) معجم مقاييس اللغة لابن الفارس مادة (جمع).

2 (?) معجم مقاييس اللغة لابن الفارس مادة (جمع).

3 (?) هود آية : (103).

4 (?) يراجع معجم مقاييس اللغة لابن الفارس: ج1/480. مادة (جمع) .اللسان مادة (جمع) المصباح المنير مادة (جمع).

<u>الخلاصة:</u> هذه المعاني كلها متقاربة تنصب في قالب واحد كما قال ابن الفارس (يدل على انضمام الشيء).

وتدل على من يجمعهم غرض واحد، وهو ضد التفرق والتشتت في الضلال.

ب - تعريف الائتلاف لغة:

أصل الكلمة: الهمزة واللام والفاء أصل واحد يدل على انضمام الشيء إلى الشيء، والأشياء الكثيرة.

تصاريفها : والألفة بالضم: اسم من الائتلاف . هو مصدر. وإلفُك وأليفك: الذي تألفه. وكل شيء ضممتَ بعضه إلى بعض فقد ألفته تأليفا.[1]

2- معانيها: تطلق هذه الكلمة على معان عدة منها:

- **يقال**: ألف بينهم تأليفًا: أوقع الألفة.

- وتألَّف: تنظَم.

-يقال: تألَّف فلانا: أي داراه، وقاربه، ووصله حتى يستميله إليه.

وتألف القوم: اجتمعوا،كائتلفوا.[2]

الخلاصة: فالمعـــاني الـــواردة في هـــذا اللفظ (الائتلاف) كلها تـــدل **على الانضـــمام، والاجتمـــاع،** والتكـاتف، والـبر، والإحسـان، وتنظيم الروابط وتقويتهـا، واستمالت القلـوب بعضـها إلى بعض، وضم بعضـهم إلى بعض، والتعاطف، والجماعة.

العلاقة بين اللفظين: نجد أن لفظ الجماعة والائتلاف كل منهما يـــدل على انضـــمام الشـــيء إلى الشيء .

والغرب في ترتيب المعرب مادة (جمع).

[1] (?) معجم مقاييس اللغة ج1/ 131 مادة (ألف).

[2] (?) معجم مقاييس اللغة 1/131 مادة (ألف). ولسان العرب ج1/179، 178 .مادة (ألف).

ولـــذلك نجد أيضـــاً أن كِلاَ اللفظين يســتعمل في معـــنى الانضـــمام والوحـــدة، والقـــوة، والتقـــارب، والتواصل، واستمالت القلوب بعضها ببعض.

ج_ تعريف الجماعة في الاصطلاح الشرعي:

ورد لفظ ((**الجماعة**)) في الشــرع في قــول النــبي صلى الله عليه وسلم **: ((تلزم جماعة المسلمين))**[1]

وعن أبي هريــرة رضي الله عنه عن النــبي صــلى الله عليه وســلم ،أنه قــال: ((من خــرج من الطاعــة، وفارق الجماعة ،فمات،مات ميتته جاهلية)) الحديث[2]

وذكر العلماء لمعنى لفظ الجماعة عـدة معـان تـدور جميعها على أحد أمرين:

الأمر الأول: الجماعة في أمر الـــــدين، ومن ذلك قولهم:

الجماعة: هم الصحابة رضوان الله عليهم.

الجماعة: أهل العلم لأن الله جعلهم حجة على الخلق ، والناس تبع لهم في أمر الدين.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعـالى: ﭽ ۇ ۆ ۈ ۉ ۋۋ ۋ ۋ ﭼ[3] قال**: ((تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة))**[4].

الأمر الثاني: الجماعة في أمر الإمامة العظمى، وهي أمور الخلافة والولاية.

ومن ذلك قولهم:

الجماعة: الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره.

الجماعة: السواد الأعظم.

---

1 (?) صحيح البخاري مع الفتح ج13/38 ح(7084) كتاب الفتن باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة.

2 (?) صحيح مسلم ص487 ح(1848) كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين.

3 (?) آل عمران آية: (106).

4 (?) تفسير ابن كثير ج1/369.

ولعل السبب في هذا التنوع في تعريف الجماعة هو أن الناس تبع لأمرائهم وعلمائهم، فهم يتبعون أمراءهم فيما لهم سلطة فيهم؛ وهم كذلك تبع لعلمائهم في أمر الدين.

فنجد أن هذه الأقوال كلها متقاربة وهي من باب اختلاف التنوع .

وعن تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية للجماعة نجده يعرفها باعتبار أمر الدين فيقول في الجماعة:

((جماعة المسلمين المتمسكين بالكتاب والسنة وبما كان عليه السلف الصالح ويؤثرون كلام الله على كلام كل أحد، ويقدمون هدي رسول الله على هدي كل أحد، ومتعاونين على البر والتقوى متحدين على الحق متراحمين فيه)) [1] .

وسيأتي الحديث عن هذا بالتفصيل في الأبواب القادمة إن شاء الله.

د_ تعريف الائتلاف في الاصطلاح الشرعي:

ورد هذا اللفظ ومشتقاته في الشرع في عدة مواضع منها:

قوله تعالى: ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼ [2]

قال الإمام القرطبي : ((أي جمع بين قلوبهم))[3]

---

[1] (?) انظر: مجموع الفتاوى ج3/ 157 وانظر كتاب وجوب لزوم الجماعة وترك الفرقة لجمال احمد رسالة جامعية ماجستير ص88-97. وكتاب المراد الشرعي بالجماعة للدكتور صالح عبد الله العبود مدير الجامعة الإسلامية (سابقاً) ص32. وسيأتي بيان هذا الأمر أكثر في المبحث التالي إن شاء الله.

[2] (?) الأنفال آية :(63).

[3] (?) تفسيره القرطبي ج8/42.

((فاجتمعوا وائتلفوا، وازدادت قوتهم بسبب اجتماعهم))[1]

وقال: ﭽ ﭼ[2]

وقال: ﭽ ﭼ[3]

أي ((زالت العداوة والفرقة وكانت المحبة والألفة)) [4]

أي صاروا إخوانا متعاونين بجلال الله متواصلين في ذات الله، متعاونين على البر والتقوى.[5]

وقال الإمام السعدي : ((واجتمعوا على الإسلام، وتآلفت قلوبهم على الإيمان كانوا كالشخص الواحد، من تآلف قلوبهم، وموالاة بعضهم لبعض))[6]

وفي السنة النبوية قوله ﷺ: ((إنما فعلت ذلك لأتألّفهم))[7]

قال شيخ الاسم ابن تيمية : ((التأليف التوفيق بين القلوب)) [8] وذكر الآيات السابقة.

وقال أيضا: ((**فإن الله ورسوله أمرا بالجماعة والائتلاف ونهيا عن التفرق والاختلاف وأمرا بالتعاون على البر والتقوى**))[9]

---

1 (?) قول الإمام السعدي – رحمه الله- في تفسيره ص370.
2 (?) التوبة آية (60).
3 (?) آل عمران آية: (103).
4 (?) قول القرطبي في تفسيره ج4/614.
5 (?) قول ابن كثير –رحمه الله- في تفسيره ج1/368.
6 (?) تفسير السعدي ص149.
7 (?) صحيح مسلم مع الشرح النووي ج7/142 ح(1064) كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم.
8 (?) منهاج السنة ج2/200.وتلبيس الجهمية ج1/504.
9 (?) مجموع الفتاوى ج11/92.

((**ومما جاء به من الائتلاف والاجتماع وأمن بعضهم بعضا مصير بعضهم**

لبعض إخوانا)) [1] .

ويلاحظ من مضامين كلام شيخ الإسلام أنه – رحمه الله- أرجع لفظ (الائتلاف) إلى ما يجب أن تكون عليه الأمة في جملة سلوكها وتصرفاتها من التعاون على البر والتقوى:

بالتأليف بين القلوب وتقريب بعضها إلى بعض، وإزالة الضغائن والحقد منها، وبذْل البر و الإحسان والمحبة والأخوة الصادقة والود بينها، وجمع الكلمة والوحدة على الحق كالجسد الواحد كل ذلك في الله وبالله ولله.

1 (?) قاله الإمام الطبري في تفسيره ج3/378.

المبحث الثاني : جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان المراد بالجماعة

ورد في حـديث النـبي صـلى الله عليه وسـلم أن الفرقة الناجية هي: **(الجماعة). والرسـول صـلى الله عليه وسـلم أمر في أحـاديث كثـيرة بوجـوب لـزوم الجماعة.**

وذكر علمـاء السـلف – رحمهم الله - في المـراد ((**بالجماعة**)) في الحديث أقوالاً يطـول ذكرها في هـذا الموضع. [1]

وباستقراء كلام شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- وتتبع أقواله نجد أنه قد بين المقصود بالجماعة وقـرر أن المـراد بهـا: تحقيق ما كـان عليه النـبي صـلى الله عليه وسـلم وأصـحابه ومتـابعتهم اعتقـاداً ومنهجـاً وهـدياً وسـلوكاً، وعـدم الخـروج عنه ويتضـمن: -الاجتمـاع على أصـول الـدين والاجتمـاع على أداء حقـوق الله تعـالى وحقوق عباده، و هذا يؤدي إلى تحقيق أمرين عظيمين:

1- **الجماعة في الـدين معتقد أهل السـنة والجماعة المتمسـكين بما كـان عليه الصـحابة والتابعون وأئمة المسـلمين الـذي اتبعـوا الصـحابة بإحسان.**
2- **والجماعة في الـدنيا أو الجماعة السـلطانية وهم المسلمون إذا اجتمعوا على أمير.**

---

[1] (?) كتاب الإشاعة في بيـان من نهي عن فراقه من الجماعة /للعلامة محمد بن إسماعيل صلاح الصـنعاني تحقيق د. محمد باكريم –حفظه الله-ص36 وما بعـدها /و كتـاب وجـوب لـزوم الجماعة وترك الفرقة لجمال بن أحمد بشير بـادي ص87 وما بعدها وكتاب المراد الشرعي بالجماعة وأثر تحقيقه في إثبات الهوية الإسلامية أمام العولمة الإرهاب لفضيلة الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله العبود حفظه الله. مدير الجامعة الإسلامية. وكتـاب معتقد أهل السـنة والجماعة في توحيد الأسـماء والصـفات للأسـتاذ الـدكتور محمد بن خليفة التميمي حفظه الله عضو هيئة التـدريس بالجامعة الإسـلامية بالمدينة ص63. وكتـاب الغلو في الـدين في حيـاة المسـلمين المعاصـرة لعبد الرحمن بن معلا اللويحق ص201.

وشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- قد قرر هذا في هذه الآية الكريمة وهو قوله تعالى: چ [illegible] ی ی یی چ[1] .

فقد بين - رحمه الله- أن المراد بهذه الآية صنفان: الأمراء والعلماء فقال:

((ولهذا نص الإمام أحمد وغيره على دخول الصنفين في هذه الآية؛ إذ كلٌّ منهما يجب طاعته فيما يقوم به من طاعة الله.

ولهذا كانت السنة أن الذي يصلي بالناس صاحب الكتاب، والذي يقوم بالجهاد صاحب الحديد، إلى أن تفرق الأمر بعد ذلك، فإذا تفرق صار كل من أقام بأمر الحرب من جهاد الكفار وعقوبات الفجار يجب أن يطاع فيما يأمر به من طاعة الله في ذلك.

وكذلك من قام بالكتاب بتبليغ أخباره وأمره وبيانه يجب أن يصدق ويطاع فيما أخبر به من الصدق في ذلك فيما يأمر به من طاعة الله في ذلك))[2] .

((**فإن** الشريعة جامعة لكل ولاية وعمل فيه صلاح الدين والدنيا والشريعة إنما هي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما كان عليه سلف الأمة في العقائد والأحوال والعبادات والأعمال والسياسات والأحكام والولايات والعطيات.

وليس للإنسان أن يخرج عن الشريعة في شيء من أموره، وهي طاعة الله ورسوله وأولي الأمر كما قال الله تعالى في الآية.

---

1 (?) النساء آية(59).

2 (?) مجموع الفتاوى ج18/158.

والدين كله مأخوذ عن الرسول ليس لأحد بعده أن يغير من دينه شيئا هذا دين المسلمين))[3] .

قلتُ: وهذا يلزم جميع الأمة اتباع السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان والتمسك بهديهم في جميع أمور دينهم ودنياهم اعتقادية وعبادية أو سلوكية كانت أو اجتماعية أو أخلاقية أو سياسية فكرية أو اقتصادية أو نحوه.

ومن استقرأ الآيات والأحاديث التي في هذا الباب يجد أنها تحث على هذه الأصول العظيمة والقواعد الجليلة، بأساليب مختلفة ومتنوعة، فأمر بالصدق والإخلاص، وتحكيم الكتاب والسنة، وتقديمهما على كل شيء، والتعاون على البر والتقوى، والإحسان إلى الخلق، والتواضع، وحب الخير للجميع، وموافقة الحق ، وتحث أيضا على تأليف القلوب، والوحدة ، وفق مراد الله ورسوله ظاهرًا وباطنًا، وعلى ما كان عليه الجماعة الأولى من الصحابة، ومن تبعهم على ذلك بإحسان من أمور الاعتقاد والسلوك والعبادات والمعاملات وحفظ حقوق الرعاة والرعية ونحوها ولا يُدخَل في أمر الدين ما ليس منه.

((ومن أدخل في الدين ما ليس منه، من أقوال متفلسفة الهند أو الفرس أو اليونان

أو غيرهم، كان – عندهم- من أهل الإلحاد والابتداع، وهذا هو الدين الذي كان عليه أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم- والتابعون، وهو الذي عليه أئمة الدين الذين لهم في الأمة لسان صدق، وعليه جماعة المسلمين وعامتهم، ومن خرج عن ذلك، كان مذمومًا

---

3 (?) مجموع الفتاوى ج27/364 وج 19/308، 309.

مدحورًا عند الجماعة، وهو مذهب أهل السنة والجماعة، الظاهرون إلى قيام الساعة، الذين قال فيهم النبي- صلى الله عليه وسلم-: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة)) [1][2]

قال في موضع آخر: ((فإن بنى آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم، إلى بعض، ولابد لهم عند الاجتماع من رأس، ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة. وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد والعدل وإقامة الحج والجمع والأعياد ونصر المظلوم. وإقامة الحدود لا تتم إلا بالقوة والإمارة)) [3].

فهذه النصوص التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية تبين أن المراد بالجماعة هي: الجماعة في الدين وهو الاجتماع في أصول الاعتقاد والعبادات والسلوكيات ومصادرها قال تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲﭳ ﭼ[4]

والجماعة في الدنيا جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على إمام واحد فيجب طاعته ويحرم الخروج عليه وقتاله أو التحريض على ذلك بأي وجه من الوجوه .

---

1 (?) صحيح مسلم ص502ح(1920)و(1922) كتاب إمارة باب قوله صلى الله عليه وسلم: ((لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق...).

2 (?) الجواب الصحيح ج5/443، 444.

3 (?) مجموع الفتاوى ج28/390.

4 (?) آل عمران آية: (103).

قال النبي ﷺ: ((من فارق الجماعة شبراً فمات، فميتة جاهلية)) [1] وقوله: ((تلزم جماعة المسلمين وإمامهم)) [2] وقوله: ((من خرج من الطاعة وفارق الجماعة، فمات فميته جاهلية)) [3]

وقال الإمام الشافعي -رحمه الله- في كتابه ((الرسالة)) حيث قال: ((إذا كانت جماعتهم متفرقة في البلدان فلا يقدر أحد أن يلزم جماعة أبدان قوم متفرقين، وقد وجدت الأبدان تكون مجتمعة من المسلمين والكافرين، والأتقياء والفجار، فلم يكن في لزوم الأبدان معنى ، لأنه لا يمكن، ولأن اجتماع الأبدان لا يصنع شيئًا، فلم يكن للزوم جماعتهم معنى، إلا ما عليه جماعتهم من التحليل والتحريم، والطاعة فيهما، ومن قال بما تقول به جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم)) [4].

والطائفة الناجية قد توفرت فيها هذه الأمور، فهي مجتمعة على الحق المدلول عليه بنصوص الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح، وهي غير متفرقة لاعتقادها لزوم الاجتماع على إمام، وهي ذات منهج واضح المعالم محدد الغاية، وقدوتهم هم أفضل أجيال هذه الأمة؛ وهم الصحابة والتابعون وتابعوهم بإحسان ممن رفع الله مقامهم وأعلى قدرهم، كما قال تعالى: ﭽ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀﭼ [5]

---

1 (?) صحيح مسلم ص478ح(1849) كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال. وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة..

2 (?) صحيح مسلم ص487 ح(1847) نفس الكتاب والباب.

3 (?) صحيح مسلم ص 487 ح(1848) نفس الكتاب والباب.

4 (?) كتاب الرسالة(474- 475).

5 (?) سورة التوبة آية : 100.

وقال عنهم النبي صلى الله عليه وسلم : ((خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)).[6]

وقال عنهم لما سئل من هي يا رسول الله ؟ قال: ((ما أنا عليه وأصحابي))[2]

وكل هذا يؤول إلى قوله صلى الله عليه وسلم: ((من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي)). وفي رواية: ((هي الجماعة))[3] [4] .

ولهذا كان أول من خرج على جماعة المسلمين وشق عصاهم وكفَّرهم الخوارج ثم الروافض .

((وهؤلاء لما خرجوا في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- قاتلهم هو وأصحاب

---

6 (?) صحيح مسلم ص 648 ح(2533) كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم.

2 (?) رواه الترمذي في سننه ج5/26 ح(2641) كتاب الإيمان باب ما جاء في افتراق هذه الأمة . وقال هذا حديث مفسَّر غريب لا نعرفه مثل هذا ا لوجه. وقال الألباني في صلاة العيدين ص41 حسن لغيره.
ورواه الحاكم في المستدرك ج1/218 والطبراني في المعجم الكبير ج8/125 وفي الصغير ج2/29 وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم(2641) وفي صحيح الجامع الصغير رقم(5343).

3 (?) تقدم تخريجه وسيأتي الحكم عليه إن شاء الله.

4 (?) المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة للدكتور إبراهيم البريكان ص87،88. وهو ما يشير إليه فضيلة الأستاذ الدكتور محمد بن خليفة التميمي حفظه الله عضو هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية بالمدينة في كتابه معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات ص63- 64. وفضيلة الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله العبود حفظه الله في كتابه : المراد الشرعي بالجماعة ص33.
وكذلك جمال أحمد بازي في كتابه ((وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق)) ص 88- 104.كلهم فقد أحسنوا وأجادوا في المسألة يراجع مهم.

رسول الله بأمر النبي صلى الله عليه وسلم وتحضيضه على قتالهم. واتفق على قتالهم جميع أئمة الإسلام.

وهكذا كل من فارق جماعة المسلمين وخرج عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشريعته من أهل الأهواء المضلة والبدع المخالفة.

ولهذا قاتل المسلمون أيضًا ((الرافضة)) الذين هم شر من هؤلاء، وهم الذين يكفرون جماهير المسلمين، مثل الخلفاء الثلاثة وغيرهم. ويزعمون أنهم هم المؤمنون ومن سواهم كافر، ويكفرون من يقول: إن الله يُرى في الآخرة، أو يؤمن بصفات الله وقدرته الكاملة ومشيئته الشاملة، ويكفرون من خالفهم في بدعهم التي هم عليها)) [1]

[1] (?) مجموع الفتاوى ج3/382.

المبحث الثالث: جهود شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في بيان أهمية الجماعة و بيان حاجة كل أمة للاجتماع.

وتحته مطالب:

المطلب الأول: أن الله عز وجل أمـر بها في كتابه وحث عليها

ومن اهمية أن الله تعالى قد أمر العباد كلهم بها ووصى بها رسله جميعا من الأولين والآخرين وأكده في كتابه في أكثر من موضع فقال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ[1]

ففي الآية الكريمة أمر الله تعالى جميع الأنبياء والرسل بإقامة الدين وعدم التفرق فيه، والله تعالى لا يأمر بأمر إلا وتكون مصلحته خالصة أو راجحة، ولا يأمر إلا بما يوجب السعادة والكمال والنجاة والهدى والرشاد وهذا غاية ما تسعى إليه جميع بني البشر في كل شؤونهم, و هي السعادة و الأمن والراحة والاستقرار وهي تحقيق المصالح، وهذا لا يتحقق إلا باجتماعهم والامتثال بأمر الله تعالى.

ويظهر ذلك في الآية السابقة حيث أمر الله فيها الأولين والآخرين بأن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو ما شرعه من الدين فإنما شرع لنا من الدين ما وصى به من: إقامته وعدم التفرق فيه، والدين الذي اتفقوا عليه هو الأصول تتضمن أشياء:

أحدها: أنه شرع لنا الدين المشترك وهو الإسلام والإيمان العام والدين المختص بنا هو الإسلام والإيمان الخاص.

الثاني: أنه أمرنا بإقامة هذا الدين كله المشترك والمختص ونهانا عن التفرق فيه.

---

[1] (?) سورة الشورى آية:31

الثالث: أنه أمر المرسلين بإقامة الدين المشترك ونهاهم عن التفرق فيه.[2]

إذا فقيام أمر الجماعة على الحق قيام الدين وأهله والأمن والسلامة، وبه تتحقق السعادة الدارين، فقد أمر الله بها جميع الرسل وأممهم، وهذا كاف في بروز أهميتها، فهو سبحانه حكيم في قوله حكيم في فعله وحكيم في أمره ونهيه وفي جميع شؤونه ،و لا يأمر عباده إلا بما فيه صلاحهم وسعادتهم الدنيوية والأخروية.

فقد ظهر من هذا أهمية الجماعة وأنها من أعظم أصول الإسلام ومما عظمت فيه وصية الله تعالى في كتابه، وعظم ذمه لمن تركها من أهل الكتاب وغيرهم.

---

[2] (?) ينظر : مجموع الفتاوى ج1/12، 13 ، 14، 18، 19، و ج7/636 وج8/32، و11/415 وج19/117.بشيء من التصرف.

- المطلب الثـاني: أن النـبي صـلى الله عليه وســــلم حث عليها ووصى بها جميع الأمة وأن الإجماع هوالأصل الثالث بعد الكتاب والنسة.

ومما يدل أيضا على أهمية الجماعة وصية الر سول صلى الله عليه وسلم بها جميع الأمة، حتى في أقل الجماعات ؛ وأمره بوجوب التمسك بها وبراءته ممن خرج عليها، فأمره صلى الله عليه وسلم بها وتوعُّده على من خرج عليها في مواطن عامة وخاصة، دليل على أهميتها ووجوب الالتزام بها.

يقول شيخ الإسلام ((فلا ريب أن الله يبعث الأنبياء لما فيه صلاح العباد في المعاش والمعاد، ولا ريب أن الله أمر العباد بما فيه صلاحهم ونهاهم عما فيه فسادهم فكل خير في الوجود إما عام وإما خاص فمنشأه من جهة الرسول وأن كل شر في العالم مختص بالعبد فسببه مخالفة الرسول أو الجهل بما جاء به وأن سعادة العباد في معاشهم ومعادهم باتباع الرسالة.

فقد بعثه الله بأفضل المناهج والشرائع وأنزل عليه أفضل الكتب، فأرسله إلي خير أمة أخرجت للناس، وأكمل له ولأمته الدين، وأتم عليهم النعمة وحرم الجنة إلا على من آمن به وبما جاء به، ولم يقبل من أحد إلا الإسلام الذي جاء به فمن ابتغى غيره دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين .

وأخبر في كتابه أنه: أنزل الكتاب والحديد، ليقوم الناس بالقسط فقال تعالى: ﭽ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ﭼ [1]

ولهذا أمر النبي –صلى الله عليه وسلم-أُمَّته بتولية ولاة أمور عليهم ، وأمر ولاة الأمور أن يردوا الأمانات

---

[1] (?) سورة الحديد آية :25.

إلى أهلها، وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل ، وأمرهم بطاعة ولاة الأمور في طاعة الله تعالى.

ففي سنن أبي داود عن أبي سعيد أن رسول الله قال: ((**إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم**))[1] . وفي سننه أيضا عن أبي هريرة مثله. وفي مسند الإمام أحمد عن عبد الله ابن عمر أن النبي قال : ((**لا يحل لثلاثة يكونوا بفلاة إلا أمروا أحدهم**))[2].

فإذا كان قد أوجب في أقل الجماعات وأقصر الاجتماعات أن يولي أحدهم؛ كان هذا تنبيها على وجوب ذلك فيما هو أكثر من ذلك ولهذا كانت الولاية- لمن يتخذها دينا يتقرب إلى الله ويفعل فيها الواجب بحسب الإمكان- من أفضل الأعمال الصالحة حتى قد روى الإمام أحمد في مسنده عن النبي أنه قال: ((**إن أحب الخلق إلى الله إمام عادل وأبغض الخلق إلى الله إمام جائر))** [3].[4]

فقد دلت هذه النصوص على أمور:

---

1 (?) أخرجه أبو داود في سننه ج3/81 ح(2608) كتاب الجهاد باب في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم.والطبراني في الأوسط ج8/99 ح(8093) وصححه الألباني انظر: صحيح الجامع رقم(500).

2 (?) مسند أحمد ج2/176 وقال الألباني سنده حسن انظر:السلسلة الضعيفة رقم(589).

3 (?) مسندا لإمام أحمد ج3/22 إسناده ضعيف وأخرجه الترمذي في سننه ج3/617 ح(1329) كتاب الأحكام باب ما جاء في الإمام العادل عن أبي سعيد وقال حديث حسن، غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه. ورواه البيهقي في السنن الكبرى ج10/88. وضعفه الألباني في السلسلة الأحاديث الضعيفة رقم(1156). وفي ضعيف الجامع الصغير رقم(1363).

4 (?) مجموع الفتاوج16/165.

1- أن النبي صلى الله عليه وسلم اهتم كثيرًا بأمر الجماعة فقد حث الأمة عليها ووصى بها في أقل الجماعات ووصى بها في مواطن عامة وخاصة.

2- أنه صلى الله عليه وسلم أمر في أقل الاجتماع بأن يولى آمر وناه يطاع فهذا تنبيه على الوجوب ودليل على الأهمية، فباجتماع هذه الأمة تتحقق خيريتها، وقد أخبر نبيها أنها لا تجتمع على الضلال، وبذلك تتم كماليتها وتجتمع قوتها وقدرتها وتحقق رسالتها.

و((من المعلوم ببديهية العقل أن الصفات بأسرها من القدرة وغيرها, كلما كان محلها متحدًا مجتمعاً كان أكمل لها من أن يكون متعددًا متفرقاً.

ولهذا كان الاجتماع, والاشتراك في الخلق بأن يوجب لها من القوة والقدرة مالا يحصل لها إذا تفرقت وانفردت, وإن كانت إحداها باقية، بل الأشخاص والأعضاء وغيرها من الأجسام المتفرقة قد قام منها قدرة؛ اتحادها واجتماعها: كانت تلك القدرة أقوى وأكمل؛, لأنه حصل لها من الاتحاد والاجتماع: بحسب الإمكان ما لم يكن حين الافتراق والتعداد.

وهذا يبين أن القدرة القائمة باثنين إذا قدر أن ذينك الاثنين كان شيئا واحداً تكون القدرة أكمل)).[1]

ومن أهمية الجماعة أيضا أن الإجماع هو الأصل الثالث بعد الكتاب والسنة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((إن الإجماع حجة قاطعة، فإنهم إذا اجتمعوا كانوا مطيعين لله بذلك مرحومين، فلا تكون طاعة الله ورحمته: بفعل لم يأمر الله به، من اعتقاد، أو قول، أو عمل، فلو كان القول، أو

1 (?) مجموع الفتوى ج2/ 34.

العمل، الذي اجتمعوا عليه لم يأمر الله به،لم يكن ذلك طاعة لله، ولا سببا لرحمته.

وكان الإجماع هو الأصل الثالث بعد الكتاب والسنة والذي يجب تقديم العمل به هو الإجماع ، فإن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة)).[1]

ومما يبين أهمية الجماعة أيضا أن في الجماعة تحقيق مصلحة الدين والدنيا:

وهذا أمر معلوم ومحسوس عند جميع عقلاء بني آدم أهل كتابهم وغير أهل كتاب أن المصالح لا تتحقق إلا بالجماعة، وأن هذه الأمة وغيرها من الأمم لم تذهب ريحهم وقوتهم وقتل بعضهم بعضا وتعطلت مصالحهم ووقع بين ملوكها وأمرائها ومشايخها الشرور والفتن إلا بعد تفرقها واختلافها وذلك كما بين شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله - ((أن مصلحتهم لا تتم إلا باجتماعهم وهم لا يجتمعون على ضلالة، بل مصلحة دينهم ودنياهم في اجتماعهم واعتصامهم بحبل الله جميعا فهذه الخصال تجمع أصول الدين.

وأن باب الفساد الذي وقع في هذه الأمة بل وفي غيرها هو التفرق والاختلاف، فإنه وقع بين أمرائها وعلمائها من ملوكها ومشايخها وغيرهم من ذلك ما الله به عليم، وإن كان ذلك مغفورا لصاحبه لاجتهاده الذي يغفر فيه خطؤه، أو لحسناته الماحية، أو توبته، أو لغير ذلك ، لكن يعلم أن رعايته من أعظم أصول الإسلام.

ولهـذا كان امتياز أهل النجاة عن أهل العذاب من هـذه الأمة بالسنة والجماعة)) [2].

ومما يحقق هذا الأمر العظيم وجوبًا ((أن يعطى كل ذي حق حقه، ويُوَسَّع ما وسعه الله ورسوله ويؤل ف ما ألف الله بينه ورسوله ويراعى في

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج 1/17 وج22/360 وانظر أيضا منهاج السنة ج2/414.

2 (?) مجموع الفتاوى ج22/360.

ذلك ما يحبه الله ورسوله من المصالح الشرعية والمقاصد الشرعية ، ويعلم أن خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد وأنه بعثه رحمة للعالمين بعثه بسعادة الدنيا والآخرة في كل أمر من الأمور)).[1]

ولعظم شأن الجماع والإئتلاف كما بين شيخ الإسلام: ((**يسوغ [أحياناً] أن يترك الإنسان الأفضل لتأليف القلوب واجتماع الكلمة خوفا من التنفير عما يصلح كما ترك النبي صلى الله عليه وسلم بناء البيت على قواعد إبراهيم لكون قريش كانوا حديثي عهد بالجاهلية وخشي تنفيرهم بذلك، ورأى أن مصلحة الاجتماع والائتلاف مقدمة على مصلحة البناء على قواعد إبراهيم**))[2]

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج24/199

2 (?) مجموع الفتاوى ج22/436، 437.

المطلب الثــالث: جهــوده في بيــان حاجة البشرية إلى التعاون والجماعة

لما بين شيخ الإسلام ابن تيمية أهمية الجماعة شرع في بيان حاجة البشرية وأن كل أمة من الأمم بحاجة إلى الجماعة أو الاجتماع لأمـور:

الأمر الأول: هو جلب ما ينفعهم، فإن كل أمة بحاجة إليه، وهذا لا يتحقق إلا بالجماعة .

الأمر الثاني: هو دفع ما يضرهم مثل عدوهم وهذا أيضا لا يتم إلا بالجماعة .

الأمر الثالث: أنه لابد لهم من دين يجمعهم، ولابد لهم من أمور يلتزمونها بطاعة آمر وناه، وإلا ضاعت هويتهم، وتشتت أمورهم، وتباعدت قلوبهم، وتباغضت وتنافرت، فتتعطل المصالح، وتعم البلاء و المفاسد وتذهب الريح والقوة، لا أمن لهم ولا أمان، ولا استقرار ولا القرار، فتقرر من هذا المنطلق حتمية وجود الجماعة وضرورة تحقيقها، فاحتاجت إليها كل أمة وسعت إلى تحقيقها ليكون لها الوجود و البقاء، **وإلى هذا يشير شيخ الإسلام ابن تيمية ويقول:**

((إذ لا غنى لبعضهم عن بعض، وأحدهم لا يستقل بجلب منفعته ودفع مضرته ، فلا بد من اجتماعهم ، وإذا اجتمعوا فلا بد أن يشتركوا في اجتلاب ما ينفعهم كلهم ، مثل نزول المطر، وذلك محبتهم له، وفي دفع ما يضرهم مثل عدوهم ، وذلك بغضهم له ، **فصار ولابد أن يشتركوا في محبة شيء عام، وهذا هو دينهم المشترك العام**.

وإذا كان الأمر كذلك **فالأمور** التي يحتاجونها يحتاجون أن يوجبوها على أنفسهم ، والأمور التي تضرهم يحتاجون أن يحرموها على نفوسهم، **وذلك دينهم ، وذلك لا يكون إلا باتفاقهم على ذلك، وهو:**

التعاهد والتعاقد، ولهذا جاء في الحديث: ((**لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له**)) [1] [2].

فهذا هو الدين المشترك بين جميع بني آدم من التزام واجبات ومحرمات وهو الوفاء بالعهد والعقد.

وهذا قد يكون باطلاً فاسدًا؛ إذا كان فيه مضرة لهم راجحة على منفعته، وقد يكون دين حق، إذا كانت منفعته خاصة أو راجحة، كما قال تعالى: ﭽ

ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ﭼ الكافرون: ١ – ٦ **وقال تعالى :** ﭽ ڎ ... ھ ھ ھ ھ ﭼ يوسف: ٧٦ **وقوله تعالى:** ﭽ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ﭼ التوبة: ٢٩**.** ودين الحق هو طاعة الله وحده لا شريك له**))** [3]

وقال أيضا في موضع آخر: ((وكل بشر على وجه الأرض **فلا بد له من أمر ونهي، و بنو آدم لا يعيشون إلا باجتماع بعضهم مع بعض، وإذا اجتمع اثنان فصاعدا فلا بد أن يكون بينهما ائتمار بأمر وتناه عن أمر، وكل بني آدم لا تتم مصلحتهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالاجتماع والتعاون، و التناصر، فالتعاون و التناصر على جلب منافعهم، و التناصر لدفع مضارهم ولهذا يقال: الإنسان مدني الطبع))** [4]**.**

يتبين من هذا: أهمية الجماعة والاجتماع، وحاجة كل البشرية إليها. فكون الإنسان مدني الطبع همام متحرك يتحرك بإرادته فهذا يستدعي وجود الجماعة والحاجة إلى

---

1 (?) رواه أحمدج3/154 . وصحيح ابن حبان ج1/422 والطبراني في الكبير ج1/227 وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم(7179) وفي صحيح الترغيب والترهيب رقم(3004).

2 (?) جامع الرسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق محمد رشاد سالم المجموعة الثانية دار المدني بجدةط1 عام 1405 هـ ص221 وما بعدها.

3 (?) قاعدة في المحبة لشيخ الإسلام بن تيمية ص36، 37.

4 (?) مجموع الفتاوى ج 28/168 والاستقامة ج2/292.

الغير، فإنه لا يمكن أن يعيش وحده لا يُؤمر ولا ينهى فإن هذا من لـوازم وجود بني البشرية ولا بد له من الاستعانة ببني جنسه.

وأنهم إذا اجتمعوا فلابد أن يشتركوا في اجتلاب ما ينفعهم كلهم ودفع ما يضرهم، وهذا هو دينهم المشترك وهذا أيضا يقتضى أمرا آخر وهو وجود من يطيعون أمره ونهيه لتلك المقاصد، فلا بد لهم من قدر مشترك فيما بينهم ولا بد من الأمر به.

وهذا أيضا قد فصل فيه شيخ الإسلام القول في موضع آخر نوجزه فيما يأتي .

قال – رحمه الله-: ((فجميعهم لا بد لهم **من طاعة آمر وناه.** فمن لم يكن من أهل الكتب الإلهية ولا من أهل دين فإنهم: يطيعون ملوكهم فيما يرون أنه يعود بصالح دنياهم، مصيبين تارة ومخطئين أخرى.

وأهل الأديان الفاسدة من المشركين وأهل الكتاب المستمسكين به أو بعد النسخ والتبديل: مطيعون فيما يرون أنه يعود عليهم بصالح دينهم ودنياهم**.**

أن القدر المشترك بين الآدميين لا بد من الأمر به في كل سياسة وإمامة وكذلك لابد لكل ملك من خصيصة يتميز بها ولو لم تكن إلا رعاية من يواليه ودفع من يعاديه، فلابد لهم من الأمر بما يحفظ الولي ويدفع العدو.

وقد يكون لهم ملة صحيحة توحيدية، وقد يكون لهم ملة كفرية، وقد لا يكون لهم ملة بحال ،ثم قد يكون مما يوجبونه ، وقد يكون مما يستحبونه.

ووجه القسمة: أن جميع بني آدم العقلاء لابد لهم من أمور يأمرون بها ، وأمور ينهون عنها، فإن مصلحتهم لا تتم بدون ذلك ولا يمكن أن يعيشوا في الدنيا، بل ولا يعيش الواحد منهم لو انفرد بدون أمور يفعلونها تجلب لهم المنفعة، وأمور ينفونها تدفع عنهم المضرة**.**

فإمّا أن تكون تلك الأمور متفقا عليها بين العقلاء- بحيث لا يلتفت إلى الشواذ منهم الذين خرجوا عند الجمهور عن العقل- .

وإما أن لا تكون كذلك فإما أن يكون متفقا عليه بين الأنبياء والمرسلين ، وإما أن يختص به أهل شريعة الإسلام.

فالقسم الأول: هي الطاعات العقلية [1] أي ما اتفق العقلاء على مدحها مثل الصدق والعدل وأداء الأمانة والإحسان إلى الخلق. والعبادة المطلقة، والورع المطلق كالكف عن قتل النفس وعن الزنا وظلم الخلق، والزهد المطلق :مثل جنس التأله والعبادة.

بحيث لا يمنع القدر المشترك أن يكون لأي معبود كان، وبأي عبادة كانت، فإن هذا الجنس متفق عليه بين الآدميين ما منهم إلا من مدح جنس التأله،مع كون بعضه فيه ما يكون صالحا حقا، وبعضه فيه ما يكون فاسدا حقا.

وهذا القسم إنما عبر أهل العقل باعتقاد حسنه ووجوبه ، لأن مصلحة دنياهــم لا تتم إلا به[2]، وكذلك دينهم سواء كان دينا صالحا أو طالحا.

والقسم الثاني: هي الطاعات الملية :من العبادات وسائر المأمور به، والتحريمات مثل عبادة الله وحده لا شريك له بالإخلاص والتوكل وما يقترن من الإيمان بالله وملائكته..وتحريم الشرك وعبادة الطاغوت ونحو ذلك .

---

1 (?) أي أنه ليس الغرض بتسميتها عقلية إثبات كون العقل يحسن ويقبح على الوجه المتنازع فيه، بل ما اتفق المسلمون وغيرهم من التحسين والتقبيح العقلي الذي هو جلب المنافع ودفع المضار.

2 (?) وهو مثل التعايش والتعاون فيما يخدم مصالحهم من تبادل المنافع المبني على الصدق والعدل والإحترام.لا على الظلم والافتزاز.

وهذا القسم: هو الذي حضت عليه الرسل وأكدت أمره، هو أكبر المقاصد، وهو المقصود بخلق الناس))[1] .

هذا إذا كان لا بد لبني البشر من التعاون والاجتماع فيما يخدم مصالحهم من دفع المضار وجلب المنافع ولا بد لهم من أمور مشتركة وأمر ونهي فتعاون المسلمين فيما بينهم واجتماعهم على الحق والحفاظ على أمنهم واستقرارهم من باب أولى وأوجب.

((بل لا بد للإنسان أن يفهم كلام بني جنسه، إذ الإنسان مدنيٌّ بالطبع، لا يستقل بتحصيل مصالحه، فلا بد لهم من الاجتماع للتعاون على المصالح، ولا يتم ذلك إلا بطريق يعلم به بعضهم ما يقصده غيره)).[2]

يتبين مما سبق ذكره ما يـأتي:

1- أن كل بشر على وجه الأرض وكل أمة بحاجة إلى الجماعة أهل دين حق منهم وغير أهل دين ، وأن بني آدم لا يعيشون إلا باجتماع بعضهم مع بعض لا تتم مصلحتهم في الدين والدنيا إلا بذلك.

وأن وجود المعاوضات من ضرورة الدنيا والدين؛ إذ الإنسان لا ينفرد بمصلحة نفسه، بل لا بد له من الاستعانة ببني جنسه، فلو لم يجب على بني آدم أن يبذل هذا لهذا ما يحتاج إليه وهذا لهذا ما يحتاج لفسد الناس أمر دنياهم ودينهم فلا تتم مصالحهم.

2- أن القضايا التي يتفق عليها عقلاء بني آدم لا تكون إلا حقا كاتفاقهم على مدح الصدق والعدل، وذم الكذب والظلم، وأصل ذلك ولا يلتفت إلى الشواذ الخارجين عن العقل.

3- أنَّ القدر المشترك بين الآدميين لابد من الأمر به في كل سياسةٍ وإمامةٍ، لِتستقيم حياتهم ويستقر أمنهم .

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج20/66 ، 67، 68، وما بعدها وج 25/283، وج28/26 ،وما بعدها.

2 (?) درء تعارض العقل والنقل ج7/136.

4- أن جميع بني آدم لابد لهم من طاعة آمر وناه، بها تتحقق مصالحهم وتتم جماعتهم وأن هذا من لوازم وجود بني آدم ،وعلى ولي الأمر أن يستعين بأهل الصدق والعدل، وإذا تعذر استعان بالأمثل فالأمثل وإن كان فيه كذب وظلم ،((فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم))[1] .والواجب هو فعل المقدور، والأرضى من الموجود، والغالب أنه لا يوجد كامل فيفعل خير الخيرين، ويدفع شر الشرين، فالأمر المسنون جميعه مبناه على العدل والاقتصاد، والتوسط الذي هو خير الأمور وأعلاها.

5- وأن دخول المرء في طاعة الله ورسوله خير له، وهو الواجب على جميع الخلق.

وهذا كله يحقق أمر الجماعة ومصالح الخلق ويبين أهميتها، وحاجتهم إليها،وهو أصل من أصول هذا الدين الحنيف، ولهذا كثر الأمر بها والحث عليها في الكتاب والسنة.

فإن هذا يبين أن هذا الدين ضد العزلة والانفرادية والعنصرية والعصبية الجاهلية والغلو والتنطوالتعالي على خلق الله وكراهة الحق وغمض الناس. و ضد كلّ شر وفساد.

---

[1] (?) صحيح مسلم ص37ح(111) كتاب الإيمان باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، وأن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار، وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة.

الفصل الأول : جهوده في بيان الاستدلال على وجوب لزوم الجماعة.

المبحث الأول : بيان الأدلة من الكتاب والسنة في الحث على لزوم الجماعة والائتلاف.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : بيان الأدلة من الكتاب في الأمر بالجماعة**.**

المطلب الثاني : الأدلة من السنة في الحث على الجماعة والائتلاف

المبحث الثاني : بيان الآثار عن السلف الصالح في الحث على الجماعة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : آثار الصحابة رضوان الله عليهم في الحث على الجماعة**.**

المطلب الثاني : الآثار عن التابعين ومن بعدهم من الأئمة في الحث على الجماعة.

- المبحث الأول: بيـــــان الأدلة من الكتــــاب والســـــنة في الحث على لـــــزوم الجماعة والائتلاف

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان الأدلة من الكتاب في الأمر بالجماعة

تتضح جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الباب بعرضه الأدلة من الكتاب وتحليلها تحليلا علميا دقيقًا، وفق فهم السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان.

فقد أورد – رحمه الله – أدلة عديدةً من القرآن تدل على وجوب الالتزام بالجماعة، والاعتصام بالدين، والتمسك بحبل الله المتين وبطاعة الله ورسوله الأمين وطاعة أولي الأمر في المعروف، وبناء وحدة الأمة وتقويتها، وبيان أن المؤمنين كلهم إخوة في الدين.

فقال -رحمه الله:

((فمن تعصَّبَ لأهل بلدتِه أو مذهبه أو طريقته أو قرابته أو لأصدقائه دون غيرهم، كانت فيه شعبة من الجاهلية حتى يكون المؤمنون كما أمرهم الله تعالى معتصمين بحبله وكتابه وسنة رسوله، فإنّ كتابهم واحد ونبيهم واحد وربهم واحد لاإله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون: ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ[1]

فالله الله عليكم بالجماعة والائتلاف فعلى طاعة الله ورسوله والجهاد في سبيله يجمع الله قلوبكم ويكفر عنكم سيئاتكم)).[2]

---

1 (?) آل عمران آية: (103).

2 (?) مجموع الفتاوى ج28/423.

ومن الأدلة التي اسـتدل بها شـيخ الإسـلام ابن تيمية في هذا الباب ما يلي:

الدليل الأول قوله تعالى: ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭼ آل عمران: ١٠٣ – 106

وقال -رحمه الله- ((اعلموا – رحمكم الله وجمَعَ لنا خير الدنيا والآخرة- أن الله بعث محمدًا ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، وكان قد بُعِثَ إلى ذوي أهواءٍ متفرقةٍ، وقلوبٍ متشتتةٍ ، وآراء متباينةٍ، فجمع به الشملَ، وألَّفَ به بين القلوب، وعصم به من كيد الشيطان.

ثم إنه سبحانه وتعالى بيَّن أن هذا الأصل- **وهو الجماعة- عماد دينه**.

قال ابن عباس – رضي الله عنهما -: ((تبيض وجوه أهل السنة، وتسود وجوه أهل البدعة)) [1] [2] .

وقال: ((فالله تعالى قد أمر المؤمنين كلهم أن يعتصموا بحبله جميعاً ولا يتفرقوا ، وقد فُسِّر حبله بكتابه، وبدينه، وبالإسلام، وبالإخلاص، وبأمره، وبعهده، وبطاعته، وبالجماعة . وهذه كلها منقولة عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، كلها صحيحة، فإن القرآن يأمر بدين الإسلام، وذلك هو عهده وأمره

---

[1] (?) ذكر اللا لكائي في كتابه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ((يوم تبيض وجوه وتسود وجوه)) فأما الذين ابيضت وجوههم: **فأهل السنة والجماعة وأولوا العلم. وأما الذين اسودت وجوههم:** فأهل البدع والضلالة. /السنة للالكائي ج1/79 رقم(74).
قلت: وهذا فيه رد على بعض المغرضين الذين يدعون أن هذا اللقب ((أهل السـنة والجماعة))لقب محـدث بعد أبي الحسن الأشعري رحمه الله فليتنبه لذلك.

[2] (?) مجموع الفتاوى ج24/170،171.

وطاعته، والاعتصام به جميعا إنما يكون في الجماعة ، ودين الإسلام حقيقته الإخلاص لله)).[1]

وقال في موضع آخر: ((فأمر بالاعتصام بحبل الله وهو كتابه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ((إن هذا القرآن حبل ممدود طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ما تمسكم به))[2] [3]

قلتُ: فقد بين – رحمه الله – هنا أن الجماعة هي عماد الدين والعماد هو ما يقوم عليه البناء وبدون العماد لا يقوم البناء وهذا في غاية الدقة والبيان، وأنه بدون جماعة لا يكون للدين قيام ولا لأهله قرار.

وأنه يجب نبذ روابط العصبيات والقوميات، والعنصرية، وروابط المادة والمنافع الدنيوية، فإنها تهبط بهم إلى الخسران المبين، وتنقلب إلى عداوة مشينة.

فدعوته –رحمه الله إلى نبذ هذه الأمور قد ظهر هذا جليًّا في تطبيقاته العملية - رحمه الله- تعالى وسعيه في تحقيق ذلك بقوله:

((والناس يعلمون أنه كان بين الحنبلية، و الأشعرية وحشة، و منافرة. وأنا كنت من أعظم الناس تأليفاً لقلوب المسلمين، وطلباً لاتفاق كلمتهم ، و اتباعاً لما أمرنا به من الاعتصام بحبل الله، وأزَلْتُ عامة ما كان في النفوس من الوحشة))[4].

---

[1] (?) منهاج السنة ج5/134. وانظر تفسير ابن جرير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج3/378.

[2] (?) رواه أخرجه ابن حبان في صحيحه ج1/329. والطبراني في الكبيرج2/126 وفي الصغير ج2/209 وصححه الألباني .انظر: السلسلة الصحيحة رقم(713).

[3] (?) مجموع الفتاوى ج19/80.

[4] (?) مجموع الفتاوى ج3/227.

ثانيا: قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ[1]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((أخبر سبحانه وتعالى أنه شرع لنا ما وصى به نوحًا والذي أوحاه إلى محمد وهو الذي وصى به الرسل وهوا لأمر بإقامة الدين والنهي عن التفرق فيه)) [2] .

ثالثا: قال تعـالى:

ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ[3]

فقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية معنى الصراط في الآية وأن الآية تدل على وجوب سلوك الجميع على هذا الصراط، الذي هو طريقه الذي طرقه لنا على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، وهو السنة وهو الجماعة، وترك ما تضاده من الطرق المضلة التي لا تؤدي إلى الهدف والمقصود، وهي البدعة والفرقة، وأن هذا أصل عظيم في وجوب اتباع الحق والترابط عليه.

قال – رحمه الله - : ((فقد أمرنا الله في هذه الآية أن نتبع هذا الصراط المستقيم ولا نعدل عنه إلى السبل المبتدعة، وجماع ذلك أن يحفظ أصلين:

أحدهما: تحقيق ما جاء به الرسول فلا يخلط بما ليس منه من المنقولات الضعيفة والتفسيرات الباطلة، بل يعطى حقه من معرفة نقله ودلالته.

الثاني: أن لا يعارض ذلك بالشبهات، لا رأيا ولا رواية.

وهذا الصراط المستقيم هو دين الإسـلام المحض، وهو ما في كتاب الله تعالى وهو ((**السنة والجماعة**))، فإن السنة المحضة هي دين الإسلام المحض ، فإن الله

---

[1] (?) الشورى آية: 13.

[2] (?) يراجع مجموع الفتاوى ج1/ 12 وج5/ 228 ، 239وج 19/109، 110، 111، 112، 114، وج35/ 364، 365. وقد فصل القول في بيان هذا أكثر.

[3] (?) سورة الأنعام آية:153.

أمر في كتابه بإتباع سنة رسوله ولزوم سبيله ، وأمر بالجماعة والائتلاف ونهى عن الفرقة .

فهذا أصل جامع يجب على كل من آمن بالله ورسوله أن يتبعه ، ولا يخالف السنة المعلومة، وسبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، بإتباع من خالف السنة، والإجماع القديم، لاسيما وليس معه في بدعته إمام من أئمة المسلمين، ولا مجتهد يعتمد على قوله في الدين، ولا من يعتبر قوله في مسائل الاجتهاد والنزاع، فلا ينخرم الإجماع بمخالفته، ولا يتوقف الإجماع على موافقته)).[1]

فقد بين شيخ الإسلام في شرحه للآية الكريمة أن الله أمرنا فيها بلزوم الجماعة وأن ذلك لا يتحقق إلا بإتباع صراطه المستقيم وكتابه القويم، وهذا يدل على أن الحق واحد لا يتعدد وهو سبيل السابقين الأولين الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

رابعا: قوله تعالى: چ [illegible] چ[2]

وقد استنبط شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- من هذه الآية الكريمة الأمور الآتية:

1- وجوب طاعة الله ورسوله, وأولى الأمر لتتحقق مصلحة الدين والدنيا، وتتحقق الجماعة والرحمة، وتصان بها الدماء والأعراض.

2- أن العلماء يرجع إليهم في أمور الدين كلها.

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج1/162، وج3/ 363، 368، وج5/367، وج10/388، 389 وج15/155، 156 وج17/372و وانظر أيضا: الاستقامة ج1/386.

[2] (?) سورة النساء آية: 59.

3- وأن الملوك والأمراء والسلاطين ونوابهم يرجع إليهم في أمور الدنيا التي لا تتحقق مصالح الناس إلا بها.

4- وعند المنازعات يرد إلى الله ورسوله.

ويتبين هذا في كلامه الآتي:

قال شيخ الإسـلام ابن تيمية –رحمه الله- :

((فهذه قاعدة مختصرة في وجوب طاعة الله ورسوله في كل حال، على كل أحد ، وأن ما أمر الله به ورسوله من طاعة الله وولاة الأمور ومنا صحتهم[1]، واجب على الناس وإن لم يعاهدهم عليه، وإن لم يحلف لهم الأيمان المؤكدة، كما يجب عليهم الصلوات الخمس، والزكاة، والصيام، وحج البيت، وغير ذلك مما أمر الله به ورسوله من الطاعة، فإذا حلف على ذلك؛ كان ذلك توكيدا وتثبيتا لما أمر الله ورسوله من طاعة ولاة الأمـور ومنا صحتهم[2])).

قال – رحمه الله- وقد: ((ذكر من ذكر من السلف في قوله تعالى (**وأولى الأمر منكم**) أقوالا تجمع : **العلـماء والأمراء.**

ولهذا نَصَّ الإمام أحمد وغيره على دخول الصنفين في هذه الآية وكان نواب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته كعلي، ومعاذ، وأبي ذر، وأبي موسى وأمثالهم، يجمعون الصنفين.

وكذلك خلفاؤه من بعده كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي ، ونوابهم)).[3]

وبين رحمه الله في موضع آخر أنهم هم: **أصحاب الأمر وذووه وهم الذين يأمرون الناس، ويشترك فيه أهل اليد والقدرة، وأهل العلم.**

---

1 (?) يأتي الكلام في المناصحة والمراد بها.

2 (?) مجموع الفتاوى ج35/5، 9.

3 (?) مجموع الفتاوى ج18/170.

فيدخل فيهم :

أ- الملوك أي ملوك المسلمين: فهؤلاء يطاعون في الجهاد وإقامة الحدود وغير ذلك مما يـباشرونه من الأفعال التي أمر الله بها.

ب- المشايخ أي علماء الدين: وهؤلاء يطاعون فيما يأمرون به من العبادات ويرجع إليهم في معاني القرآن والحديث والإخبار عن الله **.**

ج- وأهل الديوان، وكل من كان متبوعا، فإنه من أولي الأمر وعلى كل واحد من هؤلاء أن يأمر بما أمر الله به، وينهى عما نهى عنه، وعلى كل واحد ممن عليه طاعته أن يطيعه في طاعة الله، ولا يطيعه في معصية الله.

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون يسوسون الناس في دينهم ودنياهم ثم بعد ذلك تفرقت الأمور فصار أمراء الحرب يسوسون الناس في أمر الدنيا والدين وشيوخ العلم والدين يسوسون الناس فيما يرجع إليهم من العلم والـدين وهـؤلاء أولو أمر [1].

((وهؤلاء الولاة لم توقتهم الآية بعدد معين وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الثابتة عنه المستفيضة لم يوقت ولاة الأمور في عدد معين))[2].

قال «فعلى كل أحد من عالم أو أمير أو عابد أو عامل أن يطيع الله ورسوله فيما هو قائم به من علم أو

---

1 (?) انظر: مجموع الفتاوى ج5/ 155 وما بعدها وج7/175.وج11 /517، وج18/ 158 وج28/170.

2 (?) منهاج السنة ج3/381.

حكم أو أمر أو نهي، أو عمل أو عبادة أو غير ذلك وحقيقة الشريعة اتباع الرسل والدخول تحت طاعتهم كما أن الخروج عنها خروج عن طاعة الرسل وطاعة الرسل هي دين الله الذي أمر بالقتال عليه فقال: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله).

فالرسول وجبت طاعته؛ لأنّه من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن سوى الرسول من العلماء والمشايخ والأمراء والملوك إنما تجب طاعتهم إذا كانت طاعتهم طاعة الله وهم إذا أمر الله ورسوله بطاعتهم فطاعتهم داخلة في طاعة الرسول)).[1]

((وما أمر الله به ورسوله من طاعة ولاة الأمور ومنا صحتهم **واجب على الإنسان** وإن لم يعاهدهم عليه، وإن لم يحلف لهم الأيمان المؤكدة ،كما يجب عليه الصلوات الخمس، والزكاة ، والصيام وحج البيت . وغير ذلك مما أمر الله به ورسوله من الطاعة ، فإذا حلف على ذلك كـان ذلك توكيدا وتثبيتا لما أمر الله به ورسوله من طـاعة ولاة الأمـور ومنا صحتهم .

فالحالف على هذه الأمور لا يحل له أن يفعل خلاف ما حلف عليه ، سواء حلف بالله أو غير ذلك من الأيمان التي يحلف بها المسلمون.

ولا يجوز لأحد أن يفتيه بمخالفة ما حلف عليه، والحنث في يمينه، ولا يجوز أن يستفتي في ذلك. ومن أفتى مثل هؤلاء بمخالفة ما حلفوا عليه ، والحنث في أيمانهم**: فهو مفتر على الله الكذب، مفت بغير**

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج10/266.

دين الإسلام، بل لو أفتى آحاد العامة بأن يفعل خلاف ما حلف عليه من الوفاء في عقد بيع، أو نكاح أو غير ذلك مما يجب عليه الوفاء به من العقود،التي يجب الوفاء بها وإن لم يحلف عليها، فمن أفتى مثل هذا بجواز نقض هذه العقود: كان مفتريا على الله الكذب، مفتيا بغير دين الإسلام **،فكيف إذا كان ذلك في معاقدة ولاة الأمور التي هي أعظم العقود التي أمر الله بالوفاء بها.**

ثم إذا أكره ولي الأمر الناس على ما يجب عليهم من طاعته، ومنا صحته، وحلفهم على ذلك: لم يجز لأحد أن يأذن لهم في ترك ما أمر الله به ورسوله من ذلك، ويرخص لهم في الحنث في هذه الأيمان،لأن ما كان واجبا بدون اليمين فاليمين تقويه، لا تضعفـه، ولو قدر أن صاحبها أكره عليها)).[1]

هذه النصوص التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- بينت ما يلي:

1- وجوب طاعة الله ورسوله في كل حال وعلى كل أحد.

2- وجوب طاعة ولاة الأمور في طاعة الله، وكل من أمر منهم بذلك عادلا كان أو ظالما.

3- وجوب رد المنازعات إلى الله ورسوله، ولا يفصل بين المؤمنين إلا بالكتاب والسنة.

4- وجوب لزوم جماعة المسلمين في هذا الأمر،والتحذير من الإفتاء بخلافه.

5- أن ولاة الأمر هم : العلماء والأمراء والملوك والحكام ونوابهم.

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج35/9، 10، 11.

6- في تحقيق هذه الأمور تتحقق مصلحة الدين والدنيا.

خامسا : من أدلة الكتاب في وجوب لزوم الجماعة والحث عليها مايـلي:

أ- أن الله أمر جميع المؤمنين بموالاة بعضهم بعضا.

قال تعالى:ﭽﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﭼ[1]. وقال: ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ[2]

ففي هذه الآيات بين شيخ الإسلام ابن تيمية ما يلي :

أولا: أثبت شيخ الإسلام ابن تيمية في الآية وجوب موالاة جميع المؤمنين:

وقال رحمه الله - : ((والأصل في الموالاة : المحبة كما أن أصل المعاداة البغض.

فإن التحاب يوجب التعاون والاتفاق، والتباغض يوجب التباعد والاختلاف [3] .

وقال أيضا بعد هذا: ((لا يجوز وضع طائفة بعينها يُوالي مَنْ والَتْهُ ويُعادِي من عَادَتْهُ، لا أخص من المؤمنين ، ولو كانت أسماؤهم للتعريف المحض: كالمالكية والشافعية والحنبلية أو غير ذلك.

ولا أعم من ذلك مما يدخل فيه المسلم والكافر :كجنس النظر والعقل أو العبادة المطلقة ونحو ذلك.

و لا يجوز تعليق الحب والبغض والموالاة والمعاداة، إلا بالأسماء الشرعية.

وأما أسماء التعريف : كالأنساب والقبائل، فيجوز أن يعرف بها ما دلت عليه، ثم ينظر في موافقته للشرع ومخالفته.

---

1 (?) المائدة آية 54-56.

2 (?) التوبة آية : 71.

3 (?) قاعدة في المحبة لشيخ الإسلام ابن تيمية ص198.

فلا يفرق بين المؤمنين لأجل ما يتميز به بعضهم عن بعض مثل الأنساب ، والبلدان والتحالف على المذاهب، والطرائق المضافة إلى الأئمة والمشايخ ونحو ذلك مما يراد به التعريف كما ﭧ ﭨ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ (1)

والانتساب إلى عالم أو شيخ إنما يقصد بها التعريف به، ليتميز عن غيره؛ فأما الحمد والذم والحب والبغض والموالاة والمعاداة، فإنما تكون بالأشياء التي أنزل الله بها سلطانه، وسلطانه كتابه، فمن كان مؤمناً وجبت موالاته من أي صنف كان، ومن كان كافرا وجبت معاداته من أي صنف كان.

ومن كان فيه إيمان وفيه فجور أعطي من الموالاة بحسب إيمانه، ومن البغض بحسب فجوره، ولا يخرج من الإيمان بالكلية بمجرد الذنوب والمعاصي.

والواجب على المسلم إذا صار في مدينة من مدائن المسلمين أن يصلي معهم الجمعة والجماعة ويوالي المؤمنين ولا يعاديهم ، وإن رأى بعضهم ضالا أو غاويًا **وأمكن** أن يهديه ويرشده فعل ذلك ، وإلا **فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها**، وإذا كان **قادرًا** على أن يولى في إمامة المسلمين الأفضل ولاه، و**إن قدر** أن يمنع من يظهر البدع والفجور منعه. وإن لم يقدر على ذلك فالصلاة خلف الأعلم بكتاب الله وسنة نبيه الأسبق **إلى طاعة الله ورسوله أفضل**، بل يعطى كل من ذلك حقه، كما أمر الله ورسوله، ولا يجمع بينهم وبين الكفار الذين قطع الله الموالاة بينهم وبينه، فإنّ دين الله هو الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)) (2)

---

1 (?) الحجرات آية:13.

2 (?) بيان تلبيس الجهمية ج1/244.وقاعدة في المحبة ص 198. ومجموع الفتاوى ج3/284، 285، 286و288و343 وج

سادسا: قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ [1]

فقال رحمه الله:

((إن من القواعد العظيمة التي هي من جماع الدين تأليف القلوب واجتماع الكلمة وصلاح ذات البين فإن الله تعالى يقول: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ [2] ويقول : ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ [3]ويقول: ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ [4] وأمثال ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة والائتلاف وتنهى عن الفرقة والاختلاف، وأهل هذا الأصل هم أهل الجمــاعة كما أن الخارجين عنه هم أهل الفرقة)) [5]

وقال في موضع آخر: ((وإيقاع العداوة والبغضاء هو منتهى قصد الشيطان ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ((ألا أنبئكم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قالوا بلى، يا رسول الله . قال : ((إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البـين هـي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين)) [6]

ولو كان كلما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا لم يبق بين المسلمين عصمة وأخوة، ولقد كان أبو بكر

28/228، 227.

[1] (?) الأنفال آية :1.

[2] (?) الأنفال آية : 1.

[3] (?) آل عمران آية : 103.

[4] (?) آل عمران آية : 105.

[5] (?) مجموع الفتاوى ج28/51، وانظر أيضا:53، 54، 56.28.

[6] (?) رواه أحمد ج1/167 وج6/444 والترمذي في سننه ج 4/572 ح(2509) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع باب 56 . وصحيح ابن حبان ج11/489 والبخاري في أدب المفرد رقم(391). صحححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ج 2/607.رقم(2509).

وعمر رضي الله عنهما سيدا المسلمين ، يتنازعان في أشياء ، لا يقصدان إلا الخير.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه يوم بني قريظة: لا يصلين أحد العصر، إلا في بني قريظة. فأدركتهم العصر في الطريق، فقال قوم: لا نصلي إلا في بني قريظة و فاتتهم العصر. وقال قوم : لم يرد منا تأخير الصلاة، فصلوا في الطريق، فلم يعب واحدا من الطائفتين)) أخرجاه [1] .

وهذا وإن كان في الأحكام فما لم يكن من الأصول المهمة، فهو ملحق بالأحكام.

صح عنه أنه قال : ((لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث...)) . [2]

فينبغي أن يفرق بين الهجر لحق الله ، وبين الهجر لحق نفسه.

فـ (الأول) مأمور به.

و(الثاني) منهي عنه؛ لأن المؤمنين إخوة،

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((لا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم))[3] فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه وإن ظلمه؛ فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية، ٹ ڈ ڇ ڳ گ ڱ ڳ ڴ ں ںڻ ڻ ڈ ڈ

---

1 (?) أخرجه البخاري في صحيحه ح(3810) كتاب المغازي باب مرجع المبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة. ورواه مسلم في صحيحه ص461 كتاب الجهاد والسير باب المبادرة بالغزو ،وتقديم أهم الأمرين المتعارضين.

2 (?) رواه مسلم ص654ح(2558) كتاب البر باب تحريم التحاسد

3 (?) رواه مسلم في صحيحه 654 ح(2563) كتاب البر باب تحريم الظن.

ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ چ[1] .

فجعلهم إخوة مع وجود القتال والبغي والأمر بالإصلاح بينهم.

ولهذا كان السلف مع الاقتتال يوالي بعضهم بعضا موالاة الدين ،لا يعادون كمعاداة الكفار، فيقبل بعضهم شهادة بعض ، ويأخذ بعضهم العلم عن بعض ويتوارثون ويتناكحون، ويتعاملون بمعاملة المسلمين بعضهم مع بعض، مع ما كان بينهم من القتال والتلاعن وغير ذلك.

فليتدبر المؤمن الفرق بين هذين النوعين، فما أكثر ما يلتبس أحدهما بالآخر، وليعلم أن المؤمن يجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك؛ فإن الله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله ، فيكون الحب لأوليائه والبغض لأعدائه)) .[2]

فقد قرر شيخ الإسلام – رحمه الله في هذه النصوص السابقة:

أن الإسلام دائما ينظر إلى المصلحة العامة ويراعيها وفي مقدمتها الأخوة الإيمانية التي أشارت إليها الآيات، وأن هذه الأخوة الإيمانية لا تفرق بين جنس وآخر، ولا بين لون ولون، بل كل المؤمنين إخوة، شرقا وغربا جنوبا وشمالا والتقوى هو الميزان الحقيقي كما صرح به الكتاب العزيز ودعا إليه**.**

وهنا يجب على جميع الأمة الاستجابة لنداء الله؛ بالتمسك بكتابه، واتباع أوامره واتخاذه مصدراً، يرجع إليه جميع النزاعات، فإنه حبله المتين ومنهاجه القويم.

وأن مصالح الأمة لا تتحقق إلا بالجماعة، ولا تتم الجماعة إلا بتسليم الأمر كله لله، وهذا يستوجب علنيا

---

[1] (?) الحجرات آية:9- 10.

[2] (?) مجموع الفتاوى ج28/204، 206، 207 208 209، 212، 213 وينظر أيضا:ج3/ 418، 419، 420، 421..

وحدة المصدر،ووحدة الهدف، و الغاية،كما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه النصوص القرآنية، وكما سيبينه أيضا بنصوص السنة إن شاء الله .

المطلب الثاني: الأدلة من السنة في الحث على الجماعة والائتلاف

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أدلة كثيرة من السنة النبوية الشريفة؛ تأمر بلزوم الجماعة والائتلاف، وتحث عليه وتبينه، وتنهى عن الفرقة والشذوذ وتذمه بأساليب عديدة ومتنوعة، في أكثر من تسعين موضعا من كتبه، بل ما يكاد يخلو كتاب من كتبه ولا مؤلّف من مؤلفاته إلا وقد ذكر فيه حديثا أو أكثر في وجوب لزوم الجماعة، و يشرح دقيقها ويبين معانيها ويخرج كنوزها – رحمة الله عليه – وقد أشار إلى هذا في قوله الآتي.

قال– رحمه الله- : ((وأيضا فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة متعددة الأمر بالاعتصام بالجماعة، والمدح لها، وذمّ الشذوذ، وأن الخير والهدى والرحمة مع الجماعة ، وأن الله لم يكن ليجمع هذه الأمة على ضلالة))[1] .

ويمكن تصنيف الأدلة الدالة من السنة النبوية على أهمية الاجتماع والمحذرة من الفرقة والاختلاف إلى أصناف:

<u>الصنف الأول</u> : أدلة من السنة في الأمر بالاعتصام بالجماعة ولزومها ومناصحة الأئمة لله

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية جمعًا من الأدلة في هذا الباب مستدلا بها على وجوب لزوم جماعة المسلمين وإمامهم وأن ذلك النصيحة العظمى التي لا يجوز التفريط فيها .

أ- جاء في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((إن الله يرضى لكم ثلاثا، أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله

---

[1] (?) منهاج السنة ج8/350.

جميعــا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاّه الله أمركم ›› [1].

ب- وفي السنن من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وزيد بن ثابت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ‹‹ نضر الله امرأ سمع منا حديثاً فبلّغه إلى من لم يبلغه، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ورب حامل فقه غير فقيه ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله و مناصحة ولاة الأمر ولزوم جماعة المسلمين فإن دعوتهم تحيط من ورائهم›› [2].

فهذه الأحاديث تبين أصولاً عظيمة، وقواعد جليلة في الجماعة من أعظمها:

أولا: الاعتصام بالجماعة ولزومها.

ثانيا: مناصحة ولاة الأمور لله.

وذكر شيخ الإسلام أنَّ هذه الأحاديث من أعظم الأدلة التي تجمع أصول الدين وقواعده، لما تتضمنه من معان عظيمة في وجوب لزوم الجماعة والأمر بها

فقال-رحمه الله-:

‹‹ فقد جمع في هذه الأحاديث بين الخصال الثلاثة.

وهذه الثلاث تجمع أصول الدين وقواعده، وتجمع الحقوق التي لله ولعباده وتنظّم مصالح الدنيا والآخرة.

وبيان ذلك أن الحقوق قسمان:

---

[1] (?) صحيح مسلم ح(1715) كتاب الأقضية باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة.

[2] (?) رواه أحمد في مسنده ج3/225 والترمذي في سننه ج 5/34 ح(2658) كتاب العلم باب في الحث على تبليغ السماع، وابن ماجه في سننه ج3/487 ح(3056). وابن حبان في صحيحه ج1/270. والحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط الشيخين . وصححه الألباني /انظر: صحيح الجامع رقم(3612).

1-**حق الله على عباده**: فحق الله أن نعبده ولا نشرك به شيئا كما جاء لفظه في الحديث الآخر، وهذا معنى إخلاص العمل لله.

2-**حقوق العباد**. وحقوق العباد تنقسم إلى : **عـام ، وخاص**.

فأما الخاص: فمثل بر كل إنسان والديه وحق زوجته وجاره.

فهذه من فروع الدين؛ لأن المكلف قد يخلو عن وجوبها عليه، ولأن مصلحتها خاصة **فردية**.

- **وأما الحقوق العامة فالناس نوعان:**
- **رعاة ورعية.**

1- **فحقوق الرعاة : مناصحتهم.**

2- **وحقـوق الرعية: لزوم جماعـتهم.** فإن مصلحتهم لا تتم إلا باجتماعهم، وهم لا يجتمعون على ضلالة ، بل مصلحة دينهم ودنياهم في اجتماعهم، واعتصامهم بحبل الله جميعا، فهذه الخصال تجمع أصول الدين.

وقد جاءت مفسرة في الحديث الذي رواه مسلم عن تميم الداري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الدين النصيحة، الدين النصيحة الدين النصيحة .قالوا لمن يا رسول الله ؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم))[1] .[2]

وقد تقرر في هذه الأصول العظيمة التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية أمور عظيمة ومهمة هي:

أن الاجتماع نوعان:

1- **الاجتماع في الدين.**

2- **الاجتماع على ولي الأمر**

---

[1] (?) رواه مسلم في صحيحه ص27 ح(55) كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة.

[2] (?) مجموع الفتاوى ج28/52،

كما دلت هذه الأصول العظيمة أيضا على وجوب التمسك بالدين، ولزوم جماعة المسلمين و مناصحة ولاة أمور المسلمين لوجه الله، وعلى جميع المسلمين السعي في تحقيقها، لأن مصالح الدنيا والدين لا تتم إلا بلزوم الجماعة، وهو المقصود بالنصيحة العامة المذكورة في الحديث.

والنبي صلى الله عليه وسلم حضَّ المسلمين جميعا على الاجتماع والجماعة والتدين بالنصيحة لله؛ ليتحقق الأمن والأمان والدين والاستقرار.

المطلب الثـالث: طـرق ووسـائل نصح الأئمة والحكام

بين شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من علماء السلف طرق ووسائل نصح الأئمة لأهميتها ولما فيه من عظم المسئولية والأمانة.

فبينوا أنه ليس من النصيحة -كما يفهمه البعض- الخروج على والقتال والطعن في الولاة والأئمة والتشهير بهم في الخطب والمنابر ووسائل الإعلام ورميهم بالألقاب المنفرة، ولاعتراض عليهم بقول أو فعل، أونحو ذلك، بل النصيحة تكون لله ولرسوله في السر وعلى الوجه المشروع الذي لا تسبب الفتنة والشر والتعاون على الإثم والعدوان وشق عصا الجماعة, وأن النصيحة لله في الدين أعظم من النصيحة في الدنيا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله-:
((فالنصيحة له ولكتابه لرسوله تدخل في حق الله وعبادته وحده لا شريك له، والنصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم هي مناصح ولاة الأمر ولزوم جماعتهم، فإن لزوم جماعتهم هي نصيحتهم العامة، وأما النصيحة الخاصة لكل واحد منهم بعينه، فهذه يمكن بعضها ويتعذر استيعابها على سبيل التعيين)).[1]

وقال أيضا في موضع آخر: ((وأما المؤمنون وولاة الأمور من العلماء والأمراء ومن يدخل في ذلك من المشايخ والملوك فلهم من حقوق بحسب ما يقومون به من الدين، فيطاعون في طاعة الله ويجب لهم من النصحية والمعاونة على البر والتقوى وغير ذلك ماهو من حقوقهم لعموم المؤمنين أيضاً من المناصحة والموالاة وغيرها من الحقوق ما دل عليه الكتاب والسنة)) [2]

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج1/19

[2] (?) بغية المرتاد ص508

قال: ((وقد استفاض وتقرر في غير هذا الموضع ما قد أمر به صلى الله عليه وسلم من طاعة الأمراء في غير معصية الله ومناصحتهم والصبر عليهم في حكمهم وقسمتهم، والغزو معهم، والصلاة خلفهم ونحو ذلك، من متابعتهم في الحسنات التي لا يقوم بها إلا هم، فإنه من باب التعاون على البر والتقوى.

وما نهى عنه من تصديقهم بكذبهم، وإعانتهم على ظلمهم وطاعتهم في معصية الله ونحو ذلك، ومما هو من باب التعاون على الإثم والعدوان.

وما أمر به أيضا: من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لهم ولغيرهم على الوجه المشروع.

وما يدخل في ذلك من تبليغ رسالة الله إليهم بحيث لا يترك ذلك جبنًا، ولا بخلاً، ولا خشية لهم، و لا اشتراء للثمن القليل بآيات الله.

ولا يفعل أيضا للرئاسة عليهم ولا على العامة.

ولا للحسد. ولا للكبر،ولا للرياء لهم ولا للعامة.

ولا يُزال المنكر بما هو أنكر منه، بحيث يخرج عليهم بالسلاح، وتقام الفتن كما هو معروف من أصول أهل السنة والجماعة، كما دلت عليه النصوص النبوية، لما في ذلك من الفساد الذي يربو على فساد ما يكون من ظلمهم، بل يطاع الله فيهم وفي غيرهم، ويفعل ما أمر به، ويترك ما نهى الله عنه، وهذه جملة تفصيلها يحتاج إلى بسط كثير، والغرض هنا بيان ((جماع الحسنات والسيئات)) الواقعة بين خلافة النبوة، في الإمارة وفي تركها،فإنه مقام خطر))[1].

قال أيضا: ((فإن النصح في الدين أعظم من النصح في الدنيا، فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم نصح المرأة في دنياها، فانصيحة في الدين أعظم.

وإذا كان الرجل يترك الصلوات، ويرتكب المنكرات، وقد عاشره من يخاف أن يفسد دينه: بين أمره له لتتقي معاشرته. وإذا كان مبتدعاً يدعو إلى عفائد تخالف الكتاب والسنة، أو يسلك طريقاً يخالف الكتاب والسنة، ويخاف أن يضل الرجل

[1] (?) مجموع الفتوى ج35/21.

الناس بذلك: بين أمره للناس ليتقوا ضلاله ويعلموا حاله.وهذا كله يجب أن يكون على وجه النصح وابتغاء وجه الله تعالى لا لهوى الشخص مع الإنسان مثل: أن يكون بينهما عداوة دنيوة، أو تحاسد، أو تباغض، أو تنازع على الرئاسة، فيتكلم بمساويه مظهراً للنصح، وقصده في الباطن الغض من الشخص واستيفاؤه منه، فهذا من عمل الشيطان و((إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى)) بل يكون الناصح قصده أن الله يصلح ذلك الشخص، وأن يكفي المسلمين ضرره في دينهم ودنياهم، ويسلك في هذا المقصود أيسر الطرق التي تمكنه)) [1].

ثانيا: - أقوال بعض السلف في النصيحة:

قال محمد بن نصر المروزي[2] **–رحمه الله-:** ((وأما النصيحة لأئمة المسلمين: فحب صلاحهم ورُشدهم وعدلهم، وحبُّ اجتماع الأمة عليهم، وكراهة افتراق الأمة عليهم، والتَّدُّين بطاعتهم في الله جل وعلا والبغض لمن رأى الخروج عليهم ، وحبُّ إعزازهم في طاعة الله جل وعلا)) [3] **انتهى.**

---

[1] (?) مجموع الفتوى ج28/220، 221..

[2] (?) **هو محمد بن نصر بن الحجاج المروزي** الإمام شيخ الإسلام، أبو عبد الله الحافظ مولده ببغداد في سنة اثنتين ومئتين، ومنشؤه بنيسابور، ومسكنه سمرقند كان أبوه مروزياً، وذكر الحاكم فقال: أنه إمام عصره بلا مدافعة في الحديث.
ومن كلامه: قال: لما كانت المعاصي بعضها كفراً، وبعضها ليس بكفر، فرق تعالى بينهما، فجعلها ثلاثة أنواع : منها كفر ، ونوع منها فسوق، ونوع منها عصيان، ليس بكفر ولا فسوق. / السير ج14/33-40.

[3] (?) كتاب الإيمان لابن منده ص424 وجامع والعلوم والحكم لابن رجب ص80.

وقال أبو عمرو بن الصلاح[1] – رحمه الله – :
((والنصيحة لأئمة المسلمين:
معاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وتذكيرهم به، وتنبيههم في رفق ولطف، ومجانبة الوثوب عليهم، والدعاء لهم بالتوفيق، وحث الأغيار على ذلك)) [2] **.**

قال الإمام بن القيم – رحمه الله - : ((فمنا صحة ولاة الأمور مناف للغل والغش؛ لأن النصيحة لا تجامع الغل؛ إذ هي ضده، فمن نصح الأئمة والأمة فقد برئ من الغل.

ولزوم جماعتهم هذا أيضا مما يطهر القلب من الغل والغش، فإن صاحبه للزومه جماعة المسلمين يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لها، ويسوؤه ما يسوؤهم، ويسره ما يسرهم، وهذا بخلاف من انحاز عنهم واشتغل بالطعن عليهم والعيب، والذم))[3]

ثالثا: أن تكون مناصحتهم سرًا، وترك المجاهرة بالإنكار عليهم في الملأ، أو النشر على الجرائد أو عبر وسائل الإعلام .

---

1 (?) **هو الإمام الحافظ المفتي شيخ الإسلام تقي الدين أبو عمرو عثمان بن صلاح** الدين عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزوري الشافعي، صاحب كتاب((علوم الحديث)) ولد سنة 577هـ ، ، كان أحد فضلاء أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه، وله مشاركة في عدة فنون وكان فتاواه مسدودة، توفي – رحمه الله- في سنة 643هـ/ تذكرة الحفاظ ج4/1431 رقم(1141).

2 (?) جامع العلوم والحكم ص80.

3 (?) مفتاح دار السعادة لابن القيم ج1/72، 73. دار الكتب العلمية – بيروت.

وفي كتاب تنبيه الغافلين للإمام النحاس[1] : ((ويختار الكلام مع السلطان في الخلوة على رؤوس الأشهاد، بل لو كلمه سرا، ونصحه من غير ثالث لهما))[2] .

وقال الإمام الشوكاني: ((ينبغي لمن ظهر له غلط الإمام في بعض المسائل أن يناصحه، ولا يظهر الشناعة عليه على رؤوس الأشهاد))[3] .

نجد أن أقوال هؤلاء الأئمة الكبار تؤيد ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية وتسانده في أن مناصحة أئمة المسلمين هو فعل كل ما يؤدي إلى طاعتهم في غير معصية الله ولزوم جماعتهم.

فمن الظلم والأذية الخروج على جماعتهم وتشتيت وحدتهم وسب علمائهم وفضلائهم ولعن ولاتهم وعدم بذل النصح لهم كما ذكره السلف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((والله تعالى قد حرم ظلم المسلمين أحيائهم وأمواتهم، وحرم دماءهم وأموالهم وأعراضهم.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال**: في حجة الوداع إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام..))**[4]

---

1 (?) **الإمام النحاس**: هو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحاسي النحوي المصري أبو جعفر كان من الفضلاء وروى عن أبي عبد الرحمن النسائي وأخذ النحو عن أبي الحسن علي الأخفش النحوي وغيرهم، وله تصانيف مفيدة منها تفسير القرآن الكريم وكتاب ((إعراب القرآن))، وكتاب ((الناسخ والمنسوخ)) ومصنفات كثيرة وتوفي سنة 330 هـ وقيل غير ذلك. / طبقات المفسرين للداودي ج 1/72.

2 (?) ص64.

3 (?) السيل الجرار ج4/55.

4 (?) رواه مسلم في صحيحه ص436 ح(1679) كتاب القسامة والمحاربين باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض

وقد قال الله تعالى: ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ [1]

فمن آذى مؤمنا : حياً أو ميتاً بغير ذنب يوجب ذلك، فقد دخل في هذه الآية،

ومن كان مجتهداً لا إثم عليه، فإذا آذاه مؤذ فقد آذاه بغير ما اكتسب، ومن كان مذنباً _ وقد تاب من ذنبه، أو غُفر له بسبب آخر بحيث لم يبق عليه عقوبة_ فآذاه مؤذ، فقد آذاه بغير ما اكتسب، وإن حصل له بفعله مصيبة.)) [2].

ومن أدلة السنة التي استدل بها شيخ الإسلام على وجوب لزوم الجماعة أيضاً ما يلي:

قال: ((وأيضا فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة متعددة الأمر بالاعتصام بالجماعة والمدح لها وذم الشذوذ، وأن الخير والهدى والرحمة مع الجماعة وأن الله لم يكن ليجمع هذه الأمة على ضلالة.

وقد روى الحاكم وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يجمع الله أمتي على الضلال أبدا ويد الله مع الجماعة)) [3].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من خالف

والأموال.

[1] (?) الأحزاب آية (58).

[2] (?) منهاج السنة ج5/135.

[3] (?) أخرجه الحاكم في المستدرك ج1/199 ، 200، 201 ، 202 فقال :وهذا لوكان محفوظا من الراوي لكان على شرط الصحيح.

جماعة المسلمين شبرا فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه)) [1].

وعن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه حتى يراجعه ومن مات وليس عليه إمام جماعة فإن ميتته جاهليه)) [2].

وفي رواية أخرى: ((آمركم بخمس كلمات أمرني الله بهن: **الجماعة** والسمع والطاعة، والهجرة والجهاد، فمن خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من رأسه إلا أن يرجع)). [3]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الصلاة المكتوبة إلى التي بعدها كفارة لما بينهما، والجمعة إلى الجمعة والشهر- يعني رمضان- كفارة لما بينهما, قال بعد ذلك: إلا من ثلاث)) فعرفت أن ذلك من أمر حدث فقال: ((إلا من الإشراك بالله ،ونكث الصفقة، وترك

---

1 (?) رواه أحمد في مسنده ج1/275 وج5/180 والحاكم في المستدرك ج1/503 صحيح وله وصححه الألباني في المشكاة حرقم[46]185 وصحيح الترغيب حديث رقم(552)..

2 (?) رواه أحمد في مسنده ج4/130 وج5/344. و الطبراني في الكبير ج3/289 والحاكم في المستدرك ج1/204. وصححه الألباني في المشكاة المصابيح رقم(3694).

3 (?) رواه الترمذي في سننه ج5/136 ح(2863) كتاب الأمثال باب ما جاء في مثل النبي والأنبياء قبله. ورواه أحمد في مسنده ج2/130 . وصحيح ابن خزيمة ج3/195، وصحيح ابن حبان ج14/124 والطبراني في الكبير ج3/286 وصححه الألباني في المشكاة رقم(34) 3694.

السنة، وأن تبايع رجلا بيمينك ثم تخالف ،تقاتله بسيفك)) [1] **وترك السنة الخروج من الجماعة**)) [2] .

فهذه الأحاديث تؤيد الأحاديث السابقة، في وجوب لزوم جماعة المسلمين ، وتحث عليها، وقد أورد ها شيخ الإسلام في كتبه،لبيان شدة عناية النبي صلى الله عليه وسلم بأمر الجماعة، وأن الحفاظ على هذا الأمر حق لجميع الأمة، بل قد أمر بقتل من أراد أن يفرقهم وهم جماعة على هدى وصواب.

الثانية : أدلة من السنة في: الأمر بطاعة ولاة الأمور والصبر على جورهم، والنهي عن قتالهم بسيف أو نحوه وهي كثيرة ومتنوعة ومهمة لأمرين:

1- أن في طاعتهم والصبر على جورهم تحقيق لمصالح الدين والدنيا،وسعي في نشر الخير والمعروف في الأمة.

2- فيه دفع المفاسد عن الدين والدنيا.

بين شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- أنَّ من طبع بني الإنسان أنه ظلوم جهول، وليس لأحد العصمة إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأن المؤمنين درجات، وأفضل الأمة بعد نبيها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وهم خير القرون وأفضلهم وأهداهم، وهذا فيكون من المستحيل إذًا قياس ولاة آخر هذه الأمة بصدرها الأول ؛ في الإيمان والعدل والرشد، هم خير القرون كما ثبت في النصوص الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم!. مع هذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر، والسمع والطاعة، وهذا الأمر-كما تقدم- يشمل علماء المسلمين وأمراء هم وملوكهم، وكل منهم يطاع فيما إليه من الأمر في طاعة الله.

---

1 (?) رواه أحمد في مسنده ج2/229 والحاكم في المستدرك ج4/288 قال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع حديث رقم(1724)

2 (?) منهاج السنة ج8/352، 353، 354.

و يدل على هذا الأدلة التالية:

أ- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات ميتته جاهلية ومن قتل تحت راية عمية، يغضب للعصبية ويقاتل للعصبية فليس مني ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يبقى لذي عهد عهدها فليس مني))[1]

قال شيخ الإسلام: ((فقد ذكر صلى الله عليه وسلم البغاة الخارجين عن طاعة السلطان وعن جماعة المسلمين.

وذكر أن أحدهم إذا مات ميتته جاهلية ، فإن أهل الجاهلية لم يكونوا يجعلون عليهم أئمة، بل كل طائفة تغالب الأخرى.

ثم ذكر قتال العصبية، كالذين يقاتلون على الأنساب مثل: قيس ، وذكر أنَّ من قُتل تحت هذه الرايات فليس من أمته، ثم ذكر قتال العداة الصائلين والخوارج ونحوهم، وذكر أن من فعل هذا فليس منه)).[2]

قال أيضا في موضع آخر: ((فذم الخروج عن الطاعة ومفارقة الجماعة، وجعل ذلك ميتة جاهلية، لأن أهل الجاهلية لم يكن لهم رأس يجمعهم، ولم يكونوا يطيعون أميرا عاما على ما هو معروف من سيرتهم .

---

1 (?) صحيح مسلم ص487 ح(1848) كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال. وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة.

2 (?) مجموع الفتاوى ج28/487

والنبي صلى الله عليه وسلم دائما يأمر بإقامة الرأس، حتى أمر بذلك في السفر إذا كانوا ثلاثة، فأمر بالإمارة في أقل عدد وأقصر اجتماع(([1]

وفي موضع آخر قال: ((وهذا الحديث يتناول من قاتل في العصبية والرافضة رؤوس هؤلاء، ولكن لا يكفر المسلم بالاقتتال في العصبية(([2] .

وقد استنبط شيخ الإسلام من هذه الأحاديث أن الخارجين على الأمة على ثلاثة أقسام كما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال:

((ذكر صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الأقسام الثلاثة:

فالقسم الأول:

الخارجون عن طاعة السلطان: فنهى عن نفس الخروج عن الطاعة، والجماعة، وبـين أنه: إن مات ولا طاعة عليه ؛ مات ميتة جاهلية.

القسم الثاني:

الذي يقاتل تعصبا لقومه، أو أهل بلده، ونحو ذلك، وسمى الراية عميّة؛ لأنه الأمر الأعمى الذي لا يدرى وجهه، فكذلك قتال العصبية: تكون عن غير علم بجواز قتال هذا.

---

[1] (?) منهاج السنة ج1/557 واقتضاء الصرا ط المستقيم ج 1/249.

[2] (?) منهاج السنة ج1/112

وجعل قتلة المقتول قتلة جاهلية، سواء غضب بقلبه، أو ادعى بلسانه، أو ضرب بيده.

والقسم الثالث :

الخوارج على الأمة: إما من العداة الذين غرضهم الأموال كقطاع الطرق ونحوهم، أو غرضهم الرياسة، كمن يقتل أهل المصر الذين تحت حكم غيره مطلقا، وإن لم يكونوا مقاتلة.

وإما من الخارجين عن السنة، الذين يستحلون دماء أهل القبلة مطلقا[1]

وهذه النصوص التي مر ذكرها تتضمن الأمور التالية:

1- ذم الخروج عن الطاعة ومفارقة جماعة المسلمين وإمامهم .

2- وتفسير معنى(ميتة جاهلية) وأن المسلم لا يكفر بالاقتتال .

3- التحذير من استحلال دماء المسلمين بغير حق .

4- التحذير من الخوض في الفتنة وقتال العصبية، خاصة في هذا العصر الذي كثرت فيه الفتن والاقتتال للعصبية والقومية النتنة في كثير من بلدان المسلمين، فالتبس فيه الحق والباطل على كثير إلا من رحم الله.

5- أن هذه الرايات التي ترفع فيما بين الأمة ويدعو أهلها إلى الجهاد أو والدفاع عن الدين وغيره يجب التنبه لها ووزنها بميزان الكتاب والسنة.

هل فيها:

---

1 (?) اقتضاء الصراط ج1/249، 250، 251، 252.

1- إحقاق عبادة الله وحده لا شريك له قال تعالى ﭽ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ[1]

2- تحقيق شهادة أن محمدا رسول الله، وهذه الشهادة من مقتضياتها أن يحكم بالشريعة التي جاء بها المصطفى صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭼ[2]

أي أنها تحكم بشريعة الله في محاكمها وفي كل شؤونها.

3- لا يستحل فيها المحرمات ،أم أن هناك إذا فعلت المحرمات بغضا لها وكراهة لها وإنكارا.

والمحرمات المجمع على تحريمها إذا ظهرت لها حالان:

إما أن يكون فاعلها مستحّلاًّ: فهذا كفر والعياذ بالله.

وأما إذا كان لا يستباح، ولكن يوجد، ويقر رافعوا الراية بأن ذلك منكر، وأنه

محرم؛ فتعلم بهذا أن الراية شرعية، وأن الراية مسلمة[3].

فإذا لم تتحقق فيها هذه الأمور، فهي رايات عصبية عمية جاهلية، وإن نسبت إلى الإسلام زورا، فالإسلام بريء منها ، فالخير كل الخير في اتباع الشرع وتعاليمه الحكيمة ، كما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وغيره من علماء السلف.

---

1 (?) الحج آية (41).

2 (?) النساء آية (65).

3 (?) ينظر: كتاب الضوابط الشرعية لموقف المسلم في الفتن لمعالي الشيخ/صالح بن عبد العزيز آل الشيخ وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد – حفظه الله- ص31، 32. يراجع كتاب مهم في بيان دقائق هذا الأمر.

خاصة ونحن الآن نعيش في عالم الفتن والرايات المشبوهة.

ج- في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض))[1]

قال شيخ الإسلام : ((أي تلقون من يستأثر عليكم بالمال ولا ينصفكم فأمرهم بالصبر ولم يأذن لهم في قتالهم))[2] .

وفي لفظ آخر: ((سيكون عليكم بعدي أمراء يطلبون منكم حقهم ويمنعونكم حقكم. قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال : ((أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم))[3]

وقال: ((من رأى من أميره شيئا فليصبر عليه؛ فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد

خلع ربقة الإسلام من عنقه)).[4]

وفي صحيح مسلم عن عوف بن مالك الأشجعي قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((خيار

---

1 (?) صحيح البخاري مع الفتح ج13/7 ح7052) كتاب الفتن باب قول النبي ﷺ: ((سترون بعدي أمورا تنكرونها)) وصحيح مسلم ص486ح(1845) كتاب الإمارة باب الأمر بالصبر عند ظلم الولاة واستئثارهم. واللفظ للمسلم.

2 (?) منهاج السنة ج5/150.

3 (?) صحيح البخاري مع الفتح ج13/7ح(7059) بلفظ : ((إنكم سترون بعدي أثرة)). كتاب الفتن باب قول النبي ﷺ

4 (?)صحيح البخاري مع الفتح ج13/7 ح(7054) كتاب الفتن باب قول النبي ﷺ: ((سترون بعدي أمورا تنكرونها)). وصحيح مسلم ص 487ح(1849) كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال. وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة.

أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم و تلعنونهم و يلعنونكم)) قـال: قلنا يا رسول الله أفلا ننابذهم عند ذلك ؟ قال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يداً من طاعة)) [1]

وفي رواية: ((خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم و تلعنونهم و يلعنونكم)) قالوا : أفلا نقاتلهم ؟ قال: ((لا، ما صلوا)) [2] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بعد ذكر هذه الأحاديث:

((وهذا يبين أن الأئمة هم الأمراء وولاة الأمور،وأنه يكره وينكر ما يأتونه من معصية الله، ولا تنزع اليد من طاعتهم، بل طاعتهم في طاعة الله، وأن منهم خيارا وشرارا، مَن يُحَبُّ ويُدْعَى له، ويُحِبّ الناس ويدعو لهم، ومن يبغض ويدعو على الناس ويبغضونه ويدعون عليه)) [3] .

هذه جملة من الأحاديث النبوية ذكرها شيخ الإسلام في هذا الباب، وعلق عليها تعليقاً وشرحها شرحا علميا دقيقا، وبين المعاني التي تضمنتها هذه الأحاديث، وقد أحسن في ذلك وأجاد.

وهذه الأحاديث قد جمعتْ جملةً من الفوائد وقواعد وأصول عظيمة وهي:

---

[1] (?) صحيح مسلم ص489 ح(1855) كتاب الإمارة باب خيار الأئمة وشرارهم.

[2] (?) صحيح مسلم ص489ح(1855) نفس الكتاب والباب.

[3] (?) منهاج السنة ج1/117.

1- الأمر بالسمع والطاعة ولزوم جماعة المسلمين وإمامهم**.**

2- الصبر على أئمة الجور وظلمهم، ولم يخص بذلك سلطانا معينا، ولا أميرا معـينا، ولا جماعة معينة.

3- النهي عن الخروج وقتال الأئمة الجور من المسلمين، لأن مفسدة ذلك وشره يعم على الجميع لا على الخارج وحده**.**

4- التحذير من قتال الفتنة والعصبية واستحلال الدماء:

لاشك أن السيئات سيئات، والحسنات حسنات، ولكن ليس من العدل والإنصاف أيضا النظر فقط إلى جانب ظلم الأئمة، دون النظر إلى ما يحققونه من المصالح العامة،وإذا أمر الشارع بالعدل في الكفار والصبر على أذاهم بقوله: ﭽ ﯚ ... ﭼ[1]ففي ولاة المؤمنين من باب أولى، فإن الشارع حكيم ،لا يأمر إلا بما فيه مصلحة للعباد، والمصلحة كل المصلحة في هذا الأمر: هو الصبر والسمع والطاعة،وضبط النفس ووزن الأمور بميزان القسط المستقيم، ففيه الخير والصلاح والاستقرار، وصد باب الفتنة.

وإلى ذلك يشير شيخ الإسلام ابن تيمية ويقول:

((**وبسببه نشأت الفتن بين الأمة:** فأقوام نظروا إلى ما ارتكبوه من الأمور المنهي عنها، فذموهم وأبغضوهم.

وأقوام نظروا إلى ما فعلوه من الأمور المأمور بها فأحبوهم، ثم الأولون إنما عدوا حسناتهم سيئاتٍ، والآخرون ربما جعلوا سيئاتهم حسنات.

((**فالتحقيق**)): أن الحسنات: حسنات، والسيئات: سيئات، وهم خلطوا عملاً صالحاً، وآخر سيئاً. وحكم

---

1 (?) آل عمران آية : (186).

الشريعة أنهم لا يؤذن لهم فيما فعلوه من السيئات، ولا يؤمرون به. ولا يجعل حظ أنفسهم عذرًا لهم في فعلهم؛ إذا لم تكن الشريعة عذرتهم؛ لكن يؤمرون بما فعلوه من الحسنات، ويحضون على ذلك؛ ويرغبون فيه.

وإن علم أنهم لا يفعلونه إلا بالسيئات المرجوحة؛ كما يؤمر الأمراء بالجهاد؛ وإن علم أنهم لا يجاهدون إلا بنوعٍ من الظلم، الذي تقل مفسدته بالنسبة إلى مصلحة الجهاد.

ثم إذا عُلم أنهم إذا نهوا عن تلك السيئات تركوا الحسنات الراجحة الواجبة لم ينهوا عنها؛ لما في النهي عنها من مفسدة ترك الحسنات الواجبة؛ إلا أن يمكن الجمع بين الأمرين، فيفعل حينئذ تمام الواجب، كما كان عمر بن الخطاب يستعمل من فيه فجور؛ لرجحان المصلحة في عمله؛ ثم يزيل فجوره بقوته وعدله.

ويكون ترك النهي عنها حينئذ: مثل ترك الإنكار باليد أو بالسلاح، إذا كان فيه مفسدة راجحة على مفسدة المنكر. فإذا كان النهي مستلزماً في القضية المعينة لترك المعروف الراجح: كان بمنزلة أن يكون مستلزماً لفعل المنكر الراجح، كمن أسلم على أن لا يصلي إلا صلاتين، كما هو مأثور عن بعض من أسلم على عهد النبي ، أو أسلم بعض الملوك المسلطين وهو يشرب الخمر، أو يفعل بعض المحرمات، ولو نهي عن ذلك ارتد عن الإسلام.

ففرق بين ترك العالم أو الأمير لنهي بعض الناس عن الشيء إذا كان في النهي مفسدة راجحة، وبين إذنه في فعله. وهذا يختلف باختلاف الأحوال.

ففي حال أخرى يجب إظهار النهي:

إما لبيان التحريم، واعتقاده، أو الخوف من فعله. أو لرجاء الترك. أو لإقامة الحجة، بحسب الأحوال؛ ولهذا تنوع حال النبي صلى الله عليه وسلم في أمره، ونهيه، وجهاده، وعفوه، وإقامته الحدود، وغلظته، ورحمته» [1]

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج 35/31، 32.

وقال في موضع آخر: ((**ولهذا كان المشهور من مذهب** أهل السنة: أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف، وإن كان فيهم ظلم، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي .

لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة، فلا يدفع أعظم الفساديْن بالتزام أدناهما.

ولعله لا يكاد يُعرف طائفة خرجت على ذي سلـطان، إلا كان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته.

والله تعالى لم يأمر بقتال كل ظالم، وكل باغٍ كيفما كان، ولا أمر بقتال الباغين ابتداءً ، فكيفً يأمر بقتال ولاة الأمر ابتداء؟.

فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ الأمراء يظلمون ويفعلون أمورًا منكرة، ومع هذا أمرنا أن نؤتيهم الحق الذي لهم، ونسأل الله الحق الذي لنا، ولم يأذن في أخذ الحق بالقتال، ولم يرخص في ترك الحق الذي لهم)).[1]

وفي الحديث الآخر أيضا: ((عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي وستكون خلفاء فتكثر)) قالوا: فما تأمرنا؟ قال : فوا ببيعة الأول فالأول، ثم أعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم))[2].

فقوله: ((فتكثر)) دليل على أن المراد من سوى الراشدين فإنهم لم يكونوا كثيرا.

وأيضا قوله: ((فوا بيعة الأول فالأول)) دل على أنهم يختلفون؛ والراشدون لم يختلفوا.

---

1 (?) منهاج السنة ج3/392 - 391.

2 (?) صحيح مسلم ص485 ح(1842) كتاب الإمارة باب ما جاء في وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء، الأول فالأول.

وقوله: ((فأعطوهم حقهم؛ فإن الله سائلهم عما استرعاهم)) دليل على مذهب أهل السنة، في إعطاء الأمراء حقهم من المال والمغنم، وأن مصير الأمر إلى الملوك ونوابهم من الولاة والقضاة، والأمراء – ليس لنقص فيهم فقط، بل لنقص في الراعي والرعية جميعا: فإنه كما تكونون يوَلى عليكم،قال تعالى : ﭽ   ﯓ ﯔ ﭼ[1]))[2] .

فقد بين في موضع آخر أنه يجب طاعة الولاة لله، لا لأجل حظوظ الدنيا، وأن من قاتلهم لأجل جورهم أو خرج عليهم من غير أن يوا منها كفرا بواحا ببرهان واضح، لم يكن ذلك لله، ولا لأجل دينه، وإعلاء كلمته، إنما لأجل الدنيا أو حاجة في نفسه هذا قد أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية.

قال: ((**فطاعة الله ورسوله واجبة** على كل أحد، **وطاعة ولاة الأمور واجبة لأمر الله بطاعتهم**، فمن أطاع الله ورسوله بطاعة ولاة الأمر لله،فأجره على الله.

ومن كان لا يطيعهم إلا لما يأخذ ه من الولاية أو المال، إن أعطوه أطاعهم ، وإن منعوه عصاهم،فماله في الآخرة من خلاق))[3].

((**ومن أسباب ذلك أن الظالم** الذي يستأثر بالمال والولايات لا يُقَاتَل في العادة إلا لأجل الدنيا، يقاتله الناس، حتى يعطيهم المال، والولايات، وحتى لا يظلمهم، فلم يكن أصل قتالهم ليكون الدين كله لله، ولتكون كلمة الله هي العليا، ولا كان قتالهم من جنس قتال المحاربين؛ قطاع الطريق الذين **قال فيهم:** ((**من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد..**))[4] لأنّ أولئك معادون لجميع الناس،

---

[1] (?) الأنعام آية (129).

[2] (?) مجموع الفتاوى ج35/20، 21.

[3] (?) مجموع الفتاوى ج35/16، 17.

[4] (?) صحيح مسلم ص44ح(141) كتاب الإيمان باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق كان القاصد مهدر

وجميع الناس يعينون على قتلهم، ولو قدر أنه ليس كذلك العداوة والحرب، فليسوا ولاة أمر قادرين على الفعل والأخذ، بل هم بالقتال يريدون أن يأخذوا أموال الناس، ودماءهم، فهم مبتدؤون الناس بالقتال، بخلاف ولاة الأمور؛فإنهم لا يبتدؤون بالقتال للرعية.

وفرق بين من تقاتله دفعًا، وبين من تقاتله ابتداء، ولهذا هل يجوز في حال الفتنة قتال الدفع؟ فيه عن أحمد روايتان لتعارض الآثار والمعاني.

وبالجملة العادة المعروفة أن الخروج على ولاة الأمور يكون لطلب ما في أيديهم من المال، والإمارة، وهذا قتال على الدنيا، ولهذا قال أبو برزة الأسلمي [1] عن فتنة ابن الزبير ، وفتنة القراء مع الحجاج[2] ، وفتنة مروان بالشام[3]: هؤلاء وهؤلاء إنما يقاتلون على الدنيا،

الدم في حقه وإن قتل كان في النار وأن من قتل دون ماله فهو شهيد. والترمذي في سننه ج4/22ح(1421) كتاب الديات.باب ما جاء فيمن قتل دون ما له فهو شهيد.

1 (?) أبو برزة هو نضلة بن عبيد الأسلمي، أبو برزة، مشهور بكنيته . قال أحمد بن سيار المروزي: أبو برزة الأسلمي اسمه عبد الله بن نضلة، بن عبيد بن الحارث، بن حِبال، بن ربيعة، بن أنس، بن جذيمة بن مالك، قيل: والقول الأكثر أن نضلة بن عبد الله، وكان إسلامه قديما، وشهد فتح خيبر، وفتح مكة، وحنيناً، وروي عنه أنه قتل ابن الأخطل، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر، وروى عنه ابنه المغيرة. قال ابن حجر: وقد أخرج البخاري في صحيحه أنه عاب على مروان وابن الزبير والقراء بالبصرة لما وقع الاختلاف بعد موت يزيد بن معاوية وذكر هذا القول. كان من ساكني المدينة، ثم نزل البصرة، وغزا خرسان، وقال غيره: شهد مع علي قتال الخوارج بالنهروان. مات بخراسان سنة(65هـ)./ الإصابة ج10/152-154.

2 (?) فتنة القراء مع الحجاج الذين خرجوا على عبد الملك بن مروان وعلى الحجاج فقاتلهم وقتل منهم عدد كبير وسفكت كثير من الدماء بسبب خروجهم وقتالهم للأمراء / انظر:البداية والنهاية ج5/43.

وأما أهل البدع كالخوارج؛ فهم يريدون إفساد دين الناس..)).[1]

وقال أيضا: ((**..**وأصل ذلك العلم؛ **فإنه لا يعلم العدل إلا بالعلم**. فصار الدين كله العلم، والعدل؛ وضد ذلك الظلم والجهل. قال تعالى: ﴿ ﴾[2] ولما كان ظلوماً جهولًا _ وذلك يقع من الرعاة تارةً، ومن الرعية تارة، ومن غيرهم تارة - كان من العلم والعدل المأمور به الصبر على ظلم الأئمة كما هو أصول أهل السنة والجماعة وكما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم.

ونهوا عن قتالهم ماصلوا، وذلك **لأن معهم أصل الدين المقصود؛ وهو توحيد الله وعبادته، ومعهم حسنات، وترك سيئات كثيرة**.

وأما ما يقع من ظلمهم وجورهم بتأويل سائغ أو غير سائغ، فلا يجوز أن يزال لما فيه من ظلم وجور، كما هو عادة أكثر النفوس، تزيل الشر بما هو شر منه ، وتزيل العدوان بما هو أعدى منه.

فالخروج عليهم يوجب من الظلم والفساد أكثر من ظلمهم،فيصبر عليه، كما يصبر عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ظلم المأمور والمنهي في مواضع كثيرة)).[3]

((**بل يعاون على البر والتقوى دون الإثم والعدوان، ويطاع في طاعة الله دون معصيته، ولا يخرج عليه بالسيف.وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم إنما تدل على هذا**[4] .

---

3 (?) وهذه الفتن كلها كانت بسبب الخروج وقتال الأئمة والأمراء وكانت عاقبها وخيمة انظر : منهاج السنة ج4/522 وكتاب الاستقامة ج1/282 ومجموع الفتاوى ج2/218.

1 (?) منهاج السنة ج5/151،152.

2 (?) الأحزاب آية (72).

3 (?) مجموع الفتاوى ج28/ض179، 180،

4 (?) منهاج السنة ج1/557.

((.. بل من أصول هذا الموضع؛ أن مجرد وجود البغي من إمام، أو طائفة، لا يوجب قتالهم، بل لا يبيحه، بل من الأصول التي دلت عليها النصوص أن الإمام الجائر يؤمر الناس بالصبر على جوره، وظلمه، وبغيه، ولا يقاتلونه، كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، فلم يأذن في دفع البغي مطلقًا بالقتال، بل إذا كانت فيه فتنة نهى عن دفع البغي به وأمر بالصبر)) [1].

فإنّ قتال اللصوص ليس قتال فتنة، إذ الناس كلهم أعوان على ذلك،-كما تقدم-فليس فيه ضرر عام على غير الظالم، بخلاف قتال ولاة الأمور، فإن فيه فتنة وشرا عاما أعظم من ظلمهم، فالمشروع فيه الصبر.

ثالثاً: ومن أدلة السنة أيضا ما جاء في الصحيحين عن عبادة بن الصامت قال: ((بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في اليسر والعسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وعلى ألا ننازع الأمر أهله وعلى أن نقول بالحق حيثما كنا ولا نخاف في الله لومة لائم)) [2] .

يقرر شيخ الإسلام أن هذا الحديث من أهم الأحاديث التي تحث على وجوب لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، والصبر عليهم طاعة لله، وترك الطمع الشديد فيما عندهم، والنهي عن منازعة السلطان والحكام في ملكهم إما حبًّا للدنيا أو اتباعًا للهوى، والنهي عن الخروج عليهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((أمر بالطاعة مع استئثار ولي الأمر، وذلك ظلم منه، ونهى عن منازعة الأمر أهله، وذلك نهي عن الخروج عليه،لأن أهله هم أولوا الأمر الذين أمر بطاعتهم، وهم الذين لهم سلطان يأمرون به، وليس المراد من يستحق أن يولى ولا

---

[1] (?) كتاب الاستقامة ج1/32.

[2] (?) صحيح مسلم ص485ح(1709) كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية.

سلطان له ولا المتولي العادل، لأنه قد ذكر أنهم يستأثرون، فدل على أنه نهى عن منازعة ولي الأمر وإن كان مستأثرا، ومعلوم أن الظلم لا يمنع من فعل الطاعة ولا من الأمر بها))[1].

هذه النصوص التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الموضع تبين وجوب لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، ودوام السمع والطاعة لهم في غير معصية الله، والصبر عليهم،وعدم منازعتهم في أمرهم وملكهم ،والنهي عن الخروج عليهم وقتالهم، لما في ذلك ضرر عظيم على المسلمين، وشر وفتن لا تحمد عقباها، وأن في الصبر عليهم الخير الكثير.

والصبر خير كله، وقد أمر الله به جميع الأنبياء عليهم السلام، وأمر به النبي صلى الله عليه وسلم أمته.

كما أن في هذه النصوص النهي عن تعددية الأحزاب ضد الحاكـم ومناهضتهم إياه ومنافستهم ومنازعتهم في أمر الحكم والطعن في حكمهم وتزهيد الناس عنه كما هو الحال عند أصحاب الأحزاب السياسية في العصر الحاضر..

وقد قرر شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- أصول وقواعدة مهمة في هذا الأمر، نختم بها هذا الباب .

قال رحمه الله:

(("**المقام الثاني**" أن يفرق بين ما يفعل الإنسان، ويأمر به ويبيحه، وبين ما يسكت عن نهي غيره عنه وتحريمه عليه، فإذا كان من المحرمات ما لو نهى عنه حصل ما هو أشد تحريما منه لم ينه عنه، ولم يبحه أيضا.

ولهذا لا يجوز إنكار المنكر بما هو أنكر منه؛ **ولهذا حرم الخروج** على ولاة الأمر بالسيف؛ لأجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن ما يحصل بذلك من فعل المحرمات، وترك الواجب **أعظم** مما يحصل بفعلهم المنكر والذنوب، وإذا كـان قوم على بدعة أو فجور، ولو نهوا عن ذلك وقع بسبب ذلك شر أعظم مما

---

[1] (?) ومنهاج السنة ج3/392- 395.

هم عليه من ذلك، ولم يمكن منعهم منه، ولم يحصل بالنهي مصلحة راجحة لم ينهوا عنه.

بخلاف ما أمر الله به الأنبياء وأتباعهم من دعوة الخلق؛ فإن دعوتهم يحصل بها مصلحة راجحة على مفسدتها، كدعوة موسى لفرعون ونوح لقومه، فإنه حصل لموسى من الجهاد وطاعة الله، وحصل لقومه من الصبر والاستعانة بالله ما كانت عاقبتهم حميدة.

فالمنهي عنه إذا زاد شره بالنهي، وكان النهي مصلحة راجحة كان حسنا، وأما إذا زاد شره وعظم وليس في مقابلته خير يفوته لم يشرع، إلا أن يكون في مقابلته مصلحة زائدة، فإن أدى ذلك إلى شر أعظم منه لم يشرع مثل أن يكون الآمر **لا صبر له**، فيؤذى فيجزع جزعا شديدا يصير به مذنبا، وينتقص به إيمانه ودينه.

فهـذا لم يحصل به خير لا له ولا لأولئك؛ بخلاف ما إذا صبر واتقى الله وجاهد، ولم يتعد حدود الله بل استعمل التقوى والصبر؛ فإن هذا تكون عاقبته حميدة.

وأولئك قد يتوبون فيتوب الله عليهم ببركته، وقد يهلكهم ببغيهم ويكون ذلك مصلحة، كما قال الله: ﭽ ﭒ ﭓ ﭔﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭼ.[1] [2]

الرابـع: أحاديث تدعو جميع الأمة إلى الوحدة وتحقيق الأخوة الإيمانية الصادقة، وتحث على الرابطة الأخوية والتآلف والتعاطف والتراحم فيما بينها والتكاتف كالجسد الواحد

حث شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- على وجوب التآخي في الله، وبين أن الأخوة الإيمانية والرابطة الدينية الخالصة، تحقيقها، أمر ضروري في هذه الأمة.

وقد دل على هذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم، حين وصوله المدينة مهاجرا، فإن أول ما قام به قبل كل

[1] (?) الأنعام آية(45).

[2] (?) مجموع الفتاوى ج14/472، 473.

شيء؛ ترسيخ رابطة الأخوة الإيمانية في القلوب، وهى أول لبنة بناها، حتى رسخت وتماسكت، فصاروا كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر.

الحديث الأول: ما جاء في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر))[1].

الحديث الثاني: وأيضا في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يَشُدّ بعضه بعضا – وشبك بين أصابعه)).[2]

الحديث الثالث: قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا_ويشير إلى صدره- بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه))[3] .

فهذه جملة من الأحاديث ذكرها شيخ الإسلام – رحمه الله- تحث على الأخوة الإيمانية، وتبين أن جميع المؤمنين إخوة في الدين، وأنه لا فضل لأحد على أحد إلا

---

1 (?) صحيح مسلم ص660ح(2586) كتاب البر والصلة والآداب. باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

2 (?) صحيح البخاري مع الفتح ج5/119ح(2446) كتاب المظالم باب نصر المظلوم. وصحيح مسلم ص660ح(2585) كتاب البر والصلة والآداب. باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

3 (?) صحيح البخاري مع الفتح ج10/496 ح(6064)و(6065)كتاب الأدب باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر. وقوله تعالى: (ومن شر حاسد إذا حسد). وصحيح مسلم ص 655ح(2564) كتاب البر والصلة والآداب.

بالتقوى، وأنه يجب على جميع المسلمين في جميع أنحاء الأرض التعاون على البر والتقوى، وهم أمة واحدة، فربهم واحد ورسولهم واحد، وكتابهم واحد، دينهم واحد، واعتقادهم في الله يجب أن يكون واحداً فكيف يختلفون ويتقاتلون ويتناحرون ويُكفِّر بعضهم بعضا ويخذل بعضهم بعضا، هذا ما يريد أن يقرره في هذا الموضع .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: ((فهذه الأحاديث فيها أمر الله ورسوله بما أمر به من حقوق المؤمنين بعضهم على بعض، والتعاون على البر والتقوى ونهيا عن التعاون على الإثم والعدوان.

وجعل الله عباده المؤمنين بعضهم أولياء بعض، وجعلهم إخوة متناصرين، متراحمين، متعاطفين وأمرهم سبحانه بالائتلاف، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف)) [1]

وقال: ((ولهذا كان المؤمن يَسُرُّه ما يسر المؤمنين ،ويسوؤه ما يسوء المؤمنين ، ومن لم يكن كذلك لم يكن منهم، فاتحاد الناس بعضهم ببعض هي الأخوة والخلة الإيمانية، التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم: ((مثل المؤمنين في توادهم..))

فجعل المؤمن مع المؤمن بمنزلة العضو مع العضو اللذين تجمعهما نفس واحدة، ولهذا سمى الله الأخ المؤمن نفسا لأخيه في غير هذا الموضع وقال : ﭽ   ﭼ [2]

فكيف يجوز مع هذا لأمة محمد أن تفترق وتختلف حتى يوالي الرجل طائفة، ويعادي طائفة أخرى، بالظن والهوى بلا برهان من الله تعالى، وقد برأ الله نبيه ممن كان هكذا.

فهذا فعل أهل البدع كالخوارج الذين فارقوا جماعة المسلمين واستحلوا دماء من خالفهم، وأما أهل السنة والجماعة؛ فهم معتصمون بحبل الله، وأقل ما في ذلك

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج3/419. وج11/92، 93، 94.

2 (?) النور آية (61).

أن يفضل الرجل من يوافقه على هواه، وإن كان غيره أتقى لله منه.

وإنما الواجب أن يقدم من قدمه الله ورسوله، ويؤخر من أخره الله ورسوله، ويحب ما أحبه الله ورسوله ،ويبغض ما أبغضه الله ورسوله ، وينهى عما نهى الله ورسوله، وأن يرضى بما رضي الله به ورسوله، وأن يكون المسلمون يدا واحدة، فكيف إذا بلغ الأمر ببعض الناس إلى أن يضلل غيره، ويكفره، وقد يكون الصواب معه وهو الموافق للكتاب والسنة، ولو كان أخوه المسلم قد أخطأ في شيء من أمور الدين ، فليس كل من أخطأ يكون كافرا، ولا فاسقًا، بل قد عفا الله لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان، وقد قال تعالى في كتابه في دعاء الرسول والمؤمنين : ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡﯢ ﭼ [1] .

وهذا التفريق الذي حصل من الأمـة: علمائها، ومشايخها، وأمرائها، وكبرائها هو الذي أوجب تسلط الأعداء عليها وذلك بتركهم العمل بطاعة الله ورسوله، فمتى ترك الناس بعض ما أمر هم الله به، وقعت بينهم العداوة والبغضاء، وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا، وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا، فإن الجماعة رحمة ،والفرقة عذاب))[2]

قلت : فلابد أن يكون العمل خالصا لوجه الله سبحانه، فلا أخوة بدون إيمان، ولا إيمان بدون أخوة، لأنها إن وجدت فهي أخوة مصالح ومنافع ، أخوة مظاهر، أخــوة دنيا لا دين، وتلك لا تدوم ولا تكون لها في الأرض ثمرة ولا ثواب في الآخرة.

فلابد من عودة الأمة إلى العقيدة الصحيحة الصافية النقية، فَبِها تتوحد القلوب والجوارح، فإننا لا يجمعنا إلا الحق، ولا نجتمع إلا على الحق الواضح البين، **وهو ما**

---

1 (?) البقرة آية (286).

2 (?) مجموع الفتوى ج2/373،. وج3/419، 420 ، 421. وج 7/ 483.

كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عقيدةً، وسلوكاً، ومنهجاً ، ألف الله بين القلوب وجمع الشمل بعد الشتات، بل نجاة الأمة وفلاحها في الدنيا والآخرة مرهونة بتمسكها بما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

- المبحث الثـاني: بيـان الآثـار عن السـلف الصالح في الحث على الجماعة .

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: آثار الصحابة رضوان الله عليهم في الحث على الجماعة

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى- أنه ورد عن السلف الصالح من الصحابة رضوان الله عليهم آثار كثيرة تدل على وجوب التمسك بالجماعة، ولزوم الأمر بها، في الأقوال والأفعال، والمحافظة عليها.

وأن من تتبع حياتهم وسـيرهم يجد ما يصدق ذلك من فعلهم – رضي الله عنهم أجمعين كما يتبين ذلك أكثر في رواياتهم أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الكثيرة في هذا الباب، فهم أهل علم وفضل وخير وجماعة.

الأثر الأول: ما يدل على استسلام الصحابة لأمر الله في ترك منازعة ولاة الأمر حرصاً على الجماعـة وخشية الفتنة.

ما ذكره أحمد في مسند الصديق رضي الله عنه لما كان في أمر السقيفة وفيه أن الصديق رضي الله عنه قال: ولقد علمت يا سعد[1]أن رسول الله قال وأنت قاعد: ((قريش ولاة هذا الأمر، فبَرُّ الناس تبع لبرهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم)). قال: فقال له سعد: صدقت، نحن الوزراء، وأنتم الأمراء)) [2]

---

[1] (?) **سعد بن عبادة ابن دُيلم** بن حارثة بن أبي حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج. السيد الكبير الشريف، أبو قيس الأنصاري الخزرجي الساعدي المدني، النقيب سيد الخزرج. له أحاديث يسيرة وهي عشرون بالمكرر. شهد بدراً مات قبل أوان الرواية، روى عنه سعيد بن المسيب، والحسن البصري، مرسل. له عند أبي داود، والنسائي حديثا، مات بحوران بالشام/ السير 1/270 -278.

[2] (?) مسند أحمد ج1/5 ، ومصنف لابن أبي شيبةج2/204. ومنهاج السنة ج1/533.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((فهذا مرسل حسن. وفيه فائدة جليلة جدا، وهي أن سعد بن عبادة نزل عن مقامه الأول في دعوى الإمارة، وأذعن للصديق بالإمارة، ولم يعرض ولم يدفع حقا، ولا أعان على باطل، فرضي الله عنهم أجمعين))[1].

وفي هذا الأثر رد الصديق رضي الله عنه سعد بن عبادة إلى الجماعة، فالتزم سعد رضي الله عن الجميع.

الأثر الثاني: الأمر بالصبر على ظلم الولاة والأمر بطاعتهم بالمعروف مطلقاً وترك الانتصار لحظوظ النفس.

عن سويد بن غفلة[2] قال: قال لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا أبا أمية لعلك إن تخلف بعدي فأطع الإمارة وإن كان عبدا حبشيا، إن ضربك فاصبر، وإن أمرك بأمر فاصبر، وإن حرمك فاصبر، وإن ظلمك فاصبر، وإن أمرك بأمر ينقص دينك فقل سمع وطاعة دمي دون ديني ، ولا تفارق الجماعة))[3].

وجاء عنه أيضا رضي الله عنه: ((من بايع رجلا بغير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرة[4] أن يقتتلا.))[5]

---

[1] (?) منهاج السنةج1/536، 533، 534.

[2] (?) **سويد بن غفلة أبو أمية الجعفي**: مخضرم من كبار التابعين قدم المدينة يوم دفن النبي ﷺ، وكان مسلما في حياته، ثم نزل الكوفة، ومات سنة ثمانين، وله مئة وثلاثون سنة/ تقريب التهذيب ص201 ت(695).

[3] (?) منصف ابن أبي شيبة ج12/544 والبيهقي في السنن الكبرى ج8/159(16405).

[4] (?) **تغرة:** مصدر غرر بنفسه وغررتُه تغريراً إذا ألقيته في الغرر، وتغرة أن يقتتلا أي خوف أيقتتلا/ انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الجزري ج3/661.

[5] (?) صحيح البخاري مع الفتح ج12/147ح(6830) كتاب الحدود باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت.

فقد ذكر عمر رضي الله عنه هذا صدا لباب الفتنة، وحسما لمادة الخلاف والفرقة، وحفظا لأمر الجماعة والائتلاف.

الأثر الثالث: قولهم بضرورة وجود المطاع حقناً للدماء والأعراض وضبطاً للنظام وحفاظاً على الحقوق براًّ كان أو فاجراً.

ما ذكره شيخ الإسلام عن علي رضي الله عنه أنه قال: ((لابد للناس من إمارة، برّةٍ كانت أو فاجرةٍ. قيل له: هذه البرة قد عرفناها، فما بال الفاجرة؟

قال يُؤَمَّن بها السبيل، ويقام به الحدود، ويجاهد به العدو ويقسم بها الفيء)) ذكره علي بن معبد[1] في كتاب الطاعة والمعصية))[2] [3]

هذا فيه إشارة إلى أهمية وجود طاعة آمر وناه، لما فيها من تحقيق مصلحة العباد والجماعة، من حقن الدماء، وحفظ الحياة وجمع الشمل.

كما قرر ه شيخ الإسلام ابن تيمية في موضع آخر فقال -رحمه الله-: ((بل أهل السنة يخبرون بالواقع، ويأمرون بالواجب، فيشهدون بما وقع، ويأمرون بما أمر الله ورسوله،من طاعة السلطان لما يحققونه من إقامة الحدود، وقسم الأموال، وتولية الولايات، وجهاد

---

[1] (?) **علي بن معبد بن شداد الإمام الحافظ الفقيه،** أبو الحسن وأبو محمد العبدي الرقي، نزيل مصر، من كبار الأئمة. حدث عنك إسماعيل بن جعفر، والليث بن سعد، وعبيد الله بن الرقي، ، وابن وهب، وأبي بكر عياش، والشافعي، وخلق.

وروى عن محمد بن الحسن((الجامع الكبير))و((الجامع الصغير)) روى عنه: يحيى بن معين، وإسحاق الكوسج وخلق كثير قال أبو حاتم: ثقة. توفي بمصر لعشر بقين من رمضان سنة ثمان عشرة ومئتين/ السير ج1/631، 632، 634.

[2] (?) الطبراني في الكبير ج10/132 ومصنف عبد الرزاق ج 10/149.

[3] (?) منهاج السنة ج1/548..

العدو، وإقامة الحجّ والأعياد والجمع، وغير ذلك من مقاصد، فهم ونوابهم يغزى معهم،ويصلى معهم، ويعاونون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،ويعاونون على البر والتقوى، ولا يعاونون على الإثم والعدوان. ومن المعلوم أن الناس لا يصلحون إلا بولاة، وأنه لو تولى الملوك الظلمة ، لكان خيرا من عدمهم،كما يقال: ((ستون سنة مع إمام جائر خير من ليلة واحدة بلا إمام)) [1] والشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان))[2].

الأثر الرابع : تطبيقات السلف العملية في الوفاء بالعهد في طاعتهم للولاة وعدم غشهم والتحذير من الخروج عليهم ومخالفة أمرهم في المعروف بوجه من الوجوه

قد ثبت في صحيح عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

((ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة عند أسته بقدر غدره)) قال: ((وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله وإني لا أعلم غدرا أعظم من أن يبايع رجل على بيع الله ورسوله ثم ينصب له القتال، وإني لا أعلم أحدا منكم خلعه ولا بايع في هذا الأمر إلا كانت الفصل بيني وبينه))[3] **.**

---

1 (?) لم أقف على القائل، وجاء فشرح العقدية الطحاوية بعد ذكر هذا القول)) وإذا قدر كثرة ظلمه فذاك خير في الدين كالمصائب تكون كفارة لذنوبهم ويثابون على الصبر ويرجعون فيه إلى الله..)) شرح العقيد الطحاوية لابن أبي العز. ص(412، 413). المكتب الإسلامي – بيروت- 1391هـ ط:4.

2 (?) ينظر منهاج السنة ج1/547

3 (?) صحيح البخاري مع الفتح ج13/74 ح(7111) كتاب الفتن باب إذا قال عند قوم شيئا ثم خرج فقال بخلافه. وجاء أيضاً: ((ولا غادر أعظم غدرة من أمير عامة)). وكتاب (السنن الواردة في الفتن) لأبي عمر عثمان الداني. ج2/397.- دار العاصمة الرياض- 1416.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:
((وهذا حدّث به عبد الله بن عمر لما قام قوم من أهل المدينة يخرجون عن طاعة ولي أمرهم؛ ينقضون بيعته، فهم لم يكونوا يرخصون لأحد فيما نهى الله من معصية ولاة الأمور، وغشهم والخروج عليهم بوجه من الوجوه)).[1]

وفي صحيح مسلم عن نافع قال: جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع[2]
حين كان من أمر الحرة[3] ما كان؛ زمن يزيد بن معاوية؛ فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة، فقال: إني لم آتك لأجلس، أتيتك لأحدثك حديثا؛ سمعت رسول الله يقول: ((من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له؛ ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية))[4] .

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج29/144 وج35/12.

2 (?) **عبد الله بن مطيع بن الأسود** العدوي المدني له رؤية وكان رأس قريش يوم الحرة وأمره ابن الزبير على الكوفة ثم قتل معه سنة ثلاث وسبعين هـ/ تقريب التهذيب ص266ت(3626).

3 (?) الحرة كان في زمن يزيد بن معاوية رضي الله عنه، وكان سبب وقعة الحرة أن وفداً من أهل المدينة قدموا على يزيد بن معاوية بدمشق فأكرمهم وأحسن جائزتهم، وأطلق لأميرهم_ وهو عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر_ قريباً من مائة ألف، فلما رجعوا ذكروا لأهليهم عن يزيد ما كان يقع منه من القبائح وما يتبع ذلك من المنكرات، فاجتمعوا على خلعه، فخلعوه عند المنبر النبوي، فلما بلغه ذلك بعث إليهم سرية يقدمها رجل يقال له مسلم بن عقبة وإنما يسميه السلف: مسرف بن عقبة، فلما ورد المدينة استباحها ثلاثة أيام، فقتل في غضون هذه الأيام بشراً كثيراً حتى كاد لا يفلت أحداً من أهلها./ البداية والنهاية ج3/239.

4 (?) صحيح مسلم ص488 ح(1851) كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن.

وقال – رحمه الله-: ((إن السلف كان يشتد إنكارهم على من يخالف الإجماع، فلم يكن في الأمة أعظم اجتماعا على الهدى ودين الحق، ولا أبعد عن التفرق والاختلاف منهم))[1].

وفي موضع آخر قال: ((وكان أفاضل المسلمين ينهون عن الخروج والقتال في الفتنة، كما

[1] (?) انظر: مجموع الفتاوى ج8354، ومنهاج السنة ج6/345، 364.

كان عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب[1] وعلي بن الحسين[2] ، وغيرهم ينهون عام الحرة عن الخروج على يزيد، ولهذا استقر أمر أهل السنة على ترك القتال في الفتنة للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم ويأمرون بالصبر

---

1 (?) **سعيد بن المسيب** بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائد بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي، أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار، من كبار الثانية، اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل، قال علي المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علما منه، مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين/تقريب التهذيب ص111ت(2396).

2 (?) علي بن الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، السيد زين العابدين، الهاشمي العلوي، المدني يكنى أبا الحسين ويقال: أبو الحسن، ويقال أبو محمد، ويقال أبو عبد الله. وأمه أم ولد، اسمها سلامة بنت ملك الفرس يزدجرد، وقيل: غزالة. ولد في سنة ثمان وثلاثين ظنا. وحدث عن أبيه الحسين الشهيد، وكان معه يوم كائنة كربلاء وله ثلاث وعشرون،سنة، وكان يومئذ مَوْعوكاً فلم يقاتل، ولا تعرضوا له، بل أحضروه مع آله إلى دمشق، فأكرمه يزيد، ورده مع آله إلى المدينة، وحدث أيضا عن جده مرسلاً، وعن صفية أم المؤمنين، وذلك في الصحيحين وعن أبي هريرة، وعائشة وروايته عنها في ((مسلم))، حدث عنه أولاده: أبو جعفر محمد، وحدث عنه أبو سلمة، وطاووس وخلق سواهم. وقيل : كان علي بن الحسين إذا سار في المدينة على بغلته، لم يقل لأحد: الطريق. ويقول : هو مشترك ليس لي أن أنحي عنه أحداً. وعن الحكم، عن أبي جعفر، قال: إنا لنصلي خلفهم- يعني الأموية- من غير تقية، وأشهد على أبي أنه كان يصلي خلفهم من غير تقية. وعن يحيى بن سعيد، قال: قال علي بن الحسين: والله ما قتل عثمان رحمه الله على وجه الحق. قال يحيى أخو محمد بن عبد الله بن حسن: مات في رابع عشر ربيع الأول ليلة الثلاثاء سنة أربع. وقال أبو نعيم وشباب: توفي سنة اثنتين وتسعين./ السير ج4/386 وما

على جور الأئمة، وترك قتالهم، وإن كان قد قاتل في الفتنة خلق كثير من أهل العلم والدين))[3].

هذا فيه الحث على لزوم الجماعة، وطاعة ولاة الأمور وترك الخروج عليهم بأي وجه من الوجوه، و النهي عن قتالهم وبيان شدة إنكار الصحابة على من يحرض عليه، كما ظهر من ابن عمر رضي الله عنه وغيره.

بعدها.

3 (?) منهاج السنة ج4/529، 530.

الأثر الخامس: قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:

((يأيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة، فإنهما حبل الله الذي أمر به، وإن مما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة))[1] .

فقد حث هذا الصحابي الجليل على التمسك بالكتاب والسنة، وملازمة جماعة المسلمين وإمامهم، وأن الصبر على الظلم والجور طاعة لله ورسوله ومراعاة للجماعة، خير من الإختلاف والفرقة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((وقَـلَّ من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظم مما تولـد من الخير، كالـذين خرجوا على يزيد بالمدينة، وكابن الأشعث[2] الذي خـرج على عبد الملك[3] بالعراق، وكابن

---

[1] (?) انظر: الطبراني في الكبير ج9/198 وحلية الأولياء ج 9/249و الفتاوى الكبرى ج3/446 والسنة للالكائي ج 1/121ح(159).

[2] (?) ابن الأشعث الأمير متولي سجستان، عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي. بعثه الحجاج على سجستان، فثار هناك، وكان معه علماء وصلحاء لله تعالى لما انتهك الحجاج في إمارته وقت الصلاة، ولجوره وجبروته. فقاتله الحجاج، وجرى بينهما عدة مصافات. وينتصر ابن الأشعث/ ودام الحرب أشهر وقُتل خلق من الفريقين، وفي آخر الأمر انهزم جمع ابن الأشعث، وفر هو إلى الملك رُتبيل ملتجئا.. فلما قرُب ابن الأشعث من العراق ألقى نفسه من قصر خراب أنزلوه فوقه فهلك. والقيد في رجليه الاثنين فهلك، وذلك في سنة أربع وثمانين./ السير ج4/183، 184.

[3] (?) **عبد الملك بن مروان ابن الحكم** بن أبي العاص بن أمية، الخليفة الفقيه، أبو الوليد الأموي. ولد سنة ست وعشرين. سمع عثمان، وأبا هريرة، وأبا سعيد، وأم سلمة وغيرهم. حدّث عنه عروة، وخالد بن معدان وآخرون. كان عابدا ناسكا بالمدينة. شهد مقتل عثمان وهو ابن عشر، /

المهلب [1] الذي خرج على إبنه بخراسان، وكأبي مسلم[2] صاحب الدعوة الذي خرج عليهم بخراسان أيضا، وكالذين خرجوا على المنصور بالمدينة والبصرة وأمثال هؤلاء.

وغاية هؤلاء إما أن يغلبوا وإما أن يُغلبوا ثم يزول ملكهم فلا يكون لهم عاقبة؛ فإن عبد الله بن علي وأبا مسلم هما اللذان قتلا خلقا كثيرًا، وكلاهما قتله أبو جعفر

السير ج4/246، 247، 248.

1 (?) هو يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، الأمير أبو خالد الأزدي. ولِيَ المشرق بعد أبيه؛ ثم ولي البصرة ثم عزله عمر بن عبد العزيز. ولد في زمن معاوية- رضي الله عنه-سنة ثلاث وخمسين؛ وكان الحجاج قد عزله وعذبه، وله أخبار في السخاء والشجاعة وكان ذا تيه وكبر،قال الإمام الذهبي :قُتل عن تسعٍ وأربعين سنة، ولقد قاتل قتالاً عظيماً، وتفلّلتْ جموعُهُ، فما زال يحمِل بنفسه الألوف، لا لجهاد، بل شجاعة وحمية، حتى ذاق حماه. نعوذ بالله من هذه القتلة الجاهلية/ السير ج4/503، 504، 506.

2 (?) **أبو مسلم الخراساني،** عبد الرحمن بن مسلم وقيل عبد الرحمن بن عثمان بن يسار، وكان قصيراً أسمر جميلاً أعور العين ، لم ير ضاحكاً و لا مازحاً إلا في وقته، وإذا غضب لم يستفزه الغضب، ولا يأتي النساء إلا مرة في السنة ولد سنة مائة، وهو كان صاحب دولة العباسية، ويقال له أمير آل بيت رسول الله ﷺ، قال الخطيب: وكان أبو مسلم فاتكاً ذا رأيٍ وعقل، وتدبير وحزمٍ قتله أ جعفر المنصور بالمدائن)) وهذا بخروجه على أبي جعفر المنصور والتحريض عليه وقُتل معه عدد كبير من المسلمين بِشَرِّ ذلك. قال: ابن جرير: إن أبا مسلم قتل في حروبه مما كان يتعاطاه لأجل دولة بني العباس ستمائة ألف صبراً عن من قتل بغير ذلك، ولما قتله المنصور لُفّ في كساء وهو مُقَطّع إِرباً إرباً/ انظر: البداية والنهاية ج5/ 65-75.

المنصور.[1] وأما أهل الحرة وابن الأشعث وابن المهلب وغيرهم فهُزموا وهزم أصحابهم، فلا أقاموا دينًا ولا أبقوا دنيا. والله تعالى لا يأمر بأمر لا يحصل به صلاح الدين ولا صلاح الدنيا، وإن كان فاعل ذلك من أولياء الله المتقين ››.[2]

وجاء أيضا عن عمرو بن ميمون[3] فقيل لعبد الله بن مسعود وكيف الجماعة؟

فقال: ‹‹يا عمرو بن ميمون : إن جمهور الجماعة هي التي تفارق الجماعة ، إنما الجماعة ما وافق طاعة الله وإن كنت وحدك››[4].

وجاء أيضا عن ابن مسعود رضي الله عنه كان قد أنكر على عثمان رضي الله عنه في التربيع بمنى، ثم أنه صلى خلفه أربعا، فقيل له في ذلك، فقال: ‹‹**الخلاف شر**››[5] [6] .

---

1 (?) **أبو جعفر المنصور هو المنصور** الخليفة أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي الهاشمي المنصور، وأمه سلاّمة البربرية. ولد في سنة خمس وتسعين أو نحوها. ضرب في الآفاق ورأى البلاد وطلب العلم. وكان أسمر طويلا نحيفا مهيبا. وكان فحل بين العباس هيبة وشجاعة، ورأيا وحزماً، ودهاً وجبروتاً، وكان جماعا للمال حريصا تاركا للهو واللعب، كامل العقل، بعيد الغور، حسن المشاركة في الفقه والأدب. أباد جماعة كبارا حتى توطد له الملك/ ودانت له الأمم على ظلم فيه وقوة نفس،ولكنه يرجع إلى صحة إسلام وتدين في الجملة، وتصون وصلاة وخير، مع فصاحة وبلاغة وجلالة. حج مرات/ السير ج7/83، 84، وما بعدها.

2 (?) منهاج السنة ج4/527، 528.

3 (?) **عمرو بن ميمون بن مهران الجزري**، أبو عبد الله وأبو عبد الرحمن سبط سعيد بن جبير: ثقة فاضل، من السادسة، مات سنة سبع وأربعين، وقيل غير ذلك/ تقرير بالتهذيب ص464 ت(5121)

4 (?) السنة للا لكائي ج1/122ح(160.

وكذلك أنس بن مالك رضي الله عنه لما سأله رجل عن وقـت الرمي فأخبره ثم قال : افعل كما يفعل إمامك، والله أعلم[1]

وقد ظهر من أقوال هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم وجوب طاعة الإمام بالمعروف والتمسك بالجماعة والبعد عن الخلاف والفرقة، لما فيه من الشر والفتنة والفساد وضياع الدين والدنيا.

السادس: قال شيخ الإسلام: ((وهذا أبو ذر لما انتهى إلى الربذة[2] ، وقد أقيمت الصلاة، فإذا عبد يؤمهم، فقيل هذا أبو ذر، فذهب يتأخر فقال: ((أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم أن أسمع وأطيع، وإن كان عبدا حبشيا مجدع الأطراف)) [3])) [4]

---

5 (?) سنن أبي داود ج2/ 491 ح(1960) كتاب المناسك باب الصلاة بمنى.و الطبراني في الأوسطج2/368 و مصنف عبد الرزاق ج2/516، والبيهقي في السنن الكبرى ج3/144 عن عبد الرحمن بن يزيد قال: كنا مع عبد الله بن مسعود بجمع فلما دخل مسجد مني فقال: كم صلى أمير المؤمنين ؟ قالوا: أربعاً ، فصلى أربعا، قال فقلنا: ألم تحدثنا أن النبي صلى ركعتين وأبا بكر ركعتين؟ فقال: بلى، وأنا أحدثكموه الآن، ولكن عثمان إمام فما أخالفه، والخلاف شر)).

وعن أيوب عن الزهري: أن عثمان بن عفان أتم الصلاة بمنى من أجل الأعراب لأنهم كثروا عامئذ فصلى بالناس أربعا ليعلمهم أن الصلاة أربعا/ البيهقي في الكبرى ج3/144.

6 (?) مجموع الفتاوى ج23/116 وج24/100.

1 (?) مجموع الفتاوى ج23/116.

2 (?) الربذة بفتح الراء والموحدة بعدها معجمة، موضع بالبادية بين مكة والمدينة/انظر: معجم البلدان ج3/24.

3 (?) صحيح مسلم ص484 ح(1837) كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية.

4 (?) مجموع الفتاوى ج35/13، ومنهاج السنة ج3/381.

وفي رواية: ((أوصاني خليلي أن اسمعوا وأطيعوا؛ ولو كان حبشيا مجدع الأطراف[1] ولفظ البخاري ((ولو لحبشي كأن رأسه زبيبة))[2] .

الأثر السابع: ما روي عن حذيفة بن اليمان [3] رضي الله عنه أنه قيل له: ألا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟

قال رضي الله عنه: ((إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لحسن، ولكن ليس من السنة أن ترفع السلاح على إمامك))[4]

وقد روي عن الصحابة رضي الله عنهم من الآثار ما لا يمكن حصرها في هذا الموضع، ولكن المقصود بيان أنهم كانوا من أشد الناس تمسكا بالجماعة، وبعدًا عن الفرقة وأسبابها، بل كانوا يأمرون بطاعة الإمام والصبر على جوره، ولزوم الجماعة، وينهون عن الخروج على الأئمة، وقتالهم بالسيف ونحوه طاعةً لله وتمسكاً بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

((وخيار هذه الأمة هم الصحابة، فلم يكن في الأمة أعظم اجتماعًا على الهدى ودين الحق ولا أبعد عن

---

[1] (?) مجدع الأطراف: مقطّع الأطراف، والجدع بالدال المهملة القطع، و المجدع أَرْدَأ العبيد لخِسته وقلّة قيمته ومنفعته و نفرة الناس منه./شرح صحيح مسلم للنووي ج5/127.

[2] (?) صحيح سنن ابن ماجه ج2/955ح(2862).

[3] (?) **حذيفة بن اليمان** من نجباء أصحاب محمد ﷺ. وهو صاحب السر، قال الواقدي: آخى رسول الله ﷺ بين حذيفة وعماراً. وهو صاحب سر رسول الله ﷺ. قال ابن سعد: مات حذيفة بالمدائن بعد عثمان وله عقب، وقد شهد أخوه صفوان بن اليمان أحداً./ السير ج2/361، 362، وما بعدها.

[4] (?) أخرجه البيهقي في الجامع لشعب الإيمان ج13/182، 183. ونعيم حماد المروزي في كتاب الفتن ج1/153. مكتبة التوحيد- القاهرة. 1412هـ ط:1. وأبو عمر عثمان الداني في السنن الواردة في الفتن ج2/391 رقم(133).

التفرق والاختلاف منهم، وكل ما يذكر عنهم مما فيه نقص، فهذا إذا قيس إلى ما يوجد في غيرهم من الأمة، كان قليلا من كثير، وإذا قِيسَ ما يوجد في الأمة إلى ما يوجد في سائر الأمم كان قليلا من كثير، وإنما يغلط أنه ينظر إلى السواد القليل في الثوب الأبيض، ولا ينظر إلى الثوب الأسود الذي فيه بياض وهذا من الجهل والظلم، بل يوزن هؤلاء بنظرائهم، فينظر الفضل والرجحان)).[1]

قال: ((وهذا كله مما يبين أن مما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم من الصبر على جور الأئمة وترك قتالهم والخروج عليهم هو أصلح الأمور للعباد في المعاش والمعاد، وأن من خالف ذلك متعمدا أو مخطئا لم يحصل بفعله صلاح، بل فساد، ولهذا أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على الحسن بقوله: ((إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين))[2]، ولم يثن على أحد لا بقتال في فتنة، ولا بخروج على الأئمة، ولا نزع يد من طاعة ،ولا مفارقة للجماعة)).[3]

((فقد جعل الرسول المحذور هو الخروج عن السلطان، ومفارقة الجماعة، وأمر بالصبر على ما يكره من الأمير، لم يخص بذلك سلطانا معينا، ولا أميرا معينا، ولا جماعـة معينة))[4].

---

1 (?) منهاج السنة ج6/367.

2 (?) صحيح البخاري مع الفتح ج13/66 ح(7109) كتاب الفتن باب قول النبي للحسن بن علي((إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين الفئتين من المسلمين)).

3 (?) منهاج السنة ج4/531.

4 (?) منهاج السنة ج1/556.

المطلب الثاني: آثار عن التابعين ومن بعدهم من الأئمة في الحث على الجماعة

جاءت آثار كثيرة عن التابعين رحمهم الله في الحث على الجماعة والائتلاف، وبيان أهمية الصبر والسمع والطاعة لولاة الأمر في تحقيق مصالح الدين والدنيا، برًا كان أو أو ظلمة، والتحذير من الفرقة والخروج على الولاة وما ينتج عن ذلك من الفساد والشر العظيم.

ويقرر شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الموضع أن للسلف من التابعين وغيرهم جهوداً كبيرة في الأمر بلزوم الجماعة، والصبر على جور الأئمة، والسمع والطاعة لولاة أمر المسلمين، وترك الخروج عليهم بقتال أو نحوه، والتمسك بهدي النبي صلى الله عليه وسلم، وبما كان عليه سلف الأمة من الصحابة، من الاجتماع على الحق والدعوة إليه، وبيان أن كلمة الأمة لن تتوحد إلا بما توحدت بها في أولها كما قال الإمام مالك –رحمه الله-: ((**لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها**))[1].

قال شيخ الإسـلام ابن تيمية –رحمه الله- :

((وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون يسوسون الناس في دينهم ودنياهم، ثم بعد ذلك تفرقت الأمور، فصار أمراء الحرب يسوسون الناس في أمر الدنيا والدين الظاهر، وشيوخ العلم والدين يسوسون الناس فيما يرجع إليهم فيه من العلم والدين، وهؤلاء أولو أمر تجب طاعتهم فيما يأمرون به من طاعة الله التي هم أولوا أمرها، من الملوك ونوابهم وبأهل العلم والدين الذين يعلمون الناس دينهم، ويأمرونهم بطاعة الله، فإن قوام الدين بالكتاب الهادي والحديد الناصر))[2].

---

1 (?) انظر هذا الأثر في مجموع الفتاوى ج20/375.

2 (?) مجموع الفتاوى ج11/551. وج82/ 264، 396.

وقد دلت الآثار عن التابعين وغير هم من الأئمة على هذا الأمر ويظهر ذلك جلياًّ في الآثار الآتية:

الأثر الأول: عن مطرف بن عبد الله[1] قال سمعت مالك بن أنس إذا ذكر عنده من يدفع أحاديث الصفات يقول: قال عمر بن عبد العزيز: سنَّ رســـول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله، ليس لأحد من خلق الله تعالى تغييرها، ولا النظر في شيء خالفها من اهتدى بها فهو مهتد ومن استنصر بها فهو منصور، ومـن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا))[2] [3] .

هذا الأثر فيه الحث على الجماعة وذلك بلزوم طاعة ولاة أمور المسلمين فيما سَنُّوه للمسلمين، و تتحقق بها مصالح الدين والدنيا، فهذا يجب الأخذ بها وطاعتهم فيها.

الأثر الثاني: ما جاء في كتاب " الفقه الأكبر" المشهور عند أصحاب أبي حنيفة –رحمه الله الذي رووه بالإسناد عن أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي[4] قال:

---

1 (?) **مطرف بن عبد الله بن الشخير**، بكسر الشين المعجمة وتشديد المعجمة المكسورة بعدها تحتانية ساكنة ثم راء: العامري، الحرشي، بمهلتين مفتوحتين ثم معجمة، أبو عبد الله البصري: ثقة عابد فاضل، من الثانية، مات سنة خمس وتسعين/ تقريب التهذيب ص466 ت(6706).

2 (?) حلية الأولياء ج6/ 324 والسنة لعبد الله بن إمام أحمد ص357.

3 (?) مجموع الفتاوى ج4/108 وج5/40 وج28/561.

4 (?) **الحكم بن عبد الله أبو مطيع البلخي** يروي عن الثوري وحماد بن سلمة روى عنه أهل بلده كان من رؤساء المرجئة ممن يبغض السنن ومنتحليها، وهو الذي روى عن حماد بن سلمة عن أبي المهزم عن أبي هريرة: أن وفد ثقيف جاءوا النبي ﷺ فسألوه عن الإيمان هل يزيد أو ينقص فقال لا زيادته كفر ونقصانه شرك)) فيما يشبه هذا الذي ينكره من جالس أهل العلم، فكيف الممعن في الصناعة.

سألت أبا حنيفة عن الفقه الأكبر فقال: ((لا تكفرنَّ أحدًا بذنب، ولا تنف أحدًا به من الإيمان، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولا تتبرأ من أحد من أصحاب رسول الله، ولا توال أحدا دون أحد، وأن ترد أمر عثمان وعلي إلى الله عز وجل.

قال[1] قلت: **فما تقول فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيتبعه على ذلك أناس، فيخرج على الجماعة هل ترى ذلك**؟

قال: [2] **((لا)). قلت: ولم وقد أمر الله ورسوله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو فريضة واجبة ؟**

قال: ((هو كذلك، لكن ما يفسدون أكثر مما يصلحون :من سفك الدماء، واستحلال الحرام)) قال: وذكر الكلام في قتل الخوارج والبغاة))[3]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((ولهذا لا يجوز إنكار المنكر بما هو أنكر منه، ولهذا حرم الخروج على

قال النضر بن شميل: قال أبو مطيع البلخي: ((نزل الإسلام والإيمان في القرآن على وجهين وهو عندي على وجه واحد)) قال النضر فقلت له: فممن ترى الغلط منك أو من النبي صلى الله عليه وسلم أو من جبريل عليه السلام أو من الله عز و جل .. /**المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين** لمحمد بن حيان بن أحمد بن أبي حاتم التميمي البستي ج1/250/ . دار النشر: دار الوعي. حلب_ 1396هـ. ط:1، تحقيق : محمود إبراهيم زايد. /**والجرح والتعديل** لعبد الرحمن بن أبي حاتم ج3/121. دار إحياء لتراث العربي, بيروت_1271_1952.

1 (?) أي أبو مطيع الحكم بن عبد الله.

2 (?) أي أبو حنيفة رحمه الله.

3 (?) مجموع الفتاوى ج5/46، 47. وانظر الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة ص 76، 108.- مكتبة الفرقان- عجمان-1999م .ط:1. تحقيق د. محمد عبد الرحمن الخميس.

ولاة الأمر بالسيف**؛** لأجل الأمر بالمعروف والنهي بالمنكر؛ لأن ما يحصل بذلك من فعل المحرمات، وترك واجب أعظم مما يحصل بفعلهم المنكر والذنوب، وإذا كان قوم على بدعة أو فجور، ولو نهوا عن ذلك وقع بسبب ذلك شر أعظم مما هم عليه من ذلك، ولم يمكن منعهم منه، لم يحصل بالنهي مصلحة راجحة، لم ينهوا عنه.

بخلاف ما أمر الله به الأنبياء وأتباعهم من دعوة الخلق، فإن دعوتهم يحصل بها مصلحة على مفسدتها» [1].

فقد نهى الإمام أبو حنيفة – رحمه الله- عن الخروج على جماعة المسلمين وإمامهم بالسيف أو نحوه، بدعوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن ذلك لا يؤدي إلى معروف يشكر، ولا يحقق مصلحة دنيا ولا دين، بل الخير والمعروف في لزوم الجماعة والسمع والطاعة، والصبر على ظلم الولاة وجورهم، ومحبة جميع المؤمنين وموالاتهم في الدين كما وضحه شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-.

الأثر الثالث: **ما جاء عن الإمام الشافعي – رحمه الله- في بيان المراد بلزوم جماعة المسلمين لما سئل قيل له :**

فما معنى أمر النبي بلزوم جماعتهم ؟

قال: لا معنى له إلا واحد

قيل: فكيف لا يحتمل إلا واحداً ؟

قال: « إذا كانت جماعتهم متفرقة في البلدان، فلا يقدر أحدٌ أن يلزم جماعةَ أبدانِ قومٍ متفرقين، وقد وُجِدَت الأبدان تكون مجتمعة من المسلمين، والكافرين، والأتقياء، والفُجَّار، فلم يكن في لزوم الأبدان معنى، لأنه لا يمكن، ولأن اجتماع الأبدان لا يصنع شيئاً، فلم يكن

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج14/472.

للزوم جماعتهم معنى، إلا ما عليه جماعتهم من التحليل والتحريم والطاعة فيهما.

ومن قال بما تقول به جماعةُ المسلمين فقد لزم جماعتهم، ومن خالف ما تقول به جماعةُ المسلمين فقد خالف جماعتهم التي أُمِرَ بلزومها؛ وإنما تكون الغفلة في الفُرقة، فأما الجماعة فلا يمكن فيها كافة غفلة عن معنى كتاب ولا سنة ولا قياس إن شاء الله)) [1] .

قال شيخ لإسلام ابن تيمية في موضع آخر:

((فانظر خضوع هؤلاء للصحابة وتعظيمهم لعقلهم وعملهم، حتى أنه لا يجترئ الواحد منهم أن يخالف الواحد من الصحابة، إلا أن يكون قد خالفه صاحب آخر، ولهذا أحسن الشافعي-رحمه الله-في قوله : هم فوقنا في كل علم، وفقه ودين وهدى، وفي كل سبب ينال به علم وهدى، ورأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا ومن أدركنا ممن يرضي أو حكي لنا عنه ببلدنا.. وهكذا نقول ولم نخرج عن أقاويلهم، وإن قال أحدهم ولم يخالفه غيره أخذنا بقوله)) [2].

الأثر الرابع: ما ورد عن الإمام أحمد –رحمه الله-

---

1 (?) الرسالة للإمام الشافعي رحمه الله ص475، 476.

2 (?) منهاج السنةج6/81 ودرء تعارض العقل والنقل ج2/355 وإعلام الموقعين لابن القيم ج1/80. دارا لجيل، بيروت: 1973، تحقيق طه عبد الرءوف سعد.

أ- ذكر الإمام حرب بن إسماعيل الكرماني [1] - رحمه الله- في عقيدته المشهورة[2] :

قال: قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل: ((هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروقها المعروفين بها، المقتدى بهم فيها، من لدن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها، فمن خالف شيئا من هذه المذاهب، أو طعن فيها، أو عاب قائلها، فهو مبتدع خارج من الجماعة، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق.

.. والجهاد ماض قائم مع الأئمة بروا أو فجروا، لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل، والجمعة والعيدان والحج مع السلطان، وإن لم يكونوا بررة، ولا أتقياء، ولا عدولا، ودفع الصدقات والخراج والأعشار والفيء والغنائم إلى الأمراء ، عدلوا فيها أم جاروا والانقياد إلى من ولاه الله أمركم، لا تنزعوا يدا من طاعته، ولا تخرج عليه بسيفك، حتى يجعل الله لك فرجًا ومخرجًا، ولا تخرج على السلطان، وتسمع وتطيع، ولا تنكث بيعة، فمن فعل ذلك فهو مبتدع، مخالف مفارق للجماعة، وإن

---

[1] (?) **الإمام العلامة، أبو محمد، حرب بن إسماعيل الكرماني**، الفقيه تلميذ أحمد بن حنبل. رحل في طلب العلم. وأخذ عن: أبي الوليد الطيالسي، وأبي بكر الحميدي، وأبي عبيد، وسعيد بن منصور، وروى عنه: القاسم بن محمد الكرماني، نزيل طرطوس، وعبد الله بن إسحاق النهاوندي، وآخرون. قال الخلال: كان رجلاً جليلاً، حثني المروزي على الخروج إليه. قيد تاريخ وفاته عبد الباقي بن قانع، في سنة ثمانين ومئتين./ السير ج13/244، 245.

[2] (?) قال شيخ الإسلام ابن تيمية : هو كتاب كبير صنفه على طريقة ((الموطأ)) ونحوه من المصنفات ،وقد نقلها عن أحمد وإسحاق وغيرهما.../ انظر درء تعارض العقل والنقل ج 1/249. دار الكنوز الأدبية الرياض:1391 تحقيق محمد رشاد سالم.

أمرك السلطان بأمر هو لله معصية، فليس لك أن تطيعه البتة، وليس لك أن تخرج عليه، ولا تمنعه حقه .

والإمساك في الفتنة سنة ماضية واجب لزومها، فإن ابتليت فقدِّم نفسك دون دينك، ولا تُعِنْ على الفتنة بيدك ولا لسان، ولكن اكففْ يدك، ولسانك، وهواك، والله المعين)) [1] .

ب- وفي موضع آخر قال أبو الحارث[2] سألت أبا عبد الله في أمر كان حدث ببغداد، وهمّ قوم بالخروج، فقلت : يا أبا عبد الله ما تقول في الخروج مع هؤلاء؟

فأنكر ذلك عليهم، وجعل يقول: **سبحان الله الدماء الدماء**، لا أرى ذلك، ولا آمر به. الصبر على ما نحن فيه خير من الفتنة، يسفك فيها الدماء، ويستباح فيها الأعراض، وينتهك فيها المحارم، أما علمت ما كان الناس فيه(يعني أيام الفتنة)؟ قلت: والناس اليوم، أليس هم في فتنة يا أبا عبد الله؟ قال : وإن كان فإنما هي فتنة خاصة، فإذا وقع السيف عمت الفتنة، وانقطعت السبل، الصبر على هذا ويسلم لك دينك خير لك)) [3] .

---

1 (?) انظر : طبقات الحنابلة ج2/246 ودرء تعارض العقل والنقل ج1/249 واقتضاء الصراط المستقيم ج1/420 وتلبيس الجهمية ج1/429 اختصره . وانظر: الأثر كاملا في حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص288.دار الكتب العلمية- بيروت.والمدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل لعبد القادر الدمشقي ص86 ط:2= 1401 تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي.

2 (?) أحمد بن محمد أبو الحارث الصائغ ذكره أبو بكرالخلال فقال كان أبو عبدالله يأنس به وكان يقدمه ويكرمه وكان عنده بموضع جليل وروى عن أبي عبدالله مسائل كثيرة بضعة عشرجزءا وجود الرواية عن أبي عبدالله / انظر: طبقات الحنابلة ج 1 /74

3 (?) السنة للخلال ج1/132، 133 رقم(89).

وفي موضع آخر ذكر علي بن عيسى[1] فقال: سمعت حنبل[2] يقول:

في ولاية الواثق[3] اجتمع فقهاء بغداد إلى أبي عبد الله فقالوا يا أبا عبد الله هذا الأمر قد تفاقم وفشا- يعنون إظهاره بخلق القرآن وغير ذلك-، فقال لهم أبو عبد الله: فما تريدون؟ قالوا: أن نشاورك في أمرنا لسنا نرضى بإمرته، ولا سلطانه، فناظرهم أبو عبد الله ساعة، وقال لهم: عليكم بالنكرة بقلوبكم، ولا تخلعوا يدا من الطاعة، ولا تشقوا عصا المسلمين، ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم، انظروا في عاقبة أمركم، واصبروا حتى يستريح بر، أو يستراح من فاجر)).[4]

وجاء أيضا عن أحمد في رسالة عبدوس بن مالك[5] العطار أنه قال: ((أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

1 (?) **علي بن عيسى بن** الوليد لم أقف عليه.

2 (?) **حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال بن أسد**: الإمام، الحافظ، المحدث الصدوق/ المصنف، أبو علي الشيباني، ابن عم الإمام أحمد/ وتلميذه. ولد قبل المئتين. وسمع: محمد بن عبد الله الأنصاري، وسليمان بن حرب، وأبا نعيم وخلقًا كثيراً. قال الخطيب: كان ثقة ثبت.ومات في سنة ثلاث وخمسين ومئتين، وله ثنتان وتسعون سنة/ السير ج 13/51، 52.

3 (?) هو الواثق أبو جعفر، وأبو القاسم هارون بن المعتصم بالله أبي إسحاق محمد، بن هارون الرشيد بن المهدي محمد، بن المنصور العباسي البغدادي، وأمه رومية اسمها((قراطيس)) أدركت خلافته. ولي الأمر بعهدٍ من أبيه في سنة227هـ. وكان مولده في شعبان سنة ست وتسعين ومئة. قال يحيى بن أكثم: ما أحسن أحد إلى الطالبيين ما أحسن إليهم الواثق، ما مات وفيهم فقير.كانت خلافته خمس سنين ونصفًا، مات بسامرا لستٍّ بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومئتين، / السير ج10/ 306، 307، 314.

4 (?) السنة للخلال ج1/133، 134.

إلى أن قال: من ولي الخلافة فأجمع عليه الناس ورضوا به ، ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة، وسمي أمير المؤمنين، فدفع الصدقات إليه جائز برًا كان أو فاجرا))[1].

قال: ((**ولم يكفر الإمام أحمد أعيان الجهمية، ولا كل من وافق الجهمية في بعض بدعهم**، بل صلى خلف الجهمية الذين دعوا إلى قولهم، وامتحنوا الناس، وعاقبوا من لم يوافقهم بالعقوبات الغليظة، لم يكفرهم أحمد وأمثاله، بل كان يعتقد إيمانهم، وإمامتهم، ويدعو لهم، ويرى الإئتمام بهم في الصلوات خلفهم، والغزو معهم، والمنع من الخروج عليهم ما يراه لأمثالهم من الأئمة، **و ينكر ما أحدثوا من القول الباطل الذي هو كفر عظيم، وإن لم يعلموا هم أنه كفر، وكان ينكره، ويجاهدهم على رده بحسب الإمكان**، فيجمع بين طاعة الله ورسوله في إظهار السنة والدين، وإنكار بدع الجهمية الملحدين، وبين رعاية حقوق المؤمنين من الأئمة، والأمة، وإن كانوا جُهَّالاً مبتدعين، وظلمة فاسقين.

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن القتال في الفتنة، وكان ذلك من أصول السنة، وهذا مذهب أهل السنة والحديث، وأئمة أهل المدينة من فقهائهم وغيرهم))[2]

---

[5] (?) هو الحافظ الكبير، أبو محمد عبد الله بن محمد بن مالك النيسابوري، نزيل سمرقند، وروى عنه محمد بن محمد **بن نصر المروزي**، وعمر بن محمد بن بجير، وسهل بن شاذويه، وغيرهم. قال عمرو محمد بن إسحاق بن جبلة السمرقندي: ما ت في سنة اثنتين وثمانين و مئتين. وقال غيره: مات في شعبان، سنة ثلاث وثمانين و مئتين، رحمه الله/ السير ج14/11 ، 12.

[1] (?) انظر : المدخل إلى مذهب الإمام أحمد/ لعبد القادر بدران الدمشقي ج1/87. – مؤسسة الرسالة – بيروت – 1401هـ ط:2.منهاج السنة ج 529.

[2] (?) منهاج السنة ج7/ 507، 508، وكتاب الاستقامة ج1/32.

مع ابتلاء إمام أحمد وامتحانهم إياه هو ومن معه بالضرب والحبس مع ذلك لم يخرج على الولاة ؛ بل أمر -رحمه الله- بالسمع والطاعة، ولزوم الجماعة، والكف عن القتال في الفتنة، والخروج على الولاة بسيف أو نحوه، لما في ذلك من شر سفك الدماء وانتهاك الأعراض وتعطيل المصالح وغير ذلك، ولم يحرض الناس على القتال والخروج ، لكما أنه لم يكفر أحدًا منهم بعينه، وأمر بالجهاد معهم والصلاة خلفهم وهذا من حرصه على الجماعة وكفه عن إراقة دما المسلمين- رحمه الله.

و يبين أن الإمام أحمد – رحمه الله- كان ينكر على من خرج السلطان ويحذر من ذلك ولم يرخص لأحد للخروج على الحكام كما شاء.

الأثر الخامس: **قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله-:** ((وما أحسن ما جاء عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة [1] أنه قال: ((عليك بلزوم السنة، فإنها لك بإذن الله عصمة، فإن السنة إنما جعلت ليستن بها ويقتصر عليها، وإنما سنها من قد علم ما في خلافها من الزلل والخطأ والحمق والتعمق، فارض لنفسك بما رضوا به لأنفسهم، فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، ولهم كانوا على كشفها أقوى وبتفصيلها لوكان فيها أحرى، وإنهم لهم السابقون، قد بلغهم عن نبيهم ما يجري من الاختلاف بعد القرون الثلاثة، فلئن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه، ولئن قلتم حدثٌ حدثَ بعدهم ، فما أحدثه إلاّ من اتبع غير سبيلهم، ورغب بنفسه عنهم، واختار ما نحته فكره على ما تلقوه عن نبيهم، وتلقاه عنهم من اتبعهم بإحسان.

---

[1] (?) **عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون** بكسر الجيم بعدها معجمة مضمومة، المدني، نزيل بغداد، مولى آل الهذير: ثقة فقيه مصنف، من السابعة، مات سنة أربع وستين/ تقريب التهذيب ص298ت(4104).

ولقد وصفوا منه ما يكفي، وتكلموا منه بما يشفي ، فمن دونهم مقصر، ومن فوقهم مفرط، ولقد قصر دونهم أناس فجفوا، وطمح آخرون فغلوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم)) [1].

الأثر السادس: عن قتادة [2] قال : قال رجل لعامر بن قيس [3] وهو بمرضه أوص، قال : بما أوصي مالي مال، فأوصي منه ولا يَدٌ عند سلطان ،فأوصيه، ولكن أوصيك بتقوى الله وأن تسمع وتطيع من ولى الله أمر المسلمين)) [4]

[1] (?) انظر: الإبانة لابن بطة ج2/248 وذم التأويل لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ج1/33. ومجموع الفتوى ج4/7-8.

[2] (?)**هو أبو الخطاب قتادة ابن دعامة السدوسي البصري**، كان من علماء التابعين، يقال إنه أول من لقب المعتزلة بهذا اللقب، وكان يرمى بالقدر، قال أبو عمرو بن العلاء: ((حسبك قتادة لولا كلامه في القدر لما عدلت به أحداً من أهل عصره)) ولد سنة117هـ بواسط انظر: وفيات الأعيان 4/ 85.

[3] (?) **عامر بن قيس القدوة الزاهد أبو عبد الله**، ويقال: أبو عمرو التميمي، العنبري، البصري. روى عن عمر وسليمان. وعنه : الحسن،ومحمد بن سيرين، وأبو عبد الرحمن الحبلي وغيرهم. همام: عن قتادة قال: كان عامر بن عبد قيس يسأل ربه أن ينزع شهوة النساء من قلبه . وقال قتادة أيضا: لما احتُضر عامر بكى، فقيل: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي جزعاً من الموت، ولا حرصاً على الدنيا، ولكن أبكي على ظمأ الهواجر، وقيام الليل . وقيل توفي في زمن معاوية/ السير ج4/15، 16، 19.

[4] (?) البيهقي في الكبرى ج5/264والمصنف لعبد الرزاق ج 11/335، رقم(20698).

الأثر السابع: **ما جاء عن أبي الحسن الأشعري- رحمه الله- في كتابه ((الإبانة)):**

قولنا الذي به نقول وديانتنا التي بها ندين: التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان عليه أحمد بن حنبل- نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته- قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون، لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل ،الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدم وكبير مفهم وعلى جميع أئمة المسلمين.

ومن ديننا: أن نصلي الجمعة والأعياد خلف كل بر وفاجر، وسائر الصلوات والجماعات، كما روي عن عبد الله بن عمر أنه كان يصلي خلف الحجاج، ونرى الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، والإقرار بإمامتهم، وتضليل من رأى الخروج عليهم، إذا ظهر منهم ترك الاستقامة، وندين بترك الخروج عليهم بالسيف، وترك القتال في الفتنة)).[1]

فهذه الأصول العظيمة من أبي الحسن الأشعري، قد ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع عديدة

[1] (?) كتاب الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري ص 20. ومجموع الفتاوى ج5/141، والفتاوى الكبرى ج6/ 655، وبيان تلبيس الجهمية ج1/422 ودرء تعارض العقل والنقل ج 2/328 وج3/344.

من كتبه ، لما فيها من بيان عقيدة أهل السنة والجماعة فيما يجب اعتقاده من أسماء الله وصفاته الواردة في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وفي أصحابه الكرام الذين هم خير القرون ،وفيما يجب من السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين ونوابهم،والصلاة خلفهم، والجهاد معهم والدعاء لهم بالتوفيق والسداد ،وموالاة جميع المؤمنين وخاصة علماءهم وغير ذلك.

نختم هذا الفصل العظيم بهذا الكلام النفيس عن شيخ الإسلام ابن تيمية عسى أن يعيننا أكثر في فهم ما سبق ذكره إن شاء الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

((ومن تأمل الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب، واعتبر أيضا اعتبار أولي الأبصار، علم أن الذي جاءت به النصوص النبوية خير الأمور، وتبين له أنه لم يكن في الخروج مصلحة دين ولا مصلحة دنيا، بل شر كله

وعامة ما تنازعت فيه فرقة المؤمنين من مسائل الأصول وغيرها في باب الصفات والقدر والإمامة وغير ذلك، هو من هذا الباب فيه المجتهد المصيب، وفيه المجتهد المخطئ، ويكون المخطئ باغيا، وفيه الباغي من غير اجتهاد، وفيه المقصر فيما أمر به من الصبر، وكل ما أوجب فتنة وفرقة فليس من الدين، سواء كان قولا أو فعلا، ولكن المصيب العادل عليه أن يصبر عن الفتنة، ويصبر على جهل الجهول وظلمه، إن كان غير متأول، وأما إن كان ذاك أيضا متأولاً، فخطؤه مغفور له، وهو فيما يصيب به من أذًى بقوله أو فعله له أجرٌ على اجتهاده، وخطؤه مغفور له، وذلك محنةٌ وابتلاءٌ في حق ذلك المظلوم.

فإذا صبر على ذلك واتقى الله ، كانت العاقبة له، كما قال تعالى : (**وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم**

كيدهم شيئا)[1] وقال تعالى: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﭼ.

فأمر سبحانه بالصبر على أذى المشركين وأهل الكتاب مع التقوى، وذلك تنبيه على الصبر على أذى المؤمنين بعضهم لبعض متأولين كانوا أو غير متأولين.

وقد قال سبحانه ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ.

فنهى أن يحمل المؤمنين بغضهم للكفار على ألا يعدلوا عليهم، فكيف إذا كان البغض لفاسق، أو مبتدع متأول، من أهل الإيمان، فهو أولى أن يجب عليه ألا يحمله ذلك على ألا يعدل على مؤمن وإن كان ظالما له.

فهذا موضع عظيم المنفعة في الدين والدنيا، فإن الشيطان موكل ببني آدم وهو يعرض للجميع ولا يسلم أحد من مثل هذه الأمور، دع ما سواها من نوع تقصير في مأمور، أو فعل محظور باجتهاد، أو غير اجتهاد، وإن كان هو الحق.

وقال سبحانه لنبيه ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ[2]

فأمره بالصبر وأخبره أن وعد الله حق وأمره أن يستغفر لذنبه.

ولا تقع فتنة إلا من ترك ما أمر الله به، فإنه سبحانه أمر بالحق، وأمر بالصبر فالفتنة، إما من ترك الحق، وإما من ترك الصبر.

وإنما يقع المظلوم في هذا لجزعه، وضعف صبره، أو لقلة علمه، وضعف رأيه، فإنه قد يحجب أن القتال ونحوه من الفتن يدفع الظلم عنه، ولا يعلم أنه يضاعف الشر كما هو الواقع، وقد يكون جزعه يمنعه من الصبر.

والله سبحانه وصف الأئمة بالصبر واليقين فقال ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ وقال ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭼ[3]

---

[1] (?) آل عمران (120).

[2] (?) غافر (55)

[3] (?) العصر(3)

وذلك أن المظلوم وإن كان مأذونا له في دفع الظلم عنه بقوله ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ[1] فذلك مشروط بشرطين

أحدهما : القدرة على ذلك.

والثاني: ألا يَعتَدِى.

فإذا كان عاجزا، أو كان الانتصار يفضى إلى عدوان زائد، لم يجز.

وهذا هو أصل النهي عن الفتنة؛ فكان إذا كان المنتصر عاجزًا، وانتصاره فيه عدوان، فهذا هذا.

ومع ذلك فيجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب إظهار السنة والشريعة، والنهي عن البدعة والضلالة بحسب الإمكان، كما دل على وجوب ذلك الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

وكثير من الناس قد يرى تعارض الشريعة في ذلك فيرى أن الأمر والنهي لا يقوم إلا بفتنة، فإما أن يؤمر بهما جميعا، أو ينهى عنهما جميعا وليس كذلك، بل يؤمر وينهى ويصبر عن الفتنة، كما قال تعالى ﭽ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭼ[2]

وقال عبادة بايعنا رسول الله عليه وسلم على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا وأثرة علينا وألا ننازع الأمر أهله وأن نقوم أو نقول بالحق حيث ما كُنَّا لا نخاف في الله لومة لائم))[3] فأمرهم بالطاعة ونهاهم عن منازعة الأمر أهله وأمرهم بالقيام بالحق.

وإنما المقصود هنا : التنبيه على وجه تلازمهما موالاة المفترقَيْن، وإن كان كلاهما فيه بدعة وفرقة، أو كانوا مؤمنين، فيوالون بإيمانهم، ويترك ما ليس من الإيمان من بدعة وفرقة، فإن البدعة ما لم يشرعه الله

---

1 (?) الشورى آية(41)

2 (?) لقمان آية(17).

3 (?) تقدم تخريجه.

من الدين، فكل من دان بشي لم يشرعه الله فذاك بدعة، وإن كان متأولا فيه.

وهذا موجود من جميع أهل التأويل المفترقين من الأوَّلين والآخرين؛ فإنهم إذا رأوْا ما فعلوا مأمورا به ولم يكن كذلك، فليس ما فعلوه سنة، بل هو بدعةٌ متأولةٌ مجتهدٌ فيها من المنافقين، سواء كانت في الدنيا أو في الدين))[1].

فهذه جملة من آثار التابعين، وتلك آيات الكتاب وأحاديث نبوية عظيمة تبين ضرورة التمسك بالجماعة عقيدةً، ومنهجًا وسلوكًا ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من علماء السلف في كتبهم ودونوها في بطون مصنفاتهم، ليرجع إليها كل مسلم يريد الحق والدعوة إليه، وجمع كلمة الأمة عليها ، فبها اجتمعت في صدر الأول، وبها تآلفت، وبها تناصرت، وبها تحابت، وبها صاروا كلهم عباد الله إخوانا عزيزين محترمين ،كما سيأتي بيان ذلك أكثر عند ذكر أسباب الجماعة في الأبواب القادمة إن شاء الله.

[1] (?) منهاج السنةج4/530، والاستقامة ج/36، 37، 38، 39، 40، 41، 42،

الفصل الثاني: جهوده في بيان أسباب الجماعة وأثر ذلك

فيه مبحثان:

المبحث الأول : جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان الأسباب المؤدية للجماعة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : بيان أن تحيق توحيد الله من أعظم أسباب الاجتماع والائتلاف.

المطلب الثاني : الاعتصام بالكتاب والسنة وأهميته في الجماعة.

المطلب الثالث : التمسك بهدي سلف هذه الأمة وأثره في الجماعة.

- المبحث الأول: جهــود شــيخ الإســلام ابن تيمية في بيان الأسباب المؤدية للجماعة

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: بيان أن تحقيق توحيد الله من أعظم أسباب الاجتماع والائتلاف

قرر شيخ الإسلام ابن تيمية في أكثر من موضع أن من موجبات الجماعة تحقيق التوحيد بل أكّد أن تحقيق التوحيد لله تعالى من أعظم الأسباب المؤدية للجماعة والائتلاف، وإذا تحقق هذا الأصل في النفوس يترتب آثارها في الجوارح وتحابتْ القلوب وتراحمت وتآلفت وتماسكت في الله.

وبيّن أنَّ هذه الأمـة لا تجتمع إلا على الحق؛ وهو تحقيق معنى الشهادتين، وهو إخلاص العبادة لله وحده، وصرف جميع العبادات كلها لله تعالى، فهي أمة التّوحيد لا تجتمع على عقائد مختلفة وعبادات متباينة ومتضادة .

وقد قرّر شيخ الإسـلام ابن تيمية- رحمه الله- هذا بالأمور الآتية:

1- أن تحقيق التوحيد هو أول دعوة الرسل عليهم السلام لأقوامهم، واتفقت عليها أصولهم.

وهذا مما يبين أهميته في تحقيق السعادة وأنه أول لبنة في بناء أي مجتمع صالح متماسك ومتعاون على البر والتقوى.

قال شيخ الإسـلام : ((**فأصل الصـلاح**: التوحيد والإيمان، **وأصل الفساد**: الشرك والكفر. كما قال عن المنافقين: ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﭼ[1].

وذلك أن صلاح كل شيء أن يكون بحيث يحصل له وبه المقصود الذي يراد منه؛ ولهذا يقول الفقهاء: العقد الصحيح ما ترتب عليه أثره وحصل به مقصوده. والفاسد

---

[1] (?) البقرة آية: (11-12).

ما لم يترتب عليه أثره ولم يحصل به مقصود، والصحيح المقابل للفاسد في اصطلاحهم هو الصالح.

والله تعالى إنما خلق الإنسان لعبادته، وبدنه تبع لقلبه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: ((ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد. وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهى القلب))[1] .

وصلاح القلب: في أن يحصل له و به المقصود الذي خلق له من معرفة الله ومحبته وتعظيمه، وفساده في ضد ذلك. فلا صلاح للقلوب بدون ذلك قط.

فإذا خرج القلب عن الحال الفطرية التي يولد عليها كل مولود وهي أن يكون مقرًا لربه، مريدًا له، فيكون هو منتهى قصده وإرادته، وذلك هي العبادة؛ إذ العبادة: كمال الحب بكمال الذل، فمتى قوي علم القلب وذكره أوجب قصده وعلمه. و المؤمن أكبر همّه هو الله، وإليه انتهى علمه وذكره.

وإذا كان التوحيد أصل صلاح الناس والإشراك أصل فسادهم، والقسط مقرون بالتوحيد؛ إذ التوحيد أصل العدل؛ وإرادة العلو مقرونة بالفساد؛ إذ هو أصل الظلم، فهذا مع هذا وهذا مع هذا كالملزومين في قرن، فالتوحيد وما يتبعه من الحسنات هو صلاح وعدل، ولهذا كان الرجل الصالح هو القائم بالواجبات؛ وهو البر؛ وهو العدل، والذنوب التي فيها تفريط أو عدوان في حقوق الله تعالى وحقوق عباده هي فساد وظلم؛ سمي قطاع الطريق مفسدين وكانت عقوبتهم حقًا لله تعالى؛ لاجتماع الوصفين، والذي يريد العلو على غيره من أبناء جنسه هو ظالمٍ له باغٍ؛ إذ ليس كونك عاليا عليه بأولى من كونه عاليا عليك وكلاكما من

---

1 (?) صحيح مسلم ص45 ح(1599) كتاب المساقاة باب أخذ الحلال وترك الحرام.

جنس واحد، **فالقسط والعدل أن يكونوا إخوة كما وصف الله المؤمنين بذلك**.

والتوحيد وإن كــان أصل الصــلاح فهو أعظم العــدل ولهذا قال تعالى ﭽ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ﭼ[1] [2])) .

((وتقع العداوة بين الطائفتين بسبب ترك حظٍ مما ذكروا به والبغي الذي هو مجاوزة الحد: إما تفريطًا وتضييعًا للحق، وإما عدوانًا وفعلا للظلم.

والبغي تارة يكون من بعضهم على بعض، وتارة يكون في حقوق الله وهما متلازمان، ولهذا قال تعالى:ﭽ ڳ ں ﭼ[3] فإن كل طائفة بغت على الأخرى، فلم تعرف حقها الذي بأيديها، ولم تكف عن العدوان عليها.

وقال تعــالى:ﭽ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ ﮔ ﭼ[4] وقال : ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ڑ ڑ ک ک کک گ گ گ گ ﮔ ﮔ ﮕ ﮕ ﮖ ﮖ ﮗ ﮗ ں ﭼ[5].

وقال : ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭼ[6] لأن المشركين كل منهم يعبد إلهًا يهواه، كما قال:

ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ[7] وقال : ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ[8] .

---

1 (?) آل عمران آية: (64).

2 (?) مجموع الفتاوى ج18/163، 164، 165،

3 (?) البقرة آية: (213).

4 (?) البينة آية : (4).

5 (?) البقرة آية : (213).

6 (?) الروم آية : (30-32).

7 (?) الشورى آية : (13).

8 (?) المؤمنون آية: (52-53).

فإذا ترك الناس بعض ما أنزل الله، وقعت بينهم العداوة والبغضاء، إذ لم يبق هنا حق جامع يشتركون فيه، بل تقطعوا أمرهم بينهم زبرًا، وليس معهم من الحق إلا ما وافقوا فيه الرسول، وهو ما تمسكوا به من شرعه مما أخبر به ، وما أمر به؛ وأما ما ابتدعوه فكله ضلالة.

فيتبع كل قوم كتابًا مبتدعًا غير كتاب الله فصاروا متفرقين مختلفين، لأن أهل التفرق والاختلاف ليسوا على الحنفية المحضة، التي هي الإسلام المحض الذي هو إخلاص الدين لله الذي ذكره الله في قوله: ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﭼ[1][2]))

قال: ((والله تعالى بعث الرسل، وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله**،** وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : ((إنا معشر الأنبياء ديننا واحد))[3]

فالدين واحد، وإن تفرقت الشرعة والمنهاج، ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ[4] .

على الخلق كلّهم اتباع محمد صلى الله عليه وسلم، فلا يعبد إلا الله، ويعبدونه بشريعة محمد ﷺ لا بغيرها، قال الله تعالى: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ[5] إلى آخر الوصايا. وقوله: ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ[6]

ويجتمعون على ذلك، ولا يتفرقون، كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إن الله يرضى لكم ثلاثا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن

---

1 (?) البينة آية: (5).

2 (?) منهاج السنة ج5/265.

3 (?) تقدم تخريجه.

4 (?) الأنبياء آية: (25).

5 (?) الجاثية آية (18-19).

6 (?) الأعراف آية: (29).

تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم)) [1].

وعبادة الله تتضمن كمال محبة الله، وكمال الذل لله، فأصل الدين وقاعدته يتضمن أن يكون الله هو المعبود الذي تحبه القلوب وتخشاه، ولا يكون لها إله سواه)) [2].

قال في موضع آخر: ((فهذه الأمور(الأصول) هي من الدين الذي اتفقت عليه الشرائع، وذلك يتعلق بتحقيق الإلوهية لله وتوحيده، وامتناع الشرك وفساد السموات والأرض بتقدير إله غيره.

فالقلوب لا تصلح إلا بأن تعبد الله وحده، ولا كمال لها ولا لذة ولا سرور ولا فرح ولا سعادة بدون ذلك، وتحقيق الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وغير ذلك مما يتعلق بهذا الموضع الذي في تحقيقه مقصود الدعوة النبوية والرسالة الإلهية، وهو لب القرآن وزبدته، وهو إخلاص الدين لله، وأن يكون الله ورسوله أحب إلينا مما سواهما، كالتوكل عليه، والرجاء لرحمته وخشية عذابه، والصبر لحكمته، وأن يكون أداء الأمانة، والوفاء بالعهد وصلة الأرحام وحسن الجوار،وكالجهاد في سبيله بالقلب واليد واللسان لله تعالى وتحقيق عبوديته وألوهيته)) [3].

وقال: ((فالرسل متفقون في الدين الجامع للأصول الاعتقادية والعملية.

فالاعتقادية كالإيمان بالله وبرسوله، وباليوم الآخر، والعملية: كالأعمال العامة المذكورة في سورة

---

1 (?) تقدم تخريجه.

2 (?) مجموع الفتاوى ج18/318.

3 (?) مجموع الفتوى ج15/159، 160، 163، 164, 165.وما بعدها.

الأعراف،وسورة بني إسرائيل كقوله تعالى: ﭽ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ[1]

إلى آخر الآيات الثلاث،وقوله: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ[2] [3]

وقال ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ[4]

فأخبر أنه أرسل الرسل وأنزل الكتاب والميزان لأجل قيام الناس بالقسط.وذكر أنه أنزل الحديد الذي به ينصر هذا الحق. فالكتاب يهدي والسيف ينصر، وكفى بربك هاديا ونصيرا.

ولهذا كـان قـوام النـاس بأهل الكتـاب وأهل الحديـد (العلماء والأمراء)، وقال: ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ[5]

أمر مع القسط بالتوحيد الذي أمر الله به جميع الرسل وأرسلهم به إلى جميع الأمم)) [6].

2- أن معنى تحقيق التوحيد هنا عند شيخ الإسلام ابن تيمية هو تصحيح الاعتقادات وهو تحقيق معنى الشهادتين

وقد بين هذا فقال: ((وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً رسول الله.

أ- فإنّ تحقيق الشهادة بالتوحيد: يقتضي أن لا يحبّ إلا لله ولا يبغض إلا لله، ولا يوالى إلا لله، ولا يعادى إلا لله، وأن يحب ما يحبه الله، ويبغض ما أبغضه، ويأمر بما أمر الله به وينهى عما نهى الله عنه، وأنّك لا ترجو إلا الله، ولا تخاف إلا الله، ولا تسأل إلا الله، وهذا

---

1 (?) الأنعام آية :151).
2 (?) الإسراء آية:(23).
3 (?) مجموع الفتاوى ج15/166.
4 (?) الحديد آية : (25).
5 (?) الأعراف آية : (29).
6 (?) مجموع الفتاوى ج18/157، 158، 159.

ملة إبراهيم، وهذا الإسلام الذي بعث الله به جميع المرسلين.

ب- وتحقيق الشهادة بأن محمداً رسول الله:

يوجب أن تكون طاعته طاعة الله وإرضاؤه إرضاء الله. ودين الله ما أمر به فالحلال ما أحله والحرام ما حرّمه، والدين ما شرعه، ولهذا طالب الله المدعين لمحبته بمتابعته، فقال: ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺﭼ (آل عمران: ٣١). وضمن لمن اتبعه أن يحبه الله بقوله: ﭽ ﭹ ﭺ ﭼ.

وصاحب هذه المتابعة لا يبقى مريداً إلا ما أحبه الله ورسوله، ولا كارهاً إلا لما كرهه الله ورسوله، وهذا هو الذي يحبه الحق))[1]

وأن مما أحبه الله ورسوله وأمرا به الجماعة والائتلاف، ومما كرهاه ونهيا عنه التفرق والاختلاف فصاحب الاعتقاد الصحيح يسعى في تحقيق الجماعة والائتلاف وأن هذا أثر من آثاره وثمرة من ثماره كما سيبينه من خلال كلام شيخ الإسلام.

3- أن اجتماع الصحابة رضوان الله عليهم قام على التوحيد الخالص

ومجتمع الصحابة كانت مجتمعا متما سك البناء والأساس في محبة بعضهم بعضا وتأليف بعضهم بعضاً وتراحم بعضهم بعضاً وتحقيق طاعة من أمر الله بطاعته قد قام وتحقق بهذا الأصل العظيم، وهو الذي جمعهم بعد تفرّقهم وترابطهم بعد تشتتهم في الجاهلية وبعد أن كانوا شيعاً وأحزاباً متناحرة فألف الله بين قلوبهم بتحقيق التوحيد كما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- : ((أن الله بعث محمداً بالحق وأنزل عليه الكتاب وكان قد بعث إلى ذوي أهواء متفرقة، وقلوبٍ متشتتةٍ، وآراءٍ متباينةٍ، فجمع به بين الشمل، وألّف به بين القلوب، وعصم به من كيد الشيطان))[2].

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج8/337، 338.

[2] (?) مجموع الفتاوى ج24/170.

4- أن تحقيق التوحيد يستلزم تلقي جميع أصول الاعتقاد والعبادات والسلوكيات من كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة وفق فهم الصحابة والتابعين لهم بإحسان كالأئمة الأربعة كما قرر شيخ الإسلام.

((إنما دين الله ما بعث الله به رسوله وأنزل به كتبه؛ وهو الصراط المستقيم وهو طريق أصحاب رسول الله ﷺ خير القرون وأفضل الأمة، وأكرم الخلق على الله بعد النبيين قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ[1]. فرضي عن السابقين مطلقاً، ورضي عن التابعين لهم بإحسان. والذي ينبغي اتباع السلف على ما كانوا عليه على عهد رسول الله ﷺ فإنهم خير القرون، وخير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ.

فلا يعدل أحد عن هدي خير الورى وهدي خير القرون إلى ما هو دونه))[2]

5- وتحقيق التوحيد المؤدي إلى الجماعة والمحبة والائتلاف يستلزم أيضا الإيمان بكل ما ورد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العليا إيماناً جازمًا يليق بجلاله وعظمته وفق فهم الصحابة والتابعين لهم بإحسان من غير تأويـل ولا تحريف ومن تمثيل ولا تشبيه[3].

فأهل البدع المخالفين المعطلين المحرفين لصفات الله الثابتة في الكتاب والسنة انحرفوا عن الكتاب والسنة في هذا الباب واتبعوا غير سبيل السلف فيه فآمن بعضهم بعض الصفات وتركوا البعض وأثبت بعضهم الأسماء دون الصفات وأنكر آخرون الكل فخالفوا السنة والجماعة. ولم يحققوا هذا التوحيد العظيم اجتمع عليه أهل العلم فضلوا وأضلوا.

---

1 (?) التوبة آية (100).

2 (?) مجموع الفتاوى ج1/375، وج3/ 126. وسيأتي الكلام عن هديهم أكثر إن شاء الله.

3 (?) سيأتي الحديث عن هذا إن شاء الله.

((فظهر أن سبب الاجتماع والألفـة جَمْع الدين، والعمل به كله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له كما أمر به باطنا وظاهرا ، هذا أحد الأدلة على أن الإجماع حجة قاطعة، فإنهم إذا اجتمعوا كانوا مطيعين لله بذلك مرحومين، فلا تكون طاعة لله ورحمته: بفعل لم يأمر الله به، من اعتقاد، أو قول، أو عمل، فلو كان القول، أو العمل ،الذي اجتمعوا عليه لم يأمر الله به، لم يكن ذلك طاعة لله، ولا سببًا لرحمته)).[1]

ومن أثر تحقيق هذا الأمر العظيم أيضاً كما بين شيخ الإسلام ((فإذا قام العبد بالتوحيد الذي هو حق الله، فعبده لا يشرك به شيئا كان موحدًا. **ومن توحيد الله وعبادته:** التوكل عليه والرجاء له، والخوف منه، فهذا يخلص به العبد من الشرك. وإعطاء الناس حقوقهم، **وترك العدوان عليهم** يخلص به العبد من ظلمهم، ومن الشرك بهم. وبطاعة ربه واجتناب معصيته: يخلص العبد من ظلم نفسه.

فالعبد إنما يعمل لنفسه، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، ثم إذا طلب العبادة فإنما يطلبها من حيث هي نافعة له، محصلة لسعادته، محصنة له من عذاب ربه، فلا يطلب العبد قط إلا ما فيه حظ له، وإن كان الرب يحب ذلك، فهو يطلبه من حيث هو ملائم له [2].

فمن عبد الله وأحسن إلى الناس، فهذا قائم بحقوق الله وحق عباد الله، في إخلاص الدين له، ومن طلب من العباد العوض ثناء، أو دعاء، أو غير ذلك، لم يكن محسنًا إليهم لله. ومن خاف الله فيهم ولم يخفهم في الله، كان محسنًا إلى الخلق وإلى نفسه، فإن خوف الله يحمله على أن يعطيهم حقهم ويكف عن ظلمهم، ومن خافهم ولم يخف الله فهذا ظالم لنفسه ولهم حيث خاف غير

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج1/ 17، 18، وج13/227، 228، ومنهاج السنة ج5/265.

2 (?) مجموع الفتاوى ج1/53.

الله ورجاه، لأنه إذا خافهم دون الله احتاج أن يدفع شرهم عنه بكل وجه، إما بمداهنتهم ومراءاتهم، وإما بمقابلتهم بشيء أعظم من شرهم أو مثله، وإذا رجاهم لم يقم فيهم بحق الله، وهو إذا لم يخف الله فهو مختار للعدوان عليهم، فإن طبع النفس الظلم لمن لا يظلمها فكيف بمن يظلمها؟ فتجد هذا الضرب كثير الخوف من الخلق كثير الظلم إذا قدر مهين ذليل إذا قهر، فهو يخاف الناس بحسب ما عنده من ذلك، وهذا مما يوقع الفتن بين الناس.))[1].

((**والسعادة في معاملة الخلق**: أن تعاملهم لله فترجو الله فيهم ولا ترجوهم في الله، وتخافه فيهم ولا تخافهم في الله؛ وتحسن إليهم رجاء ثواب الله لا لمكافأتهم؛ وتكف عن ظلمهم خوفا من الله لا منهم))[2].

فقد تبين من هذا أن أمور العباد من السعادة والخير والصلاح والأمن التام،

والاستقرار الدائم والجماعة والرضا والرحمة في تحقيق توحيد الله وتصحيح اعتقاداتهم في الله؛ وهو -كما تقدم - أول لبنةٍ في بناء توحيد صفوف الأمة وتوحيد كلمتها وعودة عزتها كما تحقق في مجتمع سلفها الأول الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

قال أيضاً: ((والدين القائم بالقلب: من الإيمان علمًا وحالاً؛ هو الأصل، والأعمال الظاهرة هي الفروع، وهي كمال الإيمان.

فالدّين أول ما يبنى من أصوله ويكمل بفروعه،كما أنزل الله بمكة أصوله من التوحيد والأمثال التي هي المقاييس العقلية، والقصص، والوعد والوعيد، ثم أنزل بالمدينة لما صار له قوة فروعه الظاهرة، من الجمعة

---

1 (?) مجموع الفتوى ج1/53، 54.

2 (?) مجموع الفتوى ج1/51.

والجماعة والأذان والإقامة والجهاد والصيام وتحريهم الخمر والزنا والميسر وغير ذلك من واجباته ومحرماته.

فأصوله تمد فروعه وتثبتها، وفروعه تكمل أصوله وتحفظها، فإذا وقع فيه نقص ظاهر فإنما يقع ابتداء من جهة فروعه، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: ((أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة))[1] وروي عنه أنه قال: ((أول ما يرفع الحكم بالأمانة))[2] .

و((الحكم)) وهو عمل الأمراء وولاة الأمور، كما قال تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﭼ[3]

وأما ((الصلاة)) فهي أول فرض، وهي من أصول الدين والإيمان، مقرونة بالشهادتين، فلا تذهب في الآخر، كما قال صلى الله عليه وسلم: ((بدأ الإسلام غربيا وسيعود غربيا كما بدأ فطوبى للغرباء))[4] فأخبر أن عوده كبدئه.

فلما ذهبت دولة الخلفاء الراشدين، وصار ملكا ظهر النقص في الأمراء، فلا بد أن يظهر أيضا في أهل العلم والدين فحدث في آخر خلافة علي بدعتا الخوارج والرافضة، إذ هي متعلقة بالإمامة والخلاقة، وتوابع ذالك من الأعمال والأحكام الشرعية)).[5]

---

1 (?) رواه الحاكم في المستدرك ج4/516 والطبراني في الكبير ج9/141 والبيهقي في الكبرى ج6/289 وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم(1739).

2 (?) رواه الطبراني في الصغير ج1/238 ح(387) بدون ذكر الحكم.

3 (?) النساء آية : (58).

4 (?) صحيح مسلم ص45ح(145) كتاب الإيمان باب بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا وأنه يأرز بين المسجدين.

5 (?) مجموع الفتوى ج10/355،356.

وظهر أن أمر الجماعة والألفة والوحدة يتوقف وجوده على تصحيح الاعتقاد وينبني عليه، وأن الأمر كله أوله وآخره يعود إلي التوحيد وإخلاص العبادة لله تعالى، وأن هذه الأمة هي أمة التوحيد، فلا يجتمعون إلا على التوحيد، ولا يجمعهم إلا العقيدة الصحيحة المأخوذة من الكتاب والسنة، فإذا صلحت الاعتقادات وصحت ورسخت في القلوب استقامت الأمور وتحسَّنت الأوضاع فيحصل الأمن والاستـقرار وتقل الشرور والمنازعات وتتوحّد الكلمة والصف.

ونستخلص من هذا التقرير الأمور الآتية:

1- أن إخلاص العبادة لله هو دعوة جميع الرسل لم يختلفوا في ذلك، وهو أساس الدين، ولا يجوز التفرق فيه.

2- أن هذه الأمة أمة التوحيد وهي آخر الأمم فلا يتم أمرها إلا بتحقيق التوحيد، فهو الحق الذي يجمعهم ويتحابون فيه، ولا تجتمع كلمتهم إلا عليه، فلا بد من توحيد الاعتقادات أولا.

3- بطلان القاعدة التي تقول: نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه، هذا إذاكان في المسائل الإجتهادية قد يقبل، أما في مسائل الإعتقاد وأصوله فلايمكن أن يعذر بعضنا بعضاًفيه لوضوح برهانه في الكتاب والسنة.

4- بطلان دعوى القول بأن الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك تفرق الأمة، بل الأمة لا يجمعها إلا التوحيد كما ذكره شيخ الإسلام ودلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة.فيجب على الجميع الاعتصام بالكتاب والسنة فهو أهم أسباب جمع شمل الأمة.ولا يجوز لأحد الخروج عما جاء فيهما،واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها.

5- أنه يجب أن على المسلمين جميعا أن يأخذوا دينهم من الاعتقادات والعبادات والسلوكيات كلها من الكتاب والسنة، وما اتفق عليه سلف الأمة، ليسعدوا في

الدنيا والآخرة، وهو الاعتصام بالكتاب والسنة في هذا الباب.

6- أنّ من كان غايته توحيد الله وإخلاص العبادة لله تعالى ونيل رضاه فلا تجده يؤذي الخلق، ولا يعادي ولا يوالي إلا لله ولا يبغي في الأرض الفساد ولا يهلك الحرث والنسل.

7- أن من حقق التوحيد يكون يتمسك بالجماعة ويرحم الخلق ويحسن إليهم تبعا لعقيدته الراسخ ولا يكون أسيرا للأهواء.

المطلب الثاني: جهوده في بيان أهمية الاعتصام بالكتاب والسنة في الجماعة

يرى شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- أن التمسك بالكتاب والسنة والاعتصام بهما عقيدةً ومنهجاً وسلوكًا وردّ كل صغير وكبير من المنازعات والخلافات التي تحصل بين المسلمين، والرضا والتسليم لهما مطلقاً من أهم الأسباب المؤدية إلى الجماعة؛ و سبب قوي في تحقيق الألفة والمحبة، وأصل عظيمٌ في حفظ مصالح العباد الدينية والدنيوية لأن هذا الكتاب هو حبل الله المتين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولا يفصل بين الخلق إلا كتاب منزل من رب الخلق والذي فيه هدى ونور كما أن الخير كله فيما جاء به النبي ﷺ فكلامه معصوم لا يتناقض.

وهذا قد بينه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- في هذا الموضع فقال: ((إن الله بعث محمدًا –صلى الله عليه وسلمَ- بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا، وأنه أكمل له ولأمته الدين، كما قال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ[1].

وأنه بشر بالسعادة لمن أطاعه والشقاوة لمن عصاه فقال: ﭽ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﭼ[2].

وأمر الخلق أن يردوا ما تنازعوا فيه من دينهم إلى ما بعثه به كما قال تعالى :

ﭼ[3].

وأخبر أنه يدعو إلى صراطه المستقيم كما قال تعالى: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ[4]

---

1 (?) المائدة آية (3).
2 (?) النساء آية: (69).
3 (?) النساء آية : (59).
4 (?) يوسف آية: (107).

ومحمدَ صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء، لا نبي بعده، فقد عصم الله أمته أن تجتمع على ضلالة، وجعل فيها من تقوم به الحجة إلى يوم القيامة، ولهذا كان إجماعهم حجة، كما كان الكتاب والسنة حجة، ولهذا امتاز أهل الحق من هذه الأمة بالسنة والجماعة عن أهل الباطل الذين يزعمون أنهم يتبعون الكتاب ويعرضون عن سنة رسول الله وعما مضت عليه جماعة المسلمين.

وشواهد هذا الأصل العظيم الجامع من الكتاب والسنة كثيرة، وترجم عليه أهل العلم في الكتب، **كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة**، كما ترجم عليه البخاري والبغوي[1] وغيرهما.

فمن اعتصم بالكتاب والسنة كان من أولياء الله المتقين، وحزبه المفلحين، وجنده الغالبين، وكان السلف كمالك وغيره يقولون : ((السنة كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق))[2] وقال الزهري: ((كان من مضى من علمائنا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة))[3]

---

1 (?)الحسين بن مسعود بن محمد العلامة محيي السنة أبو محمد البغوي، ويعرف بابن الفراء تارة وبالفراء أخرى، أحد الأئمة تفقه على القاضي الحسين وكان دينا عالما عاملا على طريقة السلف، وكان لا يلقي الدرس إلا على طهر، قال الذهبي: كان إمامًا في التفسير، إمامًا في الحديث، إمامًا في الفقه، بورك له في تصانيفه، ورزق القبول لحسن قصده وصدق نيته. وقال السبكي في تكملة شرح المهذب قل أن رأيناه يختار شيئا إلا وإذا بحث عنه إلا وجد أقوى من غيره هذا مع اختصار كلامه وهو يدل على نبل كبير وهو حري بذلك، فإنه جامع لعلوم القرآن والسنة والفقه توفي بمرو في شوال سنة ست عشرة وخمسمائة/ طبقات الشافعية ج 1/281

2 (?) انظر فيض القدير ج6/40.

3 (?) انظر سنن الدارمي ج1/58 عن الزهري وحلية الأولياء ج 3/369.

إذا عرف هذا فمعلوم أنما يهدي الله به الضالين ويرشد به الغاوين، ويتوب به على العاصين، لابد أن يكون فيما بعث الله به رسوله من الكتاب والسنة، وإلا فإنه لوكان ما بعث الله به الرسول- صلى الله عليه وسلم- لا يكفي في ذلك، لكان دين الرسول ناقصاً، محتاجاً تتمة. وينبغي أن يعلم أن الأعمال الصالحة أمر الله بها أمر إيجاب أو استجاب. والأعمال الفاسدة نهى الله عنها.

والعمل إذا اشتمل على مصلحة ومفسدة، فإن الشارع حكيم.

فإن غلبت مصلحته على مفسدته شرعه، وإن غلبت مفسدته على مصلحته لم يشرعه؛ بل نهى عنه.

وهذا مما يبين ما قررناه في غير هذا الموضع؛ أن الله سبحانه بيَّن بكتابه سبيل الهدى، وأنَّه لا يصلح أن يخاطب بما ظاهر معناه باطل، أو فاسد، بل ولا يضلل المخاطبين بأن يحيلهم على الأدلة التي يستسيغونها برأيهم؛ بل يجب أن يكون الكتاب بيانًا وهدًى وشفاءً لما في الصدور، وأن مدلوله ومفهومه حق وهذا أصل عظيم جدا [1])).

((فإنّ الله أمر في كتابه باتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولزوم سبيله؛ وأمر بالجماعة والائتلاف، ونهى عن الفرقة والاختلاف، فقال ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼ [2]

[1] (?) مجموع الفتوى ج3/ 368وج11/621، 622، 623، 631وكتاب الاستقامة ج 1/24.

[2] (?) النساء آية: (80).

وقال: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ[1] وقال : ﭽ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭼ[2] [3]

فالواجب أن يلزم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسنة خلفائه الراشدين والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وما تنازعت فيه الأمة وتفرقت فيه إن أَمْكَنَهُ أن يفصل النزاع بالعلم والعدل، وإلا استمسك بالجمل الثابتة بالنَّص، والإجماع، فيُقدِّم من قدَّمه الله ورسوله، ويُؤخِّر من أخَّره الله ورسوله، ويُحِبَّ من أحبه الله ورسوله، ويبغض ما أبغضه الله ورسوله، وينهى عما نهى الله ورسوله، وأن يرضى بما رضي الله به ورسوله، وأن يكون المسلمون يدًا واحدة»[4].

فإنّ الرسول صلى الله عليه وسلم حين قد أُرسل إلى ذوي آراء متباينة وقلوب متنافرة ومصادر متشتِّة ومتباينة ومشارب مختلفة، فجمعهم الله وشد إصرهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

اعتقادًا وعملاً وسلوكاً ومنهجاً ظاهراً وباطناً، فتحققت مصالحهم،واجتمعت كلمتهم، مما جعل لهذا الأمر العظيم أهمية كبرى والحاجة إليه ضرورة من الضرورات، خاصة في هذا العصر، عصر الفتن والفرقة، والقتال والتناحر بين الأمة، «ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها» وهو الاعتصام بالكتاب والسنة في جميع شؤونهم الدينية والدنيوية؛ فتحققت لهم جماعة

---

1 (?) آل عمران آية : (31).

2 (?) آل عمران آية : (103).

3 (?) قال القرطبي رحمه الله في تفسير الآية: «فأوجب تعالى علينا التمسك بكتابه وسنة نبيه والرجوع إليهما عند الاختلاف ، وأمرنا بالاجتماع على لاعتصام بالكتاب والسنة اعتقادا وعملا ، **وذلك سبب اتفاق الكلمة وانتظام الشتات** الذي يتم به مصالح الدنيا والدين والسلامة من الاختلاف »/تفسير القرطبي ج4/155.

4 (?) مجموع الفتاوى3/ 420 ، وج12/237.

الدين والدنيا والأمن والاستقرار، والتمكين والقرار، والمحبة والوئام.

وقد فصّل شيخ الإسـلام ابن تيمية القول في أهمية الاعتصام بالكتاب والسنة أكثر وبيّن أوجه ذلك وكيف تحقق آثاره وآتت أكلها في حياة الصحابة والتابعين لهم في معاشهم ومعادهم في الآتي

أولا: اعتصام الصحابة والتابعين لهم بالكتاب والسنة، وتقديمهما على كل شيء حقق لهم الجماعة والائتلاف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((وقد كان العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر الله تعالى في قوله: چ   چ[1] وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة و مناصحة، وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية، مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين، نعم من خالف الكتاب المستبين، والسنة المستفيضة، أو ما أجمع عليه سلف الأمة خلافاً لا يعذر فيه، فهذا يعامل بما يعامل به أهل البدع)).[2]

قال ((فلهذا لا يعتمد أهل العلم والإيمان في مثل مسائل العلم والدين إلا على نصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وإن كان عندهم في بعض ذلك شواهد، و بينات مما شاهدوه، ووجدوه ومما عقلوه وعلموه، وذلك ينتفعون به هم أنفسهم، وأما حجة الله تعالى على عباده، فهم رسله)).[3]

وشيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- يريد أن يقرر هنا أن السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان لم يكن أحد منهم يعتمد على الكشف أو الذوق أو الوجد، أو المنامات، أو المعقولات، أو شيخ معظم، أو

---

1 (?) النساء آية : (59).

2 (?) مجموع الفتاوى ج24/172.

3 (?) مجموع الفتاوى 24/377.

ولي في أمور الدين، ولم يكن عندهم مصدر لتلقي الدين غير الكتاب والسنة، لذا اتفقت قلوبهم واجتمعت أبدانهم واستقرت حياتهم باعتصامهم بالكتاب والسنة. فيلزم جميع من بعدهم الاعتصام بالكتاب والسنة.

قال- رحمه الله- : ((فالمحدَّث المُلهم المكاشَف من هذه الأمة **يجب عليه أن يزن ذلك بالكتاب والسنة**، فإن وافق ذلك صدْق ما ورد عليه، وإن خالف لم يلتفت إليه كما كان يجب على عمر -رضي الله عنه- وهو سيد المحدثين إذا ألقي في قلبه شيء، وكان مخالفا للسنة لم يقبل منه، فإنه ليس معصوما، وإنما العصمة للنبوة))[1].

((فالشريعة جامعة لكل ولاية وعمل فيه صلاح الدين والدنيا، والشريعة إنما هي كتاب الله وسنة رسوله، وما كان عليه سلف الأمة في العقائد، والأقوال، والعبادات، والأعمال، والسياسات ، والأحكام، والولايات والعطيات.

وليس للإنسان أن يخرج عن الشريعة في شيء من أموره، وسبب ذلك أنَّ الشريعة هي طاعة الله ورسوله وأولي الأمر؛ كما قال الله في الآية،
والدين كله مأخوذٌ عن الرسول ، ليس لأحدٍ بعده أن يغيِّر من دينه شيئًا، هذا دين المسلمين))[2] .

وقال أيضا: ((ولا يجوز لأحد أن يعدِل عمَّا جاء في الكتاب والسنة، واتَّفق عليه سلف الأمة وأئمتها إلى ما أحدثه بعض الناس مما قد يتضمن خلاف ذلك ، أو يوقع الناس في خلاف ذلك، وليس لأحدٍ أن يضع للناس عقيدةً، ولا عبادةً من عنده ، بل عليه أن يتَّبع، ولا يبتَدِع، ويقتَدِي ولا يبتدي، فإنَّ الله سبحانه بعث محمدا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا .

وقال له : ﭽ ﭾ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ[3] وقال تعالى:

---

1. (?) مجموع الفتاوى ج24/377.
2. (?) مجموع الفتاوى ج19/308، 309.
3. (?) يوسف آية: (108)

ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ
ﭼ[1] . والنَّبي ﷺ علَّم المسلمين ما يحتاجون إليه في دينهم، **فيأخذ المسلمون جميع دينهم من الاعتقادات، والعبادات وغير ذلك من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها، وليس ذلك مخالفًا للعقل الصريح**، فإن ما خالف العقل الصريح، فهو باطل، وليس في الكتاب والسنة والإجماع باطل، ولكن فيه ألفاظ قد لا يفهمها بعض الناس أو يفهمون منها معنى باطلا، فالآفة منهم، لا من الكتاب والسنة. قال الله تعالى : ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭼ[2] [3].

ثانيا: الاعتصام بالكتاب والسنة يستلزم إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء الحسنى والصفات العليا أو أثبت له رسوله ﷺ نفيًا وإثباتًا وتنزيهًا لفظًا ومعنًى .

من الاعتصام بالكتاب والسنة تصديقهما فيما أخبرا به من أسماء الله الحسنى وصفات الله العليا، والإيمان بها كلها كما جاءت أي أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصف به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، كما كان عليه الصحابة -رضوان الله عليهم- وهذا أصل من أصول الاعتصام بالكتاب والسنة الذي يورث الجماعة والائتلاف ويقي من الضلال والانحراف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- : ((يجب على الخلق الإقرار بما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم- فما جاء به القرآن العزيز، أو السنة المعلومة وجب على الخلق الإقرار به جملة وتفصيلاً عند العلم بالتفصيل، فلا يكون الرجل مؤمنا حتى يقر بما جاء النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

---

1 (?) المائدة آية : (3).
2 (?) النحل آية : (89).
3 (?) مجموع الفتاوى ج11/490.

فمن شهد أنه رسول الله شهد أنه صادق فيما يخبر به عن الله تعالى، فإن هذا حقيقة الشهادة بالرسالة.

قال تعالى: ﭽ ۀ ہ ... ى ى ي ي ... ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ﭼ[1]

قال ابن عباس رضي الله عنهما ((تَكَفَّل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة))[2] ثم قرأ هذه الآية. ومثل هذا كثير من الكتاب والسنة، وهذا مما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها.

و بالجملة فهذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام لا يُحتاج إلى تقريره هنا وهو الإقرار بما جاء به النبي ﷺ وهو ما جاء به من القرآن والسنة.

إذا تبين هذا فقد وجب على كل مسلم تصديقه فيما أخبر به عن الله تعالى، من أسماء الله وصفاته، مما جاء في القرآن وفي السنة الثابتة عنه، كما كان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، فإن هؤلاء هم الذين تلقوا عنه القرآن والسنة، وكانوا يتلقون عنه ما في ذلك من العلم والعمل.

فالواجب أن ينظر في هذا الباب فما أثبته الله ورسوله أثبتناه، وما نفاه الله ورسوله نفيناه.))[3]

والألفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الإثبات والنفي، فنثبت ما أثبتته النصوص من الألفاظ والمعاني، وننفي ما نفته النصوص من الألفاظ والمعاني، وأما الألفاظ التي تنازع فيها من ابتدعها من المتأخرين مثل لفظ ((الجسم، والجوهر، والمتحيز، والجهة)) ونحو ذلك،

---

1 (?) طه آية: (123-126).

2 (?) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص67/ المكتب الإسلامي ـ بيروت . ط: 4، 1366هـ.

3 (?) مجموع الفتاوى ج5/154، 155، ومنهاج السنة ج2/554.

فلا تطلق نفيًا، ولا إثباتًا، حتى ينظر في مقصود قائلها، فإنْ كان قد أراد بالنَّفي والإثبات معنىً صحيحًا موافقًا لما أخبر به الرسول صُوِّبَ المعنى الذي قصده بلفظه، ولكن ينبغي أن يعبر عنه بألفاظ النصوص، ولا يعدل إلى هذه الألفاظ المبتدعة المجملة، إلا عند الحاجة مع قرائن تبيّن المراد بها، والحاجة مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يخاطب بها، وأما إن أريد بها معنى باطل نفي ذلك المعنى .

وقال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﭼ[1] وقال تعالى: ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭼ[2])[3]

((**بل على الناس أن يلتزموا الأصول الجامعة الكلية التي اتفق عليها سلف الأمة وأئمتها**، فيؤمنون بما وصف الله به نفسه، وبما صفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل))[4].

فتبين أنه يجب على جميع المسلمين الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه أو وصفه رسوله صلى الله عليه وسلم من غير عدول عن نصوص القرآن والسنة اعتصاما بهما.

وينافي هذا إنكار اسم من أسمائه أوصفة من صفاته الثابتة في الكتاب والسنة أو إنكار بعضها، أو تحريفها أو تأويلها أو تمثيلها أو تشبيهها بصفات المخلوقين أو تكييفها أو نحو ذلك هذا من أسبا الجماعة والائتلاف.

ثالثا: الاعتصام بالكتاب والسنة يستلزم تقديم كل نصوص الكتاب والسنة على جميع المعقولات والآراء والأفكار والاجتهادات ورد المنازعات كلها إليهما

---

1 (?) سورة الأعراف آية : (180).

2 (?) الشورى آية: (11).

3 (?) منهاج السنة ج2/554، ومجموع الفتوى ج5/154، 156، 163. وج6/63، 37.

4 (?) مجموع الفتاوى ج12/466.

من الاعتصام بالكتاب والسنة الذي يؤدي إلى الجماعة والائتلاف في الدين تقديمهما على الآراء، و المعقولات، و الأقيسة الباطلة مطلقاً، وقد بين هذا شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- في أكثر من موضع في كتبه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((وكان من أعظم ما أنعم الله عليهم، اعتصامهم بالكتاب والسنة، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان: أنه لا يُقبل من أحدٍ قط أن يعارض القرآن، لا برأيه، ولا بِذَوْقهِ، ولا معقوله، ولا قياسه، ولا وجده، فإنّهم قد ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البيّنات أنَّ الرسول ﷺ جاء بالهدى ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم، فمن كان أعظم اتباعًا لكتابه الذي أنزله ونبيَّه الذي أرسله، كان أعظم فرقانًا، ومن كان أبعد عن اتباع الكتاب والرسول، كان أبعد عن الفرقان، واشتبه عليه الحق بالباطل))[1]

ومن اشتبه عليه الحق بالباطل جاء بالطَّامات وأضله الشيطان وحرّفه عن الحق ويتبع غير سبيل الهدى فيفسد حاله ومآله كما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية .

((فإن الله سبحانه قد أمر في كتابه عند تنازع الأمة بالرد إلى الله ورسوله؛ لم يأمر عند التنازع إلى شيء معين أصلاً. وذلك أنَّ الشرع هو في نفسه قول صادق، وهذه صفة لازمة له، لا تختلف باختلاف أحوال الناس ، والعلم بذلك ممكن، ورد الناس إليه ممكن ولهذا جاء التنزيل برد الناس عند التنازع إلى الكتاب والسنة، كما قال تعـالى: ﭽ ... ﭼ[2] فأمر الله تعالى المؤمنين عند التنازع بالرد إلى الله والرسول، وهذا

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج13/28 ، 76، وانظر أيضا:ج16/471-472.

2 (?) النساء آية: (59).

يوجب تقديم السمع، وهذا هو الواجب، إذ لو ردوا إلى غير ذلك من عقول الرجال وآرائهم ، ومقاييسهم، وبراهينهم، لم يزد هذا الرد إلا اختلافا واضطرابا وشكا وارتيابا)).[1]

((ولما كـــان الـــرد إلى ما جـــاءت به الرسل يـــؤول بأصحابه إلى الهدى والصلاح، قال: ﭽ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﭼ[2]، **لأنه كلام معصوم لا يتناقض**، بخلاف ما سـوى ذلـك، ولهذا كان مذهب أئمة الدين أن كل أحد من النـاس يؤخذ من قوله ويـترك إلا رسـول اللـه، فإنه الـذي فـرض الله على جميع الخلائق الإيمان به، وطاعته، وتحليل ما حللـــه، وتحريم ما حرمه))[3] .

فتبين من هذا ما يلي:

1- أنه لا يجوز لأحد من الناس تقديم أي معقولات أو منامات، أو حكايات أوكشوفات ، أو أذواق على الكتاب والسنة.

2- أن كلام الأئمة الكبار تابع لكلام الله ورسوله، وكل كلام خالف الكتاب والسنة، فهو باطل لا يعتمد عليه البتة، وكل يؤخذ من قوله ويرد إلا المعصوم الذي عصمه الله من الخطأ وهو النبي صلى الله عليه وسلم.

3- أن الله أمر جميع الأمة برد جميع المنازعات إلى كتابه وإلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فكلاهما معصوم لا يتناقض.

4- أن الاعتصام بالكتاب والسنة في هذه المسائل يؤدي إلى الجماعة والألفة، والعزة، والنصرة، و توحيد الصف ووحدة الكلمة.

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج3/250 ، ودرء تعارض العقل والنقل ج 1/83.

2 (?) النساء آية(59).

3 (?) مجموع الفتوى ج33/28 ، وبيان تلبيس الجهمية ج 1/151.

رابعا: من وجوه الاعتصام بالكتاب والسنة أيضاً الإيمان بكل ما ورد عنهما من نصوص الوعد والوعيد والجمع بينها، والحذر من الإيمان بعضها دون بعض .

ومن الاعتصام بالكتاب والسنة في هذا الباب الجمع بين نصوص الوعد والوعيد الواردة في الكتاب والسنة، مثل أحاديث الوعيد وأحاديث الشفاعة، وفضل كلمة الإخلاص وغيره، حتى لا يخرج مرتكب الكبيرة من الدين بالكلية، ولا يُعطى الإيمان المطلق بالكلية، بل يتبع في ذلك الكتاب والسنة. ولا يعتصم ببعض نصوص الكتاب والسنة دون بعضها؛ وفي الأسماء والأحكام خاصة، ينبغي الرجوع فيها إلى طريقة الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-:

((فهذا أصل مختصر في مسألة الأسماء، وأما مسألة الأحكام وحكمه في الدار الآخرة، فالذي عليه الصحابة ومن اتبعهم بإحسان وسائر أهل السنة والجماعة أنه لايخلد في النار من معه شيء من الإيمان، بل يخرج منها من معه مثقال حبة، أو ذرة[1] من إيمان.

ومتفقون على اجتماع العذاب والثواب في حق الشخص الواحد، وفي حق خلق كثير، كما جاء في السنن المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وأنهم لا يوجبون العذاب في حق كل من أتى كبيرة، ولا يشهدون لمسلم بعينه بالنار، لأجل كبيرة واحدة عملها، يجوز عندهم أن صاحب الكبيرة يدخله الله الجنة بلا عذاب.

إما لحسنات ماحية أو لمصائب مكفرة، أو لدعاء مستجاب منه أو غير ذلك.

---

[1] (?) كما ورد في الأحاديث عن أبي سعيد الخدري أن النبي قال: ((يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان)) قال أبو سعيد فمن شك فليقرأ: (إن الله لا يظلم مثقال ذرة)./ سنن الترمذي ج4/615ح(2599) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم(2598).

و الوعيدية من الخوارج، والمعتزلة يوجبون العذاب في أهل الكبائر لشمول نصوص الوعيد لهم، وفي تخليدهم النار، مثل قوله ﮋ ﭽ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ[1]

ولهذا منعوا أن يكون لنبينا شفاعة في أهل الكبائر في إخراجهم من النار، وهذا مردود بما تواتر عنه من السنن في ذلك،كقوله صلى الله عليه وسلم: ((شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي))[2]، وأحاديثه في إخراجه من النار من قد دخل.

وكان ما أوقعهم في ذلك أنهم سمعوا نصوص الوعيد فرأوها عامة، فقالوا: يجب أن يدخل فيها كل من شملته وهو خبر، وخبر الله صدق، فلو أخلف وعيده كان كإخلاف وعده، والكذب على الله محال.

فعارضهم غالية المرجئة بنصوص الوعد، فإنها تتناول كثيرًا من أهل الكبائر، فعاد كل فريق إلى أصله الفاسد.

فقال الأولون: نصوص الوعد لا تتناول إلا مؤمنا، وهؤلاء ليسوا بمؤمنين، وقال الآخرون نصوص الوعيد لا تتناول إلا كافرًا.

وكل من القولين خطأ. فإن النصوص مثل قوله : ﭽ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ[3] لم يشترط فيها الكفر، بل هي في حق المتدين بالإسلام، وقوله: ((من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة))[4] لم يشترط فيه فعل الواجبات، بل قد

---

[1] (?) النساء آية: (10).

[2] (?) رواه الترمذي في سننه ج4/539 ح(2435) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع. وصححه الألباني صحيح سنن الترمذي رقم(2435) وفي صحيح الجامع رقم(967) .

[3] (?) النساء آية: (10).

[4] (?) رواه أحمد في مسنده ج5/233 وأبوداود في سننه ج3/486 ح(3116) كتاب الجنائز باب ما في التلقين. والحاكم في المستدرك ج1/305 والطبراني في الكبير ج20/112 ومصنف ابن أبي شيبة ج2/446. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم(6479). وفي المشكاة رقم0(6) 1621.

ثبت في الصحاح: ((وإن زنى وإن سرق وإن شرب الخمر))[1] .

ومن هنا نجد أن سبب ضلال هؤلاء وانحرافهم عن الطريق الجاد : تمسك كل طرف ببعض نصوص وترك بعض ، ولم يحققوا المطلوب في هذا الباب، بل نتج عن ذلك مفارقتهم للجماعة بتركهم الاعتصام، ولم يسعوا في جمع الكلمة على الحق الذي جاء به الكتاب والسنة، فانحرفوا.

قال شيخ الإسلام: ((والتحقيق أن يقال: الكتاب والسنة، مشتمل على نصوص الوعد والوعيد، كما ذلك مشتمل على نصوص الأمر والنهي، وكل من النصوص يفسر الآخر ويبينه، فكما أن نصوص الوعد على الأعمال الصالحة مشروطة بعدم الكفر المحبط؛ لأن القرآن قد دل على أن من ارتد فقد حبط عمله، فكذلك نصوص الوعيد للكفار والفساق ، مشروط بعدم التوبة؛ لأن القرآن قد دل على أن الله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب، وهذا متفق عليه بين المسلمين، فكذلك في موارد النزاع.

فإن الله قد بين بنصوص معروفة أن الحسنات يذهبن السيئات، وأن من يعمل مثقال ذرة خيرًا يره، وأن مصائب الدنيا تكفر الذنوب، وأنه يقبل الشفاعة النبي

---

[1] (?) جزء من الحديث روا مسلم في صحيحه ص34ح(94) كتاب الإيمان باب من مات لايشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات مشركا دخل النار.

صلى الله عليه وسلم في أهل الكبائر. وأنه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء. كما بين أن الصدقة يبطلها المنُّ والأذى.

فجعل للسيئات ما يوجب رفع عقابها، كما جعل للحسنات ما قد يبطل ثوابها، لكن ليس شيء يبطل جميع السيئات إلا التوبة، كما أنه ليس شيء يبطل جميع الحسنات إلا الردة([1]).

وبهذا تبين أنا نشهد بأن (**الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا**) على الإطلاق والعموم، ولا نشهد لمعين أنه في النار؛ لأنا لا نعلم لحوق الوعيد له بعينه؛ لأن لحوق الوعيد بالمعين مشروط بشروط، وانتفاء موانع، ونحن لا نعلم ثبوت الشروط وانتفاء الموانع في حقه([2]).

وفائدة الوعيد بيان أن هذا الذنب سبب مقتض لهذا العذاب، والسبب قد يقف تأثيره على وجود شرطه، وانتفاء مانعه([3])((.

((فمن دفع نصوصا يحتج بها غيره لم يؤمن بها، بل آمن بما يحتج به، صار ممن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض. وهذا حال أهل الأهواء، هم مختلفون في الكتاب

---

1 (?) هذه قاعدة مهمة في هذا الباب ينبغي التنبه له والعض عليها بالنواجذ ونشرها بين الناس .

2 (?) هذا هو التحقيق بعينه.

3 (?) مجموع الفتاوى ج12/482، 483، 484.وانظر أيضا ج 13/230 وما بعده.

مخالفون للكتاب، متفقون على مخالفة الكتاب[1]، وقد تركوا كلهم بعض النصوص وهو ما يجمع تلك الأقوال؛ فصاروا كما قال عن أهل الكتاب: ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼ[2].

فإذا ترك الناس بعض ما أنزل الله؛ وقعت بينهم العداوة والبغضاء، إذ لم يبق هنا حق جامع يشتركون فيه؛ بل تقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون، وهؤلاء كلهم ليس معهم من الحق إلا ما وافقوا فيه الرسول وهو ما تمسكوا به من شرعه مما أخبر به، وما أمر به، وأما ما ابتدعوه فكله ضلالة))[3].

نستنتج من هذا ما يلي

1- يجب الإيمان بجميع نصوص الكتاب والسنة مطلقاً، فمن آمن ببعضها دون البعض لم يلتزم بأمر الله ورسوله، ولم يؤمن بالكتاب كله فذلك ينافي الاعتصام الذي أمر الله به.

2- يجب الجمع بين نصوص الوعد والوعيد الواردة في الكتاب والسنة، فإن بعضها تفسر الأخرى وتبينها فيتضح الحق ويرحم الخلق.

3- أنّ التسرع في التكفير والخوض في مسائله هو من الخطورة بمكان؛ فيجب الحذر الشديد منه، والاعتصام بالكتاب والسنة؛ ولا ينبغي لصغار العلماء وطلاب العلم الخوض في هذا والتصدي له إلا من هو من أهل العلم والبصيرة والفقه في الدين، فمن ثبت إسلامه بيقين لا يزول إلا بيقين.

خامسا : الرجوع إلى الكتاب والسنة في المسائل العلمية والعملية كمصدر لتلقي العقيدة دون غيرهما اعتصام بالكتاب والسنة، بل من أهم أنواع الاعتصام

---

1 (?) هذا مقتبس من خطبة الإمام أحمد / انظر: الرد على الزنادقة والجهمية ص6.- المطبعة السلفية- القاهرة 1393هـ تحقيق محمد حسن راشد.

2 (?) المائدة آية : (14).

3 (?) مجموع الفتاوى ج13/227.

وأعظمه في جمع الكلمة وتأليف القلوب ووحدة الصفّ .

كما قال شيخ الإسلام وهو أن يجعل كتاب الله العظيم إمامًا يؤتم به في أصول الدين وفروعه، وهو دين الإسلام، فهذا طريق الصحابة وسبيلهم، وكذلك التابعين لهم بإحسان، وأئمة المسلمين ولا يعارض بأي شيء، كما سيأتي بيانه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

((فالواجب اتباع الكتاب المنزل، والنبي المرسل، وسبيل من أناب إلى الله، دون ما خالف ذلك من دين الآباء وغير الآباء، والله سبحانه أنزل القرآن وهدى به الخلق وأخرجهم به من الظلمات إلى النور))[1] **.**

وقال: ((إن السنة التي يجب اتباعها ويحمد أهلها ويذم من خالفها، هي سنة رسول الله في أمور الاعتقادات، وأمور العبادات، وسائر أمور الديانات، وذلك إنما يعرف بمعرفة أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الثابتة عنه، في أقواله، وأفعاله، وما تركه من قول وعمل، ثم ما كان عليه السابقون والتابعون لهم بإحسان، وذلك في دواوين الإسلام المعروفة، مثل صحيحي البخاري ومسلم، وكتب السنن، مثل سنن أبي داوود والنسائي، وجامع الترمذي، وموطأ الإمام مالك، ومثل المسانيد المعروفة كمثل مسند الإمام أحمد وغيره، ويوجد في كتب التفاسير و المغازي، وسائر كتب الحديث جملها وأجزائها من الآثار ما يستدل ببعضها على بعض ، وهذا أمر قد أقام الله له من أهل المعرفة من اعتنى به حتى حفظ الله الدين على أهله.

وقد جمع طوائف من العلماء الأحاديث والآثار المروية في أبواب عقائـد أهل السنة[2]

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج6/258.

2 (?) راجع كتاب (أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة – للالكائي ، وكتاب الشريعة –للآجري- وكتاب السنة- للإمام أحمد- وكتاب السنة –لابنه_ وكتاب السنة للخلال – وكتاب السنة للبربهاري و- وكتاب الرد على البشر المريسي

مثل حماد بن سلمة [1]، وعبد الرحمن بن مهدي [2]، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي[3] وعثمان بن سعيد الدارمي[4] وغيرهم في طبقتهم، ومثلها ما بوب عليه البخاري وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه وغيرهم في كتبهم وغيرهم)) [5] .

وقال أيضا: ((ومحمد خاتم الرسل، فعلى جميع الخلق إتباعه، واتباع ما شرعه من الدين، وهو ما أتى به

للدارمي وغيرها من الكتب التي جمعت أقوال هؤلاء الأئمة في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة).

1 (?) حماد بن سلمة بن دينار البصري/ أبو سلمة: ثقة عابد أثبت الناس في ثابت، وتغير حفظه بأخرة، من كبار الثامنة، مات سنة سبع وستين./ التقريب التهذيب ص117 ت(1499).

2 (?) عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبريّ مولاهم، أبو سعيد البصري: ثقة ثبتٌ حافظ عارف بالرجال والحديث، قال ابن المديني: ما رأيتُ أعلم منه، من التاسعة، مات سنة ثمان وتسعين، وهو ابن ثلاث وستبن سنة/ التقريب التهذيب ص 293 ت(4018).

3 (?) عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام السمرقندي، أبو محمد الدارمي الحافظ، ((المسنَد)): ثقة فاضل مُتقِنٌ، من الحادية عشرة، مات سنة خمس وخمسين، وله أربعلإ وستون/ التقريب التهذيب ص253 ت(3434).

4 (?)تذكرة الحفاظ ج2:ص621

648 الدارمي الحافظ الإمام الحجة، أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد السجستاني محدّث هراة وتلك البلاد، قال أبو الفضل يعقوب القراب: ما رأينا مثل عثمان بن سعيد ولا رأى هو مثل نفسه. وقال أبو حامد الأعمشى: ما رأيت مثله ومثل الذهلي ويعقوب الفسوي. **وله مسند كبير وتصانيف في الرد على الجهمية**. وهو الذي قام على بن كرام وطرده من هراة فيما قيل مولده سنة مائتين ظنا، توفى الدارمي في ذي الحجة سنة ثمانين ومائتين/ تذكرة الحفاظ للذهبي ج 2/ 622 ت(648) – دار الكتب العلمية- تذكرة الحفاظ ج 2:ص622

5 (?) مجموع الفتاوى ج3/ 378،379.

من الكتاب والسنة، فما جاء به الكتاب والسنة وهو الشرع الذي يجب على جميع الخلق إتباعه، وليس لأحد الخروج عنه، وهو الشرع الذي يقاتل عليه المجاهدون، وهو الكتاب والسنة. وسيوف المسلمين تنصر هذا الشرع وهو الكتاب والسنة.

وليس لأحد أن يضع للناس عقيدة، ولا عبادة من عنده، بل عليه أن يتبع، ولا يبتدع و يقتدى ولا يبتدى، والنبي صلى الله عليه وسلم علّم المسلمين ما يحتاجون إليه في دينهم، فيأخذ المسلمون جميع دينهم من الاعتقادات والعبادات وغير ذلك من كتاب الله وسنة رسوله وما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها)).[1]

هذه النصوص واضحة المعنى وبينة الدلالة في أنه يجب أن يؤخذ أمور الاعتقادات والسلوكيات من الكتاب والسنة، وأنه المصدر الأساسي ولا يجوز أن تؤخذ باتفاق المسلمين من غير الكتاب والسنة.

((فدين المسلمين مبني على اتباع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما اتفقت عليه الأمة؛ فهذه الثلاثة هي أصول معصومة)) [2]

((إذا كان المسلمون متفقين على أنه لا يجوز لأحد أن يعتقد أو يقول عن عمل: إنه قربة وطاعة وبر وطريق إلى الله أو واجب أو مستحب إلا أن يكون مما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ وذلك يعلم بالأدلة المنصوبة على ذلك، وما علم باتفاق الأمة أنه ليس بواجب، ولا مستحب، ولا قربةٍ لم يجز أن يعتقد أو يقال أنه قربة وطاعة.

فكذلك هم متفقون على أنه لا يجوز قصد التقرب به إلى الله، ولا التعبد به، ولا اتخاذه دينًا، ولا عمله من

---

1 (?) مجموع الفتوى ج35/365. وج11/490. بتصرف بسيط فيه.

2 (?) درء تعارض العقل والنقل ج1/272..

الحسنات، فلا يجوز جعله من الدين، لا باعتقاد وقول، ولا بإرادة وعمل.

وبإهمـال هذا الأصل غلط خلق كثير من العلماء والعباد))[1].

فشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- يريد أن يقرر هنا في هذا الموضع من هذه النصوص الأمور الآتية:

أولا: أن أمور الاعتقاد والعبادات توقيفية لا مجال للعقول فيها، ولا يحق لأحد أيا كان أن يجتهد فيها أو يضع للناس اعتقادًا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم**.**

ثانيا: أن الله تعالى بين كل شيء يتعلق بالتوحيد في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فيجب الاعتصام بهما والاقتصار عليهما.

ثالثا: أن هذه الأمة المحمدية لا تبني اعتقاداتها على الكشف أو الذوق أو الوجد، أو المنامات أو المعقولات، أو الأقيسة الفاسدة**.**

رابعا: لا يجوز لأحدٍ أن يعتقد كل ما شاءه أو يأخذ من أ ين شاء أو يتخذه قربة إلا بدلالة الكتاب والسنة**.**

سادسا: حب جميع الصحابة والترضي عنهم 0والإمساك عما شجر بينهم، وموالاة جميع المسلمين خاصة العلماء الربانيون، وطاعة ولاة الأمر في طاعة الله، اعتصام بالكتاب والسنة، وسبب قوي لجمع الكلمة وغرس المحبة والألفة في نفوس الأمة.

وهذا يقرره شيخ الإسلام في النصوص الآتية:

1- قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-:

((وقد قال تعالى ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯﭼ[2] .

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج11/ 451.

[2] (?) التوبة آية: (100).

فقد رضي الله عن السابقين رضىً مطلقا ورضي عمن اتبعهم بإحسان وأثنى عليهم، وزكَّاهم في آيات من كتابه

مثل قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ[1]

وفي الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((لا تسبُّوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أنَّ أحدَكم أنفق مثل أحدٍ ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه))[2]

وقد اتفق أهل السنة والجماعة على ما تواتر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: ((خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر -رضي الله عنهما-))[3]

وأصحاب رسول الله خير القرون وأفضل الأمة وأكرم الخلق على الله .

وقد قال النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة: ((خير القرون القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)).[4]

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: ((من كان منكم مستنًّا فلْيستنَّ بمن قد مات، فإنَّ الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب رسول الله أبرّ هذه

---

[1] (?) الفتح آية: (29).

[2] (?) رواه مسلم في صحيحه ص649 ح(2540) كتاب فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم.

[3] (?) رواه أحمد في مسنده ج1/110، 114، 115 والطبراني في الكبير ج1/107 ، وفي الأوسط ج3/138 ومصنف عبد الرزاق ج3/447 ومصنف ابن أبي شبية ج6/351 وصححه الألباني في السنة رقم(1205).

[4] (?) رواه مسلم في صحيحه ص648 ح(2534)و(2535) كتاب فضائل الصحابة باب فضل الصحابة، ثم الذين يلونهم. بلفظ: ((خير هذه الأمة القرن الذين بعثت فيهم)).

الأمة قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلُّفًا قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيّه وإقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسَّكوا بهديهم فإنَّهم كانوا على الهدى المستقيم)).[1]

ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله كما وصفهم الله به في قوله تعالى چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ چ[2]

ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع، من فضائلهم، ومراتبهم، فيفضِّلون مَنْ أنْفق مِنْ قبل الفتح وهو صلح الحديبية وقاتل، على مَنْ أنفق من بعده وقاتل ويقدِّمون المهاجرين على الأنصار .

ويحبُّون أهلَ بيت رسول الله ، ويتولَّونهم، ويحفظون فيهم وصية رسول الله حيث قال يوم غدير خم : ((أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي)).[3]

ويتولون أزواج رسول الله أمهات المؤمنين، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة؛ خصوصًا خديجة رضي الله عنها، وكان لها منه المنزلة العالية والصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما التي قال فيها النبي : ((فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)).[4] [5]

---

1 (?) تقدم تخريجه.

2 (?) الحشر آية: (10).

3 (?) رواه مسلم في صحيحه ص619ح(2408) كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب من فضائل علي.

4 (?) صحيح مسلم ص624ح(2431) و(2446) كتاب فضائل الصحابة بابي: فضل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، وباب فضل عائشة رضي الله عنها.

5 (?) مجموع الفتاوى ج3/126، 152، 154 405،406 وج 11/573.

فهذه النصوص التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – واضحة الدلالة في فضل الصحابة رضوان الله عليهم، وفي وجوب محبتهم، والترضي عنهم، والدعاء لهم بأمر الله ورسوله، فحبهم جزء من دين المسلمين وفضلهم عظيم.

فواجب على جميع المسلمين حبهم وتقديرهم، والترضي عنهم والكف عما شجر بينهم اعتصامًا بكتاب الله وسنة رسوله وطاعة لله ورسوله، فكل من سبهم، أو ذكرهم بسوء فقد عارض الله ورسوله وخرج عن هذه القاعدة العظيمة، وجرح مشاعر المسلمين، وخرج عليهم، وفرّق كلمتهم، وأهان دينهم الواجب إذ الواجب في حقهم:

1- حبهم جميعا والترحم والترضي عنهم،والاستغفار لهم لأنهم أصحاب رسول الله المعصوم في حبه لهم و صحبته واختياره.

2-الإمساك عما شجر بينهم، والاستغفار للطائفتين اللتين حصل بينهما القتال جميعا، وموالاتهم، فليس من الواجب اعتقاد أن كل واحد من المعسكرين لم يكن مجتهدًا أو متأولاً.

3-فإنّهم لا يعتقد لهم العصمة، بل كانوا مجتهدين إما مصيبين فلهم أجران، أو مخطئين مثابين على عملهم الصالح، مغفور لهم خطؤهم، وما كان من السيئات فقد سبق لهم من الله الحسنى.

4- أنهم خير هذا الأمـة بعد نبيها وقرنهم خير القرون مطلقاً كما أخبر الصادق المصدوق نبينا محمد النبي صلى الله عليه وسلم.

5- الطّعن فيهم يدل دلالة على قلة الأدب مع الله ورسوله، وطعن في دين الله وسبب في تفريق كلمة الأمـة واتباع لغير سبيل المؤمنين.

سابعا: من الاعتصام بالكتاب والسنة الكفّ عن ظلم المسلمين والامتناع عن إراقة دمائهم بغير حق شرعي

من الاعتصام بالكتاب والسنة، حب المؤمنين جميعا وموالاتهم وحفظ أعراضهم، وعدم أذيتهم وترويعهم بقول أو فعل علمائهم وحكامهم قويّهم أو ضعيفهم. وعدم التسرع في إصدار أحكام الكفر والفسق والبدع ضدهم بخطأ أو معصية ما لم تتوفر في ذلك شروط وانتفت الموانع فهذا من تمام الاعتصام بالكتاب والسنة في هذا الباب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-: ((ولا يجوز تكفير المسلم بذنب فعله ولا بخطأ فيه، كالمسائل التي تنازع فيها أهل القبلة، فإن الله تعالى قال: ﭽﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ وقد ثبت في الصحيح أن الله تعالى أجاب هذا الدعاء وغفر للمؤمنين خطأهم.

والأصل أن دمــاء المســلمين وأمــوالهم وأعراضــهم محرمة من بعضـــــهم على بعض لا تحل إلا بــــإذن الله ورسوله، قال النبي صلى الله عليه وسلم لما خطبهم في حجة الــوداع: ((إن دمــاءكم وأمــوالكم وأعراضــكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا))[1] وقال ﷺ: ((كل المسلم على المسلم حــرامٌ دمه وماله وعرضه))[2] .

---

1 (?) صحيح البخاري مع الفتح ج13/29ح(7076) كتاب الفتن باب قول النبيﷺ : ((لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض. و مسلم في صحيحه ص436 ح(1679) كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض .

2 (?) رواه مسلم في صحيحه ص655ح(2564) كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله.

وقــال: ((من صلَّى صــلاتنا، واســتقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فهو المسـلم له ذمّـة الله ورسـوله))[1] قـال: ((إذا التقى المسلمان بسـيفيهما فالقاتل والمقتـول في النـار)) قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتـول؟! قـال: ((إنّه أراد قتل صاحبه))[2] وقال : ((لا ترجعوا بعـدي كفـارًا يضرب بعضكم رقاب بعض))[3] وقال: ((إذا قـال المسـلم لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما))[4] وهذه الأحاديث كلها في الصحاح))[5] .

وقال في موضع آخر: ((و منع قتل الكافر الْمُمسك أو عدم إباحته و هذا وجه حسن دقيق، فإن الأصل أن دم الآدمي معصوم لا يقتل إلا بالحق))[6] .

فهذه النصوص تبين حرمة دم المسلم إطلاقاً إلا بالحق، وأنه لا يجوز قتله بغير حق شرعي، وأنه يجب بناء رابطة الأخوة الإيمانية فيما بينهم وتجنب الفتن وأسبابها إذا كان دماء الآدميين غير المسلمين معصومة ولا يجوز إراقتها إلا بحق فتحريم دماء المسلمين من باب أولى.

---

1 (?) صحيح البخاري مع الفتح ج1/592 ح(391) كتاب الصلاة باب فضل استقبال القبلة، يستقبل بأطراف رجليه.

2 (?) صحيح البخاري مع الفتح ج13/35 ح(7082) كتاب الفتن باب إذا التقى المسلمان بسيفيهما. وصحيح مسلم ص729 ح(2888) كتاب الفتن و أشراط الساعة باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما.

3 (?) صحيح البخاري مع الفتح ج13/29ح(7076) كتـاب الفتن باب قـول النـبي ﷺ: ((لا ترجعـوا بعـدي كفـار يضـرب بعضـكم رقاب بعض)). وصحيح مسلم ص29 ح(65) كتاب الإيمان باب بيـان معـنى قـول النـبيﷺ: ((لا ترجعـوا بعـدي كفـارا يضـرب بعضكم رقاب بعض)).

4 (?) صحيح مسلم ص29ح(60) كتاب الإيمان باب بيـان حـال إيمان من قال لأخيه المسلم: يا كافر.

5 (?) مجموع الفتاوى ج3/282، 283، 284، 285.

6 (?) الصارم المسلول على شاتم الرسول ج1/210)

فعلم أنّه لا تنتظم الحياة، ولا تتحقق مصالح الدنيا والدين ويسود الأمن والاستقرار بالفوضى والسعي في الأرض الفساد، بل بالتمسك بالكتاب والسنة ولزوم التقوى وطاعة الله ورسوله وأولي الأمر، والحفاظ على أمن جماعة المسلمين .

((ومن اعتبر أحوال العالم قديما وحديثا؛ وما يعاقب به من يسعى في الأرض بالفساد، وسفك الدماء بغير حق، وأقام الفتن واستهان بحرمات الله، علم أن النجاة في الدنيا والآخرة للذين آمنوا وكانوا يتقون))[1].

[1] (?) مجموع الفتاوى ج16/250.

المبحث الثاني: التمسك بهدي سلف هـذه الأمة وأثره في الجماعة

وتحته- تمهيد- ومطالب

يقرر شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- في هذا المبحث الحاجة الماسة والضرورة الملحة للرجوع إلى هدي السلف الصالح لخيريته ولصفائه وسلامته من الأهواء والبدع المضلة التي تفرق بين الأمة، ولأنه الهدي الذي أسَّس بُنيانه ووضع أساسه وقواعدَه النبي ، وقد رضي به الله تعالى، وعمن تمسك به في كتابه وعلى لسان رسوله ، وهو هدي الصحابة –رضي الله عنهم – والتابعين لهم بإحسان من الأئمة الأربعة وغيرهم في الاعتقاد، و التعامل مع الحكّام والولاة، وفسّاق الملّة والمخالفين وغيرهم من أهل البدع وأساسه يقوم على الوسطية والاعتدال والرحمة، مبني على الفهم الصحيح لنصوص الكتاب والسنة الهوى والتخمين والتخبط والتخيل الفاسد، فالتمسك الصحيح بهديهم له أثر كبير في الجماعة والائتلاف.

- التهيد:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: شهادة القرآن والسنة على فضلهم وتزكيتهم وتزكية هديهم المبارك، وأنهم كانوا على السنة والجماعة فرضي الله عنهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((ومن المعلوم بالضرورة لمن تدبّر الكتاب والسنة، وما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف أن خير قرون هذه الأمة في الأعمال والأقوال والاعتقاد وغيرها من كل فضيلة أن خيرها القرن الأول، ثم الذين يلونهم،كما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه، وأنهم أفضل من الخلف في كل فضيلة من علم ، وإيمان، وعقل، ودين، وبيان، وعبادة، وأنهم أولى بالبيان لكل

مشكل؛ هذا لا يدفعه إلا من كابر المعلوم بالضرورة من دين الإسلام وأضله الله على علم)).[1]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-:

((القرآن قد أثنى على الصحابة في غير موضع ورضي الله عنهم ووعدهم بالحسنى كما قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ
ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ
ﭫ ﭬ ﭼ[2] وقال تعالى: ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ
ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﭼ[3] وقال تعالى: ﭽ
ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ
ﭼ[4] وقال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ
ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ
ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ
ﭼ[5] وقال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ
ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ[6]

فهذه الآيات تتضمن الثّناء على المهاجرين والأنصار، وعلى الذين جاءوا مِنْ بعدهم يستغفرون لهم، ويسألون الله أن لا يجعل في قلوبهم غلا لهم، وأنَّ الله رضي عنهم ورضوا عنه.

وقد قال النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة : ((خير القرون القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم))[7]

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول :

((من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات؛ فإنَّ الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب رسول الله أبرّ هذه

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج4/157، 158.

2 (?) التوبة آية: (100).

3 (?) الحديد آية: (10).

4 (?) الفتح آية: (18).

5 (?) الفتح آية: (29).

6 (?) الحشر آية : (10).

7 (?) تقدم تخريجه

الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلّها تكلفًا، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيّه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم، فإنهم كانوا على صراط مستقيم))[1] [2]

فقد قرر شيخ الإسلام بهذه النصوص فضل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن اتبعهم بإحسان، وسلامة هديهم و أن الله رضي عنهم، ومن المعلوم عند كل ذي عقل سليم أن الله لا يرضى إلا بالحق، وأنهم كانوا على الحق المبين وعلى صراط مستقيم، فيجب على المسلمين جميعا اتباع سبيلهم والتمسك بهديهم وأن لا يخرجوا عما كانوا عليه من الهدى والخير فإنّ في ذلك صلاحهم في الدنيا والآخرة كما بينه الكتاب والسنة وأن سبب للجماعة والائتلاف ومـوجب من موجباته وقد كـانوا رحماء بينهم.

---

1 (?) تقدم تخريجه.

2 (?) مجموع الفتاوى ج3/126، وج4/137، 158، و10/119، وج11/367، 573، 627، وج12/235، ومنهاج السنة ج4/601، 602 وج8/412.

المطلب الثاني: : أدلة الكتاب والسنة في الأمر بوجوب اتباع سبيل السلف الصالح من الصحابة والأئمة الأربعة ومن اتبعهم بإحسان وأثر ذلك في الجماعة .

أعقب شيخ الإسلام بعد تقريره لفضل السالف الصالح أدلة من الكتاب والسنة في وجوب اتباع هدي السلف الصالح؛ والتمسك به، وأنّ ذلك سبب ف تحقيق الجماعة والائتلاف.

فقال –رحمه الله- : ((أما السلف [1] فآيات كثيرة:

أحدها ما تقدم مثل قوله : ﭽ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﭼ[2]

وقوله : ﭽ   ﭼ[3]

وقوله: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ[4]

ولو خرج المؤمنون عن الحق والهدى لما كانت لهم العزة إذ ذاك من تلك الجهة؛ لأنَّ الباطل ليس من الإيمان الذي يستحقّ به العزّة، والعزّة مشروطةٌ بالإيمان، لقوله: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ   ﯓ ﯔ ﯕ ﭼ[5].

ومنها قوله: ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ[6] أمر بسؤال الهداية إلى صراطهم، وقال: ﭽ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭼ[7] الآية، وفيها الدلالة على فضل السلف .

---

1 (?) أي اتباع السلف الصالح.

2 (?) سورة النساء: آية(59).

3 (?) نفس الآية.

4 (?) المنافقون آية: (8).

5 (?) آل عمران آية (139).

6 (?) الفاتحة آية: (6-7).

7 (?) النساء آية: (69).

ومنها قوله: ﭽﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ[1] والسلف والمؤمنون منيبون أي فيجب اتباع سبيلهم. ومنـها قوله: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ[2] ومنها قوله: ﭽﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭼ[3] ومن خرج عن إجماعهم فقد اتبع غير سبيلهم.

ومنها قوله : ﭽﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ

ﭼ[4] وفيها أدلة مثل قوله: ﭽﭣ ﭤ ﭼومثل قوله: ﭽﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼ فلابد أن يأمروا بكل معروف وينهوا عن كل منكر، والصواب في الأحكام معروف والخطأ منكر.

ومنها قوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ[5] .

والرضوان لا يكون مع اتفاقهم وإصرارهم على ذنب أو خطأ، فإن ذلك مقتضاه العفو.

وقوله: ﭽﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ[6]

فإنه يدل على أنهم على هدى في كل شيء. وقوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭼ[7] فإنه يقتضي إخراجهم من كل ظلمة.

ومنها قوله: ﭽﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ[8] وما كان نحوها من الأمر بالجماعة والنهي عن الفرقة)).[9]

وقد استدل شيخ الإسلام بهذه الأدلة على وجوب اتباع هدي السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ويظهر من هذا دقّة فهمه، وحسن استنباطه، وقوة علمه، وشدّة عنايته بهدي السلف وحرصه على موافقتهم واتباع سبيلهم، تبعا لنصوص الكتاب والسنة

---

1 (?) لقمان آية: (15).
2 (?) يس آية: (21).
3 (?) النساء آية : (115).
4 (?) آل عمران آية : (110).
5 (?) التوبة: (100).
6 (?) البقرة آية : (213).
7 (?) البقرة آية: (257).
8 (?) آل عمران آية : (103).
9 (?) مجموع الفتاوى ج20/500،501، 503، 504).

وأن التمسك بهديهم سبيل إلى الجماعة والمحبة والألفة والأمن وموجب للاستقرار والعدل والسعادة لبني البشر أجمع في الدين والدنيا. ولأن هديهم مرضي عند الله ورسوله والله ورسوله لا يرضيان إلا على الحق.

وقد جاء أيضا في حديث العرباض بن سارية الذي رواه أهل السنن وصححه الترمذي أنه قال : ((من يعش منكم بعدي فسيرى اختلاًفًا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي؛ تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة)).[1]

فهذا أمر وتحضيض للمسلمين على لزوم سنة الخلفاء الراشدين، وأمر بالاستمساك بها، وتحذير من المحدثات المخالفة.

فلولا أن سنته وسنة الخلفاء الراشدين تسع المؤمن وتكفيه عند الاختلاف الكثير لم يجز الأمر بذلك))[2].

وكما قال عبد الله ابن مسعود خط لنا رسول الله خطا وخط خطوطا عن يمينه وشماله ثم قال : ((هذا سبيل الله، وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ: ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ[3] فهذا أصل جامع يجب على كل من آمن بالله ورسوله أن يتبعه ولا يخالف السنة المعلومة وسبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان باتباع من خالف السنة والإجماع القديم، لا سيما وليس معه في بدعته إمام من أئمة المسلمين ولا مجتهد يعتمد على قوله في الدين، ولا من يعتبر قوله في مسائل الإجماع

---

1 (?) تقدم تخريجه.

2 (?) مجموع الفتاوى ج1/4 وج3/37 وج35/23 وكتاب الاستقامة ج1/5.

3 (?) الأنعام آية : (153).

والنزاع، فلا ينخرم الإجماع بمخالفته ولا يتوقف الإجماع على موافقته))[1].

وقال عمر بن عبد العزيز: ((سنَّ رسول الله وولاة الأمر بعده أشياء الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوّة على دين الله، ليس لأحدٍ تغييرها، ولا النّظر في رأي مَنْ خالفها، من اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصورٌ، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين؛ ولاه الله ما تولى؛ وأصلاه جهنّم وساءت مصيرا))[2].

((وما أحسن ما قال الشافعي رحمه الله في رسالته: ((هم فوقنا في كلّ علمٍ وعقلٍ ودينٍ وفضلٍ وكل سبب ينال به علم أو يدرك به هدى، ورأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا))[3].

فهذه جملة من نصوص الكتاب والسنة وأقوال الأئمة الثقات تحث على التمسك بهدي السلف الصالح وسلوك سبيلهم.

فحرام على أتباع الرسول والصحابة والأئمة الفحول مخالفة هديهم وسبيلهم، ولو سلكوا طريقهم لاجتمعت به كلمتهم، وتقاربت قلوبهم، ولَسعدوا كما سعد أولئك، ولنالوا من الخير الذي نالوه،.

فاتّباع هديهم والتمسك بسبيلهم له آثاره الطيبة في جمع كلمة الأمة، وتقوية روابط الأخوة الإيمانية، وتحقيق مصالح الدنيا والدين كما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- في غير هذا الموضع من كتبه، فإن الجهل بهدي السلف الصالح في الاعتقاد وفي تعاملهم مع المسلمين وفساق الملة والمخالفين وتعاملهم مع نصوص الوعد والوعيد والحكام وأئمة الجور ونحوه، قد

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج1/162ن 163.

2 (?) تقدم تخريجه.

3 (?) مجموع الفتاوى ج4/158.وتقدم تخريجه.

جَرَّ الأمـة إلى فتن وأهواء وعداوة وبغضاء حتى كفّر بعضهم بعضاً وفسّق بعضهم بعضاً ظلماً وجهـلاً.

فالمعطلة والمحرفة أعرضوا عن منهج السلف وطريقتهم في إثبات أسماء الحسنى وصفاته العليا فوقوا في فرقة وضلال، وكذالك الغلاة من العُبّاد – تركوا فهم السلف وفي تحقيق التوحيد فوقعوا في بدع وشرك ما فارقوا به جماعة المسلمين وكذلك الخوارج خالفوهم في فهم نصوص الوعد والوعيد وفي تنزيل أحكامها على الأشخاص فضلوا ووقعوا في بدع وأهواء متفرقة.

فاستلزم كلّ هذا ضرورة العودة إلى هدي السلف الصالح واتباع سبيلهم في الاعتقاد والعبادة والمنهج والسلوك. لما له من أثر كبير في الجماعة والائتلاف ووحدة الكلمة والصف والمصدر لمن تمسك به ولم يَحِدْ عنه، فبيان ذلك – مثلاً-كما يأتي من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله.

.

المطلب الأول: هدي السلف الصالح سبيل السلف في الاعتقادات:

فسبيلهم في الاعتقادات لم يخرج عن نصوص الكتاب والسنة والوسطية و بها امتدح الله هذه الأمة حيث قال: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭼ [1]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((فحيث تقرّر أنَّ من اتبع غير سبيلهم ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم.

فمن سبيلهم في الاعتقاد: الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها نفسه، وسمى بها نفسه في كتابه وتنزيله، أو على لسان رسوله، من غير زيادة عليها ولا نقص منها، ولا تجاوز لها ولا تفسير لها، ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها، ولا تشبيه لها بصفات المخلوقين؛ ولا سمات المحدثين، بل أَمَرُّوها كما جاءتْ، وردُّوا عِلمها إلى قائلها[2] ومعناها إلى المتكلم بها.

وقال بعضهم- ويروى عن الشافعي-: ((آمنت بما جاء عن الله، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله))[3] .

وعلموا أن المتكلم بها صادق لا شك في صدقه فصدقوه، ولم يعلموا حقيقة معناها فسكتوا عما لم يعلموه، وأخذ ذلك الآخر عن الأول، ووصى بعضهم بعضا بحسن الإتباع والوقوف حيث وقف أولهم، وحذَّروا من التجاوز لهم والعدول عن طريقتهم، وبيّنوا لنا سبيلهم

---

1 (?) البقرة آية : (143).

2 (?) أي كيفيتها.

3 (?) انظر الأثر في ذم التأويل لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد ص 11. الدار السلفية- الكويت ط:1، 1406هـ تحقيق بدر عبد الله البدر. ولمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، لأبي محمد عبد الله أحمد بن قدامة المقدسي، ص 45. / الدار السلفية- الكويت- ط: 1، 1406. تحقيق بدر بن عبد الله البدر.

ومذهبهم، ونرجو أن يجعلنا الله تعالى ممن اقتدى بهم في بيان ما بينوه؛ وسلوك الطريق الذي سلكوه»[1].

وهذا يتضمن الوسطية والاعتدال في هذا الباب وقد كانوا -رحمهم الله- يحذرون من الخوض في أسماء الله وصفاته بالتأويل أو الإلحاد فيها؛ بل كانوا يعاقبون من يسأل عن حقيقة كيفية هذه الصفات ويثير الفتن والفرقة بين الناس وتشويش عقول العوام ويؤدبونه على ذلك. ولم تحصل الفتة والتفرق فيها إلا بعد تعرض العقول لها بالتأويل والتعطيل والتحريف خلافا لهدي السلف كما سبينه شيخ الإسلام ابن تيمية.

قال شيخ الإسلام: « بل أنهم كانوا إذا رأوا من يسأل عن المتشابه بالغوا في كفه، تارة بالقول العنيف؛ وتارة بالضرب، وتارة بالإعراض الدال على شدة الكراهة لمسألته. ولذا لما بلغ عمر-رضي الله عنه- أن صبيغًا[2] يسأل عن المتشابه أعد له عراجين النخل، فبينما عمر يخطب قام فسأله عن: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ[3] وما بعدها. فنزل عمر فقال: « لو وجدتك محلوقًا[4] لضربتُ الذي فيه عيناك بالسيف» ثم أمر به فضرب ضرباً شديداً، وبعث إلى البصرة، وأمرهم أن لا يجالسوه، فكان بها كالبعير الأجرب لا يأتي مجلسًا إلا قالوا: عزمة أمير المؤمنين » فتفرقوا عنه، حتى تاب وحلف بالله ما بقي

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج4/ 3،2.

2 (?). هو صبيغ بن عسل ويقال: صبيغ بن شريك من بني عسل ابن عمرو بن يربوع بن حنظلة التميمي البصري الذي سال عمر بن الخطاب عما سأله فجلده وكتب إلى أهل البصرة أن لا يجالسوه/ الاصابة في تمييز الصحابة ج5/ 168 ت(4118) والوافي بالوفيات لصلاح الدين بن خليل بن آيبك الصفدي ج16/ 163. دار إحياء التراث- بيروت 1420. تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى.

3 (?) الذاريات آية: (1-2).

4 (?) لأن ذلك من سمات الخوارج على الأمة الذين قال عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم : سيماهم التحليق.. »

يجد مما كان في نفسه شيئًا، فأذن عمر في مجالسته، فلما خرجت الخوارج أتى، فقيل له : هذا وقتك فقال: لا، نفعتني موعظة العبد الصالح.

وهذا الإمام ما لك بن أنس لما سئل – رحمه الله تعالى – فقيل له: يا أبا عبد الله! ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﭼ [1] كيف استوى؟ فأطرق مالك وعلاه الرحضاء- يعني العرق-، وانتظر القوم ما يجيء منه فيه. فرفع رأسه إلى السائل وقال: ((الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأحسبك رجل سوء))[2] . فأمر به فأخرج.

وثبت عن محمد بن الحسن- صاحب أبي حنيفة[3]- أنه قال : ((اتّفق الفقهاء كلّهم من الشرق والغرب: على

---

[1] (?) طه آية : (5).

[2] (?) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث للبيهقي ص116 وذم التأويل لابن قدامة ص13.

[3] (?) أبو عبد الله الشيباني مولاهم صاحب أبي حنيفة أصله من قرية من قرى دمشق قدم أبوه العراق فولد بواسط سنة ثنتين ومائة ونشأ بالكوفة، طبقات الفقهاء حضر مجلس أبي حنيفة سنين ثم تفقه على أبي يوسف، وصنف الكتب الكثيرة ونشر علم أبي حنيفة رحمه الله تعالى، قال الشافعي رحمه الله تعالى: حملت من علم محمد بن الحسن وقر بعير. وقال الشافعي رحمه الله تعالى ما رأيت أحداً يسأل عن مسألة فيها نظر إلا تبينت في وجهه الكراهة إلا محمد بن الحسن. عن النعمان أكثر ما يقول عليه وكان مرجئا داعيا إليه، وهو أوّل من رد على أهل المدينة. وكان عاقلا ليس في الحديث بشيء كان يروي عن الثقات ويهم فيها فلما فحش ذلك منه استحق تركه من أجل كثرة خطئه لأنه كان داعية إلى مذهبهم مات بالري سئل يحيى بن معين عن محمد بن الحسن الشيباني فقال ليس بشيء/طبقات الفقها ء لإبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي ج1/142 – دار القلم- بيروت. تحقيق خليل الميس والجرح والتعديل ج7/227 والمجروحين لمحمد بن أبي حاتم ج2/276.

الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله في صفة الربّ عزّ وجلّ، من غير تفسيرٍ، ولا وصفٍ ولا تشبيهٍ، فمن فسّر شيئًا من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وفارق الجماعة. فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا، ولكن آمنوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا. فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة)) انتهى[1].

((وما أحسن ما جاء عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة [2] أنه قال: ((عليك بلزوم السنة؛ فإنّها لك بإذن الله عصمة، فإنّ السنة إنّما جعلت ليستن بها ويقتصر عليها، وإنما سنَّها من قد علم ما في خلافها من الزلل والخطأ والحمق والتعمق، فارْضَ لنفسك بما رضوا به لأنفسهم؛ فإنّهم عن علم وقفوا، وببصرٍ نافذ كفّوا، ولهم كانوا على كشفها أقوى. وبتفصيلها لَو كان فيها أحرى، وإنّهم لهم السابقون، وقد بلغهم عن نبيهم ما يجرى من الاختلاف بعد القرون الثلاثة؛ فلئن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه، ولئن قلتم حدثٌ حدثَ بعدهم فما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم، ورغب بنفسه عنهم، واختار ما نحته فكره على ما تلقوه عن نبيهم؛ وتلقاه عنهم من تبعهم بإحسان.

ولقد وصفوا منه ما يكفي؛ وتكلموا منه ما يكفي. فمن دونهم مقصر؛ ومن فوقهم مفرط. لقد قصر دونهم

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج4/ 2،3، 4، 5. وإذا أردت المزيد في معرفة هدي السلف الصالح في هذا الباب فراجع كتب القدماء مثل كتاب: السنة للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ، وكتاب السنة لابنه عبد الله ، وكتاب الحجة في بيان المحجة، وكتاب الرد الدارمي على بشر المريسي وكتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي وغيرها من كتب السلف.

2 (?) تقدمت ترجمته.

أناس فجفوا؛ وطمح آخرون فغلوا؛ وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم)) [1]

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- في موضع آخر تواتر أدلة الكتاب والسنة في ذلك فقال:

((والآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسائر علماء الأمة بذلك متواترة عند من تتبعها؛ وقد جمع العلماء فيها مصنفات صغارًا وكبارًا؛ ومن تتبع الآثار؛ علم أيضا قطعًا أنه لا يمكن أن ينقل عن أحدٍ منهم حرفٌ واحدٌ يناقض ذلك؛ بل كلّهم مجمعون على كلمةٍ واحدةٍ؛ وعقيدةٍ واحدةٍ؛ يصدّق بعضهم بعضًا؛ وإن كان بعضهم أعلم من بعض، كما أنّهم متفقون على الإقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وإن كان فيهم من هو أعلم بخصائص النبوة ومزاياها، وحقوقها ، وموجباتها، وحقيقتها وصفاتها.

ثم ليس أحد منهم قال يومًا من الدّهر: ظاهر هذا غير مراد؛ ولا قال هذه الآية أو هذا الحديث مصروفٌ عن ظاهره؛ مع أنّهم قد قالوا مثل ذلك في آيات الأحكام المصروفة عن عمومها وظاهرها؛ وتكلّموا فيما يستشكل مما قد يتوهم أنه تناقض. وهذا مشهورٌ لمن تأمله، وهذه الصفات أطلقوها بسلامةٍ، وطهارةٍ، وصفاءٍ، ولم يُشوّبوه بكدَرٍ و لا غشٍّ.

ولو لم يكن هذا هو الظاهر عند المسلمين، لكان رسول الله ثم سلف الأمة قالوا للأمة: الظاهر الذي تفهمونه غير مراد، ولكان أحد من المسلمين استشكل هذه الآية وغيرها.

ولا قال أحدٌ منهم يومًا من الدهر إن ربّنا ليس فوق العرش، أو أنّه ليس على العرش، أو أنّ استواءه على العرش كاستوائه على البحر. إلى غير ذلك من ترهات

---

[1] (?) الإبانة لابن بطة ج2/232.

الجهمية، ولا مثل استواء المخلوق، ولا أثبت له صفة تستلزم حدوثا أو نقصا)).[2]

وقد بين أن السلف من الصحابة والتابعين لم يختلفوا في آيات الصفات، ولا في أصل من أصول الدين الكبار ولم يتنازعوا فيها، حتى يعادي بعضهم بعضا ويبغض بعضهم بعضا، فهم أعرف الناس بمراد الله ورسوله ﷺ وفهمهم يقدم على فهم غيرهم ممن جاء بعدهم من جميع الوجوه.

ونستخلص من هذه النصوص التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى ما يلي:

1- أن السلف الصالح من الصحابة والتابعين كانوا متفقين على إثبات صفات الله العليا وأسمائه الحسنى على وجه يليق بجلاله وعظمته، لم يختلفوا في ذلك يوما من الأيام ولازمنا من الأزمان بالأدلة السابقة.

2- أن هديهم فيها يتميز بالوسطية والاعتدال دون إفراط فيه ولا تفريط.

3-أن التمسك بهديهم في هذا الباب، واتباع سبيلهم له أثر قوي في تحقيق الجماعة ، وأن الأئمة الكبار قد ذموا من خرج على جماعتهم، ولا يخرج عنها إلا صاحب بدعة وهوى بدليل الكتاب والسنة، وأقوال سلف الأمة**.**

4- لم يكن أحد من السلف يقبل قط أن يعارض القرآن أو السنة بمعقول أو رأي يقدمه عليهما، فاتباعهم في هذا يقوي التمسك بالجماعة ويزيد الائتلاف بين الأمة.

5-أنه يجب الوقوف حيث وقف السلف ولا نتجاوز عنه، فهم على علم وقفوا، ومن خرج عن هذا فهو خارج عن السنة وعن سبيل المؤمنين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ويخشى عليه الفتنة**.**

6- أنهم كانوا أكمل الناس عقلاً، وأعدلهم قياساً، وأصوبهم رأياً، وأسدهم كلاماً، وأصحهم نظراً، وأهداهم

---

[2] (?) مجموع الفتاوى ج33/180، 183.

استدلالاً، وأقواهم جدلاً، وأتمهم فراسةً، وأصدقهم إلهاماً وأحدهم بصراً، وأصوبهم سمعاً، وهديهم في هذا الباب فأعدل هدي الذ يجمع بينهذ الأمة وُيوحِّد صفَها.

المطلب الثاني : هديهم وسبيلهم في التعامل مع ولاة الأمر وأئمة الجـور وأثره في الجماعة

يقرر شيخ الإسلام ابن تيمية أن هدي السلف الصَّالح في التعامل مع الولاة والحكام يتميز في هذا الباب بالوسطية والاعتدال واتباع نصوص الكتاب والسنة بالسمع والطاعة في المعروف وفي المنشط والمكره وعلى أثرة عليهم والصبر على جور من جار منهم عليهم ولم أحد منهم يسيء التعامل إلى الولاة والحكّام كما قرره شيخ الإسلام، ولم يكونوا يطعنون في أحدٍ منهم بسبٍّ أو لعنٍ، بل ينزلونهم منازلهم، ويدعون لهم بالتوفيق والصلاح والسداد، ويطيعونهم في طاعة الله ورسوله امتثالاً لقوله تعالى ﭽ [illegible] ﯨ ﯨ ﯿ [illegible] ﭼ [1]

وقول نبيه صلى الله عليه وسلم: ((لا طاعة لمخلوق في معصية الله إنما الطاعة في المعروف))[2] في الصحيح عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر عليه؛ فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فمات فميتته جاهلية))[3] .

وقد تقدم الكلام عن هذا بما فيه كفاية عند ذكر آثارهم في الحث على الجماعة.

فهديهم فيهم يقوم على العدل والوسطية**،** لا يكفرونهم، ولا يخرجونهم من الملة بسبب جورهم أو ظلمهم؛ فإنهم يرون أنهم كغيرهم من المسلمين الذين لهم حسنات وسيئات، ولهذا يصلون خلفهم، ويجاهدون معهم، وقد أشار إلى هذا شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه

---

1 (?) النساء آية : (59).
2 (?) تقدم تخريجه
3 (?) تقدم تخريجه.

الله- فهذا له أثر كبير في الجماعة وحفظ الأمن والاستقرار، وفي جلب المصالح ودفع المضار.

فقال شيخ الإسلام: ((وهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف وإن كان فيهم ظلم،كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة))[1] **.**

قال: ((وقد كان الصحابة –رضوان الله عليهم- يصلون خلف من يعرفون فجوره كما كان ابن عمر يصلي خلف الحجاج، وابن مسعود وغيره يصلون خلف الوليد بن عقبة[2]وكان يشرب الخمر حتى إنه صلى بهم مرة الصبح أربعا، ثم قال: ((أزيدكم؟)) فقال ابن مسعود: ((ما زلنا معك منذ اليوم في زيادة))[3]. ولهذا رفعوه إلى عثمان))[4] .

لهذا فلم تكد تجد النزاعات بينهم وبين الولاة في أمر من أمور الولاية، أو خروج من الطاعة في كبير منه ولا صغير فكان ذلك يعد منقبة عظيمة من مناقبهم.

وقد جاء ما يؤكد هذا في كتب السلف كما سبق أن ذكرنا جملة من أقوالهم وآثارهم في الحث على لزوم الجماعة والائتلاف.

وقد جاء في كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي في بيان اعتقاد أحمد بن حنبل –رحمه الله- أنه قال**:** ((وأصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم- والاقتداء بهم وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وترك

---

1. (?) مجموع الفتاوى ج3/391.
2. (?)هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية القرشي الأموي أخو عثمان لأمه له صحبة وعاش إلى خلافة معاوية قتل أبوه بعد الفراغ من غزو بدر صبراً/ انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ج10/311 ت(9147).
3. (?) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص422. / المكتب الإسلامي – بيروت-1391 ط:4.
4. (?) مجموع الفتاوى ج3/281، وج23/353.

الخصومات و الجلوس مع أصحاب الأهواء وترك المراء والجدال والخصومات في الدين.

والسنة عندنا آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم، والسنة تفسر القرآن وهي دلائل القرآن.

وليس من السنة قياس، ولا تضرب لها الأمثال، ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء، وإنما هي الاتباع وترك الهوى.

ومن السنة اللازمة التي من ترك خصلة لم يقلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها:

... السمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البر والفاجر ومن ولي الخلافة فاجتمع الناس عليه ورضوا به.

ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين.

والغزو ماض مع الأمراء **إلى يوم القيامة** البر والفاجر ولا يترك. وقسمة الفيء وإقامة الحدود إلى الأئمة ماض **ليس لأحد أن يطعن عليهم ولا ينازعهم** .

ودفع الصدقات إليهم جائزة ونافذة من دفعها إليهم أجزأت عنه برا كان أو فاجرا.

ومن خرج على إمام المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه **وأقروا له بالخلافة بأي وجه كان بالرضا أو بالغلبة**، فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية.

ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق)).[1]

---

[1] (?) أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ج1/ 180-181 وكتاب أصول السنة للإمام أحمد ص17/ دار المنار- الخرج . ط:1، 1411هـ.

وجاء ما يؤكد هذا من كلام الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري –رحمه الله- في اعتقاد السلف وبيان هديهم وسبيلهم في هذا الباب بقوله:

((لقيتُ أكثر من ألف رجل من أهل العلم أهل الحجاز ومكة، والمدينة والكوفة، والبصرة، وواسط، وبغداد، والشام، ومصر، لقيتهم كرات قرنًا بعد قرنٍ، ثم قرنا بعد قرن، أدركتهم وهم متوافرون منذ أكثر من ست وأربعين سنة... فما رأيت واحدا منهم يختلف في هذه الأشياء:

أنّ الدين قول وعمل وذلك قول الله: ﭽ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ[1] إلى أن قال:

وكانوا ينهون عن البدع ما لم يكن عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لقوله تعالى: ﭽ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭼ[2] ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ[3]

ويحثون على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه لقوله: ﭽ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ[4]

...وأن لا ننازع الأمر أهله لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله وطاعة ولاة الأمر ولزوم جماعتهم فإن دعوتهم تحيط من ورائهم))[5] ثم أكد في قوله: ﭽ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﭼ[6]

وأن لا نرى السيف على أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

---

1 (?) البينة آية:(5).

2 (?) آل عمران آية : (103).

3 (?) النور آية : (54).

4 (?) الأنعام آية : (153).

5 (?) تقدم تخريجه.

6 (?) النساء آية: (59).

وقال الفضيل[1]: لو كانت لي دعوة مستجابة لم أجعلها إلا في إمام **لأنه إذا صلح الإمام أمن البلاد والعباد**))[2]

وكذلك اعتقاد أبي أبي زرعة عبيد الله بن عبد الله بن عبد الكريم وأبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر الرازيين ، (وجماعة من السلف ممن نقل عنهم رحمهم الله)،فقال ابن أبي حاتم سألت أبي وأبا زرعة[3] عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار وما يعتقدان من ذلك؟

فقالا: ((أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازًا وعراقًا وشامًا ويمنًا فكانَ من مذهبهم:

الإيمان قول وعمل يزيد وينقص... ولا نُكَفِّر أهلَ القبلة بذنوبهم، ونَكِل أسرارَهم إلى الله عز وجل، ونقيم فرض الجهاد والحج مع أئمة المسلمين في كل دهر وزمان.

ولا نرى الخروج على الأئمة ولا القتال في الفتنة ، ونسمع ونطيع لمن ولاه الله عز وجل أمرنا ، ولا ننزع يد الطاعة، ونتبع السنة والجماعة ، ونتجنب الشذوذ والخلاف والفرقة.

وأن الجهاد ماض مذ بعث الله عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام إلى قيام الساعة مع أولي الأمر من أئمة المسلمين لا يبطله شيء. والحج كذلك ودفع الصدقات

---

[1] (?) هو فضيل بن عياض بن مسعود التميمي، أبو علي، الزاهد المشهور، أصله من خراسان، وسكن مكة: ثقة عابدٌ إمامٌ، من الثامنة، مات سنة سبع وثمانين ومائة، وقيل قبلها/ تقريب التهذيب ص383 ت(5431)..

[2] (?) اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ج1/159، 196، 197. رقم(323).

[3] (?) **هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فرّوخ، أبو زرعة الرازي**: إمام حافظ ثقة مشهور، من الحادية عشرة، ما سنة أربع وستين، وله أربع وستون/ التقريب ص 313ت(4315).

من السوائم إلى أولي الأمر من أئمة المسلمين، والناس مؤمنون في أحكامهم ومواريثهم، ولا ندري ما هم عند الله عز وجل..)) [1].

وهذا ما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله – وبينه في مواضع كثيرة فهو –رحمه الله- كان حريصًا على بقاءِ الناس على الحق والجماعة وعدم الفرقة، و تحكيم الكتاب والسنة، و ما كان عليه سلف الأمة وأن الوسائل في تحقيق هذا متوفرة، وأن سنة الله في خلقه لا تتغير ولا تتبدل ولن تجد لسنته تحويلاً، فقد أوجب الله طاعة رسوله وطاعة هؤلاء الأئمة والأمراء لما في ذلك من تحقيق مصالح الدين والدنيا ، فإن الكمال لله وحده سبحانه، والعصمة لرسوله صلى الله عليه وسلم ولا يخرج عن هذا إلا صاحب بدعة وهوى.

وقد قال تعالى: ﭼ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﯽ ﯼ ﯻ ﭺ وقال ﭼ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭺ [2].

فهؤلاء كما ذكر شيخ الإسلام هم ولاة الحرب من الملوك ونوابهم، وأهل العلم والدين الذين يعلمون الناس دينهم ويأمرونهم بطاعة الله، فإن قوام الدين بالكتاب والحديد.

وقــال في تعليــل ذلك: ((وإذا كان ولاة الحــرب عــاجزين ومفــرطين عن تقــويم المنتســبين إلى الطريق كـان تقــويمهم على رؤســائهم، وكـان لهم من تعزيــزهم وتأديبهم ما يتمكنـون منه إذا لم يقم به غـيرهم، كما قـال النـبي ﷺ : ((من رأى منكم منكــرا فليغـيره بيـده، فـإن لم

---

[1] (?) السنة للالكائي ج1/ 197 رقم(321).

[2] (?) الحديد آية : (25).

يستطع فبلسانه؛ فإن لم يستطع فبقلبه وهو أضعف الإيمان))[1] [2].

فإن اتفق من يقاتلهم على الوجه الكامل، فهو الغاية في رضوان الله وإعزاز كلمته، وإقامة دينه وطاعة رسوله، وإن كان فيهم من فيه فجور وفساد نية بأن يكون يقاتل على الرياسة، أو يتعدى عليهم في بعض الأمور، وكانت مفسدته ترك قتالهم أعظم على الدين من مفسدة قتالهم على هذا الوجه، كان الواجب أيضا قتالهم دفعا لأعظم المفسدتين بالتزام أدناهما، فإن هذا من أصول الدين التي ينبغي مراعاتها.

ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة الغزو مع كل بر وفاجر، فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر؛ وبأقوام لا خلاق لهم، كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه إذا لم يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجار أو مع عسكر كثير الفجور، فإنه لابد من أحد الأمرين:

إما ترك الغزو معهم فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الذين هم أعظم ضررا في الدين والدنيا.

وإما مع الأمير الفاجر، فيحصل بذلك دفع الأفجرين، وإقامة أكثر شرائع الإسلام وإن لم يمكن إقامة جميعها، فهذا هو الواجب في هذه الصورة وكل ما أشبهها، بل كثير من الغزو الحاصل بعد الخلفاء الراشدين لم يقع إلا على هذا الوجه))[3]

في هذا بيان هدي السلف الصحيح في تعاملهم مع ولاة أمر المسلمين جميعهم بررةً كانوا أو فجاراً ظلمة وكانوا يعتصمون بذلك الكتاب والسنة الذي يقوم على

---

[1] (?) رواه ابن ماجه في سننه ج4/360 ح(4005) كتاب الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وأحمد في مسنده ج1/2 . وصحيح ابن حبان ج1/ 540، وصححه الألباني في صحيح سننه ابن ماجه رقم(4005). وفي صحيح الجامع الصغير رقم(1974) وفي صحيح الترغيب رقم(2317).

[2] (?) وسيأتي الحديث عن هذا الحديث إن شاء الله .

[3] (?) مجموع الفتاوى 11/ 551، 552، وج28/506، 507.

الوسطية والاعــتدال لا إفراط فيه ولا تفريط في ذلك مهما تغيرت الظروف والأحوال فإنهم يزنون هذا التعامل بميزان الكتاب والسنة لا يخرجون عنهما بحال من الأحوال.

فطاعتهم تقوم على الوسطية والاعتدال، يجاهدون معهم في كل زمان ومكان.

ويترك الطعن عليهم ومنازعتهم في أمرهم، و الخروج عليهم؛ اتباعًا للكتاب والسنة وحفظا لمصالح الدين والدنيا ودفعا للمفاسد والمضار، فيسعد العبـاد و يأمن البلاد.

((ولو أحاط المرء علمًا بما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم من الجهاد الذي يقوم به الأمراء إلى يوم القيامة، وبما نهى عنه من إعانة الظلمة على ظلمهم علم أن الطريق الوسطى التي هي دين الإسلام المحض، جهاد من يستحق الجهاد مع كل أمير، أو طائفة هي أولى بالإسلام منهم، إذا لم يمكن جهادهم إلا كذلك، واجتناب إعانة الطائفة التي يغزو معها على شيء من معاصي الله، بل يطيعهم في طاعة الله، ولا يطيعهم في معصية الله إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وهذه طريقة خيار هذه الأمة قديمًا وحديثًا. وهي واجبةٌ على كلّ مكلف. وهي متوسطةٌ بين طريق الحرورية، وأمثالهم ممن يسلك مسلك الورع الفاسد الناشئ عن قلة العلم، وبين طريقة المرجئة وأمثالهم ممن يسلك مسلك طاعة الأمراء مطلقًا، وإن لم يكونوا أبرارًا.

ونسأل الله أن يوفقنا وإخواننا المسلمين لما يحبه ويرضاه من القول والعمل))[1]

وهذه السنة والسبيل والطريق الذي لا يسع لأحد الخروج عنه، وهذا يوافق ما جاء في الكتاب والسنة من مدح هديهم وسبيلهم، والثناء عليه والحث على لزومه

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج28/508.

ويؤكده. ولو التزم الناس بهذا الهدي القويم لزالت كثير من المشكلات التي تعاني منها الأمة خاصة في هذا العصر الذي التبس فيه الحق بالباطل إلا من رحم الله، ولزالت أو خفّتْ كثير من الفتن المتعلقة بهذا الباب، ولصارت الأمة يدا واحدة على من سواهم، ولحققوا مراد الله ورسوله في الجماعة والائتلاف وكانُوا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسحر، ولكن اختلفوا وخالفوا سبيل السابقين الأولين في تعاملهم مع الولاة بالوسطية والاعتدال.

يتبين من هذه النصوص التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- أن هدي السلف الصالح في التعامل مع ولاة الأمر وأئمة الجور الأمور الآتية:

1- لا يطيعونهم مطلقًا، بل يطيعونهم في طاعة الله، ولا يطيعونهم في معصية الله.
2- لا يخرجون عليهم بسيف أو نحوه لما في ذلك من ضرر وشر عظيمة على الدين وأهله، كما سيأتي بيانه.
3- لا ينازعونهم في أمرهم وملكهم، بل يعطونهم حقوقهم كما نص على ذ لك الكتاب والسنة، ويصبرون على جورهم.
4- لا يلعنونهم على المنابر ولا يشهرون أخطاءهم، بل يدينون لهم بالنصيحة سرا لا علانية.
5- يصلون خلف كل إمام برا كان أو ظالما الجمعة والجماعة يجاهدون معهم في كل زمان ومكان، ولا يكفرونهم بمعاصيهم.
6- يدعون لهم بالتوفيق والسداد والعون والهداية والصلاح لأن بصلاحهم أمن البلاد والعباد.
7- أن السلف الصالح من الصَّحابة والتَّابعين لهم كلهم متفقون على هــذا ولم يخالفهم فيه أحد منهم.

المطلب الثالث: هدي السلف الصالح في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله وأثره في الجماعة

بين شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- أن هدي السلف في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقوم على أصول عظيمة وقواعد متينة وأسس رصينة الكتاب والسنة.

ويتّسم بالوسطية والاعتدال وفقه الكتاب والسنة، وبرفق الخلق والعباد، وحسن القصد والنية والإخلاص لله وإعلاء كلته هو مقصودهم الأسمى، ومراعاة القدرة وأحوال الناس والمصلحة الراجحة عند الأمر والنهي، فبذلك يتحقق الأمن والاستقرار، والعدل والإنصاف، والسلامة من الفتن والدمار والشرور والأضرار على الدين وأهله ، وهذا هو المنهج السليم والطريق القويم والصراط المستقيم المبني على أصول الدين الذي جاء به الرسول الرحيم صلى الله عليه وسلم.

فهو من هذا الباب هدي معصوم يحقق الجماعة والائتلاف في الدين والدنيا، فالتمسك به سبب قوي وحصن حصين في بناء أسس الجماعة وقاعدة مهمة من قواعدها، وما دبت الفتن والفرقة في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بعد الإعراض عن هديهم وترك طريقهم واتباع غير سبيلهم ، فهذا ما يبينه شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الموضع، حيث قرر في النصوص الآتية:

أن هدي السَّلف الصَّالح من الصحابة والتابعين في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثره في الجماعة كما قيل من الكلام السائر: الضد يظهر حسنه الضد وبضدها تتبين الأشياء.

وفي أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الجماعة والائتلاف وخطورة ترك ذلك وآثاره السيئة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

((فمتى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به، وقعت بينهم العداوة والبغضاء، وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا؛ وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا؛ فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب.

وجماع ذلك في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ إلى قــوله ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﭼ فمن الأمر بالمعروف الأمر بالائتلاف والاجتماع والنهي عن الاختلاف والفرقة، ومن النهي عن المنكر إقامة الحدود على من خرج من شريعة الله تعالى))[1].

فهدي سلف الأمة في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موافق لأمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، فيقوم على الوسطية والاعتدال دون الغلو والتقصير، والعنف ونحوه، بل يقوم على الوجه المشروع من العلم، والرفق، والحلم، والصبر، والعدل، والإنصاف، وحسن القصد، وسلوك السبيل، مع مراعاة مصالح الدين والدنيا، كما قرره شيخ الإسلام.

قال شـيخ الإسـلام ابن تيمية –رحمه الله- : ((ولما كان العمل لابد له من شيئين: **النية والحركة،** كما قال النبي صلى الله عليه وسلم**:** ((أصدق الأسماء حـارث وهمام))[2]

فكل أحد حـــارث وهمـــام له عمل ونيـــة؛ لكن النية المحمودة الـتي يتقبلها الله ويـثيب عليهـا: أن يـراد بـذلك العمل. والعمل المحمود: الصالح؛ وهو المأمور بـه؛ ولهـذا كان عمر بن الخطاب –رضي الله عنه- يقـول في دعائه :

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج3/421-422

2 (?) رواه أبو داود في سننه ج5/237ح(495) كتاب الأدب باب في تغيير الأسماء. وأحمد في مسنده ج4/345 والبخاري في أدب المفرد ص284، والبيهقي في الكبرى ج9/306. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم(4950).

اللهم اجعل عملي كله صـــالحا واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل لأحد فيه شيئا)) [1].

وإذا كان هـذا حد كل عمل صـالح: فـالآمر بـالمعروف والناهي عن المنكر يجب أن يكون هكـذا في حق نفسـه، ولا يكون عمله صـالحا إن لم يكن بعلم وفقـه، وكما قـال عمر بن عبد العزيز- رحمه اللـه- : من عبد الله بغـير علم كان ما يفسد أكـثر مما يصـلح. وكما في حـديث معـاذ بن جبل –رضي الله عنه: ((العلم إمــام العمل والعمل تابعه)) [2]؛ وهذا ظاهر فإن القصد والعمل إن لم يكن بعلم؛ كـان جهلا وضـلالاً و اتباعا للهـوى، وهـذا هو الفــرق بين أهل الجاهلية وأهل الإســـلام، فلا بد من العلم بـــالمعروف والمنكر والتميـيز بينهمـا. ولا بد من العلم بحـال المـأمور والمنهي، ومن الصلاح أن يـأتي بـالأمر والنهي بالصـراط المستقيم، وهو أقرب الطرق إلى حصول المقصود.

ولابد في ذلك من الرفق كما قال النبي صلى اله عليه وسلم: ((ما كان الرفق في شيء إلا زانه؛ ولا كان العنف في شيء إلا شانه)) [3]

وقال: ((إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله، ويعطي عليه مالا يعطى على العنف)) [4] .

ولابد أيضا أن يكون حليما صبورا على الأذى؛ فإنه لابد أن يحصل له أذى ؛ فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح؛ كما قال لقمان لابنه: چ [illegible] چ [5] ؛ ولهذا أمر الله

---

[1] (?) انظر الأثر في كنزل العمال في سن الأقوال والأفعال/ لعلي بن حسان الدين الهندي رقم(5041)/ مؤسسة الرسالة – بيروت: 1989.

[2] (?) قال الألباني موضوع/ انظر : السلسلة الضعيفة رقم(5293).

[3] (?) صحيح مسلم ص661ح(2594) كتاب البر والصلة والآداب باب فضل الرفق.

[4] (?) صحيح مسلم ص661ح(2593) نفس الكتاب والباب.

[5] (?) لقمان آية 17.

الرسل- وهم أئمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- بالصبر، كقوله لخاتم الرسل: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ[1] وقال: ﭽ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣﯤ ﭼ[2].

وهكذا كما جاء في الأثر عن بعض السلف ورووه مرفوعا؛ ذكره القاضي أبو يعلى[3] في المعتمد: ((لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيها فيما يأمر به؛ فقيها فيما ينهى عنه؛ رفيقا فيما يأمر به؛ رفيقا فيما ينهى عنه؛ حليما فيما يأمر به؛ حليما فيما ينهى عنه))[4].

يقرر هنا شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- أنه لابد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الوجه المشروع، مع حسن النية والقصد لله تعالى، ولا بد من العلم المبني على الكتاب والسنة على وفق فهم سلف الأمة أولاً.

---

1 (?) المزمل آية: (10).

2 (?) النحل: آية: (127).

3 (?) **القاضي أبو يعلى الإمام العلامة**، شيخ الحنابلة، القاضي أبو يعلى؛ محمد بن الحسين ابن محمد بن خلف بن أحمد البغدادي، الحنبلي، صاحب التعليقات الكبرى، و التصانيف المفيدة في المذهب. ولد في أول سنة ثمانين وثلاث مئة. وسمع على بن عمر الحربي، وابن أخي ميمي، وأمَّ الفتح بنت أحمد بن كامل. حدّث عنه: الخطيب، وأبو الوفاء بن عقيل، وحدّث عن القدماء : المقرئ أبو علي الأهوازي. أفتى ودرَّس، وتخرَّج به الأصحاب، وانتهت إليه الإمامة في الفقه، وكان عالم العراق في زمانه، مع معرفة بعلوم القرآن وتفسيره، والنظر والأصول. ألّف كتاب ((أحكام القرآن))، و((مسائل الإيمان))، و ((المعتمد)) و ((مختصر)) و((الرد على الكرامية)) و((الرد على السالمية))و ((الرد على الجهمية)) و((الكلام في الاستواء)) و ((العدة)) و((فضائل أحمد)) و كتاب ((الطب)) و تواليف كثيرة. توفي سنة ثمانٍ و خمسن وأربع مئة./ السير ج18/89، 90، 91.

4 (?) مجموع الفتاوى ج15/167، وج28/135، 136، 137.

ولابد من الرفق والرحمة والبعد عن العنف وسوء القصد وإرادة العلو وحب الدنيا والرياسة وتزكية النفس .

ولابد من الصبر وعدم اليأس والاستعجال؛ وبحسب القدرة، وبالعلم والفقه بأن الهداية بيد الله تعالى، وإلا تقع الفتنة والفرقة والفساد والعدوان والشر العظيم من قتل النفوس والخروج على الولاة وتكفير المجتمعات وعدم حصول المقصود، وكذلك السكوت عن الأمر والنهي.

فالشدة والعنف لا يبنيان شيئا من الخير، بل الفساد والدمار، كما أن الجهل وترك الصبر يؤدي إلى الجزع والظلم والاعتداء ووضع الأمور في غير موضعها وتعطيل المصالح والبعد عن المنهج الصحيح وعدم التوفيق وسوء المسير، كما أن السكوت و الإهمال والتساهل يؤدي إلى الهلاك العام والعياذ بالله لهذا فإن الاعتدال مطلوب، والأمر بالعلم والرفق والصبر وإنزال الناس منازلهم واجب.

وقد أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- فقال: «إذا كان الكفر والفسوق والعصيان سبب الشر والعدوان فقد يذنب الرجل أو الطائفة ويسكت آخرون عن الأمر والنهي، فيكون ذلك من ذنوبهم، وينكر عليهم آخرون إنكارا منهيا عنه فيكون ذلك من ذنوبهم؛ فيحصل التفرق والاختلاف والشر، وهذا من أعظم الفتن والشرور قديما وحديثا؛ إذ الإنسان ظلوم جهول، والظلم والجهل أنواع، فيكون ظلم الأول وجهله من نوع، وظلم كل من الثاني والثالث وجهلهما من نوع آخر وآخر.

ومن تدبر الفتن الواقعة رأى سببها ذلك، ورأى أن ما وقع بين أمراء الأمة وعلمائها ومن دخل في ذلك من ملوكها ومشايخها؛ ومن تبعهم من العامة الفتن: **هذا أصلها**؛ يدخل في ذلك أسباب الضلال والغي: التي هي الأهواء الدينية والشهوانية؛ وهي البدع في الدين والفجور

في الدنيا، وذلك أن أسباب الضلال والغي البدع في الدين، والفجور في الدنيا، وهي مشتركة: تعم بني آدم، لما فيهم من الظلم والجهل)) [1]

وشيخ الإسلام -رحمه الله – قد قسم الناس في هذا الباب إلى ثلاثة أقسام

بقوله : ((... فتدبر هذا؛ فإن هذا مقام خطر؛ فإن الناس هنا ثلاثة أقسام:

1- قسم يأمرون وينهون ويقاتلون؛ طلبا لإزالة الفتنة التي زعموا، ويكون فعلهم ذلك أعظم فتنة؛ كالمقاتلين في الفتنة الواقعة بين الأمة.

2- وأقوام ينكلون عن الأمر والنهي والقتال الذي يكون به الدين كله لله، وتكون كلمة الله هي العليا؛ لئلا يفتنوا، وهم سقطوا في الفتنة مثل كثير ممن يحب الرئاسة أو المال أوشهوات الغي)) [2]

3- ((هم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يتجاوزون حدود الشرع في ذلك ،ويرعون في ذلك المصلحة الراجحة في الأمر والنهي)) [3]

ولهذا بين شيخ الإسلام في موضع آخر أنه لابد من معرفة المعروف المأمور به، والمنكر الذي يراد إنكاره، وأن ذلك لا يؤدي إلى شر أعظم ومفاسد أكبر، وكذلك مراعاة القدرة والإمكان في الأمر والنهي، وأن هذه عقواعد وأصول مهمة في هذا الباب وإلا فسد الأمر والنهي، وأكمل هدي في ذلك هدي الصحابة رضوان الله عليهم.

فقال -رحمه الله- :

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج28/142، 143.

2 (?) كتاب الاستقامة ج2/ 291 ومجموع الفتاوى ج28/167. والقسم الثالث هم سلف الأمة الذين هديهم في هذا الاعتدال والوسطية كما سيأتي.

3 (?) لعل هذا المقصود لأني لم أجد القسم الثالث وهو السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

((فإن كمال الإسلام هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله بحسب القدرة والإمكان.

ومن نشأ في المعروف لم يعرف غيره، فقد لا يكون عنده من العلم بالمنكر وضرره ما عند مَنْ عَلِمه، ولا يكون عنده من الجهاد لأهله ما عند الخبير بهم، ولهذا يوجد الخبير بالشر وأسبابه إذا كان حسن القصد عنده من الاحتراز عنه، ومنع أهله والجهاد لهم ما ليس عند غيره.

ولهذا كان الصحابة -رضي الله عنهم أعظم إيمانا وجهادا ممن بعدهم لكمال معرفتهم بالخير والشر، وكمال محبتهم للخير وبغضهم للشر؛ لما علموه من حسن الإسلام والإيمان والعمل الصالح، وقبح حال الكفر والمعاصي، ولهذا يوجد من ذاق الفقر والمرض والخوف؛ أحرص على الغنى والصحة والأمن ممن لم يذق ذلك، ولهذا يقال: والضد يظهر حسنه الضد. وبضدها تتبين الأشياء.

وكان عمر بن الخطاب – رضي الله عنه- يقول : ((لست بخب[1] ولا يخدعني الخب)).

فالقلب السليم المحمود هو الذي يريد الخير لا الشر، وكمال ذلك بأن يعرف الخير والشر. فأما من لا يعرف الشر فذاك نقص فيه لا يمدح به))[2] .

فالذي يزيل الشر بما هو أعظم منه، والمنكر بما هو أنكر منه دليل على قلة بضاعته في معرفة هدي السلف الصالح وسبيلهم، وقلة فهمه لدلالة النصوص ، فإن السلف الصالح لم يقاتلوا الولاة بدعوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

((ولهذا لا يجوز إنكار المنكر بما هو أنكر منه، ولهذا حرم الخروج على ولاة الأمر بالسيف لأجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن ما يحصل بذلك من فعل المحرمات، وترك واجب أعظم مما

---

1 (?) خب:

2 (?) مجموع الفتاوى ج10/160، 301، 302.

يحصل بفعلهم المنكر والذنوب، وإذا كان قوم على بدعة أ و فجور ولو نهوا عن ذلك وقع بسبب ذلك شر أعظم مما هم عليه من ذلك ولم يمكن منعهم منه، ولم يحصل بالنهي مصلحة راجحة لم ينهوا عنه.

بخلاف ما أمر الله به الأنبياء وأتباعهم من دعوة الخلق، فإن دعوتهم يحصل بها مصلحة[1] على مفسدتها))[2]

((وبهذا الوجه صارت الخوارج تستحل السيف على أهل القبلة حتى قاتلت عليا وغيره من المسلمين، وكذلك من وافقهم في الخروج على الأئمة بالسيف في الجملة من المعتزلة والزيدية، والفقهاء وغيرهم.

فإن أهل الديانة من هؤلاء يقصدون تحصيل ما يرونه دينا، لكن يخطئون من وجهين:

أحدهما: أن يكون ما رأوه دينا ليس بدين كرأي الخوارج وغيرهم من أهل الأهواء؛ فإنهم يعتقدون رأيا هو خطأ وبدعة ويقاتلون الناس عليه، بل يكفرون من خالفهم فيصيرون مخطئين في رأيهم، وفي قتال من خالفهم أو تكفيرهم ولعنهم، وهذا حال عامة أهل الأهواء.

ومما ينبغي أن يعلم أن أسباب هذه الفتن تكون مشتركة، فيرد على القلوب من الواردات ما يمنع القلوب من معرفة الحق وقصده، ولهذا تكون بمنزلة الجاهلية، والجاهلية ليس فيها معرفة الحق، ولا قصده، والإسلام جاء بالعلم النافع والعمل الصالح بمعرفة الحق وقصده. فيتفق أن بعض الولاة يظلم باستئثار، فلا تصبر النفوس على ظلمه، ولا يمكنها دفع ظلمه إلا بما هو أعظم فسادا منه، ولكن لأجل محبة الإنسان لأخذ حقه ودفع الظلم عنه، لا ينظر في الفساد العام الذي يتولد عن فعله))[3] .

---

1 (?) أي مصلحة راجحة على مفسدتها.

2 (?) مجموع الفتاوى ج14/472، وانظر: ج28/170. وما بعدها.ومنهاج السنة ج4/536، 537.

3 (?) منهاج السنة ج4/536، 537، 538، 539،

الوجه الثاني: من يقاتل على اعتقاد رأي يدعو إليه مخالف للسنة والجماعة، كأهل الجمل وصفين والحرة والجماجم[1] وغيرهم، لكن يظن أنه بالقتال تحصل المصلحة المطلوبة، فلا يحصل بالقتال ذلك، بل تعظم المفسدة أكثر مما كانت، فيتبين لهم في آخر الأمر ما كان الشارع دل عليه من أول الأمر.

وفيهم من لم تبلغه نصوص الشارع، أو لم تثبت عنده. وفيهم من يظنها منسوخة كابن حزم[2] . **وفيهم من يتأولها، كما يجري لكثير من المجتـهدين في كثير من النصوص))** [3] .

يتبين مما سبق بيانه من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- ما يأتي:

---

[1] (?) دير الجماجم وفيه نزل الحجاج، لما نزل ابن الأشعث بدير الجماجم ، **ودير الجماجم مما** يلي الكوفة، وكان ابن الأشعث احتاز دير الجماجم لتأتيه الميرة من الكوفة ولما نزل الحجاج بدير قرة قال ما اسم هذا الموضع الذي نزل فيه ابن الأشعث: قيل له: دير الجماجم فقال : تكثر فيه جماجمهم، وما هذا الذي نزلناه قيل دير قرة قال يستقر فيه أمرنا وتقر فيه أعيننا فكان الأمر كما قال/ انظر معجم البلدان ج2/526.

[2] (?) **هو أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي**، الإمام الظاهري، ولد بقرطبة سنة 384هـ وكان عالم الأندلس في عصره، وأحد الأئمة الأعلام الكبار، فقد كان فقيها، أصولياً، محدثاً، عالما بالفرق والديانات والمذاهب الفقهية على اختلافها، مع إلمام بالأدب والشعر، قال عنه الإمام الذهبي-رحمه الله-:((وكان قد مهر-أولا- في الأدب والأخبار والشعر، وفي المنطق، وأجزاء من الفلسفة، فأثرت فيه تأثيراً ليته سلم من ذلك)) ولأبي محمد بن حزم مؤلفات من أهمها: كتابه: ’’المحلى‘‘ في الفقه، وكتاب: ’’الفصل في الملل والأهواء والنحل‘‘، توفي-رحمه الله وعفا عنه- سنة 456هـ، ترجمته في: وفيات الأعيان 3/ 325، سير أعلام النبلاء 18/ 184.

[3] (?) منهاج السنة ج4/538.

1-أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعلم بحدودهما.
2-أنَّ السلف الصَّالح من الصحابة والتابعين أهل القرون المفضلة كانوا أعرف ممن بعدهم وأعلمهم منهم بهذا الأمر.
3- أن معرفة حدود المعروف والمنكر مما يعين بعد الله على حسن التعامل مع المخالف، وتقدير العواقب ومراعاة المصالح الراجحة ودفع المفاسد والأضرار.
4- أن القوة والعنف في هذا الباب لا يحققان شيئًا من المصلحة المطلوبة ولا الخير المرجو، وإنما ذلك بالعلم والرفق وتقوى الله في عباد الله وحسن النيّة والقصد والاستعانة بالله والاعتصام بنصوص الكتاب والسنة وفق هدي السلف الصالح.
5-خطورة إنكار المنكر بما هو أنكر منه وما ينتج عن ذلك من اتباع الهوى و تكفير الدول والأفراد والمجتمعات، وقتال الأمة، والخروج على الحكام وتسفيه العلماء أو لعنهم أو الطعن فيهم،وهو ما سيوضحه شيخ الإسـلام أكثر إن شاء الله .

بهذا وبما سبق بيانه يتبين أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم أصول الدين وواجباتها، وأنه لابد أن تكون فيه المصلحة راجحة على المفسدة، ويحتاج هذا إلى العلم والفقه في الدين ، والرفق والصبر لله ، والتأني وحسن القصد والنية، وتقدير المصالح والعواقب بميزان الكتاب والسنة، وتقوى الله في عباد الله، وأن هداهم بيد الله وهو يهدي من يشاء من عباده **كما جاء في كتابه، وكما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- في موضع آخر فقال :**

((والرفق سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولهذا قيل: فليكن أمرك بالمعروف بالمعروف ونهيك عن المنكر غير المنكر.

وإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات، أو المستحبات، فالواجبات والمستحبات لابد أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة، إذ بهذا بعثت الرسل وأنزلت الكتب ، والله لا يحب الفساد، بل كل ما أمر الله به فهو صلاح، وقد أثنى الله على المصلحين والذين آمنوا وعملوا الصالحات، وذم الفساد والمفسدين في غير موضع من كتابه العزيز.

فحيث كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته، لم يكن مما أمر الله به، وإن كان قد ترك واجب، وفعل محرم، **إذ المؤمن عليه أن يتقي الله في عباد الله، وليس عليه هداهم،** وهذا معنى قوله تعـــالى: ﭽﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷﭸ ﭼ[1]

والاهتداء إنما يتم بأداء الواجب، فإذا قام المسلم بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قام بغيره من الواجبات لم يضره ضلال الضال، وذلك يكون تارة بالقلب، وتارة باللسان، وتارة باليد.

فأما القلب فيجب بكل حال إذ لا ضرر في فعله، ومن لم يفعله فليس هو بمؤمن كما قال النبي صلى الله عليه وسلم)) [2].

---

1 (?) المائدة آية: (105).

2 (?) كما جاء في صحيح مسلم ص25 ح(49) قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((...من رأى منكم منكراً فليغيره بيد. فإن لم يستطع فبلسانه. فإن لم يستطع فبقلبه. وذلك أضعف الإيمان)) وفي رواية :ح(50) ((ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي، إلا كان له من أمته حواريون وأصحابٌ يأخذون بسنته ويقتدون بأمره. ثم تخلُفُ من بعدهم خُلوفٌ، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون. فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن. وليس وراء ذلك من الإيمان حبّة خردل))/ كتاب الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر واجبان.

وهذه الآية المذكورة قد يفهمها بعض الناس خطأ، إما إفراطًا أو تفريطاً؛ فيترتب على ذلك مفاسد عظيمة، كما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية فقال:

((**وهنا قد يغلط فريقان:**

الفريق الأول: فريق يترك ما يجب من الأمر والنهي تأويلا لهذه الآية كما قال أبوبكر الصديق رضي الله عنه في خطبته: (0 أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية : ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷﭸ ﭼ.

وإنّكم تضعونها في غير موضعها، وإني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أو شك أن يعمهم الله بعقاب منه))[1]

والفريق الثاني: من يريد أن يأمر وينهى إما بلسانه، وإما بيده **مطلقا**، من غير فقه ولا حكم، ولا صبر، ولا نظر في ما يصلح من ذلك ومالا يصـلح وما يقدر علـيه وما لا يقدر. فيأتي بالأمر والنهي معتقدا أنه مطيع في ذلك الله ورسوله، وهو معتد في حدوده، كما نصب كثير من أهل البدع والأهواء نفسه للأمر والنهي، كالخوارج والمعتزلة والرافضة وغيرهم ممن غلط فيما أتاه من الأمر والنهي والجهاد وغير ذلك فكان فساده أعظم من صلاحه.

ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر على جور الأئمة ونهى عن قتالهم ما أقاموا الصلاة، وقال : ((أدوا إليهم حقوقهم وسلوا الله حقوقكم))[2] .

ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة لزوم الجماعة وترك قتال الأئمة وترك القتال في الفتنة))[3] **.**

والمخرج من هذا الأمر هو الوسطية وهو اتباع هدي السلف الصالح وهو مراعاة القدرة والمصلحة

---

1 (?) تقدم تخريجه.

2 (?) تقدم تخريجه.

3 (?) مجموع الفتاوى ج28/ 126 ، 127، 128.

الراجحة كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله في القاعدة الآتية:

فقال: ((وجماع ذلك داخل **في ((القاعدة العامة))** فيما إذا تعارضت المصالح والمفاسد والحسنات والسيئات أو تزاحمت؛ فإنه يجب ترجيح الراجح منها فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد، وتعارضت المصالح والمفاسد؛ فإن الأمر والنهى وإن كان متضمنا لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة فينظر في المعارض له؛ فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر لم يكن مأمورا به؛ بل يكون محرما إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته؛ **لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة، فمتى قدر الإنسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها،** وإلا اجتهد برأيه لمعرفة الأشباه والنظائر، وقلَّ أن تعوز النصوص من يكون خبيرا بها وبدلالتها على الأحكام.

وعلى هذا إذا كان الشخص أو الطائفة جامعين بين معروف ومنكر بحيث لا يفرقون بينهما؛ بل إما أن يفعلوهما جميعا؛ أو يتركوهما جميعا:

لم يجز أن يؤمروا بمعروف ولا أن ينهوا عن منكر؛ بل ينظر: فإن كان المعروف أكثر أمر به؛ وإن استلزم ما هو دونه من المنكر. ولم ينه عن منكر تستلزم تفويت معروف أعظم منه.

فتارة يصلح الأمر؛ وتارة يصلح النهي؛ وتارة لا يصلح لا أمر ولا نهي حيث كان المعروف والمنكر متلازمين؛ وذلك في الأمور المعينة الواقعة.

وأما من جهة النوع فيؤمر بالمعروف مطلقا وينهى عن المنكر مطلقا. وفى الفاعل الواحد والطائفة الواحدة يؤمر بمعروفها وينهى عن منكرها، ويحمد محمود ها ويذم مذمومها؛ بحيث لا يتضمن الأمر بمعروف فوات أكثر منه أو حصول منكر فوقه، ولا يتضمن النهى عن المنكر حصول أنكر منه، أو فوات معروف أرجح منه.

وإذا اشتبه الأمر استبان المؤمن حتى يتبين له الحق، فلا يقدم على الطاعة إلا بعلم ونية؛ وإذا تركها كان عاصيا، فترك الأمر الواجب معصية؛ وفعل ما نهى عنه من الأمر معصية. وهذا باب واسع ولا وحول ولا قوة إلا بالله.

ومن هذا الباب إقرار النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن أبيّ[1] وأمثاله من أئمة النفاق والفجور، لما لهم من أعوان، فإزالة منكره بنوع من عقابه مستلزمة إزالة معروف أكثر من ذلك **بغضب قومه وحميتهم، وبنفور الناس** إذا سمعوا أنّ محمدًا يقتل أصحابه؛ ولهذا لما خاطب الناس في قصة الإفك بما خاطبهم به واعتذر منه، وقال له سعد بن معاذ قوله الذي أحسن فيه حمي له سعد بن عبادة مع حسن إيمانه.

وأصل هذا أن تكون محبة الإنسان للمعروف وبغضه للمنكر وإرادته لهذا؛ وكراهته لهذا موافقة لحب الله وبغضه، وإرادته وكراهته الشرعيين، وأن يكون فعله للمحبوب ودفعه للمكروه بحسب قوته وقدرته؛ فإن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها، وقد قال: ﭼ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﭼ.

فأما حبّ القلب وبغضه وإرادته وكراهيته فينبغي أن تكون كاملة جازمة؛ لا يوجب نقص ذلك إلا نقص الإيمان)).[2]

وهذا كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- باب وعظيم يجب الاعتناء به ،فلا يقدم المرء عليه إلا بعلم وفقه للكتاب والسنة ، وبرفق للخلق، وصبر وحسن نية بحسب قدرته وقوته، وإلا يفسد أكثر مما يصلح؛ فيترتب على ذلك شر عظيم ، كما هو الحال عند أهل الأهواء والبدع الذين لم يقيموا دينًا بمخالفتهم لهذه الأصول، ولم يبنوا دنيا.

---

1 (?) عبد الله بن أبي بن سلول رئيس المنافقين.

2 (?) مجموع الفتاوى ج28/ 129، 130، 131.

وقسْ هذا على ما يحدث في هذا العصر عند بعض سفهاء الأحلام من قتل الأبرياء، وتدمير المنشآت الحيوية، و تفخيخ السيارات، وتفجير أنفسهم، بدعوى الجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكيف تأثر العالم الإسلامي أجمع بهذا الشر العظيم، فما أشبه اليوم بالبارحة.

فالواجب على الأمة جميعا الرجوع إلى هدي السلف فإن فيه الخير والبركة، وفيه الأمن والسلامة، والصلاح، والعدل والإنصاف، والجماعة والائتلاف والرحمة، خاصة في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يتميز بالوسطية والاعتدال.

ثم إنه قد ذكر شيخ الإسلام بن تيمية – رحمه الله- خمسة فوائد مستنبطة من الآية السابقة وهي قوله تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷﭸ ﭼ[1]

قال: ((أحدها: ألا يخاف المؤمن من الكفار والمنافقين، فإنهم لن يضروه إذا كان مهتديا.

الثاني: أن لا يحزن عليهم ولا يجزع عليهم، فإن معاصيهم لا تضره إذا اهتدى ،والحزن على ما لا يضر عبث، وهذان المعنيان مذكوران في قوله: ﭽ ... ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ[2] .

الثالث: أن لا يركن إليهم ولا يمدن عينيه إلى ما أوتوا من السلطان، والمال، والشهوات، كقوله تعالى: ﭽ ﮯ ﮰ ﮱ ... ﭼ[3] فنهاه عن الحزن عليهم والرغبة فيما عندهم في آية، ونهاه عن الحزن عليهم والرهبة منهم في آية، فإن الإنسان قد يتألم عليهم ومنهم إمّا راغبًا، وإمّا راهبًا.

الربع: ألا يعتدي على أهل المعاصي بزيادةٍ على المشروع في بغضهم أو ذمهم، أو نهيهم أو هجرهم، أو

---

1 (?) المائدة آية : (105).

2 (?) النحل آية : (127).

3 (?) الحجر آية: (88).

عقوبتهم،؛ بل يقال لمن اعتدى عليهم عليك نفسك لا يضرك من ضل إذا اهتديت ، كما قال: ڇ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ڇ[1] الآية.

وقــال: ڇ ... ى ى ڇ[2] **وقال :** ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڇ[3]

فإنّ كثيرًا من الآمرين الناهين قد يعتدي حدود الله إما بجهل وإما بظلم، **وهذا باب يجب التثبت فيه**، **وسواء في ذلك الإنكار على الكفار والمنافقين، والفاسقين ، والعاصين.**

الخامس: أن يقوم الأمر والنهي على الوجه المشروع، من العلم والرفق، والصبر، وحسن القصد، وسلوك السبيل القصد، فإنّ ذلك داخلٌ في قوله: ڇ ڤ ڤ ڇ وفي قوله: ڇ ڄ ڄ ڇ.

فهذه خمسة أوجه تستفاد من الآية لمن هو مأمور بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و فيها المعنى الآخر. وهو **إقبال المرء على مصلحة نفسه علماً و عملاً، و إعــراضه عما لا يعنيه**، كما قال صاحب الشريعة: ((من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه))[4] **ولاسيما كثرة الفضول فيما ليس بالمرء إليه حاجة من أمر دين غيره و دنياه، لاسيما إن كان التكلم لحسد أو رئاسة**.

و**كذلك العمل** فصاحبه إما معتد ظالم، و إما سفيه عابث، و ما أكثر ما يصور الشيطان ذلك بصورة الأمر

---

1 (?) المائدة آية : (8).

2 (?) البقرة آية : (190).

3 (?) البقرة آية : (193).

4 (?) حديث رواه الترمذي في سننه ج4/483 ح(2317) كتاب الزهد باب 11. وابن ماجه في سننه ج4/344ح(3976) كتاب الفتن باب كف اللسان في الفتنة.والطبراني في الكبيرج3/128 ، وصحيح ابن حبان ج1/466. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم(5911).

بالمعروف و النهي عن المنكر و الجهاد في سبيل الله، و يكون من باب الظلم و العدوان.

فتأمل الآية في هذه الأمور من أنفع الأشياء للمرء، و أنت إذا تأملتَ ما يقع من الاختلاف بين هذه الأمة علمائها و عبادها و أمرائها ورؤسائها وجدت أكثره من هذا الضرب الذي هو البغي بتأويلٍ أو بغير تأويلٍ، كما بغت الجهمية على المستنّة في محنة الصفات و القرآن؛ محنة أحمد و غيره، و كما بغت الرافضة على المستنة مرات متعددة،[1] و كما بغت الناصبة على علي و أهل بيته، وكما قد تبغى المشبهة على المنزهة، و كما قد يبغى بعض المستنة إمّا على بعضهم و إما على نوع من المبتدعة بزيادة على ما أمر الله به، و هو الإسراف المذكور في قولهم : ﭽ   ﭼ[2].

وبإزاء هذا العدوان تقصير آخرين فيما أمروا به من الحق، أو فيما أمروا به من الأمر بالمعروف، و النهي عن المنكر في هذه الأمور كلها، فما أحسن ما قال بعض السـلف: ((ما أمر الله بأمر إلا اعترض الشيطان فيه بأمرين – لا يبالي بأيهما ظفر- غلو أو تقصير)).

فالمعين على الإثم و العدوان بإزائه تارك الإعانة على البر و التقوى، و فاعل المأمور به و زيادة منهي عنها، بإزائه تارك المنهي عنه وبعض المأمور به، والله يهدينا الصراط المستقيم ولا حول و لا قوة إلا بالله))[3] .

هذا الكلام يبين عمق فهم شيخ الإسلام ابن تيمية لمعاني التنزيل ،وحسن قصده في النصح وحرصه على هدي السلف وقوة تمسكه بما كانوا عليه، وعظم اهتمامه

---

1 (?) وما زالت إلى الآن ومستمرة نسأل الله السلامة والعافية.

2 (?) البقرة آية : (147).

3 (?) مجموع الفتاوى ج14/ 480، 481، 482، 483.

بجمع الكلمة على الحق وبعده عن الفرقة والشذوذ وأسبابها، كما سيتبين أكثر إن شاء الله.

وقد حوى كلامه قواعد عظيمة وأصولا كلية جامعة في تقرير الهدي الأقوم في الأمر والنهي وما يجب مراعاتها من الظروف والأحوال عند القيام بهما.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصلان عظيمان في بقاء الأمة على الخير والصلاح والرخاء والعزّة والكرامة والأمن والأمان والاستقرار.

لـذا فعلى كل من أراد أن يقـوم بـالأمر والنهي أن يتقي الله في عبـاد الله يـراعي فيهما مصـالح الـدين والـــدنيا وحسن القصد والنيـــة، والنظر في النتـــائج والعـواقب؛ حـتى لا تتعطل المصـالح وتتغلب المفاسد عليها، فقد لا تصيبن الذين ظلموا خاصة.

ويعين على تحقيق مصـــــــالح الأمر والنهي فهم الكتاب والسنة وهدي سلف الأمة.

ولما تـرك الخـوارج على الأمة هـذا، وأعرضـوا عنه واعتمــدوا على أهــوائهم ضــلوا وأضــلوا، وفســدوا وأفسدوا أكثر مما أصلحوا ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ (النساء آية ٦٦ - ٦٨

المطلب الرابع: هدي السلف الصالح من التابعين ومن بعدهم في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأثره في الجماعة

قـرر شـيخ الإسـلام ابن تيمية –رحمه اللـه- أن هـدي السلف الصالح من التـابعين في الصـحابة – رضـوان الله عليهم – يقـــوم على الوســـطية والاعتـــدال والمحبة والاحــترام ، وتــوليهم جميعا والترضي عنهم، والإمســاك عما شـــجر بينهم، وأنهم بشر يخطئـــون ويصـــيبون، ولا يعتقدون عصمتهم، وأن خطأهم مغفور بحسناتهم الكثيرة وأعمـــالهم الصـــالحة، فهـــديهم فيهم ينطلق من هـــذا المنطلق ولا يتعصـبون لأحد منهم دون أحـد، بل يوالـونهم كلهم وكل بفضله وسبقه وكلهم عدول .

أولا : الاعتراف بفضل الصحابة رضوان الله عليهم كلهم والترضي عنهم : هذا وقد جاءت نصـوص الكتـاب والســـنة في مواضع كثـــيرة تـــبين أن الله رضي عنهم وذكرهم وأثنى عليهم هو ورسوله ووعـدهم الحسـنى كما قال تعالى: ﭽ **ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ** ﭼ [1] وقوله : ﭽ **ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ** ﭼ [2] [3] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((فإن الله تعالى أثنى على أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم من السابقين، والتابعين لهم بإحسان، وأخبر أنه -رضي عنهم ورضوا عنه- وذكرهم في آيات من كتابه))[4]

---

1 (?) التوبة آية : (100).
2 (?) الحديد آية: (10).
3 (?) وانظر: منهاج السنة ج2/17.
4 (?) مجموع الفتاوى ج3/405.

قال : ((وفي الصحاح عن النبي أنه قال: ((لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه))[1]

وقد اتفق أهل السنة والجماعة على ما تواتر عن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: ((خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما))[2].

واتفق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة عثمان بعد عمر رضي الله عنهما، وثبت عن النبي أنه قال: ((خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم تصير ملكا))[3] .

وقال صلى الله عليه وسلم: ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها..))[4] .

وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه آخر الخلفاء المهديين .

وقد اتفق عامة أهل السنة من العلماء والأمراء والأجناد على أن يقولوا: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم، ودلائل ذلك وفضائل الصحابة كثيرة))[5] .

ومن الإيمان بالكتاب والرسول تصديق هذه الفضائل المذكورة في الكتاب والسنة، تعظيماً لشأنهم واحتراماً لحقوقهم، ورفعاً لمكانتهم وفضلهم.

---

1 (?) تقدم تخريجه.

2 (?) تقدم تخريجه.

3 (?) روا أبوداود في سننه ج5/37 ح(4647) كتاب السنة باب في الخلفاء. والطبراني في الكبير ج7/84 والحاكم في المستدرك ج3/75، 157 وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم(3257).

4 (?) تقدم تخريجه.

5 (?) مجموع الفتاوى ج3/405، 406.

الأمر لثاني: ومن هذا الهدي العظيم سلامة قلوبهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والإمساك عما شجر بينهم :

ا – سلامة قلوبهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم:

وهذا أيضا كان مما ينبغي أن يكون هدي جميع الأمة في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم خير القرون في كل زمان ومكان كما تقدم بيانه، وقرره شيخ الإسلام ابن تيمية وبين أن ذلك من أصول أهل السنة والجماعة **فقال رحمه الله – في نصوص كثيرة :** ((ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله كما وصفهم الله به في قوله تعالى: (ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭼ[1]) [2] .

وللإمام أحمد موقف عظيم وكلام جميل في هذا الشأن ذكره شيـخ الإســلام ابن تيمية –رحمه الله- فقال:

((ولما قيل للإمام أحمد –رحمه اللـه- في أمـر علي إذا قلت: كان إمامًـا واجب الطاعـة ففي ذلـك طعن على طلحة والزبير حيث لم يطيعاه، بل قاتلاه، فقـال لهم: إني لستُ من حربهم في شـيء: يعـني أن ما تنـازع فيه علي وإخوانه لا أدخل بينهم فيـــــه؛ لما بينهم من الاجتهــــــاد والتأويل الـذي هم أعلم به مـني، وليس ذلك من مسـائل العلم الـتي تعنيـني حـتى أعــرف حقيقة حــال كل واحد منهم، وأنا مأمور بالاستغفار لهم **وأن يكون قلبي لهم سليما**، ومـأمور بمحبتهم ومـوالاتهم، ولهم من السـوابق والفضائل ما لا يهدر..))[3] .

---

1 (?) الحشر: (10).

2 (?) مجموع الفتاوى ج3/ 152.

3 (?) مجموع الفتاوى ج4/440. وقيل لأبي عبد الله يا أبا عبد الله: ما تقول فيما كان من علي ومعاوية رحمهما الله؟ فقال: أبو عبد الله: ما أقول فيها إلا الحسنى رحمهم الله أجمعين /السنة للخلال ج3/ 460 رقم(713) وقيل له أيضا:

انظر إلى هــذا الموقف العظيم والهــدي القــويم من هذا الإمام الجليـل، كيف بين هـدي السـلف في الصـحابة رضوان الله عليهم وقـدرهم، وأنه ينبغي حبهم ومـوالاتهم والإمسـاك عما شـجر بينهم، وأن فضـائلهم وسـوابقهم لا تهدر؛ لأن الله ضمنها لهم ورضيها عنهم بنصـوص الكتـاب والسنة وقوله الحق.

وقد أكد هـذا أيضا إمـام دار الهجـرة مالك ابن أنس – رحمه اللــه- وبين أن القــدح فيهم قــدح في الرســول؛ وطعن في الرسالة ،لأنهم أصحاب الرسول وأمناؤه في نشر دعوته، وقد اختـارهم الله لصـحبته وأثـنى عليهم في مواضع كثيرة وشهد لهم بـالخير والفضل فـإنهم فوقه في كل شيء.

وقد أشـار شـيخ الإسـلام ابن تيمية إلى ذلك بقوله:

((فإن القدح في خير القرون الذين صحبوا الرسول قدح في الرسول عليه السلام كما قال مالك وغـيره من أئمة العلم -في الــذين يطعنــون في الصــحابة-: **هــؤلاء طعنــوا في أصــحاب رســول الله عليه وســلم، وإنما طعنوا في أصحابه ليقـول القائـل: رجل سـوء كـان له أصـحاب سـوء، ولو كـان رجلا صـالحا لكـان أصـحابه صالحين**.

وأيضا فهؤلاء الذين نقلوا القرآن، والإسلام، وشرائع النبي صلى الله عليه وسلم، وهم الذين نقلوا فضائل علي وغيره، فالقدح فيهم يوجب أن لا يوثق بما نقلوه من الدين

وحينئذ فلا تثبت فضيلة))[1] .

فيجب على جميع الأمة مراعاة هذه النصوص الواردة في فضائل الصحابة والإيمان بها، و من حقهم علينا الثناء

ما تقول فيما كان من أمر طلحة والزبير وعلي وعائشة - قال الراوي وأظن ذكر معاوية؟- فقال: من أنا أقول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بينهم شيء الله أعلم)) السنة للخلال ج3/460 رقم(714).

[1] (?) مجموع الفتاوى ج4/429.

عليهم والدعاء والاستغفار لهم والترضي عن جميعهم ومحبتهم وأن تكون قلوبنا سليمة منهم.

ب - الإمساك عما شجر بينهم كلهم وعدم الخوض فيه، والإعراض عن الآثار المروية في مساويهم وأنهم ليسوا من الأنبياء المعصومين ،وأن حقهم علينا الدفاع والذب عنهم، وأن لهم الحسنى وحسن مآب.

ولم يكن السلف الصالح يخوضون في هذا ولم يكونوا ينشغلون به، بل بينوا أن الخوض في ذلك يؤدي إلى كثرة القيل والقال، وترك ما يعنينا الذي هو الدعاء والاستغفار لهم، واتباع هديهم عما لا يعنينا من الانشغال بما شجر بينهم و ما لم نكلف به لا في الكتاب ولا السنة.

ويجب الكف والإمساك عما شجر بينهم ،كما هو هدي سلف الأمة من الأئمة الأربعة – رحمهم الله- ولأن الخوض في ذلك كما بين شيخ الإسلام ابن تيمية سبب عظيم في تفريق كلمة الأمة، وأن أكثر ما نقل في ذلك فيه مبالغات وكذب، وأنهم غير معصومين، ومغفور لهم خطؤهم، وهدي السلف في ذلك خير هدي فيجب اتباعه ففيه الاعتلال والوسطية والإنصاف.

وقد أشار إلى هذا شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- وبينه في أكثر من موضع خاصة في الآثار المروية فيما شجر بين الصحابة – رضوان الله عليهم- أن أكثـرها مبـالغ فيها أو مكذوبة وموضوعة، وأن ما صح منها فيه مجتهدون ومعذورون ومغفور لهم.

فقال –رحمه الله-: ((إن هذه الآثار المروية في مسا ويهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغيِّر عن وجهه، والصحيح منه هم معذورون إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون، وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما ليس لمن بعدهم، ثم القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر

مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم، من الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله، والهجرة، والنصرة، والعلم النافع، والعمل الصالح.

ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة، وما من الله به عليهم من الفضائل علم يقينا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم هم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمهم على الله تعالى»[1].

قال : « وكذلك نؤمن بالإمساك عما شجر بينهم ونعلم أن بعض المنقول في ذلك كذب، وهم كانوا مجتهدين إما مصيبين لهم أجران، أو مثابين على عملهم الصالح مغفور لهم خطؤهم.

وما كان لهم من السيئات -وقد سبق لهم من الحسنى-، فإن الله يغفرها لهم إما بتوبة أو بحسنات ماحية أو مصائب مكفرة أو غير ذلك، فإنهم خير قرون هذه الأمة[2]. وكذلك آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم من الحقوق ما يجب رعايتها، فإن الله جعل لهم حقا في الخمس والفيء ، وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لنا قولا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمدكما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت إبراهيم على

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج3/155، 165.

[2] (?) وقال ابن حجر في الفتح ج13/37: «واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ولو عرف المحق منهم لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد وقد عفا الله تعالى عن المخطئ في الاجتهاد، بل ثبت أنه يؤجر أجراً واحداً وأن المصيب يؤجر أجرين».

إبراهيم إنك حميد مجيد))[1] وآل محمد هم الذين حرمت عليهم الصدقة.

والسنة محبة عثمان وعلي جميعا وتقديم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لما خصهما الله به من الفضائل التي سبقا بها عثمان وعليا جميعا، وقد نهى الله في كتابه عن التفرق والتشتت وأمر بالاعتصام بحبله.

فهذا موضع يجب على المؤمن أن يتثبت فيه ويعتصم بحبل الله، فإن السنة مبناها على العلم والعدل، والاتباع لكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والمقصود هنا أنه إذا وجب فيما شجر بين عموم المؤمنين أن لا يتكلم إلا بعلم وعدل ويرد ذلك إلى الله والرسول، فذاك في أمر الصحابة أظهر، فلو طعن طاعن في بعض ولاة الأمور من ملك وحاكم وشيخ ونحو ذلك، وجعله كافرًا معتدياً على غيره في ولاية أو غيرها، وجعل غيره هو العالم العادل المبرأ من كل خطأ وذنب، وجعل كل من أحب الأول وتولاه كافرا أو ظالما مستحقا للسب، وأخذ يسبه، فإنه يجب الكلام في ذلك بعلم وعدل.

والرافضة سلكوا في الصَّحابة مسلك التفرق، فوالوا بعضهم وغلوا فيه، وعادوا بعضهم وغلوا في معاداته. وقد يسلك كثير من الناس ما يشبه هذا في أمرائهم وملوكهم وعلمائهم وشيوخهم، **فيحصل بينهم رفض** في غير الصحابة: تجد أحد الحزبين يتولى فلانا ومحبيه، ويبغض فلانا ومحبيه، وقد يسب ذلك بغير حق.

وهذا كله من التفرق والتشيع الذي نهى الله عنه ورسوله.فقال تعالى: ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ[2]
وقال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ

---

[1] (?) رواه مسلم في صحيحه ص103 ح(405) كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي بعد التشهد.
[2] (?) الأنعام آية : (159).

ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼ[1] . فالله تعالى قد أمر المؤمنين كلهم أن يعتصموا بحبله جميعا ولا يتفرقوا.

والله - تعالى- قد حرم ظلم المسلمين أحيائهم وأمواتهم، وحرم دماءهم وأموالهم وأعراضهم. وقد قال الله تعالى: ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ[2]

فمن آذى مؤمنا حيا أو ميتا بغير ذنب يوجب ذلك، فقد دخل في هذه الآية، ومن كان مجتهدا لا إثم عليه، فإذا آذاه مؤذ فقد آذاه بغير ما اكتسب، ومن كان مذنبا- وقد تاب من ذنبه، أو غفر له بسبب آخر بحيث لم يبق عليه عقوبة- فآذاه مؤذ، فقد آذاه بغير ما اكتسب، وإن حصل له بفعله مصيبة))[3].

نستخلص من هذا ما يأتي:

1- وجوب محبة جميع الصحابة وتوقيرهم كلهم أجمعين، والترضي عنهم والدعاء لهم والاستغفار لهم كما أمر الرب جل وعلا في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

2- الإنصاف والوسطية والاعتدال في أمرهم وفي أمر القرابة من آل البيت عليهم الصلاة والسلام أنّ محبتهم واجبة وموالاتهم أمر حتمي ، وليس أحد منهم ادعى العصمة لا من قريب ولا من بعيد وهم بشر ولهم فضل الصحبة والقرابة.

3- وجوب القول بعدالتهم وأنهم كلهم عدول، وتشديد العقوبة على كل من يحاول أن يدنس عرضهم وكرامتهم بسوء كائنا من كان.

4- الإمساك عما شجر بينهم وعدم الخوض فيه وألا يُتكلم فيه إلا بعلم وعدل فإنهم قوم إما مجتهدون مصيبون فلهم أجران، أو مخطئون مثابون على عملهم الصالح .

---

1 (?) آل عمران آية : (103).

2 (?) الأحزاب آية : (58).

3 (?) مجموع الفتاوى ج3/406، 407، 409، ومنهاج السنة ج5/133، 134، 135.

5- أن الطعن في أحد من الصحابة طعن في الدين فهم الذين نقلوا لنا هذا الدين الحنيف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم،وفضائل علي وغيره.

6- أن الطاعن فيهم أو في أحد منهم هو رجل سوء يؤذي المسلمين جميعا فيجب تأديبه إذا لم يستحل ذلك، فأما استحلال ذلك فله حكم آخر.

7- وأنه كذلك لا يجوز التفريق بين طعن أو قدح في أحد من ملوك المسلمين أو أمرائهم أو علمائهم اتبعاً للهوى وبغير هدى من الله ولا ببرهان بين، وأن ذلك شعبة من الرفض.

8- أن هدي السلف الصالح في أمر الصحابة أصوب سبيل وأعدل طريق والمسلك، ففيه الجماعة والائتلاف ووحدة الكلمة والصف والمحافظة على الدين وأهله،رضي الله عن الصحابة أجمعين.

المطلب الخامس: هدي السلف الصالح من التابعين ومن بعدهم في باب الأسماء والأحكام وأثره في الجماعة

المراد بالأسماء: أسماء الدين مثل: مؤمن، ومسلم، وفاسق، وكافرٌ ومنافقٌ ومبتدع ...إلخ.

والمراد بالأحكام: هو أحكام هؤلاء في الدنيا والآخرة، أي أحكام أصحاب هذه الأسماء كما ذكره شيخ الإسلام.

قرر شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- أن هدي السلف الصالح من الصحابة والتابعين في باب الأسماء والأحكام ينبني على أصول الشرع من الكتاب والسنة وترك العدول عنهما بحال من الأحوال، وأنّ العقل المجرد لا يستقل بها، وإنما هي أحكام وأصول شرعية، ولهذا فإنهم لم يكفِّروا أحدًا من المسلمين بمجرد ذنبٍ ارتكبه، بل هذا أمر مجمع عليه بين الصحابة ولا يتبتعً فيه الهوى ولم يعرف أحد منهم من كان يتسرع في إصدار هذه الأحكام لخطورتها وهو منهج أهل السنة من السلف الصالح والتابعين لهم بإحسان، يتبعون الكتاب والسنة فيها ويرحمون الخلق .

ويستدل على كلام شيخ الإسلام في ذلك بالنصوص الآتية:

<u>أولا</u> : أنهم لم يختلفوا ولم يقتتلوا قط في قاعدة من قواعد الإسلام أصلاً، ولم يختلفوا في شيء من قواعد الدين الكبار حتى يكفر بعضهم بعضا.

قال –رحمه الله-: ((أجمع الصحابة وسائر أئمة المسلمين على أنه ليس كل من قال قولاً أخطأ فيه أنه يكفر بذلك، وإن كان قوله مخالفا للسنة، فتكفير كل مخطئ خلاف الإجماع)).[1]

فهذا تحذير منه –رحمه الله- من التسرع في إصدار أحكام الكفر على المعينين، فيجب التريث في هذا الأمر

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج7/684.

الخطير، ورده إلى نصوص الكتاب والسنة، وأنه ليس كل من خالف السنة أو ارتكب ذنبا أو معصية يكفر به.

و بين -رحمه الله- أن هذا مما أجمع عليه الصحابة رضوان الله عليه ومن بعدهم من أئمة الإسلام، فإنه يجب مراعاة هذا الأصل العظيم وعدم الخروج عنه، وقد تقدم بيان وجوب التفريق بين الإطلاق والتعيين في هذا الباب، وعدم الخلط بينهما وهي نقطة مهمة يجب العناية بها، وقد كان علماء السلف يعطون لهذه المسألة أهمية كبرى في مصنفـاتهـم وفي شروحا تهم؛ لعظم أمرها .

وقد قرر هذا شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- في أكثر من موضع مقتفيا هدي السلف في ذلك، **فقال – رحمه الله- :** ((**ولهذا يقول علماء السلف في المقدمات الاعتقادية**: لا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب، ولا نخرجه من الإسلام بعمل، وقد ثبت الزنا والسرقة، وشرب الخمر على أناس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يحكم فيهم حكم من كفر، ولا قطع الموالاة بينهم وبين المسلمين، بل جلد هذا، وقطع هذا، وهو في ذلك يستغفر لهم ويقول: ((لا تكونوا أعوان الشيطان على أخيكم)).[1] وأحكام الإسلام كلها مرتبة على هذا الأصل.

أيضا ومازال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر، ولا بفسق، ولا بمعصية، كما أنكر شريح قراءة من قرأ(**بل عجبـــتُ و يسخرون)** [أي بضم التاء] [2] وقال: إن الله لا يعجب، فبلغ ذلك إبراهيم النخعي[3] فقال: إنما

---

1 (?) صحيح البخاري مع الفتح ج12/77ح(6780) كتاب الحدود باب ما يكره من لعن شارب الخمر، وأنه ليس بخارج من الملة.

2 (?) انظر الجامع لأحكام القرآن ج15/69.

3 (?) هو إبراهيم بن سويد النخعي: ثقة لم يثبت أن النسائي ضعّفه، من السادسة/ تقريب التهذيب ص30 ت(184).

شريح[1] شاعر يعجبه علمه. كان عبد الله أعلم منه وكان يقرأ (بل عجبتُ).

كما نازع عائشة رضي الله عنها وغيرها من الصحابة في رؤية محمد ربه، وقالت: من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية. ومع هذا لا تقول لابن عباس ونحوه من المنازعين لها إنه مفتر على الله، ونحو ذلك.

ولهذا كان السلف مع الاقتتال يوالي بعضهم بعضا موالاة الدين، لا يعادون معاداة الكفار، فيقبل بعضهم شهادة بعض، ويأخذ بعضهم العلم عن بعض ، ويتوارثون، ويتناكحون، ويتعاملون بمعاملة المسلمين بعضهم مع بعض مع ما كان بينهم من الاقتتال والتلاعن وغير ذلك)) [2].

هذه النقول فيها بيان الأمور الآتية :

1- أن السلف قد كان يحدث بينهم المنازعات في بعض المسائل التي ليست من أصول الدين .

2- أن هذا النزاع لا يؤدي إلى تكفير بعضهم بعضا أو تفسيق بعضهم بعضًا.

---

1 (?) هو شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن عامر بن الرائش بن الحارث بن معاوية بن ثور بن عمرو بن معاوية بن ثور، وهو كندة أبو أمية القاضي، وكان حليف كندة مختلف في صحبته قال بن السكن: روى عنه خبر يدل على صحبته وقال بن منده: ولاه عُمَر القضاء وله أربعون سنة، وكان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يره ولم يسمع عنه، قلت: وهذا هو المشهور، وقال بن المديني: ولي قضاء الكوفة ثلاثا وخمسين سنة، ونزل البصرة سبع سنين يقال إنّه تعلم من معاذ إذ كان باليمن، وقال أبو حصين: كان شاعرًا فائقا وقال بن سيرين :كان كوسجا، مات سنة ثمان وسبعين وقال: خليفة سنة ثمانين وقال المديني: سنة اثنتين وثمانين ويقال سنة تسع وتسعين وقيل غير ذلك/ الإصابة ج 5/65 ح(3875).

2 (?) مجموع الفتاوى ج3/230، 285. وج7/671..

3- أن هذا فيه رحمة بعضهم بعضًا وموالاة بعضهم بعضا موالاة الدين.
4- أنه مع ما كان بين بعضهم من الاقتتال لم يصل إلى حد التكفير أو الهجر، أو بغض بعضهم بعضا أو حسد بعضهم بعضًا، أو ترك أخذ العلم بعضهم عن بعض.
5- أن في هذا بيان و سطيتهم وعدالتهم وإنصافهم المخالف وهو أقوم هدي وأصوب سبيل يجب سلوكه.

ثانيا: أن الكفر والفسق أحكام شرعية ينفرد بها الشرع وليس لأحد الخوض فيها بالهوى ولا يستقل بها العقل المجرد وأن الكافر هو من جعله الله كافراً

قرر هذا شيخ الإسلام . وبين – رحمه الله- أن العقل ليس من وظيفته التكفير أو التفسيق، ولا يستقل بهذا الأمر، وأن هذه المسألة (التكفير و التفسيق) من المسائل الشرعية التي يجب ردها إلى الله ورسوله ولا يُكَفَّر إلا من كفره الله ورسوله أو فسّقه الله ورسوله**.**

قال –رحمه الله- : ((إن الكفر والفسق أحكام شرعية، ليس ذلك من الأحكام التي يستقل بها العقل.

فالكافر من جعله الله ورسوله كافرًا، والفاسق من جعله الله ورسوله فاسقًا، كما أن المؤمن والمسلم من جعله الله مؤمنا ومسلما، والعدل من جعله الله ورسوله عدلا، والمعصوم من جعله الله ورسوله معصوم الدم، والسعيد في الآخرة من أخبر الله ورسوله عنه أنه سعيد في الآخرة، والشقي فيها من أخبر الله ورسوله عنه أنه شقي فيها، والواجب من الصلاة والصيام والصدقة والحج ما أوجبه الله ورسوله.. والذي يقتل حدا أو قصاصا من جعله ورسوله مباح الدم بذلك، والمستحق للموالاة والمعاداة من جعله الله ورسوله مستحقا للموالاة والمعاداة، والحلال ما أحله الله ورسوله، والدين ما شرعه الله ورسوله. فهذه المسائل كلها ثابتة بالشرع.

وأما الأمور التي يستقل بها العقل: فمثل الأمور الطبيعية مثل كون هذا المرض ينفع فيه الدواء الفلاني،

فإن مثل هذا يعرف بالتجربة والقياس وتقليد الأطباء الذين علموا ذلك بالتجربة والقياس، وكذلك مسائل الحساب والهندسة فهذه ونحوها تعلم بالعقل.

وإذا كان كذلك فكون الرجل مؤمنًا، وكافرًا، وعدلاً، وفاسقًا، هو من المسائل الشـرعية، لا من المسائل العقلية»[1].

فتبين أن مسألة التكفير و التفسيق من الأحكام الشرعية البحتة، لا يستقل بها العقل المجرد، فيجب الرجوع فيها إلى الكتاب والسنة، كما جاء في الشرع، وهي مسألة شديدة الخطورة، عظيمة المسؤولية ولا يجوز التسرع فيها وإصدار أحكامها بناء على هوى النفس أو الجهل.

ثالثا : أن ترك السلف الصالح الخوض في هذه المسائل الخطيرة يدل على حرصهم على الجماعة وطاعتهم لله ورحمتهم بالخلق وعلمهم وورعهم وإنصافهم.

فقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمـه الله- هذا وقرره في مواضع كثيرة وبين أن ذلك من أصـول اعتقاد السلف ومن أهم ما يتميز به هديهم: اعتصامهم بالجماعة والثبات على الوسطية والاعتدال في الأسماء والأحكام ورحمتهم للخلق في دينهم ودنياهم خلافا لأهل البدع والأهواء .

قال -رحمه الله- تعالى في تقرير هدي السلف في المسألة: «وهم في الأسماء والأحكام والوعد والوعيد وسط بين الوعيدية الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلدين في النار، ويخرجونهم من الإيمان بالكلية، ويكذبون بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم.

وبين المرجئة الذين يقولون إن إيمان الفُسَّاق مثل إيمان الأنبياء، والأعمال الصالحة ليست من الدين والإيمان ويكذبون بالوعيد والعقاب بالكلية.

---

[1] (?) منهاج السنة ج5/92، 93.

فيؤمن الصَّحابة وأهل السنة والجماعة بأن فساق المسلمين معهم بعض الإيمان، وأصله، وليس معهم جميع الإيمان الواجب الذي يستوجبون به الجنة، وأنهم لا يخلدون في النار، بل يخرجون منها، ومن كان في قلبه مثقال حبّة من إيمان أو مثقال خردل من إيمان ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم ادخر شفاعته لأهل الكبائر من أمته.

وليس لأحد أن يكفر أحدا من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة.

وليس كما يوجد في جهال أهل البدع من الرافضة، والخوارج وغيرهم ممن يسارع إلى تكفير من اتبع الرسول من السلف لقلة علمه وسوء فهمه لما جاء به الرسول، فهم يبتدعون بدعة بجهلهم ويكفرون من خالفهم.

وأهل السنة والعلم والإيمان يعرفون الحق ويتبعون سنة الرسول، ويرحمون الخلق ويعدلون فيه، ويعذرون من اجتهد في معرفة الحق، فيعجز عن معرفته. وإنما يذمون من ذمه الله ورسوله، وهو المفرط في طلب الحق لتركه الواجب، والمتعدي المتبع لهواه بلا علم، لفعله الحرام، ولا يعاقبون إلا بعد إقامة الحجة كما قال تعالى ﭽ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ[1] [2]

فهذه النصوص التي أوردها شيخ الإسلام ابن تيمية تبين أنه لا يجوز التسرع في تكفير المسلمين بغير دليل شرعي ولا بحجة واضحة بينة ولابد من إقامة الحجة وبيان المحجة بتوفر الشروط وانتفاء الموانع وهذا

---

1 (?) الإسراء آية : (15).

2 (?) مجموع الفتاوى ج3/374، 375، 379، وج12/ 468، وج 27/238، والفتاوى الكبرى ج5/ 274

يستوجب وجود أدلة قاطعة واضحة الدلالة على ثبوت ذلك كما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية .

قال: ((فإن نصوص ((الوعيد)) التي في الكتاب والسنة، ونصوص الأئمة بالتكفير و التَّفسيق ونحو ذلك لا يستلزم ثبوت موجبها في حق المعين، إلا إذا وُجدت الشروط وانتفت الموانع، لا فرق في ذلك بين الأصول والفروع. هذا في عذاب الآخرة فإن المستحق للوعيد من عذاب الله ولعنته وغضبه في الدار الآخرة خالد في النار، أو غير خالد، وأسماء هذا الضرب من الكفر والفسق، يدخل في هذه ((القاعدة)) سواء كان بسبب بدعة اعتقادية أو عبادية، أو بسبب فجور في الدنيا، وهو الفسق بالأعمال.

فأما أحكام الدنيا فكذلك أيضا؛ فإن جهاد الكفار يجب أن يكون مسبوقا بدعوتهم؛ إذ لا عذاب إلا على من بلغته الرسالة، وكذلك عقوبة الفُسّاق لا تثبت إلا بعد قيام الحجة)).[1]

((وإذا عرف هذا فتكفير((المعين)) من هؤلاء الجهال وأمثالهم- بحيث يحكم عليه بأنه من الكفار- لا يجوز الإقدام عليه، إلا بعد أن تقوم على أحدهم الحجة الرسالية، التي تبين أنهم مخالفون للرسل)). [2] هذه قاعدة مهمّة وخطيرة بجب أن يتأملها المسلم، قد زلّت فيها أقلام وهلكت بها أناسٌ من صغار أهل العلم.

فتبين أنه لا بد من قيام الحجة الرسالية وتوفر شروط التكفير وانتفاء الموانع ؛ وتحري الصدق والحذر في الحكم على المسلمين وإخراجهم من الدين؛ لخطورة الأمــر، و لوكان الأمر بتلك السهولة لصار فوضى، ولما بقي أكثر المسلمين في الدين ،ولصار أهله قلة وهذا يخالف ما جاء في نصوص الكتاب والسنة لأن الخطأ والذنب وارد في أكثرهم خاصة في دقائق العلم.

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج10/372.

2 (?) مجموع الفتاوى ج12/500.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية مثالا في ذلك يؤصل به تقريره ويؤكده في موقف إمام أهل السنة والجماعة أبو عبد الله أحمد بن حنبل –رحمه الله- فقال:

((**و**يبين هذا أن الإمام أحمد – مثلا- قد باشر ((الجهمية)) الذين دعوه إلى خلق القرآن، ونفي الصفات، وامتحنوه وسائر علماء وقته، وفتنوا المؤمنين والمؤمنات الذين لم يوافقوهم على التجهم بالضرب والحبس، والقتل والعزل عن الولايات، وقطع الأرزاق، ورد الشهادة، وترك تخليصهم من أيدي العدو، بحيث كان كثير من أولي الأمر إذ ذاك من الجهمية من الولاة والقضاة وغيرهم يكفرون كل من لم يكن جهميا موافقا لهم على نفي الصفات، مثل القول بخلق القرآن، ويحكمون فيه بحكمهم في الكافر، فلا يولونه ولاية، ولا يفكُّونه من عدو، ولا يعطونه شيئا من بيت المال، ولا يقبلون له شهادة، ولا فتيا، ولا رواية، ويمتحنون الناس عند الولاية والشهادة، والافتكاك من الأسر وغير ذلك. فمن أقر بخلق القرآن حكموا له بالإيمان، ومن لم يقر به لم يحكموا له بحكم أهل الإيمان، ومن كان داعيا إلى غير التجهم قتلوه أو ضربوه وحبسوه.

ومعلوم أن هذا من أغلظ التجهم، فإن الدعاء إلى المقالة أعظم من قولها وإثابة قائلها ،وعقوبة تاركها أعظم من مجرد الدعاء إليها والعقوبة بالقتل لقائلها أعظم من العقوبة بالضرب.

ثم إن الإمام أحمد دعا للخليفة وغيره. ممن ضربه وحبسه، واستغفر لهم، وحللهم مما فعلوه به من الظلم والدعاء إلى القول الذي هو كفر، ولو كانوا مرتدين عن الإسلام لم يجز الاستغفار لهم؛ فإن الاستغفار للكفار لا يجوز بالكتاب والسنة والإجماع، وهذه الأقوال والأعمال منه ومن غيره من الأئمة صريحة في أنهم لم يكفروا المعينين من الجهمية، الذين كانوا يقولون: القرآن مخلوق وأن الله لا يرى في الآخرة، وقد نقل عن أحمد ما يدل على أنه كفر به قوما معينين فأما أن يذكر عنه

في المسألة روايتان ففيه نظر، أو يحمل الأمر على التفصيل. فيقال: من كفَّره بعينه، فَلِقِيَام الدليل على أنه وُجدت فيه شروط التكفير وانتفت موانعه ومن لم يكفره بعينه فلانتفاء ذلك في حقه، هذا مع إطلاق قوله بالتكفير على سبيل العموم[1] .

وبهذا يتبين وسطية هدي السلف في عموم عصاة المسلمين ومرتكبي الكبيرة وأنهم لا يكفرون أحدا من المسلمين بذنب ارتكبه إلا بتوفر شروطه وانتفاء موانعه، اتباعا لنصوص الكتاب والسنة واعتصاما بالجماعة ولزومها **ورحمة بالخلق.**

وشروط التكفير وموانعه كما بينها شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

1- أن يكون قوله صريح الكفر، أو لازم قوله وعُرض عليه فالتزمه، أما إذا لم يلتزمه بل رده وأنكره فلس بكافر.

3- أن يكون صدور القول أو الفعل المكفر اختاره وأراده.

3- أن تقام عليه الحجة، وتبين له المحجة لقوله **:** ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﭼ

وأما موانع التكفير فمنها:

1- كونه حديث عهد بالإسلام.

2- كونه قد نشأ ببادية بعيدة، أو أنه لم يجد إلا علماء الابتداع فاقتدى بهم.

3- ألا تبلغه نصوص الكتاب والسنة.

4- أن تبلغه النصوص وثبتت عنده وفهمها، ولكن قام عنده معارض أوجب تأويله.[2]

وخلاصة ما في هذه المسألة التي قررها شيخ الإسلام ابن تيمية- ما يأتي:

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج12/488،489. وانظر أيضا ج10/372.

[2] (?) انظر: مجموع الفتاوى ج3/179، 231، 7/ 217-218،وج 10/372، وج12/484-528وج23/345-346.

1- أنه يجب الرجوع إلى الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح وهديهم لفهم ألفاظ نصوص الكتاب والسنة ومراد الله ورسوله.
2- وأنه يجب رحمة الخلق وعدم التسرع في تكفيرهم وإخراجهم من دين الإسلام وعن جماعة المسلمين إلا بأدلة شرعية واضحة صريحة بينة، يصدرها العلماء الربانيين المخلصين لله الذين يؤثرون الحق على الخلق متبعين للكتاب والسنة مطيعين الله ورسوله، وليس لكل أحد من الناس خاصة صغار طلاب العلم الذين لا يعرفون الواجب من المستحب، ودقيق العلم و جليله والله المستعان.
3- أن الكفر والفسق والإيمان والإسلام من الأحكام الشرعية وليس كل من خالف شيئا علم بنظر العقل يكون كافرا، حتى يكون قوله كفرا في الشريعة.
4- أن التكفير والتفسيق والتبديع له شروط وموانع يجب مراعاتها واتباع الكتاب والسنة فيها.
5- وأن التكفير العام- كالوعيد العام- يجب القول بإطلاقه وعمومه، وأما الحكم على المعين بأنه كافر، أو مشهود له بالنار؛ فهذا يقف على الدليل المعين، فإن الحكم كما تقدم يقف على ثبوت شروطه، وانتفاء موانعه.
6- بهذا يظهر دقة فهم السلف للنصوص ورحمتهم للخلق، وتقديرهم للأحكام، فهديهم في هذا له أثره الفعال ودوره الواضح في تحيقق الجماعة وبناء جو من الألفة ووحدة الصف المتماسك بالحق والمبني على الحق الذي هو شهادة أن لاإله إلا الله وشهادة أن محمداً رسوله الله كما أراد الله سبحانه وتعالى.

نسأل الله أن يهدينا إلى صراطه المستقيم صراط الذين أنعم عليهم من النبيين و الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

المطلب السادس: هدي السلف الصالح في الرد على المخالفين وأثره في الجماعة

والمقصود بالمخالف هو المخالف المسلم الذي خالف الحق ومنهج الحق إما بجهل أو التباس بالباطل أو نحوه، وقد يكون هذا المخالف كافرًا من أهل الكتاب أو من غيرهم. مع هذا كله فقد أمر الشارع بالعدل والإنصاف في الرد عليه، والتعامل معه بالصدق والقسط مهما كان المقتضى، ومن هذا المنطلق أراد شيخ الإسلام ابن تيمية بيان هدي السلف الصالح في هذا الأمر.

وقرر- رحمه الله- أن هدي السلف مع المخالفين يتسم بالعدل والإنصاف والرحمة وحب الخير والوسطية، وبذل النصح والنصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم لا يظلمون أحدًا ولا يتبعون فيهم الظن السيئ والهوى وليس مقصودهم الانتقام ولا الانتصار للنفس بل دين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم:

جاء الإسلام ليقيم الحق والعدل بين الناس جميعا، وأمر الله تعالى بالعدل والإحسان في كل شيء وإعطاء كل ذي حق حقه صغيرا كان أو كبيراً لقوله سبحانه: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛﭜ ﭝ ﭞ ﭼ[1] وحرم الظلم كما جاء في الحديث القـدسي: ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا))[2] فكان الواجب على الأمة وأتباع الأنبياء خاصة أن يقيموا العدل ، فقام السلف الصالح بذلك خير قيام.

وإلى هذا يشير شخ الإسلام ابن تيمية ويقول:

((ولما كان أتباع الأنبياء هم أهل العلم والعدل كان كلام أهل الإسلام والسنة مع الكفار وأهل البدع بالعلم

---

1 (?) الحديد آية: 25.

2 (?) رواه صحيح مسلم ص658ح(2577) كتاب البر والصلة باب تحريم الظلم.

والعدل، لا بالظن وما تهوى الأنفس، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((القضاة ثلاثة: قاضيان في النار وقاض في الجنة، رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة، ورجل علم الحق وقضى بخلافه فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار))[1].

فإذا كان من يقضي بين الناس في الأموال والدماء والأعراض- إذا لم يكن عالما عادلا- كان في النار، فكيف بمن يحكم في الملل والأديان، وأصول الإيمان، والمعارف الإلهية، والمعالم الكلية، بلا علم، ولا عدل؟!!))[2].

ومن هذا المنطلق يقوم هدي السلف الصالح في التعامل مع المخالفين و ينببي عليه وهو العدل والإنصاف، وقصد بيان الحق من باطله، والإحسان والإصلاح كما سيأتي بيانه

1- الأمر بالعدل مع المخالفين غير المسلمين وإنصافهم في التعامل

قرر شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- أنه قد جاء التوجيه الإلهي والأمر الرباني بالعدل مع الكفار والصبر عليهم ودعوتهم إلى التوحيد بالعدل من ذلك ما يأتي:

أ – الأمر بالعدل فيهم والإحسان إليهم والنهي عن ظلمهم بأي وجه من الوجوه

وهذا قد دلت عليه آيات كثيرة في كتاب الله تعالى حيث أمر فيهم بالعدل، وإنصافهم والإحسان إليهم ودعوتهم إلى التوحيد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((وقد أمر الله بذلك رسوله صلى الله عليه وسلم بدعوة الخلق إلى

---

[1] (?) رواه الترمذي في سننه ج3/ 613 ح(1322) كتاب الأحكام باب 1. وأبو داود في سننه ج3/5 ح03573) أول كتاب الأقضية، 1 باب في طلب القضاء. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم(4446).

[2] (?) الجواب الصحيح ج1/107، 108.

توحيده بالعدل فقال تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ[1]

وقال تعالى: ﭽ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ[2] فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يؤمن بجميع الكتب المنزلة وأن يعدل بين الناس كلهم، فيعطي كل ذي حق حقه، ويمنع كل مبطل عن باطله، فالقسط والعدل في جميع أمور الدين والدنيا فيما جاء به. وهو المقصود بإرسال الرسل وإنزال الكتب كما قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ[3] .

فإنّه سبحانه يحب الإحسان إلى الخلق لاسيما إن كان المطلوب كف الظلم، فإنه يأمر بالعدل وينهى عن الظلم، ويجب على المؤمن أن يتثبت فيها ويعتصم بحبل الله ، فإن السنة مبناها على العلم والعدل والاتباع لكتاب الله وسنة رسوله [illegible])).[4]

وقد أمر الله هنا في هذه الآيات الكريمات بالعدل مع جميع الخلق فيعطى كل ذي حق حقه

وقد تقدم أن جميع الخلق متفقون على مدح العدل وذم الظلم كما بينه شيخ الإسلام.

ثم بين شيخ الإسلام في موضع آخر أن الله تعالى أمر بالعدل مع أعداء الإسلام من الكفار والمشركين في آيات أخرى وأن هذا أمر واجب في جميع الأحوال.

فقال : ((وأمر بالعدل على أعداء المسلمين، بل العدل واجب لكل أحد على كل أحدٍ، في جميع الأحوال، والظلم لا يباح شيء منه بحال من الأحوال حتى أن الله قد أو جب على المؤمنين أن يعدلوا على الكفار في

---

1 (?) آل عمران آية : (64).

2 (?) الشورى آية : (15).

3 (?) الحديد آية: (25).

4 (?) مجموع الفتاوى ج1/209، وج12/342، وج/28/613.

قوله: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ[1].

والمؤمنون كانوا يعادون الكفار بأمر الله، فقال تعالى لا يحملنكم بغضكم للكفار على ألا تعدلوا عليهم، بل اعدلوا فإنه أقرب للتقوى.

وقد دل على هذا قوله ﷺ في الحديث القدسي: ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا))[2] . فإنّ هذا خطاب لجميع العباد أن لا يظلم أحد أحدا، وأمر العالَم في الشريعة مبني على هذا وهو العدل في الدماء والأموال؛ والأبضاع والأنساب؛ والأعراض.

ولهذا جاءت السنة بالقصاص في ذلك. والظلم محرم في كل شيء ولكل أحد، فلا يحل ظلم أحد أصلا، سواء كان مسلما أو كافرا أو كان ظالما))[3]

وكما جاء أيضا الوعيد الشديد على من قتل معاهدا أو ذميا أو مستأمنا عن النبي ﷺ ونهى عن ظلمهم وأمر بإنصافهم وبين أنه لا يجوز قتلهم إلا بحق أورد ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – بقوله إن النبي ﷺ قال : ((من قتل معاهدا بغير حق لم يرح رائحة الجنة))[4]

وفي لفظ: ((ليس من أمتي من خرج على أمتي يضرب برها و فاجرها و لا يتحاشا من مؤمنها ولا يوفي لذي عهدها فليس منى ولست منه))[5]

وأيضا ففي صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب أنه قال: في خطبته عند وفاته : ((وأوصي الخليفة من بعدي بذمة الله، وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم أن يوفي

---

1 (?) المائدة آية: (8).

2 (?) تقدم تخريجه.

3 (?) مجموع الفتاوى ج16/17، وج18/166، 167' وج28/ 381.وج30/339

4 (?) صحيح البخاري مع الفتح ج12/270 ح(6914) كتاب الديات باب إثم من قتل ذميا بغير جرم.

5 (?) تقدم تخريجه.

لهم بعهـــــدهم وأن يقاتل من وراءهم ولا يكلفـــــوا إلا طاقتهم)).[1]

وهذا امتثال لقول النبي ﷺ : ((ألا من ظلم معاهدًا أو انتقصه من حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة)) **رواه أبو داود**[2] [3]

كما ورد أيضا عن جابر بن عبد الله أنه قال : أفاء الله عز وجل خيبر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كانوا وجعلها بينه وبينهم، فبعث عبد الله بن رواحة[4] فخرصها عليهم، ثم قال: يا معشر اليهود أنتم أبغض الخلق إلي قتلتم أنبياء الله عز وجل، وكذبتم على الله، وليس يحملني بغضي إياكم على أن أحيف عليكم، قد خرصت عشرين ألف وسق من تمر فإن شئتم فلكم وإن أبيتم فلي فقالوا : بهذا قامت السماوات والأرض))[5] [6]

---

1 (?) صحيح البخاري مع الفتح ج6/196 ح(3052) كتاب الجهاد والسير باب يقاتل عن أهل الذمة ولا يسترقون.

2 (?) رواه أبو داود في سننه ج3/437 الفتح052) كتاب الخراج والإمارة والفيء والحاكم في المستدرك ج2/678 والبيهقي في الكبرى ج9/205 وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم(445) وصحيح الجامع الصغير رقم(2655)

3 (?) مجموع الفتاوى ج18/128 وج34/146،والجواب الصحيح ج1/312.

4 (?) هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرى ء القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي الشاعر المشهور، يكنى أبا محمد ويقال كنيته أبو رواحة ويقال أبو عمرو وأمه كبشة بنت واقد بن عمرو بن الإطنابة خزرجية أيضا وليس له عقب، من السابقين الأولين من الأنصار وكان أحَد النقباء ليلة العقبة وشهد بدرا وما بعدها إلى أن استشهد بمؤتة./ الإصابة ج6/77-80ت(4667).

فهذا كله يبين أن السلف من الصحابة رضوان الله عليهم كان من هديهم العدل والإنصاف مع أعداء الإسلام امتثالا لقول النبي صلى الله عليه وسلم.وهذا دليل على العزة والكرامة التي كانوا يتمتعون بها ونشر الحق والعدل في الأرض مما زاد جماعتهم احتراما وقوة.

وكذلك تحريم قتل المعاهد، والمستأمن، والذمي؛ للوعيد الشديد عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا كله يبين صفاء دين الإسلام واحترامه للدماء وحفظها، وحرم إراقة الدماء المسلمين وغير المسلمين إلا بحق شرعي، بخلاف ما يقوم به أصحاب الأفكار الضالة والمنحرفة عن نهج الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة.

ب- الأمر بالعفو والصفح والصبر على أذاهم والبر والإحسان إليهم

هذا من خصائص هذا الدين العظيم، فإنه سبحانه يحب الإحسان إلى الخلق لاسيما إن كان المطلوب كف الظلم، ويأمر بمكارم الأخلاق و معاليها، وكان من هدي السلف الصالح الصبر والعفو والإحسان إلى خلق الله ولذلك ملكوا الدنيا ونالوا الآخرة وكل من الصبر والتقوى

قال رحمه الله: ((وقد ذكر الله تعالى الصبر والتقوى جميعا في غير موضع من كتابه ، وبين أنه ينصر

---

[5] (?) روا أحمد في مسنده ج2/34 و 367 و البيهقى في السنن الكبرى ج3/122 وابن حبان في صحيحه ج11/606 وقال الألباني –رحمه الله في الإرواء ج3/281 :وهذا إسناد رجاله ثقات لو لا أن أبالزبير مدلس ، وقد عنعنه لكنه قد صرح بالتحديث في رواية أحمدج3/296 من طريق ابن جريج.

[6] (?) ويقول الشيخ العلامة عبد العزيز بن – رحمه الله- في فتاوى مهمة ص123: ((فالعدل واجب في حق القريب والبعيد والصديق والبغيض ، ولكن ذلك لا يمنع من بغض أعداء الله ومعاداتهم ، ومحبة أولياء الله وموالاتهم عملا بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، فهذا حق ولكن ينبغي أن يعلم أن الأديان السماوية قد دخلها التحريف والتغيير ما عدا دين الإسلام فعلى الجميع الدخول فيه.

العبد على عدوه من الكفار المحاربين، والمعاهدين، والمنافقين، وعلى من ظلمه من المسلمين ولصاحبه تكون العاقبة وقال الله تعالى:ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﭼ[1]قال الله تعـالىﭽﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ[2].

وقال الله تعالى ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﭼ[3] وقال: ﭽ ﮱ ﯓ ﭼ[4][5]

فقد أمر المؤمنين في هذه الآيات أن يلتزموا بالصبر عندما يؤذيهم أعداء الإسلام بالقول أو نحوه، وأن يهتدوا بهدي نبيهم صلى الله عليه وسلم في العفو والصفح الجميل وترك الانتقام للنفس.

ولكن السؤال هنا هل لهذا الصبر بداية ونهاية؟ وهل يدل هذا الصبر المأمور به على ضعف الإيمان والوهن أو الخوف في الله لومة لائم كما يتصوّره البعض؟

قال – رحمه الله- في تعليقه على الآية: ((ثم هنا فرق لطيف: أما الصبر فإنه مأمور به مطلقا، فلا ينسخ . وأما العفو والصفح فإنه جعل إلى غاية، وهو: أن يأتي الله بأمره فلما أتى بأمره بتمكين الرسول صلى الله عليه وسلم ونصره- صار قادرًا على الجهاد لأولئك، وإلزامهم بالمعروف، ومنعهم عن المنكر- صار يجب العمل باليد في ذلك ما كان عاجزا عنه، وهو مأمور بالصبر في ذلك، كما كان مأمورا بالصبر أولا.

والجهاد مقصوده أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون الدين كله لله؛ فمقصوده إقامة دين الله لا استيفاء الرجل حظه؛ ولهذا كان ما يصاب به المجاهد في نفسه

---

1 (?) آل عمران آية : (186).

2 (?) آل عمران آية : (125).

3 (?) آل عمران آية : (186)

4 (?) البقرة آية: (109).

5 (?) مجموع الفتاوى ج11/34.

وماله أجره فيه على الله، فإن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم، بأن لهم الجنة)) [1]

وفي هذا دروس وفوائد للمسلمين وخاصة هذا العصر الذي ضعف فيه قوة المسلمين بتفرقهم واختلافهم والتقصير في أمر الدين والانحراف عن الوسطية، ونحو ذلك.

فيجب مراعاة ظروف الأمة وأحوالها وقوتها واستعداداتها والاعتصام بالكتاب والسنة وبعد النظر ورد النزاعات كلها إليهما خاصة في قضايا الأمة المصيرية كما بينه شيخ الإسلام.

((فإنّ كثيرًا من الناس يبادر إلى الأمر بذلك [أي إلى القتال أو الإنكار بالسيف]؛ لاعتقاده أن في ذلك إقامة العدل، ويغفل عن كون ذلك غير ممكن، بل تربوا مفسد ته على مصلحته.

ولهذا كان مذهب أهل الحديث ترك الخروج بالقتال على الملوك البغاة، والصبر على ظلمهم، وأن القتال **مشروط بالقدرة والإمكان** وأن ليس قتالهم بأولى من قتال المشركين والكفار، ومعلوم أن ذلك مشروط بالقدرة والإمكان ، فقد تكون المصلحة المشروعة أحيانا هي التأليف بالمال، والمسالمة ، والمعاهدة . فتارة تكون بالقتال، وتارة تكون المصلحة المهادنة، وتارة تكون المصلحة الإمساك والاستعداد بلا مهادنة كما فعله النّبي صلى الله عليه وسلم غير مرة، والإمام إذا اعتقد وجود القدرة ولم تكن حاصلة، كان الترك في نفس الأمر أصلح)). [2]

قال ((وليست الشجاعة هي قوة البدن، وقد يكون الرجل قوي البدن ضعيف القلب؛ وإنما هي قوة القلب وثباته. فإن القتال مداره على قوة البدن وصنعته للقتال؛

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج15/170.

2 (?) مجموع الفتاوى ج4/442، 444 وج15/174وانظر أيضا: ج28/ 152، 153.

وعلى قوة القلب وخبرته به، والمحمود منهما ما كان بعلم ومعرفة؛ دون التـهور الذي لا يفكر صاحبه، ولا يميز بين المحمود والمذموم؛ ولهذا كان القوي الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب. حتى يفعل ما يصلح. فأما المغلوب حين غضبه فليس بشجاع ولا شديد. وقد تقدم أن جماع ذلك هو الصبر، فإنه لابد منه)). [1]

1- أن جهاد الكفار يحتاج إلى العلم والفقه والاعتصام بالكتاب والسنة

2- أنه يحتاج إلى قدرة وإمام وصبر واستعداد وحسن قصد كما سيأتي.

الثاني: هدي السلف في التعامل مع المخالف المسلم المتأول أو المبتدع.

وكيف لا تكون معاملة هؤلاء بالعدل والإنصاف وقد أمر الله عباده المؤمنين معاملة أعداء الله من الكفار والمشركين بالعدل والإحسان إليهم، ونهى عن ظلمهم والاعتداء عليهم إذا كان هذا في غير المسلم، فالمسلم المتـأول أو المبتدع من باب أولى أن يعامل بالعدل في كل شيء، وقد تقدم بأن هدي السلف قائم على تحري العدل والإنصاف والبعد عن الظلم والعدوان والبغي كما جاء في الكتاب والسنة وبينه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، والمقصود هنا أهل البدع عمــوماً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- :

((والسعادة في معاملة الخلق : أن تعاملهم لله فترجو الله فيهم ولا ترجوهم في الله، وتخافه فيهم ولا تخافهم في الله؛ وتحسن إليهم رجاء ثواب الله لا لمكافأتهم، وتكف عن ظلمهم خوفا من الله لا منهم. وكما في الأثر: ((ارج الله في الناس ولا ترج الناس في الله وخف الله في الناس ولا تخف الناس في الله)).[2][3]

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج28/ 152.

2 (?) تقدم تخريجه.

3 (?) مجموع الفتاوى ج1/ 51.

فهذه قاعدة عامة في معاملة عباد الله، فيجب فيها مراقبة الله والخوف من عقابه وطاعته فيهم؛ رجاء ثوابه، ومن كان هكذا فلا بد أن ينصف الناس ويعاملهم بالعدل كما جاء في كتاب الله وسنة رسوله . والحذر من كل ما يؤدي إلى الفتنة والفرقة بين المسلمين .

قال شيخ الإسلام ابن تيمة: ((وكلّ ما أوجب فتنة وفُرقة فليس من الدين، سواء كان قولاً أو فعلاً، ولكن المصيب العادل عليه أن يصبر عن الفتنة، ويصبر على جهل الجهول وظلمه إن كان غير متأوِّل. وأما إن كان ذاك أيضا متأولا فخطؤه مغفور له، وهو فيما يصيب به من أذى بقوله أو فعله له أجر على اجتهاده، وخطؤه مغفور له، وذلك محنةٌ وابتلاء في حق ذلك المظلوم، فإذا صبر على ذلك واتقى الله كانت العاقبة له، كما قال تعالى: ﭼ ﮬ ﭼ[1] **وقال تعالى: (**ﭼ ﯖ ﯗ ... ﭼ[2] **.**

فأمر سبحانه بالصبر على أذَى المشركين وأهل الكتاب مع التقوى. وذلك تنبيه على الصبر على أذى المؤمن بعضهم لبعض؛ متأولين كانوا أو غير متأولين.

وقد قال سبحانه: ﭼ ... ﭼ[3]

فنهى أن يحمل المؤمنين بغضهم للكفار على ألا يعدلوا عليهم، فكيف إذا كان البغض لفاسق أو مبتدع متأول من أهل الإيمان ؟ فهو أولى أن يجب عليه ألا يحمله ذلك على ألا يعدل على مؤمن، وإن كان ظالما له.

فهذا موضعٌ عظيم المنفعةِ في الدين والدنيا، فإنّ الشيطان موكّل ببني آدم، وهو يعرض للجميع، ولا يسلم أحد من مثل هذه الأمور))[4]**.**

---

1 (?) آل عمران آية: (120).

2 (?) آل عمران آية: (186).

3 (?) المائدة آية: (8).

4 (?) كتاب الاستقامة لشيخ الإسلام ابن تيمية ج1/37، 38.

ولهذا فلا تجد أحدًا من السلف يكفر المسلم المتأول أو المبتدع أو يتعدى عليهم ، بل كانوا يطيعون الله فيهم.

قال – رحمه الله-: ((كل من كان مؤمناً بما جاء به محمد فهو خير من كل من كفر به، وإن كان في المؤمن بذلك نوع من البدعة، سواء كانت بدعة الخوارج والشيعة والمرجئة والقدرية أو غيرهم، فإن اليهود والنصارى كفار كفرًا معلومًا بالاضطرار من دين الإسلام، والمبتدع إذا كان يحسب أنه موافق للرسول صلى الله عليه وسلم لا مخالف له لم يكن كافرا به، ولو قدر أنه يكفر فليس كفره مثل كفر من كذب الرسول)).[1]

فإنه – رحمه الله- لم يسو بين الكافر والمسلم العاصي أو المبتدع وإنما اتبع العدل في أمر كل منهم بالعدل والإنصاف الذي هو أساس منهج أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين السلف الصالح

((فأهل السنة يستعملون معهم العدل والإنصاف، ولا يظلمونهم، فإن الظلم حرام مطلقاً، بل وأهل السنة لكل طائفة من هؤلاء خير من بعضهم لبعض، بل هم للرافضة خير وأعدل من بعض الرافضة لبعض، وهذا مما يعترفون هم به، ويقولون: أنتم تنصفوننا ما ينصفنا بعضنا بعضاً.. ولا ريب أن المسلم العالِم العادل أعدل عليهم وعلى بعضهم من بعض)).[2]

وهذا واضح وجلي من موقف شيخ الإسلام ابن تيمية مع مخالفيه من هذه الأمة فمنهجه فيهم يتصف بالرحمة والعدل والحق الذي جاء به الكتاب والسنة وفق فهم السلف الصالح وإن كفّره المخالف أو فسّقه إنه لا يقابله بالمثل – رحمة الله عليه- .

ويتصف بالشفقة والرحمة والعطف والإحسان وهذا طبقه حتى في النصارى وغيرهم من أهل الكتاب كما يظهر ذلك جلياًّ حين أُسر المسلمون مع بعض أهل الكتاب.

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج 35/201.

2 (?) منهاج السنة ج5/157-158.

قال: ((وقد عرف النصارى كلهم أني لما خاطبتُ التتار في إطلاق الأسرى؛ وأطلقهم غازان وقطلوشاه، وخاطبته فيهم فسمح بإطلاق المسلمين، قال لي: لكن معنا النصارى أخذناهم من القدس فهؤلاء لا يطلقون.

فقلت له: بل جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا فإنا نَفْتَكُّهم، ولا ندع أسيراً لا من أهل الملة ولا من أهل الذمة. وأطلقنا من شاء الله، فهذا عملنا وإحساننا والجزاء على الله)) [1].

ونجد أنه لم يقل اقتلهم أو احبسهم أو فجّرهم أو نحو ذلك مع علم الجميع أن هؤلاء من أعظم المخالفين له في الدين مع ذلك لم يعاملهم بمثل، فكيف بالمسلم الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلي مع المسلمين!؟

والواجب تقوى الله والعدل وبذل الجهد والوسع في إعطاء كلّ ذي حق حقه وأن يُسوّى بين ما سواه الله ورسوله، ويفرّق بين ما فرقه الله ورسوله، فإن مما يختص به مذهب أهل السنة والجماعة ويتميزون به عن غيرهم.

وفي هذا بيان لمنهج شيخ الإسلام ابن تيمية وأنه لم يكن يتسرّع في تكفير المخالف المبتدع بغير حجة رسالية وإن قام المخالف بتكفيره أو تجهيله.

قال: ((هذا أنا في سعة صدر لمن يخالفني، إنه وإن تعدى حدود الله فِيَّ بتكفير أو تفسيق، أو افتراء أو عصبية جاهلية: فأنا لا أتعدى حدود الله فيه. بل أضبط ما أقوله، وأفعله، وأزنه بميزان العدل، وأجعله مؤتماً بالكتاب الذي أنزله الله، وجعله هدى للناس، حاكماً فيما اختلفوا فيه. قال الله تعالى ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐﮑﭼ [2] **وقل تعالى:** ﭽ ﯓ

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج28/617.

[2] (?) البقرة آية(213).

ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﭼ[1] **وقال تعالى:** ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝﭼ[2] **.**

وذلك أنَّك ما جَزَيْتَ مَنْ عصَى اللهَ فِيكَ بمِثلِ أنْ تُطيع الله فيهﭽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﭼ[3] **وقال تعالى:** ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﭼ[4] **))**[5]

وله في هذا قدوة وسلف في الصحابة – رضوان الله عليهم- قال – رحمه الله-: ((وحتى الخوارج الذين قاتلهم علي رضي الله عنه مع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتالهم في الأحاديث الصحيحة، وما روي: ((أنهم شر قتلى تحت أديم السماء))[6] وأنهم شر على المسلمين من غيرهم، فإنهم لم يكن أحد شرًّا على المسلمين منهم، لا اليهود ولا النصارى ، فإنَّهم كانوا مجتهدين في قتل كلِّ مسلمٍ لم يوافقهم، لعظم جهلهم وبدعتهم المضلة.

ومع هذا فالصحابة رضي الله عنهم والتابعون لهم بإحسان لم يكفروهم، ولا جعلوهم مرتدين، ولا اعتدوا عليهم بقول ، ولا بفعل، بل اتقوا الله فيهم،وساروا فيهم السيرة العادلة، وهكذا سائر فرق أهل البدع والأهواء من الشيعة والمعتزلة وغيرهم)).[7]

---

1 (?) النساء آية(59).

2 (?) الحديد آية(25).

3 (?) النحل آية(128).

4 (?) آل عمران آية(120).

5 (?) مجموع الفتاوى ج3/245-246.

6 (?) رواه الترمذي في سننه ج5/الفتح(000) كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة آل عمران. وابن ماجه في سننه ج 1/113 في المقدمة باب 12. وأحمد في مسنده ج3/296 والطبراني في الكبير ج8/268. والحاكم في المستدرك ج 8/121 حسنه الألباني في المشكاة رقم(22) 3554 وقال في صحيح سنن الترمذي رقم(3000) حسن صحيح.

7 (?) منهاج السنة ج5/248.

الثالث: قصد عند الرد على على مخالف للكتاب والسنة

السلف كانوا من حماة هذا الدين يذبون عنه ويدافعون عنه ويردون على من خالفه من أهل الأهواء وغيرهم وكان قصدهم:

أ- بيان الحق من الباطل من جهة، والإحسان إلى الخلق والرحمة بالمردود عليه من جهة أخرى وإنقاذه من الهلاك.

ولم يكن المقصود من ذلك حب الظهور والتشفي، أو الانتقام أو انتصار للنفس أو للطائفة، أو الجنس والوطن أو بغضا لذات المردود عليه أو شخصيته أو نحو ذلك.

ولا يسخدمون الألفاظ الشنيعة التي لم ترد في الكتاب والسنة من سب وشتم ولعن أو تقبيح

وإلى هذا يشير شيخ الإسلام ويقول: ((وأئمة السنة والجماعة وأهل العلم والإيمـــــان فيهم العلم والعـــــدل والرحمة، فيعلمون الحق الذي يكونون به موافقين للسنة ســــالمين من البدعة ويعـــدلون على من خــــرج منها ولو ظلمهم، كما قال تعالى: ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ[1] .

ويرحمون الخلق فيريدون لهم الخير والهدى والعلم، لا يقصدون الشر لهم ابتداء، بل إذا عاقبوهم وبينوا خطأهم و جهلم وظلمهم؛ كان **قصدهم بذلك بيان الحق** ورحمة الخلق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا.

فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم؛ لأن الكفر حكم شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله، كمن كذب عليك وزنى بأهلك ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله، لأن الكذب والزنا حرام لحق الله تعالى، وكذلك التكفير حق الله، فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله))[2] .

---

[1] (?) المائدة: (8).

[2] (?) الرد على البكري ج2/490، 492.

فهذا يدعو لمتبعي منهج السلف المنتسبين إليه التوسط والاعتدال في الرد على المخالف واتباع الكتاب والسنة في ذلك، فتوضع الشدة في موضعها، واللين في موضعه، ومراعاة درجات المخالفين وبدعتهم، فيُعطى كلَّ ذي حقٍّ حقّه ويكون المقصود دائما بيان الحق بدليله وطاعة الله ورحمة الخلق، اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم وتمسّكاً بهدي السلف الصالح من الصحابة والتابعين بإحسان.

وقد((كان صلى الله عليه وسلم يهجر بعض المؤمنين كما هجر الثلاثة الذين خلفوا في غزوة تبوك، لأن المقصود دعوة الخلق إلى طاعة الله بأقوم طريق، فيستعمل الرغبة حيث تكون أصلح والرهبة حيث تكون أصلح.

ومن عرف هذا تبين له أن من رد الشهادة والرواية مطلقا من أهل البدع المتأولين فقوله ضعيف، فإن السلف قد دخلوا بالتأويل في أنواع عظيمة.

ومن جعل المظهرين للبدعة أئمة في العلم والشهادة لا ينكر عليهم بهجر، ولا ردع، فقوله ضعيف أيضا.

وكذلك من صلى خلف المظهر للبدع والفجور من غير إنكار عليه ولا استبدال به من هو خير منه **مع القدرة** على ذلك فقوله ضعيف، وهذا يستلزم إقرار المنكر الذي يبغضه الله ورسوله مع القدرة على إنكاره، وهذا لا يجوز.

فبين –رحمه الله أنه لا بد من الإنكار والرد على المخالف وبيان خطئه لتبصير الناس ، وأن لا يُسكت على البدعة مجاملة أو بدعوى جمع الكلمة ووحدة الصف لما في ذلك من إقرار المنكر ودفن الحق وبخس الخلق، وغشهم ، فلابد من نصرة الحق، لكن بالتي هي أحسن لأن الرد من باب العقوبة، والعقوبات الشرعية إنما شرعت رحمة من الله بعباده، وإحسانا إليهم.

كما بينه شيخ الإسلام في موضع آخر .

فقال: ((ولهذا ينبغي لمن يعاقب الناس على الذنوب أن يقصد بذلك الإحسان إليهم والرحمة لهم، كما يقصد الوالد تأديب ولده، وكما يقصد الطبيب معالجة المريض. فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((إنما أنا لكم بمنزلة الوالد))[1] وقد قال تعالى ﭽ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ﭼ[2] فإن نساءه إنما كن أمهات المؤمنين تبعًا له، فلولا أنه كالأب لم يكن نساؤه كالأمهات،والأنبياء أطباء الدين ، والقرآن أنزله الله شفاء لما في الصدور، فالذي يعاقب الناس عقوبة شرعية إنما هو نائب عنه، وخليفة له، فعليه أن يفعل كما يفعل على الوجه الذي فعل.

ولهذا قال تعالى: ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ[3] قال أبو هريرة –رضي الله عنه- : كنتم خير الناس للناس، تأتون بهم في الأقياد والسلاسل تدخلونهم الجنة)) .[4]

أخبر أن هذه الأمة خير الأمم لبني آدم، فإنهم يعاقبونهم بالقتل والأسر ومقصودهم بذلك الإحسان إليهم وسوقهم إلى كرامة الله ورضوانه، وإلى الجنة.

وهكذا الرد على أهل البدع من الرافضة وغيرهم: **إن لم يقصد فيه بيان الحق وهدى الخلق ورحمتهم والإحسان إليهم، لم يكن عمله صالحًا، وإذا غلظ في ذم بدعة ومعصية،كان قصده بيان ما فيها من الفساد ليحذرها العباد، كما في نصوص الوعيد وغيرها**.

فيهجر الرجل عقوبة وتعزيرًا، والمقصود بذلك ردعُه وردع أمثاله، للرحمة والإحسان، لا للتشفي والانتقام))[5] .

---

[1] (?) رواه أبو داود في سننه ج1/ 18 ح(8) كتاب الطهارة باب كراهية استقبال القبر عند قضاء الحاجة. وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم(2346).

[2] (?) الأحزاب آية : (6).

[3] (?) آل عمران آية : (110).

[4] (?) صحيح البخاري مع الفتح ج8/72 ح(4557) كتاب التفسير باب (كنتم خير أمة أخرجت للناس).

[5] (?) منهاج السنة ج5/237، 238، 239،

ومن العدل والإنصاف معرفة درجات المخالفين ومراتبهم وعدم الخلط بينها جهلاً أو اتباعاً للهوى

فإنّ هذا أيضا من هدي السلف الصالح –رحمهم الله- لا يجعلون المخالفين للسنة على مرتبة واحدة في الرد والحكم وفي الموالاة والمعاداة ويظهر ذلك من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية الآتي:

فقال رحمه الله ((والله هو المسئول أن يوفقنا للكلم الطيب والعمل الصالح وهو الذي يقوله، وإن كان فيه حكم بين هؤلاء الذين يخوضون أحيانا بكلام مذموم عند السلف، لكن قد ذكرنا غير مرة أن مِن حكم الشريعة إعطاء كل ذي حق حقه، كما في السنن عن عائشة قالت: أمرنا رسول الله أن ننزل الناس منازلهم))[1] وأن من كان منهم أقرب إلى الحق والسنة عرفت مرتبته ووجب تقديمه في ذلك الأمر على من كان أبعد عن الحق والسنة منه، قال تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم : ﭽ   ﯼ ﭼ وقال تعالىﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭼ[2] وقال في حق أهل الكتاب ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭼ[3] وقال ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ[4] فكيف الحال بين طوائف أهل القبلة، **بل الحكم بين من فيه فجور ومن فيه بدعة بالعدل ووضعهم مراتبهم وترجيح هذا من الوجه الذي هو فيه أعظم موافقة للشريعة، والحق أمر واجب ومن عدل عن ذلك ظانا**

---

1 (?) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه ص4 عن عائشة رضي الله عنها.

2 (?) النساء آية: (135).

3 (?) المائدة آية: (42).

4 (?) المائدة آية: (48).

أنه ينبغي الإعراض عن الجميع بالكلية فهو جاهل ظالم، وقد يكون أعظم بدعة وفجوراً من بعضهم)) [5]

وقد قال أيضا في موضع آخر منكرا على بعض من يسلك هذا المسلك ممن ينتسب إلى السنة ولا يراعي مراتب المخالفين:

((ولهذا صار كثير من أهل العلم والحديث يصف أقوال هؤلاء بأن فيها نفاقا وتناقضا، حيث يوافقون أهل السنة والجماعة على شيء من الحق ويخالفونهم فيما هو أولى بالحق منهم، ويفسرون ما يوافقون فيه بما يحيله عن حقيقته ، وهذا لما وقع من الاشتباه عندهم في هذه المسائل، ولما تعارض عندهم من الدلائل، والله المسئول أن يغفر لجميع المؤمنين، ويصلح لهم أمر الدنيا والدين إنه على كل شيء قدير، وهذا القدر الذي يوجد في هؤلاء قد يوجد من جنسه في منازعيهم من أهل الإثبات بحيث يعظم اهتمامهم لما ينازعون فيه إخوانهم الذين يوافقونهم في أكثر الإثبات من دقيق مسائل القرآن والصفات وغير ذلك، بحيث يوالون على ذلك ويعادون عليه مع إعراضهم عمن هم أبعد من هؤلاء عن الحق والسنة، حتى يفضي بكثير منهم الجهل والظلم إلى أن يحب أولئك ، ويثني عليهم لما يرى فيهم من نوع خير أو أنه لا يبغضهم ولا يذمهم، مع أنه يبغض هؤلاء ويذمهم، وهذا من جهله بحقيقة أحوال الناس ومراتب الحق عند الله، ومن ظلمه، حيث يكون غضبه لنفسه لما يناله من

---

[5] (?) بيان تلبيس الجهمية ج2/347.

أذى هؤلاء أحيانا أعظم من غضبه لربه فيما فعله أولئك، والدين إنما يقوم بالعلم والعدل المضاد للجهل والظلم، ولذلك أنزل الله كتبه وأرسل رسله، والله تعالى يؤلف بين قلوب عباده المؤمنين على ما يحبه ويرضاه)).[1]

فتبين من هذا أنه لابد من تنزيل الناس منازلهم في الرد على المقالة المخالفة للكتاب والسنة ، فإن البدع متفاوتة وأهلها كذلك متفاوتون فيها، فإن الرجل من أهل السنة والجماعة، المشهور بالعلم والفضل واتباع السلف الصالح المجتهد إذا أخطأ في مسألة، ليس مثل المبتدع المشهور بالبدعة، وأيضا الداعي إلى البدعة والمظهر لها، ليس حكمه كحكم الساكت ، فمن العدل أن يعطى كل ذي حق حقه.

*** الأمر الآخر الذي يجب التنبيه عليه وهو: هل من العدل والإنصاف ذكر محاسن الرجل والسكوت عن أخطائه أو ذكر أخطائه فقط دون محاسنه في الرد عليه أو ذكر أخطائه ومحاسنه؟**

أما السكوت عن الخطأ فتلك مصيبة، فلا بد من بيان الخطأ وتبصير الناس وتوجيههم وبيان الحق من الباطل، هذا من باب النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولابد من بيان حالهم والتحذير من بدعتهم، وهذا أيضا يكون بالتي هي أحسن.

---

[1] (?) بيان تلبيس الجهمية ج2/90.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((وإذا كان النصح واجبًا في المصالح الدينية الخاصة والعامة، مثل نقلة الحديث الذين يغلطون أو يكذبون كما قال يحيى بن سعيد[1]: سألت مالكا والثوري [2] والليث بن سعد[3] أظنه و الأوزاعي [4] عن الرجل يتهم في الحديث أو لا يحفظ ؟ فقالوا ((**بَيّنْ أمْرَهُ**)) .

وقال بعضهم لأحمد بن حنبل: إنه يثقل عليَّ أن أقول فلان كذا، وفلان كذا . فقال : ((إذا سكتَّ أنتَ ، وسكتُّ أنا فمتى يَعْرِف الجاهلُ الصحيحَ من السقيم؟)).

---

1 (?) هو يحيى سعيد بن فرّروج، بفتح الفاء وتشديد الراء المضمومة وسكون الواو ثم معجمة، التميمي، أبو سعيد القطّان البصري: ثقة مُتقنٌ حافظ إمام قدوةٌ من كبار التاسعة، مات سنة ثمان وتسعين، وله ثمان وسبعون/ تقريب التهذيب ص521ت(7557).

2 (?) **هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري**، أبو عبد الله الكوفي: ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة من رؤوس الطبقة السابعة، وكان ربما دلّس، مات سنة إحدى وستين، وله أربع وستون/ انظر: تقريب التهذيب ص184 ت(2445).

3 (?)**هو أبو الحارث الفهمي المصري** شيخ الإسلام وعالم الديار المصرية ، ولد سنة 93هـ، وكان على مذهب أهل الحديث في الاعتقاد ، قال الوليد بن مسلم : سألت مالكاً والثوري والليث و الأوزاعي عن الأخبار التي في الصفات ؟ فقالوا : أمروها كما جاءت ، توفي الليث سنة 175هـ ترجمته في : وفيات الأعيان 4 / 127 ، وسير أعلام النبلاء 8 / 136

4 (?) **هو: أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي** شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، كان مولده سنة 88 هـ، ببعلبك، وكان من الأئمة المقتدى بهم، علماً وعملاً، صادعاً بالحق قوالاً به، لا يخاف فيه لومة لائم ، توفي سنة 157 هـ انظر سير أعلام النبلاء 7 / 107

ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين، حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟

فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع، فإنما هو للمسلمين هذا أفضل)) .

فبين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله، إذ تطهير سبيل الله ودينه ومِنْهَاجه وشِرْعته ودفْع بغي هؤلاء وعُدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين، ولولا مَنْ يُقِيمُه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب؛ فإن هؤلاء إذا استولوا لم يُفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تَبَعاً، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداءً.

فإذا كان أقوام منافقون يبتدعون بدعا تخالف الكتاب، ويلبسونها على الناس،ولم تبين للناس، فسد أمر الكتاب وبدل الدين، كما فسد دين أهل الكتاب قبلنا بما وقع فيه من التبديل الذي لم ينكر على أهله.

فلا بد من التحذير من تلك البدع[1]، **وإن اقتضى ذلك ذكرهم وتعيينهم**، بل ولولم يكن قد تلقوا تلك البدعة عن منا فق لكن قالوها ظانين أنها هدى، وأنها خير، وأنها دين ولم تكن كذلك لوجب بيان حالها ولهذا وجب بيان حال من يغلط في الحديث والرواية، ومن يغلط في الرأي والفتيا، ومن يغلط في الزهد والعبادة،وإن كان المخطئ المجتهد مغفورا له خطؤه، وهو مأجور على اجتهاده، فبيان القول والعمل الذي دل عليه الكتاب والسنة واجب، وإن كان ذلك مخالفة لقوله وعمله، ومن علم منه الاجتهاد السائغ فلا يجوز أن يذكر على وجه الذم والتأثيم له، فإن الله غفر له خطؤه، بل يحب لما فيه من الإيمان والتقوى، وموالاته ومحبته، والقيام بما أو جب الله من حقوقه من ثناء ودعاء وغير ذلك.

وإن علم منه النفاق كما عُرِف نفاق جماعة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عبد الله بن أبي وذويه، وكما علم المسلمون نفاق سائر الرافضة عبد الله بن سبأ[2]

وأمثاله، فهذا يذكر بالنفاق، وإن أعلن بالبدعة ولم يعلم هل كان منافقا أو مؤمنا مخطئا ؛ ذكر بما علم منه، فلا يحل للرجل أن يقفو ما ليس له به علم، ولا يحل له

---

[1] (?) عن عاصم الأحول قال قال قتادة: يا أحول إن الرجل إذا ابتدع بدعة ينبغي لها أن تذكر حتى تحذر.)) وعن الأوزاعي قال: ((من استتر عنا ببدعته لم تُخِفْ أُلْفَتُه))/ شرح أصول اعتقاد أهل السنة للا لكائي ج1/154 رقم(257). وعن فضيل بن عياض: ((من أتاه رجل فشاوره فدله على مبتدع فقد غش الإسلام واحذروا الدخول على أصحاب البدع فإنهم يصدون عن الحق)) المصدر السابق رقم(261). وعن الحسن البصري قال: ((ثلاثة ليست لهم حرمة في الغيبة:أحدهم صاحب بدعة الغالي ببدعته))/ المصدر السابق رقم(278).

[2] (?) سيأتي الحديث عنه إن شاء الله.

أن يتكلم في هذا الباب إلا بعلم قاصدا بذلك وجه الله تعالى، وأن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون الدين لله، فمن تكلم في ذلك بغير علم أو بما يعلم خلافه كان آثما)) [1]

وتقرر هنا أنه لابد من بيان الحق من الباطل ولا يجوز السكوت عنه بأي وجه من الوجوه فيجب بيان الحق بدليله ولكنه بالحكمة.

ولا يذكر في محل الذم والتنفير إذا كان من علماء السنة العاملين المخلصين اجتهد في مسألة وأراد الحق فأخطأ فيه أو زل قلمه فيه.

خلافا لمن عرف بالبدعة والمشهور بذلك المفسد والداعي إليه، فهذا يحذر منه ولبدعته، ,أما من التبس أمره فهذا أيضا لا يُتكلم فيه إلا بعلم ويتحرى في ذلك الصدق وقصد بيان الحق .

* أما في موضع الرد والتحذير من المخالفة لا يذكر محاسن المخالف وحسناته وفضله، هذا ليس من العلم والحكمة، بل يذكر الأقوال والأفعال المخالفة للكتاب والسنة ويرد عليها **. ولهذا بين شيخ الإسلام ابن تيمية في أكثر من موضع فقال:**

((وأول ذلك أن تذكر الأقوال والأفعال على وجه الذم لها والنهي عنها وبيان ما فيها من الفساد، فإن الإنكار بالقلب واللسان قبل الإنكار باليد، وهذه طريقة القرآن فيما يذكره تعالى عن الكفار، والفساق و العصاة من أقوالهم وأفعالهم؛ يذكر ذلك على وجه الذم والبغض لها ولأهلها، وبيان فسادها وضدها والتحذير منها، فلا بد

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج 28/231، 233، 234.

من بيان بدعته والتحذير منها، فإن هذا من جملة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أمر الله به ورسوله ›› [1]

وقال رافع بن أشرس [2] : ‹‹من عقوبة الفاسق المبتدع: أن لا تُذكر محاسنه›› [3]

وهذا هو المتوجه في معاملة أهل البدع إذا كان المقام مقام تحذير، فليس من اللائق عند التحذير من رجل مبتدع داعية إلى البدعة أن تذكر محاسنه، فيكون في ذلك تهويناً من أمر بدعته.

وفرق بين أن لا تُذكر محاسنه عقوبة له، وبين كتمانها إذا سئل عنها، فحينئذ يكون الإنصاف بيانها مع ذكر ما فيه من البدعة، وهذا هو التوسط.

كما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية قال:

‹‹ وعلى هذا فما أمر به آخر أهل السنة من أن الداعية إلى بدعة تضر الناس في دينهم يعاقب ويهجر فلا يستشهد ولا يروى عنه، ولا يستفتى ولا يصلى خلفه، قد

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج15/338 .

[2] (?) رافع بن أشرس العدوي روى عن خالد بن صبيح وروى عن أبيه عن أبي مجلز وروى عن حكيم بن زيد، روى عنه أحمد بن منصور المروزي/ الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ج 3/483 رقم(2176).

[3] (?) الكفاية في علم الرواية /للخطيب البغدادي ص 117. المكتبة العلمية، تحقيق أبو عبد الله إبراهيم الدسوقي. وفتح المغيث شرح ألفية الحديث لشمس الدين محمد السخاوي ج1/328 . دار الكتاب العلمية- لبنان ، ط: 1. 1403هـ.

يكون من هذا الباب[1] فإن هجره تعزيرٌ له وعقوبة له جزاء، لمنع الناس من ذلك الذنب الذي هو بدعة أو غيرها، وإن كان في نفس الأمر تائبا أو معذورًا؛ إذ الهجرة مقصودها أحد شيئين:

1- إما ترك الذنوب المهجورة وأصحابها. 2- وإما عقوبة فاعلها ونكاله.

ومن هذا الباب هجر الإمام أحمد للذين أجابوا في المحنة قبل القيد ولمن تاب بعد الإجابة، ولمن فعل بدعة ما؛ مع أن فيهم أئمةً في الحديث والفقه والتصوف والعبادة؛ فإن هجره لهم والمسلمين معه لا يمنع معرفة قدر فضلهم، كما أن الثلاثة الذين خلفوا لما أمر النبي المسلمين بهجرهم لم يمنع ذلك ما كان لهم من السوابق. حتى قد قيل: ((إن اثنين منهما شهدا بدرًا، وقد قال الله لأهل بدر: ((اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)). وأحدهم كعب بن مالك شاعر النبي وأحد أهل العقبة، فهذا ((**أصل عظيم**)) إن عقوبة الدنيا المشروعة من الهجران إلى القتل لا يمنع أن يكون المعاقب عدلاً أو رجلاً صالحًا كما بينت من الفرق بين عقوبة الدنيا المشروعة و المقدورة؛ وبين عقوبة الآخرة والله سبحانه أعلم)).[2]

---

[1] (?) أي لدفع ضرر فعلهم والتحذير منه.

[2] (?) مجموع الفتاوى ج10/375، 376، 377. وانظر أيضا كتاب وسم الفقيه وسمت المتفقه لأحمد بن صالح الزهراني: ص240 مؤسسة الرسالة ط: 1، 1424.

((فمن اتبع الســابقين الأولين كـان منهم، وهم خــير النــاس بعد الأنبيــاء، فــإن أمة محمد خــير أمة أخــرجت للناس، وأولئك خير أمة محمد، كما ثبت في الصــحاح من غـير وجه أن النـبي قـال: ((خـير القـرون القـرن الـذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم.))[1]

ولهذا كان معرفة أقوالهم في العلم والدين وأعمالهم خيرا وأنفع من معرفة أقوال المتأخرين وأعمالهم في جميع علوم الدين وأعماله، كالتفسير وأصول الدين، وفروعه، والزهد، والعبادة، والأخلاق، والجهاد، وغير ذلك؛ فإنهم أفضل ممن بعدهم كما دل عليه الكتاب والسنة، فالاقتداء بهم خير من الاقتداء بمن بعدهم، ومعرفة إجماعهم ونزاعهم في العلم والدين خير وأنفع من معرفة ما يذكر من إجماع غيرهم ونزاعهم. وذلك أن إجماعهم لا يكون إلا معصوما، وإذا تنازعوا فالحق لا يخرج عنهم، فيمكن طلب الحق في بعض أقاويلهم، ولا يحكم بخطأ قول من أقوالهم حتى يعرف دلالة الكتاب والسنة على خلافه قال تعالى:

ﭽ ی ی ی ﭼ[2] [3]

((وأيضا: فلم يبق مسألة في الدين إلا وقد تكلم فيها السلف فلابد أن يكون لهم قول يخالف ذلك القول أو يوافقه، وقد بسطنا في غير هذا الموضع أن الصواب في

---

1. (?) تقدم تخريجه.
2. (?) النساء آية: (59).
3. (?) مجموع الفتاوى ج13/24.

أقوالهم أكثر وأحسن، وأن خطأهم أخف من خطأ المتأخرين، وأن المتأخرين أكثر خطأ وأفحش، وهذا في جميع علوم الدين؛ ولهذا أمثلة كثيرة يضيق هذا الموضع عن استقصائها والله سبحانه أعلم)) [1] .

نجد من خلال عرض شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- لهدي السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان: الفقه العظيم للدين، ودقة العلم والفهم والتأصيل، وقوة التمسك بالكتاب والسنة والاتباع والاعتصام بالجماعة والعصمة ورحمة الخلق والإحسان إلى الخلق، والعدل والإنصاف ومراعاة درجات الناس ومراتبهم في العلم والدين. وهذا باب واسع يكفي مجلدات وليس هنا موضع استقصائه. فهؤلاء كما قال شيخ الإسلام: ((لم يطمع الشيطان أن يضلهم كما أضل غيرهم من أهل البدع)) .

ولو تمسك المسلمون جميعا بهذا الأصل العظيم كما أمر الله ورسوله لساد الأمة ولكشف الله لهم الغمة، ولسعدوا في الدنيا والآخرة، ولأعاد التاريخ نفسه بإذن الله ومشيئته .وكما قال شيخ الإسلام: ((فإن العبرة بكمال النهاية لا بنقص البدايات)) .

فنسأل الله أن يعزنا بالإسلام ويجمع كلمتنا على الحق المبين، ويرزقنا اتباع هدي السلف القويم، ويعيذنا من كيد كل شيطان رجيم.

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج13/27.

- المبحثالثالث: بيـان أثر الجماعة والائتلاف على الأمـــــة

وباستقراء ما تقدم عرضه من جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان أهمية الجماعة وحاجة البشرية إليها وحثه على لزومها، وما استدل به من أدلة الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة يتبين لنا أن التمسك بالجماعة وتحقيق الوحدة والائتلاف له آثاره الطيبة ونتيجته المحمودة التي سيبينها شيخ الإسلام بن تيمية- رحمه الله- في الموضع الآتي.

فقرر أن من آثر الجماعة ونتائجها- رحمه الله - :

أولا: رحمة الله ورضوانه وصلواته وسعادة الدنيا والآخرة وبياض الوجوه وتتضمن الأمور الآتية:

أ- الهداية إلى الصراط المستقيم بتحقيق العبودية الخالصة لله وحده لا شريك له بجميع أنواعها وصفاتها، مع راحة النفس وسعادة الدارين.

فالأمن الحقيقي والاستقرار التام في تحقيق العبودية لله تعالى وأن يكون الدين كله لله، ففي ذلك اليقين والطمأنينة وسعادة الدارين؛ وهذا من أعظم ثمرات الجماعة ونتيجتها، وأعلاها وأجلاها لكونها المقصود من خلق الخليقة، وأول المطلوب وآخره.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((ولو سلك هؤلاء طريق الأنبياء والمرسلينَ عليهم السلامَ والذين أمروا بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له، ووصفوه بما وصفه به نفسه وبما وصف به رسوله واتبعوا طريق السابقين

الأولين؛ لسلكوا طريق الهدى، ووجدوا برد اليقين، فإن الجزاء من جنس العمل (([1] .

وقوله في موضع آخر: ((والخالص من الشرك يحصل له الأمن كما قال تعالى **:**

چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ چ[2]

وفى الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه لما أنزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إنما هو الشرك. ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح: **(إن الشرك لظلم عظيم)**.

والذين شق ذلك عليهم ظنوا أن الظلم المشروط هو ظلم العبد نفسه، وأنه لا يكون الأمن والاهتداء إلا لمن لم يظلم نفسه، فشق ذلك عليهم فبين النبي صلى الله عليه وسلم لهم ما دلهم على أن الشرك ظلم في كتاب الله تعالى.

وحينئذ فلا يحصل الأمن والاهتداء إلا لمن لم يلبس إيمانه بهذا الظلم، ومن لم يلبس إيمانه به كان من أهل الأمن والاهتداء.

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج2/478، وج6/482.

[2] (?) الأنعام آية : (82).

فمن سلم من أجناس الظلم الثلاثة [1] كان له الأمن التام والاهتداء التام، ومن لم يسلم من ظلمه نفسه كان له الأمن والاهتداء مطلقا.

وقول النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو الشرك؛ إن أراد به الشرك الأكبر، فمقصوده أن من لم يكن من أهله فهو آمن مما وعد به المشركون من عذاب الدنيا والآخرة، وهو مهتد إلى ذلك وإن كان مراده جنس الشرك؛ فيقال ظلم العبد نفسه كبخله لحب المال ببعض الواجب هو شرك أصغر وحبه ما يبغضه الله حتى يكون يقدم هواه على محبة الله شرك أصغر ونحو ذلك فهذا صاحبه قد فاته من الأمن والاهتداء بحسبه ولهذا كان السلف يدخلون الذنوب في هذا الظلم بهذا الاعتبار.

والعبد إذا أنعم الله عليه بالتوحيد فشهد أن لا إله إلا الله مخلصا من قلبه- والإله هو المعبود، الذي يستحق غاية الحب والعبودية بالإجلال، والإكرام، والخوف

[1] (?) وهي: ظلم العبد ربه وظلم العبد غيره وظلم العبد نفسه. وقد جاء عن غير واحد من السلف وروى مرفوعا (الظلم ثلاثة دواوين فديوان لا يغفر الله منه شيئا وديوان لا يترك الله منه شيئا وديوان لا يعبأ الله به شيئا فأما الديوان الذى لا يغفر الله منه شيئا فهو الشرك فإن الله لا يغفر أن يشرك به وأما الديوان الذى لا يترك الله منه شيئا فهو ظلم العباد بعضهم بعضا فإن الله لا بد أن ينصف المظلوم من الظالم وأما الديوان الذى لا يعبأ الله به شيئا فهو ظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه (أى مغفرة هذا الضرب ممكنة بدون رضى الخلق فإن شاء عذب هذا الظالم لنفسه وإن شاء غفر له/ مجموع الفتاوى ج18/ 161.

والرجاء، يفنى القلب بحب الله تعالى عن حب ما سواه، ودعائه والتوكل عليه وسؤاله عما سواه، وبطاعته عن طاعة ما سواه- **حلاه الله بالأمن والسرور، والحبور، والرحمة للخلق؛ والجهاد في سبيل الله؛ فهو يجاهد ويرحم، له الصبر والرحمة، قال الله تعالى (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) وكلما قوى التوحيد في قلب العبد؛ قوى إيمانه وطمأنينته وتوكله ويقينه**)) [1]

وأعظم نعمة على وجه الأرض نعمة الهداية إلى التوحيد والعقيدة الصحيحة الصافية النقية من كل شوائب الشرك والبدع والخرافات ولهذا جعل جل شأنه شرط وجود الأمن والاهتداء التام والسعادة والاستقرار البعد عن الشرك من كل أنواعه، وتحقيق العبودية له وحده لا شريك له.

وهذا يعني أن الجماعة والائتلاف الحق إذا وجد فثَمَّ تحقيق التوحيد الحق وعبادة الله حق العبادة والاجتماع عليها، وهذا مما يرضى الله سبحانه ونيل رحمته ورضوانه .

وهنا نقول أن أي مجتمع ادعت الأمن والاستقرار والطمأنينة التامة بنفسها من غير تحقيقهم لعبودية الله تعالى الخالصة والاجتماع عليها فهي دعوى باطلة، فإن الله تعالى يقول الحق وقوله الحق.

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج7/79، 80، 81، 82، وج28/35.

وبناء على هذا نستطيع أن نقول من خلال ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- :

إنّ أعظم مفهوم للأمن هو في أن ينطلق المجتمع المسلم على تقرير أن عقيدة المجتمع ارتباطه الوثيق بربه، والبعد عن كل ما من شأنه أن يخدش العقيدة والاجتماع عليها، وهو أول الواجبات الأمنية التي تحقق الوازع الديني المانع من كل ممارسة تخالف دين الله وشرعته.

وكما تقدم أن بينه – رحمه الله- أن التوحيد وما يتبعه من الحسنات هو صلاح وعدل، ولهذا كان الرجل الصالح هو القائم بالواجبات، وهو البر، وهو العدل، والذنوب فيها تفريط أو عدوان في حق الله تعالى وحقوق عباده، هي فساد وظلم، والذي يريد العلو على غيره من بني جنسه هو ظالم باغٍ، إذ ليس كونك عاليا عليه بأولى من كونه عاليا عليك، وكلا كما من جنس واحد، فالقسط والعدل أن يكونوا إخوة كما وصف الله المؤمنين بذلك، والتوحيد وإن كان أصل الصلاح فهو أعظم العدل.

فهذا كله من نتيجة الجماعة وثمراتها الطيبة، تتحقق برحمة الله ورضوانه وبنعمته وفضله ومنه وكرمه في طاعته وطاعة رسوله، وطاعة ولاة الأمر في طاعة الله ورد جميع المنازعات إلى الله والرسول قال تعالى**:**

ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ى ى يي ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺﭼ[1]

ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ[2].

والمقصود من هذا كله بيان أن :

أهل الجماعة والائتلاف هم أهل الرحمة، وهم أهل الرضوان من الله تعالى، وهم لما قاموا بأمر الله من التمسك بالجماعة ولزومها، واتباع الحق نالوا رحمة الله ورضوانه، كما ورد بيانه في كتاب الله تعالى أن المرحومين من أهل الرحمة لا يختلفون، بخلاف أولئك لا يزالون يختلفون في الكتاب وفي مخالفة الكتاب .

ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮﭼ[3]

وهذا أحد الأدلة على أن الإجماع حجة قاطعة فإنهم إذا اجتمعوا كانوا مطيعين لله بذلك مرحومين، فلا تكون طاعة الله ورحمته بفعل لم يأمر الله به من اعتقاد، أو قول، أو عمل. فلو كان القول أو العمل الذي اجتمعوا عليه لم يأمر الله به لم يكن ذلك طاعة لله، ولا سببا لرحمته، فتبين أن من نتيجة الجماعة والائتلاف رحمة الله ورضوانه[4].

ب ـ ومن أثر الجماعة والائتلاف : استتباب الأمن وانتظام نظام الحياة وتحقيق مصالح الدنيا والدين.

---

1 (?) النساء آية : (59).

2 (?) آل عمران آية : (103).

3 (?) هود آية: (118-119).

4 (?) انظر: مجموع الفتاوى ج 1/17، وج 13/131

فقد كان دور الرسل عليهم السلام بعد غرس توحيد الله في نفوس العباد وظهور آثاره في جوارحهم تحقيق المصالح وتعطيل المفاسد وأمر العباد بما ينفعهم ويحفظ حياتهم الدنيوية والأخروية فإن من عدل الله وحكمته ورحمته تعالى أنه لا يضع الأمور إلا في مواضعها ولا يأمر إلا بما فيه صلاح العباد ونفعهم في دينهم ودنياهم وبهذا بعث الرسل ونزل الكتب .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- :

((والله بعث الرسل بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، والنبي دعا الخلق بغاية الإمكان، ونقل كل شخص إلى خير مما كان عليه بحسب الإمكان،

چ ۓ ۀ [illegible] چ))[1] [2]

فمن ذلك: حقن الدماء وحفظ النفوس والأعراض، وأمن السبل وجهاد العدو ولا يستقيم للعباد أمر من هذه الأمور إلا بالجماعة ولا جماعة إلا بوجود الحـكام ولا وجود لهم إلا بالسمع والطاعة لهم في المعروف والصبر على أذاهم إخلاصا لوجه الله ولزوم جماعتهم طاعة لله ورسوله فإن هذا من الخير الكثير وللأهمية بمكان**.**

كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- تعالى: ((يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين؛ بل لا قيام للدين والدنيا إلا بها. فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى

---

1 (?) الأحقاف آية (19)

2 (?) مجموع الفتاوى ج 13/ 97.

بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم)).[1]

ولأن الله تعالى أو جب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة. وكذلك سائر ما أو جبه الله من الجهاد والعدل وإقامة الحج والجمع والأعياد، ونصر المظلوم. وإقامة الحدود لا تتم إلا بالقوة والإمارة؛ **ولهذا روي: ((أ**ن السلطان ظل الله في لأرض)).[2] ويقال: ((ستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة واحدة بلا سلطان)).[3][4]

فقد دل هذا على أن مصالح الناس الدينية والدنيوية لا تتم إلا بالاجتماع، فإذا اجتمعوا تحققت لهم مصالحهم، وجمعوا بين خيري الدنيا والآخرة بجلب المنافع ودفع المضار وأداء الحقوق واحترام النفوس وحفظ الأعراض وأمن المجتمع .

وقد أشار إلى هذا شيخ الإسلام ابن تيمية وترجمه قولاً وعملا عندما كان يخاطب أحد حكام زمانه مناصحًا له، ومذكرا له دوره ومكانته ومنزلته في الدين والدنيا في تطبيق شرع الله وإصلاح دين الخلق ودنياهم فقال شيخ الإسلام :

---

1 (?) تقدم تخريجه.

2 (?) تقدم تخريجه.

3 (?) تقدم تخريجه.

4 (?) مجموع الفتاوى ج28/390، 391.

((من أحمد بن تيمية إلى سلطان المسلمين، وولي أمر المؤمنين، نائب رسول الله في أمته؛ بإقامة فرض الدين وسنته. أيده الله تأييدا يصلح به له وللمسلمين أمر الدنيا والآخرة، ويقيم به جميع الأمور الباطنة والظاهرة، حتى يدخل في قول الله تعالى**:**

ﭽ ڌ ڌ ڎ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ژ ڑ ک ک ک ککگ گ گ گ گ ﮔ ﭼ (1)

وفى قوله صلى الله عليه وسلم**:** ((سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل)) (2) إلى آخر الحديث وفى قوله صلى الله عليه وسلم: ((من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئا)) (3). وقد استجاب الله الدعاء في السلطان، فجعل فيه من الخير الذي شهدت به قلوب الأمة ما فضله به على غيره.

والله المسؤول أن يعينه، فإنه أفقر خلق الله إلى معونة الله وتأييده، قال تعالى :

ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼ (4) (5) .

---

1 (?) الحج آية : (41).

2 (?) صحيح مسلم ص244 ح(1031) كتاب الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة.

3 (?) صحيح مسلم ص680 ح(2674) كتاب العلم باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة.

4 (?) النور آية : (55).

5 (?) مجموع الفتاوى ج28/41، 42.

ففي هذه الآية بشارة للمؤمنين المتمسكين بالجماعة والطاعة بالنصر والتمكين في الأرض وعدم اليأس وأن الطريق إلى الخير والصلاح باق ومفتوح، وأن هذا وعد من الله للعاملين المخلصين فلابد من مواصلة المسير لقطف ثمار الخير والتمكين.

فتمكين الدين ورضوان الله ورحمته والعيش الحميد وإصلاح أمور الدين والدنيا لا يتم إلا بالجماعة والائتلاف والسمع والطاعة لولاة الأمر في طاعة الله، والصبر وترك الاستعجال، والإخلاص لله تعالى في السر والعلن، والتوكل عليه، وبعد التفكير والنظر في العواقب فهذا كله مما يعين ولاة الأمر والرعية على التثبيت والتمكين والإصلاح وتجـريد متابعة الكتاب والسنة.

حتى يُمَكِّنه ذلك من إقامة شرع الله في الأرض وإصلاح دين الخلق ودنياهم ومالا يقوم الدين إلا به من أمر دنياهم، فيجتهدون في ذلك بحسب الإمكان، ويقوم الناس بالتعاون معهم بالقسط في أداء حقوق الله، وحقوق عباده، مما لا يمكن القيام به في واقع يسوده الفوضى والبغي والظلم و التحزبات الباطلة، والعصبيات الجاهلية. فلا بد من وجود السمع والطاعة لولاة الأمر، والتعاون معهم على البر والتقوى. ولا بد من الوقوف معهم والدعاء لهم بالتوفيق والسداد.

انظر إلى الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم- لما هجر عمر صبيغًا وأمر بهجره فهجره الصحابة جميعًا

امتثالاً لأمر أمير المؤمنين عمر، ووقوفًا معه، حتى قال عثمان النهدي لما كتب لهم عمر في النهي عن مجالسته: ((ولو جاء ونحن مائة لتفرقنا عنه ..))[1]

ويلاحظ من هذا أثر السمع والطاعة في الوقوف مع الإمام ضد من يسعى في شق عصا الجماعة في الدين بالشبهات حفظا لأمر الجماعة، وحماية لأمر الدين والدنيا بطاعة ولاة أمرهم. والأمثلة في هذا كثيرة جدا في مجتمع الصحابة وسيرهم.

ثم بين شيخ الإسلام ابن تيمية أيضا فقال:

((وصلاح أمر السلطان بتجريد المتابعة لكتاب الله وسنة رسوله ونبيه، وحمل الناس على ذلك، فإنه سبحانه جعل صلاح أهل التمكين في أربعة أشياء:

1- **إقام الصلاة**. 2-**إيتاء الزكاة.** 3-**الأمر بالمعروف**. 4- **والنهى عن المنكر**.

فإذا أقام الصلاة في مواقيتها جماعة- هو وحاشيته وأهل طاعته- وأمر بذلك جميع الرعية، وعاقب من تهاون في ذلك العقوبة التي شرعها الله، فقد تم هذا الأصل.. ثم كل نفع وخير يوصله إلى الخلق، هو من جنس الزكاة. فمن أعظم العبادات سد الفاقات. وقضاء الحاجات، ونصر المظلوم، وإغاثة الملهوف، والأمر بالمعروف، وهو: الأمر بما أمر الله به ورسوله، من العدل والإحسان، وأمر نوّاب البلاد وولاة الأمور باتباع حكم الكتاب والسنة،

---

[1] (?) أحاديث في ذم الكلام وأهله لأبي الفضل المقرئ ج 4/244. دار أطلس للنشر والتوزيع – الرياض .ط: 1، 1996، تحقيق د. ناصر عبد الرحمن الجديع. – الرياض

واجتنابهم حرمات الله، والنهى عن المنكر، وهو: النهى عما نهى الله عنه ورسوله.

وإذا تقدم السلطان- أيده الله- بذلك في عامة بلاد الإسلام، كان فيه من صلاح الدنيا والآخرة له وللمسلمين ما لا يعلمه إلا الله. والله يوفقه لما يحبه ويرضاه))[1]

فهذه الأمور التي ذكرها شيخ الإسلام وأشار إليها تبين أهمية لزوم الجماعة ونتائجها الطيبة في عون الولاة على إقامة شرع الله وإصلاح دين الخلق ودنياهم وحفظ مصالحهم.

ثانيا - ومن تلك الرحمة والرضوان: العزة والكرامة، والقوة والغلبة، والنصر والسعادة والاحترام والتقدير في نفوس الأعداء.

إذا حقق المسلمون معنى الجماعة واعتصموا بالكتاب والسنة، وبما كان عليه سلف الأمة، وأطاعوا الأمراء في غير معصية الله وناصحوهم بالطريقة التي تليق بمقامهم وصبروا على حكمهم، وقسمهم، وغزو معهم، وتركوا النزاع في أصول الدين وقواعده ، وتمسكوا بالدين ظاهرًا وباطنًا، صاروا قوة رادعة وحصنًا منيعًا وجبالا راسخات أمام كل عدو ظالم، وكل تيار منحرف، ومذهب هدّام، وأفكار ضالة، وبدع وأهواء مضلة ومفرقة، وأظهرهم الله على الدين كله فنالوا عفوه ومغفرته ورحمته ورضاه ونصره وتأييده.

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج28/242،243.

فقد بين شيخ الإسلا أنه بعفو الله ورحمته ونصرهم على الأعداء:

((تتم لهم النعمة المطلقة، و لا يصفو عيش في الدنيا والآخرة إلا بها، وعليها مدار السعادة والفلاح، فالعفو متضمن لإسقاط حقه قبلهم و مسامحتهم به، و المغفرة متضمنة لوقايتهم ذنوبهم وإقباله عليهم، و رضاه عنهم؛ بخلاف العفو المجرد؛ فإن العافي قد يعفو و لا يُقبل على من عفا عنه و لا يرضى عنه، فالعفو ترك محض و المغفرة إحسان و فضل و جود، و الرحمة متضمنة للأمرين مع زيادة الإحسان و العطف و البر، فالثلاثة تتضمن النجاة من الشر والفوز بالخير، والنصرة تتضمن التمكين من إعلان عبادته و إظهار دينه، و إعلاء كلمته، وقهر أعدائه، وشفاء صدورهم منهم، وإذهاب غيظ قلوبهم، وحزازات نفوسهم، وتوسلوا في خلال هذا الدعاء[1] إليه باعترافهم أنه مولاهم الحق الذي لا مولى لهم سواه، فهو ناصرهم، و هاديهم، وكافيهم، ومعينهم، ومجيب دعواتهم، ومعبودهم.

فلما تحققت قلوبهم بهذه المعارف، وانقادت وذلت لعزة ربها ومولاها وإجابتها جوارحهم أعطوا كلما سألوه من ذلك)). [2]

---

1 (?) أي قولهم :(ربنا لا تؤا خذنا إن نسينا أو أخطأنا) الآية.

2 (?) مجموع الفتاوى ج14/140.

فقد ظهر من كلامه – رحمه الله- أن من نتيجة الجماعة والائتلاف النجاة، والنصرة، والتأييد ، وسعادة الدنيا والآخرة، يأوي إليها الضعيف والمسكين والفقير معززا مكرما، ويأمن فيها الخائف، يعز فيها العلماء الربانيون ويذل فيها البدع وأهلها، وتَقِلّ الفتن والأهواء، ويعامل الخلق كلهم بالإحسان والعدل، وتسود بين الناس المحبة والألفة والأخوة الإيمانية الصادقة، والرحمة حتى البهائم، فيسلم حتى الحيوان والطيور من الظلم والتعذيب والحرث والنسل، والله لا يحب الفساد، ويحب الإصلاح، والتمسك بالجماعة وكل ما يؤدي إلى ذلك على وجه الحق

كما جاء بيانه في موضع آخر من كلام شيخ الإسلام بقوله:

((وأما الحديث النبوي ((السلطان ظل الله في الأرض، يأوي إليه كل ضعيــف وملهوف))[1] وهذا صحيح، فإن الظل مفتقر إلى آو، وهو رفيق له مطابق له نوعًا من المطابقة، والآوي إلى الظل المكتنف بالمظل صاحب الظل فالسلطان عبد الله، مخلوق، مفتقر إليه، لا يستغنى عنه طرفة عين؛ وفيه من القدرة والسلطان والحفظ والنصرة و غير ذلك من معاني السؤدد والصمدية التي بها قوام الخلق ما يشبه أن يكون ظل الله في الأرض وهو أقوى الأسباب التي بها يصلح أمور

---

[1] (?) رواه البيهقي في السنن الكبرى ج8/162 وفي شعب الإيمان ج6/15 وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير رقم (696)و (3352)

خلقه وعباده، فإذا صلح ذو السلطان صلحت أمور الناس وإذا فسد فسدت بحسب فساده؛ ولا تفسـد مـن كل وجه؛ بل لابد من مصالح؛ إذ هو ظل الله؛ لكن الظلَّ تارة يكون كاملاً مانعًا من جميع الأذى.

و تارة لا يمنع إلا بعض الأذى. وأما إذا عدم الظل فسد الأمر، كعدم سر الربوبية التي بها قيام الأمة الإنسانية. و الله تعالى أعلم)).[1]

فتقرر بهذا أنه مع وجود السلطان فلابد من مصالح وكيفما كان طبيعة ذلك السلطان والأمير فلابد من تحقيق مصلحة الدين أوالدنيا أو هما معا بهذا السلطان، ولابد من نتيجة طيبة أو بعضها وأنه لا تفسد المصالح من كل الوجوه إذا تحقق السمع والطاعة والصبر والجماعة.

وفيه تحذير لمن يقول: إن الأمير فلان والسلطان فلاني، والعالم أو الإمام الفلاني لا خير فيه وما رأينا منه خير قط منذ أن جاءنا أو وُلِّي علينا. كما هو حال أهل الأهواء الذي ينكرون على أئمة الجور في الخطب والمناسبات وإساءة الأدب إليهم ، فهذا ليس من منهج السلف الصالح الصحابة والتابعين، ولا أمر به الكتاب والسنة وإنما الدين النصيحة وقد تقدم الكلام في النصيحة وطرقها.

وقد تقدم من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية أن ((السعادة في معاملة الخلق: أن تعاملهم لله فترجو الله

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج35/45،46.

فيهم ولا ترجوهم في الله؛ وتخافه فيهم ولا تخافهم في الله؛ وتحسن إليهم رجاء ثواب الله لا لمكافئتهم، وتكف عن ظلمهم خوفًا من الله لا منهم)) [1] .

فإنّ الله تعالى أمرنا بالاعتصام بكتابه واتباع سنة نبيه وأن نقول للناس الحسنى و إقامة الدين ولزوم الجماعة وترك الفرقة والاختلاف: فقد أخبر الله عز وجل فقال: ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((ثم أخبر أنهم إذا فعلوا ما يوعظون به من الهجرة والجهاد كان خيرا لهم وأشدّ تثبيتًا، ففي الآية أربعة أمور:

1-الخير المطلق.

2-والتثبيت المتضمن للقوة والمكنة.

3- والأجر العظيم.

4-و الهداية إلى الصراط المستقيم.

ﭑ ﭒ ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ [3] ﭑ ﭒ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﭼ[4] ﯓ ﭑ ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﭼ[5] [6]

وهذه النصوص التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- في هذا الموضع تحمل معاني

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج1/51.

2 (?) النساء آية : (66).

3 (?) محمد آية:(7).

4 (?) الحج آية: (40-41).

5 (?) المائدة آية : (54).

6 (?) مجموع الفتاوى ج15/ 401، 402.

عظيمة وفوائد جليلة في هذا الباب وتقرر الأمور الآتية:

أن من آثار الجماعة والائتلاف التمـكين وهو **إقامة شرع الله في الأرض وتتضمن ذلك:**

1- أداء أركان الإسلام الخمسة والاهتمام بشأنها كما جاء في الشرع.

2-حفظ الضروريات الخمس التي جاء الشرع بحفظها

3- التعاون مع ولاة أمر المسلمين على البر والتقوى في جميع أمور الدين والدنيا.

4-إقامة الجهاد في سبيل الله، وتحقيق التأييد والنصر، ونشر السعادة ورحمة الخلق.

5-الهداية والتوفيق، وظهور علم الكتاب والسنة وتعظيم العلماء الربانيين المتبعين للكتاب والسنة والمقتدين بالسلف الصالح بإحسان.

6- العفو من الله والمغفرة والرحمة والرضوان .

ثالثا: من نتيجة الجماعة تحقيق الأخوة الإيمانية وتأليف القلوب والعصمة :

إن مما يحققه الجماعة والائتلاف من الآثار الطيبة والنتائج الحميدة تثبيت روابط الأخوة الإيمانية، والمحبة الدينية بين المؤمنين وموالاة بعضهم بعضا موالاة الدين والأخوة الدينية القوية ، والراسخة الأصول والبعيدة عن

النعرات الجاهلية، والعصبية والعنصرية المقيتة، والقوميات البغيضة النتنة فتسود المجتمع المحبة والألفة، والولاء بالدين، والبذل والعطاء لله والرحمة والعطف بأمر الله.

ولا يكون في القلوب من الغل والغيظ وبغض أحد من المؤمنين إطلاقاً،كبيرهم وصغيرهم راعيهم ورعيّتهم علماءهم وعامتهم، إلا بحق وعدل.كما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة وقرره عالم الأمة شيخ الإسلام ناصح الأمة رجاء دخول الجنة برحمة كاشف الغمة جل جلاله وكان ذلك من تمام نعمة الله التي ذكرها بقوله:

ﭽ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ[1]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- في تعليقه على الآية:

« فلما نهاهم عن التفرق مطلقاً؛ دل ذلك على أنهم لا يجتمعون على باطل، إذ لو اجتمعوا على باطل لوجب اتباع الحق المتضمن لتفرقهم، وبين أنه ألّف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخوانا، كما قال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼ[2] .

فإذا كانت قلوبهم متألفة غير مختلفة على أمر من الأمور كان ذلك من تمام نعمة الله عليهم، ومما منَّ به

---

1 (?) آل عمران آية: (103).

2 (?) الأنفال آية : (62-63).

عليهم فلم يكن ذلك اجتماعا على باطل؛ لأن الله تعالى أعلم بجميع الأمور))[1]

وقد بين هذا في موضع آخر بآيات أخرى مدعومة بالأحاديث النبوية الصحيحة حقيقة هذه الأخوة والمحبة الإيمانية والائتلاف الأخوي الديني وكيف تتحقق هذه الأخوة الإيمانية فقال:

((.. الأخوة الإيمانية التي أثبتها الله بين المؤمنين بقوله ﭽ ۋ ۅ ۋ ﭼ[2] وقول النبي صلى الله عليه وسلم : ((المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه))[3] وقوله : ((لا يبع أحدكم على بيع أخيه، ولا يستام على سوم أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه))[4] وقوله : ((والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه من الخير ما يحبه لنفسه))[5] ونحو ذلك من الحقوق الإيمانية التي تجب للمؤمن على المؤمن.

فهذه الحقوق واجبة بنفس الإيمان والتزامها بمنزلة التزام الصلاة والزكاة، والصيام، والحج، والمعاهدة عليها

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج 19/92.

2 (?) الحجرات آية : (10).

3 (?) تقدم نخريجه.

4 (?) صحيح مسلم ص347 ح(1412)و(1413) و(1414) كتاب النكاح باب تحريم الخطبة على خطبة أخيه حتى يأذن أو يترك. ومسند أحمد ج2/277 وصحيح ابن حبان ج 11/339 والطبراني في الأوسط ج1/162.

5 (?) صحيح البخاري مع الفتح ج1/73 ح(13) كتاب الإيمان باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه. وصحيح مسلم ص25ح(45) كتاب الإيمان باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير.

كالمعاهدة على ما أوجب الله ورسوله وهذه ثابتة لكل مؤمن على كل مؤمن، وإن لم يحصل بينهما عقد مؤاخاة..))[1] .

وفي الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم:

((**أنه قال مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر))[2] وفي الصحاح أيضا أنه قال : ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه))[3].**

قال شيخ الإسلام : ((فهذا في اتحاد الناس بعضهم ببعض وهي الأخوة والخلة الإيمانية، فقد جعل المؤمن مع المؤمن بمنزلة العضو مع العضو اللذين تجمعهما نفس واحدة.

وجعل الله فيها عباده المؤمنين بعضهم أولياء بعض، وجعلهم إخوة وجعلهم متناصرين متراحمين متعاطفين.

فمتى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به وقعت بينهم العداوة والبغضاء، وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا، وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا، فإن الجماعة رحمة.

فأئمة الدين هم [كانوا] على منهاج الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، والصحابة كانوا مؤتلفين متفقين))[4].

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج11/100، 101.

2 (?) تقدم تخريجه.

3 (?) تقدم تخريجه.

4 (?) مجموع الفتاوى ج 1/ 150، وج3/419، 421، وج 11/100، 101، والفتاوى الكبرى ج2/103.

فقد أرسى الكتاب والسنة دعائم الأخوة ، وأصول المحبة وأساس الألفة، بهذه المباني العظيمة والروابط الإيمانية المتينة، التي تحققها الجماعة والائتلاف وتزرعها في نفوس المؤمنين جميعا في بناء أمتهم ومجتمعهم، بناءً قوياًّ متماسكًا بنيانه والذي لا تتزحزح بتقلب الزمان بعزة الرحمان ونعمة الديان وما وعد به من الرضوان لعباد عبد الرحمن، كما بين شيخ الإسلام.

رابــعاً: من نتيجة الجماعة والائتلاف وثمراته بياض الوجوه

ومن أثار الجماعة والائتلاف ونتيجته بياض الوجوه؛ فتبيض وجوه أهل السنة والجماعة والائتلاف كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله-:

((والإجتماع والائتلاف من أعظم الأمور التي أوجبها الله ورسوله قال تعالى:

ڇ ه ه ه ه ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ

ۋ ۋ ې ې ې ې ى ى ڇآل عمران: ١٠٥ - ١٠٦

قال ابن عباس_ رضي الله عنهما- : ((تبيض أهل وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهر البدعة والفرقة)) [1]

قال في موضع آخر ((ولهذا ظهر ذلك ظهورًا بينًا عند الإصرار على القبائح في آخر العمر عند قرب الموت، فنرى وجوه أهل السنة والطاعة كلما كبروا ازداد حسنها، وبهاؤها، حتى يكون أحدهم في كبره أحسن وأجمل منه في صغره، ونجد وجوه أهل البدعة والمعصية كلما كبروا عظم قبحها وشينها،

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج4/515، ومنهاج السنة ج5/134 وتفسير البغوي ج4/339

حتى لا يستطيع النظر إليها من كان مُنْبَهرًا بها في حال الصغر لجمال صورتها.

وهذا ظاهر لكل أحد فيمن يعظم بدعته وفجوره مثل الرافضة وأهل المظالم والفواحش من الترك ونحوهم.

فإن الرافضي كلما كبر قبح وجهه وعظم شينه، حتى يقوى شبهه بالخنزير، وربما مسخ خنزيراً وقردًا كما قد تواتر ذلك عنهم، ثم إن الذين يكثرون الفاحشة تجدهم في الكبر أقبح الناس وجوها، وليس سبب ذلك أمرا يعود إلى طبيعة الجسم؛ بل العادة المستقيمة تناسب الأمر في ذلك؛ بل سببه ما يغلب على أحدهم من الفاحشة والظلم؛ فيكسوه ذلك قبح الوجه وشينه.

ومن هذا أن الذين قَويَ فيهم العدوان مسخهم الله قردةً وخنازير من الأمم المتقدمة وقد ثبت في الصحيح: أنه سيكون

في هذه الأمة أيضا من يمسخ[1] قردة وخنازير. فإن العقوبات والمثوبات من
جنس السيئات والحسنات كما قد بين ذلك في غير موضع)) [2]

---

1 (?) وقد رويت أحاديث لينة الأسانيد: (أنه يكون فى أمتى خسف ومسخ) عن النبى - عليه السلام - ولم يأت ما يرفع ذلك ، وقال بعض العلماء: معنى ما ورى عن النبى - عليه السلام - : (أنه سيكون فى هذه الأمة مسخ) فالمراد به مسخ القلوب حتى لا تعرف معروفًا ولا تنكر منكرًا ، وقد جاء عن النبى - عليه السلام - أن القرآن يرفع من صدور الرجال، وان الخشوع والأمانة تنزع منهم، ولا مسخ أكبر من هذا، وقد يجوز أن يكون الحديث على ظاهره، فيمسخ الله من أراد تعجيل عقوبته كما قد خسف بقوم وأهلكهم بالخسف والزلازل، وقد رأينا هذا عيانا؛ فكذلك يكون المسخ، والله أعلم)) شرح صحيح البخاري ، اسم المؤلف: أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي ج6/52،53 مكتبة الرشد - السعودية / الرياض - 1423هـ - 2003م ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم. قال الباحث: وأين القرآن في صدور الرافضة))؟!!.

2 (?) وقد رويت أحاديث لينة الأسانيد: (أنه يكون فى أمتى خسف ومسخ) عن النبى - عليه السلام - ولم يأت ما يرفع ذلك ، وقال بعض العلماء : معنى ما ورى عن النبى – علـيه السلام - : (أنه سيكون فى هذه الأمة مسخ) فالمراد به مسخ القلوب حتى لا تعرف معروفًا ولا تنكر منكرًا ، وقد جاء عن النبى - عليه السلام - أن القرآن يرفع من صدور الرجال ، وان الخشوع والأمانة تنزع منهم ، ولا مسخ أكبر من هذا ، وقد يجوز أن يكون الحديث على ظاهره ، فيمسخ الله من أراد تعجيل عقوبته كما قد خسف بقوم وأهلكهم بالخسف والزلازل ، وقد رأينا هذا عيانا ؛ فكذلك يكون المسخ ، والله أعلم)) شرح صحيح البخاري، اسم المؤلف: أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي ج6/52،53 مكتبة الرشد - السعودية / الرياض - 1423هـ - 2003م، الطبعة : الثانية،

فتبين وتقرر بهذه النصوص الواردة في نتيجة الجماعة والائتلاف كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية الأمور الآتية:

1- رحمة الله ورضوانه، وصلواته.

2- سعادة الدنيا والآخرة وبياض الوجوه.

3- الهداية إلى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

4- تحقيق مصالح الدنيا والدين، كاستتباب الأمن والسلام وجلب المنافع ودفع المضار، وتحقيق العبودية لله بطاعته وطاعة ورسوله وولاة أمر المسلمين علمائهم وأمرائهم.

5- النصر والتمكين والاستخلاف في الأرض، وإقامة شرع الله والعصمة من الضَّلال.

6- حقن الدماء، وحفظ النفوس والأعراض، كما جاء ﭢ به الشريعة النبوية.

7- بناء مجتمع متكامل في الأخوة والمحبة والألفة الإيمانية، والتراحم والتعاطف كالجسد الواحد والعضو الواحد، والبناء الواحد، والقوة الإيمانية الواحدة.

8- إقامة الجهاد في سبيل الله ونشر الدين بأمر الله؛ لإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام بخير وسلام كما بين شيخ الإسلام.

9- ظهور الإسلام وأهله واختفاء البدع وأهلها.

نسأل الله أن يجمع شمل هذه الأمة على الحق، ويوحد كلمتهم عليه، ويرزقنا التمسك بالجماعة، والاعتصام بالكتاب والسنة، وعلى نهج سلف الأمة.

الباب الثاني

جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان الاختلاف والتفرق والتحذير منه

وفيه أربعة فصول

الفصل الأول: جهوده في بيان مفهوم التفرق والاختلاف وخطورته ونتيجته

الفصل الأول: جهـــوده في بيـــان مفهـــوم التفـــرق والاختلاف وخطورته ونتيجته

وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: تعريف الفرقة والاختلاف

أولا ـ تعريف الفرقة لغة وشرعا

أ- تعريف الفرقة لغة

[1] (?) هود.

1- أصل الكلمة: من مادة (ف ر ق) قال ابن الفارس : الفاء والراء والقاف أُصَيل صحيح يدل على تمييز وتزييل بين شيئين[2]

2- تصاريفها: الفرقة بالضم : مصدر الافتراق. وهو اسم يوضع موضع المصدر الحقيقي من الافتراق، وفارق الشيء مفارقة: باينه، والاسم: الفرقة. خلاف الجمع. [2]

وتفرق تفرقاً وتِفِرَّاقاً: ضد التجمع، كافترق[3]

3- معانيهـا: لهذه الكلمة استعمالات متنوعة في لغة العرب منها:

الفرْق: خلاف الجمع. فرقه يفْرقُه فَرقاً، وفرّقه، وقيل: فَرَقَ للصلاح فَرْقًا، وفرَّق للإفساد تفريقا.[4]

التفرق والافتراق سواء .

ومنهم من يجعل التفرّق للأبدان ـ والافتراق في الكلام. ويقال: فرَقت بين الكلامين فافترقا. وفرّقت بين الرجلين. فتفرّقا[5]

والتفرق: الانقسام والانشقاق والفَرْقُ: القِسْم، والجمع أفراق. ومنه قوله تعالى:

ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ[6] معناه: شققناه. وقراءة (فرّقنا بكم البحر) بتشديد الراء، شاذة من ذلك، أي جعلناه فِرَقًا وأقساما[7]

---

2 (?) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ج4/493 مادة (فرق).

2 (?) اللسان ج 10/ 243 ومختار الصحاح ص 517 وتاج العروس مادة (فرق).

3 (?) قاموس المحيط مادة (فرق).

4 (?) اللسان ج10/ 243 مادة (فرق).

5 (?) اللسان ج10/243 مادة(فرق). وتاج العروس مادة فرق.ومفردات ألفاظ القرآن للراغب مادة (فرق).

6 (?) البقرة آية: (50).

7 (?) اللسان ج10/243 مادة (فرق).

المفارقة: المباينة، وفارق الشيء مفارقة وفراقا: باينه [1]

والفرق: الفصل بين الشيئين[2]

الفرقة بالكسر: الطائفة من الناس جمع: فرق.[3]

والفرق: القطعة المنفصلة، ومنه: الفِرقة للجماعة المتفردة من الناس.[4]

وانفرق: انفصـل[5]

والفَرَق: تباعد ما بين الثنيتين[6]

الفارق من الإبل: التي تفارق إلفها فتنتج وحدها[7]

والفريق: الجماعة المتفرقة عن آخرين.[8]

والتفريق: أصله: التكثير، ويقال ذلك في تشتيت الشمل والكلمة. نحو ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁﮂ ﭼ[9] وقوله: ﭼ ﮢ ﮣ ﮤ ﭼ[10] .ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼﭼ[11] **وقرئ (فارقوا)** [12] .

وفرّقه : تفريقًا وتفْرِقة: بدَّده، وأخذ حقه بالتفاريق[13] .

الخلاصة: إذا جمعنا هذه المعاني نجد أنها متقاربة تدل على :

---

[1] (?) اللسان مادة (فرق).
[2] (?) اللسان ج10/243 مادة (فرق).
[3] (?) قاموس المحيط ص918 مادة (فرق).
[4] (?) قاموس المحيط ص918 مادة(فرق).
[5] (?) قاموس المحيط ص918 مادة (فرق).
[6] (?) تاج العروس مادة (فرق).
[7] (?) تاج العروس مادة(فرق).
[8] (?) مفردات ألفاظ القرآن مادة (فرق).
[9] (?) البقرة آية: (102.
[10] (?) طه آية :(94).
[11] (?) الأنعام آية: (159).
[12] (?) مفردات ألفاظ القرآن ص633 مادة (فرق).
[13] (?) قاموس المحيط ص918 مادة (فرق).

التفرق، والانقسـام، والانشـقاق والانفـراد، والمباينـة، والمفاصلة، والمقاطعة، والمفارقة، والانقطاع، والتشتت، والتباعد، والتنافر واختيار الشذوذ.

ب- تعريف الاختلاف لغة:

1- أصل الكلمة: من مادة (خلف) قال ابن الفارس:

الخاء واللام والفاء أصول ثلاثة: أحدها: أن يجيء بعد شيء يقوم مقامه، والثاني خلاف قُدَّام، والثالث: التغير.

وأما قولهم: اختلف الناس في كذا، والناس خِلْفةٌ أي مختلفون، فمن باب الأول؛ لأن كل واحد منهم ينحّى قول صاحبه ويقيم نفسه مُقام الذي نحَّاه[1] .

2- تصاريفهـا : وقيل اختلف: مشتق من ((الخِلْفة))بالكسر هو اسمه أو مصدره، وقد خالفه مخالفة وخلافا، واختلافا، ضد الاتفاق، ومنه قوله تعالى: ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﭼ[2] [3]

3- معانيهــا : ولهذه الكلمة استعمالات في لغة العرب منها:

واختلف: ضد اتفق ومنه الحديث : ((سووا صفوفكم ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم))[4] أي: إذا تقدم بعضهم على بعض في الصفوف تأثرت قلوبهم ونشأ بينهم اختلاف في الألفة والمودة[5]

---

1 (?) معجم مقاييس اللغة ج2/ 211، 213، مادة (خلف).

2 (?) الفرقان آية: (62).

3 (?) انظر: اللسان مادة (خلف). وقاموس المحيط ص 808 وتاج العروس ج1/5836، والمفردات للراغب الأصفهاني ص 156 مادة (خلف).

4 (?) صحيح مسلم ص110 ح(432) كتاب الصلاة باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها، والازدحام على الصف الأول والمسابقة إليها، وتقديم أولى الفضل وتقريبهم من الإمام.

5 (?) تاج العروس ج1/5836 مادة(خلف). وانظر أيضا :قاموس المحيط مادة (خلف).

واختلاف والمخالفة: أن يأخذ كل واحد طريقا غير طريق الآخر في حاله أو قوله، والخلاف أعم من الضد، لأن كل ضدين مختلفان وليس كل مختلفين ضدين ولما كان الاختلاف بين في القول قد يفضي إلى التنازع استُعير ذلك للمنازعة والمجادلة قال تعالى: ﭽ   ﭼ[1] [2] .

خالفه إلى الشيء: عصاه إليه أو قصده بعد ما نهاه عنه وهو من ذلك، ومنه قوله تعالى: ﭽ   ﭼ[3] [4]

والخلاف: المضادة وقد خالفه مخالفة وخلافا، وفي المثل : ((إنما أنت خلاف الضبع)) أي تخالف خلاف الضبع؛ لأن الضبع إذا رأت الراكب هربت منه[5] .

والخِلفة: القوم المختلفون، يقال : القوم خِلفة، [6] .

وتخالف الأمران: لم يتفقا وكل ما لم يتساو فقد تخالف واختلف[7]

الخلاصــة: فهذه المعاني كلها متقاربة تدل على الاختلاف والمخالفة والمضادة وعدم الاتفاق والعصيان والمنازعة والمجانبة و المهاربة وعدم المقابلة والموافقة.

ج- تعريف التفرق في الاصطلاح :

---

1 (?) مريم آية: (37).

2 (?) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص294 مادة (خلف).

3 (?) هود آية : (88).

4 (?) تاج العروس ج1/5836، مادة(خلف).

5 (?) اللسان ج4/187 مادة (خلف) و تاج العروس ج5835 مادة(خلف).

6 (?) تاج العروس ج1/ 5823 مادة(خلف).

7 (?) كتاب العين ج4/268 مادة (خلف).

والتفرق في الشرع يطلق على أمور منها:

1- التفرق في الدين: ومن ذلك قوله تعالى:ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷﭸ ﭼ[1] **.وقوله :** ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐﭼ[2] وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((فإن الذي شرع لنا هو الذي وصى به الرسل وهو الآمر بإقامة الدين والنهى عن التفرق فيه))[3] ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : ((تفرقت اليهود على إحدى وسبعين أو ثنتين وسبعين فرقة..))[4] وهو التفرق في الأصول ، والخروج عن السنة.

2- **التفرق عن جماعة المسلمين** ، وهم عموم أمة الإسلام في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، والصحابة، وهم أهل السنة والجماعة ومن كان على هديهم بعد ظهور الافتراق فمن خالف سبيلهم في أمر يقتضي الخروج عن أصولهم في الاعتقاد أو الشذوذ عنهم في المناهج، أو الخروج على أئمتهم، أو استحلال السيف فيهم، فهو مفارق.

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: ((من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه))[5] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : ((من فارق الجماعة وخرج من الطاعة فمات فميتته جاهلية، ومن خرج على أمتي بسيفه يضرب برها وفاجرها، لا يتحاشى مؤمنا لإيمانه، ولا يفي لذي عهد بعهده فليس من أمتي، ومن قتل تحت راية عمية يغضب للعصبية، أو يدعو إلى عصبية فقتلته جاهلية))[6] .

---

1 (?) آل عمران آية(103)
2 (?) الشورى آية: (13).
3 (?) مجموع الفتاوى ج1/13.
4 (?) سيأتي تخريجه والكلام فيه بالتفصيل إن شاء الله.
5 (?) تقدم تخريجه.
6 (?) تقدم تخريجه.

وفي لفظ مسلم: ((من خرج من الطاعة وفارق الجماعة...))[7]

وقد ذكر أصنافا من المفارقين الخارجين منهم:

1- المفارقون البغاة الخارجين عن طاعة السلطان .

2- المفارقون الخارجون عن جماعة المسلمين.

3- المفارقون المقاتلون للعصبية العمياء لقومه أو قبيلته أو أهل بلده أو حزبه.

4- المفارقون المقاتلون لعداوة أو الرئاسة أو غرض الدنيا، وإما من الخارجين عن السنة، الذين يستحلون دماء أهل القبلة مطلقا كالخوارج الحرورية ونحوهم.[2]

فظهر أن التفرق الذي يشمل هذه الأصناف المذكورة كلها التفرق في أصول الدين ،والفرق والخروج عن جماعة المسلمين وإمامهم بالسيف ونحوه ، وعن السنة ، وعما كان عليه سلف الأمة من المنهج والسلوك. كما سيأتي بيانه أكثر.

د- تعريف الاختلاف في الاصطلاح:

وهو الاختلاف التضاد في الدين والحق . وكل اختلاف مذموم يؤدي إلى البغي والبغضاء والمهاجرة والتقاطع والتحاسد والتقاتل.

وقد ورد في قوله تعالى: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ[3] وقوله: (ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ[4]

---

[7] (?) تقدم تخريجه.

[2] (?) انظر: مجموع الفتاوى ج27/487، واقتضاء الصراط المستقيم ج1/249، 250. وكتاب دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها للدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل ص21-22. كتاب مهم في الباب.

[3] (?) آل عمران آية: (105).

[4] (?) الجاثية آية: (17).

وقول النبي صلى الله عيه وسلم ((لا تختلف صفوفكم فتخلف قلوبكم))[1]

وقد بين هذا شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- بقوله في التفرق والاختلاف:

هو التفــرق والاختلاف المخــالف للاجتمــاع والائتلاف حــتى يصــير بعضــهم يبغض بعضا ويعاديــه، ويحب بعضا ويواليه على غـير ذات اللـه، وحـتى يفضي الأمر ببعضـهم إلى الطعن، واللعن، والهمـــز، واللمـــز، وبعضـــهم إلى الاقتتــال بالأيــدي، و ببعضــهم إلى المهــاجرة والمقاطعة حــتى لا يصــلي بعضــهم خلف بعض وهــذا كله من أعظم الأمور التي حرمها الله ورسوله))[2] .

وقال في موضع آخر: ((وكل قول قيل في دين الإسلام مخالف لما مضى عليه الصحابة والتابعون لم يقله أحد منهم بل قالوا خلافه فإنه قول باطل))[3]

ولفظ ((الاختلاف)) في القرآن يراد به التضاد والتعارض؛ لا يراد به مجرد عدم التماثل -كما هو اصطلاح كثير من النظار- ومنه قوله ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ[4] .

وقوله : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭼ[5] **وقوله:** ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ[6]))[7] .

أ- ويلاحظ هنا كأن شيخ الإسلام قد بين المراد الاصطلاحي الشرعي بالاختلاف والتفرق وجمعهما في

---

1 (?) رواه ابن حبان في صحيحه ج5/ 530.
2 (?) مجموع الفتاوى ج22/359، 360.
3 (?) منهاج السنة ج5/263.
4 (?) النساء آية: (82).
5 (?) الذاريات آية: (8).
6 (?) البقرة آية: (253).
7 (?) مجموع الفتاوى ج13/19.

هذا الموضع ، وأن الاختلاف قد يؤدي إلى التفرق ، كما أنه قد بين أن في الاختلاف ما هو جائز وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله عند ذكر أنواع الاختلاف.

ب- كما أنه يظهر من هذه النصوص أن المراد بالتفرق هو:

1- التفرق والاختلاف في الدين .

2- التفرق في الأبدان ،كما سيأتي توضيح هذا أكثر في الأبواب القادمة إن شاء الله.

وكل هذا يجمع الشذوذ عن الجماعة اتباعا لهوى النفس وتأثرا بما يقع وسط الجماعة من أخطاء وهنات.

وكذلك الشذوذ والخروج عن الجماعة باتباع البدع والأهواء المضلة والمخالفة للكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة من قول أو فعل، فإنهم كانوا على الحق المبين لم يجتمعوا على ضلال.

- المبحث الثاني: بيان أنواع الاختلاف

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الاختلاف الجائز و الواجب

والمقصود بالاختلاف الجائز هنا هو الاختلاف الذي بين أهل الحق وأهل الباطل

فإن شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- بعد استقرائه نصوص الكتاب قرر أن الاختلاف في الدين حسب وروده في القرآن على نوعين، منها ما هو جائز أو محمود وهو الاختلاف بين أهل الحق وأهل الباطل، و أهل التوحيد الخالص، وأهل الشرك والوثنية والكفر والنفاق، فهذا الاختلاف في حكم القرآن ممدوح فيه أهل الحق ومذموم فيه أهل الباطل، ويتبين هذا في النصوص الآتية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

((والاختلاف على ما ذكره الله في القرآن قسمان:

أحدهما: هو ما حمد فيه إحدى الطائفتين، وهم المؤمنون، وذم في الأخرى

أي أن يكون بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل، كما في قوله تعالى:

ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗﭘ ﭽ[1] إلى قوله: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﭽ[2] فقوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆﮇ ﭽ[3]

حمد لإحدى الطائفتين- وهم المؤمنون- وذم الأخرى.

فهذا قد بين أنه اختلاف بين أهل الحق والباطل.

وكذلك قوله تعالى: ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﭽ[4] إلى قوله : ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭽ[5]

وقد ثبت في الصحيحين أنه نزلت في المقتتلين يوم بدر في حمزة عم رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب ابن

---

1 (?) البقرة آية: (253)
2 (?) البقرة آية: (253).
3 (?) البقرة آية: (253).
4 (?) الحج آية: (19).
5 (?) الحج آية: (23).

عمه، وعبيدة بن الحارث ابن عمه، والمشركين الذين برّزهم عتبة وشيبة والوليد بن عتبة الذين بارزوهم من قريش[1] [2])) .

وذلك قوله تعالى: ﭽ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ[3] .

فقد تبين من هذا أن الاختلاف بين أهل الحق والباطل والمؤمنين والكافرين يحمد فيه المؤمنون الذين هم أهل الحق والصواب، ويذم فيه الكافرون الذين هم أهل الباطل والضلال المبين وهذا أمر شرعي ضروري لابد منه ،ولأن بعضهم على الحق والبعض الآخر على الباطل والكفر والضلال.

وأن الاختلاف المطلق كله مذموم بخلاف المقيد الذي قيل فيه: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭼ[4] .

وكما يظهر من هذا أيضا أن الحق والضلال متباينان ومتضادان، وكذلك الشرك والتوحيد، و السنة والبدعة، وكذلك أهلها، وأن الحق واحد لا يتعدد والصراط مستقيم لا اعوجاج فيه وهو ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلــم من سلكه لا يزيغ أبدا.

---

1 (?) صحيح البخاري مع الفتح ج7346 ح(3965) كتاب المغازي باب قتل أبي جهل.

2 (?) منهاج السنة ج5/267، 268، واقتضاء الصراط المستقيم ج1/154, 155، 156. ومجموع الفتاوى ج 16/514، 516

3 (?) الحج آية: (17).

4 (?) البقرة آية: (253).

المطلب الثاني: الاختلاف المذموم

وهذا القسم الثاني الذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية من أنواع الاختلاف وبين أن أهله كلهم مذمومون لما فيه من جحد الحق وإحقاق الباطل ونصرته والإعراض عن الحق وهجره.

و هذا النوع من الاختلاف: ((يُذَمُّ فيه المختلفين كلهم والطائفتين جميعهم كما في قوله تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭼ [1]

فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف.

وكذلك قوله : ﭽ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ [2] . وكذلك قوله: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ [3] .

وكذلك وصف اختلاف النصارى بقوله: ﭽ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭼ [4]

ووصف اختلاف اليهود بقوله: ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﭼ [5] .

وقال: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ [6] .

وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما وصف أن الأمة: ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة؛ قال: ((كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة)) [7] وفي الرواية الأخرى: ((من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)) [8] .

---

1 (?) هود آية: (118-119).
2 (?) البقرة آية: (176).
3 (?) آل عمران آية: (19).
4 (?) المائدة آية: (14).
5 (?) المائدة آية: (64).
6 (?) المؤمنون آية: (53).
7 (?) راه أحمد في مسنده ج4/102 وهوحديث صحيح سيأتي الحديث عنه بالتفصل إن شاء الله.
8 (?) سيأتي تخريجه.

فبين: أن عامة المختلفين هالكون من الجانبين، إلا فرقة واحدةً، وهم أهل السنة والجماعة.

وهذا الاختلاف المذموم من الطرفين يكون سببه:

1- **تارة فساد النية:** لما في النفوس من البغي والحسد، وإرادة العلو في الأرض، ونحو ذلك. فيحب لذلك ذم قول غيره، أو فعله، أو غلبته ليتميز عليه، أو يحب قول من يوافقه في نسب أو مذهب أو بلد أو صداقة، ونحو ذلك؛ لما في قيام قوله من حصول الشرف له والرئاسة، وما أكثر هذا من بني آدم. وهذا ظلم.

2- **ويكون سببه-**تارة- جهل المختلفين بحقيقة الأمر الذي يتنازعان فيه أو الجهل بالدليل الذي يرشد به أحدهما الآخر، أو جهل أحدهما بما مع الآخر من الحق في الحكم، أو في الدليل، وإن كان عالما بما مع نفسه من الحق حكما ودليلا.

والجهل والظلم، هما أصل كل شر، كما قال -سبحانه- : ﭽ ﯞ ﯟ ﯠﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭼ[1] [2] .

أما أنواعه: فهو في الأصل قسمان:

اختلاف تنوع، واختلاف تضاد.

القسم الأول: اختلاف التنوع أي غير متضاد في المعنى :

واختلاف التنوع على وجوه:

الوجه الأول منه: ما يكون كل واحد من القولين، أو الفعلين حقا مشروعًا:

كما في القراءات التي اختلف فيها الصحابة، حتى زجرهم عن الاختلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: ((كلاكما محسن))[3] . ومثله اختلاف الأنواع في

---

1 (?) الأحزاب آية: (72).

2 (?) اقتضاء الصراط ج2/ 148.

3 (?) صحيح البخاري مع الفتح ج5/ 85 ح(2410).كتاب الخصومات باب ما يذكر في الأشخاص والملازمة، والخصومة بين المسلم واليهودي.

صفة الأذان، والإقامة، والاستفتاح، والتشهدات، وصلاة الخوف، وتكبيرات العيد، وتكبيرات الجنازة، إلى غير ذلك مما قد شرع جميعه. وإن كان قد يقال: إن بعض أنواعه أفضل.

ثم نجد لكثير من الأمة في ذلك من الاختلاف ما أوجب اقتتال طوائف منهم على شفع الإقامة وإيتارها، ونحو ذلك. **وهذا عين المحرم**. ومن لم يبلغ هذا المبلغ؛ فتجد كثيرًا منهم في قلبه مِنَ الهوى لأحد هذه الأنواع، والإعراض عن الآخر، أو النهي عنه- ما دخل به فيما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم.

الوجه الثاني منه: ما يكون كل من القولين هو في معنى القول آخر، لكن العبارتان مختلفتان كما قد يختلف كثير من الناس في ألفاظ الحدود، وصيغ الأدلة، والتعبير عن المسميات، وتقسيم الأحكام، وغير ذلك.

ثم الجهل أو الظلم يحمل على حمد إحدى المقالتين وذمّ الأخرى.

الوجه الثالث: ما يكون المعنيان غيرين، لكن يتنافيان:فهذه قول صحيح، وهذا قول صحيح، وإن لم يكن معنى أحدهما هو معنى الآخر، وهذا كثير في المنازعات جدا.

الوجه الرابع: ما يكون طريقتان مشروعتان، ورجل أو قوم قد سلكوا هذا الطريق، وآخرون قد سلكوا الأخرى[1] وكلاهما حسن في الدين:

ثم الجهل أو الظلم يحمل على ذم إحداهما، أو تفضيلها بلا قصد صالح، أو بلا علم، أو بلا نية وعلم.

وهذا القسم الذي سميناه اختلاف التنوع كل واحد من المختلفين مصيب فيه بلا تردد، لكن الذم واقع على من بَغَى على الآخر فيه، وقد دل القرآن على حمد كل واحدة من الطائفتين في مثل ذلك- إذا لم يحصل

1 (?) مشروعتان ولهما أصل في الدين ، لا الطريق المبتدعة.

بغي- كما في قوله: ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭼ[1] .

وقد كانوا اختلفوا في قطع الأشجار، فقطع قوم وترك قوم آخرون، وكما في قوله: ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ[2] .

فخص سليمان بالفهم، وأثنى عليهما بالعلم والحكم.

وكما في إقرار النبي صلى الله عليه وسلم، يوم بني قريظة لمن صلَّى العصر في وقتها، ولمن أخرها إلى أن وصل إلى بني قريظة.

وأكثر الاختلاف الذي يؤول إلى الأهواء بين الأمة من هذا القسم، وكذلك آل إلى سفك الدماء، واستباحة الأموال، والعداوة والبغضاء؛ لأن إحدى الطائفتين لا تعترف للأخرى بما معها من الحق ولا تنصفها، بل تزيد على ما مع نفسها من الحق زيادات من الباطل، والأخرى كذلك)) [3] .

ولهذا فسروا الاختلاف في الموضع بأنه كله مذموم.

فإن المختلفين كل منهم يكون معه حق وباطل فيكفر بالحق الذي مع الآخر، ويصدِّق بالباطل الذي معه، وهو تبديل ما بدّل[4] .

القسم الثاني: اختلاف التضاد فهو: القولان المتنافيان:إما في الأصول، وإما في الفروع، عند الجمهور الذين يقولون: ((المصيب واحد)) وإلا فمن قال: ((كل مجتهد مصيب)) فعنده: هو من باب اختلاف التنوع، لا اختلاف التضاد، فهذا الخطب فيه أشد؛ لأن القولين

---

1 (?) الحشر آية: (5).

2 (?) الأنبياء آية: (78-79).

3 (?) اقتضاء الصراط المستقيم ج1/146، 147، 148، 149، 150، 152، وانظر: منهاج السنة ج5/255 وما بعدها، ودرء تعارض العقل والنقل ج5/283 وما بعدها، ومجموع الفتاوى ج13/515.

4 (?) منهاج السنة ج5/285.

يتنافيان، لكن نجد كثيرًا من هؤلاء قد يكون القول الباطل الذي مع منازعه فيه حق ما، أو معه دليل يقتضي حقا ما، فيرد الحق في الأصل هذا كله، حتى يبقى هذا مبطلاً في البعض، كما كان الأول مبطلاً في الأصل، كما رأيتُه لكثير من أهل السنة، في مسائل القدر والصفات والصحابة، وغيرهم.

وأما أهل البدعة: فالأمر فيهم ظاهر، وكما رأيته لكثير من الفقهاء، أو لأكثر المتأخرين في مسائل الفقه، وكذلك رأيت الاختلاف كثيرا بين بعض المتفقهة، وبعض المتصوفة، وبين فرق المتصوفة، ونظائره كثيرة[1] .

اختلاف هذا الدين الإسلامي والأديان الأخرى هل هو اختلاف تنوع أم اختلاف تضاد؟

فهذا أيضا يحتاج إلى توضيح خاصة في هذا العصر الذي اشتبه فيه الحق بالباطل من قبل بعض الجهلة من دعاة التقريب أو توحيد الأديان والفرق والمذاهب التي مشاربها متعددة ومتباينة وحقيقة معتقداتها مختلفة.

فإذا علم ما تقدم ذكره من اختلاف التضاد، فليعلم كذلك أن اختلاف الدين الإسلامي الذي جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم مع الأديان الأخرى كاليهودية والنصرانية المحرفة وغير ها اختلاف تضاد لا اختلاف تنوع، ولا يمكن الجمع بينه وبينها البتة.

وكذلك الحال في الاختلاف بين الشرك والتوحيد، وبين السنة والبدعة اختلاف تضاد وتباين وتغاير.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

((إنه إذا كان لا دين أحسن من هذا فالغير إما أن يكون مثله أو دونه، و لا يجوز أن يكون مثله؛ لأن الدين إذا ماثل الدين وساواه في جميع الوجوه كان هو إياه، و إن تعدد الغير لكن النوع واحد فلا يجوز أن يقع التماثل والتساوي بين الدينين المختلفين، فإن اختلافهما يمنع تماثلهما؛ إذ الاختلاف ضد التماثل، فكيف يكونان

---

[1] (?) اقتضاء الصراط المستقيم ج2/151.

مختلفين متماثلين؟ **و اختلافهما اختلاف تضاد لا تنوع؛** فإن أحد الدينين يعتقد فيه أمور على أنها حق واجب، والآخر يقول إنها باطل محرم.

فمن المحال استواء هذين الاعتقادين.

وكذلك القصدان، فإن هذا يقصد المعبود بأنواع من المقاصد و الأعمال و الآخر يقصده بما يضاد ذلك وينافيه، و ليس كذلك تنوع طرق المسلمين ومذاهبهم؛ فإن دينهم واحد، كل منهم يعتقد ما يعتقده الآخر[1] ، ويعبده بالدين الذي يعبده و يسوغ أحدهما للآخر أن يعمل بما تنازع فيه من الفروع فلم يختلفا؛ بل نقول أبلغ من هذا إن القدر الذي يتنازع فيه المسلمون من الفروع لابد أن يكون أحدهما أحسن عند الله فإن هذا مذهب جمهور الفقهاء الموافقين لسلف الأمة على أن المصيب عند الله واحد في جميع المسائل، فذاك الصواب هو أحسن عند الله، وإن كان أحدهما يقر الآخر، فالإقرار عليه لا يمنع أن يكون مفضولاً مرجوحًا، وإنما يمنع أن يكون محرما.

وإذا كان هذا في دق الفروع فما الظن بما تنازعوا فيه من الأصول؟ فإنه لا خلاف بين المسلمين ولا بين العقلاء أن المصيب في نفس الأمر واحد، وإنما تنازعوا في المخطئ هل يغفر له أولا يغفر، وهل يكون مصيبا بمعنى أداء الواجب؟ وسقوط اللوم لا بمعنى صحة الاعتقاد؟ فإن هذا لا يقوله عاقل أن الاعتقادين المتناقضين من كل وجه يكون كل منهما صوابا))[2] .

إلى أن قال: ((وإذا ثبت أن الدينين المختلفين لا يمكن تماثلهما لم يحتج إلى نفي هذا في اللفظ لانتفائه بالعقل))[3]

((وأما تفضيل الأشخاص فقد لا يحتاج إليه في كل وقت، فالدين الواجب لابد من تفضيله؛ إذا الفضل يدخل

---

[1] (?) فهذا كان المفروض واللائق.

[2] (?) مجموع الفتاوى ج14/430، 431.

[3] (?) مجموع الفتاوى ج14/ 432.

في الوجوب، وإذا وجب التدين به دون خلافه فلأن يجب اعتقاد فضله أولى.
وأما الدين المستحب: فقد لا يشرع اعتقاد فعله إلا في حق من شرع له فعل ذلك المستحب، وإلا فمن الناس من يضره إذا سلك سبيلا من سبل السلام الإسلامية أن يرى غيره أفضل منها؛ لأنه يتشوف إلى الأفضل فلا يقدر عليه، و المفضول يعرض عنه)) [1] .
إلى أن قال: ((بل ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ [2]
ولكن كتاب الله هو حاكم بين أهل الأرض فيما اختلفوا فيه ومبين وجه الحكم؛ فإنه بين بهذه الآية [3] وجه التفضيل بقوله: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ [4] وبقوله: ﭽ ﮕ ﮖ ﭼ [5] فإن الأول بيان نيته وقصده، و معبوده و إلهه، و قوله: ﭽ ﮕ ﮖ ﭼ فانتفى بالنص نفي ما هو أحسن منه، وبالعقل ما هو مثله، فثبت أنه أحسن الأديان.
أن النزاع [6] كان بين الأمتين أي الدينين أفضل؟ فلم يقل لهما إن الدينين سواء، ولا نهوا عن تفضيل أحدهما؛ لكن حسمت مادة الفخر والخيلاء والغرور الذي يحصل من تفضيل أحد الدينين؛ فإن الإنسان إذا استشعر فضل نفسه أو فضل دينه يدعوه ذلك إلى الكبر [7] و الخيلاء و

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج14/433.
2 (?) آل عمران آية: (85).
3 (?) وهو قوله تعالى : (**ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن**) النساء آية : (125).
4 (?) النساء آية : (125).
5 (?) نفس الآية.
6 (?) هذا وجه آخر.
7 (?) قلت: هذا قد يحدث لبعض من كان في جهل وضلال فمن الله عليه بالسنة فيرى نفسه فوق الجميع وأن غيره ضال وهالك ونسي أنه كذلك كان من قبل فمن الله عليه، فيجب عليه شكر الله ويتقي الله في عباد الله ورحمة بهم

الفخر؛ فقيل للجميع: ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ[1] سواء كان دينه فاضلا أو مفضولاً؛ فإن النهي عن السيئات والجزاء عليها واقع لا محالة قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭼ[2] إلى قوله : ﭽ ﭼ[3]

فلما استشعر المؤمنون أنهم مجزيون على السيئات ولا يغنى عنهم فضل دينهم وفسر لهم النبي صلى الله عليه و سلم أن الجزاء قد يكون في الدنيا بالمصائب، بَيَّن بَعْدَ ذلك فساد دين الكفار من المشركين وأهل الكتاب بقوله: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﭼ[4] الآية.

فبين أن العمل الصالح إنما يقع الجزاء عليه في الآخرة مع الإيمان، وإن كان قد يجزى به صاحبه في الدنيا بلا إيمان، فوقع الرد على الكفار من جهة جزائهم بالسيئات، ومن جهة أن حسناتهم لا يدخلون بها الجنة إلا مع الإيمان، ثم بين بعد هذا فضل الدين الإسلامي الحنفي بقوله: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ فجاء الكلام في غاية الإحكام)).[5]

ومن تدبر هذا يجد أنه كثيرا ما يقع الخلط بين الحق والباطل إما جهلا أو ظلما وعلوا خاصة عند دعاة المساواة أو التقريب أو التوحيد بين المتضادين كإقرار جميع الاعتقادات بمختلف مشاربها، فإن هذا لأمر محال عقلا وشرعا. **كما تردده بعض وسائل الإعلام بين حين وآخر وبعض المفكرين الذين قد تأثروا بفلسفات الغرب وثقافاتهم.**

والإحسان إليهم والدعاء لهم بالهداية والتوفيق ويعلم أن الأمر بيد الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء يعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير كله وأن قلوب العباد بين إصبعيه يقلبها كيف يشاء ومتى شاء.

1 (?) النساء آية: (123).
2 (?) الذاريات آية: (1).
3 (?) آية : (6).
4 (?) النساء آية: (124).
5 (?) مجموع الفتاوى ج14/435، 436.

القسم الثالث: و قد يدخل في هذا القسم أيضا نوع ثالث من الاختلاف وهو:الاختلاف السائغ المبني على الاجتهاد في مسائل الفروع أو ما دق علمه ومعرفته مما ليس من أصول الدين الكبار فيمدح فيه الطائفتان:

وهذا النوع من الاختلاف في المسائل الاجتهادية، إذا لم يؤد إلى التفرق والتقاتل والتباغض والتنافر و التهاجر والبغي أو تكفير بعضهم بعضا، فللمجتهد المصيب أجران وللمخطئ المتحرى المخلص أجر واحد كما جاء في الحديث .

وقد أشار شيخ الإسلام إلى هذا وقرره في أكثر من موضع.

ومن ذلك قوله-رحمه الله- : ((وكما في قوله صلى الله عليه وسلم: ((إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فاخطأ فله أجر))[1] ونظائر هذا كثيرة.

وإذا جعلت هذا قسما آخر صار الاختلاف ثلاثة أقسام)).[2]

وذلك ((كاجتهاد الصحابة في تأخير العصر عن وقتها يوم قريظة أو فعلها في وقتها فلم يعنف النبي صلى الله عليه وسلم واحدة من الطائفتين، وكما قطع بعضهم نخل بني النضير وبعضهم لم يقطع فأقر الله الأمرين. وكما ذكر الله عن داوود وسليمان في الحرث[3] ففهما الحكم أحدهما وأثنى على كل منهما بالعلم والحكم به)).

---

1 (?) صحيح البخاري مع الفتح ج13/ 330ح (7352) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب (وكذلك جعلناكم أمة وسطا). وصحيح مسلم ص447ح1716) كتاب الأقضية باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ.

2 (?) اقتضاء الصراط ج1/154.

3 (?) وهو قوله تعالى: (**وداو ود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين* ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما**) الأنبياء آية: (78-79).

فاختلاف الصحابة في هذا الباب لم يكن في أصل من أصول الدين الكبار، ولم يدخل في الذي توعد الله فيه أهله، بل قد أقرهم الله فيه، ولم يعب النبي صلى الله عليه وسلم أحدا منهم[1] .

وهكذا أيضا ((من ترجح عنده فضل إمام على إمام أو شيخ على شيخ بحسب اجتهاده كما تنازع المسلمون أيما أفضل الترجيع في الأذان أو تركه أو إفراد الإقامة أو اثنائها، وصلاة الفجر بغلس أو إسفار بها، والقنوت في الفجر أو تركه، والجهر بالتسمية أو المخافتة بها أو ترك قراءتها، ونحو ذلك ، فهذه مسائل الاجتهاد التي تنازع فيها السلف والأئمة فكل منهم أقر الآخر على اجتهاده من كان فيها أصاب الحق فله أجران، ومن كان قد اجتهد فأخطأ فله أجر وخطؤه مغفور له، فمن ترجح عنده تقليد الشافعي لم يُنكِر على من ترجح عنده تقليد مالك، ومن ترجح عنده تقليد أحمد لم ينكر على من ترجح عنده تقليد الشافعي ونحو ذلك.

فكل مجتهد اتقى الله ما استطاع فهو مصيب فاإنه مطيع لله ليس بآثم ولا مذموم.

---

[1] (?) ولهذا قال الإمام الشاطبي – رحمه الله- فإن الله تعالى حكم بحكمته أن تكون فروع هذه المسائل قابلة للأنظار ومجالا للظنون. وقد ثبت عند النظار أن النظريات لا يمكن الاتفاق فيها عادة، فالظنيات عريقة في إمكان فيها.
ومعنى هذا أنهم- أي الصحابة- فتحوا للناس باب الاجتهاد وجواز الاختلاف فيه، لأنهم لولم يفتحوه لكان المجتهدون في ضيق، لأن مجال الاجتهاد ومجال الظنون لا تتفق عادة- كما تقدم- فيصير أهل الاجتهاد مع تكليفه باتباع ما غلب على ظنهم مكلفين باتباع خلافهم، وهو نوع تكليف ما لا يطاق، وذلك من أعظم الضيق،فوسع الله على الأمة بوجود الفروع فيهم، فكان فتح باب للأمة للدخول في هذه الرحمة، فكيف لا يدخلون قسم (من رحم ربك!))
فاختلافهم في الفروع كاتفاقهم فيها، والحمد لله/ كتاب الاعتصام ج2/168، 170، 171.

فقد يخص بعض المجتهدين بعلم خفي على غيره ويكون ذلك علما بحقيقة الأمر لو اطلع عليه الآخر لوجب عليه اتباعه، لكن سقط عنه وجوب اتباعه لعجزه عنه وله أجر على اجتهاده، ولكن الواصل إلى الصواب له أجران كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته: ((إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد وأخطأ فله أجر))[1] .

ومن تبين له في مسألة من مسائل الحق الذي بعث الله به رسوله ثم عدل عنه إلى عادته فهو من أهل الذم والعقاب، وأما من كان عاجزا عن معرفة حكم الله ورسوله وقد اتبع فيها من هو من أهل العلم والدين ولم يتبين له أن قول غيره أرجح من قوله فهو محمود يثاب لا يذم على ذلك ولا يعاقب))[2] .

فقال -رحمه الله-: ((وهكذا مسائل النزاع التي تنازع فيها الأمة في الأصول و الفروع إذا لم ترد إلى الله و الرسول لم يتبين فيها الحق، بل يصير فيها المتنازعون على غير بينة من أمرهم، فإن رحمهم الله أقرّ بعضهم بعضا، و لم يبغ بعضهم على بعض، كما كان الصحابة في خلافة عمر و عثمان يتنازعون في بعض مسائل الاجتهاد فيقر بعضهم بعضا، ولا يعتدي عليه و إن لم يرحموا و قع بينهم الاختلاف المذموم، فبغى بعضهم على بعض، **إما بالقول** مثل تكفيره و تفسيقه، و **إما بالفعل** مثل حبسه و ضربه و قتله.))[3]

((والاختلاف المذموم كثيرا ما يكون مع كل فرقة من أهله بعض الحق فلا يقر له خصمه به، بل يجحده إياه بغيا ومنافسة، فيحمله ذلك على تسليط التأويل الباطل على النصوص التي مع خصمه، وهذا شأن جميع المختلفين

---

1 (?) تقدم تخريجه.

2 (?) مجموع الفتاوى ج3/ 344، وج6/27، و 20/19 وج 22/253 و33/29.

3 (?) مجموع الفتاوى ج17/311، 312.

بخلاف أهل الحق فإنهم يعلمون الحق من كل من جاء به، فيأخذون حق جميع الطوائف، ويردون باطلهم)).[1]

((فإذا قوبل بين الآراء المختلفة، والأقاويل المتباينة، وعرضت على الحاكم الذي لا يجور وهو كتاب الله وسنة رسوله، وتجرد الناظر عن التعصب والحمية و استفرغ وسعه، وقصد طاعة الله ورسوله، فقَلَّ أن يَخْفَى عليه الصواب من تلك الأقوال وما هو أقرب إليه والخطأ وما هو أقرب إليه. فإن الأقوال المختلفة لا تخرج عن الصواب وما هو أقرب إليه والخطأ وما هو أقرب إليه، ومراتب القرب والبعد متفاوتة.

وهذا النوع من الاختلاف لا يوجب معاداة ولا افتراقًا في الكلمة، ولا تبديدا للشمل، فإن الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا في مسائل كثيرة من مسائل الفروع، وفي بعض مسائل الربا، وفي بعض نواقص الوضوء، وموجبات الغسل، وبعض مسائل الفرائض وغيرها. فلم ينصب بعضهم لبعض عداوة، ولا قطع بينه وبينه عصمة، بل كانوا كل منهم يجتهد في نصر قوله بأقصى ما يقدر عليه، ثم يرجعون بعد المناظرة إلى الألفة والمحبة والمصافاة والموالاة من غير أن يضمر بعضهم لبعض ضغنا، ولا ينطوي له على معتبة ولا ذم، بل يدل المستفتي عليه مع مخالفته له ويشهد له بأنه خير منه وأعلم منه.

فهذا الاختلاف أصحابه بين الأجرين والأجر، وكل منهم مطيع لله بحسب نيته واجتهاده وتحريه الحق))[2] .

((ولهذا كان أئمة الإسلام متفقين على تبديع من خالف في مثل هذه الأصول؛ بخلاف من نازع من مسائل الاجتهاد التي لم تبلغ هذا المبلغ السنن في تواتر السنن عنه: كالتنازع بينهم في الحكم بشاهد ويمين، وفى

---

1 (?) الصواعق المر سلة ج2/515.

2 (?) الصواعق المرسلة ج2/517، 518.

القسامة، والقرعة، وغير ذلك من الأمور التي لم يبلغ هذا المبلغ))[1] .

مع هذا كله أن المصيب من المجتهدين واحد ولا يعني هذا جواز الاختلاف مطلقا كما سيأتي بيانه في المباحث القادمة إن شاء الله.

نستخلص من هذه المسائل العظيمة والقواعد الكلية الجليلة الجامعة ما يلي:

أ- أن هذا النوع من الاختلاف لا يدخل في باب الذم وهو الاختلاف في المسائل الاجتهادية وهو اختلاف سائغ مبني على الاجتهاد الصحيح ولم يؤد إلي شر عظيم من تباغض أو تقاتل أو تهاجر أو تكفير أو فرقة.

ب- و لوكان كل ما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة[2] .

ج- أنه يجب اتباع الحق بدليله إذا تبين، فالحق أحق أن يتبع ويقال، والخير كل الخير في اتباع الرسول.

د- أن الاختلاف المذموم هو الاختلاف في أصول الدين وقواعده.

و- أن هذه من القواعد العظيمة معرفتها وضبطها من ضروريات هذا الدين، بل أنه ما دَبَّ داء الاختلاف والفرقة والعداوة في الأمة إلا بجهل هذه القواعد.

هـ- أن أنواع الاختلاف كما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- ثلاثة أقسام[3] :

1- ما يذم فيه إحدى الطائفتين المتنازعتين، وتحمد الأخرى، وهو من الاختلاف التضاد.

2- ما يذم فيه كلا الطائفتين المتنازعتين، وهو من اختلاف التنوع الذي أدى إلى فرقة ونبذ الحق.

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج4/425.

2 (?) قاله شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-/مجموع الفتاوى 24/173

3 (?) انظر هوامش اقتضاء الصراط للمحقق د.ناصر العقل- حفظه الله- ج2/154.

3- ما يحمد فيه كلا الطائفتين المتنازعتين وهو القسم الثالث كما تقدم بيانه، والله تعالى أعلم.

المبحث الثالث: تحقيقه لبعض معاني النصوص التي يظن أنها تسوغ التفرق والاختلاف

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى قوله تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭼ[1] كما قرر شيخ الإسلام

فقد بين –رحمه الله- أن الله جل شأنه في قضائه وقدره وإرادته الكونية مضى من علمه السابق أن الناس سيختلفون في أديانهم ومللهم إلى فرق وأهواء شتى ولا يزالون كذلك إلا ممن استُثني بقوله ﭽ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠﭡ ﭼ[2] أهل الرحمة المتبعين للرسل والمطيعين لله تعالى ثم ذكر نصوصا كثيرة في ذلك تبين حقيقة هذا ألأمر العظيم

فقال – رحمه الله تعالى: ((ينبغي أن يعرف أن الإرادة في كتاب الله على نوعين:

أحدهما: الإرادة الكونية وهي الإرادة المستلزمة لوقوع المراد التي يقال فيها ما شاء الله كان و ما لم شأ لم يكن، فهذه الإرادة في مثل قوله: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ[3] وهذه الإرادة هي مدلول اللام في قوله :

---

1 (?) هود آية: (118).

2 (?) هود آية: (119).

3 (?) البقرة آية :(253).

ﭽ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦﭧ ﭼ[1] قال السلف خلق فريقا للاختلاف وفريقا للرحمة، ولما كانت الرحمة هنا الإرادة وهناك كونية وقع المراد بها فقوم اختلفوا وقوم رحموا.

وأما النوع الثاني: فهو الإرادة الدينية الشرعية وهي محبة المراد ورضاه ومحبة أهله والرضا عنهم وجزائهم بالحسنى كما قال: ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ... ﭼ[2] .

فهـذه الإرادة لا تستلزم وقوع المراد إلا أن يتعلق به النـوع الأول مـن الإرادة)) [3] .

وفي موضع آخر قال: ((ويجوز أن يقال: ﭽ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦﭧ ﭼ فإنه أراد بخلقهم صائرون إليه من الرحمة والاختلاف، ففي تلك الآية[4]

---

1 (?) هود آية: (118-119).

2 (?) النساء آيات :(26-28).

3 (?) مجموع الفتاوى ج8/187، 188. وانظر :ج4/236. قال: ولهذا كانت الأقسام أربعة: أحدهما: ما تعلقت به الإرادتان، وهو ما وقع في الوجود من الأعمال الصالحة، فإن الله أراده إرادة دين وشرع؛ فأمر به وأحبه ورضيه، وأراده إرادة كون فوقع؛ ولولا ذلك لما كان.
والثاني: ما تعلقت به الإرادة الدينية فقط، وهو ما أمر الله به من الأعمال الصالحة فعصى ذلك الأمر الكفار والفجار، فتلك كلها إرادة دين وهو يحبها ويرضاها لو وقعت ولو لم تقع.
الثالث: ما تعلقت به الإرادة الكونية فقط، وهو ما قدره وشاء ه من الحوادث التي لم يأمر بها: كالمباحات والمعاصي فإنه لم يأمر بها ولم يرضها و لولم يحبها، إذ هو لا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر، ولولا مشيئته وقدرته وخلقه لها كانت ولما وجدت، فإنه ما شاء كان الله وما لم يشأ لم يكن.
الرابع: ما لم تتعلق به هذه الإرادة ولا هذه، فهذا ما لم يكن من أنواع المباحات والمعاصي/نفس المصدر.

ذكر الغاية التي أمروا بها، وهنا ذكر الغاية التي إليها يصيرون، وكلا هما مرادة له، تلك مرادة بأمره،والموجود منها مرادة بخلقه وأمره، وهذه مرادة بخلقه والمأمور منها مرادة بخلقه وأمره)). [1]

ولهذا يوجد أتبع الناس للرسول أقلهم اختلافا كأهل الحديث والسنة فإنهم أقل اختلافا من جميع الطوائف، ثم من كان إليهم أقرب من جميع الطوائف المنتسبة إلى السنة كانوا أقل اختلافا. فأما مَنْ بَعُدَ من السنة كالمعتزلة والرافضة فتجدهم أكثر الطوائف اختلافا [2] .

ومن هنا يتبين أن الله لا يريد منا الاختلاف والتفرق في الدين ولم يأمرنا به ولا يجبرنا عليه، بل إن الأمر الذي يحبه لنا ويرضاه للناس والذي أمروا به هو الجماعة والائتلاف ففيها الرحمة وبها يحصل لهم الصلاح في الدين والدنيا ، فأمرنا الله بالجماعة والائتلاف، ونهانا عن التفرق والاختلاف بل حذرنا منه في آيات كثيرة يأتي ذكرها إن شاء الله في موضعها.

كما أنه سبحانه لم يقصد في الآية الاختلاف في الرزق ونحوه كما ذهب إليه البعض لأن هذا يشترك فيه المسلم وغير المسلم .

ولأن قوله سبحانه :(ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭼ [3] يدل على ضد ذلك وينا قضه.

وكذلك قول ابن عباس ومالك وجماعة من السلف : ((خلق أهل الرحمة للرحمة وأهل الاختلاف للاختلاف)). [4]

---

4 (?) أي قوله تعالى: وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) الذاريات.

1 (?) درء تعارض العقل والنقل ج4/332.

2 (?) الرد على المنطقيين ج1/334.

3 (?) هود آية: (119).

4 (?) انظر تفسير القرطبي ج9/99.

وفي الآية أقوال كثيرة [1] والأظهر في تفسيرها وأولاها بالصواب ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية والله أعلم وقد وافق ابن جرير- رحمه الله-.

وقال الإمام ابن جرير- رحمه الله : ((وأولى الأقوال في تأويل الآي بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ولا يزال الناس مختلفين في أديانهم وأهوائهم على أديان وملل وأهواء شتى ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ[2] . فآمن بالله، وصدق رسله، فإنهم لا يختلفون في توحيد الله، وتصديق رسله، وما جاءهم من عند الله. وإنما قلت: ذلك لأن الله جل ثناؤه أتبع ذلك قوله: ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ[3] . ففي ذلك دليل واضح أن الذي قبله من ذكر خبره عن اختلاف الناس، إنما هو خبر عن اختلاف مذموم يوجب لهم النار، ولو كان خبرًا عن اختلافهم في الرزق لم يعقب ذلك بالخبر عن عقابهم وعذابهم))[4] .

عن ابن أبي نجيح عن طاووس أن رجلين اختصما إليه فأكثرا فقال طاووس: اختلفتما وأكثرتما فقال أحد الرجلين: لذلك خلقنا، فقال طاووس : كذبت. فقال: أليس الله يقول: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜﭝ ﭼ[5] ؟ قال: لم يخلقهم ليختلفوا ولكن خلقهم للجماعة والرحمة))[6] .

فقد تحقق من هذه الآية الكريمة ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜﭝﭼ

من المعاني العظيمة المستفادة من الآية الكريمة ما يأتي:

---

1 (?) راجع جامع البيان ج 7/137 وتفسير القرآن العظيم ج 2/446.
2 (?) هود آية: (119).
3 (?) هود آية: (119).
4 (?) جامع البيان ج7/137.
5 (?) هود آية:(117)
6 (?) تفسير القرآن العظيم ج2/446.

1- أن الناس لا يزالون يختلفون في أديانهم ومللهم واعتقاداتهم ومذاهبهم إلى ملل شتى إلا من شاء الله ووفقه ورحمه وهداه إلى الصراط الحميد وزين الإيمان في قلبه
2- أن الله لم يرض عن الاختلاف والفرقة في الدين ولم يأمر به ولم يحبه ، ولم يجبرنا عليه البتة، بل أمرنا بالجماعة والائتلاف كما تقدم.
3- وأن هذا الاختلاف المذكور إرادة قدرية كونية لا شرعية دينية التي أمر بها وأحبها وهدى إليها من أحب ووفقه.

المطلب الثاني: قول بعض العلماء ((اختلاف العلماء رحمة)) والمقصود منه

وقد تمسك بهذا أو ما في معناه أكثربعض المتأخرين وبعض المقلدين ممن ينتسب إلى بعض المذاهب على جواز الاختلاف مطلقا، بدعوى أنه رحمة مطلقة وإن أدى ذلك إلى التنافر، أو تبين الحق والصواب، بدليل حديث : ((اختلاف أمتي رحمة))[1] **مستندين على مثل هذا وغيره** فيما ذهبوا إليه من الاختلاف خاصة في فروع الأحكام وقد يتعدى هذا الاختلاف أحيانا إلى ما يسمونها بالأصول وأن كل واحد من المختلفين على الحق بالإطلاق وإن ظهر الحق عند الغير وتبين.

وقد قام شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- وأمثاله من علماء السلف في تصحيح هذا المفهوم الخاطئ الذي طال ما علق في أذهان بعض الناس آل بالأمة إلى شر عظيم وخطر جسيم.

مما حمل بعض علماء بتحريم الاختلاف حتى في الفروع وبينوا أن الاختلاف كله شر حتى في مسائل

---

1 (?) سيأتي الكلام عنه قريبا.

الأحكام الاجتهادية[1] لما رأوه من الآثار السلبية على الأمة خاصة عند المقلدة من المتأخرين وذلك لسوء فهم المراد والمقصود بهذا الاختلاف وحده.

أولا: في بيان مقصود اختلاف العلماء رحمة والقائل بهذا القول وتعليق شيخ الإسلام عليه

هذا القول قال به أبو يزيد [2] في عرض كلامه عن العلم والمجاهدة فقال:

((عملت في المجاهدة ثلاثين سنة فما رأيت أشد علي من العلم[3] ومتابعته، ولولا اختلاف العلماء لبقيت واختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد))[4] .

هذا الكلام صحيح في معناه أن تجريد التوحيد وتحقيقه لا يجوز الاختلاف فيه بإجماع الأمة –كما تقدم بيانه في الباب السابق - ، ولهذا القول أصل في كتاب الله قوله تعالى:
ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ﮲ [5] **وكما سبق**

1 (?) انظر: كتاب صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم للعلامة الشيخ ناصر الدين الألباني – رحمه الله- فقد أنكر هذا وجاء بأقوال بعض السلف ممن لا يجيز الاختلاف في الفروع ص64، 65، 66 وما بعضها.

2 (?) **أبو يزيد البسطامي طيفور بن عيسى** بن شروسان البسطامي، أحد الزهاد، أخو الزاهدين: آدم وعلي، وكان جدهم شروسان مجوسيا، فأسلم يقال: إنه روى عن: إسماعيل السدي، وجعفر الصادق، أي: الجد، وأبو يزيد. وقل ما روى. توفي أبو يزيد عن ثلاث وسبعين سنة، وله كلام حسنٌ في المعاملات. توفي أبو يزيد ببسطام، سنة إحدى وستين ومئتين/ السير ج13/86 ، 87، 89.

3 (?) أي الشريعة.

4 (?) الاستقامة ج1/ 95 وفي ص251 :((ولولا اختلاف العلماء رحمة لتفتت)) قال محقق الكتاب : كذا في الأصل. وفي ((القشيرية)) 1/80: لبقيت.

5 (?) الشورى آية: (13).

أن بين شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: ((فإنما شرع لنا من الدين ما وصوا به من إقامة الدين وترك التفرق فيه والدين الذي اتفقوا عليه هو الأصول))[1] وهذا أمر متفق عليه بين علماء السلف أنـه لا يجوز الاختلاف والتفرق في أصول الدين الذي هو تحقيق التوحيد لله وحده لا شريك له.

وقال في موضع آخر: ((فالأصول الثابتة بالكتاب والسنة والإجماع هي بمنزلة الدين المشترك بين الأنبياء ليس لأحد خروج عنها ومن دخل فيها كان من أهل الإسلام المحض، وهم أهل السنة والجماعة، وما تنوعوا فيه من الأعمال والأقوال المشروعة فهو بمنزلة ما تنوعت فيه الأنبياء))[2] .

هل الاختلاف في مسائل الفروع رحمة مطلقا أم لا؟

قرر شيخ الإسلام ابن تيمية و رجح أن الاختلاف في بعض المسائل قد تكون رحمة لكن قيده بقيود سيذكره .

فقد قرر- رحمه الله- أن ((النزاع في الأحكام **قد يكون رحمة** إذا لم يفض إلى شر عظيم من خفاء الحكم، ولهـذا صنف رجل كتابا سماه ((كتاب الاختلاف)) فقال أحمد سمه كتاب ((السعة)) **وأن الحق في نفس الأمر واحد، وقد يكون من رحمة الله ببعض الناس خفاؤه** لما في ظهوره من الشدة عليه ويكون من باب قوله تعالى: ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ[3] .

وهكذا ما يوجد في الأسواق من الطعام والثياب قد يكون في نفس الأمر مغصوبا، فإذا لم يعلم الإنسان بذلك كان حلالا لا إثم عليه بخلاف ما إذا علم، فخفاء

---

1 (?) مجموع الفتاوىج1/13.

2 (?) مجموع الفتاوى ج19/117.

3 (?) المائدة آية: (101.

العلم بما يوجب قد تكون رحمة، كما أن خفاء العلم بما يوجب الرخصة قد تكون عقوبة كما أن رفع الشك قد يكون رحمة وقد يكون عقوبة)) [1] .

((وقد اتفق الصحابة في مسائل تنازعوا فيها، على إقرار كل فريق للفريق الآخر على العمل باجتهادهم، كمسائل في العبادات و المناكح، والمواريث والعطاء، وغير ذلك)) [2]

إلى أن قال في نفس الموضع: ((وتنازعوا في مسائل علمية اعتقادية، كسماع الميت صوت الحي وتعذيب الميت ببكاء أهله، ورؤية صلى الله عليه وسلم ربه قبل الموت، مع بقاء الجماعة والألفة)) [3] .

وقال في موضع آخر: ((وأما إذا اشتبه الأمر هل هذا القول أو الفعل مما يعاقب صاحبه عليه أو ما لا يعاقب؟ فالواجب ترك العقوبة، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((ادرؤوا الحدود بالشبهات فإنك أن تخطئ في العفو خير من أن تخطئ في العقوبة)) [4] رواه أبوداود، ولاسيما إذا آل الأمر إلى شر طويل، وافتراق أهل السنة والجماعة، فإن الفساد الناشئ في هذه الفرقة أضعاف الناشئ من خطأ نفر قليل في مسألة فرعية)) [5]

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج14/160.

2 (?) مجموع الفتاوى ج19/122.

3 (?) مجموع الفتاوى ج19/123.

4 (?) رواه الترمذي في سننه ج4/ 25 ح(1424 كتاب الحدود باب ما جاء في درء الحدود والحاكم في المستدرك ج4/426 وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي رقم01424) وفي ضعيف الجامع رقم(259) وفي الإرواء رقم(2355). ولم أجده عند أبي داوود

5 (?) مجموع الفتاوى ج6/505.

وقد استدل لهذا بما جاء عن بعض أئمة السلف – رحم الله الجميع فقال:

((ولهذا لما استشار الرشيد[1] مالكًا أن يحمل الناس على ((موطئه))[2] في مثل هذه المسائل منعه من ذلك وقال: ((إن أصحاب رسول الله رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرقوا في الأمصار وقد أخذ كل قوم من العلم ما بلغهم))[3] ، ولهذا كان بعض العلماء يقول:

---

[1] (?) **الخليفة أبو جعفر هارون**، بن المهدي محمد، بن المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي العباسي. استُخلف بعهدٍ معقود له بعد الهادي من أبيه المهدي في سنة سبعين ومئة بعد الهادي. روى عن أبيه وجده، ومبارك بن فضالة. روى عنه : ابنه المأمون وغيره وكان مولده بالري في سنة ثمان وأربعين ومئة. كان يحب المديح، ويجيز الشعراء ويقول الشعر، سار الرشيد في سنة اثنتين إلى جرجان ليهذّب خراسان، فنزل به الموت في سنة ثلاث./ السير ج9/ 287، 294.

[2] (?) كتابه: (الموطأ)).

[3] (?) أما الأثر الذي فيه وقال: ((إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا في الفروع وتفرقوا في البلدان وكل مصيب))قال الشيخ العلامة الألباني –رحمه الله- أن هذه القصة معروفة مشهورة عن الإمام مالك رحمه الله **لكن قوله في آخر ها: (وكل مصيب)** مالا أعلم له أصلا في شيء من الروايات والمصادر التي وقفت عليها، اللهم إلا رواية واحدة أخرجها أبو نعيم في الحلية :6/332.بإسناد فيه المقدام بن داود وهو ممن أوردهم الذهبي في (الضعفاء)ومع ذلك فإن لفظها: (وكل عند نفسه مصيب) فقوله (عند نفسه) يدل على أن رواية: (المدخل) مدخولة، وكيف لا تكون كذلك وهي مخالفة لما رواه الثقات عن الإمام مالك: أن الحق واحد لا يتعدد ، وعلى هذا كل الأئمة من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة المجتهدين وغيرهم. قال ابن عبد البر: ولو كان الصواب في وجهين متدافعين ما خطّأ السلف بعضهم بعضا في اجتهادهم).

وفتواهم، والنظر يأبى أن يكون الشيء وضده صوابا.

((إجماعهم حجة قاطعة، واختلافهم رحمة واسعة. وكان عمر بن عبد العزيز يقول: ((ما يسرني أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا لأنهم إذا اجتمعوا على قول فخالفهم رجل كان ضالا، وإذا اختلفوا فأخذ رجل بقول هذا ورجل بقول هذا كان في الأمر سعة))[1]، وكذلك قال غير مالك من الأئمة ليس للفقيه أن يحمل الناس على مذهبه، ولهذا قال العلماء المصنفون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أصحاب الشافعي وغيره إن مثل هذه المسائل الاجتهادية لا تنكر باليد وليس لأحد أن يلزم الناس باتباعه فيها، ولكن يتكلم فيها بالحجج العلمية فمن تبين له صحة أحد القولين تبعه، ومن قلّد أهل القول الآخر فلا إنكار عليه ونظائر هذه المسائل كثيرة مثل تنازع الناس في بيع الباقلا الأخضر في قشريه، والتوضؤ من مس الذكر والنساء، والقراءة بالبسملة سرا أو جهرا وترك ذلك، والتيمم بضربة أو ضربتين إلى الكوعين أو المرفقين، والتيمم لكل صلاة.

ومن هذا الباب الشركة بالعروض وشركة الوجوه، و المساقاة على جميع أنواع الشجر، والمزارعة على الأرض البيضاء، .. . ومع هذا فما زال المسلمون من عهد نبيهم وإلى اليوم في جميع الأعصار يتعاملون بالمزارعة و المساقاة ولم ينكره عليهم أحد ولو منع الناس مثل

فإن قيل:إذا ثبت أن هذه الرواية باطلة عن الإمام فلماذا أبى الإمام على المنصور أن يجمع الناس على كتابه؟ فأقول: أحسن ما وقفت عليه من الرواية ما ذكره الحافظ ابن كثير في شرح اختصار علوم الحديث ص31 : وهو أن الإمام قال: ((إن الناس قد جمعوا واطلعوا على أشياء ولم نطلع عليها)) وذلك من تمام علمه وإنصافه. كما قال ابن كثير –رحمه الله- /صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ص63-64.

[1] (?) لم أقف عليه

هذه المعاملات لتعطلت كثير من مصالحهم التي لا يتم دينهم ولا دنياهم إلا بها.

ولهذا كان أبو حنيفة يفتي بأن المزارعة لا تجوز ثم يفرع على القول بجوازها ويقول: إن الناس لا يأخذون بقولي في المنع)) ولهذا صار صاحباه إلى القول بجوازها كما اختار ذلك من اختاره من أصحاب الشافعي وغيره)) [1].

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية هنا وجه كون الاختلاف رحمة في الأحكام الاجتهادية، وذلك من خفاء العلم عند بعض الناس، وإذا لم يفض إلى شر عظيم، وأن الحق في نفس الأمر واحد، وأن يتكلم في هذه المسائل بالحجج العلمية واتبع الحق إذا تبين صحة أحد القولين دون تعصب واتباع هوى النفس ومن هذا الباب قيل إنه رحمة، لأنه لم يؤد إلى شر ولا يعني رحمة أن كلا من المتنازعين مصيبان نفس الحق كما سيأتي.

وليس المراد من هذا أن ((الاختلاف في الفروع رحمة مطلقا)) ولا يعني ذلك أيضا إقرارا بأن كل واحد من المختلفين أو المتنازعين على الحق والصواب في نفس الحق المتنازع فيه ومتساويان فيه كما يظنه البعض، وإنما فيه مصيب للحق له أجران كما تقدم والآخر مخطئ له أجر واحد مغفور له خطؤه باجتهاده المشروع.

ولهذا قرر شيخ الإسلام وغيره من العلماء أن الحق واحد لا يتعدد وأن المصيب للحق واحد ولا يعني ذلك جواز الاختلاف أو القول بأن القولين المتضادين حق وصواب، أو الأمر به في كل وقت مطلقا وعند كل أحد من الناس فإن ذلك ينافي النصوص التي تنكر الاختلاف**.**

ولهذا بين – رحمه الله- فقال : ((وأن الحق في نفس الأمر واحد وقد يكون رحمة ببعض الناس خفاؤه)) كما تقدم.

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج30/79،80،81.

أي قد تكون رحمة إذا لم يفض إلى شر عظيم وذلك من خفاء العلم بعد طلبه وبذل كل ما يملك من الوسع والجهد في ذلك وصدق النية وحسن القصد للوصول إلى الحق، ومع ذلك أن المصيب واحد والحق واحد لا يتعدد.

كما ذكره بقوله: ((.. وكذلك القصدان، فإن هذا يقصد المعبود بأنواع من المقاصد والأعمال والآخر يقصده بما يضاد ذلك وينافيه، وليس كذلك تنوع طرق المسلمين ومذاهبهم؛ فإن دينهم واحد، كل منهم يعتقد ما يعتقد ه الآخر، ويعبده بالدين الذي يعبده ويسوغ أحدهما للآخر أن يعمل بما تنازع فيه من الفروع فلم يختلفا؛ بل أبلغ من هذا أن القدر الذي يتنازع فيه المسلمون من الفروع **لابد أن يكون أحدهما أحسن عند الله**، **فإن هذا مذهب جمهور الفقهاء الموافقين لسلف الأمة على أن المصيب عند الله واحد في جميع المسائل، فذاك الصواب هو أحسن عند الله، وإن كان أحدهما يقر الآخر فالإقرار عليه لا يمنع أن يكون مفضولاً مرجوحا، وإنما يمنع أن يكون محرما.**

وإذا كان هذا في دق الفروع فما الظن بما تنازعوا فيه من الأصول؟ فإنه لا خلاف بين المسلمين ولا بين العقلاء أن المصيب في نفس الأمر واحد، **وإنما تنازعوا في المخطئ هل يغفر له أولا يغفر، وهل يكون مصيبا بمعنى أداء الواجب**؟ وسقوط اللوم لا بمعنى صحة الاعتقاد؟ فإن هذا لا يقوله عاقل أن الاعتقادين المتناقضين من كل وجه يكون كل منهما صوابا))[1] .

ومن هنا يتبين أيضا وجه قول بعض علماء السلف بأن الاختلاف كله مذموم مطلقا وأن الحق واحد لا يتعدد إذ الاختلاف يتعذر معه الائتلاف والجمع ويخالف النصوص الصريحة البيّنة. التي تدعو إلى الإجتماع والائتلاف وتحذر من الاختلاف والتفرق.

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج14/ 430،431.

هذا ومقصود علماء السلف أيضا بأن كل واحد من المتنازعين مصيب لأن كلا منهما فعل ما وجب عليه لكن حكم الله في نفس الأمر واحد بشرط القدرة ، وأنه ليس كل من طلب واجتهد واستدل يتمكن من معرفة الحق فيه، بل استطاعة الناس متفاوتة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ((وهذا فصل الخطاب في هذا الباب فالمجتهد المستدل من إمام، وحاكم، وعالم، وناظر، ومفت وغير ذلك إذا اجتهد واستدل فاتقى الله ما استطاع كان هذا الذي كلفه الله إياه وهو مطيع لله مستحق للثواب، إذا اتقاه ما استطاع ولا يعاقبه الله البتة، وهو مصيب بمعنى مطيع لله لكن قد يعلم الحق في نفس الأمر وقد لا يعلمه)).[1]

و((المقصود هنا أن الله تعالى ذكر أن المختلفين جاءتهم البينة وجاءهم العلم، وإنما اختلفوا بغياً، ولهذا ذمهم الله وعاقبهم فإنهم لم يكونوا مجتهدين مخطئين بل كانوا قاصدين البغي عالمين بالحق معرضين عن القول وعن العمل به.

فاختلفوا للبغي والظلم لا لأجل اشتباه الحق بالباطل عليهم. و هذا حال أهل الاختلاف المذموم من أهل الأهواء كلهم، لا يختلفون إلا من بعد أن يظهر لهم الحق ويجيئهم العلم فيبغى بعضهم على بعض، ثم المختلفون المذمومون كل منهم يبغى على الآخر فيكذب بما معه من الحق مع علمه أنه حق ويصدق بما مع نفسه من الباطل مع العلم أنه باطل.

وهؤلاء كلهم مذمومون ولهذا كان أهل الاختلاف المطلق كلهم مذمومين في الكتاب والسنة، فإنه ما منهم إلا من خالف حقا واتبع باطلا، ولهذا أمر الله الرسل أن تدعوا إلى دين واحد وهو دين الإسلام ولا

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج19/216- 217.

يتفرقوا فيه وهو دين الأولين والآخرين من الرسل وأتباعهم)).[1]

أما حديث: ((**اختلاف أمتي رحمة**)) يتمسك به بعض من يقرون الاختلاف ويجوزه مطلقا وأن ذلك توسعة ورحمة ويجعلون هذا الحديث حجة، ويردون به نصوص الكتاب والسنة ولا يأخذون الحق بدليله وإن كان صريحا واضحا، إذا كان مخالفا لمذهبهم وقول إمامهم استدلالا بهذا الحديث فقد قال أهل العلم بهذا الفن وجهابذته أن هذا الحديث موضوع وباطــل لا يصح لا أصل له لا سندا ولا متنا.[2]

هناك فرق كبير بين اختلاف الصحابة واختلاف من بعدهم من المتأخرين .

((ولهذا كان بعض العلماء يقول: إجماعهم حجة قاطعة واختلافهم رحمة واسعة. وكان عمر بن عبد العزيز يقول: ما يسرني أن أصحاب رسول الله صلى

---

1 (?) منهاج السنة ج5/263، 264.

2 (?) قال العلامة الألباني رحمه الله في كتاب ((صفة الصلاة)): الأول: الحديث لا يصح، بل هو باطل لا أصل له، قال العلامة السبكي: ((لم أقف له على سند صحيح، ولا ضعيف ولا موضوع)).
قلت: وإنما روي بلفظ ((اختلاف أصحابي رحمة وأصحابي كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم)) وكلاهما لا يصح: الأول واه جدا، والآخر موضوع، وقد حققت القول في ذلك كله في (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة) برقم(58 و59 و 61).
الثاني: أن الحديث مع ضعفه مخالف للقرآن الكريم فإن الآيات الواردة فيه – في النهي عن الاختلاف في الدين والأمر بالاتفاق فيه- أشهر من أن تذكر ومنها قوله تعالى: **(و لا يزالون مختلفين).** وإنما يختلف أهل الباطل، فكيف يعقل أن يكون الاختلاف رحمة,.
فثبت أن هذا الحديث لا يصح لا سندا ولا متنا)) /صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم من التكبير إلى التسليم كأنك تراها ص49-60. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض.

الله عليه وسلم لم يختلفوا لأنهم إذا اجتمعوا على قول فخالفهم رجل كان ضالا، وإذا اختلفوا فأخذ رجل بقول هذا ورجل بقول هذا كان في الأمر سعة وكذلك قال غير مالك من الأئمة ليس للفقيه أن يحمل الناس على مذهبه)).[1]

وذلك أن الصحابة رضوان الله عليهم- اختلفوا اضطرارا،ولكنهم ينكرون الاختلاف ويفرون منه ما وجدوا إلى ذلك سبيلا.

وأما المقلدة- فمع إمكانهم الخلاص منه ولو قِسْم كبير منهم- فلا يتفقون ولا يسعون إليه بل يقرونه. فشتان إذن بين الاختلافين.

وأيضا أن الصحابة رضي الله عنهم مع اختلافهم المعروف في الفروع- كانوا محافظين أشد المحافظة على مظهر الوحدة، بعيدين كل البعد عما يفرق الكلمة ويصدع الصفوف، فقد كان فيهم مثلا من يرى مشروعية الجهر بالبسملة ومن يرى عدم مشروعيته ..ومع ذلك فقد كانوا يصلون جميعا وراء إمام واحد ولا يستنكف أحد منهم عن الصلاة وراء الإمام لخلاف مذهبي، بخلاف المقلدة.

ونتيجة اختلاف المتأخرين إصرارهم عليه أثر سيئ في الأمة، بخلاف اختلاف السلف، فلم يكن له أي أثر سيئ في الأمة، ولذلك فهم منجاة من أن تشملهم آيات النهي عن التفرق في الدين -بخلاف المتأخرين-[2] .

وأيضا فكثيرا ما يظن في مسألة من مسائل العملية أو ما يسمى بالفروع أو دقيق المسائل العلمية هو ما يسمونها بالأصول أن السلف قد اختلفوا فيها أو فيها خلاف ونزاع بينهم، وفي الواقع تجد أنه ليس الأمر كذلك، فقد يكون هذا في اللفظ

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج30/80.

2 (?) صفة الصلاة النبي للشيخ الألباني – رحمه الله- ص64، 65، 66.بتصرف بسيط.

والعبارة هذا يعبر بكذا وهذا بكذا كما تقدم بيانه في اختلاف التنوع.

ولهذا ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية قاعدة نافعة في معرفة الخلاف والاختلاف والصحيح من مناهج الناس فيها حتى لا يكون الاختلاف والخلاف، فينبغي على من يتكلم في هذا الباب استيعاب كلام السلف وأقوالهم ومعرفة مرادهم.

فقال -رحمه الله-:

((فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف: أن تستوعب الأقوال في ذلك المقام، وأن ينبه على الصحيح منها، ويبطل الباطل، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته؛ لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته، فيشتغل به عن الأهم، فأما من حكى خلافًا في مسألة ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص؛ إذ قد يكون الصواب في الذي تركه أو يحكى الخلاف ويطلقه، ولا ينبه على الصحيح من الأقوال فهو ناقص أيضًا، فإن صحح غير الصحيح عامدًا فقد تعمّد الكذب أو جاهلا فقد أخطأ، كذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته أو حكى أقوالا متعددة لفظا ويرجع حاصلها إلى قول أو قولين معنىً فقد ضيع الزمان، وتكثر بما ليس بصحيح فهو كلابس ثوبي زور، والله الموفق للصواب)). [1]

وأيضا فقد ((تُذكر أقوالهم في الآية فيقع في عباراتهم تباين في الألفاظ يحسبها من لا علم عنده اختلافا فيحكيها أقوالاً وليس كذلك، فإن منهم من يعبِّر عن الشيء بلازمه أو نظيره، ومنهم من يَنُص على الشيء بعينه، والكل بمعنى واحد في كثير من الأماكن، فليتفطن اللبيب لذلك، والله الهادي)). [2]

فتبين مما سبق بيانه من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية مايلي:

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج13/368

2 (?) مجموع الفتاوى ج13/370.

1- أن الاختلاف كما ورد في الكتاب مذموم مطلقا لما يؤدي إليه من الشر العظيم

2- أن الاختلاف لا يجوز لا في الأصول ولا في الفروع ولكن إذا وقع في المسائل الاجتهادية فقد يسوغ ذلك مع هذا كله إذا ظهر الدليل وتبين الحق فالبقاء على الاختلاف مذموم.

3- أن اختلاف الصحابة في بعض مسائل الأحكام قد يكون رحمة على بعض الناس. إذا لم يفض إلى شر عظيم من خفاء الحكم، وأن هذا لا يعني أن الاختلاف في الفروع رحمة مطلقا.

4- أن حديث: ((اختلاف أمتي رحمة)) وحديث: ((أصحابي كالنجوم فأيهم اقتديتم اهتديتم)) لا يصح.
فالأول واه جدا. والثاني:موضوع ومخالف للقرآن.
وكذلك ((اختلاف أصحابي لكم رحمة)) أيضا موضوع .

المبحث الرابع: خطورة الاختلاف ونتيجته.

من حكمة الشارع أنه لا ينهى عن شيء إلا ومضرته راجحة على منفعته ولا يأمر بأمر إلا ومصلحته راجحة على مفسدته، ومن تتبع أحوال المتفرقين المخالفين لأمره يجد حقا أنهم ليسوا على صراط مستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم، ولا على هدى من ربهم ولا من المرحومين المحمودين؛ لتفرقهم واختلافهم في الدين فهذا ما قد يبينه شيخ الإسلام في هذا الموضع.

قد بين –رحمه الله- في هذا الموضع نتيجة الفرقة والاختلاف وما فيه من تعطيل المصالح واضمحلال القوة وذهاب الريح وكسر الشوكة وضعف.

حيث قرر في غير موضع أن الاختلاف والتفرق في الـدين لا ينتج عنه خير، بل قد أدى التفرق هذه الأمة إلى مضار عظيمة، وفشـل كبير، ودمار لا يعلمه إلا الله، وكما أن عقوبة المتفرقين في الدنيا عاجلة وكما توعّدهم الله في الآخرة بالعذاب الأليم. فقد أشار إلى هذا شيخ الإسلام ابن تيمية في كتبه في أكثر من موضع يمكن إجمالها في النصوص الآتية:

<u>أولا</u>: يؤدي إلى عذاب الله ولعنته وسواد وجوه أهل الفرقة وبراءة الرسول منهم.

قرر شيخ الإسلام ابن تيمية أن مآل أهل الفرقة والاختلاف هو العذاب والبعد من رحمته وأنهم ممن تركوا إرث نبيهم فتبرأ منهم .

قال – رحمه الله تعالى: ((**ومن نتيجة الفرقة عذاب الله ولعنته وسواد الوجوه وبراء الرسول منهم**)).[1]

وما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- قد جاءت النصوص من الكتاب تدل عليه من أن الله تعالى قد توعد المتفرقين بالعذاب الأليم وبرّأ رسوله صلى الله عليه وسلم من أهل الفرقة والاختلاف المذموم، وأنه

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج1/17.

ليس منهم في شيء، فدل هذا على خطورة الاختلاف والتفرق.

ومن ذلك :

1- ما جاء في قوله تعالى من سورة: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ[1].

وإن كان الخطاب موجه لأهل الكتاب إلا أنه قد تعم أهل الكتاب وغيرهم من أهل البدعة والفرقة الذين شابهوهم ونحوا نحوهم فيها.

قال شيخ الإسلام في تعليقه على الآية: ((وقد قال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﭽ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ وذلك يقتضي تبرّؤه منهم في جميع الأشياء.

ومن تابع غيره في بعض أموره، فهو منه في ذلك الأمر؛ لأن قول القائل: أنا من هذا، وهذا مني- أي أنا من نوعه وهو من نوعي- لأن الشخصين لا يتحدان إلا بالنوع، كما في قوله تعالى: ﭽ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭼ[2])[3]

فهذا يدل على خطورة الاختلاف والتفرق ومضاره على الدين وأن التفرق لا ينتج عنه خير محض وأن أهله من المغضوب عليهم.

2- قوله تعالى: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ[4]

فقوله تعالى ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ يؤكد كلام شيخ الإسلام السابق أن من نتيجة الفرقة والاختلاف عذاب الله ولعنته.

<u>ثانيا</u>: الفساد في الأرض

---

1. (?) الأنعام آية: (159).
2. (?) آل عمران آية (195). سيأتي الكلام في الآية أكثر في المباحث القادمة إن شاء الله.
3. (?) اقتضاء الصراط المستقيم ج1/176.
4. (?) آل عمران آية: (105).

قرر شيخ الإسلام أنه إذا وقع التفرق والاختلاف في الأمة تعطلت أمور الدين وظهرت الفساد في الأرض وهذا الفساد يشمل الأمور الآتية:

أ- فساد في الاعتقادات: وقد سبق أن أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله-بقوله: ((إن الله أصلح الأرض برسوله ودينه، وبالأمر بالتوحيد، ونهى عن فسادها بالشرك به ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن تدبر أحوال العالم وجد كل خير في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله، وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك فسببه مخالفة الرسول والدعوة إلى غير الله، ومن تدبر هذا حق التدبير وجد هذا الأمر كذلك في خاصة نفسه وفي غيره عموما و لاحول ولا قوة إلا بالله)).[1]

ب- فساد روابط الأخوة الإيمانية، والعلاقات الإنسانية

فقد قرر شيخ الإسلام ابن تيمية أنه إذا وقع الفرقة والاختلاف في الدين تنافرت القلوب وضاعت الحقوق حقوق العلماء والرعاة وفسدت روابط الأخوة في الدين والتعدي ويتربص بعضهم ببعض الدوائر ويتآمر البعض على بعض، كما تضيع حقوق العلماء والأمراء والرعية فتتعطل جميع مصالح الدين والدنيا بتركهم هذا الأصل العظيم الذي هو الجماعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((وهذا الأصل العظيم: وهو الاعتصام بحبل الله جميعا، وأن لا يتفرق، هو من أعظم أصول الإسلام، ومما عظمت وصيته الله تعالى به في كتابه. ومما عظم ذمه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم.

وباب الفساد الذي وقع في هذه الأمة؛ بل وفي غيرها: هو التفرق والاختلاف، فإنه وقع بين أمرائها وعلمائها، من ملوكها ومشايخها، وغيرهم من ذلك ما الله

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج15/25.

به عليم. وإن كان بعض ذلك مغفورًا لصاحبه لاجتهاده الذي يغفر فيه خطؤه، أو لحسنات الماحية، أو توبة، أو غير ذلك ؛ لكن يعلم أن رعايته من أعظم أصول الإسلام ولهذا كان امتياز أهل النجاة عن أهل العذاب من هذه الأمة بالسنة والجماعة[1] ويذكرون في كثير من السنن والآثار في ذلك ما يطول ذكره))[2] .

فتبين من هذا أن الفرقة والاختلاف في الدين يؤدي إلى فساد الاعتقاد والانحراف عن الحق فتنقطع روابط الحق روابط الأخوة الإيمانية واضطرابها، والعلاقات الدنيوية والأخروية مما في ذلك ضياع الدين وأهله.كما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-

وهذه من سنن الله الكونية والجزاء من جنس العمل كما سيأتي، ومن ضيع حقوق الله ضيع الله حقوقه فالجزاء من جنس العمل ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ.

<u>ثالثا</u>: البعد من رحمة الله وإحسانه ورضوانه

قرر شيخ الإسلام أيضا أن من نتيجة التفرق والاختلاف البعد من رحمة الله وإحسانه لأن أهل الرحمة لا يتفرقون ولا يختلفون اختلافا يؤدي إلى قطع العلاقات الدينية والروابط الأخوية

كما قال سبحانه في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل : ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭼ[3] وقال ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﭼ. وأهل الفرقة لم يحسنوا ولم يكونوا من المصلحين فمن الإصلاح الأمر بالجماعة والتمسك بها وأن الله حكيم لا يضع الأمور إلا في مواضعها.

قال شيخ الإسلام بن تيمية: ((وإنما اختص أهل الإحسان بقرب الرحمة، لأنها إحسان من الله عز وجل أرحم الراحمين، وإحسانه تبارك وتعالى إنما يكون لأهل

---

1 (?) كما دل عليه حديث الافتراق وما في معناه.

2 (?) مجموع الفتاوى ج22/ 359،360.

3 (?) هود آية: (118-119).

الإحسان؛ لأن الجزاء من جنس العمل، وكلما أحسنوا بأعمالهم أحسن إليهم برحمته، وأما من لم يكن من أهل الإحسان فإنه لمّا بعد عن الإحسان بعدت عنه الرحمة، بُعدٌ بِبُعدٍ، وقُرْبٌ بِقُربٍ، فمن تقرب إليه بالإحسان تقرب الله إليه برحمته ومن تباعد عن الإحسان تباعد الله عنه الرحمة.

ومن اعتبر أحوال العالم قديما وحديثا وما يعاقب به من يسعى في الأرض بالفساد وسفك الدماء بغير حق وأقام الفتن واستهان بحرمات الله علم أن النجاة في الدنيا والآخرة للذين آمنوا وكانوا يتقون))[1] .

فأهل الجماعة اتقوا الله واعتصموا بحبل الله وكان نتيجة أمرهم نيل رضا الله ورحمته وإحسانه والنجاة من عذابه، و أهل الفرقة تركوا أمر الله بالجماعة والائتلاف فكان عاقبة أمرهم اللعنة والخسران، والبعد من رحمة الله وإحسانه.

<u>رابعا</u> : من نتيجة الفرقة والاختلاف ظهور الشرك والبـدع والأهـواء الــمضلـة و التحزبات الباطلة وظهور الفرق الضالة والطوائف المنحرفة.

فمن نتيجة التفرق والاختلاف في الدين وقوع الشرك بالله في المتفرقين والإعراض عن التوحيد، والانحراف عن الحق وترك الاعتصام بالكتاب والسنة والبعد عنهما نتيجة تقصيرهم في حق الله. كما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية.

قال رحمه الله: ((وهذا التفرق والاختلاف يوجب الشرك وينافي حقيقة التوحيد الذي هو إخلاص الدين كله لله كما قال تعالى: ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ۇۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋۋ
ﯦ ﯧ ې ې ﯨ ﯩ
ى ى يي ﭼ[2] .

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج15/27وج16/250.

2 (?) الروم.

فإقامة وجهة الدين حنيفا هو عبادة الله وحده لا شريك له؛ وذلك يجمع الإيمان بكل ما أمر الله به وأخبر به وأن يكون الدين كله لله.

ثم قال الله تعالى: ﭽ   ﯼ ﯽ ﯾ   ﭼ. وذلك أنه إذا كان الدين كله لله حصل الإيمان والطاعة لكل ما أنزله وأرسل به رسله وهذا يجمع كل حق ويجمع عليه كل حق، وإذا لم يكن كذلك فلا بد أن يكون لكل قول ما يمتاز به، مثل معظم مطاع أو معبود لم يأمر الله بعبادته وطاعته، ومثل قول ودين لم يأذن الله به ولم يشرعه فيكون كل فريق من الفريقين مشركا من هذا الوجه))[1].

خامسا: من نتيجة التفرق والاختلاف **الذل والصغار عند الله واستحقاق الـذم و الإهانة لأهل الفرقة والاختلاف**: وذلك أن أهل الفرقة والاختلاف تركوا أمر الله بالجماعة فضعفت قوتهم وضاعت قدراتهم نتيجة تفرقهم، ونزع الله الرعب من قلوب عدوهم فأذاقوهم الويلات وتقاسموا بهم وبسطوا سيطرتهم على مصالحهم، وفرضوا عليهم أحكامهم أحكام طواغيتهم نتيجة تركهم أمر ربهم، كما هو الحال الآن إلا من رحم الله.

لما تفرّق المسلمون وتعصبوا بالباطل وتركوا الاعتصام بحبل الله ابتلاهم الله بأعداء يسلبون منهم حقوقهم وسلط الله عليهم عدوهم فشردوهم شر التشريد وقسموهم إلى أقاليم ودويلات متعددة ومتعادية نتيجة تفرقهم واختلافهم وتركهم الاعتصام بحبل الله جميعا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: ((وبلاد الشرق [2] من أسباب تسليط الله التتر عليها كثرة التفرق والفتن في المذاهب وغيرها، حتى تجد المنتسب

---

1 (?) قاعدة في المحبة ص44 .

2 (?) بل عموم بلاد المسلمين إلا من رحم الله.

إلى الشافعي يتعصب لمذهبه على مذهب أبي حنيفة حتى يخرج عن الدين، والمنتسب إلى أبي حنيفة يتعصب لمذهبه على مذهب الشافعي وغيره حتى يخرج عن الدين، والمنتسب إلى أحمد يتعصب لمذهبه على مذهب هذا وهذا.

وفي المغرب تجد المنتسب إلى مالك يتعصب لمذهبه على هذا وهذا. وكل هذا من التفرق والاختلاف الذي نهى الله ورسوله عنه.

وكل هؤلاء المتعصبين بالباطل، المتبعين الظن، وما تهوى الأنفس المتبعين لأهوائهم بغير هدى من الله، مستحقون للذم والعقاب)) [1] .

قال في موضع آخر: ((فلما ظهر النفاق والبدع والفجور المخالف لدين الرسول صلى الله عليه وسلم سلطت عليهم الأعداء، فخرجت الروم النصارى إلى الشام والجزيرة مرة بعد مرة، وأخذوا الثغور الشامية شيئًا بعد شيء، إلى أن أخذوا بيت المقدس في أواخر المائة الرابعة، وبعد هذا بمدة حاصروا دمشق، وكان أهل الشام بأسوأ حال بين الكفار النصارى والمنافقين الملاحدة. [2]

فلما ظهر في الشام ومصر والجزيرة الإلحاد والبدع سلط الله عليهم الكفار، ولما أقاموا ما أقاموه من الإسلام وقهر الملحدين والمبتدعين نصرهم الله على الكفار.

وكذلك لما كان أهل المشرق قائمين بالإسلام كانوا منصورين على الكفار المشركين من الترك والهند والصين وغيرهم، فلما ظهر منهم ما ظهر من البدع

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج22/254.

2 (?) قس هذا على ما أصاب المسلمين اليوم من أيدي الأعداء وخاصة ما يدور في فلسطين والعراق المحتلة وأفغانستان المظلومة والصومال المنكوبة وغيرها من دول الإسلام والمسلمين كثير وكل هذا بسب التفرق والاختلاف في دين الله.

والإلحاد والفجور سلط الله عليهم الكفار، وكان من أسباب دخول هؤلاء ديار المسلمين ظهور الإلحاد والنفاق والبدع)).[1]

فدل هذا على أن تسليط أعداء الله على الأمة من نتيجة تفرقهم واختلافهم وتعصب بعضهم على بعض وترك ما أمرهم الله به من إقامة الدين وترك التفرق فيه الذي يؤدي إلى الضعف والفشل أمام العدو.

سادساً: من نتيجة الفرقة الفشل والهزيمة أمام العدو وترك الجهاد في سبيل الله وتمكين العدو على المسلمين

قرر شيخ الإسلام ابن تيمية أنه متى تفرق القوم واختلفوا في الدين وتنازعوا في أمره حرموا النصر على العدو ويتمكن منهم الشيطان فقذف في قلوبهم الخوف والرعب وهجر الجهاد في سبيل وحب الدنيا والحرص على الحياة الفانية لتركهم طاعة الله ورسوله، وطاعة أولى أمرهم والتمسك بالجماعة والصبر على جورهم والخروج عليهم فيذلهم الله كما أذلوا طاعته واستهانوا أمره وهجروا كتابه فإن النصر مقرون بالطاعة والعمل الصالح الذي هو الاعتصام بالكتاب والسنة .

والشاهد لهذا قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ.

(وهذا لأن الله أمر المؤمنين بالإيمان والعمل الصالح، وأمرهم بدعوة الناس وجهادهم على الإيمان والعمل الصالح؛ كما قال الله تعالى: ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ وكما قال: ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ [2])).[3]

وقد ظهر من هذا أن التفرق والاختلاف في الدين يوجب الفشل وذهاب القوة وسبب للهزيمة من جميع أنواعها.

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج13/178، 179، 18.

2 (?) غافر.

3 (?) مجموع الفتاوى ج28/165 وكتاب الاستقامة ج2/286.

ومن نظر في أحوال المسلمين اليوم وما يعانونه من إرهاب العدو وقتل وظلم وتشريد وإبادة والتدخل في شؤونهم والتحكم في أمورهم بغير إرادتهم يجد أن هذا كله بسبب تركهم الطاعة والصبر وتفرقهم واختلافهم في دينهم إلى أحزاب وطوائف متناحرة متباغضة فتحقق فيهم ما كان قد حذرهم الله منه في قوله تعالى: ﭽ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼ[1].

فقد فشل المسلمون اليوم في تحقيق أمور كثيرة إلا من رحم الله [2] بسبب تفرقهم واختلافهم وتنازعهم في الدين وهذا الفشل يظهر في أمور كثير منها:

أولا : الفشل في لقاء العدو والثبات وتحقيق النصر عليه.

ثانيا : الفشل في تحكيم شرع الله ونبذ قوانين العدو الوضعية .

ثالثا : الفشل في تحقيق الأمن والاستقرار،بل فتن وحروب وتدمير ومـؤامرة ضد بعضهم البعض. وقتل بعضهم البعض وهدم البنايات التحتية وزعزعة الأمن. وتربص بعضهم ببعض الدوائر.

رابعا : الفشل في تحقيق الأهداف والمصالح والتقدم .

خامسا : الفشل في بناء المجتمع القوي دينيا واجتماعيا وسياسيا واقتصاديا.

سادسا : الفشل في توحيد الصفوف ووحدة الكلمة على الحق والصدق في المعاملة واحترام العهود والمواثيق.

سابعا : فشل في تحقيق الطلب العلم الشرعي والإخلاص في الطلب

ثامنـا : فشل في دعوة الخلق إلى الإسلام بل هذا التفرق يصد غير المسلمين عن الدخول في الإسلام.

---

1. (?) الأنفال.
2. (?) إلا الطائفة المنصورة التي لا تزال علي الحق مستمسكين لا يضرهم من خذلهم كما سيأتي بيانه.

قال تعالى: 0 ﭽ   ﭼ[1] .

ولو كان فيهم قوة إيمان راسخة وتوكل تام واعتصام صادق ونية صالحة في تحقيق العبودية لله وحده كلهم لسادوا كما ساد أولهم ولا يصلح أمرهم إلا ما أصلح به أولهم.

ﭽ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭼ[2]

وما يقوم به بعض أصحاب الأفكار الضالة من التفجيرات وقتل الأبرياء في ديار المسلمين وتكفير المجتمعات المسلمة والخروج عن الجادة والانتحار المحرم بدعوى الجهاد فهي من هذا القبيل مع أن ذلك ليس بجهاد مشروع في كتاب ولا سنة ولا قول صحابي، ولاشك أنه من الفشل والتهور وترك للاعتصام بالكتاب كله، وإلا فماذا قدموا للإسلام والمسلمين بعد أن شقوا يد الطاعة وتركوا جماعة المسلمين بدعوى الجهاد والشجاعة ضد العدو إلا الصد عن سبيل الله وعون للعدو على الإسلام والمسلمين فإن الشجاعة تستلزم قوة العلم والإيمان والتحمل والحلم والسماحة والصبر فتدبره.

ولهذا بين شيخ الإسلام ابن تيمية فقال:

« والشجاعة ليست هي قوة البدن، فقد يكون الرجل قوي البدن ضعيف القلب، وإنما هي قوة القلب وثباته، فإن القتال مداره على قوة البدن وصنعته للقتال، وعلى قوة القلب وخبرته به. والمحمود منهما ما كان بعلم ومعرفة، دون التهور الذي لا يفكر صاحبه ولا يميز بين المحمود والمذموم. ولهذا كان القوي الشديد هو الذي يملك نفسه عند الغضب[3] حتى يفعل مـا يصــلح دون

---

1 (?) طه آية : (124).

2 (?) النساء.

3 (?) كما ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم.

مالا يصلح. وأما المغلوب حين غضبه فليس بشجاع ولا شديد))[1] .

فلابد من الجماعة والائتلاف ولابد من طاعة الله ورسوله، ولابد من طاعة ولاة الأمر وموالاة جميع المؤمنين والصبر على أذاهم ليتحقق النصر والثبات أمام العدو .

((والمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها قلوبهم واحدة موالية لله ولرسوله ولعباده المؤمنين، معادية لأعداء الله ورسوله وأعداء عباده المؤمنين، وقلوبهم الصادقة الصالحة هي العسكر الذي لا يغلب، والجند الذي لا يخذل، فإنهم هم الطائفة المنصورة إلى يوم القيامة، كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فإذا لم تكن قلوبهم واحدة، بل متفرقة ومتناحرة ومتباغضة غير موالية لله ومتحابة فيه، ومتشتتة إلى أحزاب وطوائف متباينة في الدين لا يتحقق لهم النصر والغلبة، وإنما الهزيمة والفرار والتولي يكون حليفهم أو الاستعجال واليأس وأخيرا الانتحار وتفجير النفس والعياذ بالله.

فالتنازع والتفرق يفضي إلى الفشل وضعف القوة، لأنه يثير التباغض ويزيل التعاون بين القوم ويحدث فيهم أن يتربص بعضهم ببعض الدوائر فيحدث في نفوسهم الاشتغال باتقاء بعضهم بعضا، وتوقع عدم النصر عند مآزق القتال فيصرف الأمة عن التوجه إلى شغل واحد فيما فيه نفع جميعهم، ويصرف الجيش عن الإقدام على أعدائهم، فيتمكن منهم العدو كما قال في سورة آل عمران: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭼ[2] [3]

---

1 (?) كتاب الاستقامة ج2/271 ومجموع الفتاوى ج28/158.

2 (?) آية : (152).

3 (?) انظر كتاب التحرير والتنوير ج1/1774.

والنهي عن التنازع أعم من الأمر بالطاعة لولاة الأمور: لأنهم إذا نهوا عن التنازع بينهم فالتنازع مع ولي الأمر أولى بالنهي.

ولما كان التنازع من شأنه أن ينشأ عن اختلاف الآراء، وهو أمر مرتكز في الفطرة بسط القرآن القول فيه ببيان سيء آثاره، فجاء بالتفريع **بالفاء** في قوله: ﭽ ﭖ ﭗ ﭘﭙ ﭼ[1] فحذرهم أمرين معلوم سوء مغبتهما وهما: الفشل وذهاب الريح وانحطاط القوة.[2]

سابعا: الهلاك وسواد الوجوه لأهل الفرقة والاختلاف

فمن سوء حظ أهل الفرقة واختلاف أن وجوههم تكون مسودة يوم القيامة والعياذ بالله، وذلك لسوء عملهم وتركهم الاعتصام بكتاب الله العروة الوثقى يهدي السبيل إلى الأهواء والبدع المضلة.

فقد جاء ذلك عن حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ[3]

قال ابن عباس رضي الله عنهما : ((تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف وتسود وجوه أهل الفرقة والاختلاف))[4]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((نتيجة الفرقة عذاب الله ولعنته وسواد الوجوه)).[5]

أما الهلاك والضلال فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن سبب هلاك الأمم السابقة إنما كان باختلافهم على أنبيائهم بقوله: ((يا قوم بهذا ضلت الأمم قبلكم باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكتاب بعضه ببعض))[6] .

---

1 (?) الأنفال آية: (46).

2 (?) التحرير والتنوير ج1/177.

3 (?) آل عمران.

4 (?) تقدم تخريجه.

5 (?) مجموع الفتاوى ج1/17.

ثامنا: من نتيجة التفرق والاختلاف فتح أسباب الشرور وتعطيل المصالح

قرر شيخ الإسلام في هذا الموضع أنه إذا حصل التفرق والاختلاف والتشتت في الدين عمت الشرور وكثرت الفتن والحروب وعم البلاء والمحن واشتبه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيقع الإفساد في الأرض أكثر من الإصلاح و الفتن والظلم والبغي بغير الحق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((فإن التفرق والاختلاف يقوم فيه من أسباب الشر والفساد وتعطيل الأحكام ما يعلمه من يكون من أهل العلم العارفين بما جاء من النصوص في فضل الجماعة والإسلام))[1] .

قال: ((وإذا كان الكفر والفسوق والعصيان سبب الشر والعدوان فقد يذنب الرجل أو الطائفة ويسكت آخرون عن الأمر والنهي، فيكون ذلك من ذنوبهم، وينكر عليهم آخرون إنكارا منهيا عنه فيكون ذلك من ذنوبهم؛ فيحصل التفرق والاختلاف والشر، وهذا من أعظم الفتن والشرور قديما وحديثا؛ إذ الإنسان ظلوم جهول، والظلم والجهل أنواع، فيكون ظلم الأول وجهله من نوع، وظلم كل من الثاني والثالث وجهلهما من نوع آخر وآخر))[2] .

فقد تبين مما سبق تقريره من نتيجة التفرق والاختلاف في الدين أن خطره عظيم على الدين وأهله وآثاره سيئة وعواقبه وخيمة على مصالح الأمة ومنافعها.

فهو سبب لوقوع عذاب الله، ولعنته، وسواد الوجوه، وبراءة الرسول من أهله، وتسليط الأعداء ، والفشل وانحطاط القوة ، والضعف والانكسار والذل والصغار

---

6 (?) صحيح مسلم ص677ح(2666) كتاب العلم باب النهي عن اتباع متشابه القرآن، والتحذير من متبيعه، والنهي عن الاختلاف في القرآن.

1 (?) مجموع الفتاوى ج27/ 477.

2 (?) مجموع الفتاوى ج28/ 142.

والهزيمة، وخفاء العلم وانتشار الجهل، وسفك الدماء، ترك الجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التعصب والعنصرية الجاهلية، وذهاب الدولة والهلاك، وتعطيل المصالح كلها.كما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله-.

المبحث الأول: بيان تفرق اليهود واختلافهم في الدين

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الأدلة على بيان تفرق اليهود واختلافهم في الدين

قرر شيخ الإسلام أن اليهود كانوا على شريعة موسى عليه السلام متفقين على الهدى فتفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينة فصاروا فرقا وأحزاباً.

أصل دين اليهود :

فأصل دين اليهود هو التوحيد الخالص الذي دعا إليه جميع الرسل عليهم السلام

قال شيخ الإسلام: و((هو أصل دين الرسل كلهم فإنهم كلهم دعوا إلى عبادة الله وحده لا شريك له وأن لا إله إلا هو والإله هو المستحق أن يعبد، والعبادة لا تكون إلا بتعظيم ومحبة وإلا لم يكن عابدًا له. قال تعالى: ﭽ ... ﭼ[1] وقــال تعــالى: ﭽ ... ﭼ[2]))[3] . ولكنهم تفرقروا واختلفوا من بعد جاء البينات والآيات الواضحات.

ومن الأدلة التي تبين تفرق اليهود واختلافهم في الدين ما يأتي :

- **قال -رحمه الله- :** ((قد بين القرآن في غير موضع أن أهل الكتاب تفرقوا واختلفوا قبل إرسال محمد صلى الله عليه وسلم فقال تعالى عـن اليهود**:**

ﭽ ... ﭼ[4] .

---

[1] (?) الزخرف.

[2] (?) النحل آية (36).
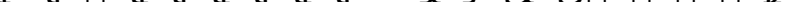
[3] (?) منهاج السنة ج5/325.

[4] (?) المائدة.

وقال تعالى في آيات أخر : ﭽﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣﮤ ﮥ ﮦ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﭼ[1] .

وقال تعالى: ﭽﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﭼ[2] .

وقال تعالى أيضا : ﭽﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡﭼ[3] إلى قوله : ﭽﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭼ[4] .

وقال أيضا في آية أخرى: ﭽﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ[5]

هذه جملة من الآيات ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في عدة مواضع من كتبه في بيان تفرق اليهود واختلافهم[6] .

وكما جاء ت الأحاديث في السنن و المسانيد من وجوه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ..))[7]

وهذا معلوم بالتواتر أن أهل الكتاب اختلفوا وتفرقوا قبل إرسال محمد صلى الله عليه وسلم، بل اليهود افترقوا قبل مجيء المسيح ثم لما جاء المسيح اختلفوا فيه ثم اختلف النصارى اختلافا آخر[8]

---

1 (?) يونس.
2 (?) الجاثية.
3 (?) هود آية (110)..
4 (?) هود.
5 (?) النحل.
6 (?) مجموع الفتاوى ج16/ 490، 491، 516 ، وانظر: أيضا منهاج السنة ج5/263، 264 و265.
7 (?) سيأتي تخريجه والكلام عنه بالتفصيل إن شاء الله.
8 (?) مجموع الفتاوى ج16/ 492، 507.

فإن هؤلاء اليهود كما ذكر الإسلام اختلفوا وتفرقوا في الأمور الآتية:

1- اختلفوا وتفرقوا فيما بينهم في الدين إلى فرق وطوائف كثيرة.

2- اختلفوا وتفرقوا في كتاب التوراة الذي جاء به موسى عليه السلام اختلافا.

3- اختلفوا وتفرقوا في عيسى عليه السلام.

4- اختلفوا وتفرقوا في النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

ولهذا بين شيخ الإسلام فقال: ((وقد رأينا في ألفاظها[1] اختلافا بينا، والتوراة هي أهم الكتب وأشهرها عند اليهود والنصارى ومع هذا نسخة السامرة[2] مخالفة لنسخة اليهود والنصارى حتى في نفس الكلمات العشر، ذكر في نسخة السامرة منها من أمر استقبال الطور ما ليس في نسخة اليهود والنصارى، وهذا مما يبن أن التبديل وقع في كثير من نسخ هذه الكتب، فإن عند السامرة نسخا متعددة.

وكذلك رأينا **في الزبور** نسخا متعددة تخالف بعضها بعضا مخالفة كثيرة في كثير من الألفاظ والمعاني يقطع من رآها أن كثيرا منها كذب على زبور داوود عليه السلام.

وأما الإنجيل فالاضطراب فيها أعظم منه في التوراة[3])) والكلام في هذا لا يمكن حصره في هذا الموضع[4]

---

1 (?) أي التوراة.

2 (?) فرقة من فرق اليهود يقول شيخ الإسلام هم رافضة اليهود ولا تؤمن هذه الفرقة بنبي بعد موسى عليه السلام وهارون غير يوشع، وتنجس وتحرم ما باشره غيرهم من المائعات، ولا يأكلون إلا ذبائح أنفسهم، فيهم كبر ورعونة وحمق و دعاو كاذبة مع القلة والذلة/ منهاج السنة ج5/174.

3 (?) الجواب الصحيح ج2/450، 415، وج 3/40.

4 (?) فقد ألف كتب كثيرة في هذا الباب مثل كتاب الشيخ أ،د سعود الخلف ((دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية)) وكتاب ((الأسفار المقدسة قبل الإسلام دراسة لجوانب

وأما اختلافهم في الدين إلى فرق شتى وأحزاب كــل تكذب الأخرى وتقلل شأنها فكثيرة جدا.[1]

مع أن الله نهاهم عن التفرق في الدين وأمرهم على لسان رسولهم بإقامة الدين كله ولا يتفرقوا فيه فتفرقوا واختلفوا إلى أحزاب شتى قال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ
ڃ ڃ ڄ ڄ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ
گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڼ ڼ ہ

الاعتقاد في اليهودية والمسيحية)) للدكتور صابر طعيمة. وغيرهما كثير.

[1] (?) توجد في اليهودية فرق كثيرة تختلف الواحدة منها عن الأخرى اختلافا جوهريا وعميقا يمتد إلى العقائد والأصول، فهي في الواقع ليست كاختلافات التي توجد بين الفرق المختلفة في الديانات التوحيدية الأخرى. ومن ثم، فإن كلمة ((فرق)) لا تحمل في اليهودية الدلالة نفسها التي تحملها في سياق ديني آخر. فلا يمكن، على سبيل المثال، تصور مسلم يرفض النطق بالشهادتين و يُعترف به مسلما، أو مسيحي يرفض الإيمان بحادثة الصلب والقيام و يُعترف به مسحيا . أما داخل اليهودية، فيمكن ألا يؤمن اليهودي بالإله ولا بالغيب ولا باليوم الآخر ويُعتبر مع هذا يهوديا حتى من منظور اليهودية نفسها. و هذا يرجع إلى طبيعة اليهودية بوصفها تركيبا جيولوجيا تراكميا يضم عناصر عديدة متناقضة متعايشة دون تمازج أو انصهار. ولذا، تجد كل فرقة جديدة داخل هذا التركيب من الآراء والحجج والسوابق ما يضفي شرعية على موقفها مهما يكن تطرفه. وأولى الفرق اليهودية التي أدت إلى انقسام اليهودية فرقة السامريين التي ظلت أقلية معزولة بسبب قوة السلطة الدينية المركزية المتمثلة في الهيكل ثم السنهدرين.
ولكن، مع القرن الثاني قبل الميلاد، خاضت اليهودية أزمتها الحقيقية الأولى بسبب المواجهة مع الحضارة الهيلينية. فظهر ((الصدوقيون)) و((الفريسيون) و((الغيورون)) الذين كانوا يعدون جناحا متطرفا من الفريسيين ، الأسينيون . ومما يجدر ذكره أن الصدوقيين كانوا ينكرون البعث واليوم الآخر، ومع هذا كانوا يجلسون في السنهدرين، جنبا إلى جنب مع الفريسيين، ويشكلون قيادة اليهودية.الكهنوتية. وقد حققت هذه الفرق

ﮩ ﮨ ﮧ ﮦ ﮥ ﮤ ﮣ ﮢ ﮡ ﮠ ﮟ ﮞ ﮝ ﮜ ﮛ ﮚ ﮙ ﮘ ﮗ ﮖ ﮕ ﮔ ﮓ
ﯓ ﭢ ﭡ ﭼ[1] .

ولهذا التفرق والاختلاف والتحزب أسباب كثيرة أوقعتهم في هذا الهلاك والذل والضلال ذكرها الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم يأتي ذكرها وتقريرها من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- إن شاء الله.

ذيوعا، أدت إلى انقسام اليهودية. ومن فرقهم :**السامريين، وجريم، والفريسيين، والصدوقيين** ،والغيورين(قناثيم)، والأسينين، وعصبة حملة الخناجر،والفقراء (الإيبين)، والغارية، والمعالجين (ثيرابيوتاي)، والمستحمينفي الصباح(هيميروبابتسب) ، وعبدة الإله الواحد(هبسسترين) ، والبنائيين، والقرائين وغيرها/ راجع موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية لعبد الوهاب المسيرى /المجلد الخامس ج3/317 وما بعدها الطبعة الأولى: 1999 دار الشروق.

[1] (?) الشورى.

المطلب الثاني: بيان سبب تفرق اليهود واختلافهم ونتيجة ذلك

أما تفرق اليهود واختلافهم إلى فرق وأحزاب شتى يعود إلى أسباب منها:

1- الإيمان ببعض نصوص التوراة دون بعض .

2- البغي والظلم .

3- التأويلات الفاسدة.

ومن أعظم الأسباب المؤدية إلى تفرق اليهود والاختلاف في الدين الإيمان ببعض نصوص الكتاب دون بعض وأن الله قد ذمهم على ذلك.

قال شيخ الإسلام:

وقد قال الله تعالى في كتابه: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ[1] وقد ذمّ الله سبحانه أهل التفرق والاختلاف في الكتاب الذين يؤمن كل منهم ببعضه دون بعض. فقال تعالى :ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﭼ[2] وقال عنهم :ﭽ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ[3] وقال :ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ[4] .

وذلك لأنهم ابتدعوا بدعا خلطوها بما جاءت به الرسل وفرقوا دينهم وكانوا شيعا، فصار في كل فريق منهم حق وباطل وهم يكذبون بالحق الذي مع الفريق الآخر ويصدقون بالباطل الذي معهم)) [5].

((**فإن اليهود** لم يؤتوا من جهة ما أَقرّوا به من نبوة موسى والإيمان به وبالتوراة، بل هم في ذلك مهتدون، وهو رأس هداهم، وإنما أتوا من جهة ما لم يقروا به من رسالة المسيح ومحمد ، كما قال تعالى فيهم :ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ

---

1 (?) البقرة آية (91).

2 (?) البقرة آية (85).

3 (?) النساء.

4 (?) البقرة.

5 (?) مجموع الفتاوى ج12/34، وج19/184، 185 ومنهاج السنة ج5/167، 168.

ﮄ ﮅﮆ ﭼ[1] غضب بكفرهم بالمسيح، وغضب بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم، وهذا من ترك المأمور به.
فقال تعالى فيهم أيضا: ﭽ ﮬ ﮭﮮ ﮯ
ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘﯙ ﭼ[2] ،فنقض الميثاق ترك ما أمروا به
فإن الميثاق يتضمن واجبات، وهي قوله : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ
ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ
ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ
ﮬ ﮭﮮ ﭼ[3] الآيات.
فقد أخبر تعالى أنه ما أوجبه عليهم من الميثاق وإن كان واجبا بالأمر حصلت لهم هذه العقوبات التي منها فعل هذه المحرمات من قسوة القلوب؛ وتحريف الكلم عن مواضعه؛ وأنهم نسوا حظا مما ذكروا به. وأخبر في أثناء السورة أنه ألقى بينهم العداوة والبغضاء في قوله: ﭽ
ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ
ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ
ﭼ[4]
وهكذا إذا تأملت أهل الضلال والخطأ من هذه الأمة تجد الأصل ترك الحسنات لا فعل السيئات، وأنهم فيما يثبتونه أصل أمرهم صحيح، وإنما أتوا من جهة ما نفوه، والإثبات فعل حسنة والنفي ترك سيئة، فعلم أن ترك الحسنات أضر من فعل السيئات، وهو أصله)).[5]
((والإيمان بالرسل يجب أن يكون جامعا عاما مؤتلفا لا تفريق فيه ولا تبعيض ولاختلاف بأن يؤمن بجميع الرسل وبجميع ما أنزل فمن آمن ببعض الرسل وكفر ببعض، أو

---

1 (?) البقرة آية (90).
2 (?) المائدة آية: (13).
3 (?) المائدة آية(12-13).
4 (?) المائدة آية(64).
5 (?) مجموع الفتاوى ج20/107، 108 ، 109، 110. وج 28/647,

آمن ببعض ما أنزل الله وكفر ببعض فهو كافر وهذا حال من بدل من اليهود)) [1] .
هذه النصوص تبين أن الإيمان ببعض النصوص دون بعض يورث العداوة والبغضاء والتفرق والاختلاف، وأن اليهود تفرقوا واختلفوا بسبب إيمانهم بعض الكتاب دون بعض فذمهم الله تعالى بذلك.

- الظلم و البغي والغطرسة وتلبيس الحق بالباطل والتمسك بالأقيسة الفاسدة والتأويلات الباطلة

وقد بين شيخ الإسلام أن اليهود لما آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض أخذتهم العزة بالإثم، فبغَى بعضهم على بعض وظلم بعضهم بعضاً ودَبَّ فيهم داء الكبر والحسد فلبّسوا الحق بالباطل وسعوا في الأرض الفساد ولم ينالوا الأمن والاستقرار؛ بل وتشتت قلوبهم ببغيهم.
((والمقصود هنا أن الله تعالى ذكر أن المختلفين جاءتهم البينة، وجاءهم العلم، وإنما اختلفوا بغيًا.
ولهذا ذمهم الله وعاقبهم، فإنهم لم يكونوا مجتهدين مخطئين، بل كانوا قاصدين البغي عالمين بالحق معرضين عن القول وعن العمل به.
وهذا حال أهل الاختلاف المذموم من أهل الأهواء كلهم لا يختلفون إلا من بعد أن يظهر لهم الحق ويجيئهم العلم، فيبغي بعضهم على بعض، ثم المختلفون المذمومون كل منهم يبغي على الآخر، فيكذب بما معه من الحق مع علمه أنه حق، ويصدق بما مع نفسه من الباطل مع العلم أنه باطل وهؤلاء كلهم مذمومون)) [2] **.**
((أنهم قاسوا الرسول على من فرق الله بينه وبينه وكفروا بفضل الله الذي اختص به رسله فأتوا من جهة القياس الفاسد)) [3].

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج12/11.
2 (?) منهاج السنة ج5/264.
3 (?) مجموع الفتاوى ج12/17، 18,

فالظلم والبغي وتلبيس الحق بالباطل يورث الفرقة والاختلاف والعداوة والبغضاء، وأن اليهود تفرقوا واختلفوا في دينهم بسبب الظلم والبغي وكتمان الحق والتمسك على الأقيسة الفاسدة والتأويلات الباطلـة.

- تأثيرات الأديان الوثنية والفلسفة اليونانية الباطلة.

ذكر شيخ الإسلام أيضاً أن من أسباب اختلاف اليهود وتفرقهم تأثرهم بعقائد الوثنية الهندية وآراء الفلاسفة اليونانية القديمة التي كانت سائدة ومنتشرة في أوساطهم بعد احتكاكهم بأهلها وتركهم إرث نبيهم موسى عليه السلام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

((وكذلك بنو إسرائيل عبد منهم الأوثان كما ذكر الله ذلك في كتابه تعالى وتقدس وإنما حدث فيهم هذا من جيرانهم الصابئة المشركين سلف أبي معشر وذويه))[1]

وذلك أن بنو إسرائيل عاشوا عبر تاريخهم الطويل مع أقوام عدة أثروا فيهم كما تأثروا بهم ولكن مقدار ما اقتبسوه من تلك الأمم كان كبيرا، فامتزجت عبادات من جاورهم أو عاشوا في أوساطهم وهذا ما تؤكده النصوص التالية:

[1] (?) بيان تلبيس الجهمية ج1/454.

ومن ذلك ما ذكره أرسطو[1] أن الذبائح القديمة والاجتماعات تكاد تكون بعد جمع الثمار كأنها قرابين من أجل الفرجة، وهو ما يحتفل به في (عيد المظلة)[2] وعلته قول التوراة (عندما تجمع غلاتك في الصحراء) يعني وقت الفرجة والراحة من الأشغال الضرورية)[3] كما نفذت إلى إصحاحات العهد القديم(حزقيال وزكريا ودنيال) معتقدات(الزند فستا)[4] .

((وهناك تشابه بين صفات (يهوه) وبعل وعشيرا وآلهة كلده وتمور، كما كان اليهود يسجدون أمام الشمس مُوَلِّينَ وجوههم شطر المشرق في هيكل أورشليم)[5]

---

1 (?) **أرسطو طيالسي الفيلسوفي**: وهو أرسطو طياليس بن بيقوماخوس ، هو من أهل أسطاخرا وهو المقدم المشهور والمعلم الأول والحكيم المطلق عندهم، وكان مولده في أول سنة من ملك أردشير بن دارا، فلما أتت عليه سبع عشرة سنة أسلمه أبوه إلى المؤدب أفلاطون فمكث عنده نيفاً وعشرين سنة وإنما سموه المعلم الأول لأنه واضع التعاليم المنطقية ومُخرِّجها من القوة إلى الفعل.
كان هو وقومه من اليونان مشركين يعبدون الأصنام ويتعاطون السحر، ويقولون بقدم العالم وأنه لا صانع له فينكرون الصانع جل جلاله/ انظر: الملل والنحل ج 2/93،102، 119 ومجموع الفتاوى ج5/539.

2 (?) وعيد المظلة: هو عيد من أعيادهم المبتدعة سبعة أيام أولها الخامس عشر من تشري، وكلها أعياد عندهم واليوم الآخر، منها يسمى عرايا، أي شجر الخلاف، وهو أيضا حج لهم، يجلسون في هذه الأيام تحت ظل من جريد النخل وأغصان الزيتون والخزف، وسائر الشجر الذي لا ينتشر ورقه على الأرض ويزعمون أن ذلك تذكار منهم لإظلال الله إياهم في التيه بالغمام/ صبح الأعشى ج2/464.

3 (?) دلالة الحائرين ص656

4 (?) (الزند فستا) هو شرح الكتاب المقدس للزردشتية(فستا).

5 (?) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ص66 نقلها إلى العربية : عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي

ومما يرد في سفر حزقيال، أنه كان في زمانه نساء تبكي الإله(تموز) في معبد الرب، وهو دليل على وجود(تموز) الإله ابن عشتار معبود أهالي وادي الرافدين[1] .

وتذوق اليهود الثقافات اليونانية فتأثروا بها(فكانت ترجمة التوراة إلى اليونانية القصد منها هو رفع قدر دينهم في عيون اليونانيين وكان اليهود ينظرون بعين الاحتقار إلى ديانة اليونانيين)[2] . واقتبس اليهود من الفرس والهنود والبابليين صوم الصمت)[3]

وهناك أوجه تشابه عديدة بين معتقدات التلمود والهندوسية منها أن عقيدة التناسخ موجود لديهما.[4] فاليهود قد أخذوا معظم معتقداتهم عن الهندوسية وغيرها من الوثنيات الهندية ومزجوها بأفكار الفلاسفة اليونانية القديمة والتوارة المحرفة فافترقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات إلى طوائف وأحزاب شتى متناقضة.

قال تعالى: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ[5] .

فقد تشبهوا بأهل الأوثان من أهل الأديان السابقة وتأثروا بعباداتهم وثقافاتهم الوثنية الباطلة وقالوا مثل قولهم في اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى فتفرقوا واختلفوا

وشركاؤه، مصر 1970م.

1 (?) انظر سفر حزقيال.

2 (?) الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة اليونانية. علي سامي النشار، عباس أحمد الشربيني ص50.

3 (?) تاريخ النور الديني. أحمد زكي بدوي ص25.

4 (?) انظر هذه كلها كتاب العبادات في الأديان السماوية اليهودية- المسيحية- الإسلام . لعبد الرزاق رحيم صلال الموحي ص130، 131 ، 132، 133. ط:1 2001م الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية. دمشق.

5 (?) التوبة.

وابتدعوا كتبا وتقوّلوا على الله بغير علم وعلى بعضهم على بعض وسعوا في الأرض الفساد.

((ﭼ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ[1] أي كتبا اتبع كل قوم كتابًا مبتدعًا غير كتاب الله فصاروا مختلفين، لأن أهل التفرق والاختلاف ليسوا على الحنفية المحضة التي هي الإسلام المحض الذي هو إخلاص الدين لله الذي ذكره في قوله : ﭼ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ[2] [3]))

والله تعالى أعلم.

فهذا أصل دين جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام قرروا التوحيد ودعوا جميع أممهم إليه فموسى عليه الصلاة والسلام دعاهم إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده والاعتصام بالكتاب كله والإيمان بما جاء به قولاً وعملاً فآمنوا بعض وكفروا ببعض فبدلوا كلام الله وحرفوا الكلم عن مواضعه وأوّلوا وغيروا، فاختلفوا وتفرقوا في الدين

فكان نتيجة أمرهم بعد التفرق وترك الإعتصام بالكتاب البغض واللعن والذل والهوان والصغار والفشل والخسران. والخوف والخذلان .

قال تعالى: ﭼ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ آل عمران: ١١٢ ﭼ ... ﭼ المائدة: ٦٤

فتبين من هذا أن من أسباب التفرق اليهود في الدين:

1- ترك الاعتصام بما جاء في التوراة كله آمنوا ببعض ما جاء به التوراة وكفروا ببعض

---

[1] (?) المؤمنون.

[2] (?) البينة.

[3] (?) منهاج السنة ج5/264.

2- اعتمادهم على التأويلات الفاسدة و الأقيسة المحرمة. أولوا كلام الله وحرفوا كتابه وغيروا معانيه بلا برهان.

3- ظلم بعضهم البعض والبغي بينهم والحسد والكبر وحب السيطرة والعلو على عباد الله.

4- التأثر بالديانات الوثنية الهندية القديمة والفلسفات اليونانية على ديانة اليهودية.

المبحث الثاني : بيان تفرق النصارى واختلافهم وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الأدلة على تفرق النصارى واختلافـهم

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن النصارى تفرقوا في الدين واختلفوا إلى أحزابٍ وطوائف شتى كل طائفة تكفّر الأخرى وتخرجه من الدين، بعد ما نسوا حظا مما ذكروا به وانحرفوا عن الحق الذي جابه عيسى عليه السلام وأدخلوا في دينهم الشرك والبدع والخرافات، وحرفوا الكلم عن مواضعه وبدلوا دين الله بأهوائهم واعتمدوا على ما جاء به كبراء هم، فألقى الله بينهم العداوة والبغضاء.

ومن أدلة الكتاب التي ذكرهـا شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- لهذا ما يأتي:

1- قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭼ[1]

فأخبر سبحانه أنّ النصارى تركوا حظًّا مما ذُكِروا بسبب ذلك أغرى بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، فعُلم أنه سبحانه بين أنهم تركوا بعض ما جاء به المسيح - عليه السلام - ومن قبله من الأنبياء واستحقوا لذلك أن يغرى بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة[2].

فوقوع العداوة والبغضاء بينهم دليل على تفرّقهم واختلافهم وتركهم لأمر الله وما جاءهم به المسيح عليه السلام من الهدى ودين الحق، ولم يردوا ما تنازعوا فيه إلى الله تعالى. كما سيتضح هذا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية إن شاء الله.

---

1 (?) المائدة.

2 (?) الجواب الصحيح ج2/ 223، 377. ومجموع الفتاوى ج 20/109.

2- قوله تعالى: ((ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ [1] أي كتبًا اتبع كل قوم كتابا مبتدعا غير كتاب الله فصاروا مختلفين، لأن أهل التفرق والاختلاف ليسوا على الحنفية المحضة التي هي الإسلام المحض الذي هو إخلاص الدين لله الذي ذكره في قوله : ﭽ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﭼ [2])) [3]

هذا يدل على أنهم تفرقوا وشاركوا اليهود وتنازعوا في أمر دينهم الذي هو التوحيد الذي هو كان أصل دينهم وأول ما نطق به المسيح عليه السلام ، والذي دعا جميع الأنبياء أممهم.

قال شيخ الإسلام وقد ((بيّن الله تعالى في القرآن: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ [4]

وأخبر تعالى أنّ أوّلَ شيء نطق به المسيح قوله: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ [5] وقوله سبحانه: ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﭼ [6] [7]

وبين أنَّ عيسى عليه السلام أقرَّ بما أقر به الأنبياء أنه عبد الله ورسوله وأن الله هو الحق المبين وأنه جاء بالإسلام الذي هو إخلاص العبادة الله وحده لا شريك له دين جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام فتقرر أن دين الأنبياء والرسل واحد هو تحقيق التوحيد وإن تنوع شرعهم.

---

1 (?) المؤمنون.

2 (?) البينة.

3 (?) منهاج السنة ج5/264.

4 (?) البقرة.

5 (?) مريم.

6 (?) المائدة.

7 (?) الجواب الصحيح ج2/ 10 ، 11، 172. وج4/ 32.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((فدين المرسلين كلهم دينٌ واحدٌ ويتنوع شرعهم ومِنهاجهم كتنوع شريعة الرسول الواحد، فإنّ دين المسيح هو دِين موسى وهو دِين الخليل قبلهما ودين محمد – عليهم الصلاة والسلام- بعدهما، مع أنّ المسيح كان على شريعة التوراة، ثم نسخ الله على لسانه ما نسخ منها، وهو قبل النسخ وبعده دينُه دين موسى ولم يهمل دين موسى.

وكذلك المسلمون هم على دين المسيح وموسى وإبراهيم وسائر الرسل وهم الذين اتبعوا المسيح ولهذا جعلهم الله فوق النصارى إلى يوم القيامة .

والنصارى الذين بدّلوا دين المسيح وكذبوا محمدًا بريئون من دين المسيح، والمسيح بريء منهم كبراءة موسى ممن بدل وغير دينه وكذب المسيح))[1] .

والمقصود أن أصل دينهم الصحيح[2] ليس فيه شرك فالشرك مبتدع عندهم. فإن أمر التوحيد عظيم عند الله فبتحقيقه سعادة الدنيا والآخرة، وبالتوحيد يجمع الله بين القلوب المتنافرة ويؤلف بينها.

((فإنّ الله إنما بعث الرسل بالتوحيد، فكل من آمن بالرسل والكتب لم يكن في أصل دينهم شرك؛ ولكن النصارى ابتدعوا الشرك، كما قال ﭽ ﭽ[3] فحيث وصفهم بأنهم أشركوا فلأجل ما ابتدعوه من الشرك الذي لم يأمر به، حيث ميزهم عن المشركين فلأن أصل دينهم اتباع الكتب المنزلة التي جاءت بالتوحيد لا بالشرك))[4] .

---

1 (?) الجواب الصحيح ج3/132، 133.

2 (?) كما جاء في إنجيل(مرقس) قول عيسى عليه السلام (الرب إلهنا إله واحد وليس سواه)/ 13:30-31.
ويذكر يوحنا قوله عليه السلام(وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله)/ يوحنا 8:40.

3 (?) التوبة.

وقال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ[1] **.**

والضال ضد المهتدي، وهو العادل عن طريق الحق بلا علم، وعدم العلم المأمور به والهدى بالمأمور ترك واجب، فأصل كفرهم ترك الواجب، وحينئذ تفرقوا في التثليث والاتحاد، ووقعت بينهم العداوة والبغضاء..

فنهاهم عن الغلو في دينهم وعن اتباع أهواء الذين ابتدعوا بدعا وغيروا بما شرع المسيح فضلوا من قبل هؤلاء الأتباع، وأضلوا كثيرا من هؤلاء الأتباع وغيرهم وضلوا عن سواء السبيل هو وسط السبيل بين الضلال، وقيده بعد أن أطلقه وأجمله))[2] .

قال في موضع آخر: ((وهو سبحانه خاطب النصارى بهذا لأن النصارى يعتمدون في دينهم على ما يقوله كبراؤهم الذين وضعوا لهم القوانين والنواميس، ويسوغون لأكابرهم الذين صاروا عندهم عظماء في الدين أن يضعوا لهم شريعةً وينسخوا بعض ما كانوا عليه قبل ذلك، لا يردون ما تنازعوا فيه من دينهم إلى الله ورسله بحيث لا يمكنون أحدا من الخروج عن كتب الله المنزلة كالتوراة والإنجيل، وعن اتباع ما جاء به المسيح ومن قبله من الأنبياء عليهم السلام.

ولهذا قال تعالى: ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ[3] .

بل ما وضعه لهم أكابرهم من القوانين الدينية والنواميس الشرعية بعضها ينقلونه عن الأنبياء وبعضها عن الحواريين، وكثير من ذلك ليس منقولا، لا على عن

---

4 (?) مجموع الفتاوى ج14/92 وج28/608، وج32/ 179 والجواب الصحيح ج3/113.

1 (?) المائدة.

2 (?) مجموع الفتاوى ج20/109 والجواب الصحيح ج2/377.

3 (?) المائدة آية: (68).

الأنبياء ولا عن الحواريين بل من وضع أكابرهم وابتداعهم)) [1] .

هذا يبين أن الله تعالى قد حذّر النصارى من اتباع الأهواء، وترك نصوص الكتاب، وأمرهم بالإيمان به وبالكتاب كله؛ فتركوا أمره واتبعوا ما وضعه الكبراء وقال به العظماء من البدع والأهواء فأذلهم الله وهذا مصير وجزاء كل من يتبع أمر الكبراء والعظماء في أهوائهم ويترك أمر الله.

وقال في موضع آخر: ((وكانت بنو إسرائيل أمةً قاسيةً، عاصيةً: تارة يعبدون الأصنام والأوثان، وتارة يعبدون الله، وتارة يقتلون النبيين بغير حق. وتارة يستحلون محارم الله بأدنى الحيل. فلعنوا أولا على لسان داود؛ وكان من خراب بيت المقدس ما هو معروف عند أهل الملل كلهم.

ثم بعث الله المسيح بن مريم رسولا قد خلت من قبله الرسل، وجعله وأمه آية للناس؛ حيث خلقه من غير أبٍ؛ إظهارا لكمال قدرته، وشمول كلمته، حيث قسم النوع الإنساني الأقسام الأربعة. فجعل آدم من غير ذكر ولا أنثى. وخلق زوجه حواء من ذكر بلا أنثى . وخلق المسيح بن مريم من أنثى بلا ذكر. وخلق سائر هم من الزوجين الذكر والأنثى. وآتى عبده المسيح من الآيات البيّنات ما جرت به سنته: فأحيا الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص، وأنبأ الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، ودعا إلى الله وإلى عبادة الله، متبعا سنة إخوانه المرسلين، مصدقا لمن قبله، ومبشرا بمن يأتي بعده.

وكان بنو إسرائيل قد عتوْا وتمَرَّدُوا، وكان غالب أمره اللّين والرحمة، والعفو والصفح، وجعل في قلوب الذين اتبعوه رأفةً ورحمةً، وجعل منهم قِسِّيسين ورهبانًا.

فتفرق الناس في المسيح عليه السلام ومن اتبعه من الحواريين ثلاثة أحزاب:

---

[1] (?) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج3/172، 173.

أ-قوم كذبوه وكفروا به، وزعموا أنه ابن بغي[1] ، ورموا أمه بالفرية ونسبوه إلى يوسف النجار، وزعموا أن شريعة التوراة لم ينسخ منها شيء، وأن الله لم ينسخ ما شرعه، بعد ما فعلوه بالأنبياء، وما كان عليهم من الآصار في النجاسات والمطاعم.

ب- وقوم غلوا فيه، وزعموا أنه الله، أو ابن الله[2] وأن اللاهوت تدرع الناسوت، وأنّ ربّ العالمين نزل، وأنزل ابنه ليصلب ويقتل؛ فداء لخطيئة آدم عليه السلام، وجعلوا الإله الأحد، الصمد، الذي لم يلدْ، ولم يولدْ، ولم يكن له كفؤا أحد. قد ولد، وتخذ ولدا؛ وأنه إله، حي، عليم، قدير، جوهر واحد، ثلاثة أقانيم، وأن الواحد منها أقنوم الكلمة، وهي العلم، وهي تدرعت الناسوت البشري، مع العلم بأن أحدهما لا يمكن انفصاله عن الآخرين؛ إلا إذا جعلوه ثلاثة آلهة متباينة. وذلك ما لا يقولونه.

ج- وتفرقوا في التثليث والاتحاد تفرقا، وتشتتوا تشتتا؛ لا يقر به عاقل.

ولم يجئ نقل إلا كلمات متشابهات في الإنجيل وما قبله من الكتب، قد بيّنَتْها محكمات في الإنجيل وما قبله، كلها تنطق بعبودية المسيح، وعبادته لله وحده، ودعائه، وتضرعه.

فأرباب التثليث في الوحدانية والاتحاد في الرسالة قد دخل في أصل دينهم من الفساد ما هو بيّنٌ بفطرة الله التي فطر الناس عليها، وبكتب الله التي أنزلها.

---

1 (?) عليهم لعنة الله إلى يوم القيامة.

2 (?) تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا

ولهذا كان عامة رؤسائهم- من القسيسين، والرهبـان، وما يـــــــــــدخل فيهم من البطارقة[1] ، و المطارقة[2] ، والمطارنة[3] والأساقفة[4] – إذا صـار الرجـلُ منهم فاضـلاً ممـيزاً ينحل عن دينـه، ويصـير منافقًـا، وعـامتهم رضي بالرياسة عليهم، وبما يناله من الحظـوظ؛ [وبعضـهم قـد] أقـروا بـأنهم ليسـوا على عقيـدة النصـارى؛ وإنما بقـاؤهم على ما هم عليه لأجل العـادة والرياسـة، كبقـاء الملـوك والأغنياء على ملكهم وغنـاهم، ولهـذا تجد غـالب فضـلائهم إنما همة أحـــدهم نـــوع من العلم الرياضـــي؛ كـــالمنطق، والهيئة والحساب، والنجوم؛ أو الطبيعي، كالطب، ومعرفة الأركـــــان، أو التكلم في الإلهي على طريقة الصـــــابئة الفلاسفة الذين بعث إليهم إبراهيم الخليل عليه السلام قد نبذوا المسيح والرسل الـذين قبله وبعـده وراء ظهـورهم، وحفظوا رسوم الدين، لأجل الملوك والعامة.

وأما الرهبان فأحدثوا من أنواع المكر والحيل بالعامة ما يظهر لكل عاقل.

ثم إنّ هؤلاء عمدوا إلى الشريعة التي يعبدون الله بها فناقضوا الأولين من اليهود؛ مع أنهم يأمرون بالتمسك بالتوراة؛ إلا ما نسخه المسيح.قصر هؤلاء في الأنبياء حتى قتلوهم. وغلا هؤلاء فيهم حتى عبدوهم وعبدوا تماثيلهم)) [5] .

---

[1] (?) البطارقة جمع بطريق، والبطريق الحاذق بالحرب وأمور الحرب، بلغة الروم، وهو ذو منصب ويقدم عندهم، وقيل البطريق المختال المزهو./ انظر: دلائل النبوة للأصفهاني ص 95 وتاج العروس ج1/6212، 6655.

[2] (?) المطارقةهم البطارقة

[3] (?) المطارنةهم البطارقة

[4] (?) الأساقفة جمع الأسقف وإنما سمي أسقفاً لخشوعه، من الأسقف وهو الطريق المنحني/ الفائق للزمخشري ج 11/180، دار المعرفة_ لبنان_ ط:2، تحقيق علي محمد البخاري_ محمد الفضل إبراهيم.

[5] (?) مجموع الفتاوى ج28/606-608، 609، 611.

وقد ذكر شيخ الإسلام أمثلة كثيرة تبين تناقض أقوال طوائف النصارى واضطرابهم واختلافهم في (طبيعة المسيح) ما لم يأت به الكتاب أو يقبله العقل السليم قال شيخ الإسلام في قولهم المتباين في المسيح -عليه السلام-:

((وأما قولهم: وعلى المثال نقول: في السيد المسيح طبيعتان:

طبيعة لاهوتية: التي هي كلمة الله وروحه.

وطبيعة ناسوتية: التي أخذت من مريم العذراء، واتحدت به.

فيقال لهم: كلام النصارى في هذا الباب مضطربٌ مختلفٌ متناقضٌ، وليس لهم في ذلك قول اتفقوا عليه، ولا قول معقولٌ، ولا قولٌ دلَّ عليه كتابٌ، بل هم فيه فِرَقٌ وطوائف، **كل فرقة تُكفِّر الأخرى،**

كاليعقوبية[1]، و **الملكانية**[2]، **والنسطورية**[3]، ونقل الأقوال عنهم في ذلك مضطربة، كثيرة الاختلاف.

ولهذا يقال: لو اجتمع عشرة نصارى لتفرقوا على أحد عشر قولا، وذلك أن ما هم عليه من اعتقادهم من التثليث والاتحاد، كما هو مذكور في أمانتهم، لم ينطق به شيء من كتب الأنبياء، ولا يوجد لا في كلام المسيح ولا الحواريين ولا أحد من الأنبياء، **لكن عندهم في الكتب**

---

1 (?)اختلفت الآراء والأقوال في سبب تسمية اليعقوبية. يقول ابن العميد في تاريخه: "إنهم أتباع ديسقرس بطريرك الاسكندرية، وإنما سموا بذلك لأن اسمه كان في الغلمانية يعقوب". وقيل، بل نسبوا إلى يعقوب البردغاني تلميذ سويسرس بطريرك أنطاكية وكان راهباً بالقسطنطينية، فكان يطوف في البلاد ويدعو إلى مذهب ديسقرس، وغير ذلك من الأقوال. ويدور مذهبهم على القول إن المسيح هو الله، وقالوا بالأقانيم الثلاثة، إلا أنهم قالوا إن الكلمة انقلبت لحماً ودماً، فصار الإله هو المسيح وهو الظاهر بجسده، بل هو هو، فهم يقولون باتحاد الله بالإنسان في طبيعة واحدة هي المسيح، فالله باعتقادهم هو المسيح، فمات وصلب وقتل، وبقي العالم ثلاثة أيام بلا مدبر،ومنهم من يقول ظهر اللاهوت بالناسوت فصار ناسوت المسيح مظهر الحق لا على طريق حلول جزء فيه ولا على سبيل اتحاد الكلمة التي هي في حكم الصفة، بل صار هو هو كما يقال: ظهر الملك بصورة إنسان وظهر الشيطان بصورة حيوان، وكما أخبر التنـزيل عن جبريل(ع) بقوله تعالى. وأكثرهم يقول إن المسيح جوهر واحد إلا أنّه من جوهرين، وربما قالوا طبيعة واحدة في طبيعتين/ انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأهواء وإظهار محاسن الإسلام/لمحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج القرطبي ص127،243/ دار التراث العربي-القاهرة: 1398.-تحقيق د. أحمد حجازي السقا. والملل والنحل/لمحمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني ج 1/224. دارالمعرفة-بيروت:1404هـ تحقيق محمد سيد الكيلاني.

2 (?)قيل سموا كذلك لأنهم أيدوا القرار الذي نصره قسطنطين في المجمع الذي جمعه، وقيل لأنهم أيدوا القرار

ألفاظا متشابهة وألفاظا محكمة يتنازعون في فهمها، ثم القائلون منهم بالأمانة، وهم عامة النصارى اليوم من الملكانية، والنسطورية، واليعقوبية، مختلفون في تفسيرها، ونفس قولهم متناقض يمتنع تصوره على الوجه الصحيح.

وقد يوجد نقل الناس لمقالاتهم مختلفا، وذلك بحسب قول الطائفة التي ينقل ذلك الناقل قولها،

الذي اتّخذه مجمع خلقدونية عام 451م، ضد بدعة أوطيخا المونوفيزية القائلة بطبيعة واحدة للمسيح، فلقبهم مخالفوهم بالملكيين لوقوفهم في مرقيانوس الذي كان يعاضد المجمع. ومعتقدهم أن جزءاً من اللاهوت حلّ في الناسوت وقد ذهبوا إلى أن الكلمة وهي أقنوم العلم عندهم اتّحدت بجسد المسيح وتدرّعت بناسوته ومازجته ممازجة الخمر للّبن أو الماء للّبن لا يسمون العلم قبل ترعه ابنا، بل المسيح وما تدرع به هو الابن، وكما يقولون إن الجوهر غير الأقانيم كما في الموصوف والصفة مصرّحين بالتثليث قائلين بأن كلاً من الأب والابن وروح القدس إله". يقولون "إنّ المسيح قديم أزلي من قديم أزلي وإن مريم ولدت إلهاً أزلياً فيطلقون الأبوة والبنوة على الله تعالى وعلى المسيح حقيقة"، ويقولون: "إن المسيح ناسوت كلي لا جزئي، وإن القتل والصلب وقعا على الناسوت واللاهوت معاً". **وهؤلاء انتشروا في سوريا ومصر والأردن وفلسطين ويتكلم معظمهم العربية**/ انظر:الملل والنحل ج1/221 والفصل في الملل ج1/91.

[3] (?) فرقة نشأت في عهد المـأمون العباسـي، ينسـبون إلى نسطور الحكيم بطريرك القسـطنطينية. وذكر الشهرسـتاني: إنه تصرف في الأناجيل بحكم رأيه وقال: إن الله تعـالى واحد ذو أقـانيم ثلاثـة: الوجـود والعلم والحيـاة، وإن هـذه الأقـانيم. ليست زائـدة على الـذات ولا هي هـو، وأن الكلمة اتحـدت بالجسد لا على سـبيل الامـتزاج كما قـالت الملكانية، ولا على طريق الظهور كما قـالت اليعقوبيـة، لكن كإشـراقة الشـمس في كـوة على بلـورة، وكظهـور النقش في الشـمع إذا طبع بالخاتم، وأن مـريم لم تلد إلهـاً وإنما ولـدت إنسـاناً، وأن الله تعـالى لم يلد الإنسـان وإنما ولد الإلـه، واللاهـوت والناسـوت

والقول الذي يحكيه كثير من نظار المسلمين يوجد كثير منهم على خلافه، كأبي المعالي[1] وصاحبه أبو القاسم الأنصاري [2] وغيرهما.

ومِنْ أخبر الناس بمقالاتهم مَنْ كان من علمائهم وأسلم على بصيرةٍ بعد الخبرة بكتبهم، ومقالاتهم، كالحسن بن أيوب[3] الذي كتب رسالة إلى أخيه علي بن

عندهم جـوهران أقنومـان وإنما اتحـدا في المشـيئة.يخـالفون في القتل والصـــلب مـــذهب الملكانية واليعقوبية جميعـــاً، فيقولـــون: إن القتل والصـــلب وقعا على المســـيح من جهة ناســـوته، لا من جهة لاهوتـــه، لأن الإله لا تحله الآلام. هـــذه الفرقة انتشـرت بين نصـارى المشـرق من الجزيـرة الفراتية والموصل والعـــراق وفـــارس./ انظر الملل والنحل ج1/223 والفصل ج1/58.

[1] (?) **هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف** بن محمد الجويني، إمام الحرمين – الشافعي الجويني ثم النيسابوري ضياء الدين صاحب التصانيف.
ولد في أول سنة تسع عشرة وأربعمائة. وسمع من أبيه ، لأبي المعالي كتاب ((نهاية المطلب في المذهب))ثمانية أسفار، وكتاب ((والإرشاد في أصول الدين))، وكتاب ((الرسالة النظامية في الأحكام الإسلامية)) وكتاب ((مدارك العقول)) وكتاب((غياث الأمم)) وكتاب((غنية المسترشدين)) في الخلافة. وتوفي في الخامس والعشرين من ربيع الآخر، سنة ثمان وسبعين وأربعمائة./ السير ج18/ 468، 469، 475، 476.

[2] (?) **هو سليمان بن ناصر بن عمران بن محمد الأنصاري النيسابوري الأرغاني- أبو القاسم** من الأئمة في علم الكلام- صنف الغنية في فقه الشافعي، إمام المتكلمين تلميذ إمام الحرمين، وكان يتوقد ذكاءً، له تصانيف وشهرة وزهد وتعبد، شرح كتاب ((الإرشاد)) وغير ذلك مات سنة عشرة وخمسمائة/ السير ج19/212.

[3] (?) الحسن بن أيوب من المتكلمين وله من الكتب كتاب إلى أخيه علي بن أيوب في الرد على النصارى وتبيين فساد مقالتهم وتثبيت النبوة /الفهرست لابن النديم ج1/ص246

أيوب، يذكر فيها سبب إسلامه، ويذكر الأدلة على بطلان دين النصارى، وصحة دين الإسلام[1] .

ومما يدل على تناقض النصارى أيضا أنهم يقولون: إن المسيح وهو اللاهوت والناسوت شخص واحد و أقنوم واحد، مع قولهم أنهما جوهران بطبيعتين ومشيئتين فيثبتون للجوهرين و أقنومًا واحدًا، ويقولون: هو شخص واحد، ثم يقولون: إن رب العالمين إله واحد، وأقنوم واحد، وجوهر واحد، وهو ثلاثة أقانيم، فيثبتون للجوهر الواحد ثلاثة أقانيم، وللجوهرين المتحدين أقنومًا واحدًا، مع أن مشيئة الأقانيم الثلاثة عندهم واحدة، والناسوت واللاهوت يثبتون لهما مشيئتين وطبيعتين، ومع هذا هما عندهم شخص واحد، و أقنوم واحد، وهذا يقتضي غاية التناقض، سواء فسروا الأقنوم بالصفة، أو الشخص، أو الذات مع الصفة، أو شيء قالوه.

وهذا يبين أنهم جهّال يتكلمون في الدين بغير علم ويتقوّلون على الله بغير الحق، بخلاف ما يقوله الأنبياء فإنه حق، فلهذا لا يوجد عن المسيح، ولا غيره من الأنبيــاء ما يوافق قولهم في التثليث، و الأقانيم والاتحاد، ونحو ذلك مما ابتدعوه بغير سمع وعقل، بل ألقوا أقوالا مخالفة للشرع والعقل))[2] .

بالجملة: - فعامة أنواع العبادات والأعياد التي هم عليها لم ينزل بها الله كتابًا، ولا بعث بها رسولاً؛ لكن فيهم رأفةٌ ورحمةٌ، وهذا من دين الله؛ بخلاف الأولينَ؛ فإنّ فيهم قسوةً ومقتًا، وهذا مما حرمه الله تعالى، لكن

محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، دار النشر: دار المعرفة - بيروت - 1398 - 1978

1 (?) قد تكلم كلاما جميلا راجعه في الجواب الصحيح ج4/88 وهي نفس الصفحة.

2 (?) الجواب الصحيح ج4/76، 77، 88، 95، 96.

الأولون لهم تمييزٌ وعقلٌ مع العناد والكبر. والآخر فيهم ضلالٌ عن الحق وجهلٌ بطريق الله[1]

- فإنّ هاتين الأمتين تفرقا أحزابًا كثيرةً في دينهم واعتقادهم في معبودهم وفي رسولهم؛ **هذا يقول**: إن جوهر اللاهوت والناسوت صار جوهرًا واحدًا وطبيعة واحدة وأقنوما واحدا وهم **اليعقوبية.**

وهذا يقول: بل جوهران وطبيعتان وأقنومان وهم **النسطورية.**

وهذا يقول: بالاتحاد من وجه دون وجه وهم **الملكانية**[2]

فأقوالهم كما قال شيخ الإسلام كلها مضطربة متضاربة واعتقاداتهم في المسيح متناقضة وهذا هوحال كل من أعرض عن كتاب الله المستبين وصراطه المستقيم وترفّع نفسه عن الاعتصام بالحق فإنه لا يقام له دين صحيح ولا يستقيم له أمرٌ ولا يطمئن له قلبٌ، بل تخبط واضطراب وتقلب وانحراف وهلاك وعداوة وبغضاء بحسب ذلك.

4- اختلاف اليهود والنصارى فيما بينهم

بين شيخ الإسلام ابن تيمية اختلاف اليهود والنصارى فيما بينهم في أمور كثيرة ومن جملة ذلك ما يلي:

أ- **اختلفوا في يوم الجمعة**. وهو اليوم الذي يكون فيه الاجتماع، فاليوم الذي أمروا به الجمعة، فعدلت عنه الطائفتان؛ فهذه أخذت السبت وهذه أخذت الأحد. كما تقدم في الحديث.

ب- **واختلفوا في القبلة**. فمنهم من يصلي إلى المشرق، ومنهم من يصلي إلى المغرب. وكلاهما مذموم لم يشرعه الله.

---

1 (?) مجموع ج20/611.

2 (?) مجموع الفتاوى 28/612.

ج- **واختلفوا في** ((**إبراهيم**)) . قالت اليهود كان يهوديا، وقالت النصارى كان نصرانيا. وكلاهما كان من الاختلاف المذموم ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﭼ[1] .

د- **واختلفوا في** ((**عيسى**))**.** جعلته اليهود ابن بغية، وجعلته النصارى إلها.

و- واختلفوا في((**الكتب المنزلة**)). آمن هؤلاء ببعض، وهؤلاء ببعض.

ر- واختلفوا في ((الدين)). أخذ هؤلاء بدين، وهؤلاء بدين.

ومن هذا الباب قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ[2] [3]

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في اختلاف النصارى وتفرقهم صفحات طويلة ونصوصا كثيرة بسطها يحتاج إلى مجلدات وذلك من شدة تناقضهم وكثرة اختلافهم في دينهم حتى **قال شيخ الإسلام**: ((ويقال لو اجتمع عشرة من النصارى لافترقوا على أحد عشر قولا))[4] من شدة الاختلاف والتفرق والاضطراب في القول والمعتقد ومخالفة العقل والمنقول الصحيح.

والمقصود: أن عامة الدين الذي عليه النصارى ليس مأخوذاً عن المسيح، بل هو مما ابتدعته طائفة منهم وخالفهم في ذلك آخرون وأنه كان بينهم من العداوة والاختلاف في إيمانهم وشرائعهم ما يصدق قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ[5] .

---

1 (?) آل عمران.

2 (?) البقرة آية: (113).

3 (?) منهاج السنة ج5/259، 260.

4 (?) مجموع الفتاوى ج17/77.

5 (?) الجواب الصحيح ج4/379

المطلب الثاني : بيان سبب تفرق النصارى واختلافهم ونتيجة ذلك

بين شيخ الإسلام ابن تيمية هنا الأسباب التي أدت إلى تفرق النصارى واختلافهم في الدين وهي أسباب كثيرة ينبغي للمسلم أن يعرفها ويتجنب عنها حتى لا يقع فيما وقعوا فيه ويعتبر، وألا تقع هذه الأمة كذلك فيما وقعت فيه تلك الأمم فتهلك كما هلكوا ﭽ ﯼ ﯽ ﯾ [illegible] ﭼ[1] ولتأخذ الحيطة والحذر وإن كانت هي أفضل الأمم كما وردت في النصوص.

من أعظم تلك الأسباب وأهمّها الأمـور الآتية:

<u>أولا</u>: ترك الاعتصام بالكتب المنزلة في ذلك :

و يتضمن هذا:

1- الإيمان ببعض نصوص الكتاب دون بعض.

2- التأويل الفاسد والتبديل والتحريف والقول على الله بغير علم

3- الشرك والغلو والبدع المضلة واتباع أمر السادات والكبراء المخالف لأمر الله.

4- الظلم والبغي والحسد وهو جنس ما أوقع اليهود في التفرق والاختلاف كما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يأتي بيانه إن شاء الله.

وأما السبب الأول وهو الإيمان ببعض النصوص دون بعضها والكفر ببعضها دون بعض وهو نسيان حظ مما ذكروا به

وقد بينه شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: ((والسبب الذي أوقع هؤلاء في الكفر ببعض ما أنزله هو من جنس ما أو قع الأولين في الكفر بجميع ما أنزل الله في كثير من المواضع، فإنّ من تأمّل وجد شبه اليهود والنصارى ومن تبعهم من الصابئين في الكفر بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم؛ هي من جنس

---

[1] (?) الفتح.

شبه المشركين والمجوس ومن معهم من الصابئين في الكفر بجنس الكتاب، وبما أنزل الله على رسله في كثير من المواضع، فإنهم يَعْتَرِضون على آياته، وعلى الكتاب الذي أنزل معه، وعلى الشريعة التي بعث بها، وعلى سيرته بنحو مما اعترض به على سائر الرسل مثل موسى وعيسى)).[1]

وهذا كما قال-تعالى- عن أهل الكتاب: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤﭥ ﭼ[2] .

فأخبر أن نسيانهم حظًا مما ذكِّروا به وهو ترك العمل ببعض ما أمروا به كان سببًا لإغراء العداوة والبغضاء بينهم، وهكذا هو الواقع في أهل ملتنا مثلما نجده بين الطوائف المتنازعة في أصول دينها وكثير من فروعه من أهل الأصول والفروع؛ ومثلما نجده بين العلماء وبين العباد ممن يغلب عليه الموسوية أو العيسوية، حتى يبقى فيهم شبه من الأمتين اللتين قالت كل واحدة ليست الأخرى على شيء.

كما نجد المتفقه المتمسك من الدين بالأعمال الظاهرة والمتصوف المتمسك منه بأعمال باطنة، كل منهما ينفي طريقة الآخر، ويدَّعى أنه ليس من أهل الدين، أو يعرض عنه إعراض من لا يعده من الدين فتقع بينهما العداوة والبغضاء))[3] .

((وأهل الكتاب منهم من يؤمن بجنس الرسالة لكن يكذب بعض الرسل، كالمسيح ومحمد، فهؤلاء لما آمنوا ببعض وكفروا ببعض كانوا كافرين.

فمتى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به، وقعتْ بينهم العداوة والبغضاء، وإذا تفرق الناس فسدوا وإذا

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج12/16.

2 (?) المائدة آية(14).

3 (?) مجموع الفتاوى ج1/ 14، 15 وج 3/421 وج4/104و منهاج السنة ج6/310.

اجتمعوا صلحوا وملكوا فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب))[1]

فقد تبين من كلام شيخ الإسلام أن سبب وقوع النصارى في التفرق والاختلاف في الدين هو التمسك ببعض نصوص الكتاب دون بعض.

السبب الثاني: الـتأويلات الفاسدة

والمراد بالتأويل الفاسد هنا هو تفسير كلام الله وكلام رسوله على غير مراد هما ودون الرجوع إلى ما يبين مراد الله ورسوله من المحكمات، فهذا من أعظم الأسباب الموجبة للتفرق في الدين، وإنكار بعض الحق الذي جاء من عند الله، وكل من أنكر بعض نصوص الحق لابد أن يقوم بحملها وتفسيرها على غير مراد الله، وهو التأويل الفاسد **ليقرر باطله، وهذا لا يليق بكلام الله ورسوله أن يحمل على غير مرادهما**

ولهذا ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنّه: ((لا بد أن يكون في كلام الأنبياء- صلوات الله عليهم وسلامه- أجمعين، من الهدى والبيان ما يفرق الله به بين الحق والباطل، والصدق والكذب، لكن الناس من قبل أنفسهم، لا من قبل أنبياء الله- تعالى.

إما من كونهم لم يتدبروا القول الذي قالته الأنبياء حق التدبر حتى يفقهوه ويفهموه.

وإما من جهة أخذهم ببعض الحق دون بعض، مثل أن يؤمنوا ببعض ما أنزل الله دون بعض، فيضلون من جهة ما لم يؤمنوا به، كما قال تعالى عن النصارى:

ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭼ[2] .

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج3/421، وانظر:ج13/ 227، وج 19/186.

[2] (?) المائدة آية : (14).

وإما من جهة نسبتهم إلى الأنبياء ما لم يقولوه من أقوال كذبت عليهم، ومن جهة ترجمة أقوالهم بغير ما تستحقه من الترجمة، وتفسيرها بغير ما تستحقه من التفسير الذي دل عليه كلام الأنبياء- صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- فإنه يجب أن يفسر كلام المتكلم بعضه ببعض، ويؤخذ كلامه ها هنا وها هنا، وتعرف ما عادته يعنيه ويريده بذلك[1] اللفظ إذا تكلم به، وتعرف المعاني التي عرف أنه أرادها في موضع آخر، فإذا عرف عرفه وعادته في معانيه وألفاظه، كان هذا مما يستعان به على معرفة مراده.

وأما إذا استعمل لفظه في معنى لم تجر عادته باستعماله فيه، وترك استعماله في المعنى الذي جرت عادته باستعماله فيه، وحمل كلامه على خلاف المعنى الذي قد عرف انه يريده بذلك اللفظ بجعل كلامه متناقضًا، وترك حمل على ما يناسب سائر كلامه كان ذلك تحريفاً لكلامه عن موضعه، وتبديلا لمقاصده وكذباً عليه. فهذا أصل مَنْ ضلّ في تأويل كلام الأنبياء على غير مرادهم))[2] .

قال في موضع آخر: ((ولكن هؤلاء النصارى سلكوا في القرآن ما سلكوه في التوراة والإنجيل يَدَعون النصوصَ المحكمة الصريحة البينة الواضحة التي لا

---

1 (?) وقد زل في هذا كثير من الناس خاصة في هذا العصر حيث كفروا بعض علماء السلف الذين لهم يد في الدفاع عن عقيدة سلف الأمة ضللوهم أو طعنوا فيهم أو هجروهم بسبب لفظ استعمله، سبب ذلك كله يرجع إلى ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية هنا ولهذا ينبغي كثرة مطالعة كتب السلف الصالح والعلماء الربانيين ولا نأخذ طرفا واحدا من كلامهم فنحكم عليهم بالجهل أو الضلال أو الانحراف عن الصراط إذا لم يكن ذلك القول من مراده أو وُجد قوله في موضع آخر يخالف هذا القول الخطأ فيحمل عليه ويفسر بلغته وعادته في كلامه .

2 (?) الجواب الصحيح ج4/43ـ 44.

تحتمل إ لا معنىً واحدا ويتمسّكون بالمتشابه المحتمل وإن كان فيه ما يدل على خلاف مرادهم كما قال تعالى فيهم وفي أمثالهم في سورة آل عمران ﭽ   ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ   ﯕ ﭼ[1]))[2] .

((فإنهم نقلوا عن المسيح أنه قال : - ((عمِّدوا الناس باسم الأب وروح القدس)[3]، وهذا إذا قاله المسيح فإنه يفسر بلغته وعادته في خطابه وعادة سائر الأنبياء، وليس في كلام المسيح، ولا في كلام سائر الأنبياء، ولا كلام غيرهم أن كلمة الله القائم بذاته سبحانه وتعالى تسمى ابنا، ولا روح قدس، ولا تسمى صفته القديمة، ابنًا، ولا روح قدس، ولا يوجد قط في كلام الأنبياء اسم الابن واقعًا إلا على مخلوق.

وأنّ المسيح قال للحواريين: (أبي وأبيكم)[4] ، فجعله أبًا للجميع، وهم كلهم مخلوقون فيكون اسم الابن واقعًا على المسيح الذي هو ناسوت مخلوق، فعمد هؤلاء الضلال فجعلوا اسم الابن واقعًا على اللاهوت قديم أزلي مولود غير مخلوق.

وزعموا أن الابن يراد به الابن بالوضع، وهو المخلوق، وهو الابن بالطبع، وهو القديم الأزلي المولود غير المخلوق، وهذا التفريق هم أحدثوه وابتدعوه، ولا يوجد في كلام المسيح ولا غيره أنه سمى القديم الأزلي ابنًا، ولا جعل له ابنًا قديمًا مولوداً غير مخلوق، ولا سمى شيئًا من صفات الله قط ابنًا))[5] .

فهذا كله ناجم عن التأويلات الباطلة والجهل المركب بعضها فوق بعض. فالتأويلات الفاسدة هي التي أضلت

---

[1] (?) آل عمران آية (7).

[2] (?) الجواب الصحيح ج3/125.

[3] (?) إنجيل ((متى)) الإصحاح الثامن والعشرين/19.

[4] (?) إنجيل ((يوحنا)) الإصحاح العشرون/ العهد الجديد ص 186.

[5] (?) الجواب الصحيح ج3/133، 134.

الأمم وأوقعت الفرقة والاختلاف فيما بينهم وأفسدت دينهم ودنياهم.

فإن كلام الله وكلام رسله بين وواضح مستقيم ومتفق، وأن العيب في الناس وفي فهمهم لنصوص الكتاب وأقوال الأنبياء والرسل، لا في كلام الله وفي بيان رسله.

قال ابن القيم -رحمه الله- مؤكدا: ((وأما فساد دين النصارى من جهة التأويل فأدل ذلك ما عرض في التوحيد الذي هو عمود الدين، فإن سلف المثلثة قالوا في الربوبية بالتثليث وحديث الأقانيم، والأب، والابن ، وروح القدس، ثم اختلف من بعدهم في تأويل كلامهم اختلافاً تباينوا به غاية التباين، وإنما عرض لهم هذا الاختلاف من جهة التأويلات الباطلة، وكانت حالهم فيما جنت عليهم التأويلات الباطلة أفسد حالا من اليهود))[1] .

فهذه التأويلات الباطلة هي أكبر مصيبة على نصوص الكتب السماوية وأديان الرسل وأممهم، والتقوّلٌ ولاافتراءٌ على الله تعالى وظلم الخلق.

والسبب الثالث : حب الدنيا وحطامها والتنافس إليها، والطمع المفرط في الرياسة وهو سبب للبغي والظلم الذي يؤدي إلى التفرق والاختلاف كما نقل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية عن بعض السلف في تفسير قوله تعالى (ﭼ ﮗ ﮞﮟ ﭽ)[2] قـال ((بغيا على الدنيا وطلب ملكها وزخرفها وزينتها أيهم يكون له الملك والمهابة في الناس فبغى بعضهم على بعض وضرب بعضهم رقاب بعض))[3] .

فحُبُّ الدنيا والعلو والرياسة والتعالي على الناس والتكبر عليهم رأس كل شرٍّ و مغلاق لكل خير ومبدأ كل ظلم وطريق إلى كل فساد في الأرض، فقد حمل ذلك

---

1 (?) الصواعق المرسلة ج1/359.

2 (?) البقرة آية: (213).

3 (?) مجموع الفتاوى ج16/514.

هؤلاء على التفرق والطغيان والتمرد على أوامر الله واستهانة رسله عليهم الصلاة والسلام.

أما السبب الرابع: فهو الشرك بالله والغلو في الأنبياء والصالحين

فقد بين الله سبحانه هذا في كتابه فأمرهم باتباع الحق بدليله ونهاهم عن الشرك والغلو في الأنبياء والصالحين فلم يطيعوا أمره، وأنهم قد سوَّغوا لأكابرهم التصرف في الأمر الشرعي بأهوائهم وتغيير دينه بآرائهم.

قال تعالى: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ[1].

وقال تعالى ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭼ[2] .

((وهو سبحانه خاطب النصارى بهذا لأن النصارى يعتمدون في دينهم على ما يقوله كبراؤهم الذين وضعوا لهم القوانين والنواميس.

ويسوغون لأكابرهم الذين صاروا عندهم عظماء في الدين أن يضعوا لهم شريعة، وينسخوا بعض ما كانوا عليه قبل ذلك، لا يردون ما يتنازعون فيه من دينهم إلى الله ورسله بحيث لا يمكنون أحدا من الخروج عن كتب الله المنزلة)).[3]

ثانيا: تأثيرات الديانات الوثنية القديمة والفلسفات اليونانية

ومثال ذلك ما قام به (بولس) والدور الذي لعبه في هذا الباب مما أفسد دين النصارى وفرقهم إلى أحزاب شتى.

وقد أدخل في دينهم التثليث وعبادة المسيح عليه السلام، بحيث اطلع على ثقافات متنوعة، يونانية ومصرية قديمة، وخاصة الفلسفة الأفلاطونية الإغريقية

---

1 (?) التوبة.

2 (?) المائدة.

3 (?) الجواب الصحيح ج3/172، 173.

التي استطاعت أن تغير مسار العقيدة الإلهية في النصرانية، إذ ظهرت قبلها(والسابق أستاذ اللاحق وصاحب السلطان أقوى في التأثير على الأضعف المنقاد، وهذا ما قرره فيما بعد مجمع(نيقية)[1] عام 325م والذي أقر الثالوث و الأقانيم.[2]

هذا فعلى المسلم أن يحذر من هذين الشبيهين الفاسدين: مِنْ حال قومٍ فيهم استكبارٌ، وقسوةٌ عن العبادة والتأله، وقد أوتيَ نصيبًا من الكتاب وحظًّا من العلم.

وقوم فيهم عبادة، وتأله بإشراك بالله وضلال عن سبيل الله، ووحيه وشرعه، وقد جعل في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها. وهذا كثير منتشر في الناس والشبه يقل تارة ويكثر أخرى.

فأما المستكبرون المتألهون لغير الله الذين لا يعبدون الله وإنما يعبدون غيره للانتفاع به، فهؤلاء يشبهون فرعون[3] .

---

1 (?) مجمع النيقية هو مجمع الذي قام النصارى فيه بوضع الأمانة المبتدعة وضعها الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً في مدينة نيقية مع قسطنطين/انظر الجواب الصحيح ج4/240 وج6/346.

2 (?) أضواء على المسيحية لمتولي يوسف شلبي ص33 . الدار الكويتية ط: 2. 1973. ويقول د. محمد فريد وجدي : ((نعم كان الثالوث موجودا في ديانة المصريين بالنسبة لآلهتم الوطنية وقد اندثرت تلك الديانة والثالوث الهندي موجود الآن لدى الملايين من الناس في الهند والصين، وهو أن البراهمة يعتقدون أن الخالق تجسد أولا في (برهما) ثم في(قشنو) ثم في (سيفا) ويصورونهم ملتصقين إشارة إلى هذا التجسد الثلاثي)) العقائد الوثنية في الديانة الهند القديمة ص 55.وكتاب العبادات في الأديان السماوية اليهودية- المسيحية- الإسلام ص206.

3 (?) مجموع الفتاوى ج7/634.

وكان الواجب على الجميع فعل جميع ما أمر الله به وترك جميع ما نهاهم عنه وهو فعل كل الواجبات وترك كل الواجبات بلا استثناء أو اتباع فيها أمر الكبراء وآرائهم الموافقة لأهوائهم وهذا أصل كفرهم وسبب تفرقهم بالجملة كما بينه شيخ الإسلام في موضع آخر قال:

((فأصل كفرهم ترك الواجب، وحينئذ تفرقوا في التثليث والاتحاد، ووقعت بينهم العداوة والبغضاء، وصاروا ملكانية؛ ويعقوبية؛ ونسطورية؛ وغيرهم، كما بينه القرآن، مع أن هذا يصلح أن يكون دليلاً مستقلاً؛ لما فيه من بيان أن ترك الواجب سبب لفعل المحرم،كما بينه تعالى في شأنهم: چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ چ[1] ، فهذا نصٌّ في أنهم تركوا بعض ماروُوا به، فكان تركه سبباً لوقوع العداوة والبغضاء المحرَّميْنِ، وكان هذا دليلاً على أن ترك الواجب يكون سبباً لفعل المحرم، كالعداوة والبغضاء، والسبب الأقوى من المسبب)).[2]

وعلى هذا فيجب على المتفرّقين جميعاً في دين الله تعالى مراجعة أنفسهم

وفي أمر دينهم وموقفهم من الوجبات والمحرمات.

ويستخلص من هذا أنّ من أهم الأسباب التي أدت إلى تفرق النصارى في الدين تعود إلى:

1- تركهم الاعتصام بكتاب ربهم ونصوص أنبيائهم كلها بالإيمان ببعضها دون البعض وهذا ترك للواجب وفعل لمحرم.
2- اتباع المتشابهات وترك المحكـمات .
3- التأويلات الفاسدة والتحريفات و الأقيسة الباطلة.
4- الجهل والضلال بالنصوص واتباع أهواء قوم قد ضلوا وأضلوا.

---

1 (?) المائدة آية(14).

2 (?) مجموع الفتاوى ج20/109. بتصرف بسيط فيه

5- الشرك والبدع والخرافات والغلو في الأنبياء والأولياء والصالحين وتعظيم قبورهم وبناء المساجد والمشاهد عليها.
6- الحسد والغل والبغي والكبر.
7- تجويز الكبراء وشيوخهم المعظَّمين التصرف في شرع الله بأهوائهم وآرائهم بالتحليل و التحريم.
8- تأثيرات الثقافات الفلسفات اليونانية، وأديان الوثنية القديمة على النصارى.

وكان نتيجة أمرهم كما أخبر الله تعالى ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ المؤمنون: ٥٣ ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭼ المائدة: ١٤

المبحث الثالث: بيان تفرق العرب في الجاهلية واختلافهم

فيه مطلبان:

المطلب الأول: الأدلة في تفرق العرب في الجاهلية

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله – أن العرب في الجاهلية كانوا في ظلمات بعضها فوق بعض من الظلم والتفرق والعداوة والبغضاء بعد انحرافهم عن إرث أبيهم إبراهيم عليه السلام إلى ما ابتدعه لهم عمرو بن لحي الخزاعي فهو أول من غيَّر دين إبراهيم ودعا العرب في الجاهلية إلى عبادة الأصنام التي فرّقتهم إلى ذوي الآلهة المتعددة المتباينة.

وقد قرر شيخ الإسلام أنهم: ((كانوا على صلة بأبيهم إبراهيم، على شريعة التوحيد والحنفية السمحة دين أبيهم إبراهيم))[1] .

قال: ((فإنَّ العرب من ولد إسماعيل وغيره الذين كانوا جيران البيت العتيق الذي بناه إبراهيم وإسماعيل كانوا حنفاء على ملة إبراهيم إلى أن غير دينه بعض ولاة خزاعة وهو عمر بن لحي وهو أول من غيّر دين إبراهيم بالشرك وتحريم ما لم يحرمه الله، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه -أي أمعاءه- في النار وهو أول من بحر البحيرة[2] وسيب السوائب وغير دين إبراهيم))[3] .

---

1 (?) اقتضاء الصراط المستقيم ج1/351. وانظر أيضا مجموع الفتاوى ج27/438.

2 (?) البحيرة: هي التي يمنع درها للطواغيت ولا يحلبها أحد من الناس. والسائبة: التي يسيبونها لآلهتهم فلا يحمل عليها)) / صحيح البخاري مع الفتح ج6/632، 633.

3 (?) صحيح البخاري مع الفتح ج6/632، 633 ح(3520) و(3521).

ابتدعـه لهم بأوثانٍ نقلها من الشام من البلقاء[1] التي كانت إذ ذاك دارٌ الصابئة المشركين)).[2]

وفي قوله تعالى: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ[3] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((وقد كانوا في الجاهلية يحالف الرجل قبيلة، فإذا وجد أقوى منها نقض عهد الأولى فأنزل الله هذه الآية))[4] .

وكانوا يظلمون ويعتدون على الظالم بل قال العلماء من اعتدائهم وشدة عدوانهم وعداوتهم: ((إن أولياء المقتول تغلى قلوبهم بالغيظ حتى يؤثروا أن يقتلوا القاتل وأولياءه ربما لم يرضوْا بقتل القاتل بل يقتلون كثيرًا من أصحاب القاتل كسيد القبيلة ومقدم الطائفة، فيكون القاتل قد اعتدى في الابتداء وتعدى هؤلاء في الاستيفاء، كما يفعله أهل الجاهلية الخارجون عن الشريعة في هذه الأوقات من الأعراب والحاضرة وغيرهم.[5]

---

[1] (?) البلقاء : كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى، مصبتها عمان وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة، قيل إنها سميت البلقاء: لأن بَالِق من بني عمار بن لوط عليه السلام عمرها. ومن البلقاء قرية الجبارين التي أراد الله تعالى بقوله: (إن فيها قوما جبارين)) / معجم البلدان 1/579، 580، وانظر : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ج1/275.

[2] (?) الجواب الصحيح ج3/123، 124، وبيان تلبيس الجهمية ج 1/454.

[3] (?) النحل آيات(91- 94).

[4] (?) مجموع الفتاوى ج27/20.

[5] (?) قلت: وكما هو الحال عند قوى الشر في هذا الزمان من إبادة المدن والشعوب والقرى بكاملها بظلم أو بظالم واحد

وقد يستعظمون قتل القاتل لكونه عظيما أشرف من المقتول فيفضي ذلك إلى أن أولياء المقتول يقتلون من قدروا عليه من أولياء القاتل ربما حالف هؤلاء قوما واستعانوا بهم، وهؤلاء قوما فيفضي إلى الفتن والعداوات العظيمة)).[1]

وهذه النصوص تدل على أن العرب في الجاهلية تفرقوا واختلفوا وتقاتلوا وقتل بعضهم بعضا وظلم بعضهم بعضاً.

وكما أشار إليه الكتاب في قوله تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ
ﭮ ﭯ ﭰ ﭱﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ
ﮇ ﮈ ﮉ ﮊﮋ ﭼ[2] .

وهذا فيه بيان أنهم كانوا في الجاهلية متفرقين متضادين ((قبل الإسلام من سفك بعضهم دماء بعض ونهب أموالهم، وقطيعة الأرحام والانسلال عن ربقة الإسلام وتوريث الذكور دون الإناث وإسبال الثياب، و التعزى بعزاء الجاهلية وهو قولهم: يا لبني فلان! أو يا لفلان!،. والتعصب للقبيلة بالباطل، وترك ما فرضه الله..))[3].

ومن صور تفرقهم في دينهم ومعبود اتهم مثلاً: تفرقهم في آلهتهم الباطلة وقد تفرقوا في اللات و العزى وهبل وغيرها من الآلهة إلى طوائف ومتفننين في ذلك وكل حزب بما لديهم فرحون.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- :

((فإنهم متفنون في الآلهة التي يعبدونها وإن اشتركوا في الشرك؛ هذا يعبد الشمس، وهذا يعبد القمر، وهذا يعبد العزى، وهذا يعبد مناة الثالثة الأخرى، فكلٌّ منهم يتّخذ

أو غير ذلك .

[1] (?) مجموع الفتاوى ج2/374.

[2] (?) آل عمران.آية(103).

[3] (?) مجموع الفتاوى ج24/164.

إلهه هواه ويعبد ما يستحسن، وكذلك في عبادة قبور البشر كل يعلق على تمثال من أحسن به الظن))[1].

فإنهم كانوا متفرقين مختلفين متناحرين متعادين متطاعنين يأكل القوي منهم الضعيف .

وهذا حال أهل الشرك والأهواء تجدهم دائما متفرقين يُكفِّر بعضهم بعضاً لأن عبادتهم ليس فيه أمر من الله هومن عند غير الله.

وقد جاء ما يؤكد هذا أيضا في كلام جعفر – رضي الله- مع النجاشي حين كلمه فقال: أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام ونسئ الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه، وصدقه وأمانته))[2].

وهذا اعتراف من جعفر – رضي الله عنه – بما كانوا عليه من العداوة والبغضاء والتفرق قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم .

ونجد أن أسباب تفرق الأمم السابقة وفي هذه الأمة متقاربة ومتشابهة، بل متفقة هو ترك الاعتصام بالكتاب كله كما سيتضح لك ذلك إن شاء الله.

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج8/258.

2 (?) أخرجه أحمد في مسنده ج1/ 203 رقم(1740) وابن خزيمة في صحيحه ج4/ 13 رقم(2260).

المطلب الثاني: بيان سبب تفرق العرب ونتيجة ذلك.

فقد تفرقت العرب في الجاهلية وقرر شيخ الإسلام ابن تيمية أن سبب تفرقهم يعود إلى الأمور التالية:

السبب الأول : انحرافهم عن ملة جدهم إبراهيم عليه السلام وتركوا الاعتصام بها إلى الشرك وعبادة الأصنام وغيروا دين إبراهيم فتفرقوا وتقاتلوا

كما أشار إليه شيخ الإسلام أن أول من غير دين إسماعيل فنصب الأوثان وسيب السائبة وبحر البحيرة ووصل الوصيلة وحمى الحامي عمرو بن ربيعة وهو لحي بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي وهو أبو خزاعة كما تقدم بيانه.

والانحراف عن التوحيد هو السبب الأساسي في تفرق العرب ووقوع العداوة والبغضاء فيما بينهم، فإنّ التوحيد الصحيح الخالص يجمع المتفرقين ويضمن لهم الأمن والاستقرار كما جاء في قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭼ[1]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((فأهل الإشراك متفرقون، وأهل الإخلاص متفقون، وقد قال تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ[2] فأهل الرحمة متفقون مجتمعون، والمشركون فرقوا دينهم وكانوا شيعًا.

ولهذا تجد ما أحدث من الشرك والبدع، يفترق أهله؛ فكان لكل قوم من مشركي العرب طاغوت، يتخذونه ندًا من دون الله، فيقرّبون له ويستشفعون به ويشركون به. وهؤلاء ينفرون عن طاعة هؤلاء، وهؤلاء ينفرون عن طاغوت هؤلاء، بل قد يكون لأهل هذا الطاغوت شريعة ليست للآخرين، كما كان أهل المدينة الذين يهلون لمناة

---

1 (?) الأنعام.

2 (?) هود آية(118-119)

الثالثة الأخرى، ويتحرَّزون من الطواف بين الصفا والمروة، حتى أنزل الله تعالى: ﭽ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍﮎ ﭼ[1].

وهكذا تجد من يتخذ شيئا من نحو الشرك، كالذين يتخذون القبور وآثار الأنبياء والصالحين مساجد، تجد كل قوم يقصدون بالدعاء والاستعانة والتوجه عند من لا يعظمه الطائفة الأخرى. بخلاف أهل التوحيد، فإنهم يعبدون الله لا يشركون به))[2] .

فبين – رحمه الله- أنَّ من أسباب الافتراق والاختلاف في الدين الشرك بالله تعالى عبادة غيره فتعد آلهة أهلها وكل طائفة تعظم إلهه وتعتقد أنها أعظم وإله غيره أحقر وأذل ولا تعترف الطائفة الأخرى بل تقول هي ليست على شيء وكل مدينة من مدائن أهل الحجاز كان لها طاغوت تحج إليه وتتخذه شفيعا وتعبده متفرقين ومتناحرين كما تقدم بيانه.

السبب الثاني: الكبر والظلم والعدوان.

فقد قرر هذا شيخ الإسلام ابن تيمية في غير موضع وبين أن من أسباب تفرق العرب في الجاهلية وسفك دماء بعضهم بعضا هو العصبية والحميّة الجاهلية التعصب بالباطل وترك العدل.

وإلى هذا يشير شيخ الإسلام ويقول: ((وربما حالف هؤلاء قومًا واستعانوا بهم، وهؤلاء قوما فيفضي إلى الفتن والعداوات العظيمة **وسبب ذلك** خروجهم عن سنن العدل الذي هو القصاص في القتلى فكتب الله علينا القصاص وهو المساواة والمعادلة في القتلى وأخبر أنه فيه حياة))[3] .

والعدل هو الاعتدال والاعتدال هو صلاح القلب كما أن الظلم فساده وسببه حاجة الظالم أو جهله أو سفهه.

وأن الله تعالى أرسل الرسل وأنزل الكتب بالعدل، فلا صلاح لأهل الأرض في شيء من أمورهم إلا به، ولا

---

[1] (?) البقرة آية (158).
[2] (?) اقتضاء الصراط ج2/380-381.
[3] (?) مجموع الفتاوى ج28/374.

يستطيع أحد أن يعيش في العالم مع خروجه عن جميع أنواعه، بل لابد من دخوله في شيء من أنواع العدل، حتى قطاع الطريق لابد لهم فيما بينهم من قانون يتفقون عليه ولو أراد واحد منهم أن يأخذ المال كله لم يمكنوه وأظلم الناس وأقدرهم لا يمكنه فعل كل ما يريد، فإن اجتماع بني آدم هو الاجتماع الفطري الطبيعي الذي لا يعيشون بدونه.

وذلك أنّ العدل نظام في كل شيء فإذا أُقيم أمر الدنيا بالعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بالعدل لم تقم، وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة. فالنفس فيها دواعي الظلم لغيرها بالعلو والحسد له والتعدي عليه في حقه[1].

فهكذا الخروج عن العدل والاستقامة فإنه يوقع بين الناس العداوات والبغضاء وسفك دماء بعضهم بعضا والفرقة والفساد في الأرض.

السبب الثالث: من أسباب تفرق العرب في الجاهلية عدم طاعة آمرٍ وناهٍ

قرر شيخ الإسلام ابن تيمية أن العرب ما كان لهم في جاهليتهم أمير واحد يُسمع قوله ويُجتمع حوله ويُطاع أوامره، بل كانوا يعيشون في فوضى الحياة وعدم النظام مما قادهم إلى الحروب والفتن والشر بقتل بعضهم بعضاَ وأكل القوي منهم الضعيف.

و لهذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم النهي عن الخروج على الأئمة ومفارقة جماعة المسلمين وعد ذلك من الجاهلية.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه وسلم: ((من خر ج من الطاعة، وفارق الجماعة، ثم مات: مات ميتة جاهلية، ومن قتل تحت راية عمية؛ يغضب للعصبية، ويقاتل للعصبية: فليس مني، ومن خرج

---

[1] (?) رسالة في قنوت الأنبياء لشيخ الإسلام ابن تيمية ص 26 وبيان تلبيس الجهمية ج1/32 وكتاب الاستقامة ج 2/248.وأمراض القلوب ص6.

على أمتي يضرب برها وفاجر ها ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يبقى لذي عهدها فليس مني)) [1] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((فقد ذكر صلى الله عليه وسلم البغاة الخارجين عن طاعة السلطان، وعن جماعة المسلمين، وذكر أن أحدهم إذا مات مات ميتة جاهلية؛ **فإن أهل الجاهلية لم يكونوا يجعلون عليهم أئمة؛ بل كل طائفة تغالب الأخرى.**

ولم يكن لهم رأس يجمعهم والنبي صلى الله عليه وسلم دائما يأمر بإقامة رأس حتى أمر بذلك في السفر إذا كانوا ثلاثة فأمر بالإمارة في أقل عدد وأقصر اجتماع)) [2]

فعدم الرأس سبب للفتنة والفرقة وسفك للدماء، واختلال دعائم الحياة، وفوضى الأخلاق، وفساد في الأرض، وهو سبب إلى الضعف والهوان والفشل والخوف.

فتبين مما سبق ذكره ما يلي:

1- أن من أهم الأسباب في تفرق العرب في الجاهلية: الانحراف عن التوحيد الذي جاء به إبراهيم الخليل وترك الاعتصام به إلى أوثان عمرو بن لحي الخزاعي تشبها به وغيره من عباد الأصنام والأوثان.

2- خروجهم عن العدل الذي هو من السنن الإلهية إلى الظلم والعصبية الجاهلية يقاتلون لأجلها.

3- عدم اجتماعهم على أمير واحد يسمعون له ويطيعون أمره. وهذا حال كل من تشبه بهم إلى يوم القيامة فرقة وعذاب وعقاب.

وكان نتيجة أمرهم الحروب والفتن والعداوة وتنافر القلوب والعصبية الجاهلية وأكل قويهم الضعيف والعيش بفوضى الحياة ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼآل عمران: ١٠٣

[1] (?) تقدم تخريجه.

[2] (?) مجموع الفتاوى ج28/487 ومنهاج السنة ج1/557.

المبحث الرابع: في تفرق الفلاسفة واختلافهم

قرر شيخ الإسلام ابن تيمية أنَّ الفلاسفة لما كانوا من أبعد الناس عن الرسل والإيمان بما جاؤوا به، كانوا عن الحق أبعد وإلى التفرق والاختلاف والتحير والاضطراب أقرب فحيث أعرضوا النصوص حرموا الوصول. قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ[1] وقال تعالى: ﭽ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﭼ[2] وقال تعالى: ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ[3] .

فقال رحمه الله: ((كل من كان عن السنة أبعد كان التنازع والاختلاف بينهم في معقولا تهم أعظم؛ **فالمعتزلة أكثر اختلافاً من متكلمة أهل الإثبات، وبين البصريين والبغداديين منهم من النزاع ما يطول ذكره. والبصريون أقرب إلى السنة والإثبات من البغداديين.**

وأما الشيعة فأعظم تفرقًا واختلافًا من المعتزلة لكونهم أبعد عن السنة منهم، حتى قيل: إنهم يبلغون اثنتين وسبعين فرقة.

وأما الفلاسفة فلا يجمعهم جامع، بل هم أعظم اختلافًا من جميع طوائف المسلمين واليهود والنصارى.

---

1. (?) النحل (88).
2. (?) محمد (17).
3. (?) العنكبوت.

والفلسفة التي ذهب إليها الفارابي[1] وابن سينا[2] إنما هي فلسفة المشّائين أتباع أرسطو[3] صاحب التعاليم، وبينه وبين سلفه من النزاع والاختلاف ما يطول وصفه، ثم بين أتباعه من الخلاف ما يطول وصفه. وأما سائر الفلاسفة، فلو حُكي اختلافهم في (الهيئة) وحده لكان أعظم من اختلاف كل طائفة من طوائف أهل القبلة، والهيئة علم رياضي حسابي هو من أصح علومهم، فإذا كان هذا اختلافهم فيه فكيف بالإلهيات؟))[4] ثم إنَّ الفلاسفة أصحاب هذا المنطق البر هاني الذي وضعه أرسطو وما يتبعه من الطبيعي والإلهي ليسوا أمة واحدة، بل أصناف متفرقون وبينهم من التفرق والاختلاف ما لا يحصيه إلا الله، أعظم مما بين الملة الواحدة كاليهود والنصارى أضعافا مضاعفة؛ فإن القوم كلما بعدوا عن اتباع الرسل والكتب كان أعظم في تفرقهم واختلافهم، فإنهم يكونون أضل، كما في الحديث الذي رواه الترمذي

---

1 (?) **الفارابي شيخ الفلسفة الحكيم**، أبو نصر، محمد بن طرخان بن أولغ التركي الفارابي المنطقي، أحد الأذكياء. له تصانيف مشهورة من ابتغى الهدى منها ضل وحار، منها تخرج ابن سينا نسأل الله التوفيق. وقد أحكم أبو نصر العربية بالعراق، ولقي متَى بن يونس صاحب المنطق فأخذ عنه، وسار إلى حران، فلزم بها يوحنا بن جيلان النصراني. وصار إلى مصر، وسكن دمشق وبدمشق كان موته في رجب سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة عن نحو من ثمانين سنة/ السير ج15/ 416، 417، 418.

2 (?) **هو الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا** ، الفيلسوف ، ولد سنة 370هـ من مصنفاته : (الشفا) (والإرشادات والتنبيهات) و (القانون) ، توفي سنة 428هـ . انظر : وفيات الأعيان 2 / 157 ، و سير أعلام النبلاء 17 / 531 .

3 (?) تقدمت ترجمته.

4 (?) درء تعارض العقل والنقل ج1/157، 158.

عن أبي أمامة[1] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل)) . ثم قرأ قوله

تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭼ[2] [3]. إذ لا يحكم بين الناس فيما تنازعوا فيه إلا كتاب منزل ونبي مر سل، كما قال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ[4] الآية وقال : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼ[5] وقال: ﭽ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﭼ[6] الآية[7] .

فقد تبين من هذا بُعد الفلاسفة عن الحق وتناقض معقولا تهم واختلاف أقوالهم فيما ذهبوا إليه وظهر أنهم من أبعد الناس عن الهدى لتركهم الكتاب وأكثر الأمم تفرقا واختلافا وهلاكا**.**

---

1 (?) **أبو أمامة الباهلي** صاحب رسول الله ﷺ، ونزيل حمص، وروى علمًا كثيراً، وحدّث عن معاذ، وأبي عبيدة. روى عنه: خالد بن معدان، والقاسم أبو عبد الرحمن، وآخرون. وروي أنه بايع تحت الشجرة. قال المدائني وجماعة: توفي أبو أمامة سنة ست وثمانين. وقال إسماعيل بن عياش: مات سنة إحدى وثمانين. / السير ج3/359، 360، 363.

2 (?) سورة الزخرف آية: 58.

3 (?) روه الترمذي في سننه ج5/ 353 ح(3253) كتاب تفسير القرآن باب من سورة الزخرف. وابن ماجه في سننه ج1/37 ح(48) المقدمة.باب اجتناب البدع والجدل. وأحمد في مسنده ج5/252 والحاكم في المستدرك ج2/486 وقال: صحيح ولم يخرجاه. وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم (5633).

4 (?) سورة البقرة آية :213.

5 (?) سورة الحديد 25.

6 (?) سورة النساء 59.

7 (?) مجموع الفتاوى ج9/229، 230.

((فإذا كان فحول النظر وأساطين الفلسفة الذين بلغوا في الذكاء والنظر إلى الغاية، وهم ليلَهم ونهَارهم يَكْدَحون في معرفة هذه العقليات، ثم لم يصلوا فيها إلى معقول صريح يناقض الكتاب ، بل إما إلى حيرة وارتياب، وإما اختلاف بين أحزاب، فكيف غير هؤلاء ممن لم يبلغ مبلغهم في الذهن والذكاء ومعرفة ما سلكوه من العقليات؟.[1]

قال في قوله تعالى: ﭽ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭼ[2]، ولهذا يوجد أتبع الناس للرسول أقل اختلافا من جميع الطوائف المنتسبة للسنة، وكل من قرب للسنة كان أقل اختلافا ممن بعد عنها، كالمعتزلة والرافضة فنجدهم أكثر الطوائف اختلافا. وأما الفلاسفة فلا يحصره أحد.[3]

وأهل الإثبات من المتكلمين مثل الكلابية [4] والكرامية[5]

---

1 (?) درء تعارض العقل والنقل ج1/169.

2 (?) هود.

3 (?) مجموع الفتاوى ج1/230.

4 (?) ا**لكلابية** هم أتباه عبد الله بن سعيد بن كلاب ومن مذهبهم أن القرآن معنى قائم بالنفس لا يتعلق بالقدرة والمشيئة وأنه لازم لذات كلزوم الحياة والعلم، وأنه لا يسمع حقيقة، والحروف والأصوات ، حكاية له دالة عليه وهي مخلوقة، وهي أربعة: معاني في نفس الأمر والنهي والاستفهام، فهي أنواع لذلك المعنى القديم الذي لا يسمع، وذلك المعنى هو المتلو المقروء وهو غير مخلوق.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان بدعة قولهم في ذات الله وصفاته: ((وجاء أبو محمد بن كلاب فقال هو وأتباعه : هو الموصوف بالصفات ولكن الصفات أعراضاً إذ هي قديمة باقية لاتعرض ولا تزول، ولن لا يوصف بالأفعال القائمة به كالحركات لأنها تعرض وتزول))/ انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص169-376. ومجموع الفتاوى ج6/36، 222.

5 (?) **الكرامية** زعيمهم محمد بن الكرام كان في سجستان فنفي عنه، فوقع في غرجستان فاغتر أهلها بظاهر مبادئه،

والأشعرية[1] أكثر اتفاقا وائتلافاً من المعتزلة، فإنّ في المعتزلة من الاختلافات وتكفير بعضهم بعضاً حتى ليكفر التلميذ أستاذه؛ من جنس ما بين الخوارج ما يطول ذكره ووصفه ولست تجد اتفاقًا وائتلافًا إلا بسبب اتباع آثار الأنبياء من القرآن والحديث، وما يتبع ذلك ولا تجد افتراقا واختلافًا إلا عند من ترك ذلك وقدم غيره عليه[2].

وانخدعوا بنفاقه واتبعوه على خرافاته. كان يسمي معبوده جسماً، وكان يقول : له حد واحد من الجانب الذي ينتهي إلى العرش، لا نهاية له من الجوانب الآخر، كما قالت الثنوية في معبودهم أنه نورٌ متناه من الجانب الذي يلي الظلام.
ويزعمو أن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب، وزعموا أن المنافقين الذين كانوا في عهد رسول الله مؤمنين./ انظر: التبصير في الدين ص111-1130 والفرق بين الفرق ص202. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ج 2/223 قال شيخ الإسلام: ((وأما ابن كرام وأتباعه فلم يمتنعوا من تسمية صفات الله أعراضاً كما لم يمتنعوا من تسميته جسماً. وعن هذه الحجة ونحوها نشأ القول بأن القرآن مخلوق، وأن الله تعالى لا يرى في الآخرة، وأنه ليس فوق العرش ونحو ذلك، من مقلات الجهمية النفاة؛ لأن القرآن كلام وهو صفة من الصفات والصفات عندهم لا تقوم به، وأيضاً فالكلام يستلزم فعل المتكلم وعندهم لا يجوز قيام فعل به، ولأن الرؤية، تقتضي مقابلة، ومعاينة العلو يقتضي مباينة ومماسة، وذلك من صفات الأجسام. والإيمان هو القول فقط فمن تكلم به فهو مؤمن كامل الإيمان، لكن إن كنا مقراًّ بقلبه كان من أهل الجنة وإن كان مكذباً بالقلب كان منافقاً مؤمناً من أهل النار)). وهذا القول اختص به الكرامية وابتدعته ولم يسبقها أحد إلى ه1ا القول وهو آخر ما أحدث من الأقوال في الإيمان /درء تعارض العقل والنقل ج 3/306، ومجموع الفتاوى ج6/30، 222. وج13/56.

[1] (?) الأشعرية أو الأشاعرة: فرقة من فرق أهل الكلام، تنتسب لأبي الحسن الأشعري الذي خرج على المعتزلة، ثم أشعرياًّ ثم مذهب السلف الصالح أهل السنة والجماعة.

ولهذا لما كانت الفلاسفة أبعد عن اتباع الأنبياء كانوا أعظم اختلافا[1] .

((**وذلك لأن الهدى هو فيما بعث الله به رسله، فمن أعرض عنه لم يكن مهتدياً، فكيف بمن عارضه بما يناقضه وقدّم مناقضه عليه؟**)) [2] **.**

فظهر من هذا:

1- أن الفلاسفة قد تفرقوا واختلفوا وهم من أعظم الطوائف تشتتا وتناقضالا يجمعهم جامع.

2- أن ترك الاعتصام بالكتاب واتباع الرسل سبب مباشر في تفرق أمة الفلاسفة وغيرهم.

1- أن اعتماد هم على عقولهم دون نصوص الكتاب أهلكهم وأضلهم وأعمى بصيرهم وأضل سبيلهم.

فلهذا وغيره نهى الله هذه الأمة عن التفرق والاختلاف والتشبه بهذه الأمم الهالكة فيه ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ**آل عمران: ١٠٥** ﭽ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﭼ**الروم: ٣١ - ٣٢**

وأبو الحسن: هو علي بن إسماعيل، من ذرية أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، ولد بالبصرة سنة 270هـ ومرت حياته بمراحل :

كان أولاً: معتزليًّا ثم ترك الاعتزال وصار أشعريًّا، ثم صار من أهل السنة والجماعة في إثبات الصفات. والأشاعرة في إثبات الصفات لا يعتمدون على النقل وإنما عن طريق العقل: ويثبتون بعض الصفات وينكرون البعض الآخر يثبتون سبع صفات فقط وهي: (الحياة، والعلم، والإرادة، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام) وهذه يثبتونها عن طريق العقل، أما سائر الصفات فيؤولونها/ انظر: الملل والنحل ج 1/93.والموسوعة الميسرة ج1/87_93.

2 (?) مجموع الفتاوى ج4/52.

1 (?) مجموع الفتاوى ج4/25.

2 (?) درء تعارض العقل والنقل ج1/166.

- المبحث الخامس: النهي عن تشبه هذه الأمة بالأمم السابقة في التفرق والاختلاف

بعد بيان شيخ الإسلام ابن تيمية أحوال الأمم السابقة في التفرق والاختلاف في الدين، والانحراف عن التوحيد بعد أن جاءهم العلم والبينات وما حال بهم من الذل والهوان، والبعد عن رحمة الله، بين أن الله تعالى هدى هذه الأمة إلى الحق، وأنار لها الطريق وبيّن لأهلها المحجّة، بخير أنبيائه وأفضل رسله محمد صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه أفضل كتبه وجعلها خير أمة أخرجت للناس، نهاهم عن التشبه بالأمم السابقة في التفرق والاختلاف فإنها خير الأمم ونبيها آخر الأنبياء لا نبي بعده.

ومن هذا المنطلق العظيم قرر شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- ما يلي:

أولا- أن الله تعالى فضّل هذه الأمة من بين تلك الأمم وهدى الذين آمنوا إلى الحق الذي اختلف فيه، وجعلهم على صراط مستقيم:

قال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﯓ ﭼ[1]

فقوله ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ[2] بغيًا على الدنيا وطلب ملكها وزخرفها وزيّنتها أيهم يكون له الملك والمهابة في الناس، فبغى بعضهم على بعض، وضرب بعضهم رقاب بعضﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﭼ[3] .

يقول: فهداهم الله عند الاختلاف أنهم أقاموا على ما جاءت به الرسل قبل الاختلاف – أقاموا على الإخلاص لله وحده، وعبادته لا شريك له، و إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وأقاموا على الأمر الأول الذي كان قبل الاختلاف،

---

1 (?) البقرة آية: 213.
2 (?) البقرة آية: 213.
3 (?) البقرة آية: 213

واعتزلوا الاختلاف، فكانوا شهداء على الناس يوم القيامة-))[1].

قال: ((وحبّب إليهم الإيمان وزيّنه في قلوبهم فجعلهم متبعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وعصمهم أن يجتمعوا على ضلالة كما ضلت الأمم قبلهم؛ إذ كانت كل أمة إذا ضلت أرسل الله تعالى رسولا إليهم كما قال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ[2] وقال تعالى: ﭽ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ[3].

ومحمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء لا نبي بعده، فعصم الله أمته أن تجتمع على ضلالة، وجعل فيها من تقوم به الحجة إلى يوم القيامة، ولهذا كان إجماعهم حجة كما كان الكتاب والسنة حجة، ولهذا امتاز أهل الحق من هذه الأمة والسنة والجماعة عن أهل الباطل الذين يزعمون أنهم يتبعون الكتاب ويعرضون عن سنة رسول الله وعما مضت عليه جماعة المسلمين.

وأمر في كتابه باتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولزوم سبيله وأمر بالجماعة والائتلاف.

وأمر أن يؤمن بجميع الكتب المنزلة وأن يعدل بين الناس كلهم؛ فيُعطَى كل ذي حق حقه، ويمنع كلّ مبطل عن باطله، وأمر بالقسط في جميع أمور الدين والدنيا فيما جاء به وهو المقصود بإرسال الرسل وإنزال الكتب كما قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭼ[4].

ولما كان في الأمم السابقة مِنْ أهل الكتاب وغيرهم تفرق واختلاف يكفر بعضهم بعضا ويؤمن بعضهم ببعض الكتاب ويكفرون ببعض إمّا في القدر، وإمّا في الوصف، وبغي بعضهم على بعض كما قال تعالى: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ

---

1. (?) مجموع الفتاوى ج16/514.
2. (?) سورة النحل آية: (36).
3. (?) سورة فاطر آية: (24).
4. (?) سورة الحديد آية: (25).

ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ چ[1] فأخبر تعالى أنه هدى المؤمنين لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه.

ثم قال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ چ[2].

فقرر أنه جعلهم على شريعة الحق وهداهم إلى السبيل وأمرهم باتباعه دون غيره من السبل.

وقال لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ چ[3] فهذا بين أنهم تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وقد نهى الله أمته أن يكونوا مثلهم[4]

وقد أفاد هذا أنه لا يليق بهذه الأمة التفرق والاختلاف، ولا يحقُّ لأهلها أن يتفرقوا في الدين؛ لعدم المبرر؛ ولأنّ الله تعالى هداها إلى الحق الذي اختلف فيه الأمم السابقة، وبيّن حالهم ومآلهم، فوجب على هذه الأمة أخذ العبرة بما حلّ بالأمم السابقة من الغضب والعقاب، وعدم التشبه بأهل التفرق والاختلاف بأي وجه من الوجوه؛ لأنّ الكتاب والسنة نهانا وحذرانا من ذلك في نصوص كثيرة وصريحة وبأساليب حكيمة متنوعة ومختلفة.

ثانيا: ما ورد من الكتاب في نهي هذه الأمة عن التشبه بالأمم السابقة في التفرق والاختلاف

و يتجلى هذا النهي في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية الآتي:

قال –رحمه الله-: ((واعلم أن في كتاب الله من النهي عن مشابهة الأمم الكافرة وقصصهم التي فيها

---

1 (?) سورة الجاثية: (16-18).
2 (?) سورة النمل آية: (76-77).
3 (?) سورة آل عمران آية (105).
4 (?) انظر: مجموع الفتاوى ج3/367، 368، 369، 370، و 12/342، 343، وج16/490.

عبرة لنا بترك ما فعلوه كثير، مثل قوله لما ذكر ما فعله بأهل الكتاب من المثلات:

1- ﭽ ې ﭼ[1] ، وقوله: ﭽ ﭼ[2] وأمثال ذلك))[3] .

2- وقوله سبحانه: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﭼ[4]

قال: وهم اليهود والنصارى، الذين افترقوا على أكثر من سبعين فرقة، ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن متابعتهم في نفس التفرق والاختلاف، مع أنه صلى الله عليه وسلم قد أخبر أن أمته: ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة)).[5]

فقد قرر -رحمه الله – أن هذه الأمة منهي عن التشبه بالأمم الأخرى في التفرق والتنازع، وأن الله تعالى أمرنا أن لا نكون كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات، وأخبر رسوله أن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء.

وذكر تعالى أنّه جعله -صلى الله عليه وسلم- على شريعة من الأمر وأمره أن يتبعها، ولا يتبـع سبيل الذيـن لا يعلمون.

فأمره ألا يتبع أهواءهم عمّا جاءه من الحق، وإن كان ذلك شرعًا أو طريقًا لغيره من الأنبياء فإنه قد جعل لكل نبي سنةً وسبيلاً، وحذّره أن يفتنوه عن بعض ما أنزل الله إليه، فإذا كان هذا فيما جاءت به شريعة غيره، فكيف بما لا يُعلم أنه جاءت به شريعة، بل هو طريقة من لا كتاب له.

وأمره- صلى الله عليه وسلم- وإيَّانا في غير موضع أن نتبعَ ما أنزل إلينا، دون ما خالفه فقال : ﭽ ٱ ٻ ٻ ٻ

---

[1] (?) سورة الحشر آية: (2).

[2] (?) سورة يوسف آية: (111).

[3] (?) اقتضاء الصراط ج1/102-103.

[4] (?) سورة آل عمران آية: (105)

[5] (?) اقتضاء الصراط ج1/101.

ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ
ﭫ ﭬﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ[1] . وقال: ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ
ﭼ[2]وقال: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃﮄ ﭼ[3] [4]

ثم إنه ((إذا كان كذلك فالذي ذَمّه من تفرُّق أهل الكتاب واختلافهم، ذم فيه الجميع، ونهى عن التشبه بهم فقال: ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮﮯﭼ[5] وقال: ﭽ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬﮭ ﭼ[6] وذلك بأن تؤمن طائفة ببعض حق وتكفر بما عند الأخرى من الحق، وتزيد في الحق باطلاً، كما اختلف اليهود والنصارى في المسيح))[7] .

ولهذا قال حذيفة لعثمان : ((أدركْ هذه الأمة، لا تختلف في الكتاب كما اختلف الأمم قبلهم))[8] لما رأى أهل الشام والعراق يختلفون في حروف القرآن، الاختلاف الذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم.

فأفاد ذلك بشيئين:

أحدهما: تحريم الاختلاف في مثل هذا.

الثاني: الاعتبار بمن كان قبلنا والحذر من مشابهتهم[9] .

وبجمع هذه النصوص يتقرر ما يلي:

---

1 (?) الأعراف آية(1-3).
2 (?) الأنعام آية: (156).
3 (?) آل عمران آية: (103).
4 (?) انظر: مجموع الفتاوى ج25/127، 128.
5 (?) آل عمران آية: (105).
6 (?) البقرة آية: (213).
7 (?) مجموع الفتاوى ج16/515.
8 (?) البخاري مع الفتح ج8/ 627ح(4987) كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن.
9 (?) اقتضاء الصراط ج1/144.

1- أن الجميع أمروا بعبادة الله وإخلاص العبادة له وحده ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﭼ[1] كلهم نبيهم وغير نبيهم وهذا حق الله وهو الغاية المطلوبة من الجميع تحقيقها.

2- أن الحق قد تبين وتجلّى للجميع الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، ولا عذر للمتفرقين في تفرقهم بعد مجيء البيّنات والهدى ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﭼ[2]

3- أيضا إقامة الحجة على أهل الشرائع، وذم تفرقهم واختلافهم، وأن ذلك بعد أن جاءتهم البينة.

فإنّ الله لم يدع فرعون وقومه حتى أرسل إليهم موسى عليه السلام، ولم يعذبهم إلا بعد إقامة الحجة.

4- أنه لما آمن بنو إسرائيل بالكتب والرسل لم يتفرقوا ويختلفوا إلا بعد ما جاءتهم البينة، فلم يكونوا معذورين في ذلك.

ولهذا نهيت أمة محمد عن التشبه بهم[3]

5- زجرٌ وتحذيرٌ لهذه الأمة من التّفرّق والاختلاف واتباع سنن الهالكين، ووعيد شديد لمن تشبه بهم في ذلك فهؤلاء ضالون ومغضوب عليهم والتشبه بالمغضوب عليهم يستوجب الغضب.

6- أنه سبحانه قد بين في غير موضع أن السنة لا تتبدل ولا تتحول ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ[4] ﭽ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﭼ[5]. و((السنة)) هي العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعل

---

1 (?) البينة آية: (5).

2 (?) البقرة آية: (213).

3 (?) مجموع الفتاوى ج16/507، 508، 510 ، وج19/509.

4 (?) الأحزاب آية: (62).

5 (?) الفتح آية: 23).

بنظيره الأول: ولهذا أمر سبحانه وتعالى بالاعتبار، وقال: ﭽ □ □ □ □ □ □ □ □□ ﭼ[1].

والاعتبار أن يقر الشيء بمثله فيعلم أنَّ حكمه مثل حكمه، كما قال ابن عباس : هلا اعتبرتم الأصابع بالأسنان؟ فإذا قال: ﭽ □ □ □ ۑ ﭼ[2] وقال: ﭽ□ □ □ □ □ □ □□ ﭼ[3]

أفاد أن مَنْ عَمِل مثل أعمالهم جوزي مثل جزائهم؛ ليحذر أن يعمل مثل أعمال الكفار؛ وليرغب في أن يعمل مثل أعمال المؤمنين أتباع الأنبياء[4] الذين لم يتفرقوا ولم يشابهوا بالأمم الأخرى المغضوب عليهم في التفرق والاختلاف، وإنما اتبعوا الحق وسلكوا الصراط المستقيم.

أنَّ الأمة لا عذر لها في التفرق ومهما كانت المبررات فكلام الله في النهي عن ذلك واضح وبين. وأنَّ المتفرقين هم أهل البدع والأهواء، وقد جاء النهي والتحذير من ذلك في نصوص كثيرة من الكتاب والسنة.

لأن الفرقة والاختلاف والنزاع من أعظم أسباب الضعف ونيل غضب الله والبعد عن رحمته -كما تقدم بيانه- فإذا ضعف أهله ذهبتْ هيبتهم وفشلوا في تحقيق أهدافهم، وتمكّن منهم عدوهم فيُذِلَّهم. ولهذا تضافرت نصوص الكتاب والسنة في تحذير هذه الأمة من التفرق والاختلاف والتنازع في الأمر.

---

1 (?) يوسف آية: (111).

2 (?) الحشر آية: (2).

3 (?) يوسف آية: (111).

4 (?) مجموع الفتاوى ج13/19،20.

الفصل الثالث: جهوده في بيان النصوص وأقوال السلف الواردة في تحذير هذه الأمة من التفرق والاختلاف

وفيه مبحثان:

المبحث الأول : بيان نصوص الكتاب والسنة في تحذير هذه الأمة من التفرق والاختلاف

الطلب الأول : بيان نصوص الكتاب في تحذير هذه الأمة من التفرق

المطلب الثاني : بيان نصوص السنة الواردة في نهي الأمة عن التفرق والاختلاف

المبحث الثاني **: بيان أقوال لسلف في التحذير من الفرقة والاختلاف**

- المبحث الأول: بيان نصوص الكتاب والسنة في تحذير هذه الأمة من التفرق والاختلاف

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان نصوص الكتاب في تحذير هذه الأمة من التفرق والاختلاف

بين شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله – في كتبه أنه جاءت نصوص كثيرة في كتاب الله تنهى هذه الأمة عن التفرق والاختلاف وتحذر من ذلك، وقد نص سبحانه على تحريم التفرق والاختلاف، وأمر بملازمة الإسلام إلى الممات كما أُمِر الأنبياءُ جميعهم بالإسلام، والاعتصام ونُهوا عن التفرق، وبينوا أن أصول الدين لا تحتمل التفرق والاختلاف، فإن الجماعة هي الأصل الواجب اتباعه، كما جاء في أدلة الكتاب .

وفيما يلي ذكر بعض أدلة الكتاب التي استدل بها شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الباب:

الدليل الأول: قوله تعالى ﭽ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭼ **إلى قوله سبحانه:** ﭽ ... ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ... ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ... ﯡ ﯢ ... ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﭼ[1] .

فهذه الآيات واضحة الدلالة في نهي هذه الأمة عن التفرق والاختلاف والتعادي وترك الاعتصام بالجماعة وفيها الأمر بإخلاص الدين لله تعالى.

فقد أمرنا الله فيها بملازمة الإسلام إلى الممات كما أمر الأنبياء جميعهم بالإسلام، وأن نعتصم بحبله جميعا ولا نتفرق فيه، ونهانا أن نكون كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاء هم البيات، وذكر أنه تبيض وجوه المؤمنين وتسود وجوه أهل الفرقة.

و قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة.)).

---

1 (?) آل عمران آيات 102- 106.

وذكر أنه يقال لهم: ﭼ ﭼوهذا عائد إلى قوله: ﭼڤ ڦ ڨ ڤ ڤ ڦ ﭼ.

فأمر بملازمة الإسلام وبين أن المسودّة وجوههم وهم أهل التفرق والاختلاف يقال لهم: (ﭼ ﭼ.

وهذا دليل على كفرهم وارتدادهم، وقد تأولها السلف في الخوارج[1] [2] .

وهنا حذر الله هذه الأمة من التفرق، و بين أن عواقب التفرق العذاب الأليم.

وهذا التفرق المنهي عنه هو التفرق والاختلاف المذموم الذي يؤدي إلى التقاتل وتكفير الناس بعضهم بعضًا وهو الذي يفضي إلى التلاعن و التهاجر وهو التفرق في الدين وأصوله الاعتقادية والعملية ولهذا كان السلف من أعظم الناس بعدًا عن التفرق في أصول الدين، بل ليس بينهم خلاف في أصول الدين قطعًا ولم ينقل أحد شيئًا من ذلك عنهم –رحمهم الله-.

ويرى شيخ الإسلام أنه لا حجة لأحد في التفرق في أصول الدين لأنها أصول واضحة لا تحتمل التفرق بوجه من الوجوه.

---

[1] (?) عن حميد بن مهران قال: سألتُ أبا غالب عن هذه الآية { **هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات** } إلى { **ابتغاء تأويله** } فقال حدثني أبو أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: هم الخوارج وسألته عن هذه الآية { **فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون** } فقال حدثني أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم الخوارج)) المعجم الكبير ج8/ 271.و قال الإمام الشاطبي: ((وقوله (فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم؟). وهي عند العلماء منزلة في أهل القبلة وهم أهل البدع، وهذا كالنص- ./ الاعتصام ج2/195.

[2] (?) انظر: مجموع الفتاوى ج19/114، 115. بتصرف بسيط.

فقال – رحمه الله-: ((رَبُّنا واحد، وكتابُنا واحدٌ، ونبيُّنا واحدٌ وأنَّ أصول الدين لا تحتمل التفرُّق والاختلاف)) [1] .

وقال في موضع آخـر:

((**وربنا واحد، ورسولنا واحد، وكتابنا واحد، وديننا واحد، وأصل الدين ليس بين السلف وأئمة الإسلام فيه خلاف، ولا يحلّ الافتراق، لأنَّ الله تعالى يقــول: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱﭲ ﭳ ﭼ))** [2] .

ولهذا كان أهل الجماعة من هذه الأمة من أقل الناس اختلافا في أصول دينهم من سائر الطوائف من كل طائفة إلى ضدها، فهم الوسط في أهل الإسلام، كما أنَّ أهل الإسلام هم الوسط في أهل الملل[3]

وأفاد بهذا:

1- أن الله تعالى نهانا عن التفرق والتنازع في الدين وأمرنا بالجماعة

2- يجب أن يكون مصدر تلقي جميع أصول الدين وفروعه واحدًا وهو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

3- ويجب أيضا أن تكون غاية جميع الأمة واحدةً وهو إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له.

4- وجوب التمسك بما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم فإنهم لم يختلفوا في أصول دينهم ولم يتفرقوا فيها.

5- وما كان بين السلف من اختلافات في بعض الفروع مبنية على اجتهاد سائغ وليس على أهواء.

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ[4]

قرر شيخ الإسلام في هذه الآية نهي الأمة وتحذيرها من التفرق والاختلاف

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج3/182. ودر تعارض العقل والنقل ج 1/29.

2 (?) مجموع الفتاوى ج3/205.

3 (?) منهاج السنة ج3/468.

4 (?) الأنعام آية: (159).

وبيَّن ما فيها من الوعيد الشديد لأهل البدع والأهواء والشبهات والضلالات من هذه الأمة.

فقال – رحمه الله- : ((فكيف يجوز مع هذا لأمة محمد ﷺ أنْ تفترق وتختلف حتى يوالي الرجل طائفة ويعادي طائفة أخرى بالظنّ بلا برهانٍ من الله وقد برأ الله نبيه ممن كان هكذا.

فهذا فعل أهل البدع كالخوارج الذين فارقوا جماعة المسلمين واستحلوا دماء من خالفهم))[1] .

فهذه الآية عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفًا له، فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق، فمن اختلف فيه ﭽ ﭼ ﭽ أي فرَقًا كأهل الأهواء والنحل والضلالات. فإنّ الله قد برأ رسول الله صلى الله عليه وسلم مما هم فيه[2]

وهذا الوصف الذي وصف الله به المشركين من الفرقة في سياق الذم، فيؤذن ذلك بأن الله يحذر المسلمين من أن يكونوا في دينهم كما كان المشركون في دينهم كما سيتضح ذلك أكثر في الآيات الأخرى.

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﭽ□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ[3] **وقوله تعالى:** ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ □ □ □ □ □ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ □ ﯤ ﯥ ﯦ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ[4] .

وهذه الآيات الكريمات التي استدل بها شيخ الإسلام ابن تيمية تصور فيها التفرق في أبشع صورة؛ إذ قُرن فيها التفرق بالشرك، وأنّ أهل الشرك هم أهل الفرقة، ولما كانت الأمة أمة التوحيد أفضل الأمم، حذّرهم من الوقوع في الفرقة والتحزب والتشتت في أصل الدين

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج3/419، 420.

2 (?) ينظر تفسير ابن كثير ج2/187.

3 (?) يونس آية: (105).

4 (?) الروم آيات (30-32).

الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له ›› ولأنَّ المشركين كل منهم يعبد إلهًا يهواه [يوالي من والاه ويعادي من عاداه]كما قال في الأخرى (ﭼ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ(1)(2)

ولأنَّ أهل التفرق والاختلاف ليسوا على الحنفية المحضة التي هي الإسلام المحض، الذي هو إخلاص الدين لله، الذي ذكره الله في قوله: ﭼ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ(3).

فنهاه أن يكون من المشركين الذين فرقــوا دينهم وكــانوا شيعًا. وأعــاد ليـبين أنَّ الثـاني بـدل من الأول والبـدل هـو المقصود بالكلام وما قبله توطئة(4) .

ولهذا قال تعالى في آية أخرى ﭼ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﭼ(5)

فقد دلَّت هذه الآيات على أنَّ الله تعالى حرم التفرق في كتابه وحذر هذه الأمة من التفرق في مواضع كثيرة كما بينها شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله وتقدم ذكرها.

وفي الآية أنه شاق على المشركين المتفرقين ما يُدعوْن إليه من إخلاص العبادة لله وإفراده بالألوهية والبراءة مما سواه من الآلهة والأنداد فدل هذا كله على قبح التفرق والاختلاف وناسب تحذير الأمة منه.

---

1 (?) الشورى آية: (13).

2 (?) قال الباحث: فهذا يبين على أن أصعب شيء عند أهل الشرك وكذلك أهل البدعة الاتفاق والاجتماع على تحقيق التوحيد وتحقيق العبودية لله تعالى وحده، وأكره واحد عندهم من يتكلم في أمر التوحيد كما دلت عليه الآية وقرره شيخ الإسلام.

3 (?) البينة آية : (5).

4 (?) منهاج السنة ج5/265

5 (?) منهاج السنة ج5/264، 265، و ومجموع الفتاوى ج 1/16، 17.

الدليل الرابع: ذم الله تعالى في كتابه أهل التفرق والاختلاف كلهم في آيات كثيرة

ومن تلك الأدلة ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية وبينه في أن كل واحد من المتفرقين ترك الحق، وأنهم في شقاق وتمزق مستمر، وضعف وفشل،وتجدهم دائما هم أهل الخصومات والجدال في الدين وأهل الانشقاق والتشكيك والتشويش وفيما يلي ذكر بعض الأدلة الدالة على ذلك منها:

1- قوله تعالى: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﭼ[1].

2- قوله تعالىﭽ ﯽ ﯾ ﯿ ﭼ[2]

هذا فيه ذم لأهل التفرق والتحزب والتباين، فأهل التفرق هم أهل الشقاق وأهل الأهواء، لم يعرفوا حقيقة المنصوص والمعقول، فتشعبت بهم الطرق وصاروا مختلفين في الكتاب مخالفين للكتاب، فليسوا على الحنيفية المحضة التي هي الإسلام المحض الذي هو إخلاص الدين لله وحده.

وهذا حقيقة حال أهل البدع، فإنهم لما تركوا الاعتصام بكتاب الله وطاعة أمره وقعوا في اختلافٍ وفرقةٍ ومنازعةٍ ومفارقةٍ للحق بعيدة من الرشد والصواب [3].

الدليـل الخامس: قوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﭼ[4]

قال ابن مسعود رضي الله عنه: ((خط رسول الله ﷺ خطًا، وخط خطوطًا عن يمينه وشماله، ثم قال: ((هذا

---

1 (?) الشورى آية(14).

2 (?) البقرة آية(176).

3 (?) ينظر: مجموع الفتاوى ج3/278، 310. ودرء تعارض العقل والنقل ج1/29 ، 377وج3/39

4 (?) الأنعام آية 153.

سبيل الله، وهذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه. ثم قرأ: ﭽﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ[1] [2] .

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الله تعالى في هذه الآية حذَّر هذه الأمة من التفرق والاختلاف واتباع السبل المتشعبة والضلالات المهلكة، وما أكثر تحذيره منه سبحانه في كتابه العزيز، فقد جاء بأساليب مختلفة ومتنوعة، إذ أمر بالجماعة والائتلاف ولزوم سبيله وصراطه المستقيم. ونهى عن الفرقة والاختلاف وحذر منه في مواضع عدة وضرب في ذلك الأمثال.

وفي قوله: ﭽﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼالآية.

قال – رحمه الله- : ((وقد أمرنا الله أن نتبع هذا الصراط المستقيم ولا نعدل عنه إلى السبل، فسمى سبحانه طريقه صراطاً وسمى تلك سبلاً ولم يسمها صراطًا .

وقال لموسى وهارون ﭽ ﭼ[3] **وقال لنبينا:** ﭽﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭼ

((وإذا تأمل العاقل- الذي يرجو لقاء الله- هذا المثال، وتأمل سائر الطوائف من الخوارج، ثم المعتزلة، ثم الجهمية، والرافضة، ومن أقرب منهم إلى السنة من أهل الكلام، مثل الكرامية والكلابية والأشعرية وغيرهم، وأن كلا منهم له سبيل يخرج به عما عليه الصحابة وأهل الحديث، ويدعي أن سبيله هو الصواب- وجدت أنهم المراد بهذا المثال الذي ضربه المعصوم، الذي لا يتكلم عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى.[4]

---

1 (?) الأنعام آية: (153).

2 (?) أخرجه ابن ماجه في سننه ج1/ 15 ح(11) كتاب السنة باب اتباع سنة رسول الله ﷺ. وأحمد في مسنده ج3/397 وصحيح ابن حبان ج1/180 والحاكم في المستدرك ج2/261 وصححه، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه رقم(11).

3 (?) الصافات آية: (118).

4 (?) مجموع الفتاوى ج4/57

ويدخل في السبل كل البدع والأهواء المضلة، وجميع الأفكار والآراء المنحرفة والعبادات والطرق والفرق المحدثة وجميع المقالات والتّوَرُّعاتِ الخارجة عن سبيل الله الذي لا يزيغ عنه إلا هالك وهو الصراط المستقيم. فقد حذر الله تعالى من اتباع هذه السبل وجمعنا على طريق واحد وهي طريق المرسلين .

((فهذا أصل جامع يجب على كل مؤمن بالله ورسوله أن يتبعه، ولا يخالف السنة المعلومة في سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، باتباع من خالف السنة والإجماع القديم، لاسيما وليس معه في بدعته إمام من أئمة المسلمين، ولا مجتهد يعتمد على قوله في الدين، ولا من يعتبر قوله في مسائل الإجماع والنزاع [1]، فلا ينخرم الإجماع بمخالفته، ولا يتوقف الإجماع على موافقته.

ولو قُدرّ أنّه نازع في ذلك عالم مجتهد لكان مخصوماً بما عليه السنة المتواترة باتفاق الأئمة، فكيف إذا كان المنازع ليس من المجتهدين، ولامعه دليل شرعي وإنما اتبع من تكلم في الدين بلا علم، ويجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير))[2].

فهذه النصوص وغيرها تبين أن الله أرسل الرسل، وأنزل الكتب لبيان الحق من الباطل، وبيان ما اختلف فيه الناس، وأن الواجب على الناس اتباع ما أنزل إليهم من ربهم، ورد ما تنازعوا فيه إلى الكتاب والسنة، وأن من لم

---

1 (?) كبعض من يسمون في الوقت الحاضر بالمفكرين الإسلاميين أو أصحاب فقه الواقع الذين يدعون إلى مناهج مُخالفةٍ لمنهج السابقين الأولين ويطعنون فيهم بدعوى القصور والتخلف، أو ممن يدّعون الولاية فيتكلمون في الله بغير علم من أصحاب الأذواق والكشوفات والمنامات والحكايات المضادة للكتاب والسنة والمخالفة لهما، فإن الخير كل الخير في اتباع الكتاب والسنة والتمسك بهدي السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

2 (?) مجموع الفتاوى ج1/162، 163.

يتبع ذلك كان منافقاً، وأن من اتبع الهدى الذي جاءت به الرسل فلا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عن ذلك حشر أعمى ضالا شقياًّ مُعَذّباً، وأن الذين فرقوا دينهم قد برء الله ورسوله منهم)) [1].

والواجب على جميع الأمـة الاعتصام بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمــة من العبادات والاعتقادات القولية والعملية الظاهرة و الباطنة؛ ورد جميع المنازعات إليهما وجماع ذلك كما قرر شيخ الإسلام بحفظ أصلين الآتيين :

أحدهما: تحقيق ما جاء به الرسول فلا يُخلط بما ليس منه من المنقولات الضعيفة، والتفسيرات الباطلة، بل يعطى حقه من معرفة نقله ودلالته كما قال تعالى: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ [2].

والثاني: أن لا يعارض ذلك بالشبهات لا رأيًا ولا روايةً، ولا يلبس بغيره من الباطل ولا يعارض بغيره ﭽ ﮁ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ [3] [4]

هذا تحقيق شهادة أن لاإله إلا الله، وأنّ محمدا رسول الله والاعتصامُ بالجماعة، والإعراض عن السبل والضلالات والأهواء المتفرقة، ونبذ الفرقة والاختلاف وتصديق كتاب الله عز وجل وقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم تؤكد ذلك وتبينه في مواضع كثيرة.

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج17/303..

2 (?) البقرة آية(42).

3 (?) الأعراف آية(3).

4 (?) مجموع الفتاوى ج15/155.

المطلب الثاني: بيان نصوص السنة الواردة في نهي الأمة عن التفرق والاختلاف

قد وردت أدلة في الصحاح والسنن و المسانيد نهى فيها النبي صلى الله عليه وسلم أمته عن التفرق والاختلاف وحذرهم منه في أكثر من موضع.

ومن هذا المنطلق أورد شيخ الإسلام ابن تيمية نصوصاً كثيرة من السنة في ذم التفرق والاختلاف في الدين وحذر من ذلك في عدة مواضع من خلال ما جاء عن النبي تأكيدًا لما جاء في كتاب الله في هذا الباب ، وبيان أن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم توافق كتاب الله وتفسره وتبينه.

وقد تكلم– رحمه الله- على هذه النصوص بالشرح والبيان وتوضيح ما تضمنته من الأصول والقواعد والأحكام الجليلة.

قال شيخ الإسلام: ((وكذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم توافق كتاب الله و قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة متعددة تذم الشذوذ، وأن الخير والهدى والرحمة مع الجماعة))[1]

وقد بذل – رحمه الله- جهودا كبيرةً في تتبع هذه الأدلة لأهميتها في هذا الباب وهي كثيرة جدا لا يمكن حصرها في هذا الموضع بل نذكر بعضا منها علمًا بأن جميع الأدلة التي تأمر بالجماعة فهي تنهى عن الفرقة والشذوذ والانحراف عن الحق لأن الأمر بالشيء نهي عن ضده.

ومن جملة تلك الأدلة ما يلي :

الدليل الأول: الحديث المشهور عنه صلى الله عليه وسلم والذي روى مسلم بعضه عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- وسائره معروف في مسند أحمد وغيره من حديث عمرو بن شعيب[2] عن أبيه عن جده:

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج/310 ومنهاج السنة ج8/349.

2 (?) عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم،

أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم يتناظرون في القدر ورجل يقول: ألم يقل الله كذا، ورجل يقول: ألم يقل الله كذا، ورجل يقول: ألم يقل الله كذا فكأنما فقئ في وجهه حَبُّ الرمان، فقال : ((**أبهذا أمرتم؟ إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما نزل كتاب الله ليصدق بعضه** بعضًا لا ليكذب بعضه بعضاً انظروا ما أمرتم به فافعلوه، وما نهيتم عنه فاجتنبوا))[1] .

وفي رواية أخرى قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: ((**فما أغبط نفسي كما غبطتها ألا أكون في ذلك المجلس))**[2] .

وفي رواية: ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه، وهم يتنازعون في القدر))[3] .

وفي رواية أخرى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده... ذكروا آيةً من القرآن، فتماروا فيها، حتى ارتفعت أصواتهم، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضباً، قد احمر وجهه، يرميهم بالتراب، ويقول: ((مهلاً يا قوم، بهذا أهلكت الأمم من قبلكم: باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكتب بعضها ببعض، إن القرآن لم

الإمام المحدث، أبو إبراهيم وأبو عبد الله القرشي السهمي فقيه طائف، كان يتردد كثيرا إلى مكة، وينشر العلم: صدوق، من الخامسة، مات سنة ثماني عشرة ومائة/ السير ج5/ 165 تقريب التهذيب ص360ت(5050).

1 (?) أخرجه الترمذي في سننه ج4/386 ح(2133) كتاب القدر باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر.وابن ماجه ج1/ 65ح(85) باب في القدر. وأحمد في مسنده ج 2/195 والطبراني في الأوسط ج1/165 وج2/79 . حسن صحيح قاله الألباني رحمه الله انظر صحيح سنن ابن ماجه (85) وصحيح سنن الترمذي (2133).

2 (?) تقدم تخريجه عند وهذا عند ابن ماجه ح(85) وأحمد في مسنده ج2/178.

3 (?) مسند أحمد ج2/196

ينزل يكذب بعضه بعضا، وإنما أنزل يصدق بعضه بعضاً، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه))[1]

وقد كتب أحمد في رسالته إلى المتوكل: هذا الحديث، وجعل يقول لهم في مناظرته يوم الدار[2]: ((إنا قد نهينا أن نضرب كتاب الله بعضه ببعض)) وهذا لعلمه- رحمه الله- بما في خلاف هذا الحديث من الفساد العظيم[3]

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الحديث في عدة مواضع من كتبه ، وبين فيه أن النبي ﷺ نهى هذه الأمة عن التفرق والاختلاف وأن ذلك أصل هلاك بني آدم وبه نشأت المذاهب الباطلة والعقائد المنحرفة وبخاصة ((التنازع في القدر)) فعنه نشأ مذهب المجوس القائلين بأصلين: النور والظلمة، ومذاهب كثيرة ممن عَطّلَ الشرائع**.**

وذلك حين عارضوا بين فعله وأمره، حتى أقر فريق بالقدر وكذبوا بالأمر، وأقر فريق بالأمر وكذبوا بالقدر، حين اعتقدوا جميعاً أن اجتماعهما محال، وكل مبطل بالتكذيب بما صدق به الآخر**.**

وأكثر ما يكون ذلك لوقوع المنازعة في الشيء القليل قبل إحكامه وجمع حواشيه وأطرافه. ولهذا قال**:** **((ما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه))**[4] .

---

[1] (?) رواه أحمد في المسند ج2/181، وله شواهد عن عبد الرزاق،وأخرى عند غيره.

[2] (?) يوم الدارالمراد به دار الخلافة التي ضرب فيه الإمام أحمد- رحمه – في محنته المشهورة./انظر : طبقات الحنابلة ج1/13، 240، 335.

[3] (?) اقتضاء الصراط ج1/162، 164

[4] (?) اقتضاء الصراط ج1/165، 166، 167.

وقد كره النبي صلى الله عليه وسلم من المجادلة ما يفضي إلى الاختلاف والتفرق، ولأن ضرب كتاب الله بعضه ببعض يوقع في الفتنة ويوجب الشك والريب في القلوب.

ونهى في هذا الحديث عن معارضة حق بحق، فإن ذلك يقتضي التكذيب بأحد الحقين، أو الاشتباه والحيرة.

والناس لما خاضوا في القدر صارت الأقوال المتقابلة تكثر، وفي تفسير القرآن بغير المراد وهو مما نهى عنه النبي .

والواجب التصديق بهذا الحق وهذا الحق، فعلى الإنسان أن يصدق بالحق الذي يقول به غيُره، كما يصدق بالحق الذي يقوله هو، ليس له أن يؤمن بمعنى آيةٍ استدل بها، ويردّ معنى آيةٍ استدل بها مناظِرُه، ولا أن يقبل الحق من طائفة، ويردُّه من طائفة أخرى.

ولهذا قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ[1]

فذَمَّ سبحانه من كذب أو كذّب بحق، ولم يمدح إلا من صَدقَ وصَدَّق بالحق. فلو صَدَق الإنسان فيما يقوله، ولم يصدِّق بالحق الذي يقوله غيره، لم يكن ممدوحاً، حتى يكون ممن يجيء بالصدق ويصدّق به، فأولئك هم المتقون[2] .

وهذا الحديث الشريف كما قرر شيخ الإسلام ابن تيمية[3] يحمل في طياته أصولا عظيمة ومعاني وفوائد كثيرة منها:

---

1 (?) الزمر آية (32-33).

2 (?) درء تعارض العقل والنقل ج8/404، 481.

3 (?) وقد ذكر هذا الحديث في مواضع عدة من كتبه لأهميته فذكره في مجموع الفتاوى ج3/374، وج4/171، و12/115، وج13/ 226 ج27/372 وفي درء تعارض العقل والنقل ج 8/404 وفي اقتضاء الصراط ج1/ 134-136.

أولا: النهي عن الفرقة والاختلاف في الدين والمجادلة في الحق بعد ما تبين للناس.
ثانيا: عقاب كل من يريد أن يوقع الفتنة والشك والفرقة في الدين وردعه بما يليق بمقامه ويناسب فعله بالعدل.
ثالثا: النهي عن المناظرات التي تورث الشبهات والأهواء التي لا تفيد علما ولا تنصر دينا صحيحا.
رابعا: فيه بيان أنَّ أكثر ما يوقع الفتنة والعداوة والبغضاء بين الأمة الإيمان ببعض الحق دون بعض- كما قرر شيخ الإسلام ابن تيمية-وأن أكثر اختلاف الأمة من هذا الباب.
خامسا: أن كثيراً من المناظرات التي تجرى بين بعض أهل السنة وغيرهم في القنوات الفضائية وضمن وسائل الإعلام تكاد تكون من هذا الجنس وهو من كيد أعداء الإسلام والمرجفين، وأن الغرض منها تشكيك المسلمين في دينهم وإلقاء الشبه عليهم وتوسيع دائرة الاختلاف وتعميقها بين الأمة والفرقة والعداوة والبغضاء بين الأمــة ويجب الانتباه لها**، وقد نبّه على هذا كثير من علماء السلف قديما وحديـثا إذ إنهم لم يكن منهجهم مناظرة كل أحدٍ وفي كل حال**[1]**.**

[1] (?) دخل رجلان على محمد بن سيرين من أهل الأهواء فقالا: يا أبا بكر نحدثك بحديث؟ قال: لا، قالا: فنقرأ عليك آية من كتاب الله؟ قال: لا، تقومان عني وإلا قمت. فقام الرجلان فخرجا. فقال بعض القوم: ما كان عليك أن يقرءا آية ؟ قال: إني كرهت أن يقرءَا آية فيحرفانها فيقر ذلك في قلبي./ انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ج1/151رقم(242) وعن عبد الرزاق قال: قال لي إبراهيم بن أبي يحي: إني أرى المعتزلة عندكم كثيراً قلت: نعم وهم يزعمون أنك منهم قال: أفلا تدخل معي هذا الحانوت حتى أكلمك؟ قلت: لا، قال: ولم؟ قلت: لأن القلب ضعيف وإن الدين ليس لمن غلب)) المصدر السابق رقم(249)/ وقال سلام: قال رجل من أصحاب الأهواء لأيوب أسألك عن كلمة؟ فولى أيوب وهو

الدليـل الثاني: ما أخرجاه في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ قوله ﭽ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﭼ[1] فقال ﷺ: ((إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم))[2].

وفي هذا الحديث نهي عن اتباع المتشابهات وترك المحكمات، وقد ضل بذلك كثير من الناس ووقع بينهم العداوة والبغضاء ولهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم يحذرون الأمة من ذلك أشد التحذير حتى إنهم كانوا يعاقبون من كان يتتبع المتشابه بذلك، لأن هذا مما يفسد قلوب الناس وعقولهم وهذا **عام في جميع مسائل الدين في حقيقة صفات الله** وغيرها كما قرره شيخ الإسلام.

ويشهد لهذا واقعة صبيغ، وهي أنه بلغ عمر بن الخطاب ﷺ أن صبيغًا يسأل عن متشابه القرآن حتى رآه عمر فسأله في قصته المشهورة معه، ضربه الضرب الشديد[3] كما زجر بعض الصحابة من يلح في مسألة من هذا الجنس؛ وهذا لأنهم رأوا أن غرض السائل ابتغاء الفتنة لا الاسترشاد والاستفهام[4].

فقد تبين من هذه النصوص أن اتباع المشابه وترك المحكم أصل من أصول الفتنة والفرقة، وسبب للعداوة البغضاء وهذا حال أهل البدع والأهواء ومن أسباب إلقاء العداوة والبغضاء بين الناس.

يقول: لا، ولا نصف كلمة مرتين يشير بإصبعه/ المصدر السابق رقم(290).

1 (?) آل عمران آية: (7).

2 (?) صحيح مسلم ص677 ح(2665) كتاب العلم باب النهي عن اتباع متشابه القرآن، والتحذير من متبعيه، والنهي عن الاختلاف في القرآن.

3 (?) انظر مصنف عبد الرزاق ج11/426

4 (?) ينظر مجموع الفتاوى ج13/311

ولذلك قرر شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- أن ((كل من اتبع المتشابه على هذا الوجه فهو مذموم. وهو حال من يريد أن يشكك الناس فيما علموه لكونه وإياهم لم يفهموا ما فهموا أنه يعارضه.

هذا أصل الفتنة أن يترك المعلوم لغير معلوم، كالسفسطة التي تورث شبهات يقدح بها فيما علم وتيقن، فهذه حال من يفسد قلوب الناس وعقولهم بإفساد ما فيها من العلم والعمل- أصل الهدى- فإذا شككهم فيما علموا بَقَوْا حيارى.

والرسول صلى الله عليه وسلم قد أتى بالآيات البينات الدالة على صدقه، فمن اتبع المتشابه ابتغى الفتنة وابتغى تأويله-:

1- قصدهم فيه فاسد.

2- ليسوا من أهله، بل يتكلمون في تأويله بما يفسد معناه إذ كانوا ليسوا من الراسخين في العلم.

فهذا يعاقب عقوبة تردعه كما فعل عمر بصبيغ))[1]

وهذا الحديث دليل على وجوب النهي عن كلّ ما يؤدي إلى تفريق المسلمين وفيه زجر كل من يتتبع المتشابه من الآيات ويترك المحكمات، وهذا من شعار أهل البدع والأهواء والفرقة. وقد سد النبي صلى الله عليه وسلم هذا الباب لما يؤدي إليه من تفريق الكلمة والتشكيك في الدين وتشويش العوام.

الدليل الثالث: ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في الأمر باتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدين والنهي عن الخروج عنها، والسمع والطاعة لولاة الأمر، وترك البدع والأهواء.

وقد جاء في الحديث الصحيح الذي في السنن عن العرباض بن سارية رضي الله عنه ((وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل[2] إن

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج16/416، 417.

[2] (?) وفي رواية : ((فقلنا))

هذه موعظة مودع فما تعهد إلينا يا رسول الله ؟ قال: ((أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبد حبشي، فإنه من يعش منكم ير اختلافا كثيرا وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين عضوا عليها بالنواجذ))[1] .

هذا الحديث روي من طرق كثيرة ومختلفة، في السنن و المسانيد وغيرها، وذكره شيخ الإسلام في عدة مواضع من كتبه، مستدلا به على تحريم البدع والابتداع في الدين وترك ما كان عليه السلف الصالح. وعلى وجوب السمع والطاعة بضوابط الشرعية المعروفة.

فبين – رحمه الله - في هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر المسلمين باتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدين، وبين أن المحدثات التي هي البدع التي نهى عنها ما خالف ذلك[2] .

فقوله: ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين..)) بعـد قوله ((من يعش منكم من بعدي فسيرى اختلافا كثيرا)) هذا أمرٌ و تحضيض على لزوم سنة الخلفاء، وأمر بالاستمساك بها، وتحذير من المحدثات المخالفة لها، وهذا الأمر منه، والنهي: دليل بيّن على الوجوب[3] .

---

1 (?) سنن الترمذي ج5/ 43ح(2676) كتاب العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع. وعند أبي داود : ((.. فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وعليكم بالطاعة وإن عبدا حبشيا، فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد)) ج5/13/ كتاب السنة باب في لزوم السنة ح(4607) وابن ماجه في سننه ج1/ 30 ح(42)و(43) باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين وأحمد في مسنده ج4/126 والحاكم في المستدرك ج1/174 والطبراني في الكبير ج18/245 وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم(937).

2 (?) مجموع الفتاوى ج31/37.

3 (?) مجموع الفتاوى ج35/22، 23.

هذا فيه الأمر بملازمة السنة والجماعة ويتأكد هذا عند ظهور الفتن والفرقة والاختلاف وتفشى البدع والأهواء والانحراف، وأن سنته صلى الله عليه وسلم وسنة الخلفاء الراشدين تقي المرء من البدع وتصونه عن المضلات وتكفيه عند الاختلاف فلولا أن سنته وسنة الخلفاء الراشدين تسع المؤمن وتكفيه عند الاختلاف الكثير لم يجز الأمر به كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية.

فقد قرر – رحمه الله- : ((أن البدعة هي الدين الذي لم يأمر الله به ورسوله، فمن دان دينًا لم يأمر الله ورسوله به فهو مبتدعٌ بذلك، وهذا معنى قوله تعالى: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ[1] .

ولا ريب أن هذا يُشكل على كثير من الناس لعدم علمهم بالنصوص ودلالتها على المقاصد، ولعدم علمهم بما أحدث من الرأي والعمل، وكيف يردُّ ذلك إلى السنة، كما قال عمر بن الخطاب : ((رُدُّوا الجهالات إلى السنة))[2] [3]

و قد استفاض – أيضا- وتقرر في غير هذا الموضع ما قد أمر به صلى الله عليه وسلم من طاعة الأمراء في غير معصية الله و مناصحتهم والصبر عليهم في حكمهم وقسمتهم والغزو معهم والصلاة خلفهم ونحو ذلك [4] .

وهذا الحديث أصل عظيم في النهي عن البدع وأن البدعة تفضي إلى التفرق كما يبين الحديث وجوب التمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة الخلفاء الراشدين وأن في ذلك عصمةً من الفرقة والاختلاف .

---

1 (?) الشورى آية: (21).
2 (?) البيهقي في السنن الكبرى ج7/442.
3 (?) كتاب الاستقامة ج1/5
4 (?) مجموع الفتاوى ج35/20.

ويؤيد هذا إحالة النبي صلى الله عليه وسلم إليها عند كثرة الفرقة والاختلاف، ويدل على أن سنة الخلفاء الراشدين معصومة من الأهواء والبدع.

الدليل الرابع: تحريم الخروج على المسلمين ومفارقة جماعتهم بأي وجه من الوجوه

حذر شيخ الإسلام ابن تيمية من الخروج على جماعة المسلمين وكسر شوكتهم والقتال في الفتنة وبين أنه ليس في ذلك مصلحة لا في الدين ولا في الدنيا، بل ضرر ذلك أكبر من نفعه و استدل بالأدلة التي تحذر من ذلك منها :

أ- حديث حذيفة رضي الله عنه المتقدم وقد رواه مسلم في صحيحه حيث قال: قلت يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: ((**نعم، وفيه دخن**)) قلت: وما دخنه؟ قال: ((**قوم يستنون بغير سنتي ويهتدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر**)) فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: ((**نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها**)) فقلت: يا رسول الله صفهم لنا.قال: ((**قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا**))، قلـت: يا رسول الله فما ترى إن أدركني ذلك ؟ قال**:** ((**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**)) قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: ((**فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعضّ على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**))[1]

وفي لفظ آخر: قلت: وهل وراء ذلك الخير من شر؟ **قال:** ((**نعم**)) قلت : كيف ؟ قال**:** ((**يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جسمان إنس**)) قال : قلت: كيف أصنع؟ يا رسول الله إن أدركت

---

[1] (?) صحيح مسلم 487ح(1847) كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال. وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة.

ذلك؟ قال: **((تسمع وتطيع للأمير. وإن ضربك وأخذ مالك فاسمع وأطع)).** [1]

وهذا جاء مفسَّرًا في حديث آخر عن حذيفة قال عن الخير الثاني **((صلح على دخن. وجماعة على أقذاء (²) فيها، وقلوب لا ترجع إلى ما كانت عليه))**[3] .

فكان الخير الأول النبوة وخلافة النبوة التي لا فتنة فيها، وكان الشر ما حصل من الفتنة بقتل عثمان وتفرق الناس، حتى صار حالهم شبيها بحال الجاهلية يقتل بعضهم بعضا.

والخير الثاني: اجتماع الناس لما اصطلح الحسن ومعاوية، لكن كان صلحًا على دخن. وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما هو الواقع [4] .

هذا الحديث الذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- يحذر فيه النبي صلى الله عليه وسلم من

---

1 (?) صحيح مسلم ص487 ح(1847). كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال.

2 (?) الأقذاء- جمع قذى- وهو ما يقع في العين والشراب من غبار أو وسخ، وأراد أن الناس تبقى منهم بقية على فساد قلوب/سنن أبي داود ج4/446. في التعليق,

3 (?) وهذا عند أبي داود قال حذيفة: قلت يا رسول الله ، هل بعد هذا الخير شر ؟ قال: ((فتنة وشر)) قال : قلت: يا رسول الله، هل بعد هذا الشر خير؟ قال: ((يا حذيفة، تعلم كتاب الله واتبع ما فيه)) ثلاث مرات، قال : قلت: يا رسول الله، هل بعد هذا الشر خير؟ قال: هدنة على دخن، جماعة على أقذاء فيها، أو فيهم)) قالت: يا رسول الله، الهدنة على الدخن ما هي؟ قـال: لا ترجع قلوب أقوام على الذي كانت عليه)) قال: قلت: يا رسول الله، أبعد هذا الخير شر؟ قال: ((فتنة عمياء صماء، عليها دعاة على أبواب النار، فإن تمت يا حذيفة وأنت عاضٌّ على جِذْلٍ خير لك من أن تتبع أحدا منهم))/ رواه أبو داود في سننه ج4/447 ح(4246) كتاب الفتن والملاحم باب ذكر الفتن ودلائلها.

4 (?) منهاج السنة ج1/558، 560، 561.

الفتنة والفرقة ومفارقة جماعة المسلمين والخروج على أئمتهم وولاة أمرهم مهما بلغ أمرهم في الظلم والفسق وأخذ الأموال واحتكار الثروات ونحو ذلك فلا يجوز الخروج عليهم أو قتالهم، فهؤلاء الذين ذكرهم الرسول قد وصفهم بأنهم شرار لا يهتدون بهديه صلى الله عليه وسلم ولا يستنون بسنته لا في أنفسهم ولا في رعيتهم وهذا غاية الضلال والزيغ والفساد والتمرد مع ذلك كله أمر بالسمع لهم والطاعة ولم يرخص في ترك الحق لهم.

وهذا فيه تنبيه على شر الخروج والشذوذ، وأنه لابد للناس من طاعة آمر وناه ونظام يضبط أمرهم ويجمع شملهم ويحمى بيضتهم، وإلا تكون فتن وشر وفساد وفوضى في البلاد والعباد، ولهذا بين شيخ الإسلام ابن تيمية في موضع آخر قال: ((فإنه إذا لم يكن على العباد أمر ونهي كان لكل أحد أن يفعل ما يهواه كما قال تعالى: ﭽ ﯗ ￼ ￼ ￼ ￼ ﯜ ﯝﯞ ﭼ[1] .

فإذا مُكِّنَ كلُّ أحد بما يهواه من قتل النفوس، وفعل الفواحش وأخذ الأموال وغير ذلك، كان ذلك في غاية الفساد **ولهذا لا تعيش أمة من بني آدم إلا بنوع من الشريعة التي فيها أمـر ونهـي، ولو كانت بوضع بعض الملوك مع ما فيها من فساد من وجوه أخرى**)).[2]

وهذا الحديث من أبلغ الأحاديث التي جاءت في هذا الباب، إذ إنه صلى الله عليه وسلم ((قد أخبر أنه بعد ذلك يقوم أئمة لا يهتدون بهديه ولا يستنون بسنته، وبقيام رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جسمان الإنس، وأمر مع هذا بالسمع والطاعة للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فتبين أن الإمام الذي يطاع هو من كان له سلطان، سواء كان عادلا أم ظالما.[3]

---

1 (?) الأنبياء آية: (22).

2 (?) مجموع الفتاوى ج8/298 مع تصرف بسيط.

3 (?) منهاج السنة ج1/561.

ولهذا فإن ((أهل العلم والدين والفضل لا يرخصون لأحد فيما نهى الله عنه من معصية ولاة الأمور وغشهم والخروج عليهم بوجه من الوجوه، كما عرف من عادات أهل السنة والدين قديمًا وحديثًا، ومن سيرة غيرهم))[1] .

وقد قرر شيخ الإسلام ابن تيمية لهذا الباب قواعد متينة وضوابط شرعية قوية تجنب الأمة من فتنة الخروج والفساد، وتصون وحدتها وتحفظ بها مصالحها، وقد جمعها في النصوص الآتية قال –رحمه الله-:

((فإنَّ الحاكم إذا ولَّاه ذو الشوكة لا يمكن عزله إلا بفتنة ومتى كان السعي في عزله **مفسدة أعظم** من مفسدة بقائه **لم يجز الإتيان بأعظم الفسادين لدفع أدناهما ، وكذلك الإمام الأعظم.**

ولهذا كان المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف، وإن كان فيهم ظلم كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

لأن الفساد في القتال والفتنة **أعظم** من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة.

فلا يدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما **ولعله لا يكاد يُعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته.**

والله تعالى لم يأمر بقتال كل ظالم وكل باغ كيفما كان ولا أمر بقتال الباغين ابتداء، فكيف يأمر بقتال ولاة الأمر ابتداء ؟!.

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج35/12.

ولا يجوز الإنكار عليهم بالسيف كما يراه من يقاتل من الخوارج والزيدية[1]والمعتزلة[2] وطائفة من الفقهاء وغيرهم)) [3]

((ونفس الولاية والسلطان فهو عبارة عن القدرة الحاصلة، ثم قد تحصل على وجه يحبه الله ورسوله،كسلطة الخلفاء الراشدين، وقد تحصل على وجه فيه معصية، كسلطة الظالمين)) [4]

ويفهم من هذا ما يلي:

---

[1] (?) **الزيدية** هم أقرب الشيعة إلى أهل السنة والجماعة وينتسبون إلى زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله، وكان يترضى عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ويجوزون الإمامة في كل أولاد فاطمة مطلقاً وقد تأثروا بكثير من آراء المعتزلة/ الموسوعة الميسرة ج1/81. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((وسموا الزيدية لتمسكهم بقول زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وكان زيد قد بويع له بالكوفة في أيام هشام بن عبد الملك، وكان أمير الكوفة يوسف بن عمر الثقفي، وكان زيد يفضل علي بن أبي طالب على سائر أصحاب النبي ويتولى أبا بكر وعمر ويرى الخروج على أئمة الجور، فلما ظهر بالكوفة في أصحابه الذين بايعوه وسمع من بعضهم الطعن على أبي بكر وعمر فأنكر ذلك عليهم، فتفرق عنه الذين بايعوه فقال لهم : رفضتموني، قالوا نعم. وكثير من الزيدية يذمون عثمان ويسبونه وخيارهم الذين يسكت عنه فلا يترحم عليه ولا يلعنه، وإن كانوا يترحمون على أبي بكر وعمر وهم مضطربون أيضا في توليهم لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ولذلك فإن الزيدية الصالحة وهو أصلح الزيدية ينسبون إليه))/ انظر: منهاج السنة ج3/471، 472، وج6/200، 301 وج7/339، وج8/237 ومجموع الفتاوى ج13/13/34.

[2] (?) **المعتزلة أتباع واصل بن عطاء** البصري الغزالي المتكلم، رأس المعتزلة الذي طرده الحسن البصري عن مجلسه لما قال الفاسق لا مؤمن ولا كافر فانضم إليه عمرو بن عبيد واعتزلا حلقة الحسن فهما رأسا الاعتزال ينكرون معاني صفات الله تعالى/انظر وفيات الأعيان ج6/7 ولسان الميزان ج214. وسيأتي الحديث عنهم أكثر إن شاء الله.

1- وجوب طاعة المتغلب ومن ولَّاه ذوي الشوكـة الذي في عزله فتنة وشر.
2- أنه لا يجوز السعي إلى عزل الولاة والحكام والتحريض عليهم بسبب ظلم فعلوه أو معصية ارتكبوها بأنفسهم إلا بقدرة تامة بحيث لا يترتب على ذلك مفسدة أعظم وهذا شبه مستحيل.
3- أنّ ظلم الحُكَّام والولاة ومنعهم للرعية حقوقهم لا يبرر الخروج عليهم أو قتالهم، ولا يمنع من إعطائهم حقهم في السمع والطاعة والنصح عند المسلم المطيع لكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، مالم يأمروا بكفر بواح.
4- أن النبي الصادق المصدوق قد أخبر أن الأمراء يظلمون ويفعلون أمورا منكرة مع هذا لم يرخص في ترك الذي لهم، ولم يأذن في أخذ الحق بقوة.
5-أن التجربة والواقع قد أثبت أن الخروج عليهم يوجب زيادة الظلم والفساد الأكبر في دين الناس ودنيا هـم.
6- أن على أهل العلم والفضل توعية الرعية وتوجيههم وتصحيح مفاهيمهم وردهم إلى الصراط المستقيم، حتى لا يفسد دينهم ودنياهم وأن مصحة الجميع في الطاعة لا في الخروج والقتال ومطالبة الحقوق بقوة.
7- يحرم تحريض الناس على ولاة الأمور بقتالهم والخروج عليهم وذلك غش وخيانة للدين وللأمة، ولا يجوز ذلك بأي وجه من الوجوه.
8-وجود الحاكم عادلاً كان أو ظالماً أمر ضروري لكل أمة، فلا بد من وجود حاكم، ولا بد من وجود نوع شريعة عدلاً كان أو باطلاً في حفظ الدين والدنيا.
9- على المسلمين الذين يعيشون تحت ولاية حاكم ظالم طاعته في المعروف والصبر على جوره مهما بلغ

---

[3] (?) مجموع الفتاوى ج3/391، 392.ومنهاج السنة ج3/390، و391، و392.
[4] (?) منهاج السنة ج1/530.

حفاظًا على دينهم واستقرار بلادهم بعيدين عن الفتن وإثارتها من المظاهرات والثورات وإثارة الفوضى ونحوها، بل الصبر والدعوة إلى الله بالتي هي أحسن والوسطية وبعد النظر المبني على الكتاب والسنة.

10- في هذا بيان صحة مذهب أهل السنة والجماعة في طاعة ولاة الأمر في المعروف وإن جاروا وظلموا والدعاء لهم وبذل النصيحة لهم بالتي هي أحسن. كما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية.

الدليل الخامس: ما جاء في صحيح مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((سيكون أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن عرف بريء، ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع)) قالوا : أفلا نقاتلهم؟ قال: ((لا ما صَلَّوْا))[1] .

فدل على أنه لا يجوز الإنكار عليهم بالسيف كما يراه من يقاتلهم ويسبهم أو يلعنهم من الخوارج أهل الأهواء والبدع.

وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم: ((من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئا من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعة)) وفي رواية ((فاكرهوا عمله، ولا تَنْزِعوا يدًا من طاعة))[2].

وهذا نهي عن الخروج على السلطان وإن عصى.

وتقدم حديث عبادة: ((بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله)).

قال: ((إلا أن تروا كفرا بواحًا ([3])عندكم من الله فيه

---

[1] (?) رواه مسلم في صحيحه ص488 ح(1854). كتاب الإمارة باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع وترك قتالهم ما صلوا ونحو ذلك.

[2] (?) صحيح مسلم ص489 ح(1855) كتاب الإمارة باب خيار الأئمة وشرارهم.

[3] (?) قوله ((إلا أن تروا كفرا بواحًا)) بموحدة ومُهملة، قال الخطابي: معنى قوله بواحًا يريد ظاهرًا باديًا من قولهم باح

برهان)) وفي رواية: ((وأن نقول ـ أو نقوم ـ بالحق حيث ما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم)) [1]

هذا الحديث الذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في النهي عن الفرقة والتحذير منها يحمل أصولا عظيمة وقواعدَ مهمة لو فهمها الناس وطبقوها في شؤونهم لزال كثير من المشاكل التي يعاني منها الناس، ولقلت الفتن والشبهات التي كادت أن تزحزح أمن المجتمعات

الشيء يبوح و بواحاً إذا أذاعه وأظهره)) قال الحافظ: ووقع عند الطبراني من رواية أحمد بن صالح عن ابن وهب في هذا لحديث كفرا صريحا، ووقع في رواية حبان أبي النضر((إلا أن يكون معصية الله بواحًا)) عند أحمد ((مالم يأمروك بإثم بواحًا)). ومقتضاه أن لا يجوز الخروج عليهم ما دام فعلهم يحتمل التأويل، قال النووي: المراد بالكفر هنا المعصية، ومعنى الحديث: لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكرا محققا تعلمونه من قواعد الإسلام؛ فإذا رأيتم ذلك فأنكروا عليهم وقولوا بالحق حيثما كنتم انتهى. وقال غيره: المراد بالإثم هنا المعصية والكفر، فلا يعترض على السلطان إلا إذا وقع في الكفر الظاهر، والذي يظهر حمل رواية الكفر على ما إذا كانت المنازعة في الولاية فلا ينازعه بما يقدح في الولاية إلا إذا ارتكب الكفر، وحمل رواية المعصية على ما إذا كانت المنــازعة في الولاية، فإذا لم يقدح في الولاية نازعه في المعصية بأن ينكر عليه برفق ويتوصل إلى تثبيت الحق له بغير عنف، ومحل ذلك إذا كان قادرا والله أعلم./الفتح الباري ج13/10، 11.

وقال النووي أيضا: ((وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق وأما الوجه المذكور في كتب الفقه لبعض أصحابنا أنه ينعزل وحكي عن المعتزلة أيضا **فغلط** من قائله مخالف للإجماع. قال العلماء وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج عليه ما يترتب على ذلك من الفتن وإراقة الدماء وفساد ذات البين فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقائه. /شرح النووي لصحيح مسلم ج12/189

ودينهم والروابط الأخوية الإيمانية التي أمر الله بها أن يوصل.

ومن أهم هذه الأصول الجامعة التي يحملها هذا الحديث كما قرر شيخ الإسلام ابن تيمية ما يلي:

الأصل الأول: الطاعة في طاعة الله وإن كان الآمر ظالما أو فاسقا.

الأصـل الثاني: ترك منازعة الأمر أهله مهما اشتدت الظروف وترجحت الطموحات، امتثالاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الأصل الثالث: القيام أو القول بالحق بلا مخافة من الخلق بأسلوب حكيم الذي لا يوقظ الشر والفتن.

ولقد شرح شيخ الإسلام –رحمه الله- هذه الأصول الجامعة التي استنبطها من هذا الحديث شرحًا وافيا يدل على دقة فهمه وبُعد نظره وإخلاصه في نصح الأمة وجهوده في جمع كلمتهم ودعوتهم إلى أن لا يتفرقوا في دينهم ولا يخرجوا على ولاة أمورهم فتهلك كما هلكت الأمم الأخرى، كما بين أن ظلم الولاة لا يسقط حقوقهم في الطاعة وأن استئثارهم بالمال ومنعهم لمستحقيه لا يعطي الرعية حق الخروج عليهم، وقتالهم والخروج عليهم أشد من ذلك وأنكر وأفسد؛ لما يترتب عليه من تعطيل مصالح الدين والدنيا فعدلهم هو المطلوب وعدم عدلهم لا يبطل حقهم في الطاعة.

فقال – رحمه الله-: ((وإذا قسم بين المقاتلة فيجب أن يقسم بالعدل، كما يجب على كل حاكم، وكل قاسم؛ لكن إذا قدر أن القاسم أو الحاكم ليس عدلا لم تبطل جميع أحكامه وقسمه على الصحيح الذي كان عليه السلف.

كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة التي يأمر فيها النبي صلى الله عليه وسلم بطاعة ولاة الأمور، مع جورهم، يبين أنهم إذا أمروا بالمعروف وجبت طاعتهم،

---

[1] (?) صحيح مسلم ص485ح(1840).كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية.

وإن كانوا ظالمين. فإذا حكم حكماً عادلاً، وقسم قسما عادلاً: كان هذا من العدل الذي تجب طاعتهم فيه.

فالظّالم لو قسم ميراثاً بين مستحقيه بكتاب الله كان هذا عدلا بإجماع المسلمين. ولو حكم لمدَّعٍ ببينة عادلة لا تعارض كان هذا عدلا. والحكم أمر ، ونهي، وإباحة، فيجب طاعته فيه. هذا إذا كانت القسمة عادلة.

فأما إذا كان في القسمة ظلم؛ مثل أن يُعْطِي بعضَ الناس فوق ما يستحق، وبعضهم دون ما يسحق: فهذا هو الاستيثار الذي ذكره النبي صلى الله وسلم . حيث قال: ((على المسلم السمع والطاعة في عسره ويسره، ومنشطه ومكرهه، وأثرة عليه، ما لم يؤمر بمعصية)) وكذلك حديث عبادة بن الصامت هذا . ومعلوم أن هذا ما زال في الإسلام من ولاة الأمور، ومن دخل في هذه الأمور؛ وإنما يستثنى في الخلفاء الراشدين، ومن اتبعهم.

فإذا كان ذلك كذلك فالمُعْطَى إذا أُعطي قدر حقَّه، أو دون حقِّه: كان له بحكم قسمة هذا القاسم، كما لو قسم الميراث وأعطى بعض الورثة حقه، كان ذلك بحكم هذا القاسم، وكما لو حكم لمستحق بما استحقه كان له أن يأخذ ذلك بموجب هذا الحكم.

وليس لقائل أن يقول: أخذه بمجرد الاستيلاء، كما لو لم يكن حاكم ولا قاسم، فإنه على نفوذ هذه المقالة تبطل الأحكام والأعطية التي فعلها ولاة الأمور جميعهم؛ غير الخلفاء. وحينئذ فتسقط طاعة ولاة الأمور؛ إذ لا فرق بين حكم وقسم، وبين عدمه. **وفي هذا القول من الفساد** في العقل والدين ما لا يخفى على ذي لب؛ فإنه لو فتح هذا الباب أفضى من الفساد إلى ما هو أعظم من ظلم الظالم، ثم كان كل واحد يظن أن ما يأخذه قدر حقه، وكل واحد إنما يشهد نفسه دون استحقاق بقية الناس، وهو لا يعلم مقدار الأموال المشتركة. وهل يجعل له منها بالقيمة هذا أو أقل؟ والإنسان ليس له أن يكون حاكما لنفسه، فكيف يكون قاسما لنفسه؟.

ومعلوم عند كل أحد أن دخول الشركاء تحت قاسم غيرهم، ودخول الخصماء تحت حاكم غيرهم، ولو كان ظالماً أو جاهلا أولى من أن يكون كل خصم حاكما لنفسه، وكل شريك قاسما لنفسه، فإن الفساد في هذا أعظم من الفساد في الأول.

والشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، ورجحت خير الخيرين بتفويت أدناهما، وهذا من فوائد نصب ولاة الأمور. ولو كان على ما يظنه الجاهل لكان وجود السلطان كعدمه، وهذا لا يقوله عاقل، فضلاً عن أن يقوله مسلــم؛ بل قال العقلاء: ستون سنة من سلطان ظالم خير من ليلة واحدة بلا سلطان.

وما أحسن قول عبد الله بن المبارك[1]:

لولا الأئمة لم تأمن لنا سبل   وكان أضعفنا نهبا لأقوانا[2]

فكلام شيخ الإسلام في هذا الحديث العظيم من هذه الأصول والقواعد وما فهمه السلف الصالح تقرر الأمور الآتية:

1- التحذير من الفرقة والاختلاف ووالحذرمنه والنظر عواقبه الوخيمة وأنه لا يأتي بخير.

2- ترك الخروج على السلطان وإن جار؛ فإن علماء أهل السنة والجماعة أجمعوا على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه وأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء إلا إذا وقع من السلطان الكفر الظاهر الصريح.

---

[1] (?) عبد الله بن المبارك المروزي، مولى بني حنظلة: ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد، جُمعت فيه خصال الخير، من الثامنة، مات سنة إحدى وثمانين، وله ثلاث وستون/ تقريب التهذيب ص262 ت(3570)..

[2] (?) مجموع الفتاوى ج30/134، 135، 136 بتصرف بسير فيه.

3- أن طواعيتهم لمن يتولى عليهم لا تتوقف على إيصال حقوقهم، بل عليهم الطاعة ولو منعهم حقهم.

3- إذا اعتقد المرء أن له في الأمر حقا فلا يعمل بذلك الظن بل يسمع ويطيع إلى أن يصل إليه بغير خروج عن الطاعة.

5- الإنكار عليهم إذا وقع منهم المنكر يكون برفقٍ ولينٍ ويسرٍ وإخلاصٍ دون جهرٍ وعنفٍ وطمعٍ وتشهيرٍ.

6- إذا وقع منه كفر بواح بشهادة أهل العلم والفضل وقُدِرَ على خلعه بغير فتنة ولا ظلم وفساد وجب وإلا فالواجب الصبر والدعاء له.

7- أن النبي صلى الله عليه وسلم أحرص الناس على الخير وعلى الدين وأهله وأعلمهم وأرحمهم وأكثرهم ورعاً، وأخشاهم لله وهو الذي أمر بالصبر على الظلم والسمع والطاعة ونهى عن الخروج والقتال وهو المعصوم بأبي وأمي صلوات ربي وسلامه عليه.

8- وفي كلام شيخ الإسلام أهمية نصب الإمام؛ لما في ذلك من مصالح عظمى، وما في عدمه من مفاسد لا تحمد عقباها**.**

9- إنّ من أعظم ما يطاع الحاكم في حكمه الذي بدونه تتعطل المصالح وتقع المفاسد، فإن المرء لا يأخذ حقه بنفسه مما هو حق مشترك، كما لا يحكم في قضية لصالح نفسه، بل لا بد من حاكم يعطي الجميع حقوقهم بموجب حكمه**.**

<u>الدليل السادس</u>: ما تواتر عن النبي ﷺ وذكره أصحاب الصحاح والسنن و المسانيد من النهي عن مفارقة جماعة المسلمين وإمامهم، وكما أمر بقتل كل من أراد أن يفرق كلمة الأمة بأي وجه كان وكائنا من كان وهي أدلة كثيرة جدا وقد استدل بها شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- في تحذيره من الفرقة والاختلاف، من ذلك :

أ- ما جاء في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ((من رأى من أميره ما يكرهه فليصبر

عليه فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إلا وميتته جاهلية)) وفي لفظ ((فإنه من خرج من السلطان شبراً فمات مات ميتة جاهلية)) واللفظ للبخاري. [1] **وعن عرفجة بن شريح الأشجعي**[2] سمعت رسول الله يقول**:** ((إنه ستكون هنات[3] وهنات. فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة، وهي جميع، فاضربوه بالسيف،كائنا من كان)) [4] .

وفي رواية يقول: ((من أتاكم، وأمركم جميع، على رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم، فاقتلوه))[5] . وفي رواية للنسائي : ((أيما رجل خرج يفرق بين أمتي فاضربوا عنقه))[6]. وجاء في حديث أبي سعيد الخدري – قال: قال رسول الله صلى

---

1. (?) مختصر صحيح البخاري ص608 ح2187) كتاب الفتن باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : ((سترون بعدي أمورا تنكرونها)).
2. (?). وقيل: ابن صريح وقيل : ابن شريك وقيل ابن شراحيل نزل الكوفة روى عن أبي بكر الصديق وعنه زياد ابن قلابة/ الإصابة ج6/413.
3. (?) ((هنات.)) جمع هَنَةَ ، وتطلق على كل شيء، والمراد بها هنا: الفتن والأمور الحادثة أي شرور ومفاسد متتابعة خارجة عن السنة والجماعة.

والمراد بها: الفتن الموالية، والمعنى: أنه سيظهر في الأرض أنواع الفساد لطلب الإمارة من كل جهة، وإنما الإمام من انعقدت له البيعة أوَّلاً / النووي شرح صحيح مسلم ج 12/202. و المرقاة للقاري ج17/258-259.

4. (?) رواه مسلم في صحيحه ص488ح(1852) كتاب الإمارة باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع.
5. (?) رواه مسلم نفس المصدر. وقال الإمام النووي: ((يريد أن يشق عصاكم)) معناه يفرق جماعتكم كما تفرق العصاة المشقوقة وهو عبارة عن اختلاف الكلمة وتنافر النفوس./شرح صحيح مسلم ج12/202
6. (?) رواه النسائي ج7/93 ح(4023) باب قتل من فارق الجماعة. وقال الألباني : صحيح لغيره.

الله عليه وسلم: ((إذا بُويع لِخليفتين، فاقتلوا الآخر منهما)) [1] .

هذه جملة من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم استدل بها شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- في هذا الباب أيضا وقد تكلم في هذه الأحاديث وأطال الكلام فيها وأجاد وبين أن هذه الأحاديث تحذر من تفريق كلمة المسلمين وشق عصاهم ومفارقة جماعتهم إذا اجتمعوا على رجل واحد فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم فيها بقتل كل من أراد أن يفرق كلمتهم وجماعتهم ويشتت أمرهم، إذا لم يندفع شره إلا بذلك مثل الخوارج ومن في معناهم من أهل البدع والأهواء. وقد يستدل بها على أن المفسد متى لم ينقطع شره إلا بقتله فإنه يقتل [2] .

والأئمة الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بطاعتهم وعدم منازعتهم هم الأئمة الموجودون المَعْلُومون الذين لهم سلطانٌ وقدرةٌ لا المجهولون أو المنتَظرون الذين ليس لهم وجود إلا في الخيالات الذي أدى إلى ترك الإعتصام بالجماعة وطاعة الولاة الأحياء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- ((إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أمر بطاعة الأئمة الموجودين المعلومين، الذين لهم سلطان يقدرون به على سياسة الناس، لا بطاعة معدوم ولا مجهول، ولا من ليس له سلطان ولا قدرة على شيء أصلا.

---

[1] (?) صحيح مسلم ص 488ح1853) كتاب الإمارة باب إذا بويع لخليفتين.

[2] (?) انظر: مجموع الفتاوى ج18/500وج27/346، 473 - 477 في أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل الخوارج. وسيأتي الحديث عنه أكثر إن شاء الله.
وقال الإمام النووي : ((فيه الأمر بقتال من خرج على الإمام أو أراد تفريق كلمة المسلمين ونحو ذلك ، وينهى عن ذلك فإن لم ينته قوتل وإن لم يندفع شره إلا بقتله فقتل كان هدراً/ شرح النووي لصحيح مسلم ج12/202.

وهو الأمير والإمام والخليفة ذو السلطان الموجود الذي له القدرة على عمل مقصود الولاية -كما أن إمام الصلاة هو الذي يصلي بالناس – وهذا يعاون على البر والتقوى دون الإثم والعدوان ويطاع في طاعة الله دون معصيته ولا يخرج عليه بالسيف ولا ينازع في إمامته.

ولم يأمر بطاعة الأئمة مطلقا، بل أمر بطاعتهم في طاعة الله دون معصيته وهذا يبين أن الأئمة الذين أمر بطاعتهم في طاعة الله ليسوا معصومين وأنه يكره وينكر ما يأتونه من معصية الله ولا تنزع اليد من طاعتهم[1])).

وتبين من هذا أن المراد بالجماعة: هي الجماعة المنتظمة بنصب الإمام ، وهو الإمام الموجود المعلوم الذي له قدرة، وهو من انعقدت له البيعـة أولاً عدلا كان أو فاسقا فلا يجوز بحال السعي في صرف الناس عنه بأية وسيلة وبأية حيلة كانت، بل يجب التعاون معه بالبر والتقوى دون الإثم والعدوان.

قول شيخ الإسلام ابن تيمية في وجود تعدد الأئمة عند الاضطرار

قرر شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله أن الأصل في السنة وجود إمام واحد للمسلمين وعند العجز والاضطرار والحاجة والضرورة يسوغ تعدد الأئمة

فقال – رحمه الله- : ((والسنة أن يكون للمسلمين إمام واحد، والباقون نُوَّابه، فإذا فُرض أن الأمة خرجت عن ذلك لمعصية من بعضها، وعجز من الباقين، أو غير ذلك فكان لها عدة أئمة، لكان يجب على كل إمام أن يقيم الحدود، ويستوفي الحقوق))[2] .

وقد ذكر مثل هذا غير واحد من العلماء[3]

وهذا من التيسير واليسر لهذا الدين العظيم، ومناسبته لكل مكان وزمان وأنه لا غلو فيه ولا تفريط ولا

---

1 (?) منهاج السنة ج1/ 115،116، 117 557 و8/292.

2 (?) مجموع الفتاوى ج34/175-176.

3 (?) سيأتي ذكر أقوالهم.

يكلف المرء فيه بما لا يطاق، ولولا ذلك لكانت مشقة كبيرة على الأمة خصوصًا في هذا العصر قد تقطعت وتباعدت أراضيها وانقسمت إلى دُوَيْلاَتٍ بسبب كيد العدو المستعمر وتفرق المسلمين, ولو توقف الأمر على وجود الإمامة العظمى لتعطلت كثير من المصالح ولضاعت كثير من الحقوق إذ يصعب جمع الناس على إمام واحد نسأل الله أن يعيد لهذه الأمة مجدها وشرفها.

كما أن هذا فيه رد على من يدعي أنه لا يتبع ولا يسمع ويطيع إلا للإمام الأعظم أو المنتظر الذي لا وجود له إلا في الخيال والأذهان.

وقد جاء في كلام العلماء والأئمة ما يوافق كلام شيخ الإسلام ويؤيده

و نقل الإمام ابن كثير كلام العلماء والخلاف فيه ثم نقل كلام إمام الحرمين[1] وقال : ((و حكى إمام الحرمين في ذلك عن الأستاذ أبي إسحاق[2] أنه يجوز نصب إمامين فأكثر إذا تباعدت الأقطار واتسعت الأقاليم بينهما وتردد إمام الحرمين في ذلك.

قلت: وهذا يشبه حال خلفاء بني العباس بالعراق والفاطميين بمصر والأمويين بالمغرب ..))[3] انتهى.

قال العلامة الشوكاني – رحمه الله- : ((أقول إذا كانت الإمامة الإسلامية مختصة بواحد، والأمور راجعة

---

1 (?) تقدمت ترجمته.

2 (?) **أبو إسحاق الإسفراييني الإمام** ، الأستاذ، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، الإسفراييني الأصولي الشافعي، الملقب ركن الدين. أحد المجتهدين في عصره، وصاحب المصنفات الباهرة. سمع من: دَعْلَج السجزي, وغيره، حدث عنه: أبو بكر البيهقي، وأبو القاسم القشري، وأبو الطيب الطبري، وتخرّج به في المناظرة. ومن تصانيفه: ((جامع الخلي في أصول الدين والرد على الملحدين)) قال الحاكم في تاريخه : أبو إسحاق الأصولي الفقيه المتكلم، المتقدم في هذه العلوم، توفي بنيسابور سنة 418هـ انظر: السير ج17/353_356. وطبقات الشافية ج4/256.

3 (?) تفسير ابن كثير ج1/70.

إليه، مربوطة به، كما كان في أيام الصحابة والتابعين وتابعيهم، فحكم الشرع في الثاني الذي جاء بعد ثبوت ولاية الأول أن يقتل إذا لم يتب عن المنازعة. وأما إذا بايع كل واحد منهما جماعة في وقت واحد فليس أحدهما أولى من الآخر، بل يجب على أهل الحل والعقد أن يأخذوا على أيديهما حتى يجعل الأمر في أحدهما، فإن استمرا على الخلاف كان على أهل الحل والعقد أن يختاروا منهما من هو أصلح للمسلمين ولا تخفى وجوه الترجيح على المتأهلين لذلك.

وأما بعد انتشار الإسلام، واتساع رقعته، وتباعد أطرافه؛ فمعلوم أنه قد صار في كل قطر -أو أقطار- الولاية إلى إمام أو سلطان، وفي القطر الآخر أو الأقطار كذلك، ولا ينفذ لبعضهم أمرٌ ولا نهيٌ في قطر الآخر وأقطاره التي رجعت إلى ولايته.

فلا بأس بتعدد الأئمة والسلاطين، ويجب الطاعة لكل واحد منهم بعد البيعة له على أهل القطر الذي ينفذ فيه أوامره ونواهيه، وكذلك صاحب القطر الآخر.

فإذا قام من ينازعه في القطر الذي قد ثبتت فيه ولايته، وبايعه أهله؛ كان الحكم فيه أن يقتل إذا لم يتب.

ولا تجب على أهل القطر الآخر طاعته، ولا الدخول تحت ولايته؛ لتباعد الأقطار، فإنه قد لا يبلغ إلى ما تباعد منها خبر إمامها أو سلطانها، ولا يُدرى من قام منهم أو مات، فالتكليف بالطاعة والحال هذه تكليفٌ بما لا يطاق.

وهذا معلوم لكل من له اطِّلاعٌ على أحوال العباد والبلاد، فإن أهل الصين والهند لا يدرون بمن له الولاية في أرض المغرب، فضلا عن أن يتمكنوا من طاعته، وهكذا العكس وكذلك أهل ما وراء النهر، لا يدرون بمن له الولاية في اليمن، وهكذا العكس.

فاعرفْ هذا؛ فإنه المناسب للقواعد الشرعية والمطابق لما تدل عليه الأدلة، ودَعْ عنك ما يقال في مخالفته، فإن الفرق بين ما كانت عليه الولاية الإسلامية

في أول الإسلام وما هي عليه الآن أوضح من شمس النهار.

ومن أنكر هذا فهو مباهت لا يستحق أن يخاطب بالحجة لأنه لا يعقلها)) [1] انتهى.

وقال الإمام الصنعاني في شرح حديث أبي هريرة رضي الله عنه : ((من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة ومات فميتته جاهلية)).

قال: ((قوله)): عن الطاعة))؛ أي: طاعة الخليفة الذي وقع الاجتماع عليه، وكأن المراد خليفة أيِّ قطرٍ من الأقطار، إذ لم يُجمِع الناس على خليفة في جميع البلادِ الإسلامية من أثناء الدولة العباسية، بل استقلَّ أهل كلِّ إقليم بقائمٍ بأمورهم، إذ لو حُمل الحديث على خليفةٍ اجتمع عليه أهل الإسلام؛ لقلّت فائدته.

وقوله : ((وفارق الجماعة))؛ أي: خرج عن الجماعة الذين اتفقوا على طاعة إمامٍ انتظم به شملهم، واجتمعت به كلمتهم، وحاطت عن عدوهم)) [2] انتهى.

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله-: ((الأئمة مجمعون من كل مذهبٍ على أن من تغلّب على بلدٍ – أو بلدانٍ له حكم الإمامة في جميع الأشياء، لو لا هذا ما استقامت الدنيا؛ لأن الناس مِنْ زَمنٍ طويلٍ – قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا- ما اجتمعوا على إمامٍ واحد..)) [3] انتهى.

---

1 (?) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار للشوكاني ج 4/512 دار الكتب العلمية- بيروت . ط:1 ،1405 هـ تحقيق محمود إبراهيم زايد. والروضة الندية ج4/355.

2 (?) سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام ج 3/499

3 (?) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ج7/239 وكتاب معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة للدكتور عبد السلام بن برجس ص33. و هوكتاب قيم جدا وقد أجاد مؤلفه وأحسن في هذا الباب مهم فليراجع فإنه مهم.

هذه النصوص تؤكد ما ذكره شيخ الإسلام وقرره في هذا الموضع في هذه المسألة، وتبين أيضا أنه – رحمه الله- لم ينفرد به، بل قد قال به غيره من العلماء، وكما تفند دعوى من يدفع الناس إلى الفتن ويحضهم عليها ويدعي القول بأن شيخ الإسلام ابن تيمية خالف الإجماع وانتقد العلماء وخالف الفقهاء والنصوص الصريحة.[1]

وفي أهمية دور ولاة الأمر ووجوب وجودهم وتوقف أمور الرعية عليهم بعد الله ومكانتهم والتزام

---

[1] (?) قال مؤلف كتاب ((الفكر السياسي عند شيخ الإسلام ابن تيمية)) الدكتور بسام عطية إسماعيل فرج في ص230 بعد قوله: ويرى ابن تيمية أن من السنة أن لا يبايع للمسلمين إلا إمام واحد وبقية الحكام أو الأمراء نواباً ..إلا أن قال : ((وهذا الرأي الذي ذهب إليه ابن تيمية محل إجماع بين العلماء ، ولكن ابن تيمية لم يعتمد هذا الإجماع، بل انتقد ابن حزم على ادعائه الإجماع، ولم يقدم دليلا كافيًا في نقض الإجماع سوى مخالفة بعض الفرق المنحرفة عن منهج أهل السنة والتي لا يعتد بخلافها ...)) ومن قرأ كتاب المؤلف رأى العجب العجاب إذ إن الباحث يدعي أنه منصف وأنه ...مع هذا ينتقد العلماء وبخاصة الصحابة ويضعف الأحاديث التي رواها مسلم في صحيحه ويؤول كلام العلماء ويصرفه إلى غير مرادهم ، مع أن ابن حزم-رحمه الله – قد قال في كتابه ((الفصل)) ج 4/72: ((وقد علمنا بضرورة العقل وبديهته أن قيام الناس بما أوجبه الله تعالى من الأحكام عليهم، في الأموال والجنايات ، والدماء، والنكاح والطلاق وسائر الأحكام كلها، ومنع الظالم وإنصاف المظلوم وأخذ القصاص على تباعد أقطارهم وشواغلهم واختلاف آرائهم وامتناع من تحرى في كل ذلك ممتنع غير ممكن؛ إذ قد يريد واحد أو جماعة أن يحكم عليهم إنسان، ويريد آخر أو جماعة أخرى أن لا يحكم عليهم، إما لأنها ترى في اجتهادها خلاف ما رأى هؤلاء، وإما خلافا مجردا عليهم، وهذا الذي لا بد منه ضرورة وهذا مشاهد في البلاد التي لا رئيس لها فإنه لا يقام هناك حكم حق ولا حد، حتى قد ذهب الدين في أكثرها، فلا تصح إقامة الدين إلا بالإسناد إلى واحد أو إلى أكثر من واحد فإذا لا بد من أحد هذين الوجهين ..)).

الرعية بالطاعة والالتفاف حولهم وما يعينهم_الولاة والأئمة- على هذه المسؤولية العظيمة يقول –رحمه الله- :

((ومتى اهتمت الولاة بإصلاح دين الناس صلح للطائفتين دينهم ودنياهم، وإلا اضطربت الأمور عليهم. وملاك ذلك كله:

1- صلاح للرعية 2- إخلاص الدين كله لله. 3- التوكل عليه.

فإنّ الإخلاص، والتوكل جماع صلاح الخاصة والعامة. كما أمرنا أن نقول: (إياك نعبد وإياك نستعين). فإن هاتين الكلمتين قد قيل: إنهما يجمعان معاني الكتب المنزلة من السماء.

وأعظم عون لولي الأمر خاصة، ولغيره عامة ثلاثة أمور:

أحدها: الإخلاص لله والتوكل عليه بالدعاء وغيره. وأصل ذلك المحافظة على الصلوات بالقلب والبدن.

الثاني: الإحسان إلى الخلق بالنفع والمال الذي هو الزكاة.

الثالث: الصبر على أذى الخلق وغيره من النوائب.

وفي الصبر احتمال الأذى، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس، ومخالفة الهوى، وترك الأشر والبطر.

فقد قال تعالى لنبيه: ﭽ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ[1]

وقال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ[2] **وقال تعالى:** ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ[3].

---

1 (?) الأعراف (199).

2 (?) آل عمران (133-134).

3 (?) فصلت (34-36).

فليس حسن النية بالرعية والإحسان إليهم أن يفعل ما يهوونه ويترك ما يكرهونه، فقد قال الله تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳﭴ ﭽ[1] .

إنما الإحسان إليهم يكمل بفعل ما ينفعهم في الدين والدنيا، ولو كرهه من كرهه ينبغي له أن يرفق بهم فيما يكرهونه فقد جاء في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((الرفق ما كان في شيء إلا زانه، ولا كان العنف في شيء إلا شانه))[2] وقال: ((إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف))[3]

فهذا الكلام في غاية الحسن والجمال والدقة والكمال، فلو أن الناس اتبعوا الحق الذي جاء به الكتاب والسنة وفق فهم السلف الصالح لسادوا في الدنيا والآخرة ولكن الشيطان ينزغ بينهم ويزين لهم سوء عملهم من العنف والشدة والخروج واستباحة الدماء، وترك الصبر والتوكل إلا من رحم الله ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭽ[4] .

ولكن المتنطّعين أبوْا إلا الخروج على الحكام وقتالهم وعلى جماعة المسلمين بتكفيرهم وتجهيلهم، وإراقة دماء الأبرياء واستباحتها والتفريق بين الأمة وتشتيتهم وإفساد دينهم ودنياهــم إلا من رحم الله.

ب- ومن الأدلة في السنة ما جاء في ذمِّ الخوارج والأمر بقتالهم والترغيب في ذلك.

قرر شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- إجماع الأمة على وجوب قتال الخوارج وأن ذلك ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم إذ أمر بقتالهم ورغب فيه وقاتلهم

---

1 (?) المؤمنون آية: (71).

2 (?) رواه مسلم في صحيحه ص 661 ح(2594)نفسن الكتاب والباب.

3 (?)رواه مسلم في صحيحه ص660 ح(2593) كتاب البر والصلة باب فضل الرفق.

4 (?) النساء آية: (66).

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رأسهم علي بن أبي طالب – رضي الله عنه-

فقال –رحمه الله- : ((اتفق الصحابة وعلماء المسلمين على قتال الخوارج))[1].

ومستند شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك من السنة النبوية ما يلي:

ما أخرجاه في الصحيحين عن على بن أبى طالب، وعن أبي سعيد الخدري وغيرهما دخل حديث بعضهم في بعض أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقسم، فجاءه رجل ناتئ الجبين، كثُّ اللحية، محلوق الرأس، بين عينيه أثر السجود، وقال ما قال فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: ((يخرج من ضئضىء هذا قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية..))[2].

وهذا كان أولهم خروجًا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين طعن في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالظن والهوى كما سيأتي بيانه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((وقد تواترت النصوص عن النبي صلى الله عليه وسلم بذمِّهم، خرَّج مسلم في صحيحه حديثهم من عشرة أوجه، وخرجه البخاري من عدة أوجه، وخرجه أصحاب السنن، و المسانيد من أكثر من ذلك، قال صلى الله عليه وسلم فيهم ((يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد)) وفي رواية : ((أينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا لمن

1 (?) منهاج السنة ج1/68.

2 (?) صحيح مسلم ص252،253ح(1064)و(1065)و(1066) كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم وباب التحريض على قتل الخوارج.

قتلهم عند الله يوم القيامة يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان)) وفي رواية: ((أينما لقيتموهم فاقتلوهم أو فقاتلوهم فإنّ في قتلهم أجرا عند الله لمن قتلهم يوم القيـامة لئن أدركتــهم لأ قتلنهم قتل عاد)) وفي رواية: ((شر قتيل تحت أديم السماء خير قتيل من قتلوه)) وفي رواية: ((لو يعلم الذين يقاتلونهم ما زوي لهم على لسان محمد لنكلوا عن العمل)).[1]

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال هؤلاء المارقين قد ثبت في الصحاح وغيرها من رواية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأبي سعيد الخدري، وسهل بن حنيف، وأبي ذر الغفاري، وسعيد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، وابن مسعود رضي الله عنهم.

وهؤلاء لما خرجوا في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قاتلهم هو وأصحاب رسول الله بأمر النبي صلى الله عليه وسلم و تحضيضه على قتالهم واتفق على قتالهم جميع أئمة الإسلام.

وهكذا كل من فارق جماعة المسلمين وخرج عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشريعته من أهل الأهواء المضلة والبدع المخالفة قال الإمام أحمد بن حنبل صح الحديث في الخوارج من عشرة أوجه)). [2]

فهؤلاء أول من كفر المسلمين بالذنوب وكفروا من خالفهم واستحلوا دماءهم واعتزلوا عنهم، خرجوا على جماعتهم وكوّنوا حزبهم ؛ فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم ورغب في قتلهم تحذيرا لأمثالهم ممن

---

[1] (?) انظر : صحيح البخاري مع الفتح ج12 /295 ح(6930) و(6931)و(6933)و(6934) وصحيح مسلم ص252_255 ح(1064)و(1065)و(1066)و(1067)و(1068). وأبي داود في مسنده ح(4764) والنسائي في سننه ح(2578)و(4101) وأحمد في مسنده ج3/4، 68، 73.

[2] (?) مجموع الفتاوى ج 3/ 279، 382 وج4/500 وج ومنهاج السنة ج5/47 ، 150، وج8/527، 528، وكتاب الإستقامةج 1/258.

تسوّل له نفسه في اتباعهم في بدعتهم واقتفاء أثرهم فهذا حكمهم.

ويرى شيخ الإسلام – رحمه الله- أن هؤلاء الخوارج الذين قاتلهم الصحابة وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم، وكذلك الصفات التي ذكرها لا يختص بها هؤلاء فقط، بل يعم كل من كان في معناهم إلي يوم القيامة، ولا يزال لهم أفراخ ممن يتبنى أفكارهم وآراءهم في كل زمان ومكان، يُكَفِّرون المجتمعات بالذنوب، ويطعنون في علمائهم، ويستخدمون العنف والشدة وقد يلتبس أمرهم على بعض الناس حتى لا يكادون يرون قتالهم.

فقال – رحمه الله- : ((**وكذلك الخوارج لما كانوا أهل سيف وقتال ظهرت مخالفتهم للجماعة حين كانوا يقاتلون الناس، وأما اليوم فلا يعرفهم أكثر الناس**)) [1] .

هذا من دقة فهم شيخ الإسلام واهتمامه في تتبع أفكارهم وآرائهم وتحذيره للأمة منهم، وهذا الكلام ذكره في زمنه :بأن أكثر الناس لا يعرفون هؤلاء الخوارج بنعوتهم وصفاتهم المعروفة عند أهل العلم والفهم بالكتاب والسنة حتّى يظهر أمرهم وينكشف بمباشرتهم لقتال المسلمين، فكيف لو رأى شيخ الإسلام ما نحن فيه اليوم من اغترار فئام كثيرة بأفعال وأقوال خوارج هذا العصر، بل وتمجيد البعض لهم وإطلاق الأوصاف المبجلة عليهم، واغترار البعض ممن لا علم عنده ببعض ما يظهرون من العبادات والحماس مع الغفلة عن حقيقة معتقد الخوارج.[2]

ونجد أن هؤلاء مع كثرة تعبُّداتهم التي قال عنها الرسول صلى الله عليه وسلم: ((يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم..يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من

---

1. (?) كتاب النبوات ص193.
2. (?) انظر: كتاب فكر الإرهاب والعنف في المملكة العربية السعودية ((مصدره – وأسباب انتشاره- وعلاجه)) عبد السلام بن سالم السحيمي ص11. كتاب قيم في توضيح هذا الباب.

الرمية أينما لقيتموهم فإن في قتلهم أجرا عند الله لمن قتلهم، وقاتلهم أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب – رضي الله عنه لما خرجوا عن شريعة رسول الله وسنته وفارقوا جماعة المسلمين بأمر من النبي . [1]

فثبت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة أنه يقاتل من خرج عن شريعة الإسلام وإن تكلم بالشهادتين[2] .

((والمقصود من قتالهم أن تكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدين كله لله، فلهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بهذا، ونهى عن ذلك))[3].

هذا من إنصاف شيخ الإسلام ابن تيمية وصدق ابتاعه لنصوص الكتاب والسنة وبيان قتال هؤلاء الخارجين لكن لا كرهاً أو بغضاً أو انتقاماً وإنما القصد في ذلك إعلاء الكلمة وحفظ دين العباد ودنياهم.

بين شيخ الإسلام أن كل من أعان الخارجين عن الطاعة المفارقين للجماعة المفسدين في الأرض أو آواهم فحكمه حكمهم.

وقد قرر شيخ الإسلام ابن تيمية هنا أنّ كل من أعان الخارجين عن الطاعة المفارقين للجماعة المفسدين في الأرض أو آواهم بين شيخ الإسلام أن حكمه حكمهم.

قال – رحمه الله-: ((إذا كان المطلوب من الطائفة المفسدة الظلمة، الذين خرجوا عن الطاعة وفارقوا الجماعة، وعدوا على المسلمين في دمائهم وأموالهم بغير حق، وقد طُلِبُوا ليقامٍ فيهم أمر الله ورسوله، فهذا الذي عاد منهم مقاتلاً فلا يجوز قتاله، بل المحاربون يستوي فيهم المعاون والمباشر عند جمهور الأئمة كأبي حنيفة، ومالك، وأحمد فمن كان معاونا كان حكمه حكمهم))[4].

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج11/53.بتصرف بسيط فيه.

2 (?) مجموع الفتاوى ج28/358.

3 (?) منهاج السنة ج5/153.

4 (?) مجموع الفتاوى ج35.

فيجب على الجميع التعاون على البر والتقوى دون الإثم والعدوان ومعرفة المفسد من المصلح لحفظ الدين والدنيا كما أمر الله ورسوله.

مما يتعلق بهذا الباب ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية أن شر الخوارج لم يتوقف منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا يتوقف إلى حين خروج الدجال كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم .

ولهذا فقد قام بجهود كبيرة في بيان صلة بعضهم ببعض وتشابه آرائهم وأفكارهم منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى آخرهم خروجاً، وأنّ العلماء الذين يعلمون بحقيقتهم قد أدخلوا في الحديث السابق كل من كان في معناهم إما لفظا أو معنى

وإن كان قد التبس أمرهم على بعض الناس، أو ظن بعضهم أن هؤلاء الخوارج قد انقرض عصرهم، وليس لهم وجود، وأن الحديث يخص أولئك القوم الذين قاتلهم الصحابة فقط دون غيرهم، وتلك أمة قد خلت.

فقام شيخ الإسلام ببيان ما يجمعهم كلهم قديما وحديثا وبين أصل اعتقادهم وأنه يدخل في معناهم كل من عمل مثل عملهم وكل بحسبه.

قال ((فهؤلاء أصل ضلالهم: اعتقادهم في أئمة الهدى وجماعة المسلمين أنهم خارجون عن العدل، وأنهم ضالون، وهذا مأخذ الخارجين عن السنة، ثم يعدون ما يرون أنه ظلم عندهم كفرا. ثم يرتبون على الكفر أحكاماً ابتدعوها.

فهذه ثلاث مقامات للمارقين من الحرورية والرافضة ونحوهم، في كل مقام تركوا بعض أصول دين الإسلام، حتى مرقوا منه كما يمرق السهم من الرمية، وفي الصحيحين ((يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان ؛ لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد))[1] . وهذا نَعْتُ سائر الخارجين كالرافضة ونحوهم؛ فإنهم يستحلون دماء أهل القبلة لاعتقادهم أنهم مرتدون أكثر مما يستحلون من

---

1 (?) جزء من الحديث السابق ،تقدم تخريجه.

دماء الكفار الذين ليسوا مرتدين؛ لأن المرتد شر من غيره)).[1]

فهذه من أوصافهم الطعن في أئمة الهدى من أهل العلم والخروج على ملوك المسلمين الظلمة وتكفيرهم واستحلال دمائهم.

قال شيخ الإسلام أيضا: ((وفي حديث أبي سعيد: أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر قوما يكونون في أمته: ((يخرجون في فرقة من الناس، سيماهم التحليق. قال: هم شر الخلق، أو من شر الخلق، تقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق))[2]. **وهذه السيما سيما أولهم كما كان ذو الثديَّة**[3] **لأن هذا وصف لازم لهم**))[4].

قال: ((وهذه النصوص المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الخوارج قد أدخل فيها العلماء لفظًا ومعنى أو معنى من كان في معناهم من أهل الأهواء الخارجين عن شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجماعة المسلمين؛ بل بعض هؤلاء شر من الخـوارج الحـرورية؛ مثل الخـــرمية[5] والقرامـــطة،

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج28/497.

2 (?) رواه مسلم في صحيحه ص252 ح(1064)كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم

3 (?) ذو الثدية الذي قتله الإمام علي رضي الله عنه. ويقال له أيضا حرقوص.

4 (?) مجموع الفتاوى ج28/497.

5 (?) **الخرمية:** أصحاب بابك الخرمي أحد ألقاب أئمة الملاحدة الذين خرجوا بأرض أذربيجان في زمن المعتصم مع بابك الخرمي وكانوا يسمون الخرمية، و المحمرة والقرامطة الباطنية الذين خرجوا بأرض العراق وغيرها بعد ذلك وأخذوا الحجر الأسود وبقى معهم مدة كأبى سعيد الجنابى وأتباعه والذين خرجوا بأرض المغرب ثم جاوزوا إلى مصر وبنوا القاهرة وادعوا أنهم فاطميون مع اتفاق أهل العلم بالأنساب أنهم بريئون من نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن نسبهم متصل بالمجوس واليهود واتفاق أهل العلم بدين

والنصيرية[1]، وكل من اعتقد في بشر أنه إله، أو في غير الأنبياء أنه نبي، وقاتل على ذلك المسلمين. فهو شر من الخوارج الحرورية»[2].

فتبين من هذا أن خروج الخوارج الحرورية هنا يشمل:

1- **الخروج على أئمة المسلمين وجماعتهم وتكفيرهم واستحلال دمائهم بحيث إنهم خرجوا على عثمان وعلي وكفروهم.**

2- **الخروج عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بردها أو تأويلها بحيث طعنوا في حكمه وقسمته وفي عدله وكذلك في أئمة المسلمين وعلمائهم من الصحابة رضوان الله عليهم جميعا.**

إلا أن شيخ الإسلام ابن تيمية يرى أن حكم النبي صلى الله عليه وسلم على هؤلاء وذكره لهم في هذا الحديث لا يخصهم هم وحدهم، بل يدخل فيه كل من كان في مثلهم كما تقدم.

« والنبي صلى الله عليه وسلم إنما ذكر الخوارج الحرورية، لأنهم أول صنف من أهل البدع خرجوا بعده؛

رسول الله أنهم أبعد عن دينه من اليهود والنصارى»/ مجموع الفتاوى ج28/483 ودرء تعارض العقل والنقل ج2/415.

[1] (?) **قال في تعريفهم: فأما النصيرية:** فهم أتباع أبى شعيب محمد بن نصير وكان من الغلاة الذين يقولون إن عليا إله وهم ينشدون ... أشهد أن لا اله إلا ... حيدرة الأنزع البطين ... ولا حجاب عليه إلا ... محمد الصادق الأمين ... ولا طريق إليه إلا ... سلمان ذو القوة المتين ...
وأما الدرزية: فأتباع هشتكين الدرزي وكان من موالى الحاكم أرسله إلى أهل وادي تيم الله بن ثعلبة فدعاهم إلى إلهية الحاكم ويسمونه الباري العلام ويحلفون به وهم من الإسماعلية القائلين بأن محمد بن إسماعيل نسخ شريعة محمد بن عبد الله وهم أعظم كفرا من الغالية يقولون بقدم العالم وإنكار المعاد وإنكار واجبات الإسلام ومحرماته وهم من القرامطة الباطنية الذين هم أكفر من اليهود والنصارى ومشركي العرب وغايتهم أن يكونوا فلاسفة على مذهب أرسطو وأمثاله أو مجوسا وقولهم مركب من قول الفلاسفة والمجوس ويظهرون التشيع نفاقا والله أعلم»/ مجموع الفتاوى ج35/161، 162.

[2] (?) مجموع الفتاوى ج28/476.

بل أولهم خرج في حياته. وذكرهم لقربهم من زمانه، كما خص الله ورسوله أشياء بالذكر لوقوعها في ذلك الزمان، مثل قوله:

چ   ﭙ ﭚ چ[1] وقوله: چ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ
 چ[2] ونحو ذلك.

ومثل تعيين النبي صلى الله عليه وسلم قبائل من الأنصار، وتخصيصه أسلم وغِفَار، وجهينة، وتميم، وأسد، وغطفان وغيرهم بأحكام؛ لمعانٍ قامت بهم، وكل من وُجِدتْ فيه تلك المعاني ألحق بهم؛ لأن التخصيص بالذكر لم يكن لاختصاصهم بالحكم؛ بل لحاجة المخاطبين إذ ذاك إلى تعيينهم؛ هذا إذا لم تكن ألفاظه شاملة لهم)).[3]

ومثال ذلك: الرافضة كفَّرتْ أبا بكر وعمر وعثمان وعامة المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، وكفروا جماهير أمة محمد صلى الله عليه وسلم من المتقدمين والمتأخرين.

فيُكَفِّرُونَ كل من اعتقد في أبي بكر وعمر والمهاجرين والأنصار **العدالة، أو ترضى عنهم كما رضي الله عنهم، أو يستغفر لهم كما أمر الله بالاستغفار لهم، ولهذا يُكَفِّرون أعلام الملة**: مثل سعيد بن المسيب، وأبي مسلم الخولاني[4] ، وأويس القرني[5]،

---

1 (?) الأنعام آية: (151).

2 (?) المائدة آية: 54).

3 (?) مجموع الفتاوى ج28/476.

4 (?) **أبو مسلم الخولاني** الزاهد الشامي**،** اسمه عبد الله بن ثوب، وقيل: ابن أثوب ويقال: ابن عوف ويقال:اسمه يعقوب بن عوف ثقة عابد، من الثانية، رحل إلى النبي فلم يدركه، وعاش إلى ومن يزيد بن معاوية/تقريب التقريب ص 593ت(8367)

5 (?) **أويس بن عامر القرني** سيد التابعين قتل بصفين / تقريب التقريب ص55ت(581).

وعطاء بن أبي رباح[1] وإبراهيم النخعي[2]، ومثل مالك والأوزاعي، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد، وغير هؤلاء. ويستحلون دماء من خرج عنهم، ويسمون مذهبهم مذهب الجمهور، ويرون في أهل الشام ومصر والحجاز والمغرب واليمن والعراق والجزيرة وسائر بلاد الإسلام أنه لا يحل نكاح هؤلاء ولا ذبائحهم، وأن المائعات التي عندهم من المــياه والأدهان وغيرها نجسة، ويرون أن كفرهم أغلظ من كفر اليهود والنصارى؛ لأن أولئك عندهم كفار أصليُّون، وهؤلاء مرتدون، وكفر الردة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي.

ولهذا يعاونون الكفار على الجمهور من المسلمين، فهم أشد ضرراً على الدين وأهله[3].

والأمر الثاني : أن الحديث روي بألفاظ **متنوعة ففي الصحيحين : ((سيخرج قوم آخر الزمان حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية))**[4] وفي رواية: ((يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم))[5].

أ- وهذه العلامة التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم هي علامة أول من يخرج منهم، ليست مخصوصة بهم.

---

1 (?) **هو عطاء بن أبي رباح القرشي مولاهم**، المكي: ثقة فاضل لكنه كثير الإرسال، من الثالثة، مات سنة أربع عشرة، على المشهور/تقريب التقريب ص331 ت(4591).

2 (?) **إبراهيم بن سويد النخعي** ثقة لم يثبت أن النسائي ضعّفه من السادسة/ تقريب التهذيب ص30ت (184).

3 (?) مجموع الفتاوى ج28/476، 477، 478، 479.

4 (?) صحيح البخاري ج4/1927 ح(4770).باب إثم من راءى بقراءة القرآن.

5 (?) صحيح مسلم ص254 ح(1066). كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم.

ب- أنه صلى الله عليه وسلم قد أخبر في غير هذا الحديث أنهم لا يزالون يخرجون إلى زمن الدجال.
ج- وأنه أيضا قد اتفق المسلمون على أن وصف الخوارج ليس مختصاً بذلك العسكر فقط.
د- وأيضا فالصفات التي وصفها تعم غير ذلك العسكر، ولهذا كان الصحابة يرون الحديث مطـلقًا.[1]

فقد أفادنا هذا التقرير أن لفظ الخروج والخوارج يعود إلى أقوال وأعمال واعتقادات مخالفة للسنة ومناقضة للكتاب يقوم بها شخص أو جماعة أو فرقة أو حزب أو نحوه فكل من قام بها أو وُجدتْ فيه كان خارجيا كما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية وهو نعتُ سـائر الخارجين من حين خروجهم في الصحابة فقاتلهم علي – رضي الله إلى حين ظهور الدجال.

وهؤلاء من أعظم المفسدين والساعين في الأرض الفساد، فإذا لم يندفع فسادهم إلا بالقتل قتلوا، ولا يجب قتل كل واحد منهم إذا لم يظهر هذا القول، أو كان في قتله مفسدة[2] راجحة. ولهذا ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل ذلك الخارجي ابتداءً لئلا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه، ولم يكن إذ ذاك فسـاد عام[3] ولهذا ترك علي قتلهم أول ما ظهروا لأنهم كانوا خلقًا كثيرًا، وكانوا داخلين في الطاعة والجماعة ظاهرًا لم يحاربوا أهل الجماعة ولم يكن يتبين له أنهم هم.

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج28/498، 499، 500 بتصرف يسيرفيه..

2 (?) خصوصاً في هذا العصر إذ أصبحت لبعض أهل البدع دولة وقوة تحميهم.

3 (?) ولهذا فلا بد من مراعاة الأحوال والظروف وهذا ليس خوفا ولا مداهنة وإنما للمصلحة العامة ولنا في أفضل الخلق وأشجعهم وأصبرهم وأرحمهم أسوة حسنة.

وأما تكفيرهم وتخليدهم ففيه قولان، والصحيح أن هذه الأقوال التي يقولونها والتي يعلم أنها مخالفة لما جاء به الرسول كفر.

وكذلك أفعالهم التي من جنس أفعال الكفار بالمسلمين هي كفر أيضا.

لكن تكفير الواحد المعين منهم والحكم بتخليده في النار موقوف على ثبوت شروط التكفير، وانتفاء موانعه[1] .

فينبغي للمسلم أن يحذر من الأصلين اللذين قام عليهما قول الخوارج وما يتولد عنهما من بغض المسلمين وذمهم، ولعنهم، واستحلال دمائهم.

وهذان الأصلان هما: خلاف السنة والجماعة، فمن خالف السنة فيما أتت به أو شرعته فهو مبتدع خارج عن السنة.

ومن كفر المسلمين بما رآه ذنباً سواء كان دينا أو لم يكن ديناً وعاملهم معاملة الكفار فهو مفارق للجماعة[2] .

الدليل السادس: أحاديث تنهي عن القتال في الفتة

من نصوص السنة الواردة في نهي الأمة عن التفرق والاختلاف ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في النهي عن القتال في الفتن والقعود عنها وترك المشاركة فيها قولاً أو عملاً كما قرره شيخ الإسلام في أكثر من موضع. وأن الفتنة قد يعلم من أين بدأت ولكنه لا يُدرى إلى أين تنتهي

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- : ((وقد ثبت عن النبي صلى اله عليه وسلم من كراهة القتال في الفتن والتحذير منها من الأحاديث الصحيحة ما ليس هذا موضعه

كقوله : ((ستكون فتنٌ القاعدُ فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج28/499، 500.

[2] (?) مجموع الفتاوى ج19/74,.

خير من الساعي، من تشرَّف[1] لها تستشرفه[2] ، فمن وجد منها ملجأً أو معاذًا[3] فليعُذْ به›› [4][5] وفي رواية: ‹‹ فإذا وقعت فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كان له غنم فليلحق بغنمه، ومن كان له أرض فليلحق بأرضه›› فقال رجل: يا رسول الله أرأيت إن أكرهتُ حتى يُنْطلَق بي إلى أحدِ الصفين أو إحدى الفئتين، فضربني رجل بسيفه أو يجيء سهم فيقتلني؟ قال: ‹‹يبوء بإثمه وإثمك ويكون من أصحاب النار››[6] .

وقال: ‹‹ يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف [7] الجبال ومواقع القطر[8] يفر بدينه من الفتن›› [9] وأمره لصاحب السيف عند الفتنة أن يتخذ

---

1 (?) تشرف لها قال ابن حجرفي فتح الباري ج13/ 34: أي تطلع لها بأن يتصدى ويتعرض لها ولا يعرض عنها، وضبط أيضا من الشرف والإشراف››.

2 (?) أي تهلكه بأن يشرف منها على الهلاك، يقال استشرفت الشيء علوته وأشرفت عليه، يريد من انتصب لها انتصبت له ومن أعرض عنها أعرضت عنه، و حاصله أن من طلع فيها بشخصه قابلته بشرفها، ويحتمل أن يكون المراد من خاطر فيها بنفسه أهلكته./فتح الباري ج13/34.

3 (?) أي ملجأً.

4 (?) أي: ليعتزل فيه ليسلم من شر الفتنة/ ذكره ابن حجر في الفتح ج13/34.

5 (?) صحيح البخاري مع الفتح ج13/33 ح(7081) كتاب الفتن باب تكون فتنة القاعد فيها من القائم. وصحيح ومسلم ص729 ح(2886) كتاب الفتن و أشراط الساعة.

6 (?) صحيح مسلم ص729 ح(2887). كتاب الفتن و أشراط الساعة.

7 (?) رؤوس الجبال.

8 (?) مواقع القطر: مواقع نزول المطر.

9 (?) صحيح البخاري مع الفتح ج13/44 ح(7088). كتاب الفتن باب التعزب في الفتنة.

سيفا من خشب[1] . وبحديث أبي بكرة[2] عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((إذا التقى المسلـمان بسيفيهما فالقـاتل والمقتول في النـار))[3] وقــوله: ((لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)).[4] [5]

قرر شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله تعالى- أن النبي صلى الله عليه وسلم كره القتال في الفتنة التي بين المسلمين وحذر من الخوض فيها ونهى عن المشاركة فيها قولاً وعملاً.

والمراد بقتال الفتنة في مفهوم شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- هو: ((مثل الحروب التي تكون بين ملوك المسلمين، وطوائف المسلمين مع أن كل واحدة من الطائفتين ملتزمة لشرائع الإسلام مثل ما كان بين أهل الجمل وصفين وإنما اقتتلوا لشبه وأمور عرضت)) [6].

وهذه هي الفتنة التي تقع بين أهل الإسلام الذين يقرون بشرائع الإسلام، وهذا الذي فهمه شيخ الإسلام وقد قرره في غير هذا الموضع وهذا الذي أمر النبي

---

1 (?) وهو حديث

2 (?) **أبو بكرة الثقفي الطائفي**: نُفيع بن الحارث، وقيل: نُفَيْعُ بن مسروح. تدلى في حصار الطائف ببكرة، وفر إلى النبي ، وأسلم على يده، وأعلمه أنه عبد، وأعتقه. وروى جملة أحاديث. حدث عنه بنوه الأربعة: عبيد الله؛ وعبد الرحمن؛ وعبد العزيز ومسلم، وغيرهم. قال ابن سعد: مات أبو بكرة في خلافة معاوية بن أبي سفيان بالبصرة. فقيل: مات إحدى وخمسين. وقيل: مات سنة اثنتين وخمسين./ السير ج3/ 5، 9.

3 (?) صحيح مسلم ص 729ح (2888) كتاب الفتن باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما.

4 (?) صحيح البخاري مع الفتح ج13/29 ح (7079) كتاب الفتن باب قول النبي : لا ترجعوا بعدي كفارا.

5 (?) مجموع الفتاوى ج28/551.

6 (?) مجموع الفتاوى ج28/551.

صلى الله عليه وسلم باعتزاله واعتزال الطائفتين المتقاتلتين.

وهذا المفهوم قد دل عليه كلام العلماء- رحمهم الله- وأنه المراد في الحديث وأيضا فعل بعض الصحابة رضوان الله عليهم حين توقفوا عن القتال في الفتنة ومثـل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وغيره، وأيضا مدح النبي صلى الله عليه وسلم للحسن بن علي رضي الله عنه لما تنازل لمعاوية – رضي الله عنه- دليل على هذا المفهوم[1]

قال: ((**والمشروع ترك القتال في الفتن، كما جاءت به هذه النصوص عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكما فعله من فعله من القاعدين عن القتال لإخبار النبي صلى الله عليه وسلم أن ترك القتال في الفتنة خير، وأن الفرار من الفتن باتخاذ غنم في رؤوس الجبال خير من القتال فيها.**

ولأن النصوص صرَّحت بأن القاعد فيها خير من القائم، والبعد عنها خير من الوقوع فيها، قالوا: ورجحان العمل يظهر برجحان عاقبته، ومن المعلوم أنه بالقتال يزداد البلاء، وتسفك الدماء وتتنافر

---

[1] (?) قال ابن حجر في الفتح ج13/34 ، 35: ((كأن المراد بالفتنة ما يقع من الحروب بين المسلمين، لأن في بيعه (أي السلاح) إعانة لمن اشتراه، وهذا محل اشتبه الحال، فأما إذا تحقق الباغي فالبيع للطائفة التي في جانبها الحق لا بأس به. قال ابن بطال: إنما كره بيع السلاح في الفتنة لأنه من باب التعاون على الإثم والعدوان . قال الطبري بعد ذكر أقوال العلماء : والصواب أن يقال: إن الفتنة أصلها الابتلاء، وإنكار المنكر واجب على كل من قدر عليه، فمن أعان المحق أصاب، ومن أعان المخطئ أخطأ، وإن أشكل الأمر فهي الحالة التي ورد النهي عن القتال فيها. وقيل أحاديث النهي مخصوصة بآخر الزمان حيث يحصل التحقق أن المقاتلة إنما هي في طلب الملك، وقد وقع في حديث بن مسعود الذي فيه: قلـــت يا رسول الله ومتى ذلك ؟ قال: ((أيام الهرج)) قلت: وما الهرج؟ قال: ((حين لا يأمن الرجل جليسه)).

القلوب، وتظهر المفاسد ولم يحصل به مصلحة راجحة.

ولهذا كان مذهب أهل السنة والجماعة ترك الخروج بالقتال على الملوك البغاة، والصبر على ظلمهم، إلى أن يستريح بَرٌّ أو يستراح من فاجر، وقد يكون هذا من أسرار القرآن في كونه لم يأمر بالقتال ابتداءً، وإنما أمر بقتال الطائفة الباغية بعد اقتتال الطائفتين وأمر بالإصلاح بينهما))[1]

ويدخل في هذا الباب ترك ترويج الفتن أو السعي في إثارتها بين المسلمين وتذكيرهم بالفتن التي قد مضتْ والخوض فيها كالتي شجرتْ بين الصحابة والتكلم فيها بلا علم وعدل مما يفضي إلى الإساءة إلى أحدهم كما يفعله بعض أهل الأهواء والبدع. فكل هذا من الفتن ويؤدي إلى التفرق والتباغض وغير ذلك

((لأنه مظنة الفتنة والأصل أن كل ما كان سبباً للفتنة، فإنه لا يجوز، فإن الذريعة إلى الفساد يجب سدها إذا لم يعارضها مصلحة راجحة))[2].

((ولهذا كان من مذاهب أهل السنة وأصولهم الإمساك عما شجر بين الصحابة، فإنه قد ثبت فضائلهم، ووجبت موالاتهم ومحبتهم، وما وقع منه ما يكون لهم فيه عذر يخفى على الإنسان، ومنه ما تاب صاحبه، ومنه ما يكون مغفوراً، فالخوض فيما شجر بينهم يوقع في نفوس كثير من الناس بغضاً وذمًا،ويكون هو في ذلك مخطئًا، بل عاصيًا، فيضر نفسه ومن خاض معه في ذلك، كما جرى لأكثر من تكلم في ذلك، فإنهم تكلموا بكلام لا يحبه الله ولا رسوله، إمّا مِنْ ذِمِّ مَنْ لا يستحق الذم، وإما من مدح أمور لا تستحق المدح، ولهذا كان الإمساك طريقة أفاضل السلف))[3] .

---

1 (?) ينظر مجموع الفتاوى ج4/441، 442، 443,

2 (?) مجموع الفتاوى ج15/419وج 21 /251.

3 (?) منهاج السنة ج4/448.

وهذا الإمام أحمد – رحمه الله- إمام أهل السنة والجماعة كما ذكر شيخ الإسلام ((لما احتجوا عليه في ترك التربيع بخلافته-عليا- رضي الله عنه- فإنه لما أظهر ذلك قال له بعضهم: إذا قلتَ كان إمامًا واجب الطاعة ففي ذلك طعنٌ في طلحة والزبير حيث لم يطيعاه، بل قاتلاه، فقال لهم أحمد: إني لستُ من حربهم في شيء: يعني أن ما تنازع فيه علي وإخوانه لا أدخل بينهم فيه؛ لما بينهم من الاجتهاد والتأويل الذي هم أعلم به مني، وأنا مأمور بالاستغفار لهم وأن يكون قلبي لهـم سليماً، ومأمور بمحبتهم وموالاتهم، ولهم من السـوابق والفضائل مـا لا يهدر))[1] .

ونحن لا نعتقد العصمة لأحدهم، ومع هذا لا نسيء الظن بأحد منهم ولا نتكلم في عرضه، فيكون ذلك سبباً في بغضهم أو تنقصهم، فإن ما تنازعوا فيه يرد أمره إلى الله.

ولهذا أوصى السلف ((بالإمساك عما شجر بينهم؛ لأنا لا نُسْأل عن ذلك كما قال عمر بن عبد العزيز: تلك دماء طهر الله منها يدي، فلا أحب أن أخضب بها لساني))[2]

وقال آخر: ﭽ [illegible] ی ی يي [illegible] ﭼ[3]

لكن إذا ظهر مبتدع يقدح فيهم بالباطل فلا بد من الذب عنهم وذكر ما يبطل حجته بعلم وعدل))[4] .

ويرى شيخ الإسلام أن هذا الأمر يدخل فيه علماء أهل السنة والجماعة ممن دون الصحابة –رضوان الله عليهم- المتبعون للكتاب والسنة المستمسكون بهدي السلف الصالح كالأئمة الأربعة وغيرهم من أولي العلم

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج4/440.

2 (?) تفسير القرطبي ج16/267 والطبقات الكبرى لابن سعد ج5/394.

3 (?) البقرة آية: (134).

4 (?) منهاج السنة ج6/254.

والفضل الداعين إلى السنة و الذابين عن السنة إذا حصل بينهم فتنة ينبغي الإمساك عنها وترك الخوض فيها بخلاف أهل الأهواء والبدع إذا أخطأ فيجب بيان أمرهم للناس ويتضح هذا في تقرير شيخ الإسلام الآتي.

قال – رحمه الله –: ((كذلك وبيان أهل العلم لمن غلط في رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم أو تعمد الكذب عليه أو علي من ينُقل عنه العلم. وكذلك بيان من غلط في رأي في أمر الدين من المسائل العلمية والعملية، فهذا إذا تكلم في الإنسان بعلم وعدل، وقصد النصيحة، فالله تعالى يثيبه على ذلك لاسيما إذا كان المتكلم فيه داعيًا إلي بدعة؛ فهذا يجب بيان أمره للناس، فإن دفع شره عنهم أعظم من دفع شر قاطع الطريق.

وحكم المتكلم باجتهاده في العلم والدين حكم أمثاله من المجتهدين. ثم قد يكون مجتهدا مخطئًا أو مصيباً، وقد يكون كل من الرجلين المختلفين باللسان أو اليد مجتهداً يعتقد الصواب معه، وقد يكونان جميعاً مخطئين مغفورًا لهما كما ذكرنا مما كان يجري بين الصحابة.

ولهذا ينهى عمَّا شجر بين هؤلاء سواءً كانوا من الصَّحابة أم ممن بعدهم، فإذا تشاجر مسلمان في قضيةٍ، ومضت ولا تعلق للناس بها، ولا يعرفون حقيقتها، كان كلامهم فيها كلامًا بلا علمٍ ولا عدلٍ يتضمن أذاهما بغير حق، ولو عرفوا أنهما مذنبان أو مخطئان، لكان ذكر ذلك من غير مصلحة راجحة من باب الغيبة المذمومة.

لكن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أعظم حرمة، وأجل قدرًا[1] ، وأنزه أعراضًا. وقد ثبت من

---

[1] (?) ومن العجيب عند بعض الناس عندما يتكلم بعض من يسمونهم بالمفكرين على الصحابة أو يطعن في بعضهم أو في خلافة بعضهم، لا يحرك ذلك شعوره، وعندما يقوم أحد العلماء بالرد عليه وبيان خطئه أو تكلم في بدعة أقرها أو سنة نفاها أو رأي مخالف للكتاب والسنة أجازه،حين ذلك تقوم أعصابه وتتوجع شعوره كأن هذا المفكر أعظم حرمة وقدرًا من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والعياذ

فضائلهم خصوصًا وعمومًا ما لم يثبت لغيرهم، فلهذا كان الكلام الذي فيه ذمُّهم على ما شجر بينهم أعظم إثماً من الكلام في غيرهم.

فإن قيل: فأنتم في هذا المقام تسبون الرافضة وتذمونهم وتذكرون عيوبهم.

قيل: ذكر الأنواع المذمومة غير ذكر الأشخاص المعيّنة.

فالقرآن والسنة مملوءان من ذَمِّ الأنواع المذمومة وذم أهلها ولعنهم، تحذيرًا من ذلك الفعل، وإخباراً بما يلحق أهله من الوعيد.

ثم المعاصي التي يَعْرِف صاحبها أنه عاصٍ يتوب منها، والمبتدع الذي يظن أنه على حق- كالخوارج و النواصب الذين نصبوا العداوة والحرب لجماعة المسلمين- فابتدعوا بدعة، وكفّروا من لم يوافقهم عليها، فصار بذلك ضررهم على المسلمين أعظم من ضرر الظلمة، الذين يعلمون أن الظلم محرم، وإن كانت عقوبة أحدهم في الآخرة- لأجل التأويل- قد تكون أخف، لكن أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم، ونهى عن قتال الأمراء الظلمة، وتواترت عنه بذلك الأحاديث الصحيحة)).[1]

وباستقراء هذه النصوص من شيخ الإسلام ابن تيمية وهذه الأحاديث التي استدل بها في التحذير من الفرقة قد أفادت الأمور التالية:

1- النهي عن القتال في الفتن التي تقع بين المسلمين والبعد عن المشاركة فيها وإن أكره المرء وأدى ذلك إلى قتله لما في ذلك من ازدياد تنافر النفوس وتفرق الكلمة ومفاسد لا تحمد عقباها، وأنه قد كره النبي صلى الله عليه وسلم القتال في الفتنة ولم يمدح أحدًا قاتل في الفتنة.

بالله.

[1] (?) منهاج السنة ج5/146، 147، 149، 150.

2- أن كل ما يؤدي إلى الفرقة والفتنة أو هو وسيلة إليها يجب تركه وإخماد ناره قولا كان أو فعلا أو إشارة كما تقدم في القاعدة التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية : ((والأصل أنَّ كل ما كان سبباً للفتنة، فإنه لا يجوز، فإن الذريعة إلى الفساد يجب سدها إذا لم يعارض مصلحة راجحة))[1].

3- ينهى عن بيع الأسلحة لمن يقاتل بها قتالاً محرمًا كقتال المسلمين والقتال في الفتنة.

4-أنه إذا حصلت الفتنة تنفر القلوب وتتفرق الكلمة وتكثر الحروب وتعظم، ويظهر الأشرار، ويذل الأخيار، وسعى في الفتنة من كان عاجزا عنها،وعجز عن الخير والصلاح من كان يحب إقامته.

5- أن قتال الخوارج المارقين لا يدخل في قتال الفتنة ، بل أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم وحضَّ عليه، ولا يجوز التوقف في ذلك بدعوى أن ذلك من قتال الفتنة.

وكذلك الخارجون عن شرائع الإسلام المحاربين لله ورسوله، وأما البغاة فلم يأمر الله تعالى بقتالهم ابتداءً إلا بعد عدم الاستجابة للإصلاح والصلح.

6- أن الأمر بقتال الطائفة الباغية مشروط بالقدرة والإمكان،؛ إذ ليس قتالهم بأولى من قتال المشركين والكفار؛ ومعلوم أن ذلك مشروط بالقدرة والإمكان. وقد تكون المصلحة المشروعة أحيانًا هي التأليف بالمال، والمسالمة، والمعاهدة، كما فعله النبي صلى الله عليه وسلم غير مرة.

والإمام إذا اعتقد وجود القدرة، ولم تكن حاصلة كان الترك في نفس الأمر أصلح.[2]

7- ينبغي الإمساك عما شجر بين الصحابة وترك التعمق في البحث عن حقيقة ذلك وأسبابه.

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج22/141.

2 (?) مجموع الفتاوى ج4/442، 443.

8- أن النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عن الفرقة وعن جميع الأسباب المؤدية إليها وحذر منها .

9- أن شيخ الإسلام ابن تيمية قد بَذَلَ أقصَى جهده في جمع نصوص كثيرة من السنة في التحذير من الفرقة والاختلاف وعلق عليها وشرحها شرحًا علميًّا وافيًا ودقيقًا.

10- فهو رحمه الله – لا يرى الخروج على الحكام ولا على جماعة المسلمين وقتالهم مهما كان الأمر ومهما بلغ ظلم بعضهم، وقد برهن لذلك بأدلة الكتاب والسنة، وأنه ليس في الخروج مصلحة وفائدة تعود إلى الخارجي نفسه ولا إلى الدين ولا إلى المسلمين بصفة عامة، وهذا أمر مجمع عليه بين سلف الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأن الذين يجيزون الخروج والخارجين قديما وحديثًا لم يقيموا دنيا ولا نصروا دينًا ولا تركوا ذكراً حسنًا حتى عند عوام المسلمين والله الهادي إلى الرشاد.

- **المبحث الثـاني: بيـان أقـوال السـلف في التحذير من الفرقة والاختلاف**

بين شيخ الإسلام أنه ورد عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان آثار كثيرة فيها التحذير من التفرق والاختلاف والخروج عن الصراط المستقيم وعن كل ما يؤدي إليه.

وقد جمع – شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- هذه الآثار التي تضم أقوالهم ومواقفهم في كتبه لبيانه مدى أهمية هذا الأمر ومدى اهتمام علماء أهل السنة والجماعة بهــذا الباب نبرزها في التالي:

أولا- أقوال الصحابة والتابعين في تحذير الأمة من البدعة والأهواء والآراء المضلة المخالفة لسنة النبي وترك سبيل الحق الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

ثانيًا- مواقف الصحابة والتابعين لهم بإحسان وجهودهم **في** تحذير الأمة من الفتنة والتنازع، ومن كل ما يؤدي إليه، ويشق عصا جماعتهم وزعزعة أمر دينهم ودنياهم.

- مواقف الصحابة رضوان الله عليهم في التحذير من البدع والحث على التمسك بالسنة والجماعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((ولهذا كان السلف يعدون كل من خرج عن الشريعة في شيء من الدين من أهل الأهواء، ويجعلون أهل البدع هم أهل الأهواء، ويذمونهم بذلك، ويأمرون بأن لا يغتر بهم ولو أظهروا ما أظهروه من العلم، والكلام، والحجاج أو العبادة والأحوال مثل المكاشفات وخرق العادات.

وكثير من هؤلاء يصير من أهل البدعة بخروجه عن السنة التي شرعها رسول الله لأمته، ومن أهل الفرقة بالفرقة المخالفة للجماعة التي أمر الله بها ورسوله))[1]

- **ومن أمثلة هذا الباب ما يلي :**

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج22/358 والاستقامة ج1/254.

1- **قول أبي بكر الصديق – رضي الله عنه- في مراسلته لأهل الردة حيث جاء فيها:**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((فكان موت النبي صلى الله عليه وسلم من أعظم الأسباب التي افتتن بها خلقٌ كثير من الناس، وارتدُّوا عن الإسلام، فأقام الله تعالى الصديق رضي الله عنه حتى ثَبَّتَ الله به الإيمان، وأعاد به الأمر إلى ما كان، فأدخل أهل الردة في الباب الذي خرجوا منه، وأقر أهل الإيمان على الدين الذي ولجوا فيه وجعل الله فيه من القوة والجهاد والشدة على أعداء الله، واللين لأولياء الله ما استحق به وبغيره أن يكون خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم))[1]

وقد راسل أهل اليمامة حثَّهم على الاعتصام بدين الله وجماعة المسلمين ونهاهم على الخروج على جماعة المسلمين وسلوك غير سبيل الحق وشق عصا الجماعة.

فقال: ((وإنّي أوصيكم بتقوى الله وأحضُّكم على حظكم ونصيبكم من الله وما جاءكم به نبيكم صلى الله عليه وسلم، وأن تهتدوا بهداه، و تعتصموا بدين الله؛ فإن كل من لم يهده الله ضال، وكل من لم يعنه الله مخذول، ومن هداه غير الله كان ضالا، وكل من لم يسعده الله شقي قال الله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ[2] ولن يقبل له في الدنيا عمل حتى يقر به، ولا يقبل له في الآخرة صرف ولا عدل.

وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقرَّ بالإسلام وعمل به، اغترارًا بالله ، وجهلا بأمره وإجابة للشيطان))[3] .

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج25/303.

2 (?) الكهف آية: (17).

3 (?) الاكتفاء بما تضمنه مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي المتوفى سنة 634هـ ج3/20 . عالم الكتب ، ط:1، 1417هـ ، تحقيق د. محمد كمال الدين عز الدين علي.

فإن الصديق هنا أمر هؤلاء بالتمسك بالدين، وذلك أمرٌ بالاعتصام بالجماعة نهيٌ عن الفرقة وتحذير منها، كما يتجلى ذلك في قيامه بمحاربتهم وإعادتهم إلى صف المسلمين وجماعتهم .

فقد حارب المرتدين ومانعي الزكاة وكسر شوكتهم لما أرادوا شق عصا المسلمين باعتقاداتهم الفاسدة وتصوراتهم الباطلة وأخمد فتنتهم حتى قتل من قتل منهم وأعاد من أعاد منهم إلى رشده.

((وذلك أنّ أهل اليمامة هم بنو حنيفة الذين كانوا قد آمنوا بمسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وكان قد قدم المدينة وأظهر الإسلام، وقال إن جعل محمد لي الأمر من بعده آمنت به، ثم لما صار إلى اليمامة ادعى أنه شريك النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة، وأن النبي صلى الله عليه وسلم صدّقه على ذلك، وكان قد صنف قرآنا يقول فيه : والطاحنات طحنا فالعاجنات عجنا فالخابزات خبزا..، فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبو بكر الصديق خالد بن الوليد فقاتله بمن معه من المسلمين, فبهذا قَوَّى المسلمين لما ضعفوا، وشجعهم لما جبنوا، وسار فيهم سيرة توجب صلاح دينهم.[1]

ولهذا اشتد في قتال أهل الردة شدة برز بها على عمر وغيره حتى روي أن عمر قال له: ((يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تألف الناس)) فقال: ((**علام أتألفهم؟! أعلى حديثٍ مفترًى أم على شعرٍ مفتعلٍ**؟!))[2].

ومن ذلك أيضًا قبوله – رضي الله عنه الخلافة خوفًا من تَفرُّق الكلمة فإنه ((أخذ الخلافة من غير طمع فيها، ولا حرصٍ عليها، ولكن خوفاً من الفتنة

---

[1] (?) منهاج السنة ج3/125،وج4/216، 252، 297، 490. بتصرف بسيط.

[2] (?) منهاج السنة ج6/139.

والفرقة والاختلاف، فهو صديق هذه الأمة وصاحب النبي وقد تجلى موقفه هذا في خطبته – يوم السقيفة- فثبت أنه قال: ((والله ما كنتُ حريصًا على الإمارة يومًا ولا ليلةً قط، ولا كنتُ فيها راغباً، ولا سألتها الله عز وجل في سرٍّ ولا علانيةٍ، ولكـني أشفقتُ من الفتنة، ومالي في الإمارة من راحةٍ، قلدتُ أمرًا عظيماً مالي به من طاقةٍ، ولا يدٍ إلاّ بتقوى الله عز وجل، ولوددتُ أن أقوى الناس عليها مكاني اليوم)).[1]

وله مواقف كثيرة في ذم الفرقة قولاً وعملاً والتحذير من كلّ نية تؤدي إلى تفرقة كلمة المسلمين و التعادي فيما بينهم يصعب ذكرها وحصرها في هذا الموضع.

2- **قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خطبته المشهورة التي خطبها في الجابية**[2] ((عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإنّ الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعـة))[3] .

---

[1] (?) الحاكم في المستدرك ج3/66.

[2] (?) الجابية بكسر الباء وياء مخففة، وأصله في اللغة الحوض الذي فيه الماء للإبل، وهي قرية من أعمال دمشق ثم من عمل الجيدور من ناحية الجولان قرب مرج الصفر في شمال حوران وإذا وقف الإنسان في الضمين واستقبل الشمال ظهر له، وتظهر منوى أيضا وبالقرب منها تل يسمى تل الجابية فيه حيات صغر نحو شبر، وفي هذا الموضع خطب عمر بن الخطاب خطبته المشهورة/معجم البلدان ج2/91.

[3] (?) أخرجه الترمذي في سننه ج4/404ح(2165) كتاب الفتن باب ما جاء في لزوم الجماعة. وأحمد في مسنده ج1/26 والحاكم في المستدرك ج1/197 والطبراني في الأوسط ج 2/184 وصحيح ابن حبان ج10/436 وج12/399. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم(430).

وقوله أيضا: ((إياكم وأصحاب الرأي فإن أصحاب الرأي أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي، فضلوا وأضلوا)).[1]

وقوله – رضي الله عنه- : ((سيأتي قوم يجادلونكم بشبهات القرآن، فخذوهم بالسنن، فإنّ أصحاب السنن أعلم بكتاب الله))[2] وفي لفظ آخر عن سعيد بن المسيب قال: قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الناس فقال: ((أيها الناس ألا إن أصحاب الرأي أعداء السنة، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، و تفلتت منهم أن يعوها، واستحيوا إذْ سألهم الناس أن يقولوا لا ندري، فعاندوا السنن برأيهم، فضلوا وأضلوا كثيرا، والذي نفس عمر بيده ما قبض الله نبيه ولا رفع الوحي عنهم حتى أغناهم عن الرأي؛ ولو كان الدين يؤخذ بالرأي لكان أسفل الخف أحق بالمسح من ظاهره، فإياك وإياهم ثم إياك وإياهم)) وفي لفظ : ((أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها وتفلتت منهم فلم يعوها، واستحيوا حين سئلوا أن يقولوا لا علم لنا فعارضوا السنن برأيهم إياك وإياهم))[3].

ومنه قوله ((من دعا إلى إمارة من غير مشورة من المسلمين فاضربوا عنقه))[4]

فعمر - - كعادته المشهورة ومواقفه المحمودة حذر الأمة من أهل البدع الذين يعرضون النصوص بآرائهم ويجادلون في القرآن ويشككون في الدين وبين أنهم أعداء السنن ولا يعادي السنة إلا أهل البدعة والفرقة والأهواء.

---

1 (?) الإبانة لابن بطة ج1/250.

2 (?) سنن الدارمي ج1/149 والإبانة لابن بطة ج1/250.

3 (?) أحاديث في ذم الكلام وأهله ج2/104، 105 وبيان تلبيس الجهمية ج2/294. وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح ج 13/302.

4 (?) مصنف عبد الرزاق ج5/445 والسنة للخلال ج1/143.

فينبغي محاربة أصحاب البدع المضلة، والآراء المخالفة، والأفكار الهدامة، و الأقيسة الباطلة، والتأويلات الفاسدة، ليسلم دين العباد ودنياهم وتستقر حياتهم فأهل البدع أعداء الجماعة والائتلاف والأمن والاستقرار.

و البدع هي أصول الشر والفتن والزيغ والانشقاق والفرقة، وكان الصحابة- رضوان الله عليهم يحذرون منهابأساليب مختلفة.

ولما جاء صبيغ في عهد عمر – رضي الله عنه- يسأل عن المتشابهات أوجعه ضربًا وأدَّبه تأديبًا وهذا من فقه عمر رضي الله عنه وعلمه بخطورة البدع وشرها .

((وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذا ألَحَّ عليه رجلٌ في مسألة من هذا الجنس يقول: ((ما أحوجك أن يصنع بك كما صنع عمر بصبيغ))[1].

وهذا لأنهم رأوا أن غرض السائل ابتغاء الفتنة لا الاسترشاد والاستفهام، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمى الله، فاحـذريهم))[2].

فعاقبوهم على هذا القصد الفاسد كالذي يعارض بين آيات القرآن، فكان مقصودهم مذمومًا ومطلوبهم متعذرًا، فهذا من يعارض النصوص بعضَها ببعض ليوقع الفتنة ويفسد قلوب الناس وهذا أصل الفتنة الناس [3] .

ولهذا نجد أنه لم تقع البدع إلا في أواخر عهد الصحابة – رضوان الله عليهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((واعلم أن عامة البدع المتعلقة بالعلوم والعبادات في هذا القدر وغيره وقع في الأمة في أواخر خلافة الخلفاء الراشدين، كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: ((من

---

1 (?) تقدمت قصته موقفه مع عمر- رضي الله عنه-.

2 (?) تقدم تخريجه.

3 (?) مجموع الفتاوى ج13/311. ومجموع الفتاوى ج16/416.

يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي)) [1] .

ومعلوم أنه إذا استقام ((ولاة الأمور)) الذين يحكمون في النفوس والأموال استقام عامة النـاس، كما قـال أبو بكر الصـديق فيما رواه البخـاري في صـحيحه [2] للمـرأة الأحمسـية لما سـألته فقـالت: ((ما بقاؤنا في هـذا الأمر الصالح))؟ قال: ((ما استقامت لكم أئمتكم)) [3].

العلماء والأمراء أهل الكتاب والحديد،كما دل عليه الآية چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ چ [4]

وهم ((أولو الأمر)).

كذلك من جهتهم يقع الفساد كما جاء في الحديث مرفوعًا، وعن جماعة من الصحابة ((إن أخوف ما أخاف عليـكم زلّة عالم، وجدال منافق بالقرآن وأئمة مضلون)). [5]

فالأئمة المضلون أي من الأمراء، والعالم والمجادل أي من العلماء، لكن (أحدهما) صحيح الاعتقاد يزل، وهو العالم كما يقع من أئمة الفقهاء من أهل السنة والجماعة.

و(الثاني) كالمتفلسفة والمتكلمين الذين يجادلون بشبهات القرآن مع أنهم في الحقيقة منسلخون من آيات

---

1 (?) تقدم تخريجه.

2 (?) صحيح البخاري مع الفتح ج7/182ح(3834) كتاب مناقب الأنصار باب أيام الجاهلية.

3 (?) صحيح البخاري مع الفتح ج7/182ح (3834)كتاب مناقب الأنصار باب أيام الجاهلية.

4 (?) الحديد الآية : (25).

5 (?) أخرجه الدارمي في سننه ج1/166ح(649) رواه الطبراني في الكبير ج20/138 وفي الأوسطج6/342 والبيهقي في شعب الإيمان ج7/281. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم(1582)و(1989) قوله : ((أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلون)).

الله، وإنما احتجاجهم بها دفعًا للخصم، لا اهتداء بها واعتمادًا عليها؛ قال: ((جدال منافقٍ بالقرآن)) فإنَّ السنة والإجماع تدفع شبهته.

فإنَّ المنافق لا يعتقد وجوب اتباع الكتاب والسنة واتباع الإجماع، إذ ليس هو في باطن الأمر متديِّناً باتباع النَّصِ، والإجماع، بل يأخذ من النَّص والإجماع ما يحتج به على المؤمنين في تنفيق نفاقه، وترويج غشه وتلبيسه.

وإذا كان كذلك فما يرفع الله به الدرجات كما رفع درجات إبراهيم، ويوسف عليهم السلام: أن يحتج عليهم بالحجج الدافعة لهم، وأن يكيدوا كيدًا حسنًا لدفع كيدهم وعدوانهم على الإيمان وأهله، فلا يُمَكَّنون من القدح في الإيمان بما يسلمه لهم المؤمنون، بل إذا عارضوا ما يقولون من الحق بحجج، فسلم لهم المؤمنون بعض مقدماتها، يُبَيِّن لهم أن تلك الحجج عليهم، لا لهم، أو أنها على فساد قولهم وفعلهم أدل منها على ما عارضوه من الحق[1].

والدين القائم بالقلب من الإيمان علمًا وحالاً هـو ((**الأصل**))، والأعمال الظاهرة هي ((**الفرع**)) وهي كمال الإيمان.

فالدين أول ما يبنى من أصوله ويكمل بفروعه، كما أنزل الله بمكة أصوله من التوحيد والأمثال التي هي المقاييس العقلية، والقصص والوعد والوعيد، ثم أنزل بالمدينة_ **لما صار له قوة**_ فروعه الظاهرة من الجمعة والجماعة، ...

فأصوله تمد فروعه وتثبتها، وفروعه تكمل أصوله وتحفظها، فإذا وقع فيه نقص فإنما يقع ابتداءً من جهة فروعه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : ((أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخر ما تفقدون من دينكم

[1] (?) بيان تلبيس الجهمية ج2/294

الصلاة))[1] وروي عنه أنه قال: ((أول ما يرفع الحكم بالأمانة))[2].

و((الحكم)) هو عمل الأمراء وولاة الأمور.

فلما ذهبتْ دولة الخلفاء الراشدين، وصار مُلْكًا ظهر النّقص في الأمراء، فلا بد أن يظهر أيضًا في أهل العلم، فحدث في آخر خلافة علي بِدْعَتَا الخوارج والرافـضة، إذ هي متعلقة بالإمامة والخلافة، وتوابع ذلك من الأعمال والأحـكام الشرعية))[3]. انتهى

ولهذا لم يكن في زمن الصحابة والتابعين من ينفى الأمر، والنهى، والوعد، والوعيد، وكان قد نبغ في أواخر عصرهم القدرية، كما نبغت الخوارج الحرورية، أيضاً وإنما يظهر من البدع أولاً ما كان أخفى وكلما ضعف من يقوم بنور النبوة قويت شأن البدعة وظهر أهلها وكثر التفرق والاختلاف في صفوف الأمة.

3- ومن هذا الباب أيضا ما قام به الخليفة الراشد عثمان بن عفان من جمع القرآن في مصحف واحد لسد باب الاختلاف فيه.

فقد كان جمعه للقرآن مظهرًا من مظاهر فقهه الدقيق في دفع الاختلاف بين المسلمين، وحرصه الكبير على وحدتهم وانتظام أمرهم.

وذلك أن حذيفة قدم من غزوة، فلم يدخل بيته، حتى أتى عثمان فقال: ((يا أمير المؤمنين أدْرك الناس، قال: ما ذاك؟ قال: ((فتح أرمينية[4] ، فإذا أهل الشام

---

1 (?) رواه الطبراني في الكبيرج9/141،353 وعبد الرزاق في مصنفه ج3/363 وابن أبي شيبة في مصنفه ج7/140 وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم(1739).

2 (?) تقدم.

3 (?) مجموع الفتاوى ج10/354، 355، 356.

4 (?) أرمينية بكسر أوله وتفتح وسكون ثانية وكسر وياء ساكنة، وكسر النون وباء خفيفة، اسم لصقع واسع في جهة الشمال، والنسبة إليها أرمني على غير قياس بفتح الهمزة وكسر الميم. وقال أهل السير سميت أرمينية بأرمينيا بن

يقرؤون بقراءة أبي بن كعب فيأتون بما لم يسمع أهل العراق، وإذا أهل العراق يقرؤون بقـراءة عبد الله ابن مسعود فيأتون بما لم يسمع أهل الشام فكفَّر بعضهم بعضًا)).[1] وهذا الاختلاف عاينه عثمان بنفسه، لما بدأ العلماء يلتقون فيختلفون، ثم ارتفع ذلك إلى المعلمين حتى كفّر بعضهم بعضًا، فبلغ ذلك عثمان فقال: أنتم عندي تختلفون، فمن نأى عني من أهل الأمصار أشد اختلافاً)) [2].

فقد كانت الأمصار النائية –كما قال أشد اختلافًا ونزاعاً من المدينة والحجاز، وكان الذين يسمعون اختلاف القراءات من تلك الأمصار إذا جمعتْهم المجامع، أو التقوا على جهاد أعدائهم يعجبون من ذلك، وكانوا يمنعون في التعجب والإنكار كلما سمعوا زيادة في اختلاف طرق القرآن، وأدى بهم التعجب إلى الشكِّ ثم إلى التأثيم، وتَيَقَّظَت الفتنة التي كادت تطيح فيها الرؤوس، وتسفك الدماء وتقود المسلمين إلى مثل تفرق اليهود والنصارى في كتابهم، فسد هذا الباب[3]

4- موقف علي من الخوارج الحرورية وقتاله إياهم

لنطا بن أومر بن يافس بن نوح عليه السلام، وكان أول من نزلها وسكنها وقيل غير ذلك، ولم تزل بأيدي الروم حتى جاء الإسلام وفتحها. وأرمينيا اليوم هي الجزء الشرقي من أرمينية القديمة وأذربيجان الإيرانية وكانت تقع غرب نهر فرات./ انظر: معجم البلدان ج1/159، 160، 161.

[1] (?) صحيح البخاري مع الفتح ج8/627ح(4986) كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن. وتفسير القرطبي ج1/26.

[2] (?) انظر تفسير الطبري ج1/48 و وكتاب : مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبدالعظيم الزرقاني. الناشر : دار الفكر - بيروت . ط: 1، 1996م. تحقيق : مكتب البحوث والدراسات.

[3] (?) ينظر: مجموع الفتاوى ج 15/ 251ومناهل العرفان ج 1/178، وابن أبي داود في المصاحف من طريق أبي قلابة ص29.

ولما خرجت الحرورية على علي بن أبي طالب واعتزلوا جماعة المسلمين قال لهم: ((إنّ لكم علينا أن لا نمنعكم المساجد، ولا نمنعكم نصيبكم من الفيء، فلما استحلوا قتل المسلمين وأخذ أموالهم قاتلهم بأمر النبي ، وهؤلاء اتفق الصحابة على قتالهم، لكن الذي باشر قتالهم وأمر به علي كما في الصحيحين، وقد أرسل إليهم ابن عباس فناظرهم حتى رجع منهم نحو نصفهم، ثم إن الباقين قتلوا عبد الله بن خباب[1]

وقتلوا علي بن أبي طالب مستحلين لقتله، قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي[2] منهم وكان هو وغيره

---

[1] (?) **عبد الله بن خباب** بعجمة وموحدتين، ابن الأرت، بفتح الراء وتشديد المثناة، المدني حليف بني زهرة، يقال: له رؤية، وثقه العجلي، فقال: ثقة من كبار التـابعين، قتـله الحـرورية سنة ثمان وثلاثين./ دخل الخوارج قرية فخرج عليهم عبد الله بن خباب ذعراً قالوا: لن تراع قال: والله لقد رعتموني، قالوا: لن تراع قال: والله لقد رعتموني، قالوا: أنت عبد الله بن خباب صاحب رسول الله؟قال: نعم، قالوا: فهل سمعت أبيك حديثاً بحديثه عن رسول الله تُحدّثناه؟ قال: نعم، سمعت أبي يحدث عن رسول الله ذكر فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي..)) قال: فإن أدركت ذاك فكن عبد الله المقتول لا..)) قالوا أسمعت هذا من أبيك يحدثه عن رسول الله؟ قال : نعم، فقدّموه على ضفة النهر فضربوا عنقه، فسال دمه كأنه شراك نعل، وبقروا بطن أم ولده، فبهذا استحل علي قتالهم/ الطبقات الكبرى لابن سعد ج5/245 وتقريب التهذيب ص 244ت(3290).

[2] (?) **عبد الرحمن بن ملجم المرادي** الدؤلي شهد صفين مع علي ثم عاد خارجياًّ وما يظن له رواية ،وكان عبّاداً قانتاً لله لكنه ختم له بِشرٍّ، فقتل أمير المؤمنين عليا متقرباً إلى الله بدمه بزعمه فقطعت أربعته ولسانه وسلمت عيناه وكان من القراء وكان فارس قومه، وقتل بالكوفة سنة 40هـ./انظر اللباب في تهذيب الأنساب ج1/209 ولسان الميزان ج3/439 والفصل في الملل ج4/143.

من الخوارج مجتهدين في العبادة، لكن كانوا جهالاً فارقوا السنة والجماعة، ثم جعلوا كل من خالف قولهم كذلك فقالوا إن عثمان وعليًّا ونحوهما حكموا بغير ما أنزل الله وظلموا فصاروا كفارا)) [1] .

ويلاحظ هنا أنّ الخلفاء الراشدين قد قاموا بدورهم حقّقوا مسئوليتهم في حماية دين المسلمين من البدع والأهواء المضلة، والأمر بالجماعة والتحذير من الفرقة والخروج على جماعة المسلمين بأقوالهم وأفعالهم. – رضي الله عنهم جميعاً.

5- وكما جاء التحذير من الفرقة أيضا عن جملة من الصحابة رضي الله عنهم منهم عبد الله ابن عمر :

1. عن نافع قال: جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرة ما كان زمن يزيد بن معاوية، فقال: ((اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة، فقال : إني لم آتك لأجلس، ولكن أتيتُك لأُحدِّثك حديثًا سمعت رسول الله يقول: ((من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)) [2].
2. **وكذلك عبد الله بن مسعود عن عمرو بن ميمون قال:** قدم علينا معاذ بن جبل على عهد رسول الله فوقع حُبُّه في قلبي فلزمُته حتى وَارَيْتُه في التراب بالشام، ثم لَزِمْتُ أفْقَهَ الناس بعده عبد الله بن مسعود فذكر يوماً عند تأخير الصلاة عن وقتها، فقال: ((صلوها في بيوتكم، واجعلوا صلاتكم معهم [3] سبحة [4], قـال عمرو بن ميمون: فقيل لعبد الله بن مسعود وكيف لنا بالجماعة؟

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج4/500 وج7/481، 482، 617.

2 (?) تقدم تخريجه.

3 (?) أي مع الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها.

4 (?) أي نافلة.

فقال لي: يا عمرو بن ميمون: إن جمهور الجماعة هي التي تغرق الجماعة إنما الجماعة ما وافق طاعة الله وإن كنت وحدك))[1] .

وعن ثابت بن قطبة[2] قال: خطبنا عبد الله بن مسعود يوماً خطبة لم يخطبنا مثلها قبلها ولا بعدها قال : ((أيها الناس اتقوا الله وعليكم بالطاعة والجماعة، فإنهما حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة، وإن الله لم يخلق في هذه الدنيا شيئاً إلا جعل له نهاية ينتهي إليها ثم ينقص ألا إن عرى الإسلام قد أثبت ويوشك أن ينقص ويدبر إلى يوم القيامة، وآية ذلك أن تفشوا الفاقة وتقطع الأرحام حتى لا يخاف الغني إلا الفقر، وحتى لا يجد الفقير من يعطف عليه، وذكر الحديث)).[3]

وفي لفظ آخر: ((الزموا هذه الطاعة و الجماعة فإنه حبل الله الذي أمر به و أن ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة و إن الله تعالى لم يخلق شيئًا قط إلا جعل له منتهى، و إن هذا الدين قد تمَّ، و إنّه صائر إلى نقصان، و إن أمَارَةَ ذلك أن تقطع الأرحام و يؤخذ المال بغير حقه و يسفك الدماء و يشتكي ذو القرابة قرابته و لا يعود عليه بشيء و يطوف السائل بين الجمعتين لا يوضع في يده شيء..))[4]

---

[1] (?) السنة للالكائي ج1/109.

[2] (?) **ثابت بن قطبة المدني** كوفي سمع ابن مسعود روى عنه أبو إسحاق والشعبيّ: ثقة وكان كثير الحديث / انظر: التاريخ الكبير للبخاري ج2/168 والطبقات لابن سعد ج 6/197.

[3] (?) الإبانة لابن بطة ج1/298 (133).

وكذلك لما صلى عثمان الظهر بمنى أربعًا، فبلغ ذلك ابن مسعود فعاب عليه، ثم صلى بأصحابه العصر في رحله أربعًا، فقيل له: عبت على عثمان وصليت أربعًا؟ فقال: ((**إني أكره الخلاف**)) وفي رواية: ((**الخلاف شر**))[1]

وكذلك أنس بن مالك لما سأله رجل عن وقت الرمي فأخبره، ثم قال: ((**افعل كما يفعل إمامك**))[2]

ويستحب للرجل أن يقصد إلى تأليف القلوب بترك هذه المستحبات لأن مصلحة التأليف في الدين أعظم من مصلحة فعل مثل هذا كما ترك النبي تغيير بناء البيت، لما في إبقائه من تأليف القلوب[3]

6- ما جاء عن عمر بن عبد العزيز قال سفيان[4] : ((كتب رجلٌ إلى عمر بن عبد العزيز –رحمه الله- يسأله عن القدر، فكتب إليه:

((أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره، واتباع سنة رسول الله ، وترك ما أحدث المحدثون بعد ما جرت بهم سنته، وكفوا مؤنته، فعليك بلزوم الجماعة، فإنها لك بإذن الله عصمة، ثم اعلم أنه

---

[4] (?) رواه الحاكم في المستدرك ج4/598 والطبراني في الكبير ج9/199 ومصنف ابن أبي شيبة ج7/474.

[1] (?) جاء في صحيح البخاري عن عبد العزيز بن رفيع قال: سألت أنس بن مالك، قلت : أخبرني .. أين صلى الفجر يوم النحر؟ قال : بالأبطح ثم قال : افعل كما يفعل أمراؤك/ صحيح البخاري كتاب الحج ح(1653).

[2] (?) وهذا أصله في صحيح مسلم عن عبد العزيز بن رُفيع. قال : سألت أنس بن مالك، قلت : أخبرني عن شيء عقلتَه عن رسول الله , أين صلى الظهر يوم التروية؟ قال: بمنى. قلت: فأين صلى العصر يوم النفر؟ قال: بالأبطح. ثم قال: افعل ما يفعل أمراؤك)) /صحيح مسلم ص322 ح(1309) كتاب الحج باب استحباب طواف الإفاضة يوم النحر.

[3] (?) مجموع الفتاوى ج22/407، وج23/116

[4] (?) هو سفيان الثوري -رحمه الله- تقدمت ترجمته.

لم يبتدع الناس بدعةً إلا قد مضى قبلها ما هـو دليل عليها أو عبرة فيها، فإن السنة إنما سنها من قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق، فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم، فإنهم على علم وقفوا، وببصر ناقد كفوا، وإنهم على كشف الأمور كانوا أقوى فإن كان الهدى ما أنتم عليه فقد سبقتموهم إليه، ولكن قلتم إنما حدث بعدهم، فما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم، فإنهم هم السابقون قد تكلموا فيه بما يكفي، ووضعوا ما يشفي، فمن دونهم مقصر، ومن فوقهم مجسر، وقد قصر قوم دونهم فجفوا، وطمح آخرون فغلوا، وإنهم مع ذلك لعلى هدًى مستقيم)) [1]

وأيـضاً الأوزاعي قال: قال عمر بن عبد العزيز: ((إذا رأيت قوما يتناجون في دينهم دون العامـة فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة))[2] .

- وكما ذكر أيضا شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أيضا جملة من الآثار عن الأئمة الأربعة وغيرهم في تحذيرهم من الأهواء والبدع والفرقة والاختلاف والخروج على جماعة المسلمين وقتال الأئمة أو سبهم أو لعنهم.

أ- ما جاء عن الإمام أبي حنيفة -رحمه الله- في هذا الباب

<u>وكذلك جاء عن أبي حنيفة</u> -رحمه الله- في الفقه الأكبر قال : ((الفقه الأكبر في الدين خير من الفقه في العلم...قال أبو مطيع بن الحكم قلت لأبي حنيفة : **فما تقول فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيتبعه على ذلك أناس، فيخرج على الجماعة هل ترى ذلك**؟

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج4/8، وتفسير القرطبي ج7/123. والإبانة لابن بطة ج2/232، 248 (1833)و(1853).

2 (?) كتاب الزهد لابن حنبل ص289قلت: هذا فيه ذم الجماعات والأحزاب والاجتماعات السرية التي باسم الدين.

قال: لا، قلت: ولم وقد أمر الله ورسوله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو فريضة واجبة؟ قال: فهو كذلك لكن ما يفسدون من ذلك أكثر مما يصلحون، من سفك الدماء واستحلال المحارم وانتهاب الأموال، وقد قال الله تعالى ﮋ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮊ[1]

قلت: فنقاتل الفئة الباغية بالسيف قال: نعم! تأمر وتنهى فإن قبِل وإلا قاتلته، فتكون مع الفئة العادلة، وإن كان الإمام جائرًا لقول النبي عليه الصلاة والسلام: ((لا يضركم جور من جار ولا عدل من عدل لكم أجركم وعليه وزره.

قلت له: ما تقول في الخوارج المحكمة؟ قال: هم أخبث الخوارج قلت له: أتكفرهم؟ قال: لا! ولكن نقاتلهم على ما قاتلهم الأئمة من أهل الخير، وعلي وعمر بن عبد العزيز))[2]

وأيضًا عنه قيل له: فما تقول فيما أحدث الناس من الكلام في الأعراض والأجسام؟ فقال: مقالات الفلاسفة، عليك بالأثر وطريقة السلف وإياك وكل محدثة فإنها بدعة))[3] وحكى ابن بطال[4] في شرح البخاري عن أبي

---

[1] (?) الحجرات آية(9).

[2] (?) الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة ص109، 109، 110 /أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زطي الخزاز الكوفي /مكتبة الفرقان – عجمان/الطبعة الأولى ، 1999/تحقيق : د.محمد بن عبد الرحمن الخميس ومجموع الفتاوى ج 1/ 101وج5/47، واجتماع الجيوش ج 1/74.

[3] (?) الفتاوى الكبرى ج6/556، وأحاديث في ذم الكلام وأهله-ج5/22.

[4] (?) **ابن بطال** الأشعري علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال أبو الحسن القرطبي ويعرف أيضاً بابن اللجام بالجيم المشددة، قال ابن بشكوال : كان من أهل العلم والمعرفة والفهم، مليح الخط حسن الضبط، عني بالحديث العناية

حنيفة أنه قال: ((لقيت عطاء بن أبي رباح بمكة فسألته عن شيء فقال: من أين أنت؟ قلت: من أهل الكوفة، قال:أنت من أهل القرية الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا؟ قلت: نعم! قال: من أي الأصناف أنت؟ قلت: ممن لا يسب السلف ويؤمـن بالقدر، ولا يكفر أحدًا بذنب فقال عطاء: عرفت فالزم))[1] .

ب- ما جاء عن الإمــام مالك -رحمه الله- في هذا الباب عن أشهب بن عبد العزيز سمعت مالك بن أنس -رحمه الله- يقول: ((إياكـم والبدع، قيل: يا أبا عبد الله وما البدع؟ قال : أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته، وكلامه، وعلمه، وقدرته، لا يسكتون كما يسكت عنه الصحابة[2] والتابعون لهم بإحسـان)) [3].

وأيضًا عن عبد الرحمن بن مهدي يقول: دخلت على مالك وعنده رجل يسأل عن القرآن، فقال: لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد[4] لعن الله عَمْرًا، فإنه ابتدع

التامة، وشرح صحيح البخاري في عدة مجلدات، ورواه الناس عنه، وكان ينتحل الكلام على طريقة الأشعري وتوفي سنة تسع وأربعين وأربعمائة/انظر الوافي بالوفيات ج21/56.

1 (?) كتاب الاعتصام للشاطبي ج1/38.

2 (?) أي في الكيفية.

3 (?) أحاديث في ذم الكلام وأهلع لأبي الفضل عبد الرحمن بن أحمد المقريء المتوفى سنة ج5/70.

4 (?) **عمرو بن عبيد الزاهد**، القدري كبير المعتزلة، وأولهم، أبو عثمان البصري. له عن أبي العالية وأبي قلابة، والحسن البصري. وعنه: الحمادان، وعبد الوارث، وابن عيينة.
وقال النسائي: ليس بثقة. وقال ابن المبارك: دعا إلى القدر فتركوه. وقال معاذ بن معاذ: سمعت عمراً يقول ((إن كانت (تبت يدا أبي لهب) في اللوح المحفوظ، فما لله على ابن آدم حجة)) وسمعته ذكر حديث الصادق المصدوق، فقال: لو سمعت الأعمش يقوله لكذبته إلى أن قال: ولو سمعت رسول الله يقوله لرددته.
قال ابن عليّة: أول من تكلم في الاعتزال واصل الغزّال، فدخل معه عمرو بن عبيد، فأُعجب به وزوّجه أخته. قال

هذه البدع من الكلام، و لو كان الكلام علمًا لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام والشرائع، ولكنه باطل على باطل)) [1] .

أيضا سأل ابن نصر [2] مالكًا عن الفتن بالأندلس، و المخرج منها إذا خاف الإنسان على نفسه؟، فقال مالك: أنا فما أتكلم في هـذا بشيء، فأعاد الرجل الكلام عليه وقال : إني رسول مَنْ خلفي إليك، فقال له مالك :كفَّ عن الكـلامِ في هذا ومثله ، ولا تُجِبْ فيه)) [3]

وأنه أيضاً كان يقول: ليس لمن سَبَّ أصحابَ رسول الله في الفيء حق. ويقول قد قسم الله تعالى في سورة الحشر: (ﭽ ﮑ ﭼالآية، و ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭼ [4] .

قال: ومن سب من أمره الله تعالى أن يُسْتغفر له فلا حَقَّ له في الفيء)) [5]

ج- ما جاء عن الإمــام الشافعي -رحمه الله-

الخطيب: مات بطريق مكة سنة ثلاث. وقيل سنة أربع وأربعين/ السير ج6/104، 105.

1 (?) بيان تلبيس الجهمية ج1/467 وأحاديث في ذم الكلام وأهله ج5/72 .

2 (?) ابن نصر لم أقف عليه.

3 (?) التاج والإكليل ج6/677.

4 (?) الحشر.

5 (?) الاستذكار لابن عبد البر ج5/17.

قال الحسين بن الكرابيسي[1] شهدتُ الشافعيَّ ودخل عليه بشر المريسي[2] فقال لبشر: أخبرني عما تدعو إليه، أكتاب ناطق, أم فرض مفترض أم سنة قائمة، ووجدت للسلف البحث فيه والسؤال؟
فقال بشر:لا، ليس فيه كتاب ناطق ولا فرض مفترض ولا سنة قائمة ولا وجوب عن السلف البحث فيه، إلا أنه لا

[1] (?) الحسين بن علي بن يزيد أبو علي البغدادي الكرابيسي أخذ الفقه عن الشافعي، وكان أولا على مذهب أهل الرأي. قال ابن عدي وله كتب مصنفة ذكر فيها إختلاف الناس في المسائل وكان حافظاً له، وذكر في كتبه أخبارًا كثيرة، وقال الشيخ أبو إسحاق كان متكلمًا عارفًا بالحديث له تصانيف كثيرة في أصول الفقه وفروعه، وقال العبادي:لم يتخرج على يدي الشافعي بالعراق مثل الحسين، توفي سنة خمس وأربعين ومائتين وقيل سنة ثمان وأربعين ورجحه الذهبي وقال ابن قانع إنه أشبه بالصواب وسمي بالكرابيسي لأنه كان يبيع الكرابيس وهي الثياب الغليظة وهو صدوق تكلم فيه أحمد لمسألة اللفظ/طبقات الشافعية لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة ج1/63، 64/ عالم الكتب – بيروت ط:1، 1407هـ .تحقيق د. الحافظ عبد العليم خان.

[2] (?) **بشر المريسي** المتكلم المناظر ، أبو عبد الرحمن، بشر بن غياث بن أبي كريمة العدوي مولاهم البغدادي المَريسي، من موالي آل زيد بن الخطاب . كان بشر من كبار الفقهاء، أخذ عن القاضي أبي يوسف، وروى عن حماد بن سلمة، وسفيان بن عيينة.
ونظر في الكلام فغلب عليه، وانسلخ من الورع والتقوى، وجرّد القول بخلق القرآن، ودعا إليه حتى كان عين الجهمية في عصره وعالمهم، فمقته أهل العلم، وكفَّره عدّةٌ، ولم يُدرك جهم بن صفوان، بل تلقَّفت مقالاته من أتباعه.
وقال أبو النضر هاشم بن القاسم: كان والد بشر يهودياً قصَّاراً صبَّاغاً في سُوَيقة نصر. قال ابن النديم: وكان جهمياً له قدر عند الدولة، وكان يشرب النبيذ، وصنَّفَ كتاباً في التوحيد كتاب((الإرجاء)) وكتاب ((الرد على الخوارج)) وكتاب ((الاستطاعة)) و((الرد على الرافضة في الإمامة)) وكتاب ((كفر

يسعنا خلافه، فقال الشافعي: أقررت على نفسك بالخطأ فأين أنت عن الكلام في الفقه والأخبار ما يواليك الناس عليه وتترك هـذا؟

قال لنا نتهمه فيه، فلما خرج بشر قال الشافعي: ((لا يفلح))[1] .

وقال المزني[2]: سمعت الشافعي يقول للربيع: يا ربيع اقبل مني ثلاثة أشياء: لا تخوض في أصحاب رسول الله فإن خصمك النبي يوم القيامة، ولا تشتغل بالكلام

المشبهة)) و كتاب((المعرفة)) وكتاب ((الوعيد)) وأشياء غير ذلك في نحلته. قال المروذي: سمعت أبا عبد الله، وذكر المريسي، فقال: كان أبوه يهودياً، أي شيء تُراه يكون ؟. وقال أبو بكر الأثرم: سئل أحمد عن الصلاة خلف بشرٍ المريسي، فقال: لا تصل خلفه. وقال قتيبة: بشر المريسي كافر. وقع كلامه إلى عثمان بن سعيد الدارمي الحافظ، فصنف مجلّداً في الرد عليه.
ومات في آخر سنة 218)هـ ، وقد قارب الثمانين. قال الذهبي: ومن كُفِّر ببدعةٍ وإن جلّت، ليس هو مثل الكافر الأصلي، ولا اليهودي والمجوسي، أبى الله أن يجعل من آمن بالله ورسوله واليوم الآخر، وصام وصلى وحج وزكى وإن ارتكب العظائم وضلَّ وابتدع، كمن عاند الرسول، وعبد الوثن، ونبذ الشرائع وكفر، ولكن برأ إلى الله من البدع وأهلها./ السير ج10/199، 200، 201، 202.

[1] (?) الكبرى الفتاوى 6/559. وحلية الأولياء لأبي نعيم ج 9/111.

[2] (?) هو إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن إسحاق أبو إبراهيم المزني المصري، الفقيه الإمام صاحب التصانيف، أخذ عن الشافعي، وكان يقول: أنا خُلُق من أخلاق الشافعي. ذكره الشيخ أبو إسحاق، أوّل أصحاب الشافعي، وقال: كان زاهدًا عالماً مجتهدا مناظراً محجاجاً غواصاً على المعاني الدقيقة، صنّف كتباً كثيرةً. قال الشافعي: المزني ناصر مذهبي. ولد سنة خمس وسبعين ومائة وتوفي في رمضان وقيل في ربيع الأول سنة أربع وستين ومائتين، وكان مجاب الدعوة/طبقات الشافعية ج1/58.

فإني قد اطلعت من أهل الكلام على التعطيل. زاد المزني: ولا تشتغل بالنجوم فإنه يجر إلى التعطيل)).

وسئل ابن خزيمة[1] عن الكلام في الأسماء والصفات؟ فقال: بدعة ابتدعوها، ولم يكن أئمة المسلمين وأرباب المذاهب وأئمة الدين مثل: مالك وسفيان، و الأوزاعي، والشافعي، وأحمد، وإسحاق[2]، ويحي[3]، وابن المبارك، وأبي حنيفة، ومحمد بن الحسن

---

[1] (?) بن خزيمة الحافظ الكبير إمام الأئمة شيخ الإسلام، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري، ولد سنة ثلاث وعشرين ومائتين، وعنى بهذا الشأن في الحداثة، وسمع من إسحاق بن راهويه ومحمد بن حميد ولم يحدث عنهما لصغره ونقص إتقانه إذ ذاك، وسمع من محمود بن غيلان وعتبة بن عبد الله اليحمدي المروزي، صنّف واشتهر اسمه وانتهيت إليه الإمامة والحفظ في عصره بخراسان، حدّث عنه الشيخان خارج صحيحيهما، قال أبو عثمان الحيري: حدثنا بن خزيمة قال: كنت إذا أردت أن أصنف الشيء دخلت في الصلاة مستخيرًا حتى يقع لي فيها ثم أبتدى ء ثم قال أبو عثمان الزاهد: إن الله ليدفع البلاء عن أهل نيسابور بابن خزيمة، وسئل من أين أوتيت هذا العلم؟ فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((ماء زمزم لما شرب له)) وإنى لما شربت ماء زمزم سألت الله علما نافعا، قال محمد بن الفضل: كان جدي لا يدخر شيئا جهده بل ينفقه على أهل العلم، ولا يعرف الشحّ ولا يميز بين العشرة والعشرين/ تذكرة الحفظ للإمام الذهبي ج2/721-722.

[2] (?) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي، أبو محمد، ابن راهويه المروزي: ثقة حافظ مجتهد قرين أحمد بن حنبل ذكر أبو داود أنه تغير قبل موته بيسير، مات سنة ثمان وثلاثين، وله اثنتان وسبعون./تقريب التهذيب ص39ت(332).

[3] (?) هو يحيى بن معين بن عوْن الغطفاني مولاهم، أبو زكريا البغدادي: ثقة حافظ مشهور إمام الجرح والتعديل، من العاشرة، مات سنة ثلاث وثلاثين بالمدينة النبوية، وله بضع وسبعون سنة /تقريب التهذيب ص527 ت(751)..

وأبي يوسف[1] يتكلمون في ذلك، بل كانوا ينهون عن الخوض فيه، **فَإِيَّاكَ** والخوض والنظر في كتبهم بحال)) [2].

د- قول الإمام أحمد -رحمه الله- في التحذير من الفرقة والاختلاف وإنكاره الأهواء والبدع والخروج على أئمة الجور وقتالهم مهما بلغ الأمر في ذلك

قال محمد بن أبي هارون بن جعفر أن أبا الحارث حدثهم قال: سألت أبا عبد الله في أمر كان حدث ببغداد وهمَّ قوم بالخروج، فقلت: يا أبا عبد الله ما تقول في الخروج مع هؤلاء القوم فأنكر ذلك عليهم، وجعل يقول: ((**سبحان الله الدماء الدماء، لا لا أرى ذلك ولا آمر به**، الصبر على ما نحن فيه خير من الفتنة يسفك فيها الدماء، ويستباح فيها الأموال، وينتهك فيها المحارم، أما علمت ما كان الناس فيه يعني أيام الفتنة؟)) قلت: والناس اليوم أليس هم في الفتنة يا أبا عبد الله؟ قال: ((وإن كان فإنما هي فتنة خاصة، فإذا وقع السيف عمت الفتنة، وانقطعت السبل، الصبر على هذا ويسلم لك

---

1 (?) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري القاضي الفقيه، صاحب أبي حنيفة قدم جرجان مع موسى بن المهدي ونزل على عواد بن راشد . قال أبو نعيم الفضل بن دكين: سمعت أبا حنيفة يقول لأبي يوسف إنكم تكتبون في كتابنا ما لا تقولونه . عن عبد الله بن احمد بن محمد بن حنبل فيما كتب إلى قال سألت أبى عن أبى يوسف فقال صدوق، ولكن من أصحاب أبى حنيفة لا ينبغي أن يروى عنه شيء. عن عبد الرحمن قال قرئ على العباس بن محمد الدوري قال سمعت يحيى بن معين يقول: كان أبو يوسف القاضي يميل إلى أصحاب الحديث كثيرا وكتبنا عنه ولم يزل الناس يكتبون عنه الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي ج9/201وتاريخ جرجان لأبي حمزة بن يوسف أبو القاسم الجرجاني ج1/487. عالم الكتب- بيروت .ط:3، 1406هـ 1986م تحقيق د. محمد خان.

2 (?) الفتاوى الكبرى ج6/ 559.

دينك خير لك)). رأيته ينكر الخروج على الأئمة، وقال: الدماء، لا أرى ذلك، ولا آمر به))[1]

وفي رواية حنبل يقول: في ولاية الواثق[2] اجتمع فقهاء بغداد إلى أبي عـــبد الله أبو بكر بن عبيد[3] وإبراهيم بن علي المطبخي[4] وفضـل بن عاصم[5] فجاءوا إلى أبي عـبد الله فاستأذنت لهم فقالوا: يا أبا عبد الله هذا الأمر قد تفاقم وفشا، يعنون إظهاره لخلق القرآن وغير ذلك فقال لهم أبو عبد الله فما تريدون؟ قالوا: أن نشاورك في أنَّا لسنا نرضى بإمرته، ولا سلطانه، فناظرهم أبو عبد الله ساعةً، وقال لهم: عليكم بالنكـرة بقلوبكم ولا تخلعوا يدًا من طاعة، ولا تشقوا عصا المسلمين، ولا دماء كم ودماء المسلمين معكم، انظروا في عاقبة أمركم واصبروا حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر)) ودار في ذلك كلام كثير لم أحفظه، ومضوا ودخلت أنا وأبي عبد الله بعد ما مضوا، فقال أبي لأبي عبد الله نسأل الله السلامة لنا ولأمة محمد، وما أحب لأحد أن يفعل هذا. وقال أبي: يا أبا عبد الله هذا عنك صواب، قال: لا! هذا خلاف الآثار التي أمرنا فيها بالصبر، ثم ذكـر أبو عبد الله قال: قال النبي ((إن ضربك فاصبر، وإن ضربك فاصبر)) فأمر بالصبر))[6].

---

[1] (?) السنة للخلال ج1/132، 133 قال إسناده صحيح.

[2] (?) **الواثق بالله الخليفة أبو جعفر**، وأبو القاسم هارون بن المعتصم بالله أبي إسحاق محمد بن هارون الرشيد بن المهدي محمد بن المنصور العباسي البغدادي، وأمه رومية اسمها((قراطيس))، أدركت خلافته. ولي الأمر بعهدٍ من أبيه في سنة 227. فكانت خلافته خمس سنين ونصفاً، مات بسامراء لستٍ من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومئتين، وبايعوا بعده أخاه المتوكل/ السير ج10/306، 307، 314.

[3] (?) أبو عبد الله أبو بكر بن عبيد لم أقف عليه.

[4] (?) إبراهيم بن علي المبطخي لم أقف عليه.

[5] (?) فضل ابن عاصـم لم أقف عليه.

[6] (?) السنة للخلال ج2/ 133، 134.

وقال الإمـام أحمد أيضا: ((ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين، وقد كان الناس قد اجتمعوا عليه، وأقرُّوا له بالخلافة، بأي وجه كان بالرضا أو بالغلبة، فقد شق عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله .ولا يحل قتال السلطان، ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق))[1] .

وأيضا لما قيل لأحمد -رحمه الله- ما تقول: فيمن قال : لا أقول: معاوية كاتب الوحي، ولا أقول إنه خال المؤمنين،فإنه أخذها بالسيف غصباً؟ قال الإمام أحمد : قول سوءٍ ردئ يُجانبون هؤلاء القوم، ولا يجالسون، ويُبيَّن أمرهم للناس))[2] .

وقيل له: أيهما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: ((معاوية أفضل، لسنا نقيس بأصحاب رسول الله أحداً، قال النبي ((خير الناس قرني الذي بعثت فيهم))[3] .

هذا ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية وقرره في كتبه وأنه مذهب الصحابة والأئمة والتابعين لهم بإحسان، وعليه استقر أمر أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم من الطعن في أصحاب رسول الله وفي ولاة أمور المسلمين وترك الخروج على أئمة الجور والتحذير من ذلك، وموالاة جميع المسلمين كل بحسبه كما سيأتي.

فقال شيخ الإسلام: قيل للشعبي في فتنة ابن الأشعث: أين كنت يا عامـر؟ قال كنت حيث يقول الشاعر:

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى   وصوت إنسان فكـدت أطيــر.

---

[1] (?) اعتقاد أهل السنة والجماعة ج1/161.

[2] (?) السنة للخلال ج2/434. والحديث تقدم تخريجه.

[3] (?) تقدم تخريجه.

أصابتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء))[1].

وكان الحسن البصري يقول: إن الحجاج عذاب الله، فلا تدفعوا عذاب الله بأيديكم، ولكن عليكم بالاستكانة، والتضرع، فإن الله تعالى يقول: ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ[2] [3].

وكان أفاضل المسلمين ينهون عن الخروج، والقتال في الفتنة كما كان عبد الله بن عمر، وسعيد بن المسيب وعلي بن الحسن وغيرهم ينهون عام الحرة عن الخروج على يزيد، وكما كان الحسن البصري، ومجاهد وغيرهما ينهون عن الخروج في فتنة ابن الأشعث.

ولهذا لما أراد الحسين أن يخرج إلى أهل العراق لما كاتبوه كتبًا كثيرة، أشار عليه أفاضل أهل العلم والدين، كابن عمر، وابن عباس، وأبي بكر بن عبد الرحمن الحارث بن هشام أن لا يخرج، وغلب على ظنهم أنه يُقتل حتى إن بعضهم قال: ((أستودعك الله من قتيلٍ))

---

1 (?) منهاج السنة ج4/529 وجاء في سنن البيهقي ج6/252 (12229): عن عباد بن موسى عن الشعبي : أنه أتى به الحجاج موثقا فلما انتهى إلى باب القصر قال لقيني يزيد بن أبي مسلم فقال إنا لله يا شعبي لما بين دفتيك من العلم، وليس بيوم شفاعة بوء للأمير بالشرك والنفاق على نفسك فبالحري أن تنجو ثم لقيني محمد بن الحجاج فقال لي مثل مقالة يزيد، فلما دخلت على الحجاج قال وأنت يا شعبي ممن خرج علينا وكثر؟ فقلت أصلح الله الأمير أحزن بنا المنزل وأجدب الجناب وضاق المسلك واكتحلنا السهر، واستحلسنا الخوف، ووقعنا في خزية لم نكن فيها بررة أتقياء، ولا فجرة أقوياء، قال : صدقت والله، ما بروا بخروجهم علينا، ولا قووا علينا حيث فجروا أطلقا عنه)) والحلية ج4/325وكذلك مجمع الزوائد ج4/414.

2 (?) المؤمنون.

3 (?) منهاج السنة ج4529.

[1] . وقال بعضهم: لولا الشفاعة لأمسكتك ومنعتك من الخروج. وهم في ذلك قاصدون نصيحته طالبون لمصلحته ومصلحة المسلمين. والله ورسـوله إنما يأمر بالصلاح لا بالفساد، لكن الرأي يصيب مرة ويخطئ أخرى.

فتبين أن الأمر على ما قاله أولئك، ولم يكن في الخروج لا مصلحة دين ولا مصلحة دنيا، بل تمكن أولئك الظلمة الطغاة من سبط رسول الله حتى قتلوه مظلوماً شهيداً.

وكان في خروجه وقتله من الفساد ما لم يكن حصل لو قعد في بلده ، فإن ما قصده من تحصيل الخير ودفع الشر لم يحصل منه شيء، بل زاد الشر بخروجه، ونقص الخير بذلك، وصار سببًا لشر عظيم.

وكان قتل الحسين مما أوجب الفتن، كما كان قتل عثمان مما أوجب الفتن.

---

1 (?) وهو قول ابن عمر ذكره البخاري في التاريخ الكبيرج 1/139(1125) . وقال البيهقي في السنن الكبرى ج7/100: ((...فاعتنقه ابن عمر وبكى، وقال أستودعك الله من قتيل، هكذا رواه شبابة ورواه سعيد بن سليمان عن يحيى بن إسماعيل عن سالم عن أبيه عن الشعبي)).
وقال الهيتمي في الصواعق المحرقة ج2/574: ((وسبب مخرجه رضي الله عنه أن يزيد لما استخلف سنة ستين أرسل لعامله بالمدينة أن يأخذ له البيعة على الحسين، ففر لمكة خوفا على نفسه، فسمع به أهل الكوفة، فأرسلوا إليه أن يأتيهم ليبايعوه ويمحو عنهم ما هم فيه من الجور، فنهاه ابن عباس وبين له غدرهم وقتلهم لأبيه وخذلانهم لأخيه، فأبى، فنهاه أن لا يذهب بأهله فأبى، فبكى ابن عباس. وقال له ابن عمر نحو ذلك فأبى، فبكى ابن عمر وقبل ما بين عينيه وقال: ((أستودعك الله من قتيل)) ونهاه ابن الزبير أيضا فقال له حدثني أبي إن لمكة كبشا به يستحل حرمتها فما أحب أن أكون أنا ذلك الكبش)).
ومر قول أخيه الحسن له إياك وسفهاء الكوفة أن يستخفوك فيخرجوك ويسلموك فتندم ولات حين مناص)).

وهذا كله مما يبين أن ما أمر به النبي من الصبر على جور الأئمة وترك قتالهم والخروج عليهم هو أصلح الأمور للعباد في المعاش والمعاد، وأن من خالف ذلك متعمدًا أو مخطئًا لم يحصل بفعله صلاح بل فساد.
ولهـذا أثنى النبي على الحسن بقولـه: ((إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين))[1] [2].

وعلى هذا الأصل استقر أمر أهل السنة والجماعة هو الصبر على ظلم ولاة المسلمين وحكامهم وإن فسقوا، و التحذير من الفرقة، للقاعدة[3] دفع أعظم المفسدين بالتزام أدناهما.

والنافع للعبد هو سلامة دينه ودنياه وعبادة ربه، وطاعة أمره واتباع رسوله، بالصبر على جور الأئمة ولزوم جماعة المسلمين واتباع سبيلهم، وحفظ جماعتهم، وجمع كلمتهم على الحق، والصبر على أذاهـم، ويعلم أنه ليس في الخروج أو القتال في الفتنة خير ولا مصلحة.

والذين خرجوا عليهم قديما وحديثًا لم يحققوا دنياً ولم يبنوا ديناً لا دفعوا عن المظلوم ظلماً ولا أقاموا عدلاً، ولا حققوا للناس مصلحة دينية ولا دنيوية بل أفسدوا عليهم أكثر ما أصلحوا شر وفساد وتخويف وترويع ويلات وبلاء في صفوف الأمة.

كما قال شيخ الإسلام : ((لا أقاموا ديناً ولا أبقوا دنيًا. والله تعالى لا يأمر بأمر لا يحصل به صلاح الدنيا، وإن كان فاعل ذلك من أولياء الله المتقين ومن أهل الجنة، فليسوا أفضل من علي وعائشة وطلحة والزبير

---

1 (?) تقدم تخريجه.

2 (?) منهاج السنة ج4/529، 530، 531.

3 (?) والقاعدة هي: ((أن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها وأنها ترجح خير الخيرين وشر الشرين وتحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما وتدفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما)) مجموع الفتاوى ج 110/512 وج20/48.

وغيرهم، ومع هذا لم يحمدوا ما فعلوه من القتال، وهم أعظم قدرا عند الله وأحسن نية من غيرهم.
وكذلك أهل الحرة كان فيهم أهل العلم والدين خلق.
وكذلك أصحاب ابن الأشعث كان فيهم خلق من أهل العلم والدين، والله يغفر لهم كلهم)) [1].

((ولم يثن النبي على أحد لا بقتال في فتنةٍ ولا بخروجٍ على الأئمة ولا نزع يد من طاعة ولا مفارقـة للجماعة)) [2].

فإنّ الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وأنها ترجح خير الخيرين وشر الشرين، وتحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما، وتدفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما.

ولهذا استقر أمر أهل السنة على ترك القتال في الفتنة للأحاديث الثابتة عن النبي ، وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم، ويأمرون بالصبر على جور الأئمة

---

1 (?) منهاج السنةج4/528، 529.
2 (?) منهاج السنة ج4/531.

وترك قتالهم[3] **، وإن كان قد قاتل في الفتنة خلق كثير من أهل العلم والدين**.

ومن تأمل الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي في هذا الباب واعتبر أيضًا اعتبار أولى الأبصار، علم أن الذي جاءت به النصوص النبوية خير الأمور))[1].

وذلك أن الفتن إنما يعرف ما فيها من الشر إذا أدبرت، فأما إذا أقبلت فإنها تزين، ويُظن أن فيها خيرًا،

---

3 (?) **قال القرطبي -رحمه الله-** : ((فإن جماعة أهل الحديث كالمجتمعين أن من لم يمكنه أن يمنع عن نفسه، وما له إلا الخروج على السلطان ومحاربته أنه لا يحاربه، ولا يخرج عليه للأخبار الدالة عن رسول الله التي فيها الأمر على ما يكون منهم من الجور والظلم ، وترك قتالهم، والخروج عليهم ما أقاموا الصلاة/ تفسير القرطبي ج6/141. وف
وفي موضع آخر: ((والذي عليه أكثر العلماء أن الصبر على طاعة الإمام الجائر أولى من الخروج عليه، لأن في منازعته والخروج عليه استبدال الأمن بالخوف، وإراقة الدماء، وإطلاق أيدي السفهاء، وشن الغارات على المسلمين والفساد في الأرض))/ ج2/109.
قال أبو عمر ابن عبد البر في الاستذكار : ((وأما أهل جماعة أهل السنة وأئمتهم، فقالوا: هذا هو الاختيار وأن يكون الإمام فاضلا، عالما، محسنًا، قويا على القيام بما يلزمه في الإمامة، فإن لم يكن فالصبر على طاعة الإمام الجائر أولى من الخروج عليه، لأن في منازعته، والخروج عليه استبدال الأمن بالخوف ,وإراقة الدماء))/ ج5/16. وانظر أيضا : التمهيد ج21/281-283 فقد ذكر نصوصاً كثيرة عن السلف الصالح رحمهم الله.في هذا الباب مهم فيراجع.
وقال البربهاري في شرح السنة : ((واعلم أن جور السلطان لا ينقص فريضة مـــن فرائض الله عز وجل التي افترضها على لسان نبيه .. وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله، وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى. ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين، فهو خارجي، وقد شق عصا المسلمين، وخالف الآثار، ولا يحل قتال السلطان،

فإذا ذاق الناس ما فيها من الشر والمرارة والبلاء، صار ذلك مبينًا لهم مضرتها، وواعظًا لهم أن يعودوا في مثلها،كما أنشد بعضهم:

الحرب أول ما تكون فُتيَّـــة ...تسعى بزينتها لكل جهـول.

حتى إذا اشتعـلت وشبّ ضرامها...ولّت عجوزاً غير ذات جليل

شمطاء يُنكـر لونهـا وتغـيرت ... مكروهة للشم والتقبيــل

[وأيضا] من استقرأ أحوال الفتن التي تجري بين المسلمين، تبين له أنه ما دخل فيها أحدٌ فحُمِد عاقبة

والخروج عليهم وإن جاروا، ولا يحل أن نكتم النصيحة للمسلمين برهم وفاجرهم في أمر الدين فمن كتم فقد غش المسلمين، ومن غش المسلمين فقد غش الدين، ومن غش الدين فقد خان الله ورسوله والمؤمنين))/شرح السنة للبربهاري ص113، 114، 76، 76، 77، 91.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: ((وقال ابن بطال: ((في هذه الأحاديث حجة في ترك الخروج على أئمة الجور، ولزوم السمع والطاعة لهم، والفقهاء مجمعون على أن الإمام المتغلب طاعته لازمة، ما أقام الجمعة والجماعة،.. خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء)).

وقال الآجري في الشريعة: ((باب في السمع والطاعة لولي أمر المسلمين والصبر عليهم وإن جاروا، وترك الخروج عليهم))/ ص38.

وفي شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج1/188، ذكر الإمام اللالكائي فيها اعتقادات أئمة السلف في هذا الباب كلها تؤيد ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية. – رحمهم الله جميعا.

[1] (?) منهاج السنة ج4/529، 530.

دخوله، لما يحصل له من الضرر[1] في دينه ودنياه. ولهذا كانت من باب النهي عنه، والإمساك عنها من المأمور به، الذي قال الله فيه: ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ[2]))[3] .

والأمر كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية وقرره في هذا الموضع وغيره في أن كثيرا ممن يقدم على مثل هذا قد يكون غرضه صحيحا ولكنه أخطأ في طرق العلاج أو تجاهله فيعدل عنها إلى الطرق البدعية:

1- إما مع حسن القصد إن كان له دين.

2- وإما أن يكون غرضه العلو وحب الرياسة ، ونيل حظوظ الدنيا من جاهٍ ومالٍ.

3- وإما أن يكون غرضه التشكيك والطعن وإيقاع الفتنة والفرقة.

ثم تكون فرقة وتكفير،واستباحة دماء وأموال وفتنة وفساد كبير في الأرض يعم الجميع إلا من رحم الله.

فقال شيخ الإسلام ((وكثير ممن خرج على ولاة الأمور أو أكثرهم إنما خرج لينازعهم مع استئثارهم عليه، ولم يصبروا على الاستئثار، ثم إنه يكون لولي الأمر ذنوب أخرى، فيبقى بغضه لاستئثاره يعظم تلك السيئات ويبقى المقاتل له ظاناً أنه يقتله لئلا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، ومن أعظم ما حركه عليه طلب غرضه: إما ولاية، وإما مالٍ.

كما قال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ[4] .

---

[1] (?) واقعنا الآن يشهد لهذا مثل ما يقوم به بعض أصحاب الفكر المنحرف من التفجيرات والاغتيالات فقد شوَّه سمعة الإسلام والمسلمين وتضرر الدعوة والدعاة وشلّت حركتها، وتعطلت المراكز الإسلامية، وأعطت للإسلام صورة سيئة في الداخل والخارج وفرّقت كلمة الأمة.
ولو تمسكوا بهدي النبي وفق فهم الصحابة والتابعين لهم بإحسان لكان خيرا لهم وللأمة الإسلامية أجمع.

[2] (?) المؤمنون.

[3] (?) منهاج السنة ج4/409-410.

[4] (?) التوبة.

فإذا اتفقت من هذه الجهة شبهة وشهوة، ومن هذه الجهة شهوة وشبهة قامت الفتنة، والشارع أمر كل إنسان بما هـو المصلحة له وللمسلمين.

أ- الولاة أمرهم بالعدل والنصح لرعيتهم حتى قال: ((**ما من راع يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة**))[1]

ب- وأمر الرعية بالطاعـة، والنصح لله، كما ثبت فقال: ((**الدين النصيحة ، ثلاثة**))**، فقالوا: لمن يا رسول الله؟ قال:** ((**لله ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**))[2]

ج- وأمر بالصبر على استئثارهم، ونهى عن مقاتلتهم، ومنازعتهم الأمر مع ظلمهم.

لأن الفساد الناشئ من القتال في الفتنة أعظم من فساد ظلم ولاة الأمر، **فلا يُزال أخف الفسادين بأعظمهما.**

ومن تَدَبَّرَ الكتاب والسنة الثابتة عن رسول الله ﷺ واعتبر ذلك، يجده في نفسه في الآفاق علم تحقيق قول الله تعالى: ﭽ ... ﭼ[3] .

فخبره صدق، وأمره عدل، ﭽ ﮬ ﮬ ﮪ ... ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ[4] [5]

هذه وصايا عظيمة[6] وقواعد متينة تمثل سبيل المؤمنين ومنهج السالكين ونهج السلف الصالح القويم، وعلماء سنة الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم **ترك الخروج على جماعة المسلمين وإلحاق الضرر بهم في دينهم**

---

1. (?) صحيح مسلم ص44ح(142) كتاب الإيمان باب استحقاق الوالي، الغاش لرعيته، النار.
2. (?) صحيح مسلم 27 ح(55) كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة.
3. (?) فصلت آية (53).
4. (?) الأنعام.
5. (?) منهاج السنة ج4/541، 542، 543 بتصرف بسيط فيه. وينظر أيضا مجموع الفتاوى ج11/625 وج17/394.
6. (?) ينظر:دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها/د. ناصر العقل ص 85.

ودنياهم وتجهيل علمائهم، ولعن حُكَّامهم، وسفك دمائهم، وتكفير مجتمعاتهم فهذا منهج السلف فعليك بها أخي الكريم.

وإياك ودعوات المتسترين، وحذلقة المتحذلقين، وتكلفات المتكلفين، وشعارات المهرجين ذوى الأحزاب المتفرقة والبدع المخالفة مهما زينوا لك الخروج والتكفير والتفجير والتجهيل والتبديع بلا فقه وبرهان واضح من الكتاب أو السنة.

فلا تنخدع بدعوى المخالفين من الجماعات والاتجاهات التي لا تلتزم طريق أئمة الهدى

ولا تدين للمشايخ الفضلاء بفضلٍ ولا قدوةٍ.

فإنها سبيل الهوى والشذوذ و الهلكة ولو بعد حين، فإن الأمر لا بد أن ينجلي عن الحق، فاصبر على السنة ولو شعرت بالغربة، وإياك والقنوط واليأس، فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

فمن لم يوازن ما في الفعل والترك من المصلحة الشرعية والمفسدة الشرعية كان ما يفسده أكثر مما يصلح.

قال تعـالى:ﭽ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭼ[1]

ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭼ[2] .

ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﭼ[3] .

---

1 (?) المائدة.

2 (?) الأنفال.

3 (?) الحجرات.

الفصل الثاث: جهوده في بيان النصوص الدالة على وقوع الفرقة في الأمة وابتداء ظهور الفرق.

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول : جهوده في بيان حديث تفرق هذه الأمة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول : جهوده في دراسة حديث الافتراق رواية ودراية

المطلب الثاني : موقفه من تعيين الفرق بعينها والجزم بأنها الهالكة وأول من تكلم في تعيين الفرق الهالكة

المطلب الثالث : جهوده في بيان الفرقة الناجية وصفاتها.

المطلب الرابع : جهوده في بيان أحق الناس بهذا الوصف بعد الصحابة رضوان الله عليهم.

المبحث الثاني : جهوده في بيان حديث ((لتتبعن سنن من كان قبلكم))

المبحث الثالث : بيان ابتداء تفرق هذه الأمة وظهور أصول الفرق

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : بيان أول تفرق وقع في هذه الأمة

المطلب الثاني : ابتداء ظهور أصول الفرق

المبحث الرابع: بيان شعار أهل البدع والتفرق

المبحث الخامس : بيان حكم هذه الفرق

المبحث الأول: جهوده في بيان حديث تفرق هذه الأمة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: جهوده في دراسة حديث الافتراق رواية ودراية

لقد قام شيخ الإسلام ابن تيمية بدراسة حديث افتراق الأمـة، لما له من أهمية في التحذير من الاختلاف والفرقة وعواقب ذلك السيئة، ولكونه أصل عظيم من أصول هذا الباب، وكما قام غيره من المؤلفين والمصنفين من أصحاب المقالات[1] والفرق والشروح الحديثية ببيان هذا الحديث والعناية به ما بين طاعن فيه ومصحح.

فقام شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- ببيان روايته ومن رواه من الصحابة بطرقه المختلفة ومن أخرجه من أصحاب السنن وغيرهم وبين حقيقة المراد بالافتراق الوارد في الحديث ودرجته وصحة دلالته.

أولا: كلام شيخ الإسلام- رحمه الله- في الحديث رواية

وقد قرر شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله – صحة حديث افتراق الأمـة، وأنه قد روي مرفوعا عن النبي بأسانيد مختلفة وبطرق متعددة، رواه جمع من الصحابة – رضوان الله عليهم- ورواه أصحاب السنن و المسانيد وغيرهم بألفاظٍ مختلفةٍ بعضها تقوي بعضًا.

فقد سئل– رحمه الله- عن حديث افتراق الأمة المروي عن النبي فبين – رحمه الله-

---

[1] (?) مثل كتاب : ((مقالات الإسلاميين للإمام أبي الحسن الأشعري، وكذلك كتاب ((الفرق بين الفرق للبغدادي، وكذلك كتاب ((حديث افتراق الأمة إلى نيف وسبعين فرقة))الإمام الصنعاني . ورسالة علمية ماجستير بعنوان: المباحث العقدية في حديث افتراق الأمم)) ماجستير بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة/لمؤلفه: أحمد سردار.

أنّ ((الحديث صحيح مشهور في السنن و المسانيد؛ كسنن أبي داود، والترمذي، والنسائي وغيرهم، ولفظه: ((افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة)) وفي لفظ: ((على ثلاث وسبعين ملة)) .

وفي رواية: ((قالوا يا رسول الله من الفرقة الناجية؟ قال: ((من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)) وفي رواية قال : ((هي الجماعة يد الله على الجماعـة))[1] [2]

قال: ((وقد جاءت الأحاديث في السنن والمسند من وجوه عن النبي أن هذه الأمة ستفترق))[3]**.**وقد روينا من حديث الثوري، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم

1 (?)سيأتي دراسة حديث الافتراق.
2 (?) مجموع الفتاوى ج3/345.
3 (?) مجموع الفتاوى ج16/491.

الإفريقي[1] ، عن عبد الله بن يزيد[2] ، عن عبـد الله بن عمرو[3] رضي الله عنهما قال: قال رسول الله : ((ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل، حذو النعل بالنعل، حتى إذا كان منهم من أتى أمه علانية كان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة)) قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ((ما أنا عليه اليوم وأصحابي)) رواه أبو عيسى

---

1 (?) **عبد الرحمن الإفريقي** بن زياد بن أنعم الإمام القدوة، شيخ الإسلام، أبو أيوب الشعباني الإفريقي. قاضي إفريقية وعالمها. ومحدثها على سوءٍ في حفظه. روى عن أبيه، وبكر بن سودة , أبي عبد الرحمن المصري وعدة من التابعين. وعنه ابن وهب، ويعلى ابن عبيد، وخلق كثير. وقيل كان أول مولود ولد في الإسلام بإفريقية، وفي هذا نظر. قال يحيى بن معين: هو ضعيف ولا يسقط حديثه. توفي سنة ست وخمسين ومئة، وكان الثوري يعظمه جدا، قيل أسرَتْه الروم./السير ج6/411، 412.

2 (?) لعله **عبد الله بن يزيد بن زيد** بن حصين الأمير العالم ، وأبو موسى الأنصاري الأوسي الخَطْمي المدني ثم الكوفي. أحد من بايع بيعة الرضوان، وكان عمره يومئذ سبع عشرة سنة. له أحاديث عن النبي وعـن زيد بن ثابت وحذيفة وغيرهم. حدث عنه: سبطه عدي بن ثابت، والشعبي وآخرون. وقد شهد مع الإمام علي صفِين والنهروان، وولي إمرة الكوفة لابن الزبير، فجعل الشعبيَ كاتب سرّه مات قبل السبعين وله من نحوٌ من ثمانين سنة. / السير ج3/197، 198.

3 (?) **عبد الله بن عمرو بن العاص** بن هاشم بن سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بـــن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب. الإمام الحبر العابد، صاحب رسول الله وابن صاحبه/ أبو محمد وقيل: أبو عبد الرحمن، وقيل أبو نصير القرشي السهمي. وقد أسلم قبل أبيه. ويقال كان اسمه العاص، فلما أسلم غيره النبي بعبد الله. وله مناقب وفضائلٌ مقام راسخ في العلم والعمل، حمل عن النبي علماً جماًّ يبلغ ما أسند سبعمائة حديث . قال أحمد بن حنبل: مات عبد الله ليالي الحرة سنة ثلاث وستين./ السير ج3/80، 94.

الترمذي ، وقال: ((هذا حديث غريب، مفسر، لا نعرفه إلا من هـذا الوجه))[1] [2] .

قال في موضع آخر: ((وهذا الافتراق مشهور عن النبي من حديث أبي هريرة ، وسعد، ومعاوية، وعمرو بن عوف[3]، وغيرهم.

عن أبي هريرة : أن رسول الله قال: ((تفترق اليهود على إحدى وسبعين فرقة، أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة)) . رواه أبو داود،[4] ، والترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح[5] .

وعن معاوية قال: قال رسول الله : إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن

---

1 (?) سنن الترمذي ج5/26 ح(2641) كتاب الإيمان باب ما جاء في افتراق هذه الأمة.وحسنه الألباني- رحمه الله- انظر: صحيح سنن الترمذي ح(6241). والسلسلة الصحيحة رقم (1348).

2 (?) اقتضاء الصراط ج1/135.

3 (?) عمرو بن عوف بن زيد بن ملحة المزني رضي الله عنه حجازي ويقال ملحة بن عمرو بن بكر بن أفرك بن عثمان بن عمرو بن أد ابن طابخة بن إلياس بن مضر وكل من كان من ولد عمرو بن أد بن طابخة، فهم ينسبون إلى أمهم مزينة بنت كلب بن وبرة، كان عمرو بن عوف المزنى قديم الإسلام يقال إنه قدم مع النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، ويقال إن أول مشاهده الخندق وكان أحد البكائين الذين قال الله تعالى فيهم تولوا وأعينهم تفيض من الدمع) مات في عهد معاوية/ التاريخ الكبيرج6/307 والاستيعاب ج3/1196.

4 (?) سنن أبي داود ج5/5ح(4596) و ح (4597) كتاب السنة باب شرح السنة.

5 (?) سنن الترمذي ج5/25/ح(2640) كتاب الإيمان باب ما جاء في افتراق هذه الأمـة. وقال أبو عيسى : حديث أبي هريرة حسن صحيح. ورواه أحمد في المسند ج4/102ح(16979). والطبراني في الكبيرج19/377ح(885). وصححه الألباني انظر: المشكاة رقم(172).

هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة- الأهواء- كلها في النار هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة- الأهواء- كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة)).

وقال: ((إنه سيخرج من أمتي أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب[1] بصاحبه، فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله، والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به محمد لغيركم من الناس أحرى أن لا يقوم به))[2]

هذا حديث محفوظ من حديث صفوان بن عمرو[3] ، عن الأزهر بن عبد الله الحرازي[4] ، عن أبي عامر عبد الله بن لحي[5] ، عن معاوية. رواه عنه غير واحد، منهم: أبو اليمان[6] ، وأبو المغيرة[7] رواه أحمد وأبو داود في سننه.

---

1 (?) أي يتواقعون في الأهواء الفاسدة ويتداعون فيها تشبيها بجري الفرس، والكلب : بالتحريك :داء معروف يعرض للكلب فمن عضه قتله/ انظر: النهاية في غريب الأثر والحديث ج 1/264.

2 (?) اقتضاء الصرا ط ج1/136، 137.

3 (?) **هو صفوان بن عمرو الحمصي**: ثقة، من الخامسة، مات سنة خمس وخمسين، أو بعدها/تقريب التهذيب ص218 ت(2938).

4 (?) **هو أزهر بن سعد الحرازي**، بمهملة وراء خفيفة وبعد الألف، حمصي: صدوق، ويقال هو أزهر بن عبد الله، من الخامسة، مات سنة (80)هـ وقيل (29)هـ/ تقريب التهذيب ص 37 ت(308).

5 (?) **هو عبد الله بن لحي** بضم اللام وبالمهملة، مصغرا، أبو عامر الهوزني، الحمصي: ثقة، مخضرم، من الثانية/تقريب التهذيب ص261ت(3562).

6 (?) **هو الحكم بن نافع البهراني**، بفتح الموحدة، أبو اليمان الحمصي/ مشهور بكنيته: ثقة ثبت، يقال: إن أكثر حديثه عن شعيب مناولة، من العاشرة، مات سنة اثنتين وعشرين/ تقريب التهذيب ص115ت(1464.

وكذلك ابن ماجه نحوه من حديث صفوان بن عمرو[1] عن راشد بن سعد[2] عن عوف بن مالك الأشجعي[3] [4] . وهذه الأحاديث وإن كان بعض الناس كابن حزم يُضعّفها فأكثر أهل العلم قبلوها وصدقوا بها[5] [6] .

فقد تبين من هذا صحة حديث الافتراق مرفوعا عن النبي كما قررها شيخ الإسلام ابن تيمية وأن أكثر رواته ثقات

7 (?) **هو عبد القدوس بن الحجاج الخولاني الحمصي** ، ثقة من الطبقة التاسعة، مات سنة (212)هـ أخرج له الستة./تهذيب التهذيب 1/515ت(1274).

1 (?) هو صفوان بن عمرو بن هرم السكسكي، أبو عمرو الحمصي: ثقة، من الخامسة، مات سنة (55)هـ / تقريب التهذيب ص218ت(2938).

2 (?) هو راشد بن سعد المقرئي بفتح الميم وسكون القاف وفتح الراء بعدها همزة ثم ياء النسب، الحمصي: ثقة كثير الإرسال، من الثالثة، مات سنة ثمان، وقيل: ثلاث عشرة/تقريب التهذيب ص144ت(1854).

3 (?) **هو عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي** الصحابي الجليل، أسلم قبل حنين وشهدها وشهد الفتح وكانت معه راية قومه، وشهد خيبر، ثم فتوح الشام، ونزل حمص، توفي سنة (83)هـ /انظر : البداية والنهاية لابن كثير ج8/446).

4 (?) اقتضاء الصراط ج1/137، 138.

5 (?) مجموع الفتاوى ج16/ 492.

6 (?) وقال بن كثير –رحمه الله- : وهذا حديث مروي في المسانيد، والسنن من طرق يشد بعضها بعضًا/ تفسير بن كثير ج2/610.

وقال عبد القاهر: ((للحديث الوارد في افتراق الأمة أسانيد كثيرة وقد رواه عن النبي جماعة من الصحابة كأنس بن مالك، وأبي هريرة، وأبي الدرداء وجابر وأبي سعيد الخدري ، وأبي بن كعب، وعبد الله بن عمرو، وأبي أمامة وغيرهم./ الفرق بين الفرق ص4،5.

وقال الحاكم في المستدرك ج1/47 في حديث أبي هريرة : هذا حديث كثر في الأصول، وقد روي عن سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمرو وعوف بن مالك عن رسول الله

فصح سنده بتعدد طرقه وبألفاظه المختلفة وبشواهده الكثيرة.

إذا فالحديث صحيح من جهة ثبوته.

أما من جهة المعنى :

فالمعنى صحيح لا يعارض ما ورد عن النبي في فضل هذه الأمة على غيرها وأنها أفضل الأمم وأن كون ثنتين وسبعين في النار لا يلزم من ذلك تخليدهم في النار ولا ينفي كونها أكثر الأمم دخولا الجنة وحديث افتراق الأمم قبل هذه الأمة وزيادة هذه الأمة عليها معناه صحيح عند أهل العلم، وإن ضعف ((كلها هالكة إلا واحدة))كابن حزم وغيره **قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- :**

مثله، وقد احتج مسلم بمحمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة واتفقا جميعاً على الاحتجاج بالفضل بن موسى: وهو ثقة. ولما ساق الأحاديث قال: هذه أسانيد تقام به الحجة في تصحيح هذا الحديث، وقد روى هذا الحديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وعمرو بن عوف المزني بإسناد تفرد بأحدهما عبد الرحمن بن زياد الإفريقي، و الآخر كثير بن عبد الله المزني، لا تقام بها الحجة.

أما حديث عبد الله بن عمرو.تعليق الذهبي في التلخيص: هذه أسانيد تقوم بها الحجة/المستدرك ج1/47،218 .

والشيخ الألباني – رحمه الله-قال في حديث أنس بن مالك إسناده صحيح رجال ثقات.وكذلك في صحيح الجامع رقم(2042) وكذلك حديث أبي هريرة صحيح الجامع رقم(1083) و(1082).

وكذلك في السلسلة الصحيحة ج1/ 402، 404 ، وصحيح ابن ماجه ج2/364(2326)و(3227).

أولا: ((مع أن حديث الثنتين والسبعين فرقة ليس في الصحيحين، وقد ضعفه ابن حزم[1] وغيره- لكن حسّنه غيره أو صححه، كما صححه
الحاكم وغيره، وقد رواه أهل السنن وروي من طرق[2] .
ثانيا: والنبي مع قوله ((كلها في النار إلا واحدة)) لم يخرجهم من الإسلام، بل جعلهم من أمته، ولم يقل إنهم يخلدون في النار، فهذا أصل عظيم ينبغي مراعاته[3] .
ثالثا: وليس قوله ((سنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة)) بأعظم من قوله تعـالى ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ

---

1 (?) نقل هذا الصنعاني في كتابه ((افتراق الأمة إلى نيف)) ص95-100 فقال: قال عز الدين محمد بن الوزير عن أبي محمد بن حزم في بعض رسائله ما لفظه : قال الحافظ أبو محمد بن حزم: ((إن الزيادة بقوله ((كلها هالكة إلا فرقة)) موضوعة، وإنما الحديث المعروف((إنها ستفترق إلى نيف وسبعين فرقة)). لازيادة على هذا في نقل الثقات.
ومن زاد على نقل الثقات في الحديث المشهور كان عند المحدثين معلا ما زاده غير صحيح، وإن كان الراوي ثقة غير أن مخالفة الثقات فيما يشاركوه في حديثه يقوى الظن على أنه وهم فيما زاده أو أدرج في الحديث كلام بعض الرواة فحسبه من كلام رسول الله ، فيعلون الحديث بهذا وإن لم يكن مقدوحا فيه. على أن أهل الحديث الذين حكموا بصحته ليس مما اتفقوا على صحته، وقد تجنبه البخاري ومسلم مع شهرته لعدم اجتماع شرائطهما فيه)) انتهى كلامه)).
قلت: هذه الزيادة قد حسنها الترمذي بل صححها، كما صححه الحاكم وقال : على شرط مسلم ولم يخرجه ، كما صححه غيره.
2- أن عدم إخراج البخاري ومسلم الحديث لا يلزم منه عدم صحته، وليس من شروطهما إخراج كلما روي عن النبي .

2 (?) منهاج السنة ج5/249.

3 (?) منهاج السنة ج5/241.

وقـوله : ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ[1] ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﭼ[2] [3].

ولا ريب أن الأمر كما قال الصادق المصدوق أن المتفرقين كلهم هالكون إلا الفرقة الناجية التي تمسكت بما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله.

ثم هذا الاختلاف الذي أخبر به النبي ﷺ إما في الدين، وإما في الدين والدنيا،ثم قد يؤول إلى الدنيا، وقد يكون الاختلاف في الدنيا فقط.

وهذا الاختلاف الذي دلت عليه هذه الأحاديث هو مما نهى الله عنه في قوله: ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ[4] وقوله: ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ[5] وقوله: ﭽ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ[6] .

وهو موافق لقوله ﷺ : ((...وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى يعبد فئام من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى))[7] .

---

1 (?) النساء.
2 (?) النساء,
3 (?) منهاج السنة ج5/250.
4 (?) آل عمران.
5 (?) آل عمران.
6 (?) الأنعام آية : (153).
7 (?) صحيح البخاري مع الفتح ج13/306 ح(3711)و(3712) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة وصحيح مسلم ص 502 ح(1920) كتاب الإمارة باب قوله ﷺ: ((لا تزال طائفة من أمتي

وقوله : ((لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض))[1] وهذا المعنى محفوظ عن النبي من غير وجه[2].

وكذلك ما جاء في الصحيحين عن النبي من حديث أبى سعيد : ((لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه)) قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: ((فمن ؟))[3] .

هذا خبر تصديقه في قوله تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤﭥ ﭼ[4] .

ولهذا شواهد في الصحاح والحسان[5] .

و الحديث يدل أيضًا ((على مفارقة الثنتين وسبعين بعضها بعضًا كما فارقت هذه الواحدة، فليس في الحديث ما يدل على اشتراك الثنتين والسبعين في أصول العقائد، بل في ظاهر الحديث مباينة الثلاث والسبعين كل طائفة للأخرى، وحينئذ فمعلوم أن جهة الافتراق جهة مذموم، لا جهة مدح، فإن الله تعالى أمر بالجماعة والائتلاف، وذم الفرقة، والاختلاف، وإذا كان كذلك فأعظم الطوائف مفارقة للجماعة وافتراقاً أولى الطوائف بالذم، وأقلها افتراقا ومفارقة للجماعة أقربها إلى الحق))[6] .

ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم. وسنن الترمذي ج 4/ 420ح(2192) كتاب الفتن باب ما جاء في الشام.

1 (?) تقدم تخريجه.

2 (?) اقتضاء الصراط 1/138، 139، 142.

3 (?) صحيح البخاري مع الفتح ج13/312ح(7319) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي : ((لتتبعن سنن من كان قبلكم)).

4 (?) التوبةآية: (69).

5 (?) مجموع الفتاوى ج10/657.

6 (?) منهاج السنة ج3/467،468.

ومن الأدلة أيضا ما جاء في صحيح مسلم عن عامر بن سعد[1] بن أبي وقاص عن أبيه أنه أقبل رسول الله في طائفة من أصحابه من العالية حتى إذا مر بمسجد بني معاوية دخل فركع فيه ركعتين وصلينا معه، ودعا ربه طويلا، ثم انصرف إلينا فقال: ((سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة، وسألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة[2] فأعطانيها، وسألت ربي أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها))[3] .

وهذه الأحاديث كلها تشير ((إلى أن التفرقة والاختلاف لابد من وقوعهما في الأمة، وكان يحذر أمته؛ لينجو منه من شاء الله له السلامة))[4].

ويستفاد من هذا ما يلي:

1- أن الاختلاف واقع في الأمة لا محالة مع هذا فقد حذر النبي الأمة منه.

2- أن حديث افتراق الأمم وافتراق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ثابت رواية ودراية كما قرره شيخ الإسلام وغيره من العلماء.

3-أن النجاة من هذه الفرقة وهذا الهلاك في التمسك بما كان عليه النبي وأصحابه اعتقاداً ومنهجاً وسلوكـًا.

4- أن هذا الحديث مـن دلائل نبوته .

5- أنه لا يلزم من كون الثنتين والسبعين هالكة تخليدها في النار أو إخراجها كلها من الملة.

---

1 (?) **عامر بن سعد بن أبي وقاص الزهري**، المدني: ثقة، من الثالثة، مات سنة أربع ومائة/ تقريب التهذيب ص 230 ت(3089).

2 (?) المراد بالسنة أي الجدب/غريب الحديث لابن الجوزي ج 1/503.

3 (?) صحيح مسلم ص730 ح(2889) كتاب الفتن وأشراط الساعة باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما.

4 (?) اقتضاء الصراط ج1/142، 123.

المطلب الثاني : موقفه من تعيين الفرق بعينها والجزم بأنها الهالكة وأول من تكلم في تعيين الفرق الهالــكة.

لقد قام بعض العلماء وغيرهم بمحاولة تتبع الفرق الهالكة المذكورة في حديث الافتراق ((**كلها هالكة إلا واحده**)) وقام بعضهم بتعيين بعض الفرق والجزم بأنها المقصودة ، كما قد ألف بعضهم فيها الكتب وعد الفرق فرقة فرقة تعيينًا وحكمًا بأنها هي الهالكة

وهذا مما لم يوافقهم عليه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- :

1- لصعوبة ذلك وما فيه من التكلف ولأن الزمان باق وعدم إمكان حصر هذه الفرق في زمن مَنْ حاول عدها وتعيينها فإنه مازالت الفرق تنشأ وتتشعب بعدهم وتتوسع.

2- لعدم الدليل من الكتاب والسنة على التعيين والجزم به.

وشيخ الإسلام ابن تيمية لم ير تعيين الفرق الهالكة ضربا من الصواب وهو -رحمه الله- مع كثرة رده على البدع وأهلها لم يعين الفرق الهالكة ولم يجزم وذلك اتباعا للنص وبمن سلفه من الصحابة والأئمة وغيرهم فقال –رحمه الله- في أكثر من موضع بعد ذكر حديث الافتراق، والفرقة الناجية من كان على ما كان عليه النبي وأصحابه فقال: ((وأما الفرق الباقية فإنهم أهل الشذوذ والتفرق، والبدع والأهواء، ولا تبلغ الفرقة من هؤلاء قريبًا من مبلغ الفرقة الناجية، فضلا عن أن تكون بقدرها، بل قد تكون الفرقة منها في غاية القلة. وشعار هذه الفرق مفارقة الكتاب والسنة والإجماع، فمن قال بالكتاب والسنة والإجماع كان من أهل السنة والجماعة)) [1] .

هذا هو الميزان الصحيح والكلام العدل الموافق للحق أما الزعم والإدعاء فلا يبنى عليه شيء فيصح

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج3/346.

ويقوى، وهنا كل فرقة وكل طائفة وكل شخص يستطيع أن يقيس اعتقاده وسلوكه ومنهجه هل هو موافق للكتاب والسنة والإجماع أم مفارقة له ومن هنا يستطيع أن يرى مكانه وإلى ما ذا ينتسب كما بين شيخ الإسلام وسيأتي بيانه أكثر إن شاء الله.

موقف شيخ الاسلام من تعيين الفرق الهالكة:

فقد أبرز –رحمه الله – موقفه الواضح والوسط في تعيين الفرق الهالكة موقف العدل والإنصاف، إذ قرر فقال: « وأما تعيين هذه الفرق فقد صنف الناس فيهم مصنفات، وذكروهم في كتب المقالات، لكن الجزم بأن هذه الفرقة الموصوفة هي إحدى الثنتين والسبعين لابد من دليل.

فإن الله حرم القول بلا علم عمومـًا، وحرم القول عليه بلا علم خصوصًا. فقال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ[1] وقال تعالى: ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﭼ[2] .

وأيضـًا فكثير من الناس يخبر عن هذه الفرق بحكم الظن والهوى، فيجعل طائفته والمنتسبة إلى متبوعه الموالية له هم أهل السنة والجماعة، ويجعل من خالفها أهل البدع[3] وهذا ضلال مبين، فإن أهل الحق والسنة لا

---

1. (?) الأعراف.
2. (?) الإسراء آية: (36).
3. (?) هذا كما فعل كثير من أهل الكلام وغيرهم من المعتزلة والمتصوفة وغيرهم كل يدعي وصلا بليلى .
وكما فعل عبد القاهر البغدادي في كتابه: الفرق بين الفرق حاول تعيين الفرق الهالكة وزعم أن من خالف الأصول الخمسة التي عند المعتزلة هي الهالكة فقال ما نصه:
قال: للحديث الوارد في افتراق الأمة أسانيد كثيرة، وقد رواه عن النبي ﷺ جماعة من الصحابة كأنس بن مالك، وأبي هريرة، وأبي الدرداء، وغيرهم، وقد روى عن الخلفاء الراشدين أنهم ذكروا افتراق الأمة بعدهم فرقا وذكروا أن الفرقة الناجية منها فرقة واحدة، و سائرها على الضلال في الدنيا والبوار في الآخرة، ..وقد علم كل ذي عقل من أصحاب المقالات

يكون متبوعهم إلا رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فهو الذي يجب تصديقه في كل ما أخبر وطاعته في كل ما أمر.

وليست هذه المنزلة لغيره من الأئمة، بل كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ، فمن جعل شخصا من الأشخاص غير رسول الله من أحبه ووافقه كان من أهـل السنة والجماعة، ومن خالفه كان

المنسوبة إلى أن النبي عليه السلام لم يرد بالفرق المذمومة التي أهل النار فرق الفقهاء الذين اختلفوا في فروع الفقه مع اتفاقهم على أصول الدين)) إلى أن قال: _((**وإنما فصل النبي عليه السلام بذكر الفرق المذمومة، فرق أصحاب الأهواء الضالة الذين خالفوا الفرقة الناجية في أبواب العدل، والتوحيد، أو في الوعد والوعيد، أو في باب القدر، والاستطاعة**، أو في تقدير الخير، والشر، أو في باب الهداية والضلالة أو في باب الإرادة، والمشيئة أو في باب الروية والإدراك أو في باب صفات..ونحوها من الأبواب التي اتفق عليها أهل السنة والجماعة من فريقي الرأي، والحديث، على أصل واحد خالفهم فيها أهل الأهواء الضالة من القدرية والخوارج والرافض و النجارية و الجهمية والمجسمة والمشبهة ومن جرى من فرق الضلال، فإن المختلفين في العدل والتوحيد والأسلاف متحدو الرواية والصفات والتعديل والتجويز، وفى شروط النبوة والإمامة يكفر بعضهم بعضا فصح تأويل الحديث المروى في افتراق الأمة ثلاثا وسبعين فرقة إلى هذا النوع من الاختلاف دون الأنواع التي اختلفت فيها أئمة الفقه من فروع الأحكام)) هذا ما ادعاه البغدادي من أن الذين اختلفوا مع المعتزلة في هذه الأصول التي يسمونها بالأصول الخمسة وغيرها هي الضالة الهالكة وعلى رأسهم مثبتوالصفات، لاشك أن هذا عار عن الحق والصواب، فهم خالفوا الكتاب والسنة وخالفوا الصحابة والأئمة الأربعة بهذه الأصول المبتدعة، فيكف يكون هؤلاء هم الفرقة الناجية؟!!!....

وكذلك أيضا فعل الشهرستاني رحمه الله في كتابه الملل والنحل في تأييد المذهب الأشعرية وأنهم الفرقة

من أهل البدعة والفرقة،كما يوجد ذلك في الطوائف من أتباع أئمة الكلام في الدين وغير ذلك كان من أهل البدع والضلال والتفرق)) [1] .

ويتبين من كلام شيخ الإسلام هذا : أن كلام بعض العلماء في تعيين الفرق الثنتين والسبعين الهالكة الواردة في حديث الافتراق لا يستند على دليل من كتاب ولا سنة ولا كلام أحد من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولذا فيجب الوقوف من حيث وقف الرسول فإنما الميزان الكتاب والسنة وما وافق سبيل سلف الأمة من الصحابة خير الأمة ومن اتبعهم بإحسان وأن الله قد حرم الكلام بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير كما بين شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- .

وفي الجملة ((فلا بد من أن تقع الـذنوب من هـذه الأمــة، ولا بد أن يختلفــوا؛ فــإن هــذا من لــوازم الطبع البشــري، لا يمكن أن يكـون بنو آدم إلا كـذلك، ولهـذا لم يكن ما وقع فيها من الاختلاف والقتال والذنوب دليلا على نقصـها؛ بل هي أفضل الأمم، وهذ الواقع بينهم من لـوازم البشــرية، وهو في غيرها أكـثر وأعظم، وخـير غيرها أقل والخـير فيها أكـثر، والشر فيها أقـل، فكل خـير في غيرها فهو فيها أعظم، وكل شر فيها فهو في غيرها أعظم)) [2] .

هذا كما أنه حرم على بني إسرائيل طيبات أحلت لهم لأجل ظلمهم وبغيهم، فشريعة محمد لا تنسخ ولا تعاقب

الناجية/انظر ج11/ 11 وما بعدها.
فقد أمر الله بالرد عند المنازعة إلى الكتاب والسنة وأحالنا النبي أيضا إلى سنة الخلفاء كما أمر الله باتباع طريق الصحابة وحذر من اتباع غير سبيلهم فالنظر إلى عقائدنا وسلوكنا ومنهجنا ومن الذين اتبعوا سبيلهم ووافقهم ويستدل بأقوالهم ويمشي مع نصوص الكتاب والسنة ووفق فهمهم، فسنجد أيها أزكى طعاما.
وستبين الأمر أكثر إن شاء الله في المباحث القادمة.

[1] (?) مجموع الفتاوى ج3/346- 347.

[2] (?) مجموع الفتاوى ج14/150، 151.

أمته كلها بهذا، ولكن قد تعاقب ظلمتهم بهذا، بأن يحرموا الطيبات، أو تحريم الطيبات: إما تحريمًا كونياً بأن لا يوجد غيثهم، وتهلك ثمارهم، وتقطع الميرة[1] عنهم، أو أنهم لا يجدون لذة مأكل ولا مشرب ولا منكح ولا ملبس ونحوه كما كانوا يجدونها قبل ذلك وتسلط عليها الغصص وما ينغص ذلك ويعوقه. ويجرعون غصص المال والولد والأهل، كما قال تعالى: چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻپ پ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ چ[2] وقال: چ ۀ [illegible] چ[3] . وقال: چ ڳ ڱ ڱ ٹٹ چ[4] فيكون هذا كابتلاء أهل السبت بالحيتان.

وإما أن يعاقبوا باعتقاد تحريم ما هو طيب حلال لخفاء تحليل الله ورسوله عندهم.

وقد يبتلون بمطاع يلزمهم بذلك فيكون آصارًا وأغلالا -وإن كان الرسول قد وضعها، لكنهم لم يعلموها- من جهة مطاعهم: مثل حاكم، ومفت، وناظر وقف، وأمير ينسب ذلك الشرع؛ لاعتقاده الفاسد أن ذلك من الشرع، ويكون عدم علم مطاعيهم تيسير الله عليهم عقوبة في حقهم لذنوبهم، وإن كان الرسول ليس في شرعه آصار وأغلال، فلهذا تسلط عليهم حكام الجور والظلم، وتساق إليهم الأعداء، وتقاد بسلاسل القهر والقدر، وذلك من الآصار والأغلال التي لم ترفع عنهم، مع عقوبات لا تحصى؛ وذلك لضعف الطاعة في قلوبهم وتمكن المعاصي وحب الشهوات فيها، فإذا قالوا: چ ې ۉ ې ې ۀ [illegible] چ[5] . داخل في هــذا.

---

[1] (?) المـيرة بالكسر: جلب الطعام . مار عياله يمير ميْراً. وتماير ما بينهم فسد/ قاموس المحيط ص478(مير).

[2] (?) التوبة آية: (55).

[3] (?) المؤمنون.

[4] (?) التغابن آية: (15).

[5] (?) البقرة آية: (286).

وهذا مما يبين أن الذنوب عواقبها مذمومة مطلقا[6] .

ومن هذه الذنوب تفرق الأمة وتناحرها وتقاتلها وتباين بعضهم بعضا وتشتتهم إلى أحزاب كثيرة وفرق شتى إلا من رحم ربك.

- القول في تعيين الفرق الهاكلة:

أقدم من قام في تعـيين الفرق الهالكة عند شيخ الإسلام:

أما أول من عُرف بالكلام في تعيين الفرق الهالكة قد بينه شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- قائلا:

((وأما تعيين الفرق الهالكـة فأقـدم من بلغنا أنه تكلم في تضليلهم يوسف بن أسباط[2] ثم عبد الله بن مبارك[3] وهما إمامان جليلان من أجل أئمة المسلمين قالا: ((أصول البدع أربع: الروافض[4] ، والخوارج[5] ، والقدرية[6] والمرجئة[7] . فقيل لابن مبارك: و الجهمية؟ فأجاب: بأن الجهمية ليسوا من أمة محمد ، وكان يقول: إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية))[8] [9]

**وقول السلف بأن الجهمية ليسوا من أمة محمد **

---

6 (?) مجموع الفتاوى ج14/153، 154، 155، 156.

2 (?) **يوسف ابن أسباط** الزاهد من سادات المشايخ، له مواعظ وحكم، روى عن: بن خليفة، والثوري، وزائدة بن قدامة. وعنه: المسيب بن واضح، وعبد الله بن خبيق، وغيرهما. وثقه ابن معين، قال البخاري: دفن كتبه، فكان حديثه لا يجيئ كما ينبغي./السير ج9/169، 170، 171.

3 (?) **هو عبد الله بن المبارك المروزي** مولى بني حنظلة: ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد، جمعت فيه خصال الخير من الثامنة مات سنة إحدى وثمانين وله ثلاث وستون /تقريب التهذيب ص262ت(3570).

4 (?) سيأتي تعريفهم

5 (?) الخوارج سيأتي تعريفهم.

6 (?) القدرية سيأتي تعريفهم

7 (?) المرجئة سيأتي تعريفهم.

المقصود بهؤلاء هم الجهمية المحضة أو الزنادقة، وليس كل من قال بمقالة من مقالات الجهمية، وهناك فَرْقٌ بين الفِرقة والمقالة يوضح ذلك ما يأتي من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في توجيهه لكلام السلف.

فقال: ‹‹ و هذا أرادوا به التجهم المحض الذي كان عليه جهم نفسه[1] و متبعوه عليه، وهو نفي الأسماء مع نفي الصفات، بحيث لا يسمى الله بشيء من أسمائه الحسنى، و لا يسميه شيئا و لا موجودا و لا غير ذلك، و إنما نقل عنه أنه كان يسميه قادرا - لأن جميع الأسماء يسمى بها الخلق فزعم أنه يلزم منها التشبيه، بخلاف القادر- فإنه كان رأس الجبرية و عنده ليس للعبد قدرة و لا فعل و لا يسمى غير الله قادرا فلهذا نقل عنه أنه سمى الله قادرا.

وشر منه نفاة الأسماء والصفات، وهم الملاحدة من الفلاسفة والقرامطة، و لهذا كان هؤلاء عند الأئمة قاطبة ملا حدة منافقين، بل فيهم من الكفر الباطن ما هو أعظم من كفر اليهود و النصارى، و هؤلاء لا ريب أنهم ليسوا من الثنتين و سبعين فرقة، و إذا أظهروا الإسلام فغايتهم أن يكونوا منافقين، كالمنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم، و أولئك كانوا أقرب إلى الإسلام من هؤلاء، فإنهم كانوا يلتزمون شرائع الإسلام الظاهرة، و هؤلاء قد يقولون برفعها، فلا صوم و لا صلاة و لا حج و لا زكاة؛ لكن قد يقال: إن أولئك كانوا قد قامت عليهم الحجة بالرسالة أكثر من هؤلاء.

و**أما من يقول** ببعض التجهم كالمعتزلة و نحوهم الذين يتدينون بدين الإسلام باطنا و ظاهرا فهؤلاء من أمة

---

[8] (?) السنة لعبد الله ابن إمام أحمد ص174 والشريعة للآجري ص258.

[9] (?) مجموع الفتاوى ج3/350 وج16/447 وكتاب النبوات ص 142 وشرح السنة للبربهاري ص46.

[1] (?) سيأتي الحديث عنه.

محمد صلى الله عليه و سلم بلا ريب. و كذلك من هو خير منهم كالكلابية والكرامية.

و كذلك الشيعة المفضلين لعلي، و من كان منهم يقول بالنص و العصمة مع اعتقاده نبوة محمد صلى الله عليه و سلم باطنًا و ظاهرًا و ظنه أن ما هو عليه هو دين الإسلام، فهؤلاء أهل ضلال و جهل ليسوا خارجين عن أمة محمد صلى الله عليه و سلم، بل هم من الذين فرقوا دينهم و كانوا شيعا و عامة هؤلاء ممن يتبع ما تشابه من القرآن ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله[1] .

فتقرر بهذا أن الجهمية الذين كفرهم أئمة السلف هي الجهمية المحضة الغلاة هم أتباع جهم بن صفوان، وليس كل من قال ببعض قول الجهمية مع وجود الإيمان بالنبي في قلبه ظاهرا وباطناً.

أن أئمة السلف لم يكفروا أحدا من الجهمية بعينه إلا من أقيمت عليه الحجة وتوفرت فيه الشروط وانتفت الموانع.

وأنه ليس كل من قال بمقالة من مقالات الجهمية أو نحوهم يكون جهميًا محضًا ويعد منهم.

وقد قرر هنا شيخ الإسلام ابن تيمية قواعد مهمة وأصولا عظيمة في هذا الباب، قد يحتاج إليها طالب العلم و يعينه على فهم كثير من المسائل الدقيقة التي قد اشتبه عليه ويعينه على فهم مه، وكذلك التمييز بين المقالات الصحيحة والباطلة بإذن الله فيما يلي ذكر بعض منها :

أولا- ضرورة معرفة ((مقالات الفرق)) و((موادهم وأصولهم)) و((ودرجاتهم فيها)) ومتى يعد المتكلم بتلك المقالات من أهلها ليتكلم بعلم وعدل **.**

وهذا كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- : ((وشأن كل ذي مقالة من المقالات الباطلة، فإنه لابد منه من معرفة لغته، وضلاله، فاحتيج إليه لبيان

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج17/447، 448.

ضلاله الذي يعرف به الموقنون حاله، ويستبين لهم ما بين الله من حكمه جزاءً وأمراً))[1]

((لابد أن يكون مع الإنسان أصول كلية، ترد إليها الجزئيات، ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت، وإلا فيبقى في كذب وجهل في الجزئيات، وجهل وظلم في الكليات، فيتولد فساد عظيم)) [2] .

ثانيا : **معرفة** ((أن المسائل العلمية أو الخبرية قد تكون بمنزلة المسائل العملية؛ وإن سميت تلك ((مسائل أصول)) وهذه مسائل((فروع))، فإن هذه تسمية محدثة قسمها طائفة من الفقهاء والمتكلمين؛ وهو على المتكلمين، والأصوليين أغلب؛ لاسيما إذا تكلموا في مسائل التصويب والتخطئة.

ولقول بأنها قد تكون بمنزلتها يتضمن أشياء منها:

1- أنها تنقسم إلى قطعي وظني.

2- أن المصيب وإن كان واحداً فالمخطئ قد يكون معفوًا عنه وقد يكون مذنبًا، وقد يكون فاسقًا، وقد يكون كالمخطئ في الأحكام العملية، سواء؛ لكن تلك لكثرة فروعها، والحاجة إلى تفريعها: اطمأنت القلوب بوقوع التنازع فيها والاختلاف، بخلاف الأمور الخبرية؛ فإن الاتفاق قد وقع فيها على الجملة؛ فإذا فصلت بلا نزاع فحسن؛ وإن وقع التنازع في تفصيلها فهو مفسدة من غير حاجة داعية إلى ذلك. ولهذا ذم أهل الأهواء والجدل والخصومات لأنه شر وفساد من غير حاجة داعية إليه؛ لكن هذا القدر لا يمنع تفصيلها ومعرفة دقها وجلها[3] .

ومما له علاقة أيضا بهذا: ((أن المسائل الخبرية العلمية قد تكون واجبة الاعتقاد، وقد تجب في حال دون حال، وعلى قوم دون قوم؛ وقد تكون مستحبة غير واجبة، وقد تستحب لطائفة أو في حال كالأعمال سواء.

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج9/69 وينظر أيضا: ج6/51.

2 (?) مجموع الفتاوى ج19/203.

3 (?) مجموع الفتاوى ج6/56، 57، 58. بتصرف بسيط فيه.

وقد تكون معرفتها مضرة لبعض الناس فلا يجوز تعريفه كما قال علي – ◻ -((حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله))[1] .

فإذا كان العلم((بهذه المسائل)) تبين لك أن القول قد ينكر في حال دون حال، ومع شخص دون شخص؛ وإن العالم قد يقول القولين الصوابين، كل قول مع قوم؛ لأن ذلك هو الذي ينفعهم؛ مع أن القولين صحيحان لا منافاة بينهما؛ لكن قد يكون قولهما جميعًا فيه ضرر على الطائفتين؛ فلا يجمعهما إلا لمن لا يضره الجمع.

وقد ينكر أحد القائلين على القائل الآخر قوله إنكارًا يجعله كافرًا، أو مبتدعًا فاسقًا، يستحق الهجر وإن لم يستحق ذلك، وهو أيضا اجتهاد.

وقد يكون ذلك التغليظ صحيحًا في بعض الأشخاص، أو بعض الأحوال لظهور السنة التي يكفر من خالفها؛ ولما في القول الآخر من المفسدة الذي يبدع قائله؛ فهذا أمور ينبغي أن يعرفها العاقل[2] .

فهذه القواعـد وهذه الأصول التي قررها شيخ الإسلام تحمل في طياتها أمورا عظيمة ومعان جليلة تتعلق بهذا الباب وأهم ما يتبين منها ما يلي :

أولا: أن نصوص الوعيد والوعيد تنزيلها على أفراد أو طائفة أو فرقة يحتاج إلى فقه دقيق للكتاب والسنة ومعرفة الأشخاص والأحوال ويجب الرجوع فيها إلى العلماء الكبار أولي العلم والنهى والفهم الصحيح للكتاب والسنة وأحوال الأمة.

ثانيا: أن علماء الكتاب والسنة إذا حكموا على فرقة معينة بأنه ليست من أمة محمد ◻ هذا يعود إلى توفر تلك الشروط فيها، ولا يعني ذلك أن كل من قال ببعض مقالة تلك الفرقة يأخذ حكمها وينسب إليها.

---

1 (?) صحيح البخاري مع الفتح ج1/272 باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا.

2 (?) مجموع الفتاوى ج6/59، 60.

ثالثاً: ضرورة فهم مراد السلف الصالح عند إطلاق أحدهم القول وتقييده حيناً آخر بين شيخ الإسلام أن معرفة هذا في غاية الأهمية.

قال: ((إذا رأيت إمامًا قد غلظ على قائل مقالته، أو كفره فيها فلا يعتبر هذا حكما عامًا في كل من قالها، إلا إذا حصل فيه الشرط الذي يستحق به التغليظ عليه، والتكفير له؛ فإن من جحد شيئًا من الشرائع الظاهرة، وكان حديث العهد بالإسلام، أو ناشئًا ببلد جهل لا يكفر حتى تبلغه الحجة النبوي.

وكذلك العكس إذا رأيت المقالة المخطئة قد صدرت من إمام قديم فاغتفرت؛ لعدم بلوغ الحجة له؛ فلا يغتفر لمن بلغته الحجة ما اغتفر للأول، فلهذا يُبدّع من بلغته أحاديث عذاب القبر ونحوها إذا أنكر ذلك، ولا تُبَدَّع عائشة ونحوها ممن لم يعرف بأن الموتى يسمعون في قبورهم؛ **فهذا أصل عظيم فتدبره فإنه نافع**.

وهو أن ينظر في ((شيئين في المقالة)) :

النظرالأول: هل هي حق؟ أم باطل؟ أم تقبل التقسيم فتكون حقًا باعتبار، باطلا باعتبار؟ وهو كثير وغالب؟.

ثم النظر الثاني: في حكمه إثباتًا، أو نفيًا، أو تفصيلاً، واختلاف أحوال الناس فيه فمن سلك هذا المسلك أصاب الحق قولاً وعملاً، وعرف إبطال القول وإحقاقه وحمده، فهــذا والله يهدينا ويرشدنا، إنه ولي ذلك والقادر عليــه[1] .

هذا يبين أن مقالات الفرق تختلف وأنها ليست على درجة واحدة ، بل بعضها أغلظ من بعض، وبعضها أخف من بعض كتفاضل إيمانهم وتفاوته كل بحسبه، فمن العدل والإنصاف إعطاء كل ذي حق حقه، فلا ينبغي التسوية بينهم في الموالاة والمعاداة ، إن الله تعالى

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج6/61.

أمرنا في كتابه العزيز بالعدل والإنصاف ونهانا عن الظلم واتباع لهوى.

المطلب الثالث: جهوده في بيان الفرقة الناجية وصفاتها.

قد أخبر النبي بأنّ أمته ستفترق إلى ثنتين وسبعين فرقة كلها هالكة إلا واحدة فهي الناجية والمنصورة، وكل فرقة تزعم أنها هي الناجية ومخالفها في الرأي والمنهج الهالكة، وكل طائفة تدعي أنها المنصورة وصاحبة الحق وعلى الصراط المستقيم، و غيرها هي المخالف لها المخذولة الضالة وعلى غير الجادة .

من هذا لمنطلق بين شيخ الإسلام صفات الفرقة الناجية المذكورة في هذا الحديث وذكر أن النبي قد بينها وأن كلَّ فرقة أو طائفة توفرت فيها هذه الصفات فهي الناجية وهي المنصورة إلى قيام الساعة، وأن كتاب الله وسنة رسوله هما الحكمان الفصلان في هذا وقد أُمرنا بالرد إليهما عند التنازع.

هذا فمن أبرز الصفات الفرقة الناجية عند شيخ الإسلام ابن تيمية قوة عضّها وتمسكها واعتصامها بالكتاب والسنة واختيار ما كان عليه النبي وأصحابه عقيدة ومنهجًا وسلوكا.

والتمسك بالجماعــة ومجانبة الفُرقة و الشذوذ والتحذير منها

وهو –رحمه الله - استنبط من حديث النبي في الافتراق وآيات من الكتاب في وصف أهل الحق والنجاة .

وفي حديث الافتراق قول النبي : ((**تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدةً**))[1] قيل: يا رسول الله ومن هي ؟ قال: ((**من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**))[2] وفي رواية: ((**هي الجماعة**))، وفي رواية: ((**يد الله مع الجماعة**))[3].

---

1 (?) تقدم تخريجه.

2 (?) تقدم تخريجه.

3 (?) تقدم تخريجه.

قال شيخ الإسلام: ((فوصف الفرقة الناجية بأنهم المستمسكون بسنته، وأنهم هم الجماعة)).[1]

وهذا يبين أن التمسك التام بالسنة والجماعة علمًا واعتقادًا وعملاً ومنهجاً وسلوكاًظاهرًا وباطنًا هو أبرز ما تتميز بها الفِرْقة الناجية، وأعظم علامة للطائفة المنصورة، فأهلها الفائزون في الدنيا والآخرة و الناجون من الهلاك، والمستثنون من الفرق الهالكة كما قرر شيخ الإسلام.

وأن مسلك الفرقة الناجية من بين الفرق المتفرقة قائم بالدرجة الأولى على اتباع سنة رسول الله ، مع قرينة هامة هي اتباع ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم، وبهذه القرينة النبوية يصبح اتباع ما كان عليه الصحابة من اتباع الرسول ، ومن طاعته وتصديقه، ويكون اتباع السنة ملزما باتباع ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم، فمن سلك سبيلهم ونهج منهجهم فهو أولى الناس بالنبي واتباع السنة، ومن أراد أخذ السنة بعيداً عن منهجهم، كانت دعواه مفتقرة إلى دليل وبرهان، وعارية عن الصحة والصواب.

ويقوي هذا ما جاء في الكتاب ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ[2] .

فهي متمسكة بما كان عليه النبي وأصحابه من التوحيد الخالص في ألوهية الله ، وربوبيته وأسمائه الحسنى وصفاته العليا.

فطريقة الفرقة الناجية في العبادة هي طريقة النبي وطريقة أصحابه رضي الله عنهم فلا يتقدمون بين يد الله ورسول بعبادة لم يأذن بها الله ورسوله ولا يبتدعون بدعة حسنتها عقولهم.

فعباداتهم مبنية على الشرع والإتباع لا على الهوى والابتداع، وذلك أن الإسلام مبني على أصلين عظميين:

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج24/172.

2 (?) النساء.

أحدهما: عبادة الله وحده لا شريك له وهو تحقيق توحيد الإلهية.

والثاني: عبادته بما شرعه على لسان رسوله لا بالأهواء والبدع قال تعالى: ﭽﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦﭼ[1] **وقال:** ﭽﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜﭼ[2] [3]

وهما: تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وأول ذلك أن لا تجعل مع الله إلها آخر، فلا تحب مخلوقا كما تحب الله، ولا ترجوه كما ترجو الله، ولا تخشاه كما تخشى الله، ومن سوَّى بين المخلوق والخالق في شيء من ذلك فقد عدل بالله، وهو من الذين بربهم يعدلون، وقد جعل مع الله إلها آخر وإن كان مع ذلك يعتقد أن الله وحده خلق السموات والأرض[4] .

فهذه كانت طريقة رسول الله وأصحابه الكرام وطريقة الفرقة الناجية وأنهم يعبدون الله وحده بما أمرهم به نبيهم؛ فالحلال عندهم ما حلله، والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه، يصلون الصلوات الخمس كما أمر الله في مواقيتها جماعة في المساجد،ويصومون شهر رمضان، ويحجون البيت ويؤتون الزكاة، ويجاهدون في سبيل الله، ويعبدون الله بسائر ما أمرهم به نبيهم، ولا يعبدون إلا الله، ولا يدعون غير الله، لا مما في السماء، ولا مما في الأرض، ولا الملائكة، ولا الكواكب، ولا الأنبياء، ولا تماثيلهم، بل قد علموا أن هذا كله من الشرك الذي حرمه الله ورسوله.

ولا يدعون مخلوقاً، لا ملكًا، ولا جنيًّا، ولا بشرًا، ولا نبيًّا ولا غير نبي، لا عند قبره، ولا في مغيبه، ولا يستغيثون إلا بالله، ولا يستنصرون إلا بالله، ولا يتوكلون إلا على الله،

---

1 (?) الجاثية.

2 (?) الشورى آية (21).

3 (?) انظر مجموع الفتاوى ج1/80، 310، 311، 365، وج3/105، 123، ومنهاج السنة ج1/481.

4 (?) مجموع الفتاوى ج1/310.

ولا يدعون مخلوقًا غائبًا، ولا يستغيثون به، ولا يشكون إليه، ولا يطلبون منه مغفرةً، ولا هدى، ولا نصرًا، بل يطلبون هذا كله من الله [1] .

أن من أعظم ما تتميز به الفرقة الناجية عند شيخ الإسلام ابن تيمية هو تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى التي هي حق الله على العباد[2] وعلى الوجه الذي شرعها في كتابه وعلى لسان رسوله فلا يتركون لغير الله منها نصيبًا لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل[3]

ومن صفات الفرقة الناجية أنهم يؤمنون بما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله من أسماء الله الحسنى وصفاته العليا ويثبتونها على الوجه الذي يليق بجلاله وعظمته من غير زيادة ولا نقص منها كما كان عليه النبي وأصحابه.

قال شيخ الإسلام :

((فحيث تقرر أن من اتبع غير سبيلهم ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم.

فمن سبيلهم في الاعتقاد: ((**الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه**)) التي وصف بها نفسه وسمى بها

---

1 (?) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق/ لشيخ الإسلام ابن تيمية ص31،32.

2 (?) كما جاء ذلك في حديث معاذ وكان رديف النبي فقال له: ((أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟)) فقال معاذ: ألله ورسوله أعلم قال: ((حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئا)).

3 (?) كما قال العلامة الشيخ ابن باز -رحمه الله- في كتابه فتاوى مهمة ص17، 18,: تجد هذه الفرقة متميزة في تمسكها التام وتطبيقها لما كان عليه النبي في العبادات في أجناسها وصفاتها وأقدارها، وأزمنتها، وأمكنتها، وأسبابها، فلا تجد عندهم ابتداعاً في دين الله، بل هم متأدبون غاية الأدب مع الله ورسوله، لا يتقدمون بين يدي الله ورسوله في إدخال شيء من العبادات لم يأذن به الله.

نفسه، في كتابه وتنزيله، أو على لسان رسوله ﷺ، من غير زيادة عليها ولا نقص منها، ولا تجاوز لها ولا تفسير لها، ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها، ولا تشبيه لها بصفات المخلوقين؛ ولا سمات المحدثين، بل أمروها كما جاءت، وردوا علمها إلى قائلها؛ ومعناها إلى المتكلم بها.

وقال بعضهم: -ويروى عن الشافعي-: ((آمنت بما جاء عن الله، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله))[1] . وعلموا أن المتكلم بها صادق لا شك في صدقه فصدقوه ولم يعلموا حقيقة معناها فسكتوا عما لم يعلموه وأخذ ذلك الآخر عن الأول ووصى بعضهم بعضًا بحسن الإتباع والوقوف حيث وقف أولهم، وحذروا من التجاوز لهم والعدول عن طريقتهم، وبينوا لنا سبيلهم ومذهبهم، ونرجو أن يجعلنا الله تعالى ممن اقتدى بهم في بيان ما بينوه؛ وسلوك الطريق الذي سلكوه.

ما قاله الشافعي-رحمه الله- فإنه حق يجب على كل مسلم أن يعتقده ومن اعتقده ولم يأت بقول يناقضه فإنه سالك سبيل السلامة في الدنيا والآخرة، وأما إذا بحث الإنسان وفحص وجد ما يقوله المتكلمون من التأويل الذي يخالفون به أهل الحديث كله باطلاً وتيقن أنّ الحق مع أهل الحديث ظاهرًا وباطنًا.

والدليل على أن مذهبهم ما ذكرناه أنهم نقلوا إلينا القرآن العظيم، وأخبار رسول الله ﷺ نقل مصدق لها مؤمن بها، قابل لها؛ غير مرتاب فيها؛ ولا شاك في صدق قائلها، ولم يفسروا ما يتعلق بالصفات منها ولا تأولوه، ولا شبهوه بصفات المخلوقين، إذ لو فعلوا شيئا من ذلك لنقل عنهم، ولم يجز أن يكتم بالكلية. إذ لا يجوز التواطؤ على كتمان ما يحتاج إلى نقله ومعرفته، لجريان ذلك في القبح مجرى التواطؤ على نقل الكذب وفعل ما لا يحل.

---

[1] (?) انظر: ذم التأويل لابن قدامةص44. دار السلفيةـ الكويت ط:1، 1406 تحقيق بدر عبد الله البدر.

بل بلغ من مبالغتهم في السكوت عن هذا أنهم كانوا إذا رأوا من يسأل عن المتشابه بالغوا في كفه، تارة بالقول العنيف؛ وتارة بالضرب، وتارة بالإعراض الدال على شدة الكراهة لمسألته. ولذلك لما بلغ عمر أنّ صبيغًا يسأل عن المتشابه أعد له عراجين النخل، فبينما عمر يخطب قام فسأله عن: ﭽ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﭼ[1] وما بعدها. فنزل عمر فقال:

((لو وجدتك محلوقا لضربت الذي فيه عيناك بالسيف))، ثم أمر به فضرب ضربا شديدا، وبعث به إلى البصرة، وأمرهم أن لا يجالسوه، فكان بها كالبعير الأجرب لا يأتي مجلسا إلا قالوا: عزمة أمير المؤمنين)) فتفرقوا عنه، حتى تاب وحلف بالله ما بقي يجد مما كان في نفسه شيئا، فأذن عمر في مجالسته.

ومالك بن أنس إمام دار الهجرة لما سئل فقيل له: يا أبا عبد الله! ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ[2] كيف استوى ؟ فأطرق ما لك رأسه وعلاه الرحضاء- يعني العرق-، وانتظر القوم ما يجيء منه فيه. فرفع مالك رأسه إلى السائل وقال: ((الاستواء غير مجهول[3] ، والكيف غير معقول[4] ، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأحسبك رجل سوء))[5] . وأمر به فأخرج[6] .

وهكذا أيضا ثبت عن محمد بن الحسن- صاحب أبي حنيفة- أنه قال: ((اتفق الفقهاء كلهم من الشرق والغرب: على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها

---

1 (?) الذاريات.

2 (?) طه.

3 (?) أي في لغة العرب وهو الاستواء ولاستقرار والعلو/راجع كتب اللغة.

4 (?) حقيقته غير معلوم لأننا لم نراها ولكن آمنا وصدقنا به.

5 (?) تقدم تخريجه.

6 (?) مجموع الفتاوى ج1/ 25، 58، 167، وج4/4، وج5/32، وج6/354وج17/373.

الثقات عن رسول الله في صفة الرب عز وجل من غير تفسير[1] ، ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسر شيئا من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ، وفارق الجماعة. فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا، ولكن آمنوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا. فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة)) انتهى[2]

وقد استدل شيخ الإسلام ابن تيمية لهذا الأصل العظيم بما جاء في كتاب رب العالمين العلي القدير الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء السميع البصير الذي لم يكن له كفوا أحد في مواضع كثيرة في كتابه لا يمكن حصرها في هذا الموضع منها:

قوله : ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ[3]

ومنها قوله: ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭼ[4] .

ومنها ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن، حيث قال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼ[5]

وما وصف به نفسه في أعظم آية في كتابه حيث يقول: ﭽ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﭼ[6]

وقوله: ﭽ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﭼ[7] وقوله: ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﭼ[8] وقوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ

---

[1] (?) عن الكيفية.

[2] (?) ينظر:مجموع الفتاوى ج4/5، 50، 143، وج6/334.

[3] (?) الصافات.

[4] (?) الشورى.

[5] (?) الإخلاص.

[6] (?) البقرة.

[7] (?) الحديد.

[8] (?) الأنعام.

ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤﭥ ﭼ(1) وقوله: ﭽ ﮩ ﮪ ﮫ
ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﭼ(2) .

وقوله: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ(3) وقوله: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ
ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ(4) .

وقوله: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭼ(5) وقوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ
ﭕﭼ(6) وقوله: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ(7) وقوله:
ﭽ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﭼ(8)

وقوله: ﭽ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋﮌ ﭼ(9) وقوله: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ
ﯚﯛ ﭼ(10) وقوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭼ(11) وقوله: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ
ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ(12) وقوله: ﭽ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ
ﭼ(13) وقوله: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼ(14) وقوله: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ
ﭼ(15) وقوله: ﭽ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼ(16).

---

1 (?) الأنعام آية : (125).
2 (?) البقرة.
3 (?) البقرة.
4 (?) آل عمران آية: (31).
5 (?) يوسف.
6 (?) التوبة آية (100).
7 (?) النساء آية (93).
8 (?) الفجر.
9 (?) القصص آية: (88).
10 (?) ص آية: (75).
11 (?) مريم آية: (65).
12 (?) الأعراف: (54).
13 (?) طه.
14 (?) النساء.
15 (?) الأعراف آية (143).
16 (?) مريم.

ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ[1] وقوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭼ[2] وقوله: ﭽ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭼ[3] وهذا الباب في كتاب الله تعالى كثير، ومن تدبر القرآن طالبًا للهدى تبين له طريق الحق[4] .

وفي سنة رسول الله ﷺ :

وردت أحاديث كثيرة صحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم تبين هذا الأمر وتؤكـده لا يمكن حصرها في هذا الموضع، مثل قوله ﷺ : ((ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة، حين يبقى ثلث الآخر، فيقول: من يدعوني أستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟)) [5] متفق عليه.

وقوله ﷺ : ((لله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم براحلته))[6] الحديث متفق عليه.

وقوله: ((يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة))[7] متفق عليه.

وقوله ﷺ : ((لا تزال جهنم يلقى فيها وهي تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها رجله- وفي رواية: عليها قدمه- فينزوي بعضها إلى بعض،وتقول: قط قط)) [8] متفق عليه.

---

1 (?) الإنسان.

2 (?) يونس آية (26).

3 (?) ق (35).

4 (?) ينظر مجموع الفتاوى ج3/129، وما بعدها فقد ذكر فيه شيخ الإسلام أكثر من ستين آية في هذا الباب.

5 (?) صحيح مسلم ص181 ح(758) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب في الليل ساعة مستجابة فيها الدعاء.

6 (?) صحيح مسلم ص680 ح(2675) كتاب العلم باب الحث على ذكر الله.

7 (?) صحيح البخاري مع الفتح ج6/48 ح(2826) كتاب الجهاد باب الكافر يقتل المسلم، ثم يسلم فيسدد بعد ويُقتل.

وقوله للجارية: ((أين الله؟))قالت في السماء.قال: ((من أنا؟) قالت: أنت رسول الله.قال: أعتقها فإنها مؤمنة))[1] رواه مسلم. إلى أمثال هذه الأحاديث التي يخبر فيها رسول الله عن ربه بما يخبر به.

فإن الفرقة الناجية- أهل السنة والجماعة- يؤمنون بذلك، كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه العزيز، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل؛ بل هم الوسط في فرق الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم[2] .

وكل هذا الكلام الذي ذكره الله سبحانه- من أنه فوق العرش وأنه معنا[3] – وأن القرآن كلام الله منزل من عنده أو نحوه ،حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف، ولكن يصان عن الظنون الكاذبة[4] .

فهذا مما كان عليه النبي وأصحابه وهو اعتقاد الفرقة الناجية والطائفة المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة .

من صفات الفرقة الناجية: ترك أقوال الناس وآراء الرجال للسنة النبوية الصحيحة واتباع طريقة صحابة رسول الله وتقديمها على كل طريق وسبيل مهما بلغ منزلة زعيمها ومهما عظم قدره في أعين الناس فإنهم يقيسون أقواله وأحواله وحركاته

---

8 (?) صحيح مسلم ص721 ح(2848) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها. باب النار يدخلها الجبارون.

1 (?) صحيح مسلم ص130ح(537) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب تحريم الكلام في الصلاة.

2 (?) ينظر: مجموع الفتاوى ج3/138، 139، 141. وكما ذكر فيها إيمانهم بالله وملائكته وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره وما تضمنته هذه الأركان مما تؤمن بها الفرقة الناجية وتعتقدها.

3 (?) بعلمه المحيط لكل شيء أو معنا بالتأييد والنصر لأوليائه المتقين.

4 (?) مجموع الفتاوىج3/142.

وسكناته على الكتاب والسنة وما كان عليه صحابة رسول الله سلف الأمة

وفي بيان طريقتهم وسبيلهم وما تتميز بها عن غيرهم من أهل الفرقة والاختلاف يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

((من طريقة أهل السنة والجماعة إتباع آثار رسول الله باطناً وظاهرًا واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار واتباع وصية رسول الله حيث قال: ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة))[1] .

ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدي محمد على هدي كل أحد وبهذا سموا أهل الكتاب والسنة[2] .

فتقرر من هذا أن سمات الفرقة الناجية والطائفة المنصورة اتباع آثار النبي الثابتة عنه وتقديمها على قول كل أحد، كل يؤخذ من قوله ويرد إلا النبي المعصوم فقد شهد الله له في كتابه أنه لا ينطق عن الهوى، وكما أُمرنا بالرد إليه والتحاكم إليه وتسليم الأمر له عند المنازعة والرضا بحكمه عليه أفضل الصلاة والتسليم.

<u>ومن صفات الفرقة الناجية</u>: سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله فلا يذكرونهم بسوء ولا يقدحون فيهم لأنهم أصحاب الرسول الله والقدح فيهم قدح في رسول الله وقدح في الدين الذي بلغوه كما بين شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-

فقال: ((من أصول أهل السنة والجماعة سلامة صدورهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله كما وصفهم الله به في قوله ﮋ ﭽ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ

[1] (?) تقدم تخريجه.

[2] (?) مجموع الفتاوى ج3/157.

ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹچ[1] . وطاعة النبي في قوله: ((لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)) [2] .

وأنهم يقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم، ومراتبهم فيفضلون من أنفق من قبل الفتح وهو صلح الحديبية وقاتل، على من أنفق من بعد وقاتل، ويقدمون المهاجرين على الأنصار ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر: ((اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)) [3] وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت هذه الشجرة كما أخبر النبي .

ويرون أن القدح في خير القرون الذين صحبوا الرسول قدح في الرسول عليه السلام، كما قال مالك وغيره من أئمة العلم: ((هؤلاء طعنوا في أصحاب رسول الله وإنما طعنوا في أصحابه ليقول القائل: رجل سوء كان له أصحاب سوء ولو كان رجلا صالحا لكان أصحابه صالحين)).

فإنهم أفضل ممن بعدهم كما دل عليه الكتاب والسنة، فالاقتداء بهم خير من الاقتداء بمن بعدهم، ومعرفة إجماعهم ونزاعهم في العلم والدين خير وأنفع من معرفة ما يذكر من إجماع غيرهم ونزاعهم.

---

1 (?) الحشر.

2 (?) صحيح مسلم ص649 ح (2540) كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب تحريم سب الصحابة.

3 (?) حديث رواه مسلم في صحيحه في قصة حاطب بن أبي بلتعة لما قال للنبي : ولم أفعله كفرًا ولا ارتداداً عن ديني. ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام. فقال النبي : ((صدق)). فقال عمر: دَعْني، يا رسول الله! أضرب عنق هذا المنافق. فقال : ((إنه قد شهد بدراً. وما يدريك لعل الله اطّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم. فقد غفرت لكم))/ ص640. ح (2494) كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب من فضائل أهل بدر، رضي الله عنهم وقصة حاطب بن أبي بلتعة.

وذلك أن إجماعهم لا يكون إلا معصومًا. وإذا تنازعوا فالحق لا يخرج عنهم، فيمكن طلب الحق في بعض أقاويلهم، ولا يحكم بخطأ قول من أقوالهم حتى يعرف دلالة الكتاب والسنة على خلافه، قال تعالى: ﭽ
ی ی ی
   ﭼ[1] .

ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وغيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، ويثلثون بعثمان، ويربعون بعلي رضي الله عنهم.

ويحبون أهل بيت رسول الله ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله حيث قال يوم غدير خم[2] : ((**أذكركم الله في أهل بيتي**))[3] .

ويتولون أزواج رسول الله أمهات المؤمنين، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الأرض خصوصًا خديجة رضي الله عنها، والصديقة بنت الصديقة رضي الله عنهما التي قال النبي فيها: ((فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام))[4] .

---

[1] (?) النساء.

[2] (?) و**غدير**: أصله من غادرت الشيء إذا تركه، وهو فعيل بمعنى مفعول،كأن السيل غادر في موضعه، فصار كل ماء غودر من ماء الطر في مستنقع- صغيرا كان أم كبيرا- سمي غديرا، ولكنه لا يبقى إلى زمن الغيظ: **وغدير خم**: مكان بين مكة والمدينة يوجد شرق الجحفة، ويعرف اليوم بـ((الغربة)) شرق الجحفة على ثمانية أكيالٍ/المعالم الأثيرة في السنة والسيرة/لمحمد حسن ص109، 208.

[3] (?) صحيح مسلم ص619 ح (2408) كتاب فضائل الصحابة. باب من فضائل علي . كما جاء في حديث زيد بن أرقم فهي((.. قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فينا خطيباً. بماء يُعى خُما.بين مكة والمدينة. فحمد الله...).

[4] (?) صحيح مسلم ص624 ح (2431) كتاب فضائل الصحابة باب فضل خديجة أم المؤمنين، رضي الله عنها.

ويسكتون عما شجر بين الصحابة، ولا يعتقدون أنّ كلّ واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما صدر منهم إن صدر.

ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة، وما من الله به عليهم من الفضائل علم يقينًا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم هم الصفوة من قرون هذه الأمة، التي هي خير الأمم وأكرمها على الله[1].

<u>ومن صفات الفرقة الناجية أهل الحق والجماعة كما قرر في مواضع كثير من كتبه:</u>

الاستمساك بالجماعة قولاً وعملاً في جميع أحوالهم وحركاتهم وسكناتهم وفي كتبهم ومصنفاتهم وأمرهم ونهيهم، تجد أنهم يتبعون فيه الحق الموافق للكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة، ويرحمون الخلق، لا يكفرون بمطلق الذنب والمعصية ولا يخرجون أحداً من الملة لرأي خالفهم فيه أو لمسألة اجتهد وأخطأ فيها، ويقبلون الحق من كل أحدٍ

و هم أهل الحق والجماعة همهم الأكبر تحقيق الأخوة الإيمانية وجمع الكلمة على الحق تأسيًا بالنبي ﷺ وبما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم.

و منهجهم في هـذا يتجلى في الآتي :

<u>أولا:</u> رد جميع الخلافات وجميع المنازعات والإشكالات التي تقع بين الناس إلى كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وإلى سنة رسوله ﷺ المعصومة.

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر الله في قوله تعالى﴿ ... ﴾[2]

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج3/152، 153، 154، 155، 156. وج4/429، 430، وج11/14، و13/24، وج24/312،

[2] (?) النساء.

وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرةَ مشاورةٍ ومناصحة، وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين[1] .

فتمسَّكت الفرقة الناجية بهذا الأصل العظيم فكان سمة من سماتهم وهو رد ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول؛ ((**إذا المعصوم لا يقول إلا حقًا. ومن علم أنه قال الحق في موارد النزاع وجب اتباعه، كما لو ذكر آية من كتاب الله تعالى، أو حديثًا ثابتاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقصد به قطع النزاع**.

كما قال تعالى ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﭼ[2] **وقال تعالى:** ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ[3] **وقال تعالى:** ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ[4] **وقال تعالى** ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ[5] **وقال تعالى** ﭽ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﭼ[6]

وقال: ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﭼ[7]

بل على الناس أن يلتزموا الأصول الجامعة الكلية التي اتفق عليها سلف الأمة وأئمتها، ويزنوا جميع ما خاض الناس فيه، من أقوال وأعمال، في الأصول، والفروع الباطنة والظاهرة بكتاب الله وسنة رسوله، غير متبعين لهوىً من عادةٍ أو مذهبٍ أو طريقةٍ أو رئاسةٍ أو

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج19/122، 123، وج24/172، 173. بتصرف يسير فيه.

2 (?) النساء.

3 (?) النساء.

4 (?) آل عمران آية: (31).

5 (?) الأحزاب.

6 (?) النور.

7 (?) النساء.

سلفٍ، ولا متبعين لظنٍّ، من حديث ضعيف، أو قياس فاسد)) [1]

فهذا تمتاز به الفرقة الناجية والطائفة المنصورة المتمسكة بكتاب الله في جميع شؤونها وبما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين.

<u>ثانيا:</u> اعتقادهم بأن الإسلام والإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأن أهله متفاضلون فيه ليسوا فيه سواء، ولا يكفـرون أحدًا من أهل القبلة بذنب أو معصية كما دل عليه الكتاب والسنة وكان عليه الصحابة سلف الأمة وهذا أصل من أصولهم.

كما أشار إليه شيخ الإسلام: ((من أصولهم أن الدين والإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي كما قال سبحانه وتعالى في آية القصاص: ﭼ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ [2] وقال ﭼ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﭼ [3] فقد وصفهم بالإيمان والأخوة، وأمرنا بالإصلاح بينهم ووصفهم بالإيمان مع الاقتتال والبغي، وأخبر أن الأخوة لا تكون إلا بين المؤمنين لا بين مؤمن وكافر [4]

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج12/466، 467، 468، وج53/121، 122, بتصرف يسير فيها.

[2] (?) البقرة آية: (178).

[3] (?) الحجرات آية: (9-10).

[4] (?) ينظر:مجموع الفتاوى ج 3/151. ومنهاج السنة ج8/529.

ولا يسلبون الفاسق الملي اسم الإيمان بالكلية، ولا يخلدون في النار، بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان في مثل قوله تعالى: ﭽ ﭟ ﭠ ﭡ ﭼ[5] .

وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله تعالى: ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ[2] . وقوله : ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن))[3]

ثالثا : قيامهم بسنة الرسول علمًا وعملاً ومحبةً، وتعظيمهم للصحابة وعنايتهم بهديهم وبما كانوا عليه من الاعتقاد والسلوك والأخلاق والمنهج وقوة علمهم به، ودعوتهم إليه، خير برهان على أنهم المقصود بهذا الوصف وأهله دون غيرهم

قال شيخ الإسلام ابن تيمية**:** ((ومن المستقر في أذهان المسلمين أن ورثة الرسل وخلفاء الأنبياء هم الذين قاموا بالدين علماً وعملاً ودعوةً إلى الله والرسول، فهؤلاء أتباع الرسل حقاً، وهم بمنزلة الطائفة الطيبة من الأرض التي زكت فقبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير فزكت في نفسها وزكى الناس بها، وهؤلاء هم الذين جمعوا البصيرة في الدين والقوة على الدعوة، ولذلك كانوا ورثة الأنبياء الذين قال الله فيهم: ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ[4] .

فالأيدي: القوة في أمر الله، **والأبصار**: البصائر في دين الله، فبالبصائر يدرك الحق ويعرف، وبالقوة يتمكن من تبليغه وتنفيذه والدعوة إليه.

---

5 (?) النساء آية: (92).

2 (?) الأنفال آية: (2).

3 (?) صحيح مسلم ص27 ح(57) كتاب الإيمان باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، ونفيه عن المتلبس بالمعصية، على إرادة نفي كماله.

4 (?) ص.

فهذه الطبقة كان لها قوة الحفظ، والعلم، والفقه في الدين، والبصر والتأويل ففجرت من النصوص أنهار العلوم، واستنبطت منها كنوزها، ورزقت فيها خاصًا كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وقد سئل: هل خصكم رسول الله بشيء دون الناس؟ فقال: ((لا والذي فلق الحب وبرأ النسمة إلا فهمًا يؤتيه الله عبداً في كتابه))[1] فهذا الفهم بمنزلة الكلأ والعشب الذي أنبتته الأرض الطيبة، وهو الذي تميزت به هذه الطبقة عن الطبقة الثانية، وهي التي حفظت النصوص، فكان همها حفظها، وضبطها فوردها الناس وتلقوها بالقبول، واستنبطوا منها واستخرجوا كنوزها، واتجروا فيها وبذروها في أرض قابلة للزرع، والنبات ورووها كل بحسبه ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﮏ ﮐ ﭼ[2] .

وهؤلاء الذين قال فيهم النبي : ((نضَّر الله امرءًا سمع مقالتي فوعاها، ثم أداها كما سمعها، فرب حامل فقه وليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه))[3]

وهذا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حبر الأمة؛ وترجمان القرآن. مقدار ما سمعه من النبي يبلغ نحو العشرين حديثًا، الذي يقول فيه : ((سمعت، ورأيت)) وسمع الكثير من الصحابة، وبورك في فهمه والاستنباط منه، حتى ملأ الدنيا علماً وفقهاً.

---

1 (?) صحيح مسلم ص31 ح (78) كتاب الإيمان باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنهم من الإيمان وعلاماته. وبغضهم من علامات النفاق.

2 (?) البقرة آية: (60).

3 (?) سنن أبي داود ج4/ 68 ح (3660) كتاب العلم باب فضل نصر العلم. وأحمد في مسنده ج1/436 وصحيح ابن حبان ج 1/268 ح(66) والطبراني في الأوسط ج2/78 ح(1304) وصححه الألباني_ رحمه الله. في صحيح سنن أبي داود رقم(3660) وفي السلسلة الصحيحة رقم(454). وفي صحيح الجامع الصغير رقم(6763).

وأبو هريرة حافظ الأمة على الإطلاق: يؤدي الحديث كما سمعه ويدرسه بالليل درسًا؛ فكانت همته مصروفة إلى الحفظ وتبليغ ما حفظه كما سمعه. وهمة ابن عباس: مصروفة إلى التفقه، والاستنباط، وتفجير النصوص، وشق الأنهار منها، واستخراج كنوزها.

وهكذا ورثتهم من بعدهم: اعتمدوا في دينهم على استنباط النصوص لا على خيال فلسفي، ولا رأي قياسي، ولا غير ذلك من الآراء المبتدعات.

لا جرم كانت الدائرة والثناء الصدق، والجزاء العاجل والآجل: لورثة الأنبياء التابعين لهم في الدنيا والآخرة. فإن المرء على دين خليله، ﭼ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ[1] .

وبكل حال: فهم أعلم الأمة بحديث الرسول ، وسيرته ومقاصده وأحواله[2] .

وكلما كانت الطائفة إلى كتاب الله وحديث رسول الله أقرب كانت بالقرآن والحديث أعرف وأعظم عناية، ولهذا اختصت الفرقة الناجية والطائفة المنصورة بالعناية بحديث رسول الله والإذعان له والتسليم له كما هو الحال عند الصحابة رضوان الله عليهم.

فالصحابة – رضوان الله عليهم- كانوا يعتنون بكتاب الله وسنة رسول الله عناية تامة فقهًا وحفظاً وعملاً وتبليغًا ودعوة إليهما.

فتكون من علامات الفرقة الناجية والطائفة المنصورة الاهتمام بهما والعلم بهما روايةً ودرايةً وفقهاً وتطبيقًا في حياتهم ومصدراً للحكم والفصل في كل شؤونهم إذا صار العلم الحقيقي المعتمد عندهم هو قال الله وقال رسوله وهكذا ما فهمه الصحابة رضوان الله عليهم وطبقوه في حياتهم.

---

1 (?) آل عمران آية : (31).

2 (?) مجموع الفتاوى ج4/92، 93، 94.

يحبون هذا العلم ويقدرون أهله ويلتفون حولهم، ويلجئون إليهم عند حلول المشاكل والإشكالات ويسندون الأمر إليهم، دون آراء الرجال والمتفلسفين أو المفكرين أو نحوهم.

رابعًا: الوسطية في جميع أمور الدين وكذلك العدل والإنصاف مع كل أحد وإن كان كافراً وذلك بموجب الكتاب والسنة والإحسان إلي جميع الخلق وترك الغش والخداع وتلبيس الحق بالباطل. وقبول الحق حيث كان وعند من كان وكيف كان لهم أو عليهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((ولهذا قال عبد الرحمن بن مهدي[1] وغيره أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم))[2]

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن خفيف[3] في كتابه الذي سماه ((اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات)) قال في آخر خطبته: ((فاتفقت أقوال المهاجرين والأنصار في توحيد الله عز وجل، ومعرفة أسمائه وصفاته وقضائه، قولاً واحدًا وشرعاً ظاهرًا، وهم

---

1 (?) **هو الإمام : عبد الرحمن بن مهدي** بن حسان العنبري مولاهم، اللؤلوي، البصري، ولد سنة (135)هـ ، وكان من كبار أئمة السلف، ومن أئمة الحديث الثقات المتقنين ومن أهل الورع والصلاح قال ابن المديني: ما رأيت أعلم منه، من التاسعة/ تقريب التهذيب ص293 ت (4018).

2 (?) اقتضاء الصراط ج1/85. والجواب الصحيح ج6/343.

3 (?) **محمد بن خفيف الإمام** العارف الفقيه القدوة ، ذو الفنون، أبو عبد الله محمد بن خفيف بن استفكشار الضبي الفارسي الشيرازي، شيخ الصوفية. ولد قبل السبعين ومائتين وستين، وحدّث عن حماد بن مدرك وهو آخر أصحابه/ وجماعة. قال أبو العباس الفسوي: صنّف ابن خفيف من الكتب ما لم يصنفه أحد، قال الذهبي: قد كان هذا الشيخ قد جمع بين العلم والعمل، وعلو السند، والتمسك بالسنن، ومتِّع بطول العمر في الطاعة/ مات بجرجان سنة 307هـ./ السير ج16/342، 343 وما بعدها.

الذين نقلوا عن رسول الله ذلك حتى قال ((عليكم بسنتي))[1] وذكر الحديث. وحديث: ((لعن الله من أحدث حدثًا))[2] قال: فكانت كلمة الصحابة على الاتفاق من غير اختلاف - وهم الذين أُمرنا بالأخذ عنهم إذ لم يختلفوا بحمد الله تعالى في أحكام التوحيد، وأصول الدين، ولو كان منهم في ذلك اختلاف لنقل إلينا؛ كما نقل سائر الاختلاف- فاستقر صحة ذلك عند خاصتهم وعامتهم؛ حتى أدوا ذلك إلى التابعين لهم بإحسان، فاستقر صحة ذلك عند العلماء المعروفين حتى نقلوا ذلك قرنا بعد قرن...

ثم ذكر: ((أبو عبد الله)) خروج النبي وهم يتنازعون في القدر وغضبه وحديث ((لا ألفين أحدكم))[3] وحديث ((ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة))[4] فإن الناجية ما كان عليه هو وأصحابه؛ ثم قال**: فلزم الأمة قاطبة معرفة ما كان عليه الصحابة ولم يكن الوصول إليه إلا من جهة التابعين لهم بإحسان، المعروفين بنقل الأخبار ممن لا يقبل المذاهب المحدثة؛ فيتصل ذلك قرنًا بعد قرنٍ ممن عرفوا بالعدالة والأمانة الحافظين على الأمة ما لهم وما عليهم من إثبات السنة))**[5] .

والله يحب الكلام بعلم وعدل ويكره الكلام بجهل وظلم، ومن لم يعدل في خصومه ومنازعيه ويعذرهم بالخطأ في الاجتهاد، بل ابتدع بدعة وعادى من خالفه فيها أو كفره، فإنه ظلم نفسه.

---

1 (?) تقدم تخريجه.

2 (?) انظر صحيح البخاري مع الفتح ج6/322الفتح179) كتاب الجزية والموادعة باب إثم من عاهد ثم غدر. بلفظ: ((المدينة حرام...)).

3 (?) صحيح مسلم ص482ح(1831) كتاب الإمارة باب غلظ تحريم الغلول.

4 (?) تقدم تخريجه.

5 (?) مجموع الفتاوى ج5/71، 72.

وأهل السنة والعلم والإيمان يعلمون الحق ويرحمون الخلق؛ يتبعون سنة الرسول فلا يبتدعون. ومن اجتهد فأخطأ يعذره فيه الرسول عذروه.

وإنما يذمون من ذمه الله ورسوله وهو المفرط في طلب الحق، لتركه الواجب، والمعتدي المتبع لهواه بلا علم لفعله المحرم، فيذمون من ترك الواجب أو فعل المحرم، ولا يعاقبونه إلا بعد إقامة الحجة عليه، كما قال تعالى: ﭽ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﭼ[1] لاسيما في مسائل تنازع فيها العلماء وخفي العلم فيها على أكثر الناس، ومن كان لا يتكلم بطريقة العلم، بل جازف في القول بلا علم [2].

فأئمة السنة والجماعة، وأهل العلم والإيمان فيهم العلم والعدل والرحمة، فيعلمون الحق الذي يكونون به موافقين للسنة، سالمين من البدعة، ويعدلون على من خرج منها ولو ظلمهم وقد أمر بالعدل حتى على أعداء المسلمين كما قال تعالى: ﭽ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ[3] ويرحمون الخلق، فيريدون لهم الخير والهدى والعلم، لا يقصدون الشر لهم ابتداءً؛ بل إذا عاقبوهم وبينوا خطأهم وجهلهم، وظلمهم كان قصدهم بذلك بيان الحق، ورحمة الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا[4]

ويمكن إجمال هذه الصفات كلها في قوله – رحمه الله-:

« اتباع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم باطنًا وظاهرًا، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين

---

1 (?) الإسراء آية: (15).

2 (?) مجموع الفتاوى ج16/95، 96.

3 (?) المائدة آية: (8).

4 (?) مجموع الفتاوى ج 27/238، وج16/97، وكتاب الرد على البكري ج2/490.

والأنصار، واتباع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة))[1].

ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من أصناف الناس، ويقدمون هدى محمد على هدى كل أحد، وبهذا سموا أهل الكتاب والسنة [2].

وسموا أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة ؛ وإن كان لفظ ((الجماعة)) قد صار اسمًا لنفس القوم المجتمعين؛ ((والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين.

وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين؛ والإجماع الذي ينضبط: هو ما كان عليه السلف الصالح؛ إذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الأمة.

ثم هم مع هذه الأصول: يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، على ما توجب الشريعة. ويرون إقامة الحج والجمع والجهاد، والجمع والأعياد مع الأمراء، أبرارًا كانوا أو فجارًا، ويحافظون على الجماعات.

---

1. (?) رواه أبو دود ج5/13 ح(4607). والترمذي ج5/43 ح(2676) كتاب العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة.وابن ماجه ج1/30 ح(42) في المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين وابن حبان في صحيحه ح(5). وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم(4607) وفي السلسلة لصحيحة رقم(2735).

2. (?) فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في قوله تعالى : (**يوم تبيض وجوه وتسود وجوه**) قال: (تبيض) وجوه أهل السنة والجماعة و(تسود) وجوه أهل البدعة والفرقة) سيأتي الحديث عنه إن شاء الله . فيه بيان قدم هذه التسمية منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم.

ويدينون بالنصيحة للأمة، ويعتقدون معنى قوله صلى الله عليه وسلم : ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه))[1] وقوله صلى الله عليه وسلم : ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم: كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر))[2].

ويأمرون بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء والرضا بمر القضاء، ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ويعتقدون معنى قوله صلى الله عليه وسلم: **((أكمل المؤمنون إيمانا أحسنهم خلقا)).**[3]

ويندبون إلى أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفوا عمن ظلمك؛ ويأمرون ببر الوالدين وصلة الأرحام وحسن الجوار، والإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل، والرفق بالمملوك؛ وينهون عن الفخر والخيلاء، والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق؛ ويأمرون بمعالي الأخلاق، وينهون عن سفسافها.

وكل ما يقولونه، أو يفعلونه من هذا أو غيره ؛ فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة))[4].

فهذه السمات العظيمة والصفات الجميلة قد تحقق وجودها في أهل الحق والنجاة وأهل الصدق والإيمان والهدى المستقيم والصراط القويم، أتباع السنة والجماعة.

---

1 (?) رواه مسلم في صحيحه ص660 ح(2585) كتاب البر والصلة باب تراحم المؤمنين.

2 (?) رواه مسلم في صحيحه ص660ح(2586) نفس الباب والكتاب.

3 (?) رواه.أبو داود ج5/60 ح(4682) كتاب السنة باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه. والترمذي ح(1162) كتاب الرضاع باب ما جاء في حق المرأة على زوجها وحسنه . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم(751).

4 (?) مجموع الفتاوى ج3/157 -159.

المطلب الرابع: جهوده في بيان أحق الناس بهذا الوصف بعد الصحابة رضوان الله عليهم.

يبين شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أن كل فرقة تدعي أنها على الحق وأنها أحق بوصف الفرقة الناجية ، ولكن الدعوى تحتاج إلى أدلة وبراهين واضحة من الكتاب والسنة والمعقول والحق أن أخص الناس بهذا الوصف وأحقهم بأن تكون الفرقة الناجية بعد صحابة رسول الله بقرائن واضحة وأدلة ظاهرة **هـم أهل الحديث أهل السنة والجماعة .**

((ولا نعني بأهل الحديث المقتصرين على سماعه أو كتابته أو روايته، بل نعني بهم من كان أحق بهذا بحفظه، ومعرفته، وفهمه ظاهراً وباطناً، وكذلك أهل القرآن.

وأدنى خصلة في هؤلاء محبة القرآن والحديث، والبحث عنهما وعن معانيهما، والعمل بما علموه من موجبهما))[1] .

نجد أن كل فرقة من الفرق تقول أنها تنتحل اتباع السنة والجماعة وما كان عليه صحابة الأمة إذاً فلا بد من سمة تثبت ذلك وعلامات تدل عليه.

((**فامتياز أهل النجاة عن أهل العذاب من هذه الأمــة بالسنة والجماعة، ولهذا وصف الفرقة الناجية بأنها أهل السنة والجماعة وهم الجمهور الأكبر والسواد الأعظم))**[2]

((وأما الفرق الباقية فإنهم أهل الشذوذ والتفرق، والبدع والأهواء، ولا تبلغ الفرقة من هؤلاء قريباً من مبلغ الفرقة الناجية، فضلا عن أن تكون بقدرها، بل قد تكون الفرقة منها في غاية القلة، وشعار هذه الفرق مفارقة الكتاب والسنة والإجماع، فمن قال بالكتاب والسنة والإجماع كان من أهل السنة والجماعة)).[3]

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج4/95.

2 (?) مجموع الفتاوى ج3/345

3 (?) مجموع الفتاوى ج3/346).

وظهر أن أهل الحديث أهل السنة والجماعة قد امتازوا عن غيرهم بأمور كـــثيرة لا توجد عند مخالفيهم منها:

أولا: في متبوعهم وقدوتهم وقائدهم وإمامهم

فإنهم ليس لهم متبوع ينتسبون إليه غير النبي فهم أحق الناس بهذا الوصف من غيرهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((فإن أهل الحق والسنة لا يكون متبوعهم إلا رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

فهو الذي يجب تصديقة في كل ما أخبر؛ وطاعته في كل ما أمر وليست هذه المنزلة لغيره من الأئمة، بل كل أحدٍ من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله . فمن جعل شخصًا من الأشخاص غير رسول الله من أحبه ووافقه كان من أهل السنة والجماعة ومن خالفه كان من أهل البدعة والفرقة- كما يوجد ذلك في الطوائف من أتباع أئمة الكلام في الدين وغير ذلك- كان من أهل البدع والضلال والتفرق.

وبهذا يبين أن أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة؛ الذين ليس لهم متبوعٌ يتعصّبون له إلا رسول الله))[1]

ثانيا: كونهم أعلم الناس بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته والتمييز بين صحيحها وضعيفها مما لا يوجد عند غيرهم

فإن أهل الحديث والسنة والجماعة هم أعلم الناس بأقواله وأحواله وجميع شؤونه صلوات الله وسلامه عليه، وأتبعهم لها علماً وتطبيقًا وعنايةً

وبين شيخ الإسلام ابن تيمية بأنهم كانوا ((أعلم الناس بأقواله، وأحواله، وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها، وأئمتهم فقهاء فيها، وأهل معرفة بمعانيها واتباعًا لها: تصديقًا وعملاً وحبًا وموالاةً لمن والاها

[1] (?) مجموع الفتاوى ج3/ 347.

ومعاداة لمن عاداها الذين يردون المقالات المجملة إلى ما جاء به من الكتاب والحكمة)) [1] .

قال في موضع آخر: ((وإذا كان سعادة الأولين والآخرين هي إتباع المرسلين، فمن المعلوم أن أحق الناس بذلك أعلمهم بآثار المرسلين وأتبعهم لذلك.

فالعالمون بأقوالهم وأفعالهم المتبعون لها؛ هم أهل السعادة في كل زمان ومكان، وهم الطائفة الناجية من أهل كل ملة وهم أهل السنة والحديث من هذه الأمة [2]

وأيضا فمن الصفات التي امتازوا بها عن غيرهم من الفرق أنهم :

((لا ينصبون مقالةً ويجعلونها من أصول دينهم وجمل كلامهم إن لم تكن ثابتةً فيما جاء به الرسول ﷺ، بل يجعلون ما بعث الرسول من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه.

وأن ما تنازع فيه الناس من مسائل الصفات والقدر والوعد والوعيد والأسماء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك يردونه إلى الله ورسوله. لقوله تعالى: چ [illegible] چ [3] .

ويفسرون الألفاظ المجملة التي تنازع فيها أهل التفرق والاختلاف؛ فما كان من معانيها موافقاً للكتاب والسنة أثبتوه؛ وما كان مخالفاً للكتاب والسنة أبطلوه؛ ولا يتبعون الظن وما تهوى الأنفس فإن اتباع الظن جهل، واتباع هوى النفس بغير هدى من الله ظلم.

وجماع الشر الجهل والظلم قال الله تعالى: چ [illegible] چ [4] .

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج3/ 347.

[2] (?) مجموع الفتاوى ج18/61.

[3] (?) النساء.

[4] (?) مجموع الفتاوى ج3/347.

فكثير من الناس يخبر عن هذه الفرق بحكم الظن والهوى فيجعل طائفته والمنتسبة إلى متبوعه الموالية له هم أهل السنة والجماعة ويجعل من خالفها أهل البدع وهذا ضلال مبين.

فإن أهل الحق والسنة لا يكون متبوعهم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى.[1]

فمن المعلوم أن الأئمة الأربعة: مالك ، و الشافعي وأحمد وأبا حنيفة وغيرهم لم يكن لواحدٍ منهم متبوع غير النبي ولم ينتسبوا إلا إلى سنته وكان الدين عندهم هو:

((**قال الله عز وجل**)). و((**قال رسول الله وصحّ عنه في السنة الصحيحة**)).

كذلك من اتبعهم بإحسان واهتدى بهديهم إلى يوم الدين، فهم أقرب الناس إلى الحق، وأحقهم بهذا الوصف من غيرهم، ممن يعتمد على ما أنتجته عقول الفلاسفة وزخارف الكلام غرورا.

أو على ضعيف الحديث وموضوعه أو حكايات ساقطة و منامات سخيفة، أو كشوفات وأذواق واهية، هي أوهى من بيت العنكبوت، ثم يدعي أنه صاحب الحق والسنة وغيره على الباطل فيحكم عليه بالكفر أو البدعة أو الفسق أو الخروج عن الجادة**.**

((**وأول من ضل في ذلك :** هم الخوارج المارقون، حيث حكموا لنفوسهم بأنهم المتمسكون بكتاب الله وسنته، وأن عليًّا ومعاوية و العسْكَرَيْنِ هم أهل البدعة، فاستحلوا ما استحلوا من المسلمين))[2] .

فمن المعلوم أن العقل والدِّينَ يقتضيان أن جانب النبوة والرسالة أحق بكل تحقيقٍ وعلمٍ ومعرفةٍ وإحاطةٍ بأسرار الأمور وبواطنها؛ هذا لا ينازع فيه مؤمن .

وإذا كان الأمر كذلك؛ فأعلم الناس بذلك أخصهم بالرسول وأعلمهم بأقواله وأفعاله، وحركاته وسكناته،

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج3/346.

2 (?) كتاب الاستقامة ج1/13.

ومدخله ومخرجه، وباطنه وظاهره، وأعلمهم بأصحابه وسيرته وأيامه وأعظمهم بحثًا عن ذلك وعن نقلته، وأعظمهم تدينًا به واتباعًا له، واقتداءً به؛ وهؤلاء هم أهل السنة والحديث حفظا له ومعرفة بصحيحه وسقيمه وفقهًا فيه، وفهما يؤتيه الله إياه في معانيه، وإيمانًا وتصديقًا وطاعةً وانقيادًا، واقتداءً و اتباعًا؛ مع ما يقترن بذلك من قوة عقلهم وقياسهم وتمييزهم، وعظيم مكاشفاتهم ومخاطباتهم، فإنهم أسد الناس نظرًا وقياسًا ورأيًا، وأصدق الناس رؤيا وكشفا.

أفلا يعلم من له أدنى عقل ودين أن هؤلاء أحق بالصدق والعلم والإيمان والتحقيق ممن يخالفهم، وأن عندهم من العلوم ما لا ينكرها الجاهل والمبتدع، وأن الذي عندهم هو الحق المبين، وأن الجاهل بأمرهم والمخالف لهم هو الذي معه من الحشو ما معه، ومن الضلال كذلك وهذا باب يطول شرحه.[1]

فمن المعلوم أن أهل الحديث يشاركون كل طائفة فيما يتحلون به من صفات الكمال، ويمتازون عنهم بما ليس عندهم. فإن المنازع لهم لا بد أن يذكر فيما يخالفهم فيه طريقا أخرى؛ مثل **المعقول،** و**القياس**، و**الرأي،** و**الكلام**، و**النظر،** و**الاستدلال،** و**المحاجة،** و**المجادلة،** و**المكاشفة،** و**المخاطبة**، و**الوجد،** و**الذوق**، ونحو ذلك. وكل هذه الطرق لأهل الحديث صفوتها وخلاصتها: فهم أكمل الناس عقلًا؛ وأعدلهم قياسًا، وأصوبهم رأيا، وأسدهم كلامًا وأصحهم نظرًا، وأهداهم استدلالاً وأقومهم جدلاً، وأتمهم فراسةً، وأصدقهم إلهامًا، وأحدهم بصرًا ومكاشفةً، وأصوبهم ومخاطبةً وأعظمهم وأحسنهم وجدًا وذوقاً. وهذا هو للمسلمين بالنسبة إلى سائر الأمم، **ولأهل السنة والحديث بالنسبة إلى سائر الملل.**

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج4/84،85.

فكل من استقرأ أحوال العالم وجد المسلمين أحد وأسد عقلاً، وأنهم ينالون في المدة اليسيرة من حقائق العلوم والأعمال أضعاف ما يناله غيرهم في قرون وأجيال، **وكذلك أهل السنة والحديث تجدهم كذلك متمتعين**. وذلك **لأن اعتقاد الحق الثابت يُقَوِّى الإدراك ويصححه** قال تعالى : ﭽ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﭼ[1] وقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ[2] .

وهذا يعلم تارة بموارد النزاع بينهم وبين غيرهم، فلا تجد مسألةً خُولِفوا فيها إلا وقد تبين أن الحق معهم.

1- تارة بإقرار مخالفيهم ورجوعهم إليهم دون رجوعهم إلى غيرهم.

2- أو بشهادتهم على مخالفيهم بالضلال والجهل.

3- وتارة بشهادة المؤمنين الذين هم شهداء الله في الأرض.

4- وتارة بأن كل طائفة تعتصم بهم فيما خالفت فيه الأخرى وتشهد بالضلال على كل من خالفها أعظم مما تشهد به عليهم.

فأما شهادة المؤمنين الذين هم شهداء الله في الأرض: فهذا أمر ظاهر معلوم بالحسّ والتواتر لكل من سمع كلام المسلمين، لا تجد في الأمة عظم أحد تعظيمًا أعظم مما عظموا به ولا تجد غيرهم يعظم، إلا بقدر ما وافقهم فيه، كما لا ينقص إلا بقدر ما خالفهم.

حتى إنك تجد المخالفين لهم كلهم وقت الحقيقة يقر بذلك.

وهذا إجماع من جميع هذه الطوائف على تعظيم السنة والحديث واتفاق شهاداتهم على أن الحق في ذلك.

ولهذا تجد أعظمهم موافقة لأئمة السنة والحديث أعظم عند جميعهم ممن هو دونه.

وتعظيم أئمة الأمة و عوامها للسنة والحديث وأهله في الأصول والفروع من الأقوال والأعمال:

---

1 (?) سورة محمد آية: (17).

2 (?) السناء .

أكثر من أن يذكر هنا وتجد الإسلام والإيمان كلما ظهر وقوى كانت السنة وأهلها أظهر وأقوى وإن ظهر شيء من الكفر والنفاق ظهرت البدع بحسب ذلك.

وما يوجد من إقرار أئمة الكلام والفلسفة وشهادتهم على أنفسهم وعلى بني جنسهم بالضلال، ومن شهادة أئمة الكلام والفلسفة بعضهم على بعض كذلك؛ فأكثر من أن يحتمله هذا الموضع.

وكذلك ما يوجد من رجوع أئمتهم إلى مذهب عموم أهل السنة وعجائزهم كثير، وأئمة السنة والحديث لا يرجع منهم أحد ((لأن الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب لا يسخطه أحد))[1]، وكذلك ما يوجد من شهادتهم لأهل الحديث بالسلامة والخلاص من أنواع الضلال وهم لا يشهدون لأهل البدع إلا بالضلال، وهذا باب واسع كما قدمناه.

وجميع الطوائف المتقابلة من أهل الأهواء تشهد لهم بأنهم أصلح من الآخرين وأقرب إلى الحق، فنجد كلام أهل النحل فيهم وحالهم معهم بمنزلة كلام أهل الملل مع المسلمين وحالهم معهم.

وإذا قابلنا بين الطائفتين - **أهل الحديث، وأهل الكلام**- فالذي يعيب بعض أهل الحديث وأهل الجماعة بحشو القول: إنما يعيبهم بقلة المعرفة؛ أو بقلة الفهم.

أما الأول: فبأن يحتجوا بأحاديث ضعيفةٍ أو موضوعةٍ؛ أو بآثارٍ لا تصلح للاحتجاج. **وأما الثاني:** فبأن لا يفهموا معنى الأحاديث الصحيحة، بل قد يقولون القولين المتناقضين ولا يهتدون للخروج من ذلك.

والأمر راجع إلى شيئين :

3. إما زيادة أقوال غير مفيدة يظن أنها مفيدة، كالأحاديث الموضوعة.

---

1 (?) صحيح البخاري مع الفتح ج6/ 128 ح(2941) كتاب الجهاد والسير باب دعاء النبي الناس إلى الإسلام والنبوة ، وأن لا يتخذ بعضهم بعضا أربابا....

4. **وإما أقوال مفيدة لكنهم لا يفهمونها، إذْ كان اتباع الحديث يحتاج أولا إلى صحة الحديث. وثانيا إلى فهم معناه، كاتباع القرآن**.

فالخلل يدخل عليهم من ترك إحدى المقدمتين. ومن عابهم من الناس فإنما يعيبهم بهذا.

ولا ريب أن هذا موجود في بعضهم[1] ، يحتجون بأحاديث موضوعة في مسائل ((الأصول والفروع)) وآثارٍ مفتعلةٍ وحكايات غير صحيحة[2] ، ويذكرون من القرآن والحديث ما لا يفهمون معناه، وربما تأوله على غير تأويله[3] ؛ ووضعوه على غـــير موضعه.

ثم إنهم بهذا المنقول الضعيف والمعقول السخيف قد يكفرون ويضللون، ويبدعون أقوامًا من أعيان الأمة[4] ويجهلونهم، ففي بعضهم من التفريط في الحق والتعدي على الخـــلق ما قد يكون بعضه خطأ مغفورًا، وقد يكون منكرا من القول وزورًا، وقد يكون من البدع والضلالات التي توجب غليظ العقوبات فهذا لا ينكره إلا جاهل أو ظالم، قد رأيت من هذا عجائب[5] .

---

1 (?) تجد هنا إنصاف شيخ الإسلام وعدله ودقته في عباراته ولم يعمم فهذا مدى تمسكه بالكتاب والسنة وما كان عليه صحابة الأمة من الإنصاف مع المخالف وعدم ظلمه كما تقدم بيانه.

2 (?) وهذا يكثر أكثر عند أهل التصوف والإرادة والكشف والذوق كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

3 (?) وهذا يكثر أيضا عند أهل الكلام والرأي.

4 (?) ومازال بقايا هذا المنهج المنحرف وآثاره متأصلة في نفوس بعض أصحاب الفئة الضالة والذين يدعون أنهم أهل الحق الفرقة الناجية والطائفة المنصورة ويكفرون العلماء ويضللونهم, أو يبدعونهم، بل يستهدفونهم ويخططون لإلقاء الضرر عليهم بهذا الفكر الضال والجهل المركب عياذا بالله. فلا هي ناجية في دينها ولا منصورة في دنياها.

5 (?) قلت: هذا في زمن شيخ الإسلام فلو اطلع على ما لأصحاب التكفير والتفجير والتدمير في أهل زماننا، لرأى ما

فبإزاء هؤلاء احتجاج أولئك بالحديث الضعيف احتجاج هؤلاء بالحدود و الأقيسة العقيمة؛ التي لا تفيد معرفة؛ بل تفيد جهلا وضلالاً، وبإزاء تكلم أولئك بأحـــاديث لا يفهمون معناها تكلف هؤلاء من القول بغير علمٍ ما هو أعظم من ذلك وأكثر.

ثم لأهل الحديث من المزية[1]: أن ما يقولونه من الكلام الذي لا يفهمه بعضهم هو كلام في نفسه حق، وقد آمنوا بذلك، وأما المتكلمة: فيتكلمون من القول ما لا يفهمونه ولا يعلمونه أنه حق.

وأهل الحديث لا يستدلون بحديث ضعيف في نقض أصل من أصول الشريعة، بل إما في تأييده؛ وإما في فرع من الفروع، وأولئك يحتجون بالحدود والمقاييس الفاسدة في نقض الأصول الحقة الثابتة[2] .

هذا وغيره من الشواهد التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية أن الناس بوصف الفرقة الناجية والطائفة المنصورة الثابتة بعد الصحابة الكرام هم أهل الحديث

هو أعجب.

[1] (?) ((فكل صاحب صنعة وحرفة يفتخر بصناعته ويجالس أهلها ويألفهم ويستفيد منهم ويحرص على بلوغ الغاية في صناعته وأن يكون فيها أستاذًا .

وأصحاب الحديث قديما وحديثًا هم الذين رحلوا في هذه الآثار وطلبوها، فأخذوها من معادنها، وحفظوها واغتبطوا بها ودعوا إلى اتباعها وعابوا من خالفهم، وكثرت عندهم وفي أيديهم حتى اشتهروا بها كما اشتهر أصحاب الحرف والصناعات بصناعاتهم **وحرفهم.**

فعلمنا بهذه الدلائل الظاهرة، والشواهد القائمة أن أولئك أحق بها من سائر الفرق، ومعلون أن الاتباع هو الأخذ بسنة رسول الله التي صحت عنه، والخضوع لها، والتسليم لأمر رسول الله ووجدنا أهل الأهواء بمعزل عن ذلك فهذه علامات ظاهرة، ودليل واضح يشهد لأهل السنة باستحقاقها وعلى أهل البدع بأنهم ليسوا من أهلها|مختصر الصواعق ج2|428، 429، 230.

[2] (?) مجموع الفتاوى 9، 10، 17، 20، 23، 24، 25.بتصرف يسير فيه.

أهل السنة والجماعة السلف الصالح الموافقين لرسول الله والمتبعين لسنته إلى يوم الدين من الأمة الأربعة وغيرهم من التابعين وأتباعهم، ومن اتبعهم واقتفى آثارهم **عقيدةً، ومنهجاً، وسلوكا، ومحبةً لها، ودعوةً إليها**.

فإن الله أمر في كتابه باتباع سنة رسوله ولزوم سبيله وأمر بالجماعة والائتلاف، ونهى عن الفرقة والاختلاف.

<u>فالخلاصة والقول الفصل الذي لاينكره إلا مكابر</u>: أن الفرقة الناجية هم أهل الحديث والسنة والجماعة.

للأدلة والشواهد التي بينها شيخ الإسلام ابن تيمية وأثبتها لهم و يمتازون بها دون غيرهم من الفرق، وشهد لهم غيرهم بذلك كما قرر –رحمه الله- وغيره من السلف:

1- أنهم يتركون أقوال الناس لها وأهل البدع يتركونها لأقوال الناس.

1- أن أهل السنة يعرضون أقوال الناس عليها، فما وافقها قبلوه، وما خالفها طرحوه. وأهل البدع يعرضونها على آراء الرجال فما وافق آراءهم منها قبلوه، وما خالفها تركوه وأولوه.

3- أن أهل السنة يَدْعُون إلى التحاكم إليها دون آراء الرجال.

4-أنهم إذا صحت لهم السنة عن رسول الله لم يتوقفوا عن العمل بها من غير نظر إلى من وافقها أو خالفها.

5- أنهم لا ينتسبون إلى مقالة معينة ولا إلى شخص معين غير رسول الله ، فليس لهم لقب يعرفون به، ولا نسب ينتسبون إليه إذا انتسب سواهم إلى المقالات المحدثة وأربابها.

6- أنهم ينصرون الحديث الصحيح، والآثار السلفية.

7- ومنها أنهم يعرفون الحق ويرحمون الخلق، فلهم نصيب وافر من العلم والرحمة، وربهم تعالى وسع كل شيء رحمة وعلماً، وأهل البدع يكذبون الحق،

ويكفرون الخلق فلا علم عندهم ولا رحمة، وإذا قامت عليهم حجة أهل السنة عدلوا إلى حبسهم وعقوبتهم إذا أمكنهم.

8- أنهم يوالون ويعادون على سنة نبيهم . وأهل البدع يوالون ويعادون على أقوال ابتدعوها.

9- أن أهل السنة لم يؤصلوا أصولاً حكموها، وحاكموا خصومهم إليها وحكموا على من خالفها بالتفسيق، والتكفير، بل عندهم الأصول: كتاب الله، وسنة رسوله وما كان عليه الصحابة. [1]

فهذه جملة أسس وأصول وأوصاف يختص ويتميز بها أهل الحديث والسنة والجماعة دون غيرهم.

ثم الآن انظر وفقك الله للحق أيُّ الفريقين أحق بأن ينسب إلى اتباع السنة واستعمال الأثر، الفِرقة الأولى أم الثانية؟.

فإذا قضيت بين هذين بوافر لُبِّك، وصحيح نظرك، وثاقب فهمك؛ فليكن شكرك لله على ما أراك من الحق، ووفقك للصواب، وألهمك من السداد، واختصك به من إصابة الحسن في القول والعمل.

فإذا كنت كذلك فقد ازددت يقينًا على يقينٍ؛ وإصابةً على إصابةٍ، ومن الله التأييد والتسديد والإلهامُ والإعلام، وهو حسب أهل السنة وعليه توكلهم ومنه معونتهم وتوفيقهم ونصرتهم بمنه وفضله وعميم كرمه وطوله. [2]

---

[1] (?) مختصر الصواعق ج2/430، 431، 432. وانظر أيضا كتاب الانتصار لأصحاب الحديث /لأبي المظفر منصور بن محمد السمعان ص 53، 54، 55، 58 ، وفتنة التكفير للعلامة الألباني –رحمه الله- ص1, وما بعدها, والعلامة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله- في فتاوى مهمة وغير هؤلاء من علماء السلف الذين ضحوا حياتهم في الإرث النبوي والدفاع عنه وماتوا على ذلك نسأل الله أن يجزيهم وللمسلمين خير الجزاء.

[2] (?) الانتصارص58.

وإذا تبين لك هذا: فالزمْ سنة رسول الله وما كان عليه سلف الأمـة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وتمسك به تنجو، فهو دين الله وهو الصراط المستقيم، وهو طريقة أصحاب رسول الله خير القرون، أفضل الأمة وأكرم الخلق على الله تعالى بعد النبيين، ودعْ ما سواه فهو ضلال مبين وسبيلٌ إلى الهلاك والبعد من نيل رضا الله ورحمته.

قال جل في عُلاه في محكم التنزيل: چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ چ[1]. فرضي عن السابقين الأولين رضا مطلقا ورضي عن التابعين لهم بإحسان ألا يكفيك هذا؟!!

وتدبَّرْ قوله في تهديد مخالفهم في سبيلهم في الاعتقاد والعبادات وغيرها: چ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ چ[2].

ووصية النبي و أمره وتحذيره : ((أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيًا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسَّكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)).[3]

وقول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود :

((من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة؛ أولئك أصحاب رسول الله أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم)).[4]

---

1 (?) التوبة آية(100).

2 (?) النساء.

3 (?) تقدم تخريجه.

4 (?) تقدم تخريجه.

وقول الإمام مالك -رحمه الله- : ((لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد بجدل هذا)).

وقول الإمام الشافعي -رحمه الله- ((هم فوقنا في كل علم وعقل ودين وفضل وكل سبب ينال به علم أو يدرك به هدى ورأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا)).[1]

وغيره كثير.

نسأل الله أن يجعلنا ممن يتمسك بسنتهم واقتفى على آثارهم إلى يوم الدين وجنَّبَنَا سنن الكافرين والملحدين، وأهل البدع المضلين.

---

[1] (?) تقدم .

- المبحث الثـاني: جهـوده في بيـان حـديث ((لتتبعن سنن من كان قبلكم[1])).

لقد صح هذا الحديث عن النبي من وجوه ورواه أهل الصحاح والسنن و المسانيد بألفاظ مختلفة وبين شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أنه وقع هذا الأمر وتحقق في أمور كثيرة وأن الأمة قد تتبعت سنن الأمم السابقة من اليهود والنصارى وغيرهم، وبين أن هذا من دلائل نبوته ، وأن الأمر قد وقع كما أخبر به من وجوه كثيرة.

فقال -رحمه الله- : ((ولما أمرنا الله أن نسأله في كل صلاة أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين المغايرين للمغضوب عليهم وللضالين، كان ذلك مما يبين أن العبد يُخاف عليه أن ينحرف إلى هذين الطريقين.

وقد وقع ذلك كما أخبر به النبي حيث قال: ((لتسلكنّ سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جُحر ضبًّ لدخلتموه قالوا يا رسول الله : اليهود والنصارى؟ قال: ((فمن ؟)) حديث صحيح[2] .

وكان السلف يرون أن من انحرف من العلماء عن الصراط المستقيم ففيه شبه من اليهود، ومن انحرف من العباد ففيه شبه من النصارى[3] .

---

1 (?) صحيح البخاري ولفظه: ((لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم) . قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال (فمن ؟)) /صحيح البخاري مع الفتح ح(7319) ومسلم ص678ح(2669) كتاب العلم باب اتباع سنن اليهود والنصارى.

2 (?) تقدم تخريجه.

3 (?) **هو قول سفيان بن عيينة** -رحمه الله- كان يقول : ((من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى)) /انظر: مجموع الفتاوى ج 1/197وج16/567، والاستقامةج1/100.

كما يرى في أحوال منحرفة أهل العلم [1] من تحريف الكلم عن مواضعه، وقسوة القلوب، والبخل بالعلم، والكبر، وأمر الناس بالبر ونيسان أنفسهم وغير ذلك.

كما يرى في منحرفة أهل العبادة[2] والأحوال من الغلو في الأنبياء والصالحين، والابتداع في العبادات من الرهبانية والصور والأصوات.

ولهذا قال النبي : (لا تطروني[3] كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله))[4].

وقال : ((لتأخذن مأخذ الأمم قبلكم شبراً بشبرٍ وذراعاً بذراعٍ)) قالوا يا رسول الله: الفارس والروم؟ قال: ((فمن ؟))[5]

وأيضا لما كان في غزوة حنين كان للمشركين شجرة يقال لها ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم، و ينوطونها بها ويستظلون بها متبركين فقال بعض الناس يا رسول الله : اجعل لنا ذات أنواطٍ كما لهم ذات أنواط.فقال:

---

1 (?) يعني به أهل الكلام ونحوهم الذين عظموا القوة العلمية دون العملية.

2 (?) يعني به المتصوفة الذين عظموا القوة العملية دون العلمية.

3 (?) و الإطراء : هو الإفراط في المديح ومجاوزة الحد فيه، أو المديح بالباطل والكذب فيه /انظر فتح الباري ج6/565.

4 (?) صحيح البخاري مع الفتح ج6/551ح(3445) كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله (واذكر في الكتاب مريم ...).

5 (?) ولفظ البخاري ((لتتبعن)) وكذلك لفظ مسلم ((لتتبعن))/صحيح مسلم ص689 ح(2669) كتاب العلم باب اتباع سنن اليهود والنصارى. ، وليس ((لتسلكن)) وأما لفظ : ((لتسلكن)) فعند الحاكم في المستدرك ج4//516 وكذلك عند الطبراني في الكبير ج17/13.صحيح وشواهده عند البخاري ومسلم.

((الله أكبر، قلتم كما قال قوم موسى لموسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، إنها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم..))[1] [2] .

ثم بين شيخ الإسلام فقال: ((فأخبر أنه سيكون في أمته مضاهاة لليهود والنصارى، وهم أهل الكتاب، ومضاهاة لفارس والروم، وهم الأعاجم.

وقد كان ينهى عن التشبه بهؤلاء وهؤلاء، وليس هذا إخبارًا عن جميع الأمة، بل قد تواتر عنه أنه قال: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الحق حتى تقوم الساعة))[3] . وأخبر : ((أن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة))[4] ، ((و أن الله لا يزال يغرس في هذا الدين غرسًا يستعملهم فيه بطاعته))[5] .

---

1 (?) رواه الترمذي في سننه بلفظ: ((والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم..)) ج4/412 ح(2180) كتاب الفتن باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم.وقال : هذا حديث حسن صحيح. ومسند أحمد ج2/362، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم(2180).
والنسائي في الكبرى رقم (11185). وأحمد في المسند ج 5/218، وصحيح ابن حبان ج15/94. والطبراني في الكبير ج 3/423.

2 (?) مجموع الفتاوى ج1/65 و8/217 وج 14/322 والاستقامة ج1/25.

3 (?) تقدم تخريجه.

4 (?) أخرجه الترمذي في سننه ج4/ 404ح(2167) كتاب الفتن باب ما جاء في لزوم الجماعة وابن ماجه في سننه ج 4/326ح(3950) باب السواد الأعظم. وأحمد في مسنده ج 6/396 والحاكم في المستدرك ج1/200 والطبراني في الكبير ج2/280. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم(1331) وفي الصحيح الجامع رقم(1848)

5 (?) رواه ابن ماجه في سننه ج1/13 ح(8) وأحمد في مسنده ج4/200 وصحيح ابن حبان ج2/32 وصححه الألباني في الصحيحة رقم(2442).

فعُلم بخبره الصادق أنه لا بد أن يكون في أمته قوم متمسكون بهديه، الذي هو دين الإسلام محضًا، وقوم منحرفون إلى شعبةٍ من شعب دين اليهود، أو إلى شعبةٍ من شعب دين النصارى، **وإن كان الرجل لا يكفر بكل انحراف**، بل وقد لا يفسق أيضًا، بل قد يكون الانحراف كفرًا، وقد يكون فسقًا، وقد يكون سيئةً وقد يكون خطأً.

وهذا الانحراف أمر تقتضيه الطباع ويزينه الشيطان، فلذلك أمر العبد بدوام دعاء الله سبحانه بالهداية إلى الاستقامة التي لا يهودية فيها ولا نصرانية أصلا.

وأنا أشير إلى بعض أمور أهل الكتاب والأعاجم، التي ابتليت بها هذه الأمة، ليجتنب المسلم الحنيف الانحراف عن الصراط المستقيم، إلى صراط المغضوب عليهم، أو الضالين.

قال الله سبحانه: ﭽ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ[1] **فذم اليهود على ما حسدوا المؤمنين على الهدى والعلم**[2] **.**

ومع الأسف الشديد فإنّ هـذا الأمر قد وقع في الأمة من وجـوه كثيرة كما أخبر النبي ﷺ وقرر شيخ الإسلام: ((مع أن الله قد حذرنا سبيلهم، فقضاؤه نافذ بما أخبر به رسوله، مما سبق في علمه حيث قال رسول الله ﷺ : ((لتتبعن سنن من كان قبلكم..)) الأحاديث))[3] .

ومن الوجوه [4] **التي قرر شيخ الإسلام ابن تيمية أنها تحققت وقوعها في الأمة وكان من سنن من كان قبلها ما يـلي:**

أولا: الغلو في الأنبياء والصالحين

---

1 (?) البقرة آية: (109).

2 (?) اقتضاء الصراط ج1/80-83.

3 (?) اقتضاء الصراط ج1/79.

4 (?) قال الباحث: وقد ثبت أن هذه الوجوه التي قررها شيخ الإسلام من أعظم الأسباب في تفرق هذه الأمة واختلافها وتباينها وتكفير بعضهم بعضًا.

الغلو في الصالحين كان من سنن من كان قبلنا وكان السبب في وقوع نبي آدم في الشرك وحذر منه الشرع في مواضع كثيرة في الكتاب فمع ذلك أن وقعت هذه الأمة في هذا المحذور إذ غلوا في الأنبياء والصالحين حتى عبدوهم من دون الله وهذا لا ينكره إلا مكابر.

((**والغلو:** هو مجاوزة الحد بأن يزاد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك.

والنصارى أكثر غلوا في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف، وإياهم نهى الله عن الغلو في القرآن في قوله تعالىﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭽ[1] [2]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- :

((ثم إن الغلو في الأنبياء والصالحين قد وقع في طوائف من ضلال المتعبدة، والمتصوفة حتى خالط كثيرا منهم من مذاهب الحلول والاتحاد ما هو أقبح من قول النصارى، أو مثله أو دونه. ﭽﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠﭼ[3] [4]

قال في موضع آخر: ((والغلو في الأمة وقع في طائفتين: طائفة من ضلال الشيعة الذين يعتقدون في الأنبياء والأئمة من أهل البيت الألوهية؛ وطائفة من جهال المتصوفة يعتقدون نحو ذلك في الأنبياء والصالحين.

فمن توهم في نبينا أو غيره من الأنبياء شيئا من الألوهية والربوبية، فهو من جنس النصارى))[5] .

فقد وقع هذا كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ وقد اتبعوا سننهم في الغلو في الأنبياء والأئمة والصالحين وفي مشايخ الطرق حذو القذة بالقذة، بل بعضهم ادعى أن هؤلاء يشاركون الله في تصريف الكون وفي علم الغيب

---

1 (?) النساء آية : (171).

2 (?) اقتضاء الصراط ج1/328.

3 (?) التوبة آية: (31).

4 (?) اقتضاء الصراط ج1/89.

5 (?) مجموع الفتاوى ج1/65، 66، 171 و3/383.

وفي النفع والضر ونحو ذلك كما وقع هذا في الرافضة وأصحاب الطرق الصوفية وغيرهم[1].

كما قال شيخ الإسلام: ((..فقال بعضهم : إن الولي يعطى قول ((كن))، وقال بعضهم: إنه لا يمتنع على الولي فعل ممكن كما لا يمتنع على الله تعالى فعل محال)) وهذا قاله ابن عربي[2]

والذين اتبعوه قالوا: إن الممتنع لذاته مقدور عليه، ليس عندهم ما يقال إنه غير مقدور عليه للولي، حتى ولا الجمع بين الضدين، ولا غير ذلك. وزاد ابن عربي : ((أنّ الولي لا يعزب عن قدرته شيء من الممكنات)) [3].

---

1 (?) وهذا أيضا قد ذكرته في ((موقف شيخ الإسلام من تقديس الأماكن والأزمان وفصلت القول فيه.

2 (?) **هو الشيخ محيي الدين ابن عربي** محمد بن علي بن محمد بن أحمد أبو بكر الطائي الحاتمي الأندلسي، صاحب المصنفات في التصوف وغيره، ولد في شهر رمضان سنة ستين وخمس مائة هـ وسكن الروم، قال ابن مسدى في جملة ترجمته:كان ظاهري المذهب في العبادات باطني النظر في الاعتقادات وكتب لبعض الولاة ثم حج ولم يرجع إلى بلده وروى عن السلفي بالإجازة العامة وبرع في علم التصوف وله فيه مصنفات كثيرة ولقي جماعة من العلماء والمتعبدين وأخذوا عنه.

قال الشيخ شمس الدين: قال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام:هذا شيخ سوء كذاب يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجاً،هكذا حدثني شيخنا ابن تيمية الحراني به عن جماعة حدثوه عن شيخنا ابن دقيق العيد أنه سمع الشيخ عز الدين يقول ذلك،وحدثني بذلك المقاتلي ونقلته من خط أبي الفتح ابن سيد الناس أنه سمعه من ابن دقيق العيد. انظر: الوافي بالوفيات - (ج 2 / ص 10)

3 (?) انظر: ((الفتوحات المكية في معرفة الاسرار الملكية)) لمحيي الدين بن علي بن محمد الطائي الخاتمي ص دار إحياء التراث العربي - لبنان - 1418هـ- 1998م ، الطبعة : الأولى مجموع الفتاوى ج14/364.

والذي لا يعزب عن قدرته شيء من الممكنات هو الله وحده. وهذا تصريح منهم بأن الولي مثل الله إن لم يكن هو الله.

وصرح بعضهم بأنه يعلم كل ما يعلمه الله، ويقدر على كل ما يقدر الله عليه[1] .

وهذا كله من تأثير الأديان الوثنية على هؤلاء واتباعهم سنن أهل الكتاب والروم وغيرهم وسيأتي الكلام في التأثير أكثر إن شاء الله.

ثانيا: اتخاذ القبور مساجد وبناء المشاهد عليها من فعل اليهود والنصارى وقد حذر النبي الأمة من ذلك ومع هذا التحذير فقد وقعت فيه هذه الأمة .

واتخاذ القبور مساجد وبناء المشاهد عليها وتعميرها أمر دخيل على هذه الأمة وليس في دينها ما يجيز ذلك أو يبيحه، بل هذا من المغضوب عليهم والضالين، ثم استن بها بعض من ينتسب إلى هذه الأمة وسلكوا سنن اليهود والنصارى في ذلك حذو القذة بالقذة، كما أخبر النبي .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((فبناء القبور مساجد هو من فعل اليهود والنصارى

وفي صحيح مسلم أن النبي قال قبل أن يموت بخمس: ((إني أبرأ إلى الله أن يكون لي خليل، فإن الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا، ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإنّ من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك))[2] .

وصف الرسول أن الذين كانوا يتخذون قبور الأنبياء والصالحين مساجد، وقال إنه ينهانا عن ذلك، ففيه دلالة

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج14/363،365.

2 (?) صحيح مسلم ص128 ؛ (532) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، واتخاذ الصور فيها، والنهي عن اتخاذ القبور المساجد.

على أن اتخاذ من قبلنا سبب لنهينا. والنهي عن هذا العمل بلعنة اليهود والنصارى مستفيض عنه [1] .

فهذا التحذير منه ، واللعن عن مشابهة أهل الكتاب في بناء المسجد على قبر الرجل الصالح صريح في النهي عن المشابهة؛ ثم من المعلوم ما قد ابتلي به كثير من هذه الأمة من بناء المساجد على القبور واتخاذ القبور مساجد بلا بناء، وكلا الأمرين محرم ملعون فاعله بالمستفيض من السنة، وليس هذا موضع استقصاء ما في ذلك من سائر الأحاديث والآثار)) [2] [3]

وقد ابتليت هذه الأمة بهذا وتحقق قول النبي فيهم: ((لتتبعن سنن من كان قبلك..)) فقد رأينا بعض القبور مبنية عليها مساجد وتصلى فيها الصلوات الخمس، ورأينا قبوراً أيضا بناؤها أجمل من بناء مساكن الأحياء مُرَمَّمة بالبلاط والسيراميك وبعضها مثل القصور نسأل الله السلامة والعافية.

ثالثا: تتبع هذه الأمة سنن اليهود والنصارى في تعظيم آثار الأنبياء والصالحين ومقاماتهم:

و قد أصبح هذا أمرا ظاهرا للغاية، خاصة في هذه الآونة الأخيرة وما يسمى بتعظيم الآثار وإحيائها هو من فعل اليهود والنصارى والوثنيين وتُتبِّعت لسننهم فيها حذو القذة بالقذة كما أخبر به النبي حتى صاروا يروون لها فضائل.

---

[1] (?) كما في صحيح مسلم قوله : ((لعنة الله على اليهود والنصارى. اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))/ ص129 ح(529). نفس الكتاب والباب.

[2] (?) قلت: وقد ذكرن هذه الأحاديث وكلام شيخ الإسلام فيها بما يفي الغرض إن شاء الله في رسالتي /ماجستير بعنوان : ((موقف شيخ الإسلام من تقديس الأماكن والأزمان)).

[3] (?) اقتضاء الصراط ج1/ 332،335، ومجموع الفتاوى ج3/398، وج11/292 وج24/302.

والمقامات هي: الأمكنة التي قاموا فيها، أو أقاموا، أو عبدوا الله سبحانه فيها، لكنهم لم يتخذوها مساجد[1].

((ومن تأمل هذا الباب وجد كثيراً من البدع أحدثت بآثار أصلها عنهم[2] مثل ما يروى في فضائل البقاع في الشام من الجبال، والغيران[3] ومقامات الأنبياء فيه، وما في إتيان ذلك من الفضيلة حتى إنّ بعض المفترين من الشيوخ جعل زيارة مغارة فيه ثلاث مرات تعدل حجة[4] ويسمونها مقامات الأنبياء، والآثار التي تروى في ذلك لاتصل إلى الصحابة، وإنما هي عمن دونهم ممن أخذ عن أهل الكتاب. فلم ينقل عن أحد من الصحابة اتباع شيء من آثار الأنبياء لا مقابرهم ولا مقاماتهم فلم يتخذوها مساجد، ولا كانوا يتحرون الصلاة فيها، والدعاء عندها، بل قد ثبت عن عمر بن الخطاب أنه كان في سفر فرأى قوماً ينتابون مكاناً يصلون فيه، فقال: ما هذا؟ قالوا: صلى فيه رسول الله ، قال : أتريدون أن تتخذوا آثار أنبياءكم مساجد، إنما هلك من كان قبلكم بهذا، من أدركته الصلاة فيه فليصل، وإلا فليمض))[5] [6] .

فتعظيم الآثار والمقامات من فعل اليهود والنصارى وقد انتشر الأمر المشين في بلدان المسلمين أو في

---

1 (?) اقتضاء الصراط ج2/271.

2 (?) أي عن أهل الكتاب والمشركين، والمجوس والصابئين.

3 (?) جمع غار.

4 (?) قلت: وهذا كثير من كلام الرافضة ((من زار قبر الحسين فله ألف ألف ألف حجة ,ألف ألف ألف عمرة)) قد كرتُ هذا نقلا عن كتبهم المعتمدة في: ((موقف شيخ الإسلام من تقديس الأماكن والأزمان)).انظر:بحار الأنوار ج98/34 والتهذيب ج6/47 وكتاب المزار للمفيد ص55.

5 (?) قلت: كتاب الحوادث والبدع للطرطوشي ص124. وإصلاح المساجد من البدع والعوائد للقاسمي تحقيق الألباني ص204 وصحح إسناده.

6 (?) مجموع الفتاوى ج15/153.

كثير من دول الإسلام إلا من رحم ربك، ولم تعد القبور تذكر الآخرة بل صارت القبور موضع تفاخر في البيان والتزيين كما هو الحال عند اليهود والنصارى حذو القذة بالقذة، وتنفق عليها مالا تنفق على مساكين الأحياء بل صارت مصادر رزق واجتلاب الصدقات، وتحقق في هذا قول النبي : ((لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة)) وكما قرر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- .

رابعا: وقوع اتباع هذه الأمة سنن النصارى في تعبد الله بالألحان والأصوات المطربة والسماع والقصائد والأناشيد والتصفيق والرقص

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- أن غالب دين النصارى يقوم على الألحان والأصوات المطربة لما ظهر فيهم من الشهوات والرقة والرأفة وتتبع بعض هذه الأمة بالنصارى في هذا الأمر حذو القذة بالقذة فتحقق فيهم قول النبي .

قال –رحمه الله- : ((إن الضالين تجد عامة دينهم إنما يقوم بالأصوات المطربة، والصور الجميلة،فلا يهتمون بأمر دينهم بأكثر من تلحين الأصوات.

ثم تجد أن هذه الأمة قد ابتليت من اتخاذ السماع المطرب[1] بسماع القصائد، وإصلاح القلوب والأحوال، ما فيه مضاهاة لبعض الضالين))[2] .

---

[1] (?) قلت: وقصائد المولد وما يسمونه بالمناسبات الدينية التي فيها الضرب بالطبول والرقص والسكر ونحوها كلها من هذا القبيل. والآن قد تطور الأمر عند بعض المسلمين فسموها بالأناشيد الإسلامية، هذا أصله من فعل النصارى ويمنع قلوبهم من حلاوة القرآن، ويصد هم عن سماع كلام الله الذي هو القرآن الذي هو سماع الصحابة وسماع المؤمنين ليس هناك ما يسمى بالأناشيد الإسلامية وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله.

[2] (?) اقتضاء الصراط ج1/90. وانظر مجموع الفتاوى 11/643 وج15/433،434 وكتاب الاستقامة ج1/302.

فتبين أن التعبد بما يسمى بالقصائد الدينية والأناشيد والأصوات والألحان المطربة والرقص أصله من دين النصارى المغضوب عليهم ومن سننهم.

سابعا: الحسد والكبر وقسوة القلب

من صفات اليهود قسوة القلوب وغلظتها كالحجارة أو أشد قسوة لا رحمة ولا تراحم بينهم، لا عطف ولا تعاطف بل أنانية وحب للذات ونبذ الآخرين وتمني زوال أية نعمة أنعمها الله عليهم لم ينالوها، بل قلوب قاسية وأفئدة حاقدة، بخلاف هذا الدين وأهله إذ هو دين عطف، و رحمة، وألفة ومحبة الخير للجميع ونفعهم وإيثارٍ ولينٍ.

قال شيخ الإسلام في قوله تعالى: ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﭼ[1] .

فذم اليهود على ما حسدوا المؤمنين على الهدى والعلم[2] .

فإن الحسد هو البغض والكراهة لما يراه من حسن حال المحسود وهو نوعان:

احدهما: - هو المقصود هنا- كراهة للنعمة عليه مطلقا، فهذا هو الحسد المذموم وإذا أبغض ذلك فإنه يتألم ويتأذى بوجود ما يبغضه، فيكون ذلك مرضًا في قلبه، ويلتذ بزوال النعمة عنه، وإن لم يحصل له نفع بزواله؛ لكن نفعه زوال الألم الذي كان في نفسه، ولكن ذلك الألم لم يزل إلا بمباشرة منه، وهو راحة، وأشده كالمريض الذي عولج بما يسكن وجعه والمرض باق؛ فإن بغضه لنعمة الله على عبده مرض، فإن تلك النعمة قد

---

1 (?) البقرة آية: (109).

2 (?) وقال الباحث: فَداء الحسد قد دب وسرى في صفوف المسلمين خاصا في هذا العصر وبين طلاب علم بوجه الخصوص إلا من رحم الله، فكل يحارب الآخر ويتمنى له الفشل وزوال ما عنده من الفضل والنعمة بل قد يسعى إليه بغضا وكرهاً والعياذ بالله ويستخدم كل ما عنده من وسائل لتحقيق مراده حتى وإن كان فيه نفع المسلمين كما سيبينه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- .

تعود على المحسود وأعظم منها، وقد يحصل نظير تلك النعمة لنظير ذلك المحسود.

والحاسد ليس له غرض في شيء معين لكن نفسه تكره ما أنعم به على النوع. ولها قال من قال: إنه تمنى زوال النعمة، فإن من كره النعمة على غيره تمنى زوالها بقلبه[1] .

وقد يبتلى بعض المنتسبين إلى العلم وغيرهم بنوع من الحسد لمن هداه الله لعلم نافع أو عمل صالح وهو خلق مذموم مطلقا وهو في هذا الموضع من أخلاق المغضوب عليهم[2]

والحسد مرض من أمراض النفس، وهو مرض غالب فلا يخلص منه إلا قليل من الناس.

فكثير من الناس الذين عندهم دين لا يعتدون على المحسود، فلا يعينون من ظلمه، ولكنهم أيضاً لا يقومون بما يجب من حقه، بل إذا ذمه أحد لم يوافقوه على ذمه ولا يذكرون محامده، وكذلك لو مدحه أحد لسكتوا، وهؤلاء مدينون في ترك المأمور في حقه مفرطون في ذلك؛ لا معتدون عليه، وجزاؤهم أنهم يبخسون حقوقهم فلا ينصفون أيضًا في مواضع، ولا ينصرون على من ظلمهم كما لم ينصروا هذا المحسود، وأما من اعتدى بقولٍ أو فعلٍ فذلك يعاقب.

ومن اتقى الله وصبر فلم يدخل في الظالمين نفعه الله بتقواه.

والحسد يقع كثيرًا بين المتشاركين في رئاسة أو مال إذا أخذ بعضهم قسطاً من ذلك وفات الآخر؛ ويكون بين النظراء لكراهة أحدهما أن يفضل الآخر عليه كحسد إخوة يوسف، وكحسد ابني آدم أحدهما لأخيه.

قال النبي ﷺ : ((لا تحاسدوا ولا تباغضوا؛ ولا تدابروا، ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا..))[3] .

---

1. (?) مجموع الفتاوى ج10/111، 112.
2. (?) اقتضاء الصراط ج1/83.
3. (?) تقدم تخريجه.

وقرن في الحديث الحسد بالبغضاء؛ لأن الحاسد يكره أولاً فضل الله على ذلك الغير؛ ثم ينتقل إلى بغضه؛ فإن بغض اللازم يقتضي بغض الملزوم، فإن نعمة الله إذا كانت لازمة وهو يحب زوالها، وهي لا تزول إلا بزواله أبغضه وأحب عدمه. والحسد يوجب البغي،كما أخبر الله تعالى عمن قبلنا: أنهم اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم، فلم يكن اختلافهم لعدم العلم، بل علموا الحق ولكن بغى بعضهم على بعض، كما يبغي الحاسد على المحسود[1] .

والحاصل أن هذه الأمة وقعت في داء الحسد كما وقع فيه الأمم السابقة وسرى فيهم كما سرى في أهل الكتاب من اليهود وهو أعظم داء ابتلي به الأمة نسأل الله أن يطهر قلوبنا من الحسد.

وكذلك قسوة القلوب وغلظتها فقد قال تعالى محذراً: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﭼ[2]

قال شيخ الإسلام : ((فقوله: ولا تكونوا مثلهم، نهي مطلق عن مشابهتهم، وهو أيضاً في النهي عن مشابهتهم في قسوة القلوب من ثمرات المعاصي.

وقد وصف الله سبحانه بها اليهود في غير موضع.

فقال تعالى: ﭽ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ[3] .

وإن قومًا من هذه الأمة، ممن ينسب إلى علم أو دين، أخذوا من هذه الصفات بنصيب، يرى ذلك من له بصيرة، من كل ما يكرهه الله ورسوله، لهذا: كان السلف يحذرونهم هذا [4] .

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج10/125، 123، 127.

2 (?) الحديد آية: (16).

3 (?) البقرة آية: (73- 74).

4 (?) اقتضاء الصراط ج 1/ 290، 291.

وقد ذم الله قسوة القلوب المنافية للخشوع، فقسوة القلب ذهاب اللين والرحمة والخشوع، وقوة القلب المحمودة غير قسوته المذمومة، فإنه ينبغي أن يكون قويا من غير عنف، وليِّنًا من غير ضعف[1] .

خامسا: تتبع هذه الأمة سنن من قبلها في التشدد على النفس والتعمق في الدين

ذكر شيخ الإسلام أن الأمة قد تتبع سنن مَنْ كان قبلهم في التشدد والتعمّق والتنطع في الدين وفي الرهبانية المبتدعة المذمومة في شرعنا، حتى انحرفوا بها عن الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من الصديقين والشهداء والصالحين.

قال – رحمه الله-في تقريره: ((وقال سبحانه عن الضالين : ﭽ ﮕ ﮔ ﮓ ﮒ ﮑ ﮐ ﮏ ﮎ ﮍ ﭼ[2] وقد ابتلي طوائف من المسلمين، من الرهبنة المبتدعة بما الله به عليم))[3]

((ولما نهى **الله عن التشبه بهؤلاء الذين قست قلوبهم، وذكر أيضا في آخر السورة حال الذين ابتدعوا الرهبانية، فما رعوها حق رعايتها، فعقبها بقوله:** ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ... ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ... ﭼ[4] .

فإن الإيمان بالرسول تصديقه وطاعته واتباع شريعته، **وفي ذلك مخالفة للرهبانية**؛ لأنه لم يبعث بها، بل نهى عنها، وأخبر: أن من اتبعه كان له أجران، وبذلك جاءت الأحاديث الصحيحة، من طريق ابن عمر وغيره، في مثلنا ومثل أهل الكتاب.

وقد صرّح بذلك.

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج7/30.
2 (?) الحديد آية: (27).
3 (?) اقتضاء الصراط ج1/90
4 (?) الحديد (28-29).

عن أنس بن مالك كان رسول الله يقول: ((لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم، فإن قوماً شددوا على أنفسهم، فشدد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديار، رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم)).[1]

ففيه نهي النبي عن التشدد في الدين بالزيادة عن المشروع.

والتشديد: تارة يكون باتخاذ ما ليس بواجب، ولا مستحب: بمنزلة الواجب والمستحب في العبادات.

وتارة باتخاذ ما ليس بمحرم، ولا مكروه بمنزلة المحرم والمكروه، في الطيبات.

وعلل ذلك بأن الذين شددوا على أنفسهم من النصارى، شدد الله عليهم لذلك، حتى آل الأمر إلى ما هم عليه من الرهبانية المبتدعة.

وفي هذا تنبيه على كراهة النبي لمثل ما عليه النصارى من الرهبانية المبتدعة، وإن كان كثير من عُبَّادِنَا قد وقعوا في بعض ذلك متأولين معذورين، أو غير متأولين ولا معذورين.

وكان الخوارج أيضاً قد تعمقوا وتنطَّعوا كما وصفهم النبي بقوله: ((يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم))[2] .

وهذا كله فيه تنبيه على أن التشديد على النفس ابتداء يكون سببا لتشديد آخر يفعله الله إما بالشرع وإما بالقدر[3] .

---

1 (?) سنن أبي داوود ج5/209ح(4904) . كتاب الأدب باب في الحسد. والطبراني في الأوسط ج3/285 والبيهقي في شعب الإيمان ج3/3884 وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم(3124).

2 (?) تقدم تخريجه.

3 (?) فقد ضرب لهذه كلها أمثلة .

وهذا المعنى الذي دل عليه الحديث، موافق لما قدمناه في قوله تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ[1] **من أن ذلك يقتضي كراهة موافقتهم في الآصار والأغلال.**

والآصار: ترجع إلى الإيجابات الشديدة.

والأغلال: هي التحريمات الشديدة.

فإن الإصر: هو الثقل والشدة، وهذا شأن ما وجب.

والغل: يمنع المغلول من الانطلاق، وهذا شأن المحظور.

وعلى هذا دل قوله سبحانه ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﭼ وسبب نزولها مشهور[2]

ومع هذا فقد ابتلي طوائف كثيرة من المسلمين من الرهبنة المبتدعة بما الله به عليم**،** وأن كثيراً من زهاد الصوفية يشبه النصارى، ويسلك في زهده وعبادته من الشرك، والرهبنة ما يشبه سلوك النصارى **واتبعوا سننهم** [3] **.**

و لهذا تجد أرباب الحروف و الكلام المبتدع كالمعتزلة يوجبون طريقتهم و يحرمون ما سواها، و يعتقدون أن العقوبة الشديدة لاحقة من خالفها، حتى أنهم يقولون:

---

[1] (?) الأعراف آية (157).

[2] (?) وهو ما جاء في الصحيحين عن أنس بن مالك قال ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي يسألون عن عبادة النبي ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ، قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟
فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدا. وقال الآخر: أنا أصوم الدهر أبدا. وقال الآخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا.
فجاء رسول الله فقال: ((أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني))/ البخاري ح(5063)ومسلم ح(1401).

[3] (?) اقتضاء الصراط ج1/295، 296، 299، 322، 323،324، وينظر أيضا: مجموع الفتاوى ج10/462، 715، وج14/460، وج19/190.

بتخليد فساق أهل الملل، و يكفرون من خرج عنهم من فرق الأمة، و هذا التشديد و الآصار و الأغلال شبه دين اليهود.

وتجد أرباب الصوت و العمل المبتدع لا يوجبون و لا يحرمون؛ و إنما يستحبون و يكرهون، فيعظمون طريقهم و يفضلونه و يرغبون فيه حتى يرفعوه فوق قدره بدرجات. فطريقهم رغبة بلا رهبة إلا قليلا، كما أن الأول رهبة في الغالب برغبة يسيرة و هذا يشبه ما عليه النصارى من الغلو في العبادات التي يفعلونها مع انحلالهم من الإيجاب و الاستحباب لكنهم يتعبدون بعبادات كثيرة و يبقون أزمانا كثيرة على سبيل الاستحباب. و الفلاسفة يغلب عليهم هذا الطريق، كما أن المتكلمين يغلب عليهم الطريق الأول[1] .

فتعذيب النفس والتشديد عليها واللجوء إلى العنف والشدة في معالجة المشاكل وتحقيق الغايات، والقسوة والغلظة و الخشونة في القول هذه من صفات اليهود وأخلاقهم وهذا قد سرى في المنتسبين إلى هذا الدين خاصة الخوارج والرافضة ومن شابههم من أهل التفجير والتكفير والعنف والشدة فتحقق فيهم قول النبي ((لتتبعن سنن من كان قبلكم..)).

<u>سادسا</u>: كتمان النصوص وكتمان الحق، وتلبيس الحق بالباطل بالألفاظ المجملة وتحريف الكلم عن مواضعه

ذكر شيخ الإسلام أن الله تعالى بين في الكتاب أن أهل الكتاب من سننهم كتمان الحق وتلبيسه بالباطل وتحريف الكلم عن مواضعه، وأن هذه الأمة قد تتبع سننهم فيها كما أخبر النبي : ((لتتبعن من قبلهم..)) وأن هذا فعلاً قد وقع في واقع الأمر.

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج8/ 259، 260.

فقال –رحمه الله – و قال الله سبحانه : ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﭼ [1] :فوصفهم بالبخل الذي هو البخل بالعلم، والبخل بالمال، وإن كان السياق يدل على أن البخل بالعلم هو المقصود الأكبر، فلذلك وصفهم بكتمان العلم في غير آية مثل قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ [2] الآية. وقوله: ﭽ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ [3] الآية.

وقوله: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ [4] الآية. وقوله: ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﭼ [5] .

فوصف المغضوب عليهم بأنهم يكتمون العلم: تارة بُخْلاً بـه، وتارة اعتياضًا عن إظهاره بالدنيا، وتارة خوْفًا أن يحتج عليهم بما أظهروه منه.

وهذا قد ابتلي به طوائف من المنتسبين إلى العلم، فإنهم تارة يكتمون العلم بخلاً به، وكراهة لأن ينال غيرهم من الفضل ما نالوه، وتارة اعتياضًا عنه برياسةٍ أو مالٍ، فيخاف من إظهاره انتقاص رياسته أو نقص ماله، وتارة يكون قد خالف غيره في مسألة، أو اعتزى إلى طائفة قد خُولِفت في مسألة، فيكتم من العلم ما فيه حجة لمخالفه وإن لم يتيقن أن مخالفه مبطل.

ولهذا قال عبد الرحمن بن مهدي وغيره: ((أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم)) [6].

---

1. (?) النساء آية : (36-37).
2. (?) آل عمران آية: (187).
3. (?) البقرة آية: (159- 160).
4. (?) البقرة (174).
5. (?) البقرة.
6. (?) عن عبد الرحمن بن المهدي /انظر المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال لأبي عبد الله

وليس الغرض تفصيل ما يحب أو يحتسب في ذلك، بل الغرض التنبيه على مجامع يتفطن اللبيب بها لما ينفعه الله به.

وقال تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ[1] **بعد أن قال:** ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ[2] **.**

فوصف اليهود: بأنهم كانوا يعرفون الحق قبل ظهور الناطق به، والداعي إليه.

فلما جاءهم الناطق به من غير طائفة يهوونها لم ينقادوا له. وأنهم لا يقبلون الحق إلا من الطائفة التي هم منتسبون إليها، مع أنهم لا يتبعون ما لزمهم في اعتقادهم.

وهذا يبتلى به كثير من المنتسبين إلى طائفة معينة في العلم، أو الدين، من المتفقهة، أو المتصوفة، أو غيرهم.

أو إلى رئيس معظم عندهم في الدين- غير النبي ﷺ - فإنهم لا يقبلون من الدين لا رأياً ولا روايةً إلا ما جاءت به طائفتهم، ثم إنهم لا يعلمون ما توجبه طائفتهم، مع أن دين الإسلام يوجب اتباع الحق مطلقا: روايةً ورأياً من غير تعيين شخص أو طائفة - غير الرسول ﷺ .

وقال تعالى في صفة المغضوب عليهم : ﭽ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭼ[3] ووصفهم بأنهم: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ[4] والتحريف قد فسر بتحريف التنزيل، وبتحريف التأويل.

محمد بن عثمان الذهبي ج1/ 423 دار النشر : ، تحقيق : محب الدين الخطيب.

1 (?) البقرة (91).

2 (?) البقرة.

3 (?) النساء (46).

4 (?) آل عمران (78).

فأما تحريف التأويل فكثير جدا، **وقد ابتليت به طوائف من هذه الأمة**، وأما تحريف التنزيل فقد وقع فيه كثير من الناس، يحرفون ألفاظ الرسول، ويروون أحاديث بروايات منكرة.

وإن كان الجهابذة يدفعون ذلك، وربما تطاول بعضهم إلى تحريف التنزيل، وإن لم يمكنه ذلك، كما قرأ بعضهم : ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ[1].

وأما ليُّ الألسنة بما يظن أنه من عند الله، فكوضع الوضَّاعين الأحاديث على رسول الله أو إقامة ما يظن أنه حجة في الدين، وليس بحجة.

وهذا الضرب من نوع أخلاق اليهود وذمها في النصوص كثير لمن تدبر في كتاب الله وسنة رسوله ، ثم نظر بنور الإيمان إلى ما وقع في الأمة من الأحداث[2].

فلا تجد قط مبتدِعًا إلا وهو يحب كتمان النصوص التي تخالفه ويبغضها، ويبغض إظهارها وروايتها والتحديث بها، ويبغض من يفعل ذلك، كما قال بعض السلف: ((ما ابتدع أحد بدعة إلا نُزعت حلاوة الحديث من قلبه))[3] .

ثم إن قوله الذي يعارض به النصوص لابد أن يلبس فيه حقا بباطل بحسب ما يقوله من الألفاظ المجملة المتشابهة[4] .

---

1 (?) النساء. أي قرأ الآية بنصب لفظ الجلالة.تنزيهاً بزعمه. ونفي الكلام عن الله ويكون موسى عليه السلام هو المتكلم، لاشك أن هذا تجرؤ على كتاب الله وتحريف لكلامه.

2 (?) اقتضاء الصراط ج1/83-88.

3 (?) هذا من كلام أحمد بن سنان القطان. كان يقول : ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث، وإذا ابتدع الرجل بدعة نزعت حلاوة الحديث من قلبه))/ انظر: أحاديث في ذم الكلام وأهله/ أبو الفضل المقرئ ج2/ 72.، وتذكرة الحفاظ لمحمد بن أحمد الذهبي ج2/521.

4 (?) مجموع الفتاوى ج20/161 وانظر أيضا: درء تعارض العقل والنقل ج1/120.

قال في موضع آخر: ((هما متلازمان، فإنَّ مَنْ لبَّس الحق بالباطل فجعله مَلْبُوسًا بِهِ، خفي من الحق بقدر ما ظهر من الباطل، فصار ملبوسًا، ومن كتم الحق احتاج أن يقيم موضعه باطلا فيلبس الحق بالباطل، ولهذا كان كل من كتم من أهل الكتاب ما أنزل الله فلابد أن يظهر باطلا.

وهكذا ((أهل البدع)) لا تجد أحدًا ترك بعض السنة التي يجب التصديق بها والعمل إلا وقع في بدعة، ولا تجد صاحب بدعة إلا ترك شيئا من السنة))[1] .

والمقصود هنا: الاعتبار فإن بني إسرائيل قد ذهبوا أو كفروا، وإنما ذكرت قصصهم عبرة لنا وكان بعض السلف يقول: ((إن بني إسرائيل ذهبوا وإنما يعني أنتم))[2] ومن الأمثال السائرة : إياك أعني واسمعي يا جارة . فكان فيما خاطب الله بني إسرائيل عبرة لنا : أن لا نلبس الحق بالباطل ونكتم الحق.

والبدع التي يعارض بها الكتاب والسنة التي يسميها أهلها كلاميات، وعقليات، وفلسفيات، أو ذوقيات ووجديات وحقائق، وغير ذلك لا بد أن تشمل عليه لبس حق بباطل وكتمان حق وهذا أمر موجود يعرفه من تأمله[3]. ولهذا تحقق فيهم قول النبي لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة..)) الحديث فكتموا النصوص وحرفوها كما حرفها أولئك، ولبسوا الحق بالباطل كما لبسوها وكان في ذلك اتباعاً لسننهم وسلوكًا لغير سبيل المؤمنين من هذه الأمـة، ضلوا فأضلوا غيرهم.

ثامناً: التعصب الطائفي والمذهبي

فالتعصب الطائفي والمذهبي من صفات أهل الكتاب قبلنا ومن سننهم المذمومة، وقد ذم النبي صلى الله عليه وسلم التعصب للباطل والأهواء من شعار اليهود

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج7/172-173.

2 (?) لم أقف عليه.

3 (?) درء تعارض العقل والنقل ج1/120.

والنصارى وغيرهم إلا أن بعض من ينتسب إلى هذه الأمة قد وقع في هذا التعصب المذموم وقد ابتليت به الأمـة؛ إذ كل أنكر ما عليه الآخر وزعم أنه على الحق وغيره على الباطل دون التحاكم إلى الكتاب.

كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في قوله تعالى : ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﴾[1] .

قال : ((فأخبر أن كل واحدة من الأمتين تجحد كل ما عليه الأخرى، وأنت تجد كثيرا من المتفقهة، إذا رأى المتصوفة والمتعبدة لا يراهم شيئًا ولا يعدهم إلا جُهَّالاً ضُلاَّلاً، ولا يعتقد في طريقهم من العلم والهدى شيئًا، وترى كثيرًا من المتصوفة والمتفقرة لا يرى الشريعة والعلم شيئا، بل يرى المتمسك بهما منقطع عن الله وأنه ليس عند أهلها مما ينفع عند الله شيئًا.

وإنما الصواب: أن ما جاء به الكتاب والسنة من هذا وهذا: حق، وما خالف الكتاب والسنة من هذا وهذا: باطل)).[2]

ويدخل في هذا جميع ما عند الفرق والأحزاب والطرق والطوائف المعاصرة التي تنتسب إلى الإسلام من الاعتقاد والمناهج والسلوكيات التي ابتدعوها، فإن كل فرقة تدعى أنها على الحق وتجحد كل ما عليه الأخرى كما هو الحال عند اليهود والنصارى كل واحد منهم تقول إن الأخرى ليست على شيء وسبب ذلك فرقة واختلافا كما سيأتي بيانه.

والقول الفصل في هذا: أن كل ما وافق كتاب الله وسنة رسوله الثابتة عنها، وكان عليه أصحابه فهو حق، وما خالف ذلك فهو باطل وضلال وليس بشيء كما قرر شيخ الإسلام ابن تيمية.

تاسعًا: الإيمان ببعض النصوص دون بعض وقبول بعض الحق وترك بعض

---

1 (?) البقرة آية : (113).

2 (?) اقتضاء الصراط ج1/91.

فهذه من عادات أهل الكتاب المذمومة في الكتاب والسنة.

فمن سنن من قبلنا أهل الكتاب وغيرهم الإيمان ببعض نصوص الكتاب دون بعض فذمهم الله تعالى بذلك وتوعد من يعمل ذلك منهم بالخزي في الدنيا والعذاب الأليم يوم القيامة وأخبر النبي أن هذه الأمة ستتبع سننهم. وقرر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أنه قد وقع فعلا اتباع سننهم وأن هذا حال أهل البدع كلهم بلا شك.

قال -رحمه الله- : ((وهكذا أهل الكتاب معهم حق وباطل، ولهذا: ﭧ ﭨ ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ[1] وقال: ﭧ ﭨ ﭽ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ[2] وقال عنهم: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ[3] .

ﭧ ﭨ ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ[4]

وذلك لأنهم ابتدعوا بدعًا خلطوها بما جاءت به الرسل وفرقوا دينهم، وكانوا شيعًا، فصار في كل فريق منهم حق وباطل، وهم يكذبون بالحق الذي مع الفريق الآخر ويصدقون بالباطل الذي معهم.

وهذا حال أهل البدع كلهم، فإن معهم حقاً وباطلاً، فهم فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل فريق يكذب بما مع الآخر من الحق ويصدق بما معه من الباطل، كالخوارج والشيعة، فهؤلاء يكذبون بما ثبت من فضائل أمير المؤمنين على بن أبي طالب ويصدقون بما روي في فضائل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ويصدقون بما ابتدعوه من تكفيره، وتكفير من يتولاه ويحبه، وهؤلاء يصدقون بما روي في فضائل علي بن أبي طالب، ويكذبون بما روي في فضائل أبي بكر وعمر ويصدقون

---

1 (?) البقرة(42).
2 (?) البقرة (85).
3 (?) النساء.
4 (?) البقرة (91).

بما ابتدعوه من التكفير والطعن في أبي بكر وعمر وعثمان.

ودين الإسلام وسط بين الأطراف المتجاذبة، فالمسلمون وسط في التوحيد بين اليهود والنصارى[1] .

قال في موضع آخر: ((وهذا من أسباب ضلال من ضل من مكذبي الرسل، إما مطلقًا كالذين كذبوا جميع الرسل: كقوم نوح وثمود وعاد ونحوهم.

وإما من آمن ببعض وكفر ببعض كمن آمن من أهل الكتاب ببعض الرسل دون بعض، ومن آمن من الفلاسفة ببعض ما جاءت به الرسل دون بعض، ومن أهل البدع من أهل الملل المسلمين واليهود والنصارى من أتوا من هذا الوجه))[2]

فتبين من هذا أن مبتدعة هذه الأمة قد أخذ نصيباً وافراً من سنن أهل الكتاب وغيرهم في هذا الباب كما قرر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- .

<u>عاشراً</u>: الخوض في الذي خاضوا في الفتن والتفرق:

وأما اتباع سننهم في هذا فإن الواقع الأمة يحكي نفسه في ذلك ويشهد وكم آية في كتاب يحذر فيها من اتباع سنن أهل الكتاب وغيرهم في التفرق واختلاف وكم من حديث نبوي صحيح جاء يؤكد ما في كتاب الله ويصدقه ؟

وتفرق هذه الأمة واختلافها وخوضهم كالذين خاضوا قد سبق أن تحدثنا عنه في غير هذا الموضع.

فقد أخبر النبي بافتراق أمته على ثلاث وسبعين فرقة واثنتان وسبعون لا ريب أنهم الذين خاضوا كخوض الذين من قبلهم.

ﭨ ﮈ ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧﭼ[3]

---

1 (?) منهاج السنة ج5/167_168.

2 (?) مجموع الفتاوى ج6/514-515.

3 (?) التوبة آية(69).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((وأما الخوض كالذي خاضوا، فروينا من حديث الثوري وغيره عن عبد الرحمن بن زياد بن أنغم الأفريقي عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله : ((ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إذا كان منهم من أتى أمه علانية كان من أمتي من يصنع ذلك، وإنّ بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال ما أنا عليه اليوم وأصحابي))[1] [2]

وقوله : ﭼ ﭡ ﭢ ﭣﭼ إشارة إلى اتباع الشبهات وهو داء المبتدعة، وأهل الأهواء والخصومات، وكثيرا ما يجتمعان فقَلَّ مَنْ تجد في اعتقاده فسادًا إلا وهو ظاهر في عمله. وقد دلت الآية على أن الذين كانوا من قبل استمتعوا وخاضوا وهؤلاء فعلوا مثل أولئك[3] .

وأما مشابهة فارس والروم، فقد دخل منه في هذه الأمة من الآثار الرومية، قولاً وعملاً، والآثار الفارسية، قولاً وعملاً ما لا خفاء فيه على مؤمن عليم بدين الإسلام، وبما حدث فيه [4]

((كله خرج منه مخرج الخبر عن وقوع ذلك، والذم لمن يفعله، كما كان يخبر عما يفعله الناس بين يدي الساعة من الأشراط والأمور المحرمات.

فعلم أن مشابهتها اليهود والنصارى، وفارس والروم، مما ذمه الله ورسوله. وهو المطلوب.

ولا يقال: فإذا كان الكتاب والسنة قد دلا على وقوع ذلك، فما فائدة النهي عنه؟ لأن الكتاب والسنة أيضًا قد دلاَّ على أنه لا يزال في هذه الأمة طائفة متمسكة بالحق

---

1 (?) وقد تقدم تخريجه والكلام فيه بالتفصيل.

2 (?) اقتضاء الصرا ط ج1/133،134، 135.

3 (?) اقتضاء الصراط ج1/121.

4 (?) اقتضاء الصراط ج1/91،92.

الذي بعث الله به محمدا إلى قيام الساعة وأنها لا تجتمع على ضلالة ففي النهي عن ذلك تكثير لهذه الطائفة المنصورة، وتثبيتها، وزيادة إيمانها، فنسأل الله المجيب أن يجعلنا منها[1] .

وتقرر من هذا أن الأمة قد تتبع سنن اليهود والنصارى وغيرهم في هذه في أمور كثيرة.

لو تتبعنا هذا وأردنا تفصيل القول فيها لعجزت الأقلام عن ذلك ولجاء في مجلــدات كثيرة والله المستعان وإليه التكلان.

وأيضـًا أن هذه الأمور التي ذكرناها في هذا الموضع من أعظم الأمور التي أدت إلى تفرق هذه الأمة واختلافها وتكفير بعضهم بعضًا وكما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

1 (?) اقتضاء الصراط ج1/170، 171.

- المبحث الثالث: بين ابتداء تفرق هذه الأمة وظهور أصول الفرق.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان أول تفرق وقع في هذه الأمة

بين شيخ الإسلام ابن تيمية أن المسلمين كانوا في نعمة عظيمة من الألفة والمحبة والاجتماع على أصول هذا الدين الحنيف من غير تفرق ولا تنازع فيها، اعتصموا بكتاب الله انقادوا لأمره فحبب الله إليهم الإيمان وزيَّنه في قلوبهم وكرّه إليهم الكفر، كما كانوا على الاستقامة على دين الله متعاونين على البر و التقوى متآلفين على الحق متحابين فيه إذ دَبَّ في دينهم الفتن والأهواء والبدع فتفرقت بسببها القلوب وعظمت الكروب وظهرت الشرور، وهذا كان بعد مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان –رضي الله عنه- ولم تجتمع الأمة منذ ذلك إلى يومنا هذا كما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- في هذا الموضع فقال:

-موقف الصديق بعدموت النبي صلى الله عليه وسلم وما وقع من الشربعد مقتل عثمان رضي الله عنه.

قال -رحمه الله-: ((فكان موت النبي من أعظم الأسباب التي افتتن بها خلق كثير من الناس، وارتدوا عن الإسلام، فأقام الله تعالى الصديق حتى ثبت الله به الإيمان، وأعاد به الأمر إلى ما كان، فأدخل أهل الردة في الباب الذي منه خرجوا، وأقرَّ أهل الإيمان على الدين الذي ولجوا فيه وجعل الله فيه من القوة والجهاد والشدة على أعداء الله، واللين لأولياء الله ما استحق به وبغيره أن يكون خليفة رسول الله .

ثم استخلف عمر فقهر الكفار من المجوس، وأهل الكتاب، وأعز الإسلام، ومصر الأمصار، وفرض العطاء، ووضع الديوان، ونشر العدل، وأقام السنة، وظهر الإسلام في أيامه ظهورًا بَانَ به تصديق قوله تعالى: ﭽ

□ □ □ □□ □ ی ى ي ﭼ[1] وقوله تعالى: ﭽ ڤ ڦ ڨ
ڦ ڦ ڦ ڃ ڃ ڄ ڄ ڃ ڃ ڄ ڃ ڄ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ
ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ﭼ[2] وقول النبي ﷺ : ((إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده! لتنفقن كنوزهما في سبيل الله))[3] .

فكان عمر ﷺ هو الذي أنفق كنوزَهما. فعُلم أنه أنفقها في سبيل الله، وأنه كان خليفة راشدًا مهديًا، ثم جعل الأمر شورى في ستة، فاتفق المهاجرون والأنصار على تقديم عثمان بن عفان من غير رغبةٍ بذلها لهم، ولا رهبة أخافهم بها وبايعوه بأجمعهم طائعين غير كارهين، وجرى في آخر أيامه أسباب ظهر بالشر فيها على أهل العلم وأهلُ الجهل والعدوان، وما زالوا يسعون في الفتن حتى قتل الخليفة مظلومًا شهيداً بغير سببٍ يُبِيحُ قتلَه، وهو صابر محتسب، لم يقاتل مسلمًا.

فلما قتل ﷺ تفرّقت القلوب، وعظمت الكروب، وظهرت الأشرار، وذل الأخيار، وسعى في الفتنة من كان عاجزًا عنها، وعجز عن الخير والصلاح من كان يحب إقامته، بايعوا أمير المؤمنين على ابن أبى طالب ﷺ وهو أحق الناس بالخلافة حينئذ، وأفضل من بقي، لكن كانت القلوب متفرقة، ونار الفتنة متوقدة، فلم تتفق الكلمة، ولم تنتظم الجماعة، ولم يتمكن الخليفة وخيار الأمة من كل ما يريدونه من الخير، ودخل في الفرقة والفتنة أقوام، وكان ما كان، إلى أن ظهرت الحرورية المارقة، مع كثرة صلاتهم وصيامهم وقراءتهم، فقاتلوا أمير المؤمنين عليًا ومن معه؛ فقتلهم بأمر الله ورسوله، طاعةً لقول النبي ﷺ لما وصفهم بقوله: ((يحقر أحدكم

---

1 (?) الفتح.

2 (?) النور آية (55).

3 (?) صحيح البخاري ج6/2445 ح (6255) باب كيف كان حلف النبي ﷺ. وصحيح مسلم ص 737 ح(2918) كتاب الفتن وأشراط الساعة باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أ ن يكون مكان الميت، من البلاء.

صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، أينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرًا عند الله لمن قتلهم يوم القيامة)) [1] وقوله: ((تمرق مارقة على حين فُرقةٍ من المسلمين، يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق)) [2] أخرجاه في الصحيحين.

فكانت هذه الحرورية هي المارقة، وكان بين المؤمنين فرقة، والقتال بين المؤمنين لا يخرجهم من الإيمان، كما قال تعالى ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ [3] .

فبين سبحانه وتعالى أنهم مع الاقتتال وبغي بعضهم على بعض مؤمنون إخوة، وأمر بالإصلاح بينهم، فإن بغت إحداهما بعد ذلك قوتلت الباغية، ولم يأمر بالاقتتــال ابتداء)) [4] .

فتبين من هذا أنه لم تكن هناك فرقة في عهدهم وإن حصل اقتتال ونزاع مع بقاع الألفة والمحبة والأخوة في الدين فيما بينهم، فقد سماهم الله بالمؤمنين وأمر بالإصلاح بينهم بالعدل، ولم يتفرقوا في أصل من أصول الدين الكبار ولا قدموا هوى النفس عليها.

((وأول تفرق وقع في الأمـة كان في مسألة الأسماء والأحكام))

وهذه من أمهات المسائل التي غاص في عمقها صغار العقول والجهل بلا علم لنتائجها ولا فقه لمفاسد الخطأ فيها، ولا رجوع إلى العلماء الكبار ذوي العلم والبصيرة الذين هم من أهله، وإنما خاضوا فيها بأهوائهم

---

1 (?) تقدم تخريجه.

2 (?) تقدم تخريجه.

3 (?) الحجرات آية: (9-10).

4 (?) مجموع الفتاوى ج25/303- 306.

فكفّروا من خالفهم من المسلمين واستحلوا دماءهم بغير حق، وهي مسألة خطيرة؛ إذ تتعلق بها الموالاة والمعادة، والجنة والنار والوعد والوعيد والإسلام والإيمان والكفر والفسق، والسعادة والشقاوة .

ولأهمية هذه المسألة وعظم شأنها بين شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- :

1- أنها قطب الدين لما تتضمنه من الأمور العظام بقوله:

((إنه قطب الدين يدور عليه، وليس في القول اسم علق به السعادة والشقاء، والمدح والذم، والثواب والعقاب أعظم من اسم الإيمان والكفر، ولهذا سمي هذا الأصل مسائل الأسماء والأحكام)).[1]

أيضا: ((لتعلقها بأصول الدين وفروعه، فإن من أكبر شعبها مسألة الأسماء والأحكام في فساق أهل الملة وهل يجتمع في حق الشخص الواحد الثواب والعقاب أم لا يجتمع ذلك؟ وهل يكون الشيء الواحد محبوبًا من وجه مبغوضًا من وجه؟ محمودًا من وجه مذمومًا من وجه؟ ولهذا كان هذا الجنس موجبا للفرقة والفتنة))[2] .

إذا كان الأمر كذلك فيجب أخذ الحذر والحيطة عند الخوض فيها، وعدم التسرع في إصدارها فإنها مسألة خطيرة[3].

2- أنها أول مسألة تفرقت فيها الأمة وأول مسألة استُحلت فيها دماء الأمة وتكفيرهم بغير حق ولا هدى من الله تعالى.

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج13/58.

2 (?) مجموع الفتاوى ج22/129،130.

3 (?) وخصوصاً في هذا العصر الذي كثر الخوض في هذه المسائل ممن ليس أهلا لها وتأججت نار الفتن لقلة العلم و فشو الجهل [لآثار النبي صلى الله عليه وهدي أصحابه –رضوان الله عليهم-.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله-: ((فأول مسألة فرقت بين الأمة ((**مسألة الفاسق الملي**)) فأدرجته الخوارج في نصوص الوعيد فخلدوه في النار.

وأول التفرق والابتداع في الإسلام بعد مقتل ((عثمان)) وافتراق المسلمين؛ فلما اتفق علي ومعاوية على التحكيم أنكرت الخوارج وقالوا : لا حكم إلا لله وفارقوا جماعة المسلمين، فأرسل إليهم ابن عباس – رضي الله عنهما- فناظرهم فرجع نصفهم، والآخرون أغاروا على ماشية الناس[1] واستحلوا دماءهم، فقتلوا ابن خباب[2] وقالوا: كلنا قتله. فقاتلهم علي .

وأصل مذهبهم تعظيم القرآن وطلب اتباعه، لكن خرجوا عن السنة والجماعة، فهم لا يرون اتباع السنة التي يظنون أنه تخالف القرآن كالرجم ونصاب السرقة وغير ذلك فضلوا؛ فإن الرسول أعلم بما أنزل الله عليه، والله قد أنزل عليه الكتاب والحكمة، وجوزوا على النبي أن يكون ظالماً فلم ينفذوا لحكم النبي ولا لحكم الأئمة بعده بل قالوا: إن عثمان وعلياً ومن والاهما قد حكموا بغير ما أنزل الله ﭽ ﮠ   ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﭼ[3] فكفروا المسلمين بهذا وبغيره، وتكفيرهم وتكفير سائر أهل البدع مبني على مقدمتين:

(أحدهما) أن هذا يخالف القرآن.

و(الثانية) أن من خالف القرآن يكفر ولو كان مخطئًا أو مذنباً معتقدا للوجوب والتحريم))[4].

---

[1] (?) ويلاحظ هنا أسلوب التخريب الذي يتخذه بعض المتنطعين وإتلاف ممتلكات المسلمين واستباحتها واستحلال دمائهم أصله ومصدره من أفكار هؤلاء الخوارج القدماء.

[2] (?) **تقدمت ترجمته.**

[3] (?) المائدة.

[4] (?) مجموع الفتاوى ج13/208-209. وانظر أيضًا ج7/ 479 وج19/73. وسيأتي الحديث عن هذا بالتفصيل في المباحث القادمة..

وثبت من هذا أن أول فرقة وقعت في الأمة من الخوارج القدماء الذين هم شيوخ ممن تأثر بآرائهم وأفكارهم وكفّر المسلمين بأهوائه ومبادئه المخالفة لفقه الكتاب والسنة وما كان عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والمقصود هنا بيان أول تفرق وقعت في الأمة كان بعد مقتل الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه برأي الخوارج الذي يعود إلى الجهل وقلة العلم بمسائل الأسماء والأحكام التي بسببها كفروا المسلمين وقاتلوهم واستحلوا دماءهم خلاف ما عليه هدي الصحابة رضوان الله عليهم من الاتفاق والأخوة في الدين.

قال شيخ الإسـلام ابن تيمية في الصحابة إنهم: ((لم يقتتلوا قط لاختلافهم في قاعدة من قواعد الإسلام أصـلا، ولم يختلفوا في شيء من قواعد الإسلام: لا في الصفات، ولا في القدر، ولا في مسائل الأسماء والأحكام، ولا في مسائل الإمامة. لم يختلفوا في ذلك بالاختصام بالأقوال، فضـلا عن الاقتتال بالسيف، بل كانوا مثبتين لصفات الله التي أخبر بها عن نفسه، نافين عنها تمثيلها بصفات المخلوقين، مثبتين للقدر كما أخبر الله به ورسوله، مثبتين للأمر والنهي، والوعد والوعيد، مثبتين لحكمة الله في خلقه وأمره، مثبتين لقدرة العبد واستطاعته، ولفعله مع إثباتهم للقدر))[1] .

- أصل ضلال الخوارج وأثر هذا الضلال على الأمة

وهـؤلاء الخوارج كما تقدم هم أوّل من فرَّق جماعة المسلين، وبآرائهم الفاسدة حصلت أول تفرق في الإسلام، وتكفير أهل القبلة بالذنوب واستحلال دمائهم وأموالهم باعتقادهم الفاسد ومذهبهم الباطل بدليل الكتاب والسنة.

---

1 (?) منهاج السنة ج6/336.

وأصل ضلالهم كما قرر شيخ الإسلام ابن تيمية: أنهم ظنوا أن الشخص الواحد لا يكون مستحقًا للثواب والعقاب، والوعد والوعيد، والحمد والذم، بل إما لهذا وإما لهذا، فأحبطوا جميع حسناته بالكبيرة التي فعلها، وقالوا: الإيمان هو الطاعة، فيزول بزوال بعض الطاعة ونحو ذلك[1] .

بل طردوا هذا الأصل الفاسد، وقالوا: لا يجتمع في الشخص الواحد طاعة يستحق بها الثواب، ومعصية يستحق بها العقاب ولا يكون الشخص الواحد محمودًا من وجه مذموماً من وجه، ولا محبوباً مدعوًا له من وجه مسخوطًا ملعوناً من وجه، ولا يتصور أن الشخص الواحد يدخل الجنة والنار جميعاً عندهم بل من دخل إحداهما لم يدخل الأخرى عندهم، ولهذا أنكروا خروج أحد من النار أو الشفاعة في أحد من أهل النار.

فقد غلطوا فيه وخالفوا فيه الكتاب والسنة وآثار الصحابة والتابعين لهم بإحسان[2]

قلتُ: ما تزال آثار هذه الآراء الفاسدة والبدع المضلة مستمرة في تفريق كلمة الأمة وتمزيق شملها، ممن ورث الكتاب من بعدهم يكفرون العلماء والأئمة، ويقتلون الأبرياء، ويستحلون الدماء، ويفسدون في الأرض، فلم يقيموا دنيًا منصورة ولا نصروا دينا صحيحا ومنهجا ربانية مقبولة ولا جمعوا قلوبًا متفرقةً في دين الله ولله ولا عزّ بهم هذا الدين الحنيف إلى يومنا هذا.

فعلى المسلم العاقل أن يحذر من بدعتهم وتفريقهم كلمة المسلمين بالذنوب وأفكارهم الضالة، ولا ينخدع بكثرة سجودهم وتعبدهم المبنية على الجهل وقلة الفقه، بل يعتصـم بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة من

---

1 (?) ينظر مجموع الفتاوى ج1/8 وج11/16 وج12/480 والعقيدة الأصفهانية ص175. بتصرف يسير فيه.

2 (?) انظر مجموع الفتاوى ج1/ 149 وج7353، 354.

الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وهو الصراط المستقيم. ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ[3] .

وسيأتي الكلام عن الخوارج وعن أصول مبادئهم وتاريخ ظهورهم بالتفصيل من خلال كلام شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-.

[3] (?) آل عمران (101).

المطلب الثاني: ابتداء ظهور أصول الفرق.

بين شيخ الإسلام هنا أصول الفرق وتاريخ ظهورها وأهم مبادئها التي خالف فيها الكتاب والسنة وهدي الصحابة – رضوان الله عليهم والتابعين لهم بإحسان.

وأنه لما تفرقت الأمة في مسألة((الأسماء والأسماء)) ظهرت أصول أول الفرق المخالفة للصحابة –رضوان الله عليهم- في الاعتقاد والسلوك والمنهج ومصدر تلقيها وبين –رحمه الله- أن المسلمين كانوا مستمسكين على جماعة واحدة في الاعتقاد والسلوك والمنهج، عمدتهم كتاب الله وسنة نبيه ومعتصمين بالقرآن والإيمان الذي تركهم عليه رسولهم ثم ترُكت هذا الإرث العظيم، وظهرت الفرق والأهواء المخالفة لهم في الاعتقاد والمنهج والسلوك وصارت عمدتها الآراء أو الأهواء والمعقولات أو الحكايات والمنامات والكشف والوجد والأذواق وغيرها، وباضت وفرّخت الفرق والطوائف الأخرى التي لها آراؤها ومبادؤها هي أصلها وإن اختلفت في بعض الآراء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-

((فلما حدث في الأمة ما حدث من التفرق والاختلاف صار أهل التفرق والاختلاف شيعاً، صار هؤلاء عمدتهم في الباطن ليست على القرآن والإيمان، ولكن على أصول ابتدعها شيوخهم، عليها يعتمدون في التوحيد والصفات، والقدر والإيمان بالرسول وغير ذلك، ثم ما ظنوا أنه يوافقها من القرآن احتجوا به، وما خالفها تأولوه، فلهـذا تجدهم إذا احتجوا بالقرآن والحديث لم يعتنوا بتحرير دلالتهما، ولم يستقصوا ما في القرآن من ذلك المعنى، إذ كان اعتمادهم في نفس الأمر على غير ذلك والآيات التي تخالفهم يشرعون في تأويلها شروع من قصد ردها كيف أمكـن))[1] .

أهمية معرفة أصول الفرق

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج13/58.

إن معرفة ظهور أصول الفرق وأسباب ظهورها، وكيف تشعبت وانتشرت وتفرقت إلى أحزاب ذوي أهواء مختلفة في غاية الأهمية فإن ذلك مما يبصِّربه المسلم وينير له الطريق الصحيح والمنهج الرباني الذي كان عليه سلف الأمة ويسلكه ويحمد الله إن كان عليه وهذا من أنفع العلوم خاصة في هذا العصر الذي قويت فيه الأهواء والفتن وتلاطمت أمواجها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((إنَّ معرفة أصول الأشياء ومبادئها. ومعرفة الدين وأصلـه، وأصل ما تولّد فيه من أعظم العلوم نفعا. إذ المرء ما لم يحط علمًا بحقائق الأشياء التي يحتاج إليها يبقى في قلبه حسكة[1]))[2].

ومن هذا المنطلق شرع– رحمه الله- في بيان ابتداء ظهور أصل الفرق ومكان ظهورها وأول من أسسها وفيما يأتي عرض تاريخي لظهور أصول أمّهات الفرق.

أمكنة ظهور البدع في الأمة وأوصولها:

وأما في أمكنة ظهور هذه البدع والأهواء والمقالات الفاسدة بالكتاب والسنة بين شيخ الإسلام ابن تيمية أنه لم تظهر في دار النبوة ومأرز الإيمان بل كلها نبغت في أمكنة أخرى بعيدة عن دار النبوة التي انطلق منها رسالة الإسلام ونور الإيمان.

فقال شيخ لإسـلام ابن تيمية-رحمه الله- ((وكان ظهور البدع بحسب البعد عن الدار النبوية، فلم يكن فيها بدعة ظاهرة البتة، ولا خرج منها بدعة في أصول الدين البتة، كما خرج من سائر الأمصار، فإن الأمصار الكبار التي سكنها أصحاب رسول الله، وخرج

---

1 (?) قال الليث: الحسك ثمر خشن يتعلق بأصواف الغنم. قال: وكل ثمرة يشبهها نحو ثمرة القطب والسعدان والهرس فهو حسك، والواحد حسكة، وحسك الصدر: حِقد العداوة/تهذيب اللغة للأظهري ج4/57 مادة (ح س ك).

2 (?) مجموع الفتاوى ج10/368.

منها العلم والإيمان خمسة: الحرمان[1] ، والعراقان،[2] والشام؛ منها خرج القرآن والحديث والفقه والعبادة وما يتبع ذلك من أمور الإسلام.

وخرج من هذه الأمصار بدع أصولية غير المدينة النبوية.

فالكوفة خرج منها التشيع والإرجاء، وانتشر بعد ذلك في غيرها.

والبصرة خرج منها القدر والاعتزال والنسك الفاسد، وانتشر بعد ذلك في غيرها

والشام كان بها النصب[3] والقدر.

وأما التجهم فإنما ظهر من ناحية خراسان وهو شر البدع**.**

أما المدينة فكانت سليمة من ظهور هذه البدع، وإن كان بها من هو مضمر لذلك فكان عندهم مهانا مذمومًا، إذ كان بها قوم من القدرية وغيرهم، ولكن كانوا مذمومين مقهورين، بخلاف التشيع والإرجاء بالكوفة، والاعتزال وبدع النساك بالبصرة، والنصب بالشام؛ فإنه كان ظاهرا.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي إن الدجال لا يدخلها، وفي الحكاية المعروفة أن عمرو بن عبيد وهو رأس المعتزلة مَرَّ بمن كان يناجي سفيان الثوري ولم يعلم أنه سفيان، فقال عمرو لذلك الرجل: من هذا؟ فقال: هذا سفيان الثوري، أو قال : من أهل الكوفة، قال: لو علمتُ بذلك لدعوته إلى رأيى، ولكن ظننتُه من هؤلاء المدنيين الذين يجيئونك من فوق، ولم يزل العلم والإيمان بها ظاهرًا إلى زمن أصحاب مالك وهم أهل

---

1 (?) مكة والمدينة النبوية.

2 (?) الكوفة والبصرة.

3 (?) الذين ناصبوا العداوة لعلي .

القرن الرابع؛ حيث اخذ القرن عن مالك وأهل طبقته كالثوري؛ والأوزاعي والليث ابن سعد[1] وحماد بن زيد[2] وحماد بن سلمة[3] وسفيان بن عيينة[4] وأمثالهم وهؤلاء أخذوا عن طوائف من التابعين، وأولئك اخذوا عمن أدركوا من الصحابة))[5] .

أولا: منشأ الخوارج وابتداء ظهورهم

أما الخوارج : فقد تحدثنا عنهم كثيراً من خلال كلام شيخ الإسلام السابق ومواضع كثيرة لكنه لا بأس من إعادة ذكرهم هنا لمناسبة المكان ولكونهم أم المشاكل وأول فرقة فرقت الأمة.

ظهور الخوارج:

---

1 (?) **هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن القهمي** أبو الحارث المصري: ثقة ثبتً فقيه إمام مشهور من السابعة، مات في شعبان سنة خمس وسبعين هـ. / تقريب التهذيب ص400ت(5685).

2 (?) **حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي**، أبو إسماعيل البصري ثقة ثبت فقيه. قيل: إنه كان ضريراً، ولعله طرأ عليه، لأنه صح أنه كان يكتب، من كبار الثامنة مات سنة تسع وسبعين، وله إحدى وثمانين سنة./ تقريب التهذيب ص 117ت (1498).

3 (?) **حماد بن سلمة بن دينار البصري** : ثقة عابد أثبت الناس في ثابت، وتغيّر حفظه بأخرة، من كبار الثامنة مات سنة سبع ستين./تقريب التهذيب ص117ت (1499).

4 (?) **سفيان بن عيينة بن أبي عمران**: ميمون الهلال، أبو محمد الكوفي، ثم المكي: ثقة حافظ فقيه إمام حجة، إلا أنه تغيّر حفظه بأخرة، وكان ربما دلّس لكن عن الثقات، من رؤوس الطبقة الثامنة. وكان أثبت الناس في عمرو بن دينار، مات في رجب سنة ثمان وسبعين، وله إحدى وتسعون سنة/تقريب التهذيب ص184ت(2451).

5 (?) انظر: مجموع الفتاوى ج20/300، 301، 302، 303. وانظر أيضا مجموع الفتاوى ج10/360، 361. ومنهاج السنة ج7/523

ذهب شيخ الإسلام إلى أن تاريخ ظهور طائفة الخوارج كفرقة يعود إلى فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه الخليفة الراشد؛ إذ بعد مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان صار لهم جماعة وقوة وإن كان أصل بدعتهم يعود إلى الخارجي الأول الذي طعن في سنة النبي .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((وكان المسلمون في خلافة أبى بكر وعمر وصدرًا من خلافة عثمان في السنة الأولى من ولايته **متفقين لا تنازع بينهم**، ثم حدث في أواخر خلافة عثمان أمور أوجبت نوعًا من التفرق وقام قوم من أهل الفتنة والظلم، فقتلوا عثمان فتفرق المسلمون بعد مقتل عثمان، ولما اقتتل المسلمون بصفين واتفقوا على تحكيم حكمين خرجت الخوارج على أمير المؤمنين علي بن أبى طالب وفارقوه، وفارقوا جماعة المسلمين إلى مكان يقال له حروراء، فكف عنهم أمير المؤمنين، وقال: لكم علينا أن لا نمنعكم حقكم من الفيء، ولا نمنعكم المساجد إلى أن استحلوا دماء المسلمين وأموالهم، فقتلوا عبد الله بن خباب وأغاروا على سرح المسلمين فعلم علي أنهم الطائفة التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه. ((تمرق مارقة من المسلمين يقتلهم أولى الطائفتين بالحق))[1] .

وكان مروقها لما حكم الحكمان وافتراق الناس على غير اتفاق))[2] .

وهذا أصل بدعة الخوارج آرائهم المخالفة للكتاب والسنة الصحيحة ، إذ كان المؤمن عندهم : هو البر التقي، قالوا فمن لم يكن بَرًّا تقياًّ فهو كافر وهو مخلد في النار، ثم قالوا:وعثمان وعلي ومن والاهما ليسوا بمؤمنين، لأنهم حكموا بغير ما أنزل الله، فكانت بدعتهم لها مقدمتان:

---

1 (?) تقدم تخريجه.

2 (?) مجموع الفتاوى ج13/ 32، 33 ومنهاج السنة ج1/306. مع تصرف يسير فيه.

((**الواحدة))** **أن من خالف القرآن بعمل أو برأيٍ أخطأ فيه فهو كـافر.**

((والثانية)) **أن عثمان وعلياً ومن والاهما كانوا كذلك))**[1] **.**

وهذه عمدة أصول الخوارج والخاصية التي هي فارقوا بهما جماعة المسلمين وأئمتهم:

1- خروجهم عن السنة، وجعلهم ما ليس بسيئة سيئة، أو ما ليس بحسنة حسنة، وهذا هو الذي أظهروه في وجه النبي حيث قال له ذو الخويصرة التميمي: اعدل فإنك لم تعدل، حتى قال له النبي : ((ويلك! ومن يعدل إذا لم أعدل؟ لقد خبت وخسرت إن لم أعدل))[2] **فقوله**: فإنك لم تعدل جعل منه لفعل النبي سفها وترك عدل، **وقوله**: ((اعدل)) أمرٌ له بما اعتقده هو حسنة من القسمة التي لا تصلح، **وهذا الوصف تشترك فيه البدع المخالفة للسنة،** فقائلها لابد أن يثبت ما نفته السنة، وينفى ما أثبتته السنة ويحسِّن ما قبَّحتْه السنة أو يُقَبِّح ما حسَّنَته السنة، وإلا لم يكن بدعة، وهذا القدر قد يقع من بعض أهل العلم خطأً في بعض المسائل؛ لكن أهل البدع يخالفون السنة الظاهرة المعلومة.

فإن الخوارج –كما تقدم- جوّزوا على الرسول نفسه أن يجور ويضل في سنته ولم يوجبوا طاعته ومتابعته، وإنما صدقوه فيما بلغه من القرآن دون ما شرعه من السنة التي تخالف – بزعمهم- ظاهر القرآن.

وغالب أهل البدع غير الخوارج يتابعونهم في الحقيقة على هذا؛ **فإنّهم يرون أن الرسول لو قال بخلاف مقالتهم لما اتبعوه**، كما يحكى عن عمرو بن عبيد[3] في حديث الصادق المصدوق، وإنما يدفعون عن نفوسهم الحجة:

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج13/30، 31.

2 (?) تقدم تخريجها.

3 (?) ستأتي ترجمته.

إما برد النقل؛ وإما بتأويل المنقول. فيطعنون تارة في الإسناد وتارة في المتن. وإلا فهم ليسوا متبعين ولا مؤتمين بحقيقة السنة التي جاء بها الرسول، بل ولا بحقيقة القرآن.

2- أنهم يكفرون بالذنوب والسيئات. ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم وأن دار الإسلام دار حرب ودارهم هي دار الإيمان[1] .

هذه هي مبادئهم الخوارج العامة:

التكفير بالذنب، واعتقاد ذنبًا ما ليس بذنب، واتباع القرآن دون السنة التي تخالف بزعمهم القرآن وإن صحت وتواترت.

وتكفير من خالفهم في هذا واستحلال دمه لارتداده عندهم. كما قال النبي فيهم : ((يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان)) ولهذا كفروا عثمان وعليًا، وشيعتهما، وكفروا أهل صفين الطائفتين في نحو ذلك من المقالات الخبيثة[2] .

الأسباب التي دفعت الخوارج إلى هذه البدعة التي فارقوا بها المسلمين

أما سبب ظهورهم وخروجهم على جماعة المسلمين وإمامهم كما قرر شيخ الإسلام ابن تيمية هو((ما فعله أمير المؤمنين عثمان وعلي ومن معهما من الأنواع التي فيها تأويل فلم يحتملوا ذلك، وجعلوا موارد الاجتهاد؛ بل الحسان ذنوباً، وجعلوا الذنوب كفرًا، ولهذا لم يخرجوا في زمن أبي بكر وعمر؛ لانتفاء تلك التأويلات وضعفهم)). [3]

وأيضا((سوء فهمهم للقرآن، لم يقصدوا معارضته، ولكن فهموا منه ما لم يدل عليه[4] فظنوا أنه يوجب

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج19/72، 73. وانظر أيضا ج7/482. وج 3/ 355.

2 (?) انظر:مجموع الفتاوى ج3/355.

3 (?) مجموع الفتاوى ج28/479.

4 (?) هو الجهل والحماس الزائد وعدم الرجوع إلى العلماء وأولي العلم وهم الصحابة.

تكفير أرباب الذنوب. وأنهم تمسكوا بظواهر النصوص، من غير اعتبار النصوص الأخرى، وهذه هي المبادئ العامة لفرقة الخوارج[1] .

ومعلوم أنه كلما ظهر نور النبوة كانت البدعة المخالفة أضعف، فلهذا كانت البدعة الأولى أخف من الثانية، و المستأخرة تتضمن من جنس ما تضمنته الأولى وزيادة عليها. كما أن السنة كلما كان أصلها أقرب إلى النبي كانت أفضل. فالسنن ضد البدع، فكل ما قرب منه مثل سيرة أبى بكر وعمر كان أفضل مما تأخر كسيرة عثمان وعلي، والبدع بالضد، كل ما بعد عنه كان شراً مما قرب منه، وأقربها من زمنه الخوارج. فإن التكلم ببدعتهم ظهر في زمانه؛ ولكن لم يجتمعوا وتصير لهم قوة إلا في خلافة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه. [2]

وهؤلاء هم أصول الخوارج وأول جماعةٍ خرجتْ على جماعة المسلمين وإمامهم يطعنون في علماء المسلمين وولاة أمرهم، ويكفِّرونهم بالذنب ويستبيحون بذلك دماءهم وأموالهم وأن دارهم دار إيمان ودار مخالفيهم دار حرب كما قرر شيخ الإسلام ابن تيمية.

ولهم أسماء يعرفون بها من ذلك : ((**الحرورية**)) لأنهم خرجوا بمكان يقال له حروراء.

ويقال لهم: ((**أهل النهروان**)) لأن عليًا قاتلهم هناك[3]

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج7/481.

2 (?) مجموع الفتاوى ج28/489-490.

3 (?) وكذلك ((**المحكمة الأولى**)) لقولهم: لا حكم إلا لله. و((**الشراة**)) لتمسكهم بآية: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ التوبة: ١١١.

ومن أصنافهم ((**الإباضية**[1])) أتباع عبدا لله بن إباض و ((**الأزارقة**))[2] أتباع نافع بن الأزرق. و ((**النجدات**))[3] أصحاب نجدة الحروري. وهم أول من كفر أهل القبلة بالذنوب[4] .

ثانيا: الشيعـة والتشيع:

1- أصول ابتداء ظهور التشيع، والرفض:

أ- الشيعة والتشيع:

ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- إلى أن التشيع لم يكن موجوداً في عهد النبي وليس مما كان عليه الصحابة –رضوان الله عليهم ولم يكن لهم فرقة أو

1 (?) **الإباضية** أتباع عبد الله بن إباض من بني مرة بن عبيد بن تميم يرجع نسبه إلى إباض وهي قرية العارض باليمامة، وهم فرقة من فرق الخوارج ، ومن معتقداتهم : تعطيل الصفات، وإنكار الرؤية، والقول بخلق القرآن، وتكفير المخالف، وأن مرتكب الكبيرة كافر كفر النعمة، ولا يشترطون الإمامة في القريش/ انظر : الملل والنحل / 1/134 -1 136.والموسوعة المسيرة ج1/62-65.

2 (?) **الأزارقة** فرقة من فرق الخوارج أتباع رجل منهم يقال له أبو راشد نافع بن الأزرق الحنفي. وقد أطبقوا على أن ديار مخالفيهم ديار الكفر، وأن قتل نساءهم وأطفالهم مباح، وأن رد أماناتهم لا تجب، وزعموا أن الرجم لا يجب على الزاني المحصن، وهؤلاء غلبوا على بلاد الأهواز وأرض فارس وكرمان في أيام عبد الله بن الزبير فقد قاتلهم وقتلهم/ انظر: التبصير في الدين ص49_50 والفرق بين الفرق للبغدادي ص62.

3 (?) النجدات فرقة من فرق الخوارج وهم أتباع نجدة بن عامر الحنفي، وكان من حاله أنه لما سمى نافع بن الأزرق من كان قد امتنع من نصرته مشركا وأباح قتل نساء مخالفيهم وأطفالهم خرج عليه قوم من أتباعه، وصاروا إلى اليمامة وبايعوا نجدة، وقالوا إن من يقول ما قاله نافع فهو كافر، ويكفرون أصحاب الحدود من موافقيهم، ويقولون كافر كفر النعمة لا كفر الدين../ الفرق بين الفرق ص55_56والتبصير في الدين ص53.

4 (?) مجموع الفتاوى ج7/481.

جماعة مشهورة لها كيانها كطائفة لها إمامها ودارها لا في عهد النبي ولا في عهدي أبي بكر وعمر ولا في عهد عثمان وإنما حدثت بعد فتنة مقتل عثمان .

**أصول الشيعة وابتداء ظهور كان في أواخر أيام علي بن أبي طالب **

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((وحدث في أيامه[1] **"الشيعة"** لكن كانوا مختفين بقولهم، لا يظهرونه لعلي وشيعته؛بل كانوا ثلاث طوائف:

الأولى: طائفة تقول: إنه إله، وهؤلاء لما ظهر عليهم أحرقهم بالنار، وخدَّ لهم أخاديد عند باب مسجد بني كندة وقيل إنه أنشد:

لما رأيت الأمر أمراً منكرًا أججتُ ناري ودعوت قنبراً

وقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنها قال : أتى علي بزنادقة فحرقهم بالنار، ولو كنت أنا لم أحرقهم؛ لنهي النبي أن يعذب بعذاب الله ولضربت أعناقهم لقوله: ((من بدل دينه فاقتلوه)) [2] .

وهذا الذي قاله ابن عباس هو مذهب أكثر الفقهاء، وقد روى أنه أجلهم ثلاثاً ليتوبوا فإنه خرج ذات يوم من باب كندة فسجد له أقوام، فقال: ما هذا؟ فقالوا : أنت هو فقال: من أنا؟ قالوا: أنت الله، فلما لم يتوبوا أحرقهم بالنار. [3] .

وهؤلاء هم الزنادقة الذين حرقهم علي بالنار وأمر بأخاديد خدتْ لهم عند باب كندة وقذفهم فيها بعد أن أجلهم، وقصتهم معروفة عند العلماء[4] .

---

1 (?)أي علي رضي الله عنه.

2 (?) صحيح البخاري مع الفتح ج12/279ح(6922) كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم. باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم..

3 (?) مجموع الفتاوى ج13/33-34. ومنهاج السنة ج1/307 والفتاوى كبرى ج1/57.

والثانية: السَّابّة: وكان قد بلغه عن أبى السوداء[1] أنه كان يسب أبا بكر وعمر، فطلبه. قيل: إنه طلبه ليقتله فهرب منه.

والثالثة: المفضِّلة: الذين يفضلونه على أبى بكر وعمر، فتواتر عنه أنه قال خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر وروى ذلك البخاري في صحيحه عن محمد بن الحنفية[2] أنه سأل أباه مَنْ خير الناس بعد رسول الله ؟ فقال: أبو بكر. قال: ثم مَنْ؟ قال عمر. وكانت الشيعة الأولى لا يتنازعون في تفضيل أبى بكر وعمر، وإنما كان النزاع في علي وعثمان؛ ولهذا قال شريك بن عبد الله[3] : إن أفضل الناس بعد رسول الله أبو بكر وعمر. فقيل له: تقول هذا وأنت من الشيعة؟. فقال: كل الشيعة كانوا على هذا. وهو الذي قال هذا على أعواد منبره أ فنكذبه فيما قال؟[4] ولهذا قال سفيان الثوري: ((مَنْ فَضَّلَ عليًا على أبى بكر وعمر فقد أَزْرى بالمهاجرين

---

4 (?) مجموع الفتاوى ج35/394 وانظر: المستدرك للحاكم ج 3/620. والتمهيد لابن عبد البر ج5/317 وطبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها لابن حيان ج2/343.

1 (?) هو عبد الله بن سبأ اليهودي.

2 (?) **هو محمد بن الأكبر بن علي بن** أبي طالب بن عبد المطلب ، وأمه الحنيفة خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة/ انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ج5/ 91.

3 (?) هو **شريك بن عبد الله النخعي** الكوفي القاضي بواسط ثم الكوفة أبو عبد الله صدوق يخطئ كثيراً تغير حفظه منذ وُلِّي القضاء بالكوفة، وكان عادلاً فاضلاً عابداً شديداً على أهل البدع من الثامنة/ مات سنة سبع أو ثمانٍ وسبعين هـ / تقريب التهذيب ص207ت(2787).

4 (?) لم أقف عليه.

والأنصار، وما أَرَى يصعد له إلى الله عز وجل عملٌ)) وهو كذلك. رواه أبو داود في سننه[1] [2] .

فتبين من هذا أن التشيع أمر محدث لم يكن له وجود في عهد النبي ولا في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، بل إنما حدث في أواخر عصر علي وكانت الشيعة الأول في بداية أمرهم غلاة فأحرقهم، والسَّابّة، وقد طلبهم ليقتلهم فهربوا، ومفضلة وهدد بجَلْدِهم كما **قال شيخ الإسلام:** ((فلما حدثت الفرقة بعد مقتل عثمان ظهرت بدعة الحرورية، وتقدم بعقوبته الشيعة من الأصناف الثلاثة الغالية، حيث حرقهم علي بالنار، والمفضلة حيث تقدم بجلدهم ثمانين، فقال: ((لا أوتى بأحدٍ يفضلني على أبى بكر وعمر إلا جلدته حد المفترين)) [3] وروي عنه من أكثر من ثمانين وجها، أنه قال: ((خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر))[4] .

والسبائية حيث توعدهم، وطلب أن يعاقب ابن سبأ[5] بالقتل أو بغيره فهرب منه))[6]

هكذا كان ابتداء ظهور الشيع في أول أمره فحاربهم علي وأطفأ نار فتنتهم

---

[1] (?) وجدته عند الطبراني في الأوسط ج1/254 بهذا اللفظ. وفي الحلية ج7/27.

[2] (?) مجموع الفتاوى ج13/34. ومنهاج السنة ج1/13.

[3] (?) فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل ج1/83: مؤسسة الرسالة - بيروت - 1403 - 1983 ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. وصي الله محمد عباس.
الاعتقاد و الهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث لأحمد بن الحسي البيهقي 358/دار الآفاق الجديدة بيروت ط:1، 1401هـ تحقيق عصام الكاتب.

[4] (?) أخرجه أحمد في مسنده ج1/106، 110، والطبراني في الكبير ج1/107 وفي الأوسط ج1/2910 ومصنف عبد الرزاق ج3/447 ومصنف ابن أبي شيبة ج6/351.صحيح.

[5] (?) سيأتي.

[6] (?) مجموع الفتاوى ج20/301.

و ((لم يكن لهم في ذلك الزمان جماعة ولا إمام ولا دار ولا سيف يقاتلون به المسلمين؛ وإنما كان هذا للخوارج تميزوا بالإمام والجماعة والدار، وسموا دارهم دار الهجرة وجعلوا دار المسلمين دار كفر وحرب))[1] .

ب- الرافضـة والرفض

وأما لفظ (الرافضـة) وأصل الرفض قد ظهر القول به بعد العشرين ومائة في أواخر خلافة هشام بن عبد الملك .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((فهذا اللفظ أول ما ظهر في الإسلام، لما خرج زيد بن علي بن الحسين في أوائل المائة الثانية في خلافة هشام بن عبد الملك، واتبعه الشيعة، فسئل عن أبي بكر وعمر فتولاهما وترحم عليهما، فرفضه قوم فقال: رفضتموني فسموا الرافضة، فالرافضة تتولى أخاه أبا جعفر محمد بن علي و الزيدية يتولون زيداً وينسبون إليه، ومن حينئذ انقسمت الشيعة إلى زيدية ورافضة إمامية))[2] .

وفي موضع آخر قال: ((إنما ظهر لفظ الرافضة لما رفضوا زيد بن علي بن الحسين في خلافة هشام [3] ، كانت بعد العشرين ومائة، سنة إحدى وعشرين أو اثنتين وعشرين ومائة في أواخر خلافة هشام.

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج13/35.

2 (?) مجموع الفتاوى ج13/35، 36.

3 (?) **هو ابن مروان الخليفة،** أبو الوليد القرشي الأموي الدمشقي. وُلد بعد السبعين، واستُخلف بعهد معقود له من أخيه يزيد. استُخلف في شعبان سنة خمس ومئة إلى أن مات في ربيع الآخر، وله أربع وخمسون سنة. /السير ج5/351، 353.

قال أبو حاتم البستي[1] : قتل زيد بن علي بن الحسين بالكوفة سنة اثنتين وعشرين ومائة وصلب على خشبة. وكان من أفاضل أهل البيت وعلمائهم ، وكانت الشيعة
تنتحله))[2].

قلت [3] : ومن زمن خروج زيد افترقت الشيعة إلى رافضة وزيدية.

فسموا رافضة لرفضهم إياه، وسمي من لم يرفضه من الشيعة زيديًّا لانتسابهم إليه، ولما صُلب كانت العُبَّاد تأتي إلى خشبته بالليل فيتعبدون عندها.

---

1 (?) **أبو حاتم الرازي الإمام** الحافظ الكبير محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي أحد الأعلام ولد سنة خمس وتسعين ومائة وقال كتبت الحديث سنة تسع ومائتين، رحل وهو أمرد فسمع عبيد الله بن موسى، ومحمد بن عبد الله الأنصاري، والأصمعى وأبا نعيم،وغيرهم وبقي في الرحلة زمانا طوّف البلاد وبرع في المتن والإسناد، وجمع وصنّف، وجرح وعدَّل، وصحح وعلَّل، وهو من نظراء البخاري ومن طبقته، ولكنه عُمِّر بعده أزيد من عشرين عاما. قال أبوحاتم: ((أول ما رحلتُ أقمت سبع سنين ومشيت على قدمي زيادةً على ألف فرسخ، ثم تركت العدد وخرجت من البحرين إلى مصر ماشياً، ثم إلى الرملة ماشيا، ثم إلى طرسوس ولي عشرون سنة، قال موسى بن إسحاق الأنصاري القاضي: ما رأيت أحفظ من أبي حاتم. وقال أحمد بن سلمة الحافظ :ما رأيت بعد محمد بن يحيى أحفظ للحديث ولا أعلم بمعانيه من أبي حاتم. وقال النسائي ثقة. ومن مصنفاته((الجرح والتعديل)) توفى أبو حاتم في شعبان سنة سبع وسبعين وله اثنتان وثمانون سنة/انظر السير ج13/247_262 وتذكرة الحفاظ ج567_570.

2 (?) مشاهير علماء الأمصار لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم البستي ص63. دار الكتب العلمية.

3 (?) أي شيخ الإسلام ابن تيمية.

فلم يكن لفظ الرافضة معروفاً إذ ذاك، وبهذا يعرف كذب لفظ الأحاديث المرفوعة التي فيها لفظ الرافضة[4].

ولكن كانوا يسمون بغير ذلك الاسم، كما كانوا يسمون الخشبية لقولهم: إنا لا نقاتل بالسيف إلا مع إمام معصوم، فقاتلوا بالخشب. ولهذا جاء عن الشعبي[1] : "ما رأيت أحمق من الخشبية"))[3] [4] .

---

4 (?) ومما ينبغي أن ينبه عليه أن رافضة اليوم يسمون أنفسهم بالشيعة وقد اشتهرت هذه التسمية وتأثر بها بعض العوام وحتى بعض المفكرين أو المثقفين فيطلقون عليهم هذه التسمية وهذا غلط فإن الشيعة مصطلح عام يشمل كل من شايع علياً. ولذا فإن تسمية ((الرافضة)) بالشيعة من الأخطاء البينة الواضحة التي وقع فيها بعض المعاصرين، تقليداً للرافضة في سعيهم للتخلص من هذا الإسم لما رأوا من كثرة ذم السلف لهم، ومقتهم إياهم، فأرادوا التخلص من ذلك الاسم تمويهاً وتدليساًعلى من لا يعرفهم بالإنتساب إلى الشيعة على وجه العموم، فكان من آثار ذلك ما وقع فيه بعض الطلبة المبتدئين ممن لم يعرفوا حقيقة هذه المصطلحات من الخلط الكبير بين أحكام الرافضة وأحكام الشيعة، لما تقرر عندهم إطلاق مصطلح التشيع على الرافضة، فظنوا أن ما ورد في كلام أهل العلم المتقدمين في حق الشيعة أنه يتنزل على الرافضة في حين أن أهل العلم يفرقون بينهما في كافة أحكامهم.

وعليه فإن من الواجب أن يسمة هؤلاء الرافضة بمسماهم الحقيقي الذي اصطلح عليه أهل العلم وعدم تسميتهم بالشيعة على وجه الإطلاق، لما في ذلك من اللبس والإيهام، وإذا ما أطلق عليهم مصطلح ((التشيع)). فينبغي أن يقيد بما يدل عليهم خاصة، كأن يقال((الشيعة الإمامية)) أو ((الشيعة الاثنى عشرية)) على ما جرت بذلك عادة العلماء عند ذكرهم/ مقالات الإسلاميين ج1/65ووالانتصار للصحب والآل، ص30. وفكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة /لعلي محمدمحمد الصلابي ص86-87.

2 (?) **الإمام الشعبي** عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار- وذو كبار: قَيْلٌ من أقيال اليمن- الإمام علامة العصر، أبو

وكانت الشيعة أصحاب علي يقدمون عليه أبا بكر وعمر، وإنما كان النزاع في تقدمه على عثمان، ولم يكن حينئذ يُسَمَّى أحدٌ لا إمامياًّ ولا رافضياًّ إلا بعد ذلك، وكلما زادوا في البدعة زادوا في الشر، فالزيدية خير من الرافضة: أعلم وأصدق وأزهد وأشجع[1]

ولم يجتمعوا ويصير لهم قوة إلا بعد مقتل الحسين ؛ بل لم يظهر اسم الرفض إلا حين خروج زيد بن علي بن الحسين بعد المائة الأولى

عمرو الهمداني ثم الشعبي. رأى علياًّ وصلى خلفه، وسمع من عدة من كبار الصحابة. وحدّث عن سعد بن أبي وقاص وأبي موسى الأشعري، وعدي بن حاتم، وأبي مسعود البدري، وأبي هريرة – وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم . عن مكحول قال: ما رأيت أحداً أعلم من الشعبي. عن منصور بن عبد الرحمن، عن الشعبي قال: أدركت خمسمائة من أصحاب رسول الله . وقال عاصم بن سليمان: ما رأيت أحداً أعلم بحديث أهل الكوفة والبصرة والحجاز والآفاق من الشعبي،ومات الشعبي سنة أربع ومائة. وقد بلغ ثنتين وثمانين سنة/ انظر : السير ج4/294 – 319.

[3] (?) انظر السنة للخلال ج3/497.

[4] (?) منهاج السنة ج1/34، 35، 36.

[1] (?) منهاج السنة ج2/96.

فسموا ((رافضة)) [1] واعتقدوا أن أبا جعفر[2] هو الإمام المعصوم. واتبعه آخرون فسموا ((زيدية))نسبة إليه[3] .

وهؤلاء أشد الناس حرصًا على تفريق جماعة المسلمين؛ فإنهم لا يقرون لولي أمر بطاعة، سواء كان عدلاً أو فاسقًا؛ ولا يطيعونه لا في طاعة ولا في غيرها؛ بل أعظم أصولهم عندهم التكفير واللعن والسب لخيار ولاة الأمور؛ كالخلفاء الراشدين، والعلماء المسلمين،

---

[1] (?) وقال أيضا في موضع آخر: ((وقيل إنما سموا رافضة لرفضهم أبا بكر وعمر. ولهذا قيل للإمام أحمد من الرافضي؟ قال: الذي يسب أبا بكر وعمر))/مجموع الفتاوى ج4/435.

[2] (?) **أبو جعفر الباقر** هو سيد الإمام، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي العلوي الفاطمي، المدني، وَلَد زين العابدين، وُلد سنة ستٍّ وخمسين في حياة عائشة رضي الله عنها/ وأبي هريرة . روى عن جدَّيْه: النبي ، وعلي مرسلاً، وجدَّيه الحسن والحسين مرسلاً أيضاً، وعن ابن عباس، وأم سلمة وعائشة مرسلاً، وعن ابن عمر ، وجابر. حدَّث عنه ابنه، وعاء ابن رباح، والزهري غيرهم. قيل مات سنة 114هـ/ انظر :السير ج4/401 وما بعدها.

[3] (?) مجموع الفتاوى ج28/490.

ومشايخهم؛[1] لاعتقادهم أنّ كل من لم يؤمن بالإمام المعصوم الذي لا وجود له فمـا
آمـن بالله ورسوله.[2]

2- الأسس التي ينبني عليها دين الرافضة (شرعيات وعقليات):

بين شيخ الإسلام ابن تيمية أن دين الرافضة يعتمد على انتحال حب أهل البيت ووجوب اتباعهم ودعوى العصمة لهم .

---

[1] (?) ومن ذلك ما جاء في رسائل ((الكرخي)) ج2/223، 224، 225قال: ((بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله الطاهرين. أما بعد، قدبرز الأمر العالي المطاع- أعلاه الله تعالى وأنقذه في الأقطار- بتعيين المخالفين لأمير المؤمنين وسيد الوصيين عليه من الله تعالى أفضل الصلوات وأكمل التحيات، **والإشارة إلى شيء من أحوال مخالفيهم، الموجبة لاستحقاقهم الطعن واللعن من المؤمنين، والخلود في العذاب المقيم يوم يقوم الناس لرب العالمين. ... فنقول وبالله التوفيق: إن المنحرفين عن أمير المؤمنين عليه السلام والمخالفين والمظاهرين على عداوته خلق كثير من الصحابة والتابعين وتابعيهم من** بعدهم، وقد تعرض العلماء لذكر كثير منهم في كتب التاريخ والحديث وكتب أسماء الرجال وغيرها. وروى المحدثون من أهل السنة أن معاوية بن أبي سفيان لعنهما الله لعنا لا يحصى. كان يختلق الأحاديث الشنيعة في حق أمير المؤمنين صلوات الله عليه وينسبها إلى النبي صلى الله عليه وآله، ويستشهد عليها قوما من الصحابة، حتى أنه في مرة من المرات شهد له على بعض مفترياته أربعمائة رجل من الصحابة، فيستحقون اللعن بذلك. إلى أن قال: وقد قال الله تعالى: (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة)،
والذين ينبغي أن نذكرهم هاهنا هم الرؤساء والرؤوس من أعدائه دون الأتباع والأذناب. فنقول: لا ريب في عداوة أبي بكر بن أبي قحافة التيمي لأمير المؤمنين عليه السلام، وبقدم وعداوته لكافة أهل البيت عليهم السلام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((والرافضة تنتحل اتباع أهل البيت، وتزعم أن فيهم المعصوم الذي هو الإمام المنتظر موجود غائب عن الأبصار، لا يخفى عليه شيء من العلم، ولا يخطئ؛ لا عمداً، ولا سهواً، ولا رشداً[1] [2] .

وهم في دينهم لهم عقليات وشرعيات:

وكذلك ابن عمه طلحة بن عبيد الله التيمي، وهو ممن ظاهر عثمان على أمير المؤمنين.
ومن رؤوس أعدائه عمر بن الخطاب العدوي القرشي، وهو الفظ الغليظ.وإيذائه لفاطمة . وكذا ابنه عبد الله وإن ستر عداوته ببعض الستر.
ومن رؤوس أعدائه عثمان بن عفان الأموي، وعمه الحكم بن العاص طريد رسول الله وعدوه ورأس المنافقين، وولده مروان وابنه عبد الملك وإخوته وذريتهم عليهم جميعا لعنة الله. نعم نسكت عن عمر بن عبد العزيز، ونكل أمره إلى الله تعالى وإلى أمير المؤمنين عليه السلام، لأنه تظاهر في أيام ولايته بمحبة أمير المؤمنين، فلا نقول فيه خيرا ولا شرا، إلى أن قال : والحاصل أن بني أمية قاطبة ملعونون مطرودون، وذلك وردت النصوص عن أهل البيت عليهم السلام. وقد ذكر المفسرون أن قوله تعالى: (والشجرة الملعونة في القرآن)) المراد بها: شجرة بني أمية. ومن رؤوس المنافقين عمرو بن العاص القرشي الهاشمي، وسعد بن أبي وقاص القرشي من بني زهرة، وعبد الرحمن بن عوف القرشي بذل جهده واستفرغ وسعه يوم الشورى في صرف الأمر عن أمير المؤمنين عليه السلام. وأبو عبيدة الجراح، وهو أول من حزن وهم حين أمر النبي صلى الله عليه وآله بولاية علي عليه والسلام بغدير خم، وتحضض وتحرص الأول. والثاني على أخذ الخلافة من أهل البيت عليهم السلام. والزبير بن العوام القرشي. وأما خالد بن الوليد عليه من الله تعالى لعنات تتوالى وتتوارد وتترادف إلى يوم العرض على الله تعالى....)) . وهذا كله يصدق ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية في أمر الرافضة وشدة عداوتهم للصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وسبهم ولعنهم ووصفهم

فالعقليات متأخروهم فيها أتباع المعتزلة[1] إلا مَنْ تَفَلْسَفَ منهم فيكون **إما** فيلسوفا، **وإما** ممتزجًا من فلسفة واعتزال، ويضمُّ إلى ذلك الرفض، فقد اعتمدوا على كتب المعتزلة، ووافقوهم في مسائل الصفات والقدر[2] . والمعتزلة في الجملة أعقل وأصدق، وليس في المعتزلة من يطعن في خلافة أبى بكر وعمر وعثمان

بأنهم رؤوس المنافقين والعياذ بالله وعلى رأسهم أبوبكر الصديق ، وعمر، وعثمان والعشر المبشرين بالجنة كلهم عند الرافضة من رؤوس المنافقين وملعونون، فدينهم سب ولعن كما ذكر شيخ الإسلام.

[2] (?) مجموع الفتاوى ج 28/488. وجاء في طرائف المقال لسيد علي البروجردي ج/287 : ((إن الأئمة معصومون كالأنبياء يقومون مقامهم في إرشاد الناس، ووجوب اتباعهم، وأنه منصوص عليهم من الله ورسوله، لأن العصمة لطف خفي لا يعلمه إلا الله. وأنهم الاثنا عشر ليسوا بأقل ولا أكثر، والثاني عشر هو الإمام القائم المنتظر)).

[1] (?)مجموع الفتاوى ج28/491، وج22/367. ومنهاج السنة ج 5/176.

[2] (?) جاء في بحار الأنوار للمجلسي ج25/209 عن محمد بن النعمان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الله عز وجل لم يكلنا إلى أنفسنا ولو وكلنا إلى أنفسنا لكنا كبعض الناس، ونحن الذين قال الله عزوجل لنا: (ادعوني أستجب لكم).

إعلم أن الإمامية رضي الله عنهم اتفقوا على عصمة الأئمة عليهم السلام من الذنوب صغيرها وكبيرها، فلا يقع منهم ذنب أصلاً لا عمداً ولا نسياناً ولا خطأً في التأويل، ولا للاسهاء من الله سبحانه ولم يخالف فيه. إلا الصدوق ومحمد بن بابويه وشيخه ابن الوليد رحمة الله عليهما، فإنهما جوزا الاسهاء من الله تعالى لمصلحة في غير ما يتعلق بالتبيلغ وبيان الأحكام، لا السهو الذي يكون من الشيطان وقد مرت الأخبار والأدلة عليها في المجلد السادس والخامس)).

[1] (?) سيأتي الكلام عنهم إن شاء الله.

رضي الله عنهم، بل هم متفقون على تثبيت خلافة الثلاثة.[1]

وأما شرعياتهم فعمدتهم فيها على ما يُنقل عن بعض أهل البيت مثل أبي جعفــر الباقر،[2] وجعفر بن محمد الصادق[3] وغيرهما.

---

[2] (?) كان متكلمو الشيعة كهشام بن الحكم بن الجواليقى ويونس بن عبد الرحمن القمي وأمثالهم يزيدون في إثبات الصفات على مذهب أهل السنة، فلا يقنعون بما يقوله أهل السنة والجماعة من أن القرآن غير مخلوق وأن الله يُرى في الآخرة وغير ذلك من مقالات أهل السنة والحديث، حتى يبدعون الغلو في الإثبات والتجسيم والتبعيض والتمثيل ما هو معروف من مقالاتهم التي ذكرها الناس. ولكن في أواخر المائة الثالثة دخل من الشيعة في أقوال المعتزلة كابن النوبختي صاحب كتاب ((الآراء والديانات)) وأمثاله، وجاء بعد هؤلاء المفيد بن النعمان وأتباعه.
ولهذا تجد المصنفين في المقالات- كالأشعري- لا يذكرون عن أحد من الشيعة أنه وافق المعتزلة في توحيدهم وعدلهم إلا عن بعض متأخريهم، وإنما يذكرون عن بعض قدمائهم التجسيم وإثبات القدر وغيره. وأول من عرف عنه في الإسلام أنه قال : إن الله جسم، هو هشام بن الحكم. بل قال الجاحز في كتابه ((الحجج في النبوة)): ليس على ظهرها رافضي إلا وهو يزعم أن ربه مثله، وأن البدوات تعرض له، وأنه لا يعلم الشيء قبل كونه إلا بعلم يخلقه لنفسه. وقد كان ابن الراوندي وأمثاله من المعروفين بالزندقة والإلحاد صنفوا لهم كتباً على أصولهم./منهاج السنة ج1/72-73. وانظر أيضا: منهاج السنة ج2/245وج3/6،7.

[1] (?) منهاج السنة ج1/70، وج5/162.

[2] (?) تقمت ترجمته.

[3] (?) **جعفر بن محمد ابن علي بن الشهيد** أبي عبد الله، ريحانة النبي وسبطه و محبوبه الحسين بن أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، وأمه أم فرْوة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر التيمي، وأمها أسماء

وذلك النقل منه ما هو صدق ومنه ما هو كذب عمدًا أو خطأ، وليسوا أهل معرفة بصحيح المنقول وضعيفه كأهل المعرفة بالحديث.

ثم إذا صح النقل عن بعض هـؤلاء، فإنهم بنوا وجوب قبول قول الواحد من هؤلاء على ثلاثة أصـول:

الأول: أن كل واحد من هؤلاء إمام معصوم بمنزلة النبي ، لا يقول إلا حقًا ولا يجوز لأحد أن يخالفه، ولا يرد ما ينازعه فيه غيره إلى الله والرسول، فيقولون عنه ما كان هو وأهل بيته يتبرّؤون منه.

الثاني : أن كل ما يقوله واحد من هؤلاء فإنه قد عُلم منه أنه قال: أنا أنقل كل ما أقوله عن النبي نقـلاً.

وياليتهم قنعوا بمراسيل التابعين كعلي بن الحسين، بل يأتون إلى مَنْ تأخر زمانه

كالعسكريين فيقولون: كـل ما قاله واحــد من أولئـــك فالنبي قد قاله.

بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، ولهذا كان يقول: ولدني أبو بكر الصديق مرتين, وكان يغضب من الرافضة، ويمقتهم إذا علم أنهم يتعرضون لجده أبي بكر ظاهراً وباطناً. هذا لا ريب فيه، ولكن الرافضة قوم جهلة، قد هوى بهم الهوى في الهاوية فبعداً لهم. مات جعفر الصادق في 248هـ انظر: السير ج6/255- 265.

أيضا: ((وكل من له عقل يعلم أن العسكريين بمنزلة أمثالهما ممن كان في زمانهما من الهاشـميين، ليس عنـدهم من العلم ما يمتـازون به عن غيرهم، ويحتـاج إليهم فيه أهل العلم، ولا كـان أهل العلم يأخـذون عنهم، كما يأخذون عن علمـاء زمـانهم، وكما كـان أهل العلم في زمن عليّ بن الحسين، وابنه أبي جعفر، وابن ابنه جعفر بن محمـد؛ فـإن هـؤلاء الثلاثة رضي الله عنهم قد أخذ أهل العلم عنهم، كما كانوا يأخذون عن أمثالهم، بخلاف العسكريين ونحوهما؛ فإنه لم يأخذ أهل العلم المعروفـون بـالعلم عنهم شـيئا، فيريــدون أن يجعلــوا ما قاله الواحد من هــؤلاء هو قــول الرسول الذي بعثه الله إلى جميع العالمين، بمنزلة القرآن والمتواتر من الســنن. وهــذا مما لا يبــني عليه دينه إلا من كــان من أبعد النــاس عن طريقة أهل العلم والإيمان))/ منهاج السنة ج5/164-165.

(?) منهاج السنة ج1/164،165 وج5/69.

وأصلوا أصلاً ثالثا: وهو أن إجماع الرافضة هو إجماع العترة، وإجماع العترة معصوم، حجة، ثم يدَّعون أن العترة هم الاثنا عشر، ويدعون أن ما نقل عن أحدهم فقد أجمعوا كلهم عليه[1] .

فهذه أصول الشرعيات عندهم وهي أصول فاسدة، لا يعتمدون على القرآن ولا على الحديث ولا على الإجماع إلا لكون المعصوم منهم، ولا على القياس وإن كان واضحًا جليًا[2] .

ويقولون: أصول الدين أربعة:التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة. وهذا منتهى الإمام عندهم: الإيمان بأنه معصوم غائب عن الأبصار، كائن في الأمصار، سيخرج الدينار من قعر البحار، يطبع الحصى، ويُورق العصا،. دخل سرداب سامرّا سنة ستين ومائتين، وله من العمر: إما سنتان، وإما ثلاث، وإما خمس، أو نحو ذلك، بعد موت أبيه[3] ؛ فإنهم مختلفون في قدر عمره، ثم إلى الآن لم يعرف له خبر[4] . ودين الخلق مسَلَّم إليه؛ فالحلال ما حلله، والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه، ولم ينتفع به أحد من عباد الله، وليس عنده نقل ثابت عنه [5] .

فأهم مبادئ الرافضة وأعظم أصول أهلها التي خرجوا بها على جماعة المسلمين وسلفهم الصالح

---

1 (?) منهاج السنة ج1/164،165 وج5/69.

2 (?) منهاج السنة ج1/69.

3 (?) وقد ذكر بن جرير الطبري ، وعبد الباقي بن قانع وغيرهما من أهل العلم بالأنساب والتواريخ **أن الحسن بن علي العسكري لم يكن له نسل ولا عقب**/منهاج السنة ج4/87.

4 (?) هذا في زمن شيخ الإسلام ابن تيمية، وإلى عصرنا هذا لم نجد له أثراً ولا خبراً.

5 (?) منهاج السنة ج1/99، 104 ، 120، 122، 123،وج 3/484، وج4/ 87، 90، وج5/ 176، وج8/261، ومجموع الفتاوى ج11/439، 280، 401.

هي:

أن النبي نص على خلافة علي نصا قاطعا للعذر، وأنه إمام معصوم ومن خالفه كفر،

وأن المهاجرين والأنصار كتموا النص، وكفروا بالإمام المعصوم واتبعوا أهواءهم، وبدلوا الدين وغيروا الشريعة، وظلموا، واعتدوا، بل كفروا.

وأن أبا بكر وعمر وعثمان، وأهل بدر، وبيعة الرضوان وجمهور المهاجرين والأنصار وأزواج النبي مثل عائشة وحفصة،والتابعين لهم بإحسان كسعيد بن المسيب،وأبي مسلم الخولاني، وأويس القرني، وعطاء بن أبي رباح، وإبراهيم النخعي، وكل من اعتقد فيهم العدالة أو ترضى عنهم أو استغفر لهم كما أمر الله في كتابه، وأئمة الإسلام وعلماء هم أهل المذاهب الأربعة(كإمام مالك والشافعي، وأبي حنيفة، وأحمد) والأوزاعي، وزيد وحماد بن سلمة، والثوري، ، وفضيل بن عياض، وأبي سلمة الداراني، ومعروف الكرخي، و الجنيد بن محمد، وسهل بن عبد الله التستري وغيرهم، ومشايخ الإسلام، وعبادهم وملوك المسلمين وأجنادهم، وعوام المسلمين وأفرادهم ومن والاهـم ، كل هؤلاء عندهم كفار مرتدون أكفر من اليهود والنصارى، فما آمنوا بالله طرفة عين قط! لأن الإيمان الذي يتعقبه الكفر عندهم يكون باطلا من أصـله[1] .

هذا مذهب الرافضة والأصـول التي فارقوا بها جماعـة المسلمين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وتاريخ ظهوره في الأمة، فهي أصول غريبة ودخيلة على الأمة .

ولم يكن أحد من علماء الأمة من ينتسب إلى الرافضة كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية لا إمام أبو حنيفة ولا إمام مالك ولا إمام الشافعي ولا إمام أحمد

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج28/ 400،474، 477، 481، 527، ومنهاج السنة ج3/165، 295، 450، 468.

-رحمهم الله- بل كلهم ذموا الرافضة الإمامية وغيرهم وجهلهم بالدين وهذه من الأمور المعلومة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

((ثم من المعلوم لكل عاقل أنه ليس في علماء المسلمين المشهورين أحد رافضي، بل كلهم متفقون على تجهيل الرافضة وتضليلهم، وكتبهم كلها شاهدة بذلك، وهم دائماً يذكرون من جهل الرافضة وضلالهم ما يُعلم معه بالاضطرار أنهم يعتقدون أن الرافضة من أجهل الناس وأضلهم، وأبعد طوائف الأمة عن الهدى.

كيف ومذهب هؤلاء الإمامية.

والله يعلم أني مع كثرة بحثي وتطلعي إلى معرفة أقوال الناس ومذاهبهم ما علمتُ رجلاً له في الأمة لسان صدق يُتهم بمذهب الإمامية، فضلا عن يقال: إنه يعتقده في الباطن)) [1]

ج- أول من وضع أصول الرافضـة

وأول من وضع هذه الأصول وتبلورت عنه هذه الأفكار والمعتقدات الخطيرة التي فارقوا بها جماعة المسلمين واستحلوا بها دماء من خالفهم هو عبد الله بن سبأ اليهودي .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((وقد ذكر أهل العلم أن مبدأ الرفض إنما كان من الزنديق عبد الله بن سبأ[2]،

---

1 (?) منهاج السنة ج4/130، 131.

2 (?) قال ابن حجر في لسان الميزان ج3/289 رقم (1225): ((عبد الله بن سبا من غلاة الزنادقة ضال مضل أحسب أن عليا حرقه بالنار وزعم أن القرآن جزء من تسعة أجزاء وعلمه عند علي فنفاه علي بعد ما هم به انتهى. قال ابن عساكر في تاريخه: ((كان أصله من اليمن وكان يهوديا فأظهر الإسلام وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة ويُدخل بينهم الشر)). عن زيد بن وهب قال: قال علي : ((ما لي ولهذا الخبيث الأسود)) يعني عبد الله بن سبأ كان يقع في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ومن طريق محمد بن عثمان بن أبي شيبة ثنا محمد بن العلاء ثنا أبو بكر بن

فإنه أظهر الإسلام وأبطن اليهودية، وطلب أن يفسد الإسلام كما فعل بولص النصراني الذي كان يهوديا في إفساد دين النصارى وسعى في الفتنة حتى قتل عثمان بن عفان وجرى ما جرى من الفتنة ثم لما قدم الكوفة أظهر الغلو في علي، والنص عليه ليتمكن بذلك من أغراضه فأراد أمير المؤمنين قتله لما بلغه أنه يسب أبا بكر وعمر حتى هرب منه إلى قرقيسيا[1] وهو أول من

عياش عن الشعبي قال: أول من كذب عبد الله بن سبأ. عن زيد بن وهب أن سويد بن غفلة دخل على علي في غمارته فقال: إني مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر يرون أنك تضمر لهما مثل ذلك منهم عبد الله بن سبأ، وكان عبد الله أول من أظهر ذلك فقال علي: ((ما لي ولهذا الخبيث الأسود)) ثم قال معاذ الله أن أضمر لهما إلا الحسن الجميل، ثم أرسل إلى عبد الله بن سبأ فسيره إلى المدائن وقال : لا يساكنني في بلدة أبدا ثم نهض إلى المنبر حتى اجتمع الناس، فذكر القصة في ثنائه عليهما بطوله وفي آخر: ولا يبلغني عن أحد يفضلني عليهما إلا جلدته حد المفتري،.

وأخبار عبد الله بن سبأ شهيرة في التواريخ وليس له رواية ولله الحمد، وله أتباع يقال لهم: السبائية، معتقدون إلهية لعلي بن أبي طالب وقد أحرقهم علي بالنار في خلافته)). وقد ذكر قصته أصحاب الفرق والمقالات وغيرهم/انظر: التبصيرة في الدين في تمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكة للأسفراييني ص 123، 124، ط:1، 1983 تحقيق كمال يوسف الحوت. وكتاب الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية لعبد القاهر البغدادي ص15/ط:2، 1977. وكتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهري ج1/164، وج 2/91 وكتاب مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري ص15/ دار إحياء التراث العربي ط:3، تحقيق هلموت ريتر.

[1] (?) قرقيسيا بالفتح ثم السكون وقاف أخرى وياء ساكنة وسين مكسورة وياء أخرى وألف ممدودة ويقال بياء واحدة. فهي في مثلث بين الخابور والفرات، سميت بقرقيسيا بن

ابتدع القول بالعصمة لعلي وبالنص عليه في الخلافة والقول بالرجعـة[1] .

((والتشيع المتوسط الذي مضمونه تفضيل علي وتقديمه على غيره ونحوه لم يكن هذا من إحداث الزنادقة دعوى النص فيه وفي العصمة فإن الذي ابتدع ذلك كان منافقاً زنديقاً، بل الذي ابتدأ ذلك لم يكن قصده اتباع الأنبياء، بل وضع ذلك كما وضعت عبادة الأوثان، وغير ذلك من أديان الكفار، مع علمهم بأن ذلك مخالف للرسل، كما ذكر عن مبدلة اليهود، ثم فشا ذلك فيمن لم يعرفوا أصل ذلك)). [2]

وفي هذا بيان لخطر أصل أصول معتقدات الرافضة وخطورة واضعها ومبتدعها على الأمــة واعتقدها ولم يتأمل في أصل مبتدعها ومقصده واتخذها مذهباً ودينا ً يعادي بها صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم بإحسان؛ بل يلعنهم ويكفرهم!!.

ولا ريب أن هذا جهل وأن هذه الأصول المبتدعة وضعها هذا الحقير المسكين الذي خسر الدنيا والآخرة وأفسد بها دين أتباعه وعزلهم عن الصراط ولعب بعقولهم حتى آمنوا أو صدقوا بالمستحيل وادعوا بعصمة أئمتهم وفارقوا جماعة المسلمين.

لا أحد معصوم ولا محفوظ من الذنوب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا من آل البيت ولا ولي من الأولياء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- : ((وقد أجمع جميع سلف المسلمين وأئمة الدين من جميع

طمهمورث الملك قال بطلموس مدينة قرقيسيا طولها أربع وستون درجة، وقرقيسيا على الفرات المضيقة./ معجم البلدان ج4/328

[1] (?) مجموع الفتاوى ج4/102، 435، و22/367، وج 28/ 184، 185، 483 ، ومنهاج السنةج1/ 23، 2/510. وج 8/479.

[2] (?) مجموع الفتاوى ج17/445، 446.

الطوائف أنه ليس بعد رسول الله أحد معصوم، ولا محفوظ لا من الذنوب ولا من الخطأ، بل من الناس إذا أذنب استغفر وتاب، وإذا أخطأ تبين له الحق فرجع إليه، وليس هذا واجباً لأحد بعد رسول الله ، بل يجوز أن يموت أفضل الناس بعد الأنبياء وله ذنب يغفره الله، وقد خفي عليه من دقيق العلم، ما لم يعرفه، ولهذا اتفقوا على أنه ما من الناس أحد إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله .)) [1]

وأئمة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وعليهم السلام من المحترمين عند أهل السنة والجماعة ومن سادات هذه الأمة فإنهم آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((ولا ريب أن هؤلاء من سادات المسلمين، وأئمة الدين، ولأقوالهم من الحرمة والقدر ما يستحقه أمثالهم، لكن كثيرَ مما ينقل عنهم كذب والرافضة لا خبرة لها بالأسانيد والتمييز بين الثقات وغيرهم، بل هم في ذلك من أشباه أهل الكتاب كل ما يجدونه في الكتب منقولا عن أسلافهم قبلوه .

وإذا صح النقل عن علي بن الحسين فله أسوة نظرائه كالقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله وغيرهما، كما كان علي ابن أبي طالب مع سائر الصحابة[2] وقد قال تعالى ﴿ ... ﴾[3] فأمر برد ما تنازع فيه المسلمون إلى الله والرسول.

والرافضة لا تعتني بحفظ القرآن، ومعرفة معانية وتفسيره، وطلب الأدلة الدالة على معانيه. ولا تعتنى أيضا بحديث ومعرفة صحيحه من سقيمه، والبحث عن معانيه، ولا تعتنى بآثار الصحابة والتابعين، حتى تعرف

---

[1] (?) رسالة في التوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية ص266.

[2] (?) هذا عند أهل الحق.

[3] (?) النساء آية : (59).

مآخذهم ومسالكهم، ويرد ما تنازعوا فيه إلى الله ورسول، بل عمدتها آثار تنقل عن بعض أهل البيت فيها صدق وكذب)) [1] .

وكل عاقل يعرف دين الإسلام وتصور هذا، فإنه يمجّه أعظم مما يمجّ الملح الأجاج والعلقم، لا سيّما من كان له خبرة بطرق أهل العلم، لا سيما مذاهب أهل الحديث وما عندهم من الروايات الصادقة التي لا ريب فيها عن المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى؛ فإن هؤلاء جعلوا الرسول الذي بعثه الله إلى الخلق هو إمامهم المعصوم، عنه يأخذون دينهم، فالحلال ما حلله، والحرام ما حرّمه، والدين ما شرعه، وكل قول يخالف قوله فهو مردود عند هم، وإن كان الذي قاله من خيار المسلمين وأعلمهم، وهو مأجور فيه على اجتهاده، لكنهم لا يعارضون قول الله وقول رسوله بشيء أصلا: لا نقل نُقل عن غيره، ولا رأي رآه غيره.

ومن سواه من أهل العلم فإنما هم وسائط في التبليغ عنه: إما للفظ حديثه، وإما لمعناه. فقوم بلّغوا ما سمعوا منه من قرآن وحديث، وقوم تفقهوا في ذلك وعرفوا معناه، وما تنازعوا فيه ردوه إلى الله والرسول.

فالنصوص الثابتة عن رسول الله هي عمد تهم، وعليها يجمعون إذا أجمعوا، لا سيما وأئمتهم يقولون: لا يكون قط إجماع صحيح على خلاف نصّ إلا ومع الإجماع نصٌّ ظاهرٌ معلومٌ، يُعرف أنه معارض لذلك النص الآخر. فإذا كانوا لا يسوّغون أنْ تُعارض النصوص بما يدّعى من إجماع الأمة، لبطلان تعارض النص والإجماع عندهم، فكيف إذا عورضت النصوص بما يدعى من إجماع العترة. [2]

فكل هذا يدل على بطلان ما يسمى عند الرافضة بالعقليات والشرعيات التي لا تعتمد على كتاب الله وسنة

---

1 (?) منهاج السنة ج5/163- 164.

2 (?) منهاج السنة ج5/165-167.

رسول الله فأهل بيت الرسول هم من أهل سنة الرسول والتشيع والرفض بدعة محدثـة في الدين لم يستند إلى آية من كتاب الله ولا سنة صحيحة من رسول الله والدين قال الله، وقال رسوله وكل ما خالفه أغلوطة وضلال.

((وإتباع القرآن واجب على الأمة؛ بل هو أصل الإيمان وهدى الله الذي بعث به رسوله، **وكذلك** أهل بيت رسول الله : تجب محبتهم، وموالاتهم، ورعاية حقهم. وهذان الثقلان اللذان وصّى بهما رسول الله . فروى مسلم في صحيحه، عن زيد بن أرقم، قال خطبنا رسول الله بغدير يُدْعَى خُمّاً بين مكة والمدينة، فقال: ((يا أيها الناس! إني تارك فيكم الثقلين))[1] - وفى رواية ((أحدهما أعظم من الآخر- كتاب الله فيه الهدى والنور)) فرغب في كتاب الله، وفى رواية: ((هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة، وعترتي أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي))[2] فقيل لزيد بن أرقم: من أهل بيته؟ قال: أهل بيته من حرم الصدقة: آل العباس، وآل علي، وآل جعفر، وآل عقيل.

والنصوص الدالة على إتباع القرآن أعظم من أن تذكر هنا.

وقد روى عن النبي من وجوه حسان أنه قال عن أهل بيته: ((والذي نفسي بيده لا يدخلون الجنة حتى يحبوكم من أجلى))[3] وقد أمرنا الله بالصلاة على آل محمد، وطهرهم من الصدقة التي هي أوساخ الناس،

---

1 (?) أخرجه أحمد في المسند ج3/14، 17 ،وج4/371 والحاكم في المستدرك ج3/160 وقال : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه. والطبراني في الكبير ج3/65 . وصحيح ابن خزيمة ج4/62 وصححه الألباني في المشكاة رقم(6) 63131.

2 (?) صحيح مسلم ص619 ح(2408) كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل علي بن أبي طالب.

وجعل لهم حقًا في الخمس والفيء وقال فيما ثبت في الصحيح: ((إن الله اصطفى بني إسماعيل واصطفى كنانة من بني إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى بني هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم، فأنا خيركم نفسًا وخيركم نسبًا))[1] ولو ذكرنا ما روى في حقوق القرابة وحقوق الصحابة لطال الخطاب، فإن دلائل هذا كثيرة من الكتاب والسنة.

ولهذا اتفق أهل السنة والجماعة على رعاية حقوق الصحابة والقرابة، وتبرؤا من الناصبة الذين يكفرون علي بن أبى طالب ويفسقونه، ويتنقصون بحرمة أهل البيت؛ مثل من كان يعاديهم على الملك، أو يعرض عن حقوقهم الواجبة، أو يغلو في تعظيم يزيد بن معاوية بغير الحق. وتبرؤا من الرافضة الذين يطعنون على الصحابة وجمهور المؤمنين؛ ويكفرون عامة صالحي أهل القبلة. وهم يعلمون أن هؤلاء أعظم ذنبا وضلالا من أولئك،

فلهذا كانت الخوارج أقل ضلالا من الروافض؛ مع أن كل واحدة من الطائفتين مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله، ومخالفة لصحابته وقرابته، ومخالفون لسنة خلفائه الراشدين ولعترته أهل بيته[2] .

أولا: يتبين مما سبق ذكره أنه لم يكن أحد في عهد النبي ولا في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهم وعثمان مسمى الشيعة.

---

[3] (?)رواه الطبراني في الكبير ج11/433 . وابن أبي شيبة في مصنفه ج6/382.

[1] (?)رواه مسلم في صحيحه ص589ح(2276) كتاب الفضائل باب فضل نسب النبي، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة. وأخرجه الترمذي في سننه ج5/544 ح(3605) كتاب المناقب باب في فضل النبي ، وصحيح ابن حبان ج14/135 وصححه الألباني السلسلة الصحيحة رقم(3605) وفي المشكاة(2) 5740.

[2] (?) مجموع الفتاوى ج28/491- 492،493.

كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((ففي خلافة أبي بكر وعمر وعثمان لم يكن أحد يُسمى من الشيعة، ولا تضاف الشيعة إلى أحد، لا عثمان ولا علي ولا غيرهما، فلما قُتل عثمان تفرَّق المسلمون، فمال قوم إلى عثمان، ومال قوم إلى علي، واقتتلت الطائفتان، وقيل حينئذ شيعة عثمان شيعة علي.

ولم ينقل أحد عن علي إنه طعن في أبي بكر وعمر فضلاً عن أن يشك في إمامتهما، واتهم طائفة من الشيعة الأولى بتفضيل علي على عثمان ، ولم يتهم أحد من الشيعة الأولى بتفضيل علي على أبي بكر وعمر، بل كانت عامة الشيعة الأولى الذين يحبون عليا يفضلون عليه أبا بكر وعمر، لكن كان فيهم طائفة ترجحه على عثمان، وكان الناس في الفتنة صاروا شيعتين: شيعة عثمانية، وشيعة علوية.

وليس كل من قاتل مع علي كان يفضله على عثمان، بل كان كثير منهم يفضل عثمان عليه وهو قول سائر أهل السنة)).[1]

فلم يكن أحد من هؤلاء يسب أبا بكر أو عمر أو يقدح أحد في إمامتهما أو خلافتهما، بل كانوا يفضلونهما على علي وعثمان رضي الله عنهما. وإنما كان النزاع في تقديم علي على عثمان، ولم يكن أحد يسمى لا إماميًا ولا رافضيًّا ولا شيعة على الوجه المعروف الآن.

وعلى هذا فإن التشيع في عرف المتقدمين هو تفضيل عليٍّ على عثمان وأن علياً كان مصيباً في حروبه، وأن مخالفه مخطئ، مع تقديم الشيخين وتفضيلهما.

((وأهل السنة يتولون عثمان وعليًا جميعاً، ويتبرؤون من التشيع والتفرق في الدين الذي يوجب موالاة أحدهما ومعاداة الآخر، وقد استقر أمر أهل السنة على أن هؤلاء مشهود لهم بالجنة))[2] .

---

1 (?) منهاج السنة ج2/95، 96، 132.وج4/132.

2 (?) منهاج السنة ج6/202.

ثانيا: هو التشيع المطلق: ويدخل فيه الغلاة المؤلهين لعلي و السّابَّة الرافضة

وهم الرافضة المحضة المتعصبون لها والداعية إليها.

وشيخ الإسلام ابن تيمية إذا أطلق لفظ الشيعة المحض مقصوده الرافضة الغلاة المفارقين لجماعة المسلمين الذين يكفرون أبا بكر وعمر وجمهور الصحابة والتابعين

والأئمة الأربعة ومن اتبعهم أو أحبهم، والقائلين بعصمة الأئمة والمنتظر والرجعة عمار القبور المعطلين للمساجد.

ونقول: إن على القائلين بنصرة مذهب أهل البيت والداعية إليه مع سب الصحابة وبغضهم ولعنهم وتكفيرهم بدعوى التشيع مراجعة أمرهم فإن هذا ليس مذهب شيعة علي و لا مذهب أهل البيت لا من قريب ولا من بعيد فإن هذا رفض محض.

من أفكار ابن سبأ.

((والواجب على كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله أن يكون أصل قصده توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له، وطاعة رسوله، يدور على ذلك، ويتبعه أين وجده، ويعلم أن أفضل الخلق بعد الأنبياء هم الصحابة، فلا ينتصر لشخصٍ انتصارًا مطلقًا عامًا، إلا لرسول الله ، ولا لطائفة انتصارًا مطلقًا عامًا، إلا للصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

فإن الهدى يدور مع الرسول حيث دار، ويدور مع أصحابه دون أصحاب غيره حيث داروا؛ فإذا أجمعوا لم يجمعوا على خطأ قط، بخلاف أصحاب عالم من العلماء فإنهم قد يجمعون على خطأ، بل كل قولٍ قالوه ولم يقله غيرهم من الأمة لا يكون إلا خطأ؛ فإن الدين الذي بعث الله به رسوله ليس مُسَلَّمًا إلى عالِمٍ واحدٍ وأصحابه، ولو كان كذلك لكان ذلك الشخص نظيرًا

لرسول الله وهو شبيه بقول الرافضة في الإمام المعصوم.

ولا بد أن يكون الصحابة والتابعون يعرفون ذلك الحق الذي بعث الله به الرسول، قبل وجود المتبوعين الذين تُنسب إليهم المذاهب في الأصول والفروع، ويمتنع أن يكون هؤلاء جاءوا بحق يخالف ما جاء به الرسول، فإن كل ما خالف الرسول فهو باطل، ويمتنع أن يكون أحدهم علم من جهة الرسول ما يخالف الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فإن أولئك لم يجتمعوا على ضلالة، فلابد أن يكون قوله إن كان حقًّا مأخوذًا عمَّا جاء به الرسول، موجودًا فيمن قبله، وكل قول قِيلَ في دين الإسلام، مخالف لما مضى عليه الصحابة والتابعون، لم يقله أحد منهم بل قالوا خلافه، فإنه قول باطل[1] .

قال الله تعالى: چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ چ[2]

وقال أيضاً: چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ چ[3] .

---

1 (?) منهاج السنة ج5/261-263.

2 (?) التوبة.

3 (?) الحشر.

ثالثا:القدرية نفاة القدر

ابتداء ظهور القول بالقدر أو القدرية وأول من أحدثه في الإسلام

بعد ظهور بدعة الخوارج والرفض نبغت بدع أخرى تكثر وتتسع رقعتها فإ البدع كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((تكون في أولها شبراً ثم تكثر في الاتباع حتى تصير أذرعاً وأميالاً وفراسخ))[1] وهو صحيح و في أواخر عصر الصحابة رضوان الله عليهم ظهر بدعة القدرية

أ- تاريخ ظهور القدرية وأصل بدعتهم

ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – إلى أن ابتداء ظهور بدع القدرية والقول في القدر كان في أواخر عصر الصحابة وبعد ذَهاب كبار الصحابة رضوان الله عليهم

فقال -رحمه الله-: ((ثم حدث في آخر عصر الصحابة القدرية، حدثوا في أثناء المائة الأولى.

وكانت الخوارج تتكلم في حكم الله الشرعي وأمره ونهيه وما يتبع ذلك من وعده ووعيده، وحكم من وافق ذلك ومن خالفه، ومن يكون مؤمنا وكافراً، وهي مسائل الأسماء والأحكام، وسموا محكمة لخوضهم في التحكيم بالباطل، وكان الرجل إذا قال: لا حكم إلا لله قالوا: هو محكم أي خائض في حكم الله، فخاض أولئك في شرع الله بالباطل. وأما القدرية فخاضوا في قدره بالباطل))[2] .

فهذا تاريخ وبداية ظهور آراء وأفكار القدرية كما قرره شيخ الإسلام ابن تميمية – رحمه-.

ثم إنه – رحمه- الله قد ذكر أصل ضلالهم في القدر وأول من ابتدع القول بهذه البدعة وبثها في الأمة و ضل بها مَنْ ضلّ واتبع غير سبيل المؤمنين وانحرف عن الصراط المستقيم وتحير في أمره.

1- أصل ضلال القدرية في القدر

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج8/425.

2 (?) مجموع الفتاوى ج13/211-212.

أما في أصل ضلالهم يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : ((حدثت ((القدرية)) وأصل بدعتهم كانت من عجز عقولهم عن الإيمان بقدر الله، والإيمان بأمره ونهيه، ووعده ووعيده، وظنوا أن ذلك ممتنع، وكانوا قد آمنوا بدين الله، وأمره ونهيه ووعده ووعيده، وظنوا أنه إذا كان كذلك لم يكن قد علم قبل الأمر من يطيع ومن يعصي؛ لأنهم ظنوا أن من علم ما سيكون لم يحسن منه أن يأمر وهو يعلم أن المأمور يعصيه ولا يطيعه، وظنوا أيضًا أنه إذا علم أنهم يفسدون لم يحسن أن يخلق من يعلم أنه يفسد، فلما بلغ قولهم بإنكار القدر السابق الصحابة أنكروا إنكارا عظيما وتبرؤوا منهم، حتى قال عبد الله بن عمر: ((أخبر أولئك أنى بريء منهم وأنهم منى برآء، والذي يحلف به عبد الله بن عمر: لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر))، وذكر عن أبيه حديث جبريل وهذا أول حديث في صحيح مسلم وقد أخرجه البخاري ومسلم من طريق أبى هريرة أيضا مختصرا[1]))[2]

فتبين من هذا أن أصل بدعتهم وضلالهم ظنهم أن قدر الله يناقض شرعه وهذا في غاية الجهل والضلال وقلة العقل والفهم الصحيح لنصوص الشرع.

ب - أول من بذر هذه البدعة وأول من بثه في الأمة(الإنكار بالقدر)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((وقد روى أن أول من ابتدعه بالعراق رجل من أهل البصرة يقال: له **سيسويه** من أبناء المجوس، وتلقاه عنه معبد الجهنمي[3] **ويقال أول ما حدث في الحجاز** لما

---

1 (?) صحيح مسلم ص15 ح(8) كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول في حقه. وسيأتي ذكر كلام ابن عمر في هذا.

2 (?) مجموع الفتاوى ج13/36،27.

احترقت الكعبة، فقال رجل: احترقت بقدر الله تعالى. فقال آخر: لم يقدر الله هذا))[1] .

قال في موضع آخر: ((وهذا القول أول ما حدث في الإسلام بعد انقراض عصر الخلفاء الراشدين و بعد إمارة معاويـة بن أبى سفيان في زمن الفتنة التي كانت بين ابن الزبير[3] و بين بني أمية في أواخر عصر عبد الله بن عمر، و عبد الله بن عباس، و غيرهما من الصحابـة، و كان أول من ظهر عنه ذلك بالبصرة معبد الجهـني، فلما بلغ الصحابـة قول هؤلاء تبرءوا منهم، و أنكروا مقالتهم، كما قال عبد الله بن عمر - لما أخبر عنهم -: إذا لقيت أولئك فأخبرهم: أنـى بريء منهم، و أنهم برآء مني، و كذلك كلام ابن عباس و جابر بن عبد

---

3 (?) **معبد بن عبد الله بن عـويمر**- وقيـل: ابن عبد اللـه- ابن عُكيم الجهـني، نزيل البصـرة، وأول من تكلم بالقـدر في زمن الصحابة. حدّث عن عمـران بن حصـين، و معاويـة، وابن عباس وطائفة. وكـان من علمـاء الـوقت على بدعتـه. حـدّث عنه معاوية بن قـرة، وقتـادة، ومالك بن دينـار وآخـرون. قـال محمد بن شعيب: سمعت الأوزاعي يقــول: أول من نطق في القدر سوسن بالعراق، كـان نصـرانيا فأسـلم ثم تنصـر، فأخذ عنه معبد. وأخذ غيلان القدري عن معبد. وكان الحجاج يعــذب معبداً الجهني بأصناف العذاب ولا يجزع، ثم قتله. مـات معبد قبل التسعين وقيل في سنة 80 هــ بدمشـق/ انظر السـير ج 4/185، 186/ 187.

1 (?) مجموع الفتاوى ج7/384-385.

2 (?) هو عبد الله بن الزبير بن العوام، بن خُويلد، بن أسد بن عبد العزى القرشي الأسدي، أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق. ولد عام الهجرة، وحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو صغير، وهو أحد العبادلة، وأحد الشجعان الصحابة، وأحد من وُلي الخلافة منهم، فأول شيء دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله وسلم، وكان أول مولود وُلد في الإسلام بعد الهجرة، قتله الحجاج في عهد عبد الملك سنة ثلاث وسبعين، من الهجرة./ الإصابة في تمييز الصحابة ج6/83-88).

الله[1] وواثلة بن الأسقع[2] و غيرهم من الصحابة و التابعين لهم بإحسان و سائر أئمة المسلمين فيهم كثير حتى قال فيهم الأئمة كمالك و الشافعي و أحمد بن حنبل و غيرهم أن المنكرين لعلم الله المتقدم يكفرون)) [3] .

ولم يكن على عهد الخلفاء الراشدين أحد ينكر القدر، فلما ابتدع هؤلاء التكذيب بالقدر رده عليهم من بقي من الصحابة، وكان أكثره بالبصرة والشام وقليل منه بالحجاز فأكثر كلام السلف في ذم هؤلاء القدرية[4] .

ثم كثر الخوض في القدر {في هذه الأماكن } فصار مقتصدوهم وجمهورهم يقرّون بالقدر السابق وبالكتاب المتقدم، وصار نزاع الناس في الإرادة و خلق أفعال العباد فصاروا في ذلك حزبين:

النفاة يقولون: لا إرادة إلا بمعنى المشيئة، وهو لم يرد إلا ما أمر به، ولم يخلق شيئا من أفعال العباد**.**

وقابلهم الخائضون في القدر من **المجبرة** مثل الجهم بن صفوان وأمثاله،[5] فقالوا: ليست الإرادة إلا بمعنى المشيئة، والأمر والنهى لا يستلزم إرادة، وقالوا: العبد لا فعل له البتة ولا قدرة، بل الله هو الفاعل القادر

---

1 (?) **جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام** بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي ، يكنى أبا عبد الله، وأبا عبد الرحمن، وأبا محمد، أقوال، أحد المكثرين عن النبي ، وروى عن جماعة من الصحابة، وفي الصحيح عنه أنه كان مع من شهد العقبة، شهد مع النبي تسع عشرة غزوة، ويقال مات سنة ثلاث، ويقال سن إنه عاش أربعاً وتسعين سنة./ الإصابة في تمييز الإصابة ج2/ 45 ت(1022).

2 (?) **هو أبو هريرة واثلة بن الأسقع** الهمذاني المؤذن ، رجل صالح من أصحاب أبي العلاء العطار. سمع من هبة الله ابن أخت الطويل، والأموي، وابن ناصر,. مات بالكرخ في شوال سنة خمس وستمائة/السير ج21/483-484.

3 (?) مجموع الفتاوى ج8/450.

4 (?) مجموع الفتاوى ج7/385.

5 (?) سيأتي الحديث عنه إن شاء الله.

فقط، وكان جهم مع ذلك ينفى الأسماء والصفات يذكر عنه أنه قال لا يسمى الله شيئا، ولا غير ذلك من الأسماء التي تسمى بها العباد إلا القادر فقط لأن العبد ليس بقادر[1]

فصاروا حزبين:

حزبٌ يغلب الشرع فيكذب بالقدر وينفيه، أو ينفي بعضه.

وحزبٌ يغلب القدر فينفي الشرع في الباطن أو بنفي حقيقته ويقول: لا فرق بين ما أمر الله به وما نهى عنه، في نفس الأمر الجميع سواء، وكذلك أولياؤه وأعداؤه، وكذلك

ما ذكر أنه يبغضه؛ لكنه فرق بين المتماثلين بمحض المشيئة يأمر بهذا وينهى عن مثله، فجحدوا الفرق والفصل الذي بين الوحيد والشرك، وبين الإيمان والكفر، وبين الطاعة والمعصية، وبين الحلال والحرام، كما أن أولئك وإن أقروا بالفرق فأنكروا الجمع، وأنكروا أن يكون الله على كل شيء قدير، ومنهم من أنكر أن يكون الله بكل شيء عليماً،وأنكروا أن يكون خالقاً لكل شيء، وأن يكون ما شاء كان و مالم يشأ لم يكن.

كما أن ((القدرية المجبرة)) قالوا: لا يمكن أن يجعل عالماً قادراً إلا بتسفيهه و تجويره.

فهؤلاء نفوا حكمته وعدله، وأولئك نفوا قدرته ومشيئته أو قدرته ومشيئته وعلمه، وهؤلاء ضاهوا المجوس في الإشراك بربوبيته حيث جعلوا غيره خالقاً، وأولئك ضاهوا المشركين الذين لا يفرقون بين عبادته وعبادة غيره، بل يجوزون عبادة غيره كما يجوزون عبادته، ويقولون : ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭼ[2] [3]

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج13/36،37.

[2] (?) الأنعام آية : (148).

[3] (?) مجموع الفتاوى ج13/212،213.

فهكذا تسلسلت هذه البدع وربت وأنبتت الشر في الأمة فقطف من ثمار شرها أصحاب الأهواء فرد عليهم علماء السلف دفاعا عن أسس الدين وحماية من كل الأفكار الملوثة بالمجوسية والوثنية، فإنكار قول القدرية واجب كما قرر شيخ الإسلام في غير هذا الموضع لأنه قد تأثر بقولهم كثير إلا من رحم الله.

ولكن الأمر كما قرر شيخ الإسلام أنهم لو كانوا يعقلون شيئا من الآيات البينات الموضحة لهذا الأمر أو عندهم أدنى مسكة من التفكير الصحيح لعلمــوا ما يأتي

أولا : أنه ((وليس في القدر حجة لابن آدم ولا عذر، بل القدر يؤمن به ولا يحتج به، والمحتج بالقدر فاسد العقل والدين، متناقض، فإن القدر إن كان حجة وعذرًا: لزم أن لا يلام أحد؛ ولا يعاقب ولا يقتص منه، وحينئذٍ فهذا المحتج بالقدر يلزمه- إذا ظلم في نفسه وماله وعرضه وحرمته- أن لا ينتصر من الظالم، ولا يغضب عليه، ولا يذمه؛ وهذا أمر ممتنع في الطبيعة، لا يمكن أحد أن يفعله، فهو ممتنع طبعًا محرم شرعا.

ثانيا: ولو كان القدر حجة وعذر!ا لم يكن إبليس ملومًا ولا معاقبًا ولا فرعون وقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الكفار، ولا كان جهاد الكفار جائزًا، ولا إقامة الحدود جائزًا ولا قطع السارق ولا جلد الزاني ولا رجمه، ولا قتل القاتل ولا عقوبة معتد بوجه من الوجوه.

ثالثاً: لما كان الاحتجاج بالقدر باطلا في فطر الخلق وعقولهم: لم تذهب إليه أمة من الأمم، ولا هو مذهب أحد من العقلاء، الذين يطردون قولهم، فإنّه لا يستقيم عليه مصلحة أحد، لا في دنياه ولا آخرته، ولا يمكن اثنان أن يتعاشرا ساعة واحدة؛ إن لم يكن أحدهما ملتزما مع الآخر نوعًا من الشرع، فا لشرع نور الله في أرضه، وعدله بين عباده[1] .

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج2/323.

رابعًا: أن مما يكذب مزاعم القدرية ومن في مثلهم أن الله تعالى((وقد أمرنا أن نقول في صلاتنا ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭘ[1] قال : ﭽ ... ﭼ[2] و قال الخليل صلوات الله و سلامه عليه ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭼ[3] و قال : ﭽ ... ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ[4] و قال تعالى : ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﭼ[5] و قال : ﭽ ﮪ ﮫ ... ﭼ[6] و نصوص الكتاب و السنة وسلف الأمة المبينة لهذه الأصول كثيرة مع ما في ذلك من الدلائل العقلية الكثيرة على ذلك.

و أنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته و قدرته لا يمتنع عليه شيء شاءه بل هو قادر على كل شيء ولا يشاء شيئا إلا و هو قادر عليه

و أنّه سبحانه يعلم ما كان وما يكون، و ما لم يكن لو كان كيف يكون، و قد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها، و قد قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم: قدر آجالهم و أرزاقهم و أعمالهم وكتب ذلك، وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة، فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء، وقدرته على كل شيء، ومشيئته لكل ما كان، و علمه بالأشياء قبل أن تكون، وتقديره لها وكتابته إياها قبل أن تكون. وغلاة القدرية يفكرون علمه المتقدم، و كتابته السابقة، ويزعمون أنه أمر ونهى، وهولا يعلم من يطيعه ممن يعصيه، بل الأمر أنف: أي مستأنف[7].

---

1 (?) الفاتحة.

2 (?) الأعراف آية: (43).

3 (?) البقرة آية : (128).

4 (?) إبراهيم.

5 (?) السجدة آية: (24).

6 (?) القصص آية: (41).

7 (?) مجموع الفتاوى ج8/449، 450، 451.

فقد تبين من خلال كلام شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- أن بدعة القدرية بدأت ظهورها في زمن متأخر وكان في آخر عصر الصحابة- رضوان الله عليهم- في أثناء المائة الأولى بعد انقراض عصر الخلفاء الراشدين، وأن االكلام في القدر أول ما ظهر كان في البصرة ثم انتشر إلى الأماكن الأخرى بحسب قوة أهله وضعفهم وأن الصحابة قاموا بالتصدي له وتغليظ القول على أصحابه كابن عمر وابن عباس وغيرهما وأول من أظهر القول في القدر في الإسلام معبد الجهني أخذه عن رجل يهودي مجوسي يسمى سيسويه.

رابعــا: الإرجاء

أصل الإرجاء وابتداء ظهـور المرجئة

والإرجاء بهمزة هو التأخير ومنه قولهﭽ ﮒ ﮓ ﭼ[1] أي أخِّرْه و المرجئ من يؤخر العمل عن الإيمان، وقيل من الرجاء لأنهم يقولون لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكُفر طاعة.[2]

وبعد ظُهور بدعة القدرية تلتها بدعة أخرى وهي بدعة المرجئة أو القول بالإرجاء، ولم يكن في عهد الخلفاء الراشدين ولم يكن أحد من الصحابة يتكلم به، ثم حدثت المرجئة والقول بالإرجاء، وكان أكثر من خاض فيه من أهل الكوفة كما بين شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- وخاض فيه بعض أهل العلم من الفقهاء وكان ظهوره في أواخر عصر ابن عمر .

وفي تاريخ ابتداء ظهوره يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

((كان من مضى من سلفنا لا يفرقون بين الإيمان والعمل؛ العمل من الإيمان والإيمان من العمل؛ وإنما الإيمان اسم يجمع كما يجمع هذه لأديان اسمها ويصدقه العمل. فمن آمن بلسانه، وعرف بقلبه،

---

1 (?) الأعراف آية(111).

2 (?) انظر: اللسان ج5/138(رجا) وتفسير الطبريج9/16 وعمدة القاري ج1/241.

وصدق بعمله، فتلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها. ومن قال بلسانه، ولم يعرف بقلبه، ولم يصدق بعمله كان في الآخرة من الخاسرين.

ثم لما كان في آخر عصر الصحابة في إمارة عبـــد الله بن الزبيــر

وعبد الملك[1] حدثت بدعة المرجئة))[2]

وبين في موضع آخر أنه في أواخر عصر الصحابة حدثت القدرية في آخر عصر ابن عمر،وابن عباس؛ وجابر؛ وأمثالهم من الصحابة.

وحدثت المرجئة قريبًا من ذلك. وكان أكثرهم من أهل الكوفة، ولم يكن أصحاب عبد الله من المرجئة ولا إبراهيم النخعي وأمثاله.

وعدلت المرجئة في هذا الأصل عن بيان الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان، واعتمدوا على رأيهم وعلى ما تأولوه بفهمهم.

---

[1] (?) **عبد الملك بن مروان بن الحكم** بن أبي العاص بن أمية، الخليفة الفقيه، أبو الوليد الأموي. ولد سنة ست وعشرين. سمع عثمان، وأبا هريرة، وأبا سعيد، وأم سلمة، ومعاوية، وابن عمر. وحدث عنه عروة، وخالد بن معدان وآخرون. تملَّك بعد أبيه الشام ومصر، ثم حارب ابن الزبير الخليفة، وقتل أخاه مصعباً. قال ابن سعد: كان قبل الخلافة عابداً ناسكاً بالمدينة، شهد مقتل عثمان وهو ابن عشر، واستعمله معاوية على المدينة. وكذا قال، وإنما استعمل أباه. قال أبو الزناد: فقهاء المدينة: سعيد بن المسيب، وعبد الملك. قال مالك: أول من ضرب الدنانير عبد الملك، وكتب عليها القرآن. قال الذهبي: كان من رجال الدهر ودُهاة الرجال، وكان الحجاج من ذنوبه. توفي في شوال سنة 86ه_/ انظر السير ج4/ 246، 247، 249.

[2] (?) منهاج السنة ج6/231.و87مجموع الفتاوى ج7/296.

فصاروا نقيض الخوارج والمعتزلة[1] **فقالوا: إن الأعمال ليست من الإيمان**، وكان أصل مقصودهم نفي التكفير عمن صدق الرسل فغلطوا من جهات كثيرة[2] .

أصل قول المرجئة وأول من صدر عنه القول به

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- : ((والأصل الذي نشأ منه النزاع اعتقاد من اعتقد أن من كان مؤمنا لم يكن معه شيء من الكفر والنفاق، وظن بعضهم أن هذا إجماع، فهذا كان أصل الإرجاء، كما كان أصل ((القدر)) عجزهم عن الإيمان بالشرع والقدر جميعاً فلما كان هذا أصلهم صاروا حزبين.

قالت الخوارج والمعتزلة قد علمنا يقينا أن الأعمال من الإيمان فمن تركها فقد ترك بعض الإيمان، وإذا زال بعضه زال جميعه؛ لأن الإيمان لا يتبعض، ولا يكون في العبد إيمان ونفاق، فيكون أصحاب الذنوب مخلدين في النار إذ كان ليس معهم من الإيمان شيء. **وقالت ((المرجئة))** مقتصدتهم وغلاتهم كالجهمية- قد علمنا أن أهل الذنوب من أهل القبلة لا يخلدون في النار؛ بل يخرجون منها كما تواترت بذلك الأحاديث. وعلمنا بالكتاب والسنة وإجماع الأئمة أنهم ليسوا كفارًا مرتدين؛ فإن الكتاب قد أمر بقطع السارق لا بقتله، وجاءت السنة بجلد الشارب لا بقتله، فلو كان هؤلاء كفارًا مرتدين لوجب قتلهم؛ وبهذا ظهر للمعتزلة ضعف قول الخوارج فخالفوهم في أحكامهم في الدنيا)).[3]

فأصل غلط المرجئة هو: ((أنه ليس كافراً مرتداً بل هو من المسلمين، وإذا كان من المسلمين وجب أن يكون مؤمناً تام الإيمان ليس معه بعض الإيمان؛ لأن الإيمان عنـدهم لا يتبعض، فاحتاجوا أن يجعلوا الإيمان

---

1. (?) سيأتي الحديث عنهم إن شاء الله.
2. (?) مجموع الفتاوى ج13/38 وج7/118. ومنهاج السنة ج 6/302.
3. (?) مجموع الفتاوى ج13/48

شيئاً واحداً يشترك فيه جميع أهل القبلة، فقال فقهاء المرجئة: هو التصديق بالقلب والقول باللسان.

وكانت هذه البدعة أخف البدع، فإن كثيراً من النزاع فيها في الإسم واللفظ دون الحكم، إذ كان الفقهاء الذي يضاف إليهم هذا: مثل حماد بن أبي سليمان،[1] وأبي حنيفة وغيرهما مع سائر أهل السنة متفقين على أن الله يعذب من يعذب من أهل الكبائر بالنار ثم يخرجهم بالشفاعة. كما جاءت الأحاديث الصحيحة بذلك، وعلى أنه لابد في الإيمان أن يتكلم بلسانه وعلى أن الأعمال المفروضة واجبة، وتركها مستحق للذم والعقاب.

وأما جهم فكان يقول إن الإيمان مجرد تصديق القلب وإن لم يتكلم به، وهذا القول لا يعرف عن أحد من علماء الأمة وأئمتها، بل أحمد ووكيع[2] وغيرهما كفروا من قال بها القول، وقد بسط الكلام على أقوال غيرهم في الإيمان في غير هذا الموضع[3]

وقد ظهر من هذا أن أصل قول المرجئة يعود إلى القول بأن الإيمان لا يتبعض ولا يتفاضل، ولا يذهب بعضه ويبقى بعضه، فلا يكون إلا شيئا واحدا، فلا يكون ذا عدد اثنين أو ثلاثة ، فإنه إذا كان ذا عدد أمكن ذهاب بعضه وبقاء بعضه، بل لا يكون إلا شيئا واحدا، كل ذلك فراراً من تبعض الإيمان وتعدده، لأنّهم رأوا أنّه لا يمكن أن يذهب بعضه ويبقى بعضه، بل ذلك كله يقتضي أن يجتمع

---

[1] (?) **حماد بن أبي سليمان** مسلم الأشعري، مولاهم، أبو إسماعيل الكوفي: فقيه صدوق له أوهام، من الخامسة، ورُمي بالإرجاء، مات سنة عشرين أولها. / تهذيب التهذيب ص 118 ت(1500). والسير ج5/ 231.

[2] (?) **وكيع بن الجراح بن** مليح الرؤاسي، بضم الراء وهمزة ثم المهملة، أبو سفيان الكوفي: ثقة حافظ عابد، من كبار التاسعة/ مات في آخر سنة ست أو أول سنة سبع وتسعين، وله سبعون سنة/ تقريب التهذيب ص511ت(7414).

[3] (?) مجموع الفتاوى ج13/38، 39.

في القلب إيمانٌ وكِبْرٌ، واعتقدوا الإجماع على نفي ذلك كما ذكر هذا الإجماع الأشعري .

فقالوا هو شيء واحد يستوي فيه جميع العباد فيما أوجبه الرب من الإيمان، وفيما يفعله العبد من الأعمال فغلطوا في هذا وهذا ثم تفرقوا كما تقدم**.**

وصارت المرجئة على ثلاثة أقوال فعلماؤهم وأئمتهم أحسنهم قولاً وهو أن قالوا الإيمان تصديق القلب وقول اللسان.

وقالت الجهمية هو تصديق القلب فقط.

وقالت الكرامية هو القول فقط، فمن تكلم به فهو مؤمن كامل الإيمان، لكن إن كان مقرا بقلبه كان من أهل الجنة، وإن كان مكذباً بقلبه كان منافقاً مؤمناً من أهل النار، **وهذا القول هو الذي اختصت به الكرامية** وابتدعته، ولم يسبقه أحد إلى هذا القول وهو آخر ما أحدث من الأقوال في الإيمان، وبعض الناس يحكي عنهم أن من تكلم به بلسانه دون قلبه فهو مؤمن من أهل الجنة وهو غلط عليهم، بل إنهم يقولون إنه مؤمن كامل الإيمان، وأنه من أهل النار، فيلزمهم أن يكون المؤمن الكامل الإيمان معذباً في النار، بل يكون مخلداً فيها، وقد تواتر عن النبي أنه يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان .

وإن قالوا لا يخلد وهو منافق، لزمهم أن يكون المؤمن يخرجون من النار، والمنافقون قد قال الله فيهم : ﭽ ﯓ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ[1][2]

فهذا كان أصل الإرجاء وأول من قال به من الفقهاء حماد بن أبي سليمان كما قرر شيخ الإسلام قال: ((لأن الإرجاء في أهل الكوفة كان أولاً فيهم أكثر، وكان أول

---

[1] (?) النساء.

[2] (?) مجموع الفتاوى ج7/297، 393، 394، 554، و13/55، 56،

من قاله حماد بن أبي سليمان، فاحتاج علماؤها أن يظهروا إنكار ذلك، فكثر منهم من قال ذلك))[1] .

فهذا كان أصل الإرجاء وتاريخ ظهوره في الأمـة وأول من أظهر القول به فرد عليهم السلف وأنكروا أقوالـهم وحذروا الناس منها.

((وهذه الشبهة التي أوقعتهم مع علم كثير منهم وعبادته وحسن إسلامه وإيمانه، ولهذا دخل في ((إرجاء الفقهاء)) جماعة هم عند الأمة أهل علم ودين.

ولهذا لم يكفر أحد من السلف أحدًا من ((مرجئة الفقهاء)) بل جعلوا هذا من بدع الأقوال والأفعال؛ لا من بدع العقائد، فإن كثيرًا من النزاع فيها لفظي، لكن اللفظ المطابق للكتاب والسنة هو الصواب، فليس لأحد أن يقول بخلاف قول الله ورسوله، لا سيما وقد صار ذلك ذريعة إلى بدع أهل الكلام من أهل الإرجاء وغيرهم وإلى ظهور الفسق، فصار ذلك الخطأ اليسير في اللفظ سببًا لخطأ عظيم في العقائد والأعمال، فلهذا عظم القول في ذم ((الإرجاء)) حتى قال إبراهيم النخعي[2] لفتنتهم _ يعنى المرجئة_ أخوف على هذه الأمة من فتنة الأزارقة[3]

1 (?) مجموع الفتاوى ج7/ 297، 311 .

2 (?) **إبراهيم النخعي** الإمام الحافظ، فقيه العراق أبو عِمْران، إبراهيم بن يزيد بن قيس ابن الأسود النخعي، اليماني ثم الكوفي، أحد الأعلام، وهو ابن مليكة أخت الأسود بن يزيد. روى عن خاله، ومسروق، و علقمة بن قيس وسويد بن غفلة، وخلق سواهم ولم يوجد له سماع من الصحابة المتأخرين الذي كانوا معه بالكوفة كالبراء وأبي جحيفة. روى عنه الحكم بن عتيبة، وعمرو بن مرة، وحماد بن أبي سليمان تلميذه، وسماك بن حرْب. وكان مفتي أهل الكوفة هو والشعبي في زمانهما، وكان رجلاً صالحا، فقيهاً، متوقيًّا، قليل التكلف وهو مختف من الحجاج. وكان يبغض المرجئة، قال الإمام أحمد: كان إبراهيم ذكياً، حافظا صاحب سنة.وكان من أئمة الاجتهاد/ انظر السير ج4/520، 521، 523، 529.

3 (?) اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ج5/988 والسنة لعبد الله بن أحمد ص313 والسنة للخلال ج3/563.

. وقال الزهري[4] : ما ابتدعت في الإسلام بدعة أضر على أهله من الإرجاء[2] وقال قتادة[3] : إنما حدث الإرجاء بعد فتنة فرقة ابن الأشعث.

وقال أيوب السختياني[4]: أنا أكبر من دين المرجئة، إن أول من تكلم في الإرجاء رجل من أهل المدينة من بني هاشم يقال له: الحسن[5].

فكان هذا تاريخ ابتداء ظهور ((المرجئة)) وولادة آراءها، في أواخر عصر الصحابة وبعد انقراض عصر الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ، كان وأصل بدعتهم التي فارقوا بها الصحابة إخراج الأعمال من مسمى الإيمان، و رد

---

1 (?) **هو محمد بن مسلم بن عبيد الله** بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري، أبو بكر الفقيه الحافظ: متفق على جلالته وإتقانه، وهو من رؤوس الطبقة الرابعة، مات سنة خمس وعشرين، وقيل: قبل ذلك بسنةٍ أو سنتين/ تهذيب التهذيب ص440 ت(6296) والسير ج5/326.

2 (?) الشريعة للآجري ص 151 باب في المرجئة وسوء مذاهبهم عند العلماء.

3 (?) **هو أبو الخطاب قتادة ابن دعامة** السدوسي البصري، كان من علماء التابعين، ثقة ثبت يقال إنه أول من لقب المعتزلة بهذا اللقب، وكان يرمى بالقدر، قال أبو عمرو بن العلاء: ((حسبك قتادة لولا كلامه في القدر لما عدلت به أحداً من أهل عصره)) ولد سنة117هـ انظر: وفيات الأعيان 4/ 85 وتقريب التهذيب ص389ت(5518). والسير ج 5/269.

4 (?) **أيوب بن أبي تميمة:** كيسان السختياني، بفتح المهملة بعدها معجمة ثم مثناة ثم تحتانية وبعد الألف نون، أبو بكر البصري: ثقة ثبت حجة من كبار الفقهاء العباد، من الخامسة، مات سنة إحدى وثلاثين ومئة، وله خمس وستون/ تقريب التهذيب ص 57ت(605) والسير ج15.

5 (?) لعل المقصود به الحسن بن محمد كما قال زاذان : أتينا الحسن بن محمد ..)) مجموع الفتاوى ج7/394. 395 .

عليهم كثير من سلف الأمة وكما رد عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية في أكثر من موضع .

منها قوله : ((وفى الجملة فلابد في الإيمان الذي في القلب من تصديق بالله ورسوله وحب الله ورسوله، وإلا فمجرد التصديق مع البغض لله ولرسوله ومعاداة الله ورسوله ليس إيمانا باتفاق المسلمين، وليس مجرد التصديق، والعلم يستلزم الحب، إلا إذا كان القلب سليما من المعارض كالحسد والكبر؛ لأن النفس مفطورة على حب الحق، وهو الذي يلائمها ولا شيء أحب إلى القلوب السليمة من الله، وهذا هو الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام الذي اتخذه الله خليلا وقد قال تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ)) [1].

هذه هي أصـول الفرق التي حدثت في أواخر عصر الصحابة رضوان الله عليهم بعد انقراض عصر الخليفة الراشد أبي بكر وعمر وبعد مقتل عثمان وفي آخر عصرعلي قمع بذور الشيعة، ثم في آخر حياة ابن عمر وابن عباس نبغت القدرية ثم الإرجاء .

ثم تتابع ظهور فرق وطوائف شتى في عصر التابعين ومن بعدهم، إذ ظهرت الجهمية، والمعتزلة والباطنية وأصحاب الطرق الصوفية وغيرها من بدع النساك وأهل الكلام والإرادة والشبهات والشهوات ونحوها من الفرق والطوائف، وذكر شيخ الإسلام تاريخ ظهورها وأصولها ورؤوسها وكان رحمه الله له علم ودراية في نشأة هذه الفرق كلها كما قرر: ((أنا أعلم كل بدعة حدثت في الإسلام وأول من ابتدعها، وما كان سبب ابتداعها))[2] وهذا قد ظهر جليا في ذكره لأصول هذه الفرق وتاريخ ظهورها.

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج7/537، 538. 543، 544، 546، 550، وج13/38،39.

[2] (?) مجموع الفتاوى ج3/184.

وفي عصر التابعين ومن بعدهم ظهرت بدع وفرق أخرى وقد بين أصلها شيخ الإسلام ابن تيمية وتأريخ ظهورها وأول من أسّس فكرتها والتي فارق بها جماعة المسلمين.

خامسأ : المعـتزلة، الأصول وتاريخ ابتداء الظهور

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن أصول المعتزلة وتاريخ ظهورهم يعود إلى عصر التابعين ولم يكن لهم وجود في عصر الصحابة رضوان الله عليهم وإنما حدثوا في أوائل المائة الثانية**.**

فقال: ((وحدثت المعتزلة في أوائل المائة الثانية، وتكلموا في مسائل الأسماء والأحكام والوعد والوعيد**.**

وكانت ((الخوارج)) قد تكلموا في تكفير أهل الذنوب من أهل القبلة، وقالوا: إنهم كفار مخلدون في النار، فخاض الناس في ذلك، وخاض في ذلك القدرية بعد موت الحسن البصري، فقال عمرو بن عبيد وأصحابه: لا هم مسلمون ولا كفار؛ بل لهم منزلة بين المنزلتين، وهم مخلدون في النار، فوافقوا الخوارج على أنهم مخلدون، وعلى أنه ليس معهم من الإسلام والإيمان شيء، وأنكروا شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته، وأن يخرج من النار بعد أن يدخلها، قالوا ما الناس إلا رجلان : سعيد لا يعذب أو شقي لا ينعم، والشقي نوعان: كافر وفاسق، ولكن لم يسموهم كفارًا واعتزلوا حلقة الحسن البصري[1]

فسموا معتزلة من ذلك الوقت بعد موت الحسن.

وقيل : إن قتادة كان يقول أولئك المعتزلة))[2]

أول من أصَّل أصول المعتزلة ووضع فكرة مذهبهم

---

[1] (?) تقدمت ترجمته.

[2] (?) مجموع الفتاوى ج3/ 183 وج7/ 484 وج10/358وج 13/37-38.

فأول من اعتزل ووضع حجر أساس الاعتزال وزرع بذرته كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره هو واصل بن عطاء الغزّال ووافقه عمرو بن عبيد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((فإن أول من اعتزل هو واصل بن عطاء الغزال وكان قرينا لعمرو بن عبيد فوافقه على هذه البدعة[1] .

قال: ((وأما عمرو بن عبيد وهو عمرو بن عبيد بن كيسان بن ثابت مولى بني تيم البصري مات سنة ثلاث وأربعين ومائة في طريق مكة، فإنه أول من بسط لسانه وأصبح رأسه ونظم له كلامـاً ونصبه إماماً ودعا إليه ودل عليه فصار مذهباً يُسلك، وهو إمام الكلام وداعية الزندقة الأول، ورأس المعتزلة))[2]

---

1 (?) قال الرازي المعتزلي في كتابه: ((اعتقادات فرق المسلمين والمشركين)) ص 39 : ((وكان واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد من تلامذة الحسن البصري، ولما أحدثا مذهبا وهو أن الفاسق ليس بمؤمن ولا كافر اعتزلا حلقة الحسن البصري وجلسا ناحية في المسجد)). أيضا انظر:التبصرة في الدين للأسفرايني ص22،68. وجاء في الوافي في الوفيات ج1/3441 : ((رأس المعتزلة واصل بن عطاءٍ أبو حذيفةَ البصري الغزّال لأنه كان يدور في سوق الغزل ليتصدَّق على النساء اللواتي يبعن الغزل، مولى بني مخزوم وقيل مولى بني ضَبّة هو رأس المعتزلة وكبيرهم ورئيسهم **وأوّلهم** كان تلميذَ الحسن البصري يقرأ عليه العلومَ فدخل رجل على الحسن وقال له : قد ظهر في زماننا جَماعة يكفّرون أصحابَ الكبائر والكبيرة عندهم كفرٌ، وهم وعيديَّة الخوارج وجماعةٌ يرجئون أصحابَ الكبيرة ويقولون: الكبيرة عندهم لا تضرّ الإيمان، وإنه لا يضرّ مع الإيمان معصية كما لا ينفَع مع الكفر طاعةٌ ففكّر الحسن في ذلك، فقال واصل قبل أن يُجيب الحسن بشيء : أنا أقول إن صاحب الكبيرة لا مؤمنٌ ولا كافرٌ ثم قام واعتزل إلى أسطوانة المسجد يقرر جوابَه على جماعة من أصحاب الحسن فقال الحسن : اعتزل واصل عنّا فسمُّوا معتزلةً من ذلك الوقت بهذا السبب)).

2 (?) بيان تلبيس الجهمية ج1/275.

فهؤلاء رؤوس المعتزلة وأصولهم فقد لعنهم الأئمة وردوا على بدعتهم وهتكوا أستارهم وحذروا الناس منهم أحدثوا القول بالمنزلة بين المنزلتين وإنكار الشفاعة وتخليد أهل الكبائر النار، وأن حسناتهم محبطة، فهؤلاء وإن لم يوافقوا الخوارج في تسميتهم الكفار فقد ضاهوهم في بدعتهم وقولهم الباطل المخالف للكتاب والسنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((وهؤلاء يرد عليهم بمثل ما ردوا به على الخوارج. فيقال لهم كما أنهم قسموا الناس إلى مؤمن لا ذنب له، وكافر لا حسنة له، قسمتم الناس إلى مؤمن لا ذنب له، وإلى كافر وفاسق لا حسنة له، فلو كانت حسنات هذا كلها محبطة وهو مخلد في النار، لاستحق المعاداة المحضة بالقتل والاسترقاق، كما يستحقها المرتد؛ فإن هذا قد أظهر دينه بخلاف المنافق. وقد قال تعالى في كتابه ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ[1] فجعل ما دون ذلك الشرك معلقا بمشيئته.

ولا يجوز أن يحمل هذا على التائب؛ فإن التائب لا فرق في حقه بين الشرك وغيره. كما قال سبحانه في الآية الأخرى ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ[2] فهنا عمم وأطلق، لأن المراد به التائب، وهناك خص وعلق.

ﭧ ﭨ ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﭼ[3].

فقد قسم سبحانه الأمة التي أورثها الكتاب واصطفاها ((ثلاثة أصناف)):

1- ظالم لنفسه. 2- مقتصد. 3-وسابق بالخيرات.

---

[1] (?) النساء آية: (47).

[2] (?) الزمر آية : (53).

[3] (?) فاطر.

وهؤلاء الثلاثة ينطبقون على الطبقات الثلاثة المذكورة في حديث جبريل[1] : ((الإسلام)) و((الإيمان)) و ((الإحسان)).

ومعلوم أن الظالم لنفسه إن أريد به من اجتنب الكبائر والتائب من جميع الذنوب فذلك مقتصد أو سابق، فإنه ليس أحد من بني آدم يخلو عن ذنب؛ لكن من تاب كان ذلك مقتصداً، أو سابقاً؛ كذلك من اجتنب الكبائر كُفِّرتْ عنه السيئات؛ كما قال تعالى: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ[2] فلا بد أن يكون هناك ظالم لنفسه موعود بالجنة ولو بعد عذاب يطهر من الخطايا؛ فإن النبي ذكر: ((أن ما يصيب المؤمن في الدنيا من المصائب مما يجزى به، ويكفر عنه خطاياه، كما في الصحيحين عنه أنه قال: ((ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب[3] ، ولا هم ولا حزن، ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه))[4] .

وأيضًا) فقد تواترت الأحاديث عن النبي في أنه يخرج أقوام من النار بعد ما دخلوها، وأن النبي يشفع في أقوام دخلوا النار. وهذه الأحاديث حجة على الطائفتين : ((الوعيدية)) و((المرجئة الواقفة)).

---

1 (?) انظر: صحيح مسلم ص16/ح(9) كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات القدر.

2 (?) النساء آية : (31).

3 (?) الوصب : المرض والألم . والنصب : الإعياء والتعب . والهم/انظر: : مرض يختص به الباطن ، فلذلك يكفر به عن السيئات كشف المشكل من حديث الصحيحين لأبي الفرج ابن الجوزي ج3/403، دار الوطن - الرياض - 1418هـ - 1997م. ، تحقيق : علي حسين البواب

4 (?) صحيح مسلم ص657 ح(2572) كتاب البر والصلة والآداب باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، حتى الشوكة يشاكها.

و((**أيضًا**)) أن النبي شهد لشارب الخمر المجلود مرات بأنه يحب الله ورسوله، ونهى عن لعنته، ومعلوم أن من أحب الله ورسوله أحبه الله ورسوله بقدر ذلك.

و((**أيضا**)) **الأسباب العشرة المكفرة للذنب، ومثل التوبة،والاستغفار، والحسنات الماحية ونحوها**[1] [2]

وكان المعتزلة الأول يمتازون بهذا الشعار هو القول **بالمنزلة بين المنزلتين، وإنفاذ الوعيد** و به اعتزلوا الجماعة ثم دخلوا بعد ذلك في إنكار القدر، ولم يكونوا قد تكلموا في نفي الصفات وإنكارها فحدث فيهم نفي الصفات بعد ذلك وقد قرر شيخ الإسلام هذا في كلامه الآتي: فقال –رحمه الله- : ((أن المعتزلة أولا الذين كانوا في زمن عمرو بن عبيد وأمثاله لم يكونوا جهمية، وإنما كانوا يتكلمون في الوعد وإنكار القدر، وإنما حدث فيهم نفي الصفات بعد هذا، ولهذا لما ذكر الإمام أحمد بن حنبل في رده على الجهمية قول جهم قال: فاتبعه قوم من أصحاب عمرو بن عبيد وغيره واشتهر القول عن أبي الهذيل العلاف[3] والنظام[4] وأشباههم من أهل الكلام.

---

[1] (?) راجع مجموع الفتاوى ج7/487 وقد فصل القول فيها.

[2] (?) مجموع الفتاوى ج7/484، 485، 486.

[3] (?) **هو محمد بن الهذيل بن** عبيد الله البصري العلاف، شيخ المعتزلة في زمانه، وهو القائل بفناء حركات أهل الجنة والنار!!، كان صاحب تصانيف كثيرة، له كتاب في الرد على اليهود والمجوس والمشبهة والسفسطائية والملاحدة، اختلف في سنة وفاته فقيل سنة 226 وقيل 235هـ سير أعلام النبلاء 11/ 173، تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص: 32.

[4] (?) **هو إبراهيم بن سيار البصري** المتكلم، شيخ المعتزلة القدرية((كان يقول إن الله لا يقدر على الظلم ولا الشر ولو كان قادرا لكنا نأمن وقع ذلك، وإن الناس يقدرون على الظلم وصرح بأن الله لا يقدر على إخراج أحد من جهنم، وأنه ليس يقدر على أصلح مما خلق)) وزعم أن حجة العقل قد تنسخ الأخبار!! وقد كفره جماعة، وقيل: إنه كان على دين البراهمة المنكرين للنبوة والبعث ويخفي ذلك، مات سنة بضع وعشرين ومئتين من الهجرة. سير أعلام النبلاء

ولم يكن الناس إذ ذاك أحدثوا شيئاً من نفي الصفات إلى أن ظهر الجعد بن[1] درهم))[2]

وهذا كان في أوائل المائة الثانية بعد موت الحسن البصري – رحمه الله-.

((ثم أن المعتزلة الذين اتبعوا عمرو بن عبيد على قوله في القدر والوعيد دخلوا في مذهب جهم، فأثبتوا أسماء الله تعالى ولم يثبتوا صفاته، وقالوا نقول أن الله متكلم حقيقة، وقد يذكرون إجماع المسلمين على أن الله متكلم حقيقة، لئلا يضاف إليهم أنهم يقولون أنه غير متكلم، لكن معنى كونه سبحانه متكلما عندهم أنه خلق الكلام في غيره، فمذهبهم ومذهب الجهمية في المعنى سواء، ولكن هؤلاء يقولون هو متكلم حقيقة. وأولئك ينفون أن يكون متكلما حقيقة وحقيقة قول الطائفتين أنه غير متكلم، فإنه لا يعقل متكلم إلا من قام به الكلام، ولا مريد إلا من قامت به الإرادة ولا محب ولا راض ولا مبغض ولا رحيم إلا من قامت به الإرادة والمحبة و الرضا والبغض والرحمة، وقد وافقهم على ذلك كثير ممن انتسب في الفقه إلى أبى حنيفة من المعتزلة.

وغيرهم من أئمة المسلمين ليس فيهم من يقول بقول المعتزلة لا في نفي الصفات ولا في القدر ولا المنزلة بين المنزلتين ولا إنفاذ الوعيد[3]

وقد استقر أمرهم إلى أصول خمسة ابتدعوها و باينوا بها جميع الطوائف امتازوا بها دون غيرهم وكفروا من خالفها وتبرؤوا منه وهذه الأصول الخمسة:

1- **التوحيد** 2- **العدل** 3- و**المنزلة بين المنزلتين** 4- **وإنفاذ الوعيد** 5- **والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر**.

10/ 541

1 (?) سيأتي الحديث عنه إن شاء الله بالتفصيل.

2 (?) العقيدة الأصفهانية ص92 ومجموع الفتاوى ج8/228. وج 14/350.

3 (?) مجموع الفتاوى ج12/311،312.

لكن معنى التوحيد عندهم يتضمن نفي الصفات، ومعنى العدل عندهم يتضمن **التكذيب بالقدر وهو خلق أفعال العباد وإرادة الكائنات والقدرة على شيء، ومنهم من ينكر تقدم العلم والكتاب لكن هذا قول أئمتهم.**

وأما المنزلة بين المنزلتين فهي عندهم **أن الفاسق لا يسمى مؤمنا بوجه من الوجوه كما لا يسمى كافرا، فنزلوه بين منزلتين.**

و إنفاذ الوعيد عندهم معناه **أن فساق الملة مخلدون في النار لا يخرجون منها بشفاعة ولا غير ذلك كما تقوله الخوارج.**

و الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر **يتضمن عندهم جواز الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف))**[1]

فهؤلاء النواة الأولى للمعتزلة خالفوا جماعة المسلمين بهذا المعتقد وخالفوا الكتاب والسنة في هذا الباب وانشقوا عن الأمـة بآرائهم الفاسدة، وفرقوا بها كلمتهم واتبعوا غير سبيل المؤمنين وضلوا وأضلوا غيرهم من استتبعهم بغير هدى ولا كتاب منير.

فقد تبين أن ابتداء ظهورهم كان في أوائل المائة الثانية، وابتدع أصولها واصل بن عطاء الغزّال وعمرو بن عبيد البصري وهؤلاء رأس المعتزلة.

سادسا: الجهميـــة وابتداء ظهور أصول فرقتهم

أ- تأريخ ظهور مقالة الجهمية وأول من قال بها في الإسلام

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- أن الجهمية جاءت بالبلايا على الأمة جحدوا الحق وأنكروه وصدقوا بالباطل ونصروه ودعوا إليه إذ وصفوا الله سبحانه بما لا يليق ونفوا عنه أسماءه الحسنى وصفات العليا التي أثبتها لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله وخرجوا عما كان عليه الصحابة والأئمة واتبعوا غير سبيل المؤمنين وفارقوا جماعة المسلمين. وقد نبغ أصل مقالة الجهمية في عصر

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج12/126، و13/375، 386، 387، وج 28/129، ومنهاج السنة ج3/ 461.

أواخر التابعين واشتهر جهم ببدعة نفي الصفات، والغلو في القدر والإرجاء كما سيأتي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- : ((حدثت المعتزلة وتكلموا بالمنزلة بين المنزلتين و قالوا بإنفاذ الوعيد و خلود أهل التوحيد و أن النار لا يخرج منها من دخلها

ولم يكن الناس إذ ذاك أحدثوا شيئا من نفي الصفات، **ثم إنه في أواخر عصر التابعين من أوائل المائة الثانية حدثت بدعة الجهمية منكرة الصفات، وكان أول من أظهر ذلك الجعد بن درهم**[1] فطلبه خالد بن عبد الله القسري[2] أمير العراق فضحى به بواسط فخطب الناس يوم النحر وقال: أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضحٍّ بالجعد بن درهم إنه زعم أن الله تعالى لم يتخذ إبراهيم خليلا، ولم يكلم موسى تكليما، تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا ثم نزل فذبحه.

وهذا الجعد إليه ينسب مروان بن محمد الجعدي آخر خلفاء بني أمية، وكان شؤمه -يعني- الجعد- عاد عليه -يعني: مروان- حتى زالت الدولة؛ فإنه إذا ظهرت البدع

---

1 (?) **وجعد بن درهــم** شيخ الجهمية وهو أول من ابتدع بأن الله ما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولا كلم مـوسى، وأن الله لا يجوز على الله. قال المدائني: كان زنديقاً. وقد قال له وهب: إني لأظنك من الهالكين، لو لم يخبرنا الله أن له يدا، وأن له عيناً ما قلنا ذلك، ثم لم يلبث الجعد صُلب./ السير ج5/433.

2 (?) **خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري**، أبو الهيثم أمير العراقين(الكوفة والبصرة)، وأحد خطباء العرب و أجوادهم، ولي مكة سنة 89هـ للوليد بن عبد الملك ثم ولاه هشام الكوفة والبصرة سنة 105هـ فأقام بالكوفة وطالت مدته إلى أن عزله هشام سنة 120هـ وولي مكانه يوسف بن عمر الثقفي وأمره أن يحاسبه فسجنه ثم قتله في أيام الوليد بن يزيد وذلك سنة 126هـ/ انظر الكامل في التاريخ ج4/235، 262 وتاريخ ابن خلدون ج3/105- 106 وتهذيب التهذيب ج3/101- 102 والأعلام ج2/297.

التي تخالف دين الرسل انتقم الله ممن خالف الرسل، وانتصر لهم.

ثم ظهر بهذا المذهب الجهم بن صفوان ودخلت فيه بعد ذلك المعتزلة.

وكان قد أخذ هذا المذهب عنه الجهم بن صفوان فأظهره وناظر عليه وإليه أضيف قول الجهمية فقتله سلام بن أحوز أمير خراسان بها ثم انتقل ذلك إلى المعتزلة اتباع عمرو بن عبيد وظهر قولهم أثناء خلافة المأمون[1] حتى امتحن أئمة الإسلام ودعوا إلى الموافقة لهم على ذلك.

ولهذا كان أول من أظهر إنكار التكليم و المخالة وأول من عرف عنه في الإسلام أنه أنكر أن الله يحب عباده المؤمنين الجعد بن درهم في أوائل المائة الثانية وهو أول من قال بالجبر، وتعطيل الصفات**.**

و القرآن قد أخبر بأن العباد يؤمنون و يكفرون و يفعلون و يعملون و يكسبون و يطيعون و يعصون و يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و يحجون و يعتمرون و يقتلون و يزنون و يسرقون و يصدقون و يكذبون و يأكلون و يشربون و يقاتلون و يحاربون، فلم يكن من السلف و الأئمة من يقول: إن العبد ليس بفاعل ولا مختار، ولا مريد ولا قادر.

و أوَّل من ظهر عنه إنكار ذلك هو الجهم بن صفوان و أتباعه، فحكي عنهم أنهم قالوا : إن العبدَ مجبورٌ و أنه لا فعل له أصلاً و ليس بقادر أصلاً، وكان

---

[1] (?) **المأمون الخليفة أبو العباس**، عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور العباسي. وقرأ العلم والأدب والأخبار والعقليات وعلوم الأوائل، وأمر بتعريب كتبهم، وبالغ، وعمل الرصد فوق جبل دمشق، ودعا إلى القول بخلق القرآن وبالغ، نسأل الله السلامة وكان من رجال بني العباس حزماً وعزماً ورأياً وهيبةً وحلماً، ومحاسنه كثيرة في الجملة. وكان يجل أهل الكلام، ويتناظرون في مجلسه وكان يقول بخلق القرآن. مات سنة 218هـ./ انظر السير ج10/272_289. وسيأتي الكلام عنه.

الجهم غاليًا في تعطيل الصفات فكان ينفي أن يسمى الله تعالى باسم يسمى به العبد، فلا يسمى شيئًا و لا حيًا و لا عالمًا و لا سميعًا و لا بصيرًا. إلا على وجه المجاز[1] . و حكي عنه أنه كان يسمى الله تعالى قادرًا؛ لأن العبد عنده ليس بقادر، فلا تشبيه بهذا الاسم على قوله.

وكان هو و أتباعه ينكرون أن يكون لله حكمة في خلقه و أمره، و أن يكون له رحمة، و يقولون: إنما فعل بمحض مشيئة، لا رحمة معها، و حكي عنه أنه كان ينكر أن يكون الله أرحم الراحمين، و أنه كان يخرج إلى الجذمى فينظر إليهم و يقول: أرحم الراحمين يفعل مثل هذا بهؤلاء؟! و كان يقول: العباد مجبورون على أفعالهم ليس لهم فعل ولا اختيار.

وكان ظهور جهم و مقالته في تعطيل الصفات، و في الجبر و الإرجاء في أواخر دولة بني أمية بعد حدوث القدرية و المعتزلة و غيرهم، فإن القدرية حدثوا قبل ذلك في أواخر عصر الصحابة

فلما حدثت مقالته المقابلة لمقالة القدرية أنكرها السلف و الأئمة كما أنكروا قول القدرية من المعتزلة و غيرهم))[2] .

فقد تبين من هذا أن الجهم بن صفوان هو أول من نفى الأسماء والصفات لله تعالى، وأول من قال بأن العباد مجبورون في أفعالهم، وأول من أنكر أن يكون الله يتكلم أو يحب أو يبغض وإليه ينسب هذا المذهب وهو شيخ الجهمية وإمامهم وعنه أخذت المعتزلة وغيرهم،

---

1 (?) هذا يظهر خطورة القول بالمجـاز في كتـاب الله وبدعيته ولهذا قام علماءالسلف بالإنكار على القائلين به وتبديعهم لما تضـمنه هـذه الكلمة من الفاسد العظيمة في أسـماء الله وصفاته.

2 (?) مجمـوع الفتـاوى ج2/354 وج6/477 وج8/228 و357، وج10/66،697، وج12/27، 119، 163، وج13/177، وج 14/350، وج16/203 وج17/305، ومنهاج السنة ج1/309، وج3/166، وج5/322، والاستقامة ج2/102.

وإن كان هو قد أخذ هذا المذهب الفاسد عن الجعد بن درهم، وقد أجمعت الأمة على ضلالتهم كلهم .

ب- نشأة القول بالتعطيل وأصله

ذكر شيخ الإسلام أن منشأ التعطيل مأخوذ عن المشركين وعن أصحاب الديانات السابقة والمنحرفة عن الديانة الصحيحة.

ولهذا بين أن أصل قول الجهمية مأخوذ عن المشركين والصابئة والمتفلسفة ومبتدعة أهل الكتاب.

قال: ((لما كان منتهى الفلاسفة الصابئية وأعلى علمهم هو الوجود المطلق وكان أصل التجهم وتعطيل صفات الرب إنما هو مأخوذ عن الصابئة))[1]

قال في موضع آخر: ((ثم أصل هذه المقالة مقالة التعطيل للصفات إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين فإنّ أوّل من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام أعنى أن الله سبحانه وتعالى ليس على العرش حقيقة، وأن معنى استوى بمعنى استولى ونحو ذلك هو الجعد بن درهم وأخذها عنه الجهم ابن صفوان وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية إليه.

وقد قيل إن الجعد أخذ مقالته عن إبان بن سمعان، وأخذها إبان عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم :اليهودي الساحر الذي سحر النبي . ثم لما عربت الكتب الرومية واليونانية، في حدود المائة الثانية: زاد البلاء؛ مع ما ألقى الشيطان في قلوب الضلال ابتداء من جنس ما ألقاه في قلوب أشباههم.

ولما كان في حدود المائة الثالثة: انتشرت هذه المقالة التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية؛ بسبب بشر بن غياث المريسى وطبقته، وكلام الأئمة مثل مالك، وسفيان بن عيينة، وابن المبارك، وأبى يوسف،

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج2/91.

والشافعي وأحمد، وإسحاق، والفضيل بن عياض وبشر الحافى[1] وغيرهم كثير في ذمهم وتضليلهم)) [2] .

فإذا كان أصل هذه المقالة- مقالة التعطيل والتأويل- مأخوذًا عن تلامذة المشركين والصابئين واليهود، فكيف تطيب نفس مؤمن- بل نفس عاقل- أن يأخذ سبيل هؤلاء المغضوب عليهم أو الضالين، ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين؟! [3] .

وفي الجملة ((أن التكلم ببدعة الجهمية نفاة الصفات ظهر في أواخر عصر التابعين، ولم يكن لهم اجتماع وسلطان إلا بعد المائة الثانية في إمارة أبي العباس[4] الملقب بالمأمون، فإنه أظهر التجهم وامتحن الناس عليه وعرّب كتب الأعاجم من الروم واليونانيين وغيرهم، وفي زمنه ظهرت الخرمية[5] وهم زنادقة منافقون يظهرون الإسلام، وتفرعوا بعد ذلك إلى القرامطة، والبطانية والإسماعيلية، وأكثر هؤلاء ينتحلون الرفض في الظاهر، وصارت الرافضة الإمامية في زمن بني بويه[6] بعد المائة الثالثة، فيهم عامة هذه الأهواء المضلة فيهم الخروج والرفض والقدر، والتجهم))[7]

ثم إنه ((لما ظهر هؤلاء الجهمية أنكر السلف والأئمة مقالتهم وردوها، وقابلوها بما تستحق من الإنكار الشرعي، وكانت خفية إلى أن ظهرت وقويت شوكة الجهمية في

---

1 (?) تقدمت ترجمته.

2 (?) مجموع الفتاوى ج5/20، 22، وج12/27، 350، 351. والفتاوى الكبرى ج6/358.

3 (?) مجموع الفتاوى ج5/27.

4 (?) **تقدمت ترجمته.**

5 (?) تقدم تعريف بهم.

6 (?) كانوا بعد المائة الثالثة في أوائل المائة الرابعة فيهم عامة هذه الأهواء المضلة فيهم الخروج والرفض والقدر والتجهم، وهم كانوا من الصابئة المتفلسفة المتحنفة / انظر: مجموع الفتاوى ج4/79 وج28/491 وج35/183.

7 (?) مجموع الفتاوى ج28/490، 491.

أواخر المائة الأولى وأوائل الثانية في دولة أولاد الرشـــيد، فامتحنوا الناس المحنة المشهورة الـتي دعـوا النـاس فيها القــول بخلق القــرآن ولـــوازم ذلـــك، مثل إنكـــار الرؤية والصفات بناء على أن القـرآن هو من جملة الأعـراض فلو قـــام بـــذات الله لقـــامت به الأعـــراض فيلـــزم التشـــبيه والتجسيم[1] .

وحدث مع الجهمية قوم شبهوا الله تعالى بخلقه فجعلوا صفاته من جنس صفات المخلوقين فأنكر السلف والأئمة على الجهمية المعطلة وعلى المشبهة الممثلة))[2]

ولقد قام شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- بالرد على أباطيل الجهمية وهتك أستارهم و على شبها تهم التي قد تمسكوا بها فرد عليهم ردا علميا دقيقا مستدلا بأدلة الكتاب والسنة والمعقول وما اتفق عليه الصحابة والتابعين لهم بإحسان في مواضع عديدة، قد بلغ مجلدات كثيرة ويصعب حصرها في هذا الموضع، وبين فيها أن نفي الصفات وتعطيلها بدعة منكرة بل إن بعض أئمة السلف قد كفّروا من عطل الأسماء والصفات أو ألحد فيها.

ولهذا بين في موضع آخر أن ((البدع دهليز[3] الكفر والنفاق، كما أن التشيع دهليز الرفض، والرفض

---

1 (?) قلت: وهذه شبهتهم في نفي الصفات هو أن إثبات الصفات لله يستلزم تشبيهه بالمخلوقات لاشك أن كلامهم هذا عين الجهل فإن هذه الصفات قد أثبتها الله تعالى لنفسه في كتابه وأثبت له رسوله ﷺ إثباتا يليق بجلاله وعظمته كما أن ذاته المقدسة لا تشبه ذوات المخلوقين كذلك صفاته كما قال تعالى: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير).

2 (?) مجموع الفتاوى ج6/35.

3 (?) الدهليز : من دهلز، الدلِّيج فارسي معرب، والدهليز، بالكسر، ما بين الباب والدار، والجمع دهاليز/ اللسان ج 4/429(دهلز).

دهليز القرمطة والتعطيل، فالكلام الذي فيه تجهم هو دهليز التجهم، والتجهم دهليز الزندقة والتعطيل))[1] **.**

وقد قرر –رحمه الله- وجوب اتباع القرآن والسنة واتباع سبيل الصحابة والتابعين لهم بإحسان في هذا الباب، وبيّن أن ((الأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله نفيا وإثباتا فيثبت لله ما أثبته لنفسه، وينفى عنه ما نفاه عن نفسه.

وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل.

وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه مع إثبات ما أثبته من الصفات من غير إلحاد، لا في أسمائه، ولا في آياته، فإن الله تعالى ذم الذين يلحدون في أسمائه وآياته كما قال تعالىﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ[2] وقال تعالى ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ[3]

فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفى مماثلة المخلوقات إثباتًا بلا تشبيه وتنزيهًا بلا تعطيل، كما قال تعالىﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼ[4] .

ففي قوله : ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ **رد للتشبيه والتمثيل**. وقوله ﭽ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ **رد للإلحاد والتعطيل**.

والله سبحانه بعث رسله بإثبات مفصل ونفى مجمل، فأثبتوا لله الصفات على وجه التفصيل، ونفوا عنه ما لا يصلح له من التشبيه والتمثيل، كما قال تعالى: ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ[5] .

قال أهل اللغة ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ أي نظيرًا يستحق مثل اسمه. ويقال مساميا يساميه وهذا معنى ما

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج2/230.

2 (?) الأعراف.

3 (?) فصلت (40).

4 (?) الشورى.

5 (?) مريم.

يروى عن ابن عباس هل تعلم له سميا: مثيلاً أو شبيهًا .

وقال تعالى: ((ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ
ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ
ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ
ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ **إلى قوله** ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ
ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭼ[1]

فسبح نفسه عما يصفه المفترون المشركون، وسلَّم على المرسلين لسلامة ما قالوه من الإفك والشرك، وحمد نفسه؛ إذ هو سبحانه المستحق للحمد بما له من الأسماء والصفات وبديع المخلوقات.

وأما الإثبات المفصل فإنه ذكر من أسمائه وصفاته ما أنزله في محكم آياته كقوله ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ[2] الآية بكمالها، وقوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭼ[3] السورة،

إلى أمثال هذه الآيات والأحاديث الثابتة عن النبي في أسماء الرب تعالى وصفاته، فإن في ذلك من إثبات ذاته وصفاته على وجه التفصيل، وإثبات وحدانيته بنفي التمثيل ما هدى الله به عباده إلى سواء السبيل، فهذه طريقة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وأما من زاغ وحاد عن سبيلهم من الكفار والمشركين، والذين أوتوا الكتاب ومن دخل في هؤلاء من الصابئة، والمتفلسفة، والجهمية، والقرامطة، والباطنية، ونحوهم فإنهم على ضد ذلك يصفونه بالصفات السلبية على وجه التفصيل، ولا يثبتون إلا وجودا مطلقا لا حقيقة له عند التحصيل، وإنما يرجع إلى وجود في الأذهان يمتنع تحققه في الأعيان.

فقولهم يستلزم غاية التعطيل وغاية التمثيل، فإنهم يمثلونه بالممتنعات والمعدومات والجمادات، ويعطلون الأسماء والصفات تعطيلا يستلزم نفى الذات.

---

1 (?) الصافات آيات (149-182).

2 (?) البقرة آية(255).

3 (?) الإخلاص.

فغلاتهم يسلبون عنه النقيضين فيقولون لا موجود ولا معدوم، ولا حي ولا ميت، ولا عالم ولا جاهل، لأنهم يزعمون أنهم إذا وصفوه بالإثبات شبهوه بالموجودات، وإذا وصفوه بالنفي شبَّهوه بالمعدومات.

فسلبوا النقيضين، وهذا ممتنع في بداهة العقول، وحرَّفوا ما أنزل الله من الكتاب وما جاء به الرسول فوقعوا في شر مما فرُّوا منه، فإنهم شبهوه بالممتنعات إذ سلب النقيضين كجمع النقيضين كلاهما من الممتنعات))[1]

((فإن السلف يسمون من قال بخلق القرآن ونفي الصفات والرؤية جهميًّا؛ فإن جهمًا أول من أظهرت عنه بدعة نفي الأسماء والصفات وبالغ في ذلك، فله مزية المبالغة والابتداء بكثرة إظهاره، وإن كان جعد سبقه إلى بعض ذلك[2] .

يبين شيخ الإسلام ابن تيمية هنا أن الجهمية المحضة هم الغلاة وهو جهم نفسه ومتابعوه في مقالاته قاطبة وهم نفاة الأسماء مع الصفات بحيث لا يسمى الله بشيء ولا موجودا ولا يوصف بشيء من صفات الكمال التي أثبتها لنفسه في كتابه أو على لسان رسول فهؤلاء هم الجهمية المحضة وهم الغلاة. وأما من قال ببعض مقالتهم كنفي بعض الصفات مع إثبات الأسماء أو نفي الصفات مع إثبات الأسماء كلها فهؤلاء ليسوا من الجهمية المحضة، بل وافقوا جهمًا في بعض قوله ويسمى جهميًّا في الجملة، فليس حكم هذا حكم أولئك الغلاة ومعرفة هذا الفرق مهم جداً كما سيأتي.

وبين شيخ الإسلام أيضا أن سبب ظهور هذه البدع والأهواء في الأمة الجهل وقلة العلم والفقه في الدين

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج3/3، 4، 5، 6، 7، 25، 87، 130، 166، 374 وج4/5، 72، 365، وج5/26، وج6/26، وج 8/432، وج11/250 وج12/73.

[2] (?) مجموع الفتاوى ج15/221.

واستهانة أمر السنة وأهلها وخفاء نور الرسالة على أهلها.

ولهذا فقد قال -رحمه الله-: ((فالخوارج الحرورية كانوا أول أهل الأهواء خروجاً عن السنة والجماعة؛ مع وجود بقية الخلفاء الراشدين، وبقايا المهاجرين والأنصار، وظهور العلم، والعدل في الأمة، وإشراق نور النبوة وسلطان الحجة، وسلطان القدرة؛ حيث أظهر الله دينه على الدين كله بالحجة والقدرة**.**

ومعلوم أنه كلما ظهر نور النبوة كانت البدعة المخالفة أضعف، فلهذا كانت البدعة الأولى أخف من الثانية، و المستأخرة تتضمن من جنس ما تضمنته الأولى وزيادة عليها، كما أن السنة كلما كان أصلها أقرب إلى النبي كانت أفضل. فالسنن ضد البدع، فكل ما قرب منه النبي مثل سيرة أبي بكر وعمر كان أفضل مما تأخر كسير عثمان وعلي، والبدع ضد، كل ما بعد عنه كان شراً مما قرب منه، وأقربها من زمنه الخوارج. فإن التكلم ببدعتهم ظهر في زمانه؛ ولكن لم يجتمعوا وتصير لهم قوة إلا في خلافة أمير المؤمنين علي)).[1]

قال في موضع آخر: ((والنبوة كل ما ظهر نورها انطفت البدع، وهي في أول الأمر كانت أعظم ظهورًا؛ فكان إنما يظهر من البدع ما كان أخف من غيره، كما ظهر في أواخر عصر الخلفاء الراشدين بدعة الخوارج والتشيع، ثم في أواخر عصر الصحابة ظهرت القدرية والمرجئة، ثم بعد انقراض أكابر التابعين ظهرت الجهمية، ثم لما عربت كتب الفرس والروم ظهر التشبه بفارس والروم وكتب الهند انتقلت بتوسط الفرس إلى المسلمين، وكتب اليونان انتقلت بتوسط الروم إلى المسلمين فظهرت الملاحدة الباطنية الذين ركبوا مذهبهم من قول المجوس واليونان مع ما أظهروه من

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج28/489_490.

التشيع وكانت قرامطة البحرين أعظم تعطيلا وكفرا كفرهم من جنس كفر فرعون بل شر منه)).[1]

وقد ذكرنا أصول البدع التي أشار إليها شيخ الإسلام ابن تيمية وهي أصول الفرق الكبار التي تفرعت عنها جميع الفرق الأخرى .

- مناهج العلاء في تريب الفرق:

وقد بين أيضاً مناهج العلماء في ذكر الفرق وترتيبهم فقال**:**

((وإن الناس في ترتيب أهل الأهواء على ((أقسام)):

1- منهم من يرتبهم على زمان حدوثهم، فيبدأ بالخوارج.

2- ومنهم من يرتبهم بحسب خفة أمرهم وغلظه فيبدأ بالمرجئة، ويختم بالجهمية، كما فعله كثير من أصحاب أحمد رضي الله عنه كعبد الله ابنه ونحوه، وكالخلال[2] وأبي عبد الله بن بطة[3] وأمثالهما، وكأبي الفرج المقدسي[4] وكلا الطائفتين تختم بالجهمية: لأنهم أغلظ البدع، وكالبخاري في صحيحة فإنه بدأ بـ ((كتاب

---

1 (?) بيان تلبيس الجهمية ج1/357.

2 (?) في كتابه السنة

3 (?) في كتابه ((الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة)).

4 (?) **أبو الفرج المقدسي الحنبلي**، شيخ الإسلام، أبو الفرج عبد الواحد بن محمد بن علي بن أحمد الأنصاري، الشيرازي الأصل، الحراني المولد، الدمشقي المقر، الفقيه الحنبلي الواعظ، كان يعرف في العراق بالمقدسي، من كبار أئمة الإسلام. سمع من: أبي الحسن بن السمار، وشيخ الإسلام أبي عثمان الصابوني، وطائفة بدمشق، وارتحل إلى بغداد، فلازم القاضي أبا يعلى بن الفراء،، وتفقه به، ودرّس ووعظ، وبثّ مذهب أحمد بأعمال، وصنّف التصانيف. من تصانيفه: التبصرة)) في أصول الدين. و((والإيضاح)) ومسائل الإمتحان)) قال أبو الحسين بن الفراء: كان ناصراً لاعتقادنا، متجرداً في نشره وله تصانيف في الفقه والوعظ والأصول. توفي سنة 486هـ/ انظر: السير ج 19/51_53.

الإيمان والرد على المرجئة)) وختمه ((بكتاب التوحيد والرد على الزنادقة والجهمية)).

ولما صنف الكتاب في الكلام صاروا يقدمون التوحيد والصفات، فيكون الكلام أولاً مع الجهمية، وكذلك رتب أبو القاسم الطبري[1] كتاب في أصول السنة، والبيهقي أفرد لكل صنف مصنفًا، فله مصنف في الصفات، ومصنف في القدر، ومصنف في شعب الإيمان، ومصنف في دلائل النبوة، ومصنف في البعث والنشور وبسط هذه الأمور له موضع آخر))[2] .

والأمر آخر أن هناك فَرْقٌ بين استدلال أهل الأهواء والبدع وغيرهم من المتقدمين وبين المتأخرين ذكرها شيخ الإسلام وبين أن المتقدمين كانوا يخلطون أصولهم بالكتاب والسنة وإن كان فيه ما فيه.

وأما المتأخرون فإنهم يستدلون بأقوال الفلاسفة وآراء رجال والعقول، وبنى الآخرون أصول دينهم على الكشوفات والأذواق والرؤى والمنامات والحكايات بعيدا عن الكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة والتابعين.

وكل هذه يبين دقة علمه واطلاعه الواسع واهتمامه البالغ في تبصير الناس أمور دينهم وأصول عقيدتهم وربطهم بما كان عليه الصحابة ومن اتبعهم بإحسان.

---

1 (?) **هو الإمام الحافظ المجوِّد ، المفتي أبو القاسم، هبة الله** بن الحسن بن منصور، الطبري الرازي، الشافعي اللالكائي، مفيد بغداد في وقته. قال الخطيب: كان يفهم ويحفظ، وصنف كتاباً في السنة وهو((شرح أصول اعتقاد أهل السنة))_ عاجلته المنية، خرج إلى الدينور فأدركه أجله بها في شهر رمضان سنة ثمان عشرة وأربعمائة/ السير ج 17/ 419-420.

2 (?) مجموع الفتاوى ج13/49، 50. وجل هذه المصنفات موجودة ومحققة ومتداولة.

فبين المنهج الصواب أولا فقال: ((فمن بنى الكلام في العلم: الأصول والفروع على الكتاب والسنة والآثار المأثورة عن السابقين فقد أصاب طريق النبوة، وكذلك من بنى الإرادة والعبادة والعمل والسماع المتعلق بأصول الأعمال وفروعها من الأحوال القلبية والأعمال البدنية على الإيمان والسنة والهدى الذي كان عليه محمد وأصحابه فقد أصاب طريق النبوة، وهذه طريق أئمة الهدى)).[1]

قال: ((**ثم المتقدمون** الذين وضعوا طرق ((الرأي)) و ((الكلام)) و ((التصوف)) وغير ذلك كانوا يخلطون ذلك بأصول من الكتاب والسنة والآثار إذ العهد قريب. وأنوار الآثار النبوية بعد فيها ظهور، ولها برهان عظيم، وان كان عند بعض الناس قد اختلط نورها بظلمة غيرها.

فأما المتأخرون فكثير منهم جرَّد ما وضعه المتقدمون، مثل من صنف في ((الكلام)) من المتأخرين فلم يذكر إلا الأصول المبتدعة وأعرض عن الكتاب والسنة، وجعلهما إما فرعين، أو آمن بهما مجملا، أو خرج به الأمر إلى نوعٍ من الزندقة، ومتقدموا المتكلمين خير من متأخريهم.

وكذلك من صنَّف في ((الرأي)) فلم يذكر إلا رأى متبوعه وأصحابه، وأعرض عن الكتب والسنة، ووزن ما جاء به الكتاب والسنة على رأي متبوعه ككثير من اتباع أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم.

وكذلك ممن صنف في ((التصوف)) و ((الزهد)) جعل الأصل ما روي عن متأخري الزهاد وأعرض عن طريق الصحابة والتابعين، الذين نطق الكتاب والسنة بمدحهم والثناء عليهم والرضوان عنهم))[2]

وأكثر المتأخرين قد انحرفوا عن الحق وعن طريق السابقين الأولين وأحدثوا بدع وعارضوا بها الكتاب

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج10/363.

2 (?) مجموع الفتاوى ج10/ 366، 367،368.

والسنة كما تقدم تقريره.

والمقصود أن الدين كان أقوى ما يكون في عهد النبي ثم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ولم تكن لهذه البدع والأهواء باب ومنفذ إلا بعد مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان ثم تشعبت هذه البدع وبُعد أصحابها عن الكتاب والسنة وعن هدي سلف الأمة وصاروا فرقا شتى وتولدت عنها فرق أخرى، وتتابعت ظهورها منذ ذلك الزمان إلى يومنا هــذا.

من آثار ظهور هذه الفرق تسلط الأعداء على الأمـة

ما ضعف أمر هذه الأمة إلا بعد ظهور هذه الفرق والطوائف بهذه المقالات الباطلة والآراء الفاسدة التي تخالف دين الرسل ومزّقت شمل الأمة حتى تسلّط عليها الأعداء إلا من رحم الله كما بين شيخ الإسلام ابن تيمية.

قال - رحمه الله- : ((وهذا الجعد إليه ينسب مروان بن محمد الجعدي آخر خلفاء بني أمية، وكان شؤمه- يعني الجعد- عاد عليه- يعني: مروان- حتى زالت الدولة؛[1] فإنه إذا ظهرت البدع التي تخالف دين الرسل انتقم الله ممن خالف الرسل، وانتصر لهم، ولهذا لما ظهرت الملاحدة وملكوا الشام وغيرها ظهر فيها النفاق والزندقة الذي هو باطن أمرهم، وهو حقيقة قول فرعون ((إنكار الصانع وإنكار عبادته)) وخيار ما كانوا يتظاهرون به الرفض وظهر بسببهم الرفض والإلحاد والفلسفة، وكان

---

[1] (?) قال ابن القيم –رحمه الله في الصواعق ج3/1071 : ((وعلى رأسه سَلَبَ الله بني أمية المُلك والخلافة وشتَّتَهم في البلاد ومزّقهم كل ممزّق ببركة شيخ المعطلة النفاة)).

مبدأ ظهورهم من حين تولي المقتدر[1]، ولم يكن قد بلغ بعد، وهو مبدأ انحلال الدولة العباسية.

فلما ظهر النفاق والبدع والفجور المخالف لدين الرسل سلطت عليهم الأعداء، وكذلك أهل المشرق لما كانوا قائمين بالإسلام كانوا منصورين على الكفار المشركين من الترك والهند والصين وغيرهم، فلما ظهر منهم ما ظهر من البدع والإلحاد والفجور سلط عليهم الكفار. وكان من أسباب دخول هؤلاء ديار المسلمين ظهور الإلحاد والنفاق والبدع))[2]

فقد تبين من هذا خطورة البدع والأهواء وأثر المبتدعة على الدول والملوك وأن البدع والأهواء ما دخلت في أمة أو دولة إلا وقد أفسدها وفرّق أهلها وضعّفت قوتها.

ولهذا قال شيخ الإسلام في موضع آخر: ((يجب على كل من يقدر على دفع شبههم وأباطيلهم، وقطع حججهم وأضاليلهمْ، أن يبذل جُهده ليكشف رذائلهم، ويُزيّف

---

1 (?) الخليفة المقتدر بالله أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن أبي أحمد طلحة بن المتوكل على الله الهاشمي العباسي البغدادي بويع بعد أخيه المكتفي في سنة خمس وتسعين ومئتين وهو ابن ثلاث عشرة سنة وما ولي أحد قبله أصغر منه وانخرم نظام الإمامة في أيامه وصغر منصب الخلافة وقد خلع في أوائل دولته وبايعوا ابن المعتر ثم لم يتم ذلك وقتل ابن المعتز وجماعة ثم إنه خلع ثانيا في سنة سبع عشرة وبذل خطه بعزل نفسه وبايعوا أخاه القاهر ثم بعد ثلاث أعيد المقتدر ثم في المرة الثالثة قتل وكان ربعة مليح الوجه أبيض بحمرة نزل الشيب بعارضية وعاش ثمانيا وثلاثين سنة /السير ج15/43

2 (?) مجموع الفتاوى ج13/177، 178، 179، 180.

دلائلهم، ذباًّ عن الملة الحنيفية والسنة الصحيحة الجلية)) [1]

يستخلص من هذه النصوص التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في ابتداء ظهور أصـول الفرق ومقالاتها ما يلي:

أولا: أنه لم يكن في عهد النبي ما يسمى بالتشيع أو الرفض أو الإرجاء أو إنكار القدر أو نفي الصفات أو نحو ذلك، ولا في عهد أبي وعمر وعثمان رضي الله عنهم ولم يكن هذه أيضا في عهد أحد من الخلفاء إنما حدث بعدهم.

ثانيا: أنّ الصحابة رضوان الله عليهم لم يعرف فيهم أحد أنه كان من أهل البدع المعروفة كبدع الخوارج والرافضة والقدرية والمرجئة فلم يعرف فيهم أحد نُسب إلى هؤلاء.

ثالثا: أن قوة الاعتصام بالكتاب والسنة تصون القوم من البدع والتفرق والاختلاف

رابعاً: أنّ أول بدعة حدثت في الإسـلام بدعة الخوارج، ظهرت في أواخر عصر علي بعد مقتل الخليفة الراشد عثمان . وأن أصل الخوارج أنهم يكفرون بالذّنب ويعتقدون ذنباً ما ليس بذنب ويكفرون من خالفهم، ويستحلون دمه.

خامسًا: أن أصل الرفض أو الروافض هو القول بالنص على إمامة علي نصا قاطعاً، وأنه إمام معصوم وأن من خالفه كفر، وكفروا الصحابة ومن اتبعهم، فلم يكن لهم وجود قبل ذلك، وأول من ابتدع الرفض والقول بالنص على إمامة علي وعصمته كان منافقاً زنديقاً وهو عبد الله بن سبأ اليهودي، و كان في أواخر عصر علي.

---

[1] (?) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية للبزار ص34. المكتب الإسلامي- بيروت ، ط:3. 1400هـ تحقيق زهير شاويش.

سادسًا: أن ابتداء ظهور أصول القدر أو القدرية كان في أواخر عصر الصحابة رضوان الله عليهم في أثناء المائة الأولى، وأصل القدرية عجزهم عن الإيمان بالشرع والقدر معا، **وأول من ابتدع القول بإنكار القدر هو سيسويه** وكان من أبناء المجوس، وتلقاه عنه هذه البدعة معبد الجهني؛ ولم يكن على عهد الخلفاء الراشدين أحد ينكر القدر.

سابعاً: **بدعة المرجئة أو القول بالإرجاء** كانت ظهورها في أواخر عصر الصحابة في إمارة ابن الزبير وعبد الملك.

وأن الأصل الذي نشأ منه الإرجاء اعتقاد المرجئة إخراج الأعمال من الإيمان، وأن من كان مؤمنا لم يكن معه شيء من الكفر والنفاق فرد عليهم بقية الصحابة في ذلك الزمن.

ثامنًا: وأن التجهم ونفي الصفات بدأت في أواخر عصر التابعين في أوائل المائة الثانية، وكان أول من أظهر ذلك الجعد بن درهم فضحى به خالد بن عبد الله القسري، ثم ظهر بهذا المذهب الجهم بن صفوان ودخل فيه من دخل.

وأن أصل التجهم تعطيل صفات الرب الرحيم السميع العليم الملك القدوس السلام.

تاسـعاً: أن الفرق وأصولها ظهرت بعد تفرق المسلمين وضعف أهلها، وأن هذه الأهـواء والبدع لم تخرج منها شيء في المدينة النبوية دار النبوة ومأرز الإيمان لظهور نور النبوة فيها ولتمسك أهلها بسنة نبيها صلى الله عليه وسلم.

عاشرا: أن هذه الفرق المذكورة هي أمهات الفرق كلها وأصولها، فكل الفرق الأخرى قد تشعبت منها وتفرعت عنها كما قررها بعض أئمة السلف ونقلها شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-.

وأن سبب تسلط الكفار على المسلمين والتغلغل في صفوفهم والتدخل في شؤونهم ظهور هذه الفرق البدع والأهواء.

وللأهـل البدع والأهـواء علامات وشعار يتميزون بها وهي ويكاد يكون قائما مشتركا فيما بينهم كما سيأتي بيانه.

- المبحث: الرابع بيـــان شـــعار أهل البـــدع والتفرق في هذه الأمة

ولأهل الأهـواء والبدع شعار وعلامات كثيرة يتسمون بها ويُعرفون بها عند أهل العلم والإيمان أهل السنة والجماعة .

وممن قام بذكر شعارهم العالم العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- فقد بذل جهودا كبيرا التمييز بين أهل البدع وما يعرفون به وبين أهل السنة بالحجة والبيان، ومن اطلع على مؤلفاته يجد مواقفه المحمودة في هذا الباب وفي هذا الموضع سنذكر بعض أبرز سمات أهل البدع التي أشار إليها شيخ الإسلام في كتبه.

قبل هذا فقد بين شيخ الاسلام ابن تيمية – رحمه الله- البدعة التي يعد بها الرجل من أهلها وينسب إليها

وذكر - رحمه الله أن ((البدعة التي يعد بها الرجل من أهل الأهواء ما اشتهر عند أهل العلم بالسنة مخالفتها للكتاب والسنة، كبدعة الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة، فإن عبد الله بن المبارك، ويوسف بن أسباط وغيرهما قالوا: أصول اثنتين وسبعين فرقة هي أربع الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة، قيل لابن المبارك فالجهمية قال ليست الجهمية من أمة محمد))[1]

فهذه هي أمهات وأصـول الفرق التي خرجت على جماعة المسلمين وما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم ومضت عليه سنة رسول الله ورضي به الله لهم وأصول الفرق اللاحقة وجذور تعود إلى تلك وكل بحسب انحرافها وبدعتها،كما تقدم في بيان أصول الفرق وابتداء ظهورها في الإسلام.

فإن البدعة ما لم يشرعه الله من الدين فكل من دان بشيء لم يشرعه الله فذاك بدعة وإن كان متأولاً فيه.

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج35/414.

وهذا موجود من جميع أهل التأويل المفترقين من الأولين والآخرين [1]

فإن ما عليه هذه الفرق من الأهواء التي عادوا بها المسلمين أو كفروهم بها واستحلوا دماءهم وفارقوا به جماعتهم لم يشرعه الله في دينه ولا بعث به رسوله كما سيتضح ذلك أكثر من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية فيذكره لسمات أهل البدع.

ومن أبرز شعار أهل البدع وسماتهم التي يتميزون بها عن أهل الحق والسنة ما يلي:

1- الفرقة والاختلاف

هذا أعظم شعار لأهل البدعة وهو الفرقة والاختلاف، وقد تقدم كلام ابن عباس في تفسير قوله تعالى : ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜﯝ ﭼ[2] قال : ((تبييض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة))[3] فهم لما فارقوا الجماعة في الاعتقاد صاروا أهل بدعة وفرقة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((والبدعة مقرونة بالفرقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة، فيقال أهل السنة والجماعة، كما يقال أهل البدعة والفرقة وقد بسطنا هذا كله في غير هذا الموضع))[4] .

قال تعالى : ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ[5]

ولهذا قال الإمام أحمد في أول خطبته فيما أخرجه في الرد على الزنادقة والجهمية: ((الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه ؟ وكم من ضال

---

1 (?) كتاب الإستقامةج1/42.
2 (?) آل عمران آية: (106).
3 (?) زاد المسير ج1/436 ومجموع الفتاوى 3/278 وج 4/515.
4 (?) الاستقامة ج1/42.
5 (?) البقرة.

تائه قد هدوه ؟ فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم، ! ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة وأطلقوا عنان الفتنة، فهم مخالفون للكتاب، مختلفون في الكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم فنعوذ بالله من فتن المضلين)) [1] .

وقد بين الله في كتابه من الأمثال المضروبة، والمقاييس العقلية، ما يعرف به الحق والباطل، وأمر الله بالجماعة والائتلاف، ونهى عن الفرقة والاختلاف وأخبر أن أهل الرحمة لا يختلفون، فقال : ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭼ [2] . ولهذا يوجد أتبع الناس للرسول أقل اختلافا من جميع الطوائف المنتسبة للسنة، وكل من قرب للسنة كان أقل اختلافا ممن بعد عنها كالمعتزلة والرافضة فنجدهم أكثر الطوائف اختلافا)) [3]

فهذا حال أهل البدعة والفرقة والاختلاف، فلا تكاد تجد لهم اجتماع كلمة على الحق أبدا لمفارقتهم للجماعة وتركهم الحق الذي في الكتاب وجاء به الرسول بآرائهم وأهوائهم.

2- من شعارهم التلاعب بالنصوص

وهذا له وجوه كثيرة وصور عديدة ومتنوعة منها ما يلي:

أ- التأويـل

وقد عرف شيخ الإسلام أولا ((التأويل)) و معناه وأنواعه والمحمود منه والمذموم المحدث

---

1 (?) كتاب الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد –رحمه الله- ص6. ومنهاج السنة ج5/273 ودرء تعارض العقل والنقل ج1/377و ج3/39.

2 (?) هوود آية (118-119).

3 (?) مجموع الفتاوى ج 9/230.

فقال: ((فإن لفظ التأويل قد صار بتعدد الاصطلاحات مستعملا في ثلاثة معان:

أحدها : وهو اصطلاح كثير من المتأخرين من المتكلمين في الفقه وأصوله: أن التأويل هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به، وهذا هو الذي عناه أكثر من تكلم من المتأخرين في تأويل نصوص الصفات وترك تأويلها، وهل ذلك محمود أو مذموم أو حق أو باطل.

الثاني : أن التأويل بمعنى التفسير، وهذا هو الغالب على اصطلاح المفسرين للقرآن، كما يقول ابن جرير وأمثاله من المصنفين في التفسير، واختلف علماء التأويل ومجاهد إمام المفسرين قال الثوري: ((إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به)) وعلى تفسيره يعتمد الشافعي وأحمد والبخاري وغيرهما، فإذا ذكر أنه يعلم تأويل المتشابه فالمراد به :معرفة تفسيره.

الثالث من معاني التأويل: هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، كما قال الله تعالى ﭽ ﭙ ﭚ ﭛﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭼ[1] .

فتأويل ما في القرآن من أخبار المعاد هو ما أخبر الله به فيه مما يكون من القيامة والحساب، والجزاء، والجنة والنار، ونحو ذلك .

الثاني هو تفسير الكلام وهو الكلام الذي يفسر به اللفظ حتى يفهم معناه أو تعرف علته أو دليله.

وهذا التأويل الثالث هو عين ما هو موجود في الخارج ومنه قول عائشة كان النبي يقول في ركوعه وسجوده: ((سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي)) يتأول القرآن يعني قوله فسبح بحمد ربك واستغفره))[2] .

و ((ذكروا ذلك في تفسير اشتمال الصماء، لأن الفقهاء يعلمون تفسير ما أمر به ونهى عنه، لعلمهم

---

1 (?) الأعراف آية: (53).

2 (?) مجموع الفتاوى ج3/ 55، 56.

بمقاصد الرسول، كما يعلم أتباع سقراط وسيبويه ونحوهما من مقاصدهما ما لا يعلم بمجرد اللغة، ولكن تأويل الأمر والنهي لا بد من معرفته بخلاف تأويل الخبر إذا عرف ذلك، فتأويل ما أخبر الله تعالى به عن نفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الأسماء والصفات، هو حقيقة لنفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الصفات، وتأويل ما أخبر الله تعالى به من الوعد والوعيد هو نفس ما يكون من الوعد والوعيد)) [1] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((فقد تبين أن الواجب طلب علم ما أنزل الله على رسوله ﷺ من الكتاب و الحكمة، و معرفة ما أراد بذلك كما كان على ذلك الصحابة و التابعون لهم بإحسان، و من سلك سبيلهم، فكل ما يحتاج الناس إليه في دينهم، فقد بينه الله و رسوله بيانا شافيا، فكيف بأصول التوحيد و الإيمان، ثم إذا عرف ما بينه الرسول نظر في أقوال الناس، و ما أرادوه بها، فعرضت على الكتاب و السنة.

والعقل الصريح دائمًا موافقٌ للرسول ﷺ لا يخالفه قط، فإنّ الميزان مع الكتاب، والله أنزل الكتاب بالحق و الميزان؛ لكن قد تقصر عقول الناس عن معرفة تفصيل ما جاء به، فيأتيهم الرسول بما عجزوا عن معرفته و حاروا فيه، لا بما يعلمون بعقولهم بطلانه؛ فالرسل صلوات الله و سلامه عليهم تخبر بمحارات العقول لا تخبر بمحالات العقول، **فهذا سبيل الهدى و السنة و العلم**.

وأما سبيل الضلال و البدعة و الجهل فعكس ذلك: أن يبتدع بدعةً برأي رجالٍ وتأويلاتهم، ثم يجعل ما جاء به الرسول تبعًا لها، و يحرفَ ألفاظه، و يتأول على و فق ما أصلوه

و هؤلاء تجدهم في نفس الأمر لا يعتمدون على ما جاء به الرسول، و لا يتلقون الهدى منه، و لكن ما

[1] (?) مجموع الفتاوى ج3/57.

وافقهم منه قبلوه، وجعلوه **حجةً لا عمدة**، وما خالفهم تأولوه، كالذين يحرفون الكلم عن مواضعه أو فوضوه، كالذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني، و هؤلاء قد لا يعرفون ما جاء به الرسول: إما عجزًا و إما تفريطًا، فإنه يحتاج إلى مقدمتين:

أن الرسول قال كذا، **وأنه أراد به كذا.**

أما الأولى: فعامتهم لا يرتابون في أنه جاء بالقرآن وإن كان من غلاة أهل البدع مَن يرتاب في بعضه لكن الأحاديث عامة أهل البدع جهال بها، و هم يظنون أن هذه رواها آحاد يجوزون عليهم الكذب و الخطأ، ولا يعرفون من كثرة طرقها و صفات رجالها، والأسباب الموجبة للتصديق بها ما يعلمه أهل العلم بالحديث؛ فإن هؤلاء يقطعون قطعًا يقينًا بعامة المتون الصحيحة التي في الصحيحين كما قد بسطناه في غير هذا الموضع.

وأما المقدمة الثانية: فإنهم لا يعرفون معاني القرآن و الحديث، و منهم من يقول: الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين بمراد المتكلم، وقد بسطنا الكلام على فساد ذلك[1] في غير هذا الموضع.

و كثير منهم إنما ينظر من تفسير القرآن و الحديث فيما يقوله موافقوه على المذهب فيتأول تأويلاتهم، فالنصوص التي توافقهم يحتجون بها، والتي تخالفهم يتأولونها، وكثير منهم لم يكن عمدتهم في نفس الأمر إتباع نص أصلاً، و هذا في البدع الكبار مثل الرافضة و الجهمية))[2] .

---

1 (?) انظر مجموع الفتاوى ج5/ 29 وج16/433، ودرء تعارض العقل والنقلج1/7 وج3/ 77 والصواعق المرسلة ج2/456، و 633.

2 (?) مجموع الفتاوى ج17/334، 444، 445 وج18/356، 357، 362، وج7/118. ومنهاج السنة ج2/109 ودرء تعارض العقل والنقل ج3/76، وكتاب النبوات ص164 وبيان تلبيس الجهمية ج1/253، 523.

و ((**المقصود هنا**)) أن السلف كان اعتصامهم بالقرآن والإيمان.

فلما حدث في الأمة ما حدث من التفرق والاختلاف صار أهل التفرق والاختلاف شيعًا. صار هؤلاء عمدتهم في الباطن ليست على القرآن والإيمان، ولكن على أصول ابتدعها شيوخهم عليها يعتمدون في التوحيد والصفات والقدر والإيمان بالرسول وغير ذلك، ثم ما ظنوا أنه يوافقها من القرآن احتجوا به، وما خالفها تأولوه؛ فلهذا تجدهم إذا احتجوا بالقرآن والحديث لم يعتنوا بتحرير دلالتهما، ولم يستقصوا ما في القرآن من ذلك المعنى؛ إذ كان اعتمادهم في نفس الأمر على غير ذلك، والآيات التي تخالفهم يشرعون في تأويلها شروع من قصد ردها كيف أمكن؛ ليس مقصوده أن يفهم مراد الرسول؛ بل أن يدفع منازعه عن الاحتجاج بها[1] .

ولهذا تجد المعتزلة والمرجئة والرافضة وغيرهم من أهل البدع يفسرون القرآن برأيهم ومعقولهم وما تأولوه من اللغة، ولهذا تجدهم لا يعتمدون على أحاديث النبي والصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، فلا يعتمدون لا على السنة، ولا على إجماع السلف وآثارهم، وإنما يعتمدون على العقل واللغة، وتجدهم لا يعتمدون على كتب التفسير المأثورة والحديث وآثار السلف، وإنما يعتمدون على كتب الأدب، وكتب الكلام التي وضعتها رؤوسهم، وهذه طريقة الملاحدة أيضا إنما يأخذون ما في كتب الفلسفة وكتب الأدب واللغة، وأما كتب القرآن والحديث والآثار فلا يلتقون إليها، هؤلاء يعرضون عن نصوص الأنبياء، إذ هي عندهم لا تفيد العلم، وأولئك يتأولون القرآن برأيهم وفهمهم بلا آثار عن النبي وأصحابه وقد ذكرنا كلام أحمد وغيره في إنكار هذا وجعله طريقة أهل البدع[2].

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج13/58-59.

2 (?) مجموع الفتاوى ج17/413- وج7/119.وج3/67.

هذه طريقة أهل البدع كلهم وهو تأويل نصوص الشرع الصريحة الدلالة وتنقيص قدرها اتباعا للهوى أو ردها وتحريف معانيها أو النقص والزيادة فيها. من كان هذا موقفه من نصوص الشرع يأخذ من الأدلة ما يوافق هواهـا، صحيحا كان أو ضعيفاً، ويترك ما لم يوافقها، فهو من أهل البدع والأهواء حتى يدعها.

3- من شعارهم كتمان الحق وتلبيسه بالباطل

قرر شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله – أن من شعار أهل البدع كتمان الحق وأنه لا تجد مبتدعاً إلا وهو يحب كتمان الحق الذي يخالف هواه أو تلبيسه بالباطل وهذه صفة من صفات اليهود التي ذمهم الله بها في الكتمان.

قال –رحمه الله-: ((فإن بني إسرائيل قد ذهبوا أو كفروا، وإنما ذُكِرتْ قصصهم عبرة لنا، فكان فيما خاطب الله بني إسرائيل عبرة لنا : أن لا نلبس الحق بالباطل ونكتم الحق.[1]

والبدع التي يعارض بها الكتاب والسنة التي يسميها أهلها كلاميات، وعقليات، وفلسفيات، أو ذوقيات ووجديات وحقائق وغير ذلك، لا بد أن تشمل علي لبس حق بباطل، وكتمان حق، وهذا أمر موجود يعرفه من تأمله، فلا تجد قط مبتدعًا إلا وهو يحب كتمان النصوص التي تخالفه؛ ويبغضها ويبغض إظهارها وروايتها والتحدث بها، ويبغض من يفعل ذلك، كما قال بعض السلف: ((ما ابتدع أحد بدعة إلا نزعت حلاوة الحديث من قلبه)). ثم إن قوله الذي يعارض به النصوص لا بد له أن يلبس فيه حقا بباطل بسبب ما يقوله من الألفاظ المجملة المتشابهة))[2] .

---

[1] (?) كما قال تعالى ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ آل عمران: ٧١

[2] (?) مجموع الفتاوى ج20/161 ودرء تعارض العقل والنقل ج 1/120.

وقال في تعليقه على هذه الآية: ﭽ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ﭼ(1)

قال: ((وقوله ﭽ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ﭼ هما متلازمان فإن من لبّس الحق بالباطل فجعله ملبوسا به خفي من الحق بقدر ما ظهر من الباطل، فصار ملبوسًا ومن كتم الحق احتاج أن يقيم موضعه باطلا فيلبس الحق بالباطل، ولهذا كان كل من كتم من أهل الكتاب ما أنزل الله فلابد أن يظهر باطلا.

وهكذا أهل البدع لا تجد أحدًا ترك بعض السنة التي يجب التصديق بها والعمل إلا وقع في بدعة، ولا تجد صاحب بدعة إلا ترك شيئًا من السنة، كما جاء في الحديث ((ما ابتدع قوم بدعة إلا تركوا من السنة مثلها)) رواه الإمام أحمد(2) وقد قال تعالى: فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاءﭽ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ﭼ(3) .

فلما تركوا حظًّا مما ذُكِّروا به اعتاضوا بغيره، فوقعت بينهم العداوة والبغضاء، وقال تعالى ﭽ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ﭼ(4) (5) .

---

1 (?) آل عمران آية (71).

2 (?) واللفظ عند أحمد: ((ما أحدث قوم بدعة إلا رفع مثلها من السنة فتمسك بسنة خير من إحداث بدعة)) ج4/105 ضعفه الألباني بهذا اللفظ في ضعيف الجامع رقم(4983)ورواه وفي المشكاة رقم(48) 187. الدارمي في سننه ج1/158 وعند عبد الرزاق في مصنفه: ((ما ابتدع قوم بدعة قط إلا استحلوا بها السيف)) ج10/151. وصحح الألباني الحديث الذي ذكره شيخ الإسلام في المشكاة رقم(49) 188.

3 (?) المائدة آية (14).

4 (?) الزخرف.

5 (?) مجموع الفتاوى ج7/172، 173.

فعلى المسلم أن يحذر من هاتين الصفتين الذميمتين فهي من سمات أهل الكتاب وجماع ذلك الإتباع والتسليم كما قال شيخ الإسلام:

((**وجماع بحفظ أصلين**:

أحدهما: تحقيق ما جاء به الرسول، فلا يخلط بما ليس منه من المنقولات الضعيفة، والتفسيرات الباطلة، بل يعطى حقه من معرفة نقله ودلالته.

والثاني: أن لا يعارض ذلك بالشبهات لا رأيًا ولا روايةً، قال الله تعالى فيما يأمر به بنى إسرائيل وهو لنا: ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﭽ[1] فلا يكتم الحق الذي جاء به الرسول، ولا يلبس بغيره من البطل ولا يعارض بغيره))[2].

4- ومن شعارهم اتباع المتشابهات والألفاظ المجملة والمعاني المشتبهة

وقد صار هذه العادة سمة وشعارًا لأهل البدع والأهـواء ومنهجًا ينتهجونه للوصول إلى بغيتهم وطريقاً إلى تحقيق مقصودهم، ومِعْولاً لهدم أصول الدين، فيعارضون بها الحق بعد ما تبين للناس، ويلبسون بها عقول العوام بإلقاء الشبهات: تارة بالألفاظ المجملة والمعاني المشتبهة تارة أخرى كما سيذكره شيخ الإسلام رحمه الله- فيما سيأتي .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((ولهذا قال الإمام أحمد في أوَّلِ ما كتبه في الرد علي الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته علي غير تأويله، مما كتبه في حبسه قال في أوله : ((الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضلَّ إلي الهدى ويبصرون منهم

---

[1] (?) البقرة.

[2] (?) مجموع الفتاوى ج15/155-156وانظر أيضا:مجموع الفتاوى ج19/194، ومنهاج السنة ج4/548، والاستقامة ج 1/3 و2/300.(

علي الأذى يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمي، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من تائه ضالٍّ قد هدوه، فما أحسن أثرهم علي الناس وأقبح أثر الناس عليهم ! ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عنان الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب، متفقون علي مخالفة الكتاب، يقولون علي الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم فنعوذ بالله من فتن المضلين»[1]

وقال شيخ الإسلام في تعليقه على كلام الإمام أحمد -رحمه الله -: « المبتدعة يستعملون ألفاظ الكتاب والسنة واللغة ولكن يقصدون بها معاني أخر.

والمقصود هنا قوله: « يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم»[2] وهذا الكلام المتشابه الذي يخدعون به جهال الناس هو الذي يتضمن الألفاظ المتشابهة المجملة، التي يعارضون بها نصوص الكتاب والسنة، وتلك الألفاظ تكون موجودة مستعملة في الكتاب والسنة وكلام الناس، لكن بمعان أُخر غير المعاني التي قصدوها هم بها، فيقصدون هم بها معاني أخر، فيحصل الاشتباه والإجمال، كلفظ «العقل» و«العاقل» و«المعقول»، فإن لفظ العقل في لغة المسلمين إنما يدل على عرض إما مسمي مصدر عقل يعقل عقلا، وإما قوة يكون بها العقل وهي الغزيزة، وهم يريدون بذلك جوهرًا مجردًا قائما بنفسه.

وكذلك لفظ «المادة» و«الصورة»، بل وكذلك لفظ «الجوهر» و«العرض» و«الجسم» و«التحيز» و«الجهة» و«التركيب» و«الجزء» و«الافتقار» و«العلة» و«المعلول»

---

[1] (?) الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد ص1/6. ومجموع الفتاوى ج1/3 وج4/217 وج11/435، وج15/284 وج17/300 ومنهاج السنة ج5/273.

[2] (?) من كلام الإمام أحمد –رحمه الله-.

و((العاشق)) و((العشق)) و((المعشوق))، بل ولفظ ((الواحد في التوحيد))، بل ولفظ ((الحدوث)) و((القدم))، بل ولفظ ((الواجب)) و((الممكن))، بل ولفظ ((الوجود)) و((الذات)) وغير ذلك من الألفاظ[1]

وكلفظ ((أصول الدين)) حيث أدخل فيه كل قوم من المسائل والدلائل ما ظنوه هم من أصول دينهم وإن لم يكن من أصول الدين الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، كما ذكرنا وأنه إذا منع إطلاق هذه المجملات المحدثات في النفي والإثبات ووقع الاستفسار والتفصيل تبين سواء السبيل.

و أيضا اسم ((**التوحيد**)) اسم معظم جاءت به الرسل و نزلت به الكتب، فإذا جعل تلك المعاني التي نفاها من التوحيد ظن من لم يعرف مخالفة مراده لمراد الرسول ، أنه يقول بالتوحيد الذي جاءت به الرسل ويسمى طائفته الموحدين، كما يفعل ذلك الجهمية، والمعتزلة، و من وافقهم على نفي شيء من الصفات و يسمون ذلك توحيدًا، وطائفتهم الموحدين، ويسمون علمهم علم التوحيد، كما تسمى المعتزلة ومن وافقهم نفي القدر عدلاً، ويسمون أنفسهم العدلية وأهل العدل، و مثل هذه

---

[1] (?) وفي هذا العصر لفظ : ((الإرهاب)) و((الوهابية)) وحتى لفظ ((الجهاد)) قد جعلها البعض بابا للإفساد وقتل الأبرياء وإتلاف الممتلكات باسم الجهاد في سبيل الله إما جهلاً بالدين أوغلواً، وكذلك ((الأمر بالمعروف)) فكل هذه قد أصبح تطلق وتقصد بها معنى غير المعنى شرع الله ورسوله. وحتى لفظ (الصحابة) أدخله الرافضة في هذا المعنى مثلاً قد يقولون لمن لا يفهم أمرهم : نحن نحب الصحابة أو نحن لا نلعن الصحابة أو لعن الله من سب الصحابة. ولكن هنا يجب الاستفصال والاستفسار مَنْ هم الصحابة عندهم ؟ ومن يعتقدون في دينهم أنهم هم الصحابة وهم نفر قليل لا يتجاوز خمسة عشر من بين أكثر من أربعين ألف، فيجب التنبه لهذا فقد بدؤوا الآن يستخدمون هذا الأسلوب لتشييع الناس وخداعهم وتلبيسهم في دينهم .

البدع كثير جدا يعبر بألفاظ الكتاب و السنة عن معان مخالفة لما أراده الله ورسوله بتلك الألفاظ.

وما من أهل فنٍّ إلا وهم معترفون بأنهم يصطلحون على ألفاظ يتفاهمون بها مرادهم، كما لأهل الصناعات العلمية ألفاظ يعبرون بها عن صناعتهم، وهذه الألفاظ هي عُرْفية عرفًا خاصا، ومرادهم بها غير المفهوم منها في أصل اللغة، سواء كان ذلك المعني حقًا أو باطلا.

وإذا كان كذلك فهذا مقام يحتاج إلي بيان؛ وذلك أن هؤلاء المعارضين إذا لم يخاطبوا بلغتهم واصطلاحهم فقد يقولون : إنا لا نفهم ما قيل لنا، أو أن المخاطب لنا والراد علينا لم يفهم قولنا، ويلبسون على الناس بأن الذي عنيناه بكلامنا حق معلوم بالعقل أو بالذوق، ويقولون أيضا : إنه موافق للشرع إذا لم يظهروا مخالفة الشرع، كما يفعله الملاحدة من القرامطة، والفلاسفة، ومن ضاهاهم، وإذا خوطبوا بلغتهم واصطلاحهم ـ مع كونه ليس هو اللغة المعروفة التي نزل بها القرآن ـ فقد يفضي إلي مخالفة ألفاظ القرآن في الظاهر.

فإنّ هؤلاء عبروا عن المعاني التي أثبتها القرآن بعبارات أخري ليست في القرآن؛ وربما جاءت في القرآن بمعني آخر فليست تلك العبارات مما أثبته القرآن، بل قد يكون معناها المعروف في لغة العرب التي نزل بها القرآن منتفيا باطلا نفاه الشرع والعقل، وهم اصطلحوا بتلك العبارات على معان غير معانيها في لغة العرب، فتبقي إذا أطلقوا نفيها لم تدل في لغة العرب علي باطل، ولكن تدل في اصطلاحهم الخاص على باطل، فمن خاطبهم بلغة العرب قالوا: إنه لم يفهم مرادنا، ومن خاطبهم باصطلاحهم أخذوا يظهرون عنه أنه قال ما يخالف القرآن، وكان هذا من جهة كون تلك الألفاظ مجملة مشتبهة**.**

كما فعلت الجهمية بمن لبسوا عليه من الخلفاء حتى أدخلوه في بدعهم من القول بخلق القرآن وغير ذلك

فكان من أحسن مناظرتهم أن يقال: ائتونا بكتاب أو سنة حتى
نجيبكم إلى ذلك، وإلا فلسـنا نجيبكم إلى ما لم يـدل عليه الكتاب والسنة[1] .

وسلف الأمة و أئمتها ينكرون هذه الإطلاقات كلها، لاسيما كل و احد من طرفي النفي و الإثبات على باطل، وإن كان فيه حق أيضا، بل الو اجب إطلاق العبارات الحسنة، وهي المأثورة التي جاءت بها النصوص، والتفصيل في العبارات المجملة المشتبهة، وكذلك الو اجب نظير ذلك في سائر أبواب أصول الدين أن يجعل ما يثبت بكلام الله عز و جل ورسوله و إجماع سلف الأمة، هو النص المحكم، و تجعل العبارات المحدثة المتقابلة بالنفي و الإثبات المشتملة في كل من الطرفين في حق و باطل من باب المجمل المشتبه المحتاج إلى تفصيل الممنوع من إطلاق طرفيه[2] .

قال في موضع آخر في تعليقه على قوله تعالى: ((ﭼ □ □ □ □ □ ھ ھ ھ ھ □ □ □ □ □ﮏ ﭼ[3] قال: ((ولهذا قال (**يتبعون**)أي يطلبون المتشابه ويقصدونه دون المحكم، مثل المتبع للشيء الذي يتحراه و يقصده، وهذا فعل من قصده الفتنة، وأما من سأل عن معنى المتشابه ليعرفه ويزيل ما عرض له من الشبه، وهو عالم بالمحكم متبع له، مؤمن بالمتشابه لا يقصد فتنة، فهذا لم يذمه الله، وهكذا كان الصحابة يقولون رضي الله عنهم))[4] .

فقد تبين من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية أن أهل البدع بصفة عامة من الخوارج والرافضة والجهمية والمعتزلة والصوفية خاصة الغلاة وغيرهم من أهل الفتن والتشكيك في الدين وأنَّ من شعارهم استعمال الألفاظ

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج2/175، وج3/244، 347، وج5/433، وج6/97، وج8/294، 367، وج12/113، 551، وج16/426، وج17/351، 352 ومنهاج السنة ج2/217، وج7/127، ودرء تعارض العقل والنقل ج1/42، 133. وغيرها.

2 (?) مجموع الفتاوى ج8/294.

3 (?) آل عمران آية(7).

4 (?) مجموع الفتاوى ج17/394.

المجملة والمعاني المشتبهة لتضليل الناس أحيانًا وتشكيكهم في دينهم حيناً آخر أو لتقرير معنى باطلاً يخالف لمراد الشارع، وهذا فعل من يعارض النصوص بعضها ببعض ليوقع الفتنة، لا شك أن هذا مذموم تورث الشبه في النفوس، بل هذا أصل الفتنة والفرقة ومن أ عظم الأسباب المؤدية إلى التفرق والاختلاف.

والواجب الرجوع إلى ما في الكتاب والسنة بإطلاق العبارات الحسنة كما بين شيخ الإسلام وهي العبارات المأثورة التي جاءت بها النصوص والتفصيل في العبارات المجملة المشتبهة وهذا من سمات الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة وطريقة السلف الصالح، وقد تضافرت الأدلة من الكتاب في وجوب اتباع الصحابة.

5- ومن شعارهم ترك انتحال اتباع مذهب السلف وسبيلهم والطعن في علماء الحديث والسنة

بين شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-أن أهل الأهواء والبدع لما كانوا أكثر الناس مخالفة للكتاب والسنة النبوية كانوا أشد الناس كذلك بعدا عن منهج السلف الموافق للكتاب والسنة الصحيحة، وقرر أن من أعظم ما يتميزون به ترك انتحال اتباع السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وأنه ليس من شعارهم التمسك بهديهم واتباع سبيلهم بل أكثرهم يطعنون فيهم وأشهرهم الرافضة ومن شابههم.

فقال –رحمه الله- : ((بل الطوائف المشهورة بالبدعة، كالخوارج والروافض لا يدعون أنهم على مذهب السلف، بل هؤلاء يكفرون جمهور السلف. فالرافضة تطعن في أبي بكر، وعمر، وعامة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وسائر أئمة الإسلام، وينتحلون مذهب أهل البيت كذباً وافتراء.

وكذلك الخوارج قد كفروا عثمان، وعليا، وجمهور المسلمين من الصحابة والتابعين.

والمعتزلة أيضاً تُفَسِّق من الصحابة والتابعين طوائف، وتطعن في كثير منهم وفيما رووه من الأحاديث

التي تخالف آراءهم وأهواءهم، بل تكفر أيضاً من يخالف أصولهم التي انتحلوها من السلف والخلف، فلهم من الطعن في علماء السلف وفي علمهم ما ليس لأهل السنة والجماعة. وليس انتحال مذهب السلف من شعائرهم وإن كانوا يقرون خلافة الخلفاء الأربعة. ويعظمون من أئمة الإسلام وجمهورهم ما لا يعظمه أولئك فلهم من القدح في كثير منهم ما ليس هذا موضعه, و((للنظام)) من القدح في الصحابة ما ليس هذا موضعه))[1] .

لاشك أن الأمر كما بينه شيخ الإسلام –رحمه الله - وأن من كان حاله وموقفه منهم لا يتوقع منه انتهاج نهج السلف أو اتباع سبيلهم بل إنما يقف موقفاً سلبياً، ضدهم وضد منهجهم.

ولهذا بين –رحمه الله- أن أهل البدع أنفسهم يصرحون بأنهم ليسوا موافقين للسلف في كثير من أمور الاعتقاد وإن كان بعض منهم يوافقونهم في الجملة.

وهنا يتبين للناظر الفرق بين منهج أهل السنة والجماعة وبين غيرهم من أهل البدع

فأهل السنة والجماعة من أهم ما يتميزون به عن غيرهم انتهاج منهج السلف واتباع سبيلهم واحترامهم وتعظيمهم ينقلون عنهم ويوالونهم فإن هذا من أعظم شعارهم خلاف أهل الأهواء والبدع الذين يذمونهم.

وهذا الأمر ملاحظ أيضاً حتى في أتباع أئمة أهل البدع والمعجبون بهم تراهم لا يستدلون بأقوال السلف ولا يذكرونهم إلا في موضع الذم والانتقاص أو التعيير والتنفير وقطع الصلة والرابطة بينه وبينهم بدعوى أنهم أعلم.

وهذا الأمر قد وضحه وبينه شيخ الإسلام هنا أكثر في هذا الموضع فقال: ((أن المشهور من الطوائف- بين أهل السنة والجماعة- العامة بالبدعة ليسوا منتحلين

[1] (?) مجموع الفتاوى ج4/153، 154، 155.

للسلف، بل لأشهر الطوائف بالبدعة : الرافضة، حتى إن العامة لا تعرف من شعائر البدع إلا الرفض، والسني في اصطلاحهم: من لا يكون رافضياً **.** وذلك أنهم أكثر مخالفة للأحاديث النبوية ولمعاني القرآن ، وأكثر قدحًا في سلف الأمة وأئمتها، وطعنا في جمهور الأمة من جميع الطوائف فلما كانوا أبعد عن متابعة السلف كانوا أشهر بالبدع**.**

فعلم أن شعار أهل البدع: هو ترك انتحال اتباع السلف. ولهذا قال الإمام أحمـد
((أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب النبي ﷺ))[1] .

ويوضح ذلك: أن كثيراً من أصحاب أبي محمد من أتباع أبي الحسن الأشعري يصرحون بمخالفة السلف- في مثل مسألة الإيمان. ومسألة تأويل الآيات والأحاديث- يقولون: "مذهب السلف: أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص. وأما المتكلمون من أصحابنا: فمذهبهم كيت وكيت"، وكذلك يقولون: " مذهب السلف: أن هذه الآيات الواردة في الصفات لا تتأول. والمتكلمون يريدون تأويلها إما وجوباً وإما جوازا"

ويذكرون الخلاف بين السلف وبين أصحابهم المتكلمين. هذا منطوق ألسنتهم ومسطور كتبهم.

---

[1] (?) أصول السنة لابن حنبل ص14 دار المنار_ الخرج_ط:1، 1411هـ ، وذم التأويل لابن قدامـة ص34.

أفلا عاقل يعتبر؟ ومغرور يزدجر؟: أن السلف ثبت عنهم ذلك بتصريح المخالف[1]

ثم يحدث مقالة تخرج عنهم. أليس هذا صريحاً: أن السلف كانوا ضالين عن التوحيد والتنزيه وعلمه المتأخرون؟! وهذا فاسد بضرورة الصحيح والدين المتين)) [2].

وتارة يجعلون إخوانهم المتأخرين أحذق وأعلم من السلف، ويقولون: ((طريقة السلف أسلم، وطريقة هؤلاء أعلم وأحكم))، فيصفون إخوانهم بالفضيلة في العلم والبيان، والتحقيق والعرفان، والسلف بالنقص ذلك والتقصير فيه، أو الخطأ والجهل. وغايتهم عندهم: أن يقيموا أعذارهم في التقصير والتفريط.

فإنهم يرون أن الرسول ﷺ لو قال بخلاف مقالتهم لما اتبعوه، كما يحكى عن عمرو بن عبيد في حديث الصادق المصدوق ﷺ وإنما يدفعون عن نفوسهم الحجة إما برد النقل وإما بتأويل المنقول، فيطعنون تارة في الإسناد، وتارة في المتن، وإلا فهم ليسوا متّبعين ولا مؤتمين بحقيقة السنة التي جاء بها الرسول بل ولا بحقيقة القرآن.

ولا ريب أن هذا شعبة من الرفض. ومن المعلوم بالضرورة لمن تدبر الكتاب والسنة، وما اتفق عليه أهل

---

[1] (?) قلت: وأغرب من هذا أتباع هؤلاء الذين ما زالوا يعظمون آراءهم ويدافعون عنهم ويؤيدون مذهبهم مع تصريح هؤلاء بأنهم مخالفون مذهب السلف وقد مدح القرآن مذهب السلف وأثنا عليه وأمر باتباعهم وحذر من اتباع غير سبيلهم ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭼ التوبة: ١٠٠ ﭽ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ النساء: ١١٥.
أفلا عاقل يعقل؟!! بل أغرب وأغرب من يقوم منهم بانتقاص مذهب السلف وطريقهم ويدعي بأنه أسلم ومذهبه أعلم وأحكم ويفرق الأمة بآرائه الفاسدة وعقيدته المخالفةﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼ محمد: ٢٤.

[2] (?) مجموع الفتاوى ج4/157،158.

السنة والجماعة من جميع الطوائف: أن خير قرون هذه الأمة- في الأعمال والأقوال، والاعتقاد وغيرها من كل فضيلة أن خيرها-: القرن الأول، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، كما ثبت ذلك عن النبي من غير وجه، وأنهم أفضل من الخلف في كل فضيلة: من علم، وعمل، وإيمان، وعقل، ودين، وبيان، وعبادة، وأنهم أولى بالبيان لكل مشكل. هذا لا يدفعه إلا من كابر المعلوم بالضرورة من دين الإسلام وأضله الله على علم[1] .

ومن خلال هذه النصوص يظهر لنا أن أهل الأهواء والبدع يرون أن الطريق التي سلكوها في باب الاعتقاد والسلوك أصوب وأقرب إلى الحق من طريق السلف الصالح ولذلك قرر شيخ الإسلام وغيره من علماء السلف أنّ من أعظم شعارهم ترك انتحال مذهب السلف وسبيلهم في الاعتقاد ولا تجدهم يذكرون مذهب السلف إلا في مواطن الذّمّ والانتقاد كما سيأتي بيان ذلك.

وبناء على ما تقدم فكل من كان شعاره مخالفة الصحابة والتابعين لهم بإحسان في هذا الباب فهو من أهل البدع والأهواء، وقد جرهم هذا الموقف المذموم من السلف إلى الوقيعة في أعراضهم ظلما وافتراء.

وقد تبين أنه ليس في العقل السليم الصريح ولا شيء من النقل الصريح ما يوجب مخالفـة الطريقة السلفية حتى صاروا يطعنون فيهم وفي منهجهم.

6- ومن شعار أهل البدع الطعن في السنة والطعن في السلف وفي ملوك المسلمين وعلمائهم وفي عدالتهم وتسميتهم بالألقاب الشنيعة المنفرة وتتبع أخطائهم وزلاتهم.

ذكر شيخ الإسلام أن أهل الأهواء والبدع لم يكتفوا بالإعراض عن طريق السلف وترك انتحال اتباع سبيلهم والتطاول عليهم فحسب، بل أضافوا إلى ذلك لعنهم عند بعضهم وتكفيرهم وقدحهم والوقيعة في أعراضهم والعياذ بالله.

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج4/157، 158. وج19/73.

ولهذا قرر شيخ الإسلام ابن تيمية هنا أن من سماتهم الطعن في الصحابة أو التابعين لهم بإحسان من أئمة المسلمين وعلمائهم وسبهم أو القدح في علمهم، وتتبع زلاتهم وتشهير أخطائهم وتزهيد الناس فيهم، ونبذهم بالألقاب الشنيعة المنفرة كالحشوية وعلماء الحيض والنفاس وعلماء السلطان وعلماء الدراهم والعامة والجمهور وغير ذلك وبغضهم وكراهتهم ونحو ذلك.

و أن الطعن في الأئمة كان مبدأ البدع والشر في الأمة، حيث طعن أولهم في النبي ﷺ وفي سنته وعدالته وهذا حال أهل البدع وشعارهم.

فقال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله في أكثر من موضع: ((فكان مبدأ البدع هو الطعن في السنة بالظن والهوى كما طعن إبليس في أمر ربه برأيه وهواه)) [1] .

والخوارج جوَّزوا على الرسول نفسه أن يجور ويضلَّ في سنته، ولم يوجبوا طاعته ومتابعته وإنما صدقوه فيما بلّغه من القرآن دون ما شرعه من السنة التي تخالف بزعمهم
ظاهر القرآن، وغالب أهل البدع غير الخوارج يتابعونهم في الحقيقة على هذا[2] .

فهؤلاء الخوارج من سماتهم الطعن في السنة والطعن في السنة طعن في صاحب السنة الذي هو النبي صلى الله عليه وسلم والعياذ بالله، والطعن في صاحب السنة طعن في أهل السنة المتبعين له .

وقد تولى كبر هذا الموقف المذموم الرافضة وغيرهم من أهل الأهواء بل هم أشرهم وأشد وأنكر إذ كفروا السلف ولعنوهم وتبرؤوا منهم وجعلوا ذلك قربة؛ بل من أعظم ما يتقرب به إلى الله عز وجل هو سب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أحبهم أو تولاهم.

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج3/350.
2 (?) مجموع الفتاوى ج19/73.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((ولهذا ذكر العلماء: أن الرفض أساس الزندقة، وأن أول من ابتدع الرفض كان منافقا[1] زنديقاً، فإنه إذا قدح في السابقين الأولين فقد قدح في نقل الرسالة، أو في فهمها أو في اتباعها. فالرافضة تقدح تارة في علمهم بها، وتارة في اتباعهم لها))[2] .

((إنك تجدهم[3] أعظم الناس شكًا واضطراباً[4] وأضعف الناس علماً ويقيناً، وهذا أمرٌ يجدونه في أنفسهم ويشهده الناس منهم، وشواهد ذلك أعظم من أن تذكر هنا. وإنما فضيلة أحدهم باقتداره على الاعتراض والقدح والجدل ومن المعلوم: أن الاعتراض والقدح ليس بعلمٍ ولا فيه منفعة، وأحسن أحوال صاحبه: أن يكون بمنزلة العامي، وإنما العلم في جواب السؤال. ولهذا تجد غالب حججهم تتكافأ، إذ كل منهم يقدح في أدلة الآخر))[5] .

قال في موضع آخر: ((ولهذا تجد بين ((الرافضة)) و((القرامطة)) و((الاتحادية)) اقتران واشتباه. يجمعهم أمور.

منها: الطعن في خيار هذه الأمة وفيما عليه أهل السنة والجماعة، وفيما استقر من أصول الملة وقواعد الدين ويدعون باطنًا امتازوا به واختصوا به عمن سواهم، وهم مع ذلك متلاعنون متباغضون.

وكذلك المتكلمون المخلطون الذين يكونون تارة مع المسلمين - وإن كانوا مبتدعين- وتارة مع الفلاسفة الصابئين. وتارة مع الكفار المشركين. وتارة يقابلون بين

---

1. (?) وهو عبد الله بن سبأ تقدم الحديث عن هذا.
2. (?) مجموع الفتاوى ج4/102.
3. (?) أهل البدع من الرافضة والمتكلمين والخوارج والصوفية وغيرهم.
4. (?) خاصة المتكلون منهم.
5. (?) مجموع الفتاوى ج4/27، 28.

الطوائف وينتظرون لمن تكون الدائرة. وتارة يتحيرون بين الطوائف))[1] .

وهذه المقالات لا تجدها إلا عند أجهل المتكلمين في العلم وأظلمهم من هؤلاء المتكلمة والمتفلسفة والمتشيعة والاتحادية في ((الصحابة)) مثل قول كثير من العلماء والمتأمرة: أنا أشجع منهم، وإنهم لم يقاتلوا مثل العدو الذي قاتلناه، ولا باشروا الحروب مباشرتنا، ولا ساسوا سياستنا، وهذا لا تجده إلا في أجهل الملوك وأظلمهم[2] .

ولا ريب أن هذا شعبة من الرفض، فإنه وإن لم يكن تكفيرًا للسلف- كما يقوله من يقوله من الرافضة والخوارج- ولا تفسيقاً لهم- كما يقوله من يقوله من المعتزلة والزيدية وغيرهم- كان تجهيلاً لهم وتخطئةً وتضليلاً، ونسبةً لهم إلى الذنوب والمعاصي، وإن لم يكن فسقا فَزَعْمًا: أن أهل القرون المفضولة في الشريعة أعلم وأفضل من أهل القرون الفاضلة[3]**.**

ومن ذلك أيضا نبزهم بالألقاب الشنيعة مثل ((الحشوية)) ونحوها.

ومقصودهم بذلك أن هؤلاء العلماء يجمعون هذه الأحاديث بلا تمييز ولا فهم لمعناها

وكل من اتبع الحديث وتمسك بما كان عليه الصحابة سموه بالحشوية.

قال شيخ الإسلام : ((فكل من اتبع النصوص وأقرها سموه بذلك. وهؤلاء يعيبون منازعهم، إما لجمعه حشو الحديث من غير تمييز بين صحيحه وضعيفه. أو لكون اتباع الحديث في مسائل الأصول من مذهب الحشو: لأنها مسائل علمية، والحديث لا يفيد ذلك؛ لأن

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج4/ 5/ 111.

[2] (?) مجموع الفتاوى ج4/105.

[3] (?) مجموع الفتاوى ج4/157 و4429 وانظر أيضا منهاج السنة ج7/106.

اتباع النصوص مطلقا في المباحث الأصولية الكلامية حشو، لأن النصوص لا تفي بذلك؛ فالأمر راجع إلى أحد أمرين: إما ريب في الإسناد أو في المتن: إما لأنهم يضيفون إلى الرسول ما لم يعلم أنه قاله كأخبار الآحاد ويجعلون مقتضاها العلم، وإما لأنهم يجعلون ما فهموه من اللفظ معلومًا وليس هو بمعلوم، لما في الأدلة اللفظية من الاحتمال[1].

وقد صنف أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن درباس الشافعي جزءًا سماه ((تنزيه أئمة الشريعة عن الألقاب الشنيعة)) ذكر فيه كلام السلف وغيرهم في معاني هذا الباب، وذكر أن أهل البدع كل صنف منهم يلقب أهل السنة بلقب افتراه، يزعم أنه صحيح على رأيه الفاسد، كما أن المشركين كانوا يلقبون النبي بألقاب افتروها.

فالروافض تسميهم ((نواصب)) والقدرية يسمونهم ((مجبرة)) والمرجئة تسميهم ((شُكَّاكاً))[2] والجهمية تسميهم ((مشبهة))[3] وأهل الكلام يسمونهم ((حشوية)) [4]

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج4/88، 89.

2 (?) لأنهم يستثنون في الإيمان، ويقولون: أنا مؤمن إن شاء الله.

3 (?) لأنهم يثبتون الصفات التي أثبتها الله لنفسه في كتابه وعلى لسان رسول على الوجه الذي يليق بجلاله وعظمته.

4 (?) ((لأنهم يحشون الأحاديث التي لا أصل لها في الأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أي يدخلونها فيها وليست منها، وجميع الحشوية يقولون بالجبر والتشبيه.
وسميت العامة: عامة، لالتزامهم بالعموم، الذي اجتمع عليه أهل الخصوص، وهم الذين يقولون بالأصول ولا يعرفون شيئاً من الفروع، ويقرون بالله، وبرسوله، وكتابه، وما جاء به رسوله على الجملة، ولا يدخلون في شيء من الاختلاف)) الحور العين لنشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى : 573هـ) ج1/60

و((نوابت)) و((غثاء)) و((غثرا)) [1] إلى أمثال ذلك[2] ، كما كانت قريش تسمى النبي ﷺ تارة ((مجنونًا)) وتارة ((شاعرًا)) وتارة ((كاهنًا)) وتارة ((مفترياً))، قالوا فهذه علامة الإرث الصحيح والمتابعة التامة، فإن السنة هي ما كان عليه رسول الله وأصحابه اعتقادًا واقتصادًا وقولاً وعملاً، فكما أن المنحرفين عنه يسمونهم بأسماء مذمومةٍ مكذوبةٍ وإن اعتقدوا صدقها بناء على عقيدتهم الفاسدة، فكذلك التابعون له على بصيرةٍ الذين هم أولى الناس به في المحيا والممات باطنا وظاهرا.[3]

قال في موضع آخر: ((وقال شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني في اعتقاده المشهور: وعلامة أهل البدع شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي ﷺ واحتقارهم لهم وتسميتهم إياهم حشوية، وجهلة،

---

[1] (?) والغثراء: سفلة الناس وغوغاؤهم وجهلتهم، والغثرة: الجماعة المختلطة من غوغاء الناس/المعجم الوسيط ج 2/644مادة (غثر) وشرح صحيح البخاري لابن بطال ج 2/228. مكتبة الرشد.2003م ط:1.

[2] (?) **قال أبو محمد بن أبي حاتم وسمعت أبي يقول:** ((وعلامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر، وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل السنة حشوية يريدون إبطال الآثار.
وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة.
وعلامة القدرية تسميتهم أهل الأثر مجبرة.
وعلامة المرجئة تسميتهم أهل السنة مخالفة ونقصانية.
وعلامة الرافضة تسميتهم أهل السنة ناصبة.
ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد ويستحيل أن تجمعهم هذه الأسماء)) السنة للالكائي ج1/200برقم(321) ونقل هذا أيضا عن الأوزاعي رحمه الله ج1/204 برقم(323)وطبقات الحنابلة ج1/35 وأقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المتشابهات /لمرعى يوسف الكرمي المقدسي ج 1/115 مؤسسة الرسالة. بيروت. 1406هـ ط:1. تحقيق شعيب الأرنؤوط..

[3] (?) مجموع الفتاوى ج5/111.

وظاهرية، ومشبهة، اعتقادًا منهم في أخبار رسول الله أنها بمعزل من العلم، وأن العلم ما يلقيه الشيطان إليهم من نتائج عقولهم الفاسدة، ووساوس صدورهم المظلمة، وهواجس قلوبهم الخالية عن الخير العاطلة، وحججهم، بل شبههم الداحضة الباطلة، بل ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼ[1] ﭽ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﭼ[2]))[3].

فهذه النصوص التي ذكرها شيخ الإسلام يقرر فيها مدى حماقة أهل البدع وقلة عقلهم وشدة عداوتهم لأهل الحديث العاملين به الداعين إليه، وبغضهم إياهم لأنهم انتسبوا إلى سنته ولم ينتسبوا إلى غيرها، فهذه آية وعلامـة كل مبتدع من قديم وحديث ومن أشهر شعارهم وأبرزها بغض أهل السنة المنتسبين إليها حقا ونبزهم بالألقاب الشنيعة. كما بين شيخ الإسلام وغيره من علماء السلف.

7- ومن شعار أهل البدع التعصب لآرائهم وآراء مشايخهم وكبرائهم وجعلها

من علامة أهل البدع كما بين شيخ الإسلام تعصبهم لآرائهم المبتدعة ولا يقبلون الحق عن أحد مهما تبين لهم، بل يجادلونه بباطلهم ولا يرجعون إلى الحق إلا من رحم الله وقل أن تجد صاحب بدعة يرجع إلى الحق تعصبا لرأيه وتلاعب الشيطان به وتغريره للباطل وتزيينه له ولا يرى نفسه إلا على الحق وغيره على الباطل تقولا وافتراء وظلماً وجهلا، ويتلون ويتشكل لا يثبت على دين واحد كالحرباء وأشدهم الرافضة .

كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: ((لا نعلم طائفة أعظم تعصبًا في الباطل من الرافضة، حتى أنهم دون سائر الطوائف، عُرف منهم

---

1 (?) سورة محمد.
2 (?) سورة الحج.
3 (?) بيان تلبيس الجهمية ج1/106.

شهادة الزور لموافقهم،على مخالفهم وليس في التعصب أعظم من الكذب)).[1]

وهذه علامة من علامات الرافضة وغيرهم من أهل البدع والأهواء فعمدتهم آراؤهم يؤيدونها بالكذب كما بين شيخ الإسلام.

((بل عمدتهم اتباع آرائهم وأهوائهم وجعلهم لما يرونه ويهوونه حقيقة، وأمرهم باتباعها دون اتباع أمر الله ورسوله، يجعلون ما ابتدعوه من الأقوال المخالفة للكتاب والسنة حقائق عقلية يجب اعتقادها دون ما دلت عليه السمعيات ثم الكتاب والسنة إما أن يحرفوه عن مواضعه، وإما أن يعرضوا عنه بالكلية فلا يتدبرونه ولا يعقلونه))[2]

((ولهذا صار علماء الكفار وأهل البدع مِن عِلْمِهِم بأنهم على الباطل يَنصُرُون ذلك الباطلَ لأجل الأَتباعَ والمحبين، ويعادون أهلَ الحق ويهجنون طريقَهم.

ولهذا قال طائفة من السلف منهم الثوري: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، لأن المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها، وهذا معنى ما روي عن طائفة أنهم قالوا : ((إن الله حجر التوبة على كل صاحب بدعة)) [3] بمعنى أنه لا يتوب منها لأنه يحسب أنه على هدى ولو تاب لتاب عليه، ومن قال: ((ما أذِن الله لصاحب بدعة في توبة)) فمعناه ما دام مبتدعا يراها حسنة لا يتوب منها)).[4]

فمن شدة تمسكه على بدعته وتصلبه على رأيه جرى هذه الأهواء والبدع والضلالات في عروقه فتجارى به كما أخبر المصطفى . : ((تتجارى بهم تلك الأهواء كما

---

1 (?) منهاج السنة ج4/137-138.

2 (?) مجموع الفتاوى ج10/169. وج13/356.

3 (?) أخرجه البيقي في شعب الإيمان ج6/257 صححه الألباني انظر : صحيح الجامع الصغير رقم(1699).

4 (?) مجموع الفتاوى ج10/605 وج11/684، 685.

يتجارى الكلب بصاحبه فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله))[1] نسأل الله السلام والعافية.

10- من شعارهم ابتداع بدعــةٍ وتكفير مَنْ خالفَهم فيها

هذه هي الطامة الكبرى والعلامة العظمى والقاضية الكبرى تكفير المسلمين لمخالفتهم لهم في بدعتهم أو تخليدهم في النار واستحلال دمائهم وأموالهم بين شيخ الإسلام ابن تيمية أن سمات أهل الأهواء والبدع وأن هذا من أعظم ما يعرفون به قديما وحديثًا ويتبين هذا جليا في نصوصه الآتية.

فقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- في أكثر من موضع: ((الخوارج هم أول من كفَّر المسلمين بالذنوب، ويُكَفِّرون من خالفهم في بدعتهم ويستحلون دمه وماله، وهذه حال أهل البدع يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم فيها))[2] .

قال في موضع آخر: ((وهذه حال أهل البدع والظلم كالخوارج وأمثلهم يظلمون الأمة ويتعدون عليهم إذا نازعوهم في بعض مسائل الدين، وكذلك سائر أهل الأهواء، فإنه يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم فيها كما تفعل الرافضة والمعتزلة، والجهمية وغيرهم والذين امتحنوا الناس بخلق القرآن كانوا من هؤلاء ابتدعوا بدعة وكفروا من خالفهم فيها واستحلوا منع حقه وعقوبته))[3] .

فهذا شأن أهل البدع كلهم يبتدعون أقوالاً يجعلونها واجبة في الدين، بل يجعلونها من الإيمان الذي لابد منه ويكفرون من خالفهم فيها ويستحلون دمه.

لأن الأصل الذي اشتركوا فيه أصل فاسد مبني على جهل وظلم، وهم مشتركون في ظلم سائر المسلمين[4]،

---

[1] (?) تقدم تخريجه.

[2] (?) مجموع الفتاوى ج3/279.

[3] (?) مجموع الفتاوى ج17/311، 312.

[4] (?) ومن ينظر في أحوال الذين يحملون الأفكار الضالة في هذا العصر يجد أنهم يبيحون قتل الأبرياء من المسلمين وأهل

فصاروا بمنزلة قطاع الطريق المشتركين في ظلم الناس ولا ريب أن المسلم العالم أعدل عليهم وعلى بعضهم من بعض[1] .

فيبتدعون بدعاً بآرائهم ليس فيها كتاب ولا سنة ثم يكفرون من خالفهم فيما ابتدعوه، وهذا حال من كفر الناس بما أثبتوه من الأسماء والصفات التي يسميهما هو تركيباً وتجسيماً، وإثبات لحلول الصفات والأعراض به، ونحو ذلك من الأقوال التي ابتدعها الجهمية والمعتزلة ثم كفروا من خالفهم فيها.

والخوارج الذين تأولوا آيات من القرآن وكفَّروا من خالفهم حتى كفروا عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ومن والاهما من المهاجرين والأنصار وسائر المؤمنين نقل الأشعري في كتاب المقالات[2] أن الخوارج مجمعة على تكفير علي رضي الله عنه.

وكذلك الرافضة ابتدعوا تفضيل علي على الثلاثة[3] وتقديمه في الإمامة والنص عليه، ودعوى العصمة له، وكفروا من خالفهم فيها وهم جمهور الصحابة، وجمهور المؤمنين حتى كفروا أبا بكر وعمر وعثمان ومن تولاهم، هذا هو الذي عليه أئمتهم[4] .

الذمة وذوي العهود من غير المسلمين ويروعون الآمنين ويكفرون المجتمعات المسلمة ظلماً سببه أنهم اعتنقوا أفكاراً فاسداً مخالفة للكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة وطعنوا في دين من لم يوافقهم فيها أو أباحوا دمه ظلماً وجهلاً فمن هذا الباب الذي ذكره شيخ الإسلام..

1 (?) مجموع الفتاوى ج19/212و منهاج السنة ج5/95و158.

2 (?) انظر مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ج1/167

3 (?) على أبي بكر وعمر وعثمان.

4 (?) قلت: وإن تظاهر بعض أئمتهم المعاصرين بمنع ذلك والقول بعدم جواز سب الصحابة فهذا كله من باب تقية وتضليل وتجهيل ونحن لا نصدق هذا حتى يقوموا بالرد على ما دونته كتبهم من هذا الشأن علناً أو يحرقوا فيه من سب أبي بكر الصديق وعمر وعثمان وعائشة أم المؤمنين والأئمة

وكذلك الجهمية ابتدعت نفي الصفات المتضمن في الحقيقة لنفي الخالق ولنفي صفاته، وأفعاله، وأسمائه، وأظهر القول بأنه لا يرى، وأن كلامه مخلوق خلقه في غيره لم يتكلم هو بنفسه وغير ذلك، ثم إنهم امتحنوا[1] الناس، فدعوهم إلى هذا وجعلوا يكفرون من لم يوافقهم على ذلك.

وكذلك القدرية ابتدعت التكذيب بالقدر وأنكرت مشيئة الله النافذة وقدرته التامة، وخلقه لكل شيء وكفَّروا أو مِنهم من كفَّر من خالفه.

وكذلك الحلولية، والمعطلة للذات والصفات يكفر كثير منهم من خالفهم.

فالذين يقولون إنه بذاته في كل مكان منهم من يكفر من خالفه، والذين يقولون إنه لا مباين للمخلوقات ولا عال عليها فمنهم من يكفر من خالفه.

ولهذا كان من شعار أهل البدع إحداث قولٍ أو فعلٍ وإلزام الناس به، وإكراههم عليه، والموالاة

الأربعة: إمام أبي حنيفة و مالك والشافعي وأحمد, والتابعين لهم بإحسان، الذين كفَّروهم ووصفوهم بأنهم رؤوس المنافقين كما تقدم نقل ذلك من كتبهم. وإلا نقول كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من أئمة الإسلام : ((هذا هو الذي عليه أئمتهم)).

[1] (?) ومن العجيب أن هذا الأسلوب نفس الأٍسلوب الذي اتخذه بعض المعاصرين حيث يمتحنون الناس ببعض الرؤوس أو بعض الآراء أو بعض الطقوس المقدسة في الحزب أو الطائفة التي ينتمي إليها، أو في بعض المبادئ التي اعتنقها ويعتقدها أو في بعض المشايخ من مشايخهم فإن ظهر منك أدنى مخالفة لهم في ذلك قاطعوك ولا يسلمون عليك ولا يخدمونك في شــيء ولا يشاركونك في شيء ويقولون هذا ليس منا، وهذا من القوم الفلاني أو من الجماعة الفلانية أو ممن والى فلان أو نحو ذلك من الأقوال التي كان يمتحن بها أهل الأهواء المتقدمون فهذا من شعار أهل البدع.

عليه، والمعاداة على تركه، كما ابتدعت الخوارج رأيها وألزمت الناس به ووالت وعادت عليه [1] .

فقد تحقق من كلام شيخ الإسلام في كلامه على سمات أهل الأهواء والبدع والأصل الذي بنوا عليه أصول دينهم وصار شعارًا لهم هو ابتداع مقالات أو آراء فاسدة أو فكرة منحرفة أو مذهب أو طريقة أو حزب محدثة ومبتدعة وكفروا من خالفهم فيها ويستحلون دمه إما حبسوه أو عذبوه أو اغتالوه أو فجّروه أو غير ذلك .

فإن هذا مـن شعار أهل الأهواء والبدع قديما وحديثا لا يعلمون الحق ولا يرحمون الخلق ولا يقبلون الحق.

وهذا سببه الظلم والجهل وقلة العلم هذا بخلاف أهل السنة والجماعة والعلم والرحمة والفهم والبر والإحسان يعلمون الحق ويرحمون الخلق وينصفونهم ولا يكفرون إلا من كفره الشرع لا بمجرد مخالفته لهم كما بينه شيخ الإسلام ولا يتعصبون لرأي أحد ولا ينتسبون إلى أحد إلا إلى سنة رسول الله ﷺ .

فقال شيخ الإسلام في غير موضع: ((**فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يُكفِّرون مَنْ خالفهم وإن كان ذلك المخالف يُكَفِّرُهم، لأن الكفر حكمٌ شرعيٌ، فليس للإنس أن يعاقب بمثله،** كمن كذب عليك وزنى بأهلك، ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله، لأن الكذب والزنا حرام لحق الله تعالى، وكذلك التكفير حق لله فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله.

وأيضاً فإن تكفير المعين وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجة النبوية التي يكفر من خالفها، وإلا فليس كل من جهل شيئاً من الدين كفر)) [2] .

وفي موضع آخر قال: ((**وأهل السنة والعلم والإيمان يعلمون الحق، ويرحمون الخلق يتبعون**

---

[1] (?) الرد على البكري ج2/ 488، 489، والفتاوى الكبرى ج 5/18 وانظر: درء تعارض العقل والنقل ج1/ 140، 149، ومنهاج السنة ج4/151.

[2] (?) الرد على البكري ج2/492.

الرسول فلا يبتدعون، ومن اجتهد فأخطأ خطأ يعذره فيه الرسول عذروه، ولا يكفرون من اجتهد فأخطأ وإن كان مخالفاً لهم مستحلاً لدمائهم كما لم تكفر الصحابة الخوارج، مع تكفيرهم لعثمان وعلي ومن والاهما، واستحلالهم لدماء المسلمين المخالفين لهم.

فإنّ من عرف حقائق أقوال الناس وطرقهم التي دعتهم إلى تلك الأقوال حصل له العلم والرحمة، فعلم الحق ورحم الخلق، وكان مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهذه خاصـة أهل السنة المتبعين للرسول ﷺ))[1] .

فهذا هو الحق الذي يجب اتباعه وجعله شعاراً ومنهجاً، و هو الصراط المستقيم الذي جاء به الكتاب والسنة والدين القويم الذي كان عليه صحابة الرسول ﷺ والتابعين لهم بإحسان أهل السنة والجماعة.

أما التسرَّع في تكفير المسلمين وإخراجهم من الدين بناء على الهوى المتبع فظلم للمسلمين، وسمة من سمات الخوارج ومن شابهم من أهل الأهواء، وليس هذا من شعار أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

كما سيتضح هذا أكثر في الكلام على حكم الفرق إن شاء الله، مما يظهر قوة صحة منهج أهل السنة وشدة تمسكهم بالشرع واتباعهم له ورحمتهم بالخلق.

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج16/96، وج 19/ 212. ومنهاج السنة ج5/158. والعقيدة الأصفهانية ص30. والفتاوى الكبرى ج6/ 338.

- المبحث الخامس: بيان حكـم هذه الفرق

بعد بيان شيخ الإسلام ابن تيمية صفات الفرقة الناجية وحديث الافتراق وابتداء ظهور الفرق وأصولها وشعار أهل البدع التي يعرفون بها شرع في بيان حكم هذه الفرق المخالفة وما في ذلك من الاضطراب والقول الوسط فيه الموافق للكتاب والسنة.

ثم إنه قد بين الأصول الآتية:

أولا: درجات الناس وأحوالهم في مخالفة السنة

حيث قال: ((ومما ينبغي أن يعرف أن الطوائف المنتسبة إلى متبوعين في أصول الدين والكلام على درجات منهم من يكون قد خالف السنة في أصول عظيمة، ومنهم من يكون إنما خالف السنة في أمور دقيقة،ومن يكون قد رد على غيره من الطوائف الذين هم أبعد عن السنة منه، فيكون محموداً فيما رده من الباطل وقاله من الحق، لكن يكون قد جاوز العدل في رده؛ بحيث جحد بعض الحق وقال بعض الباطل، فيكون قد رد بدعة كبيرة ببدعة أخف منها؛ ورد بالباطل باطلاً بباطل أخف منه، وهذه حال أكثر أهل الكلام المنتسبين إلى السنة والجماعة.

ومثل هؤلاء إذا لم يجعلوا ما ابتدعوه قولاً يفارقون به جماعة المسلمين يوالون عليه ويعادون؛ كان من نوع الخطأ. والله سبحانه وتعالى يغفر للمؤمنين خطأهم في مثل ذلك.

ولهذا وقع في مثل هذا كثير من سلف الأمة وأئمتها، لهم مقالاتٌ قالوها باجتهاد وهي تخالف ما ثبت في الكتاب والسنة، بخلاف من والى مُوافقه، وعادى مخالفه، وفرَّق بين جماعة المسلمين، وكفر وفسق مخالفه دون مُوافقه في مسائل الآراء والاجتهادات، واستحل قتال مخالفه دون موافقه، فهؤلاء من أهل التفرق والاختلافات)).[1]

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج3/348-349.

الأمر الثاني: مقصوده في بيان اعتقاد الفرقة الناجية لا يوجب هلاك من خالفها وتخليدها في النار

فقال رحمه الله: ((إن قولي اعتقاد الفرقة الناجية هي الفرقة التي وصفها النبي بالنجاة حيث قال : تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي))[1] .

فهذا الاعتقاد هو المأثور عن النبي وأصحابه رضي الله عنهم، ومن اتبعهم الفرقة الناجية، فإنه قد ثبت عن غير واحد من الصحابة أنه قال: الإيمان يزيد وينقص، وكل ما ذكرته في ذلك مأثور عن الصحابة بالأسانيد الثابتة لفظه ومعناه، وإذا خالفهم من بعدهم لا يضرهم ذلك.

وليس كل من خالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكا، فإن المنازع قد يكون مجتهداً مخطئاً يغفر الله خطأه، وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة، وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته، وإذا كانت ألفاظ الوعيد المتناولة له، لا يجب أن يدخل فيها المتأول، والقانت، وذو الحسنات الماحية، والمغفور له وغير ذلك، فهذا أولى، بل مـوجب هذا الكلام أن من اعتقد ذلك نجا في هـذا الاعتقاد، ومن اعتقد ضده فقد يكون ناجياً، وقد لا يكون ناجياً، كما يقال من صمت نجا))[2] .

فهذا يصور لك دقة فقه هذا الإمام لهذه النصوص وإنصافه للمخالف، وبعد نظره وشدة انتحاله لمنهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، إذ إنه لم يجعل كل المخالفين على درجة واحدة، ولم يحكم بكفر المخالفين كلهم قاطبة.

وبيان مدى دقة هذا الإنصاف والعدل الذي كان يتصف به شيخ الإسلام ابن تيمية مع المخالفين، فقد بين الموقف الصحيح العادل لأهل السنة والجماعة الفرقة

---

[1] (?) تقدم تخريجه.

[2] (?) مجموع الفتاوى ج3/179.

الناجية من الفرق الهالكة كما أمر به تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ
ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ[1] . كما سيتضح هذا أكثر إن شاء الله في بيانه الآتي.

الأمر الثالث: مقدمة في بيان اضطراب الناس في حكم الفرق المخالفة للفرقة الناجية

قد يظهر عند البعض أن في كلام بعض علماء السلف في حكم الفرق تباين أو تضارب حسب ما يراه ولم يكن الأمر كذلك، كما بين شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-.

قال: ((وأما تعيين الفرق الهالكة فأقدم من بلغنا أنه تكلم في تضليلهم يوسف بن أسباط، ثم عبد الله بن المبارك وهما إمامان جليلان،قالا: أصول البدع أربعة: الروافض، والخوارج، والقدرية، والمرجئة. فقيل لابن المبارك: والجهمية؟ فأجاب بأن أولئك ليسوا من أمة محمدﷺ، وكان يقول: إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية.

وهذا الذي قاله اتبعه عليه طائفة من العلماء من أصحاب أحمد وغيرهم قالوا: إن الجهمية كفار، فلا يدخلون في الاثنتين والسبعين فرقة، كما لا يدخل فيهم المؤمن الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام وهم الزنادقة.

وقال آخرون من أصحاب أحمد وغيرهم: بل الجهمية داخلون في الاثنتين والسبعين فرقة، وجعلوا أصول البدع خمسة.

وهذا ينبني على أصل آخر، وهو ((**تكفير أهل البدع**)) [2]

وشيخ الإسلام ابن تيمية لم ير تكفير كل الفرق الهالكة قاطبة وتخليدهم في النار صوابا موافقا للكتاب والسنة، بل يرى أن ذلك مخالف للكتاب والسنة وما أجمع عليه أئمة السلف ، بدليل أن الصحابة رضوان الله

---

1 (?) سورة المائدة.

2 (?) مجموع الفتاوى ج3/350، 351. وقد ذكر فيها اختلاف الناس في هذا يراجع.

عليهم لم يكفروا الخوارج، ولهذا بين الموقف الصحيح والعادل للسلف من هؤلاء.

وأن مسألة التكفير مسألة خطيرة لا يجوز الإقدام والتسرع في تكفير المخالف، ((و إن كان ذلك المخالف يكفرهم، لأن الكفر حكم شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله، كمن كذب عليك وزنى بأهلك ليس لك أن تكذب عليه و تزني بأهله، لأن الكذب و الزنا حرام لحق الله تعالى، و كذلك التكفير حق لله، فلا يكفر إلا من كفره الله و رسوله))

و أيضا فإن تكفير الشخص المعين و جواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجة النبوية التي يكفر من خالفها، و إلا فليس كل من جهل شيئا من الدين يكفر)). [1]

فالصحابة رضي الله عليهم والتابعون لهم بإحسان لم يكفروا الخوارج، ولا جعلوهم مرتدين، ولا اعتدوا عليهم بقول ولا فعل، بل اتقوا الله فيهم، وساروا فيهم السيرة العادلة.

وهكذا سائر فرق أهل البدع والأهواء من الشيعة والمعتزلة وغيرهم؛ فمن كفر الثنتين والسبعين فرقة كلهم فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان)). [2]

والصحيح أن هذه الأقوال التي يقولونها التي يعلم أنها مخالفة لما جاء به الرسول ﷺ كفرٌ، وكذلك أفعالهم التي هي من جنس أفعال الكفار بالمسلمين هي كفرٌ أيضًا. وقد ذكرت دلائل ذلك في غير هذا الموضع[3]؛ لكن تكفير الواحد المعين منهم والحكم بتخليده في النار موقوف على ثبوت شروط التكفير وانتفاء موانعه.

---

1 (?) الرد على البكري ج2/492.

2 (?) منهاج السنة ج5/248-249.

3 (?) سيأتي ذكر ذلك إن شاء الله.

فإنا نطلق القول بنصوص الوعد والوعيد والتكفير و التفسيق، ولا نحكم للمعين بدخوله في ذلك العام حتى يقوم فيه المقتضى الذي لا معارض له[1].

فقد بين هنا شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله – المنهج الصحيح لأهل السنة والجماعة في الفرق المبتدعة المخالفة في الجملة ثم ذكر ذلك بالتفصيل وذكر الأدلة من الكتاب والسنة وقد طبق هذا عمليا في حياته مع خصومه المخالفين له رحمة الله عليه مما يبين صدق تمسكه بالكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة من العدل والإنصاف واتباع الحق ورحمة الخلق، ولعل في تفصيل الآتي ما يكون عوناً بعد الله لمن التبس عليه الأمر أو تلاعب به الشيطان فكفر كل مخطئ أو مخالف وخلده في النار بلا شرط من كتاب ولا مانع من حال.

فقال –رحمه الله-: « **وفصل الخطاب، في هذا الباب بذكر أصلين:**

أحدهما: أن يعلم أن الكافر في نفس الأمر من أهل الصلاة لا يكون إلا منافقاً.

فإن الله منذ بعث محمداً وأنزل عليه القرآن وهاجر إلى المدينة صار الناس ثلاثة أصنافٍ:

أ- مؤمـن به. **ب-** كافر به مظهر الكفر. **ج -** ومنافق مستخف بالكفر.

ولهذا ذكر الله هذه الأصناف الثلاثة في أول سورة البقرة، ذكر أربع آيات في نعت المؤمنين؛ وآيتين في الكفار؛ وبضع عشر آية في المنافقين.

وإذا كان كذلك فأهـل البدع فيهم:

1- المنافق الزنديق فهذا كافر، ويكثر مثل هذا في الرافضة والجهمية، فإن رؤساءهم كانوا منافقين زنادقة. وأول من ابتدع الرفض كان منافقاً[2]. وكذلك الجهمية[3]

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج28/ 500-501.

2 (?) وهو عبد الله بن سبأ اليهودي وقد تقدم الكلام في هذا وبيان أصل ذلك.

3 (?) وكذلك أيضا تقدم.

فإن أصله زندقة ونفاق. ولهذا كان الزنادقة المؤمن من القرامطة الباطنية المتفلسفة وأمثالهم يميلون إلى الرافضة والجهمية لقربهم منهم.

2- ومن أهل البدع من يكون فيه إيمان باطناً وظاهرًا**،** لكن فيه جهل وظلم حتى أخطأ ما أخطأ من السنة؛ فهذا ليس بكافر ولا منافقً، ثم قد يكون منه عدوانٍ وظلمٍ يكون به فاسقًا أو عاصياً؛ وقد يكو مخطئاً متأولاً مغفوراً له خطؤه؛ وقد يكون مع ذلك معه من الإيمان والتقوى ما يكون معه من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه، فهذا أحد الأصلين.

والأصـل الثاني: أن المقالة تكون كفراً: كجحد وجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج، وتحليل الزنا والخمر والميسر ونكاح ذوات المحارم، **ثم** القائل بها قد يكون بحيث لم يبلغه الخطاب وكذا لا يكفر به جاحده، كمن هو حديث عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة لم تبلغه شرائع الإسلام، فهذا لا يحكم بكفره بجحد شيء مما أنزل على الرسول إذا لم يعلم أنه أنزل على الرسول، ومقالات الجهمية هي من هذا النوع، فإنها جحد لما هو الرب تعالى عليه ولما أنزل الله على رسوله.

وتغلظ مقالاتهم من ثلاثة أوجه:

أحدهما: أن النصوص المخالفة لقولهم في الكتاب و السنة والإجماع كثيرة جدًا مشهورة وإنما يردونها بالتحريف**.**

الثاني: أن حقيقة قولهم تعطيل الصانع، وإن كان منهم من لا يعلم أن قولهم مستلزم تعطيل الصانع.فكأنما أصل الإيمان الإقرار بالله فأصل الكفر الإنكار لله.

الثالث: أنهم يخالفون ما اتفقت عليه الملل كلها وأهل الفطر السليمة كلها؛ لكن مع هذا قد يخفى كثير من مقالاتهم على كثير من أهل الإيمان حتى يظن أن الحق معهم، لما يوردونه من الشبهات، ويكون أولئك المؤمنون مؤمنون بالله ورسوله باطناً وظاهراً؛ وإنما

التبس عليهم واشتبه هذا كما التبس على غيرهم من أصناف المبتدعة، فهؤلاء ليسوا كفاراً قطعاً، بل قد يكون منهم الفاسق والعاصي؛ وقد يكون منهم المخطئ المغفور له؛ وقد يكون معه من الإيمان والتقوى ما يكون معه بد ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه.

وأصل قول أهل السنة الذي فارقوا به الخوارج والجهمية والمعتزلة والمرجئة **أن الإيمان يتفاضل و يتبعَّض؛** كما قال النبي: ((يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان)) [1]

وشيخ الإسلام ابن تيمية قرر في هذه النصوص أن الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين لهم لم يكفروا الفرق الثنتين والسبعين كلهم أولا قالوا بتخليدهم في النار، وكذلك أئمة السلف من بعد الصحابة لم يكفروا أحدًا من أهل القبلة بعينه إلا بعد توفر شروط التكفير وانتفاء موانعه، وإِنْ كفَّرهم المخالفُ أو فسَّقهم أو ضلَّلَهم.

وقد تضافرت في هذا نصوص الكتاب والسنة وترجمته الصحابة والأئمة عمليا في حياتهم مع المخالفين؛ ما يُبِّين مدى صحة ما قرره شيخ الإسلام في هذا الموضع وأنهم أطلقوا القول بالتكفير ولم يعينوا أحدا إلا بعد توفرشروط التكفير عليه وانتفاء موانعه**.**

والأمثلة في تطبيق السلف في هذا الأصل كثيرة جدا لا يمكن حصرها في هذا الموضع، وقد ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في مؤلفاته نشير إلى بعض منها:

أولا: الصحابة رضوان الله عليهم

موقف الصحابة من أهل الأهواء مثل الخوارج

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج3/352، 353، 354، 355، 358، وج 7/ 159، 222، 379 ، 39 وج28/500 وج34، 137، وج 35/68 ، ومنهاج السنة ج 3/397، وج4/571، وج5/294، وج6/337، والجواب الصحيح ج1/74.

قال شيخ الإسلام : ((ومما يدل على أن الصحابة لم يكفروا الخوارج أنهم كانوا يصلون خلفهم، وكان عبد الله بن عمر -- وغيره من الصحابة يصلون خلف نجدة الحروري[2] ، وكانوا أيضاً يحدّثونهم ويفتونهم ويخاطبونهم، كما يخاطب المسلم، كما كان عبد الله بن عباس يجيب نجدة الحروري لما أرسل إليه يسأله عن مسائل، وحديثه في البخاري[3]. وكما أجاب نافع[4] بن

---

[2] (?)نجدة بن عامر الحروري من رؤوس الخوارج زائغ عن الحق ذكر في الضعفاء للجوزجاني انتهى وهو بن عمير اليمامي خرج باليمامة عقب موت يزيد بن معاوية وقدم مكة وله مقالات معروفة واتباع انقرضوا/ لسان الميزان ج6/148

[3] (?) وقد ذكر هذا مسلم في صحيحه ج12/ 159 ح(1812) كتاب الجهاد باب النساء الغازيات يرضخ لهن ولا يسهم. والنهي عن قتل صبيان أهل الحرب.عن سليمان (يعني ابن بلال) عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن يزيد بن هرمز؛ أن نجدة كتب إلى ابن عباس يسأله عن خمس خلال. فقال ابن عباس: لولا أن أكتم علما ما كتبت إليه)). رواه بأوجه كثيرة ثم قال النووي رحمه الله: ((أن ابن عباس يكره نجدة لبدعته وهي كونه من الخوارج)).**/** شرح النووي على صحيح مسلم ج 12/190

[4] (?) قال ابن حجر في لسان الميزان ج/144 : ((نافع بن الأزرق الحروري من رؤوس الخوارج ذكره الجوزجاني في كتاب الضعفاء انتهى. وكان نافع هذا من رؤوس الخوارج وإليه تنسب الطائفة الأزارقة، وكان قد خرج في أواخر دولة يزيد بن معاوية، فذكر ابن أبي خيثمة عن خالد بن خداش أن نافع بن الأزرق من الخوارج جاء أمام سوق الأهواز ويعترض الناس بما يحير العقل حتى النساء والصبيان وجعل يقرأ: (لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) إلى فاجرا كفارا . فاشتهرت شوكته قال: باع إبل البصرة. وقصتهم طويلة إلى أن كان قبله في جمادي الآخرة سنة خمس وستين وكان يطلب العلم، وله أسئلة عن ابن عباس مجموعة في جزء من روايته عن نافع المذكور وأخرج الطبراني بعضها في مسند ابن عباس من المعجم الكبير))

الأزرق عن مسائل مشهورة، وكان نافع يتناظره في أشياء من القرآن، كما يتناظر المسلمان، هذا مع أمر رسول الله بقتالهم في الأحاديث الصحيحة، ومع هذا لم يكفروهم)) [1].

ثانياً: الإمام أحمد مثلاً كما قال شيخ الإسلام أنه :
((قد باشر ((الجهمية)) الذين دعوه إلى خلق القرآن، ونفي الصفات، وامتحنوه وسائر علماء وقته، وفتنوا المؤمنين والمؤمنات الذين لم يوافقوهم على التجهم بالضرب والحبس، والقتل والعزل عن الولايات، وقطع الأرزاق، ورد الشهادة، وترك تخليصهم من أيدي العدو، بحيث كان كثير من أولي الأمر إذ ذاك من الجهمية من الولاة والقضاة وغيرهم: يكفرون كل من لم يكن جهميًا موافقًا لهم على نفي الصفات، مثل القول بخلق القرآن، ويحكمون فيه بحكمهم في الكافر، فلا يولونه ولاية، ولا يفتكونه من عدو، ولا يعطونه شيئًا من بيت المال، ولا يقبلون له شهادة، ولا فتيا، ولا روايةً ويمتحنون الناس عند الولاية والشهادة والافتكاك من الأسر وغير ذلك. فمن أقر بخلق القرآن حكموا له بالإيمان ومن لم يقر به لم يحكموا له بحكم أهل الإيمان، ومن كان داعيًا إلى غير التجهم قتلوه أو ضربوه وحبسوه.

ومعلوم أن هذا من أغلظ التجهم، فإن الدعاء إلى المقالة أعظم من قولها، وإثابة قائلها وعقوبة تاركها أعظم من مجرد الدعاء إليها، والعقوبة بالقتل لقائلها أعظم من العقوبة بالضرب.

ثم إن الإمام أحمد دعا للخليفة وغيره. ممن ضربه وحبسه، واستغفر لهم، وحللهم مما فعلوه به من الظلم والدعاء إلى القول الذي هو كفر، ولو كانوا مرتدين عن الإسلام لم يجز الاستغفار لهم، فإن الاستغفار للكفار لا

قلت: تخريب الخوارج وإفسادهم في الأرض كان قديما إلى يومنا هذا.

[1] (?) منهاج السنة ج5/247.

يجوز بالكتاب والسنة والإجماع، وهذه الأقوال والأعمال منه ومن غيره من الأئمة صريحة في أنهم لم يكفروا المعينين من الجهمية، الذين كانوا يقولون: القرآن مخلوق، وإن الله لا يرى في الآخرة، وقد نقل عن أحمد ما يدل على أنه كفر به قومًا معينين فأما أن يذكر عنه في المسألة روايتان ففيه نظر، أو يحمل الأمر على التفصيل فيقال: من كفره بعينه؛ فلقيام الدليل على أنه وُجدتْ فيه شروط التكفير، وانتفت موانعه، ومَنْ لم يكفره بعينه؛ فلانتفاء ذلك في حقه، هذا مع إطلاق قوله بالتكفير على سبيل العموم[1].

فهذا الأصل وهذا الموقف العظيم من هذا الإمام الجليل إمام أهل السنة والجماعة في صبره على هؤلاء مع ما فعلوا به من الضرب والحبس وقطع الأرزاق ومنع الحقوق هو ومن معه ودعوهم إلى القول الذي هو كفر، ولم يكفرهم الإمام أحمد ولم يلعنهم، ولم يحرض الناس على الخروج عليهم بل دعا لهم واستغفر لهم هذا خير برهان على أنهم لم يخرجهم من الملة ولم يحكم بارتدادهم عن الدين أو تخليدهم في النار.

فدل هذا على أنه لم يكفر أعيان الجهمية ولا كل من قال إنه جهمي كفر ولا كل من وافق الجهمية في بعض بدعتهم .

وقد طبق شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- هذا المنهج عمليا مع خصومه فقال رحمه الله : (و لهذا كنتُ أقول للجهمية من الحلولية و النفاة، الذين نفوا أن الله تعالى فوق العرش لما وقعت محنتهم: أنا لو وافقتُكم كنتُ كافراً، لأني أعلمُ أنَّ قولكم كفرٌ، و أنتم عندي لا تكفرون؛ لأنكم جهالٌ.

وكان هذا خطابا لعلمائهم، وقضاتهم، و شيوخهم، وأمرائهم، و أصل جهلهم شبهات عقلية حصلت لرؤوسهم

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج12/488، 489.

في قصور من معرفة المنقول الصحيح و المعقول الصريح الموافق له، وكان هذا خطابنا.

فلهذا لم نقابل جهله و افتراءه بالتكفير بمثله، كما لو شهد شخص بالزور على شخص أو قذفه بالفاحشة كذبا عليه، لم يكن له أن يشهد عليه بالزور، ولا أن يقذفه بالفاحشة))[1]

وقد ثبت دليل هذا الأصل العظيم في الكتاب والسنة والإجماع والاعتبار

((**أما الكتاب فقوله سبحانه وتعالى** ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ[2] **وقوله:** ﭽ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ[3] **.**

وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي : ((أن الله تعالى قال : ((قد فعلت)) لما دعا النبي ، والمؤمنون بهذا الدعاء))[4] .

وإذا ثبت بالكتاب المفسر بالسنة أن الله قد غفر لهذه الأمة الخطأ والنسيان، فهذا عام عموماً محفوظاً، وليس في الدلالة الشرعية ما يوجب أن الله يعذب من هذه الأمة مخطئاً على خطئه، وإن عذب المخطئ من غير هذه الأمة[5] .

فقد دل هذا على أن التكفير المطلق مثل الوعيد المطلق؛ لا يستلزم تكفير الشخص المعين حتى تقوم عليه الحجة.

وكما ثبت في الصحاح عن النبي في الرجل الذي قال إذا أنا متُ فأحرقوني، ثم اسحقوني، ثم ذروني في اليم، فو الله لئن قدر الله عليَّ ليُعذبني عذابا لا يعذبه أحداً من العالمين، فقال الله له: ((ما حملك على ما فعلت))؟ قال : خشيتك فغفر له))[6]

---

1 (?) الرد على البكري ج2/494.

2 (?) الأحزاب آية:(5)

3 (?) البقرة آية : (286).

4 (?) تقدم تخريجه.

5 (?) مجموع الفتاوى ج12/490.

فهذا الرجل اعتقد أن الله لا يقدر على جمعه إذا فعل ذلك أو شك وأنه لا يبعثه وكل من هذين الاعتقادين كفر يكفر من قامت عليه الحجة لكنه كان يجهل ذلك ولم يبلغه العلم بما يرده عن جهله.

وهذان أصلان عظيمان:

((أحدهما)): متعلق بالله تعالى وهو الإيمان بأنه على كل شيء قدير.

و((الثاني)): متعلق باليوم الآخر، وهو الإيمان بأن الله يعيد هذا الميت ويجزيه أعماله. ومع هذا فلما كان مؤمنا بالله في الجملة، ومؤمناً باليوم الآخر في الجملة، وهو أن الله يثيب ويعاقب بعد الموت، وقد عمل عملاً صالحاً- وهو خوفه من الله أن يعاقبه على ذنوبه- غفر الله له بما منه من الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح .

فمن أخطأ في بعض مسائل الاعتقاد من أهل الإيمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر والعمل الصالح لم يكن أسوأ حالا من الرجل فيغفر الله خطأه أو يعذبه إن كان منه تفريط في اتباع الحق على قدر دينه وأما تكفير شخص علم إيمانه بمجرد الغلط في ذلك فعظيم [1]

وأيضاً فقد ثبت عن النبي ((أن الله يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان)) وفي رواية: ((من خير))[2] .

فهذا وأمثاله من النصوص المستفيضة عن النبي يدل على أنه لا يخلد في النار من معه شيء من الإيمان والخير وإن كان قليلا، وأن الإيمان مما يتبعَّض ويتجزَّأ، ومعلوم قطعاً أن كثيراً من هؤلاء المخطئين معهم مقدار

---

6 (?) صحيح مسلم ص697 ح(2756(كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه.

1 (?) الاستقامة ج1/164، 165، ومجموع الفتاوى ج12/491.

2 (?) صحيح مسلم ص58ح(184) كتاب الإيمان باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار.

مًّا من الإيمان بالله ورسوله، إذ الكلام فيمن يكون كذلك[1].

وأيضاً فإن السلف أخطأ كثير منهم في كثير من هذه المسائل واتفقوا على عدم التكفير بذلك، مثل ما أنكر بعض الصحابة أن يكون الميت يسمع نداء الحي، وأنكر بعضهم أن يكون المعراج يقظة، وأنكر بعضهم رؤية محمد ربه..[2]

وأيضاً فإن الكتاب والسنة قد دل على أن الله لا يعذب أحداً، إلا بعد إبلاغ الرسالة، فمن لم تبلغه جملة لم يعذبه رأساً، ومن بلغته جملة دون بعض التفصيل لم يعذبه إلا على إنكار ما قامت عليه الحجة الرسالية, وذلك مثل قوله تعالى: ﭽﭼ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ[3] وقوله: ﭽ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﭼ[4] ونحو هذا في القرآن في مواضع متعددة.

فمن كان قد آمن بالله ورسوله، ولم يعلم بعض ما جاء به الرسول، فلم يؤمن به تفصيلاً؛ إما أنه لم يسمعه. أو سمعه من طريق لا يجب التصديق بها، أو اعتقد معنى آخر لنوع من التأويل الذي يعذر به. فهذا قد جعل فيه من الإيمان بالله وبرسوله ما يوجب أن يثيبه الله عليه، وما لم يؤمن به فلم تقم عليه به الحجة التي يكفر مخالفها[5].

فيجب أن يعلم ((أن الدين تحصيل الحسنات والمصالح، وتعطيل السيئات والمفاسد،

وأنه كثيرًا ما يجتمع في الفعل الواحد أو في الشخص الواحد الأمران، فالذم والنهي والعقاب قد يتوجه إلى ما تضمنه أحدهما؛ فلا يغفل عما فيه من النوع الآخر، كما

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج12/491، 492

2 (?) مجموع الفتاوى ج12/492.

3 (?) سورة النساء آية(165).

4 (?) الإسراء .

5 (?) مجموع الفتاوى ج12/494.

يتوجه المدح والأمر والثواب إلى ما تضمنه أحدهما، فلا يغفل عما فيه من النوع الآخر. وقد يمدح الرجل بترك بعض السيئات البدعية والفجورية، لكن قد يسلب مع ذلك ما حمد به غيره على فعل بعض الحسنات السنية البِرِّية.

فهذا طريق الموازنة والمعادلة ومن سلكه كان قائما بالقسط الذي أنزل الله له الكتاب والميزان))[1]

فإنّ نصوص ((الوعيد)) التي في الكتاب والسنة. ونصوص الأئمة بالتكفير والتفسيق ونحو ذلك لا يستلزم ثبوت موجبها في حق المعين، إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع، لا فرق في ذلك بين الأصول والفروع. هذا في عذاب الآخرة فإن المستحق للوعيد من عذاب الله ولعنته وغضبه في الدار الآخرة خالد في النار، أو غير خالد، وأسماء هذا الضرب من الكفر والفسق، يدخل في هذه ((القاعدة)) سواء كان بسبب بدعة اعتقادية أو عبادية، أو بسبب فجور في الدنيا وهو الفسق بالأعمال.

فأما أحكام الدنيا فكذلك أيضا؛ فإن جهاد الكفار يجب أن يكون مسبوقًا بدعوتهم؛ إذ لا عذاب إلا على من بلغته الرسالة، وكذلك عقوبة الفسَّاق لا تثبت إلا بعد قيام الحجة[2]

وفقد ذكرنا هذه النقول عن شيخ الإسلام في هذه المسألة وذلك لأهميتها والحاجة إليها؛ وخاصة في هذا العصر الذي كثر فيه التدليس، والغشّ في عقائد الناس، وتضليل شباب الأمة وتغريرهم في تكفير كل من خالفهم، أو تكفير كل مبتدعٍ مطلقاً، ونسبة هذا المنهج المخالف لمنهج السلف إلى شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من الأئمة ظلما وزورا، وصار فتنة وبلاء في الأمة وفُرْقةٌ، كفَّر بعضهم بعضًا وبغض بعضهم على بعض وانقطعت بسبب ذلك الروابط الأخوة في الدين، فذكرنا

1 (?) مجموع الفتاوى ج10/366.
2 (?) مجموع الفتاوى ج10/372.

هذه النصوص تأصيلاً وتبرئة شيخ الإسلام ابن تيمية من هذا المنهج ، وليكون الناس على بينة من أمرهم، وأن تكفيرثنتين وسبعين فرقة كلها وتخليدهم في النار في الصحيح :

« ليس هو قول الأئمة الأربعة ولا غيرهم، وليس فيهم من كفَّر كل مبتدع، بل المنقولات الصريحة عنهم تناقض ذلك، ولكن قد يُنقل عن أحدهم أنه كفَّر مَن قال بعض الأقوال، ويكون مقصوده أن هذا القول كفرٌ ليُحذر، ولا يلزم إذا كان القول كفرا أن يكفر كل من قاله مع الجهل والتأويل؛ فإن ثبوت الكفر في حق الشخص المعين، كثبوت الوعيد في الآخرة في حقه، وذلك له شروط وموانع.

وإذا لم يكونوا في نفس الأمر كفارًا لم يكونوا منافقين، فيكونون من المؤمنين، فيستغفر لهم ويترحم عليهم. وإذا قال المؤمن: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼ[1] يقصد كل من سبقه من قرون الأمة بالإيمان، وإن كان قد أخطأ في تأويلٍ تأوَّله فخالف السنة، أو أذنب ذنبًا فإنه من إخوانه الذين سبقوه بالإيمان، فيدخل في العموم، **وإن كان من الثنتين والسبعين فرقة،** فإنه ما من فرقة إلا وفيها خلق كثير ليسوا كفارا، بل مؤمنين فيهم ضلالٌ وذنبٌ يستحقون به الوعيد كما يستحقه عصاة المؤمنين.

والنبي ﷺ لم يخرجهم من الإسلام، بل جعلهم من أمته، ولم يقل إنهم: يخلدون في النار. فهذا أصل عظيم ينبغي مراعاته فإن كثيرًا من المنتسبين إلى السنة فيهم بدعة، من جنس بدع الرافضة. والخوارج وأصحاب الرسول ﷺ - على بن أبي طالب وغيره- لم يُكفِّروا الخوارج الذين قاتلوهم، بل أول ما خرجوا عليه وتحيزوا بحروراء، وخرجوا عن الطاعة، والجماعة قال لهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إن لكم علينا أن لا نمنعكم

---

[1] (?) الحشر آية (10).

مساجدنا ولا حقكم من الفيء. ثم أرسل إليهم ابن عباس فناظرهم فرجع نحو نصفهم، ثم قاتل الباقي وغلبهم، ومع هذا لم يسب لهم ذرية، ولا غنم لهم مالا ولا سار فيهم سيرة الصحابة في المرتدين، كمسيلمة الكذاب وأمثاله، بل كانت سيرة عليّ والصحابة في الخوارج مخالفة لسيرة الصحابة في أهل الردة، ولم يُنكر أحدٌ علَى عليٍّ ذلك فعلم اتفاق الصحابة على أنهم لم يكونوا مرتدين عن دين الإسلام)) [1] .

ومن قال إنّ الثنتين والسبعين فرقة كل واحد منهم يكفر كفرا ينقل عن الملة فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، بل وإجماع الأئمة الأربعة وغير الأربعة، فليس فيهم من كفر كل واحد من الثنتين وسبعين فرقة، وإنما يكفر بعضهم بعضاً ببعض المقالات))[2] .

وبناء على هذه النصوص التي ذكرها شيخ الإسلام يتبين أنه –رحمه الله- لا يرى تكفير الفرق الهالكة كلهم وإخراجهم عن الملة وتخليدهم في النار، فهذا منهج أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

وأنه لم يرد في الحديث ما يدل على أنهم مخلدون في النار.

وأنه لا يجوز الإقدام على تكفير المعين بمقالة أو نحوها كما قال شيخ الإسلام وثبت بالأدلة إلا بعد أن تقوم على أحدهم الحجة الرسالية الواضحة البينة، التي يتبين بها أنهم مخالفون للرسل، وإن كانت هذه المقالة لا ريب أنها كفر، فليس لأحد أن يكفر أحدا من المسلمين، وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة، وتبين له المحجة .

والله تعالى أعلم.

---

[1] (?) منهاج السنة ج5/240، 241. وقد ذكر شيخ الإسلام نصوصا عن السلف والأمثلة في نفس الموضع فليراجع مهم.

[2] (?) مجموع الفتاوى ج7/218.

الباب الثالث:
جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان أسباب تفرق هذه الأمة وآثار ذلك **وفيه أربعة فصول**

الفصل الأول: جهـوده في بيـان أسـبا ب الفرقة بين الأمـة وآثارها

وتحته سبعة مباحث:

المبحث الأول : التمسك ببعض النصوص دون بعض وأثره في الفرقة والاختلاف

المبحث الثاني : الانحراف عن التوحيد وأثره في الفرقة

المبحث الثالث : تقديم الآراء وتحكيم العقول على الكتاب والسنة وأثره في تفريق الأمة.

المبحث الرابع: المقاييس الفاسدة وآثارها السيئة في تفريق الأمة

المبحث الخامس : الاعتماد على الكشف و المنامات وأثره في تفريق الأمة

المبحث السادس : في بيان الإفتاء أو التكلم بغير علم أو التصدي والتسرع للإفتاء في قضايا الأمة المصيرية من غير أهلها وأثره في تمزيق شمل الأمة.

المبحث السابع : تعليق الحمد والذم والموالاة والمعاداة بغير الأسماء التي علق الله بها ذلك وأثره في تفريق الأمة.

- المبحث الأول: التمسك ببعض النصـــــوص دون بعض وأثر في الفرقة والاختلاف

يبين شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الموضع الأسباب التي قادت الأمة إلى التفرق والتمزق وهي كثيرة وكلها تعود إلى ترك الاعتصام بالكتاب والسنة وقد ذكر أن من أعظم تلك الأسباب

الإيمان ببعض ما جاء في الكتاب والسنة وترك بعضه

وهو الإيمان ببعض النصوص دون البعض وقبول بعض الحق دون بعض، هذا يورث التفرق والاختلاف بل قد كان سبباً رئيسياً في أصل تفرق الأمم الماضية كذلك هذه الأمـة.

فقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى ذلك إذ قال:

((قاعدة في وجوب الاستقامة والاعتدال ومتابعة الكتاب والسنة في باب أسماء الله وصفاته، وتوحيده بالقول والاعتقاد، وبيان اشتمال الكتاب والسنة على جميع الهدى، وأن التفرق والضلال إنما حصل بترك بعضه، وعلى جميع البدع المقابلة في ذلك بالزيادة في النفي والإثبات ومبدأ حدوثها، وما وقع في ذلك من الأسماء المجملة والاختلاف والافتراق الذي أوجب تكفير بعض هؤلاء المختلفين بعضهم لبعض ، وذلك ترك بعض الحق وأخذ بعض الباطل، وكتمان الحق ولبس الحق بالباطل))[1] .

فإن الأسباب التي تفضي إلى التفرق كثيرة وكلها تعود إلى ترك الاعتصام بالكتاب وما جاء به الرسل كله كما هو عند أهل الكتابين وغيرهم وكذالك هذه الأمة فإن من أسباب تفرقها ترك الإيمان ببعض نصوص الكتاب

---

[1] (?) الاستقامة ج1/3.

والسنة والاعتقاد بما جاء فيها كله، إما جهلا أو تأويلاً عند أهل البدع والأهواء ، كما بين شيخ الإسلام ابن تيمية .

فقال: ((وهذا كما قال عن أهل الكتاب ڇ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ڇ[1] فأخبر أن نسيانهم حظا مما ذكروا به- وهو ترك العمل ببعض ما أمروا به- كان سبباً لإغراء العداوة والبغضاء بينهم، وهكذا هو الواقع في أهل ملتنا مثلما نجده بين الطوائف المتنازعة في أصول دينها، وكثير من فروعه، من أهل الأصول والفروع، ومثلما نجده بين العلماء، وبين العباد؛ ممن يغلب عليه الموسوية، أو العيسوية، حتى يبقى فيهم شبه من الأمتين، قالت كل واحدة: ليست الأخرى على شيء. كما نجد المتفقهة المتمسك من الدين بالأعمال الظاهرة، والمتصوف المتمسك منه بأعمال باطنة، كل منهما ينفي طريقة الآخر، ويدعي أنه ليس من أهل الدين، أو يعرض عنه إعراض من لا يعده من الدين؛ فتقع بينهما العداوة والبغضاء بين الطائفتين بسبب ترك حظ مما ذكروا به والبغي))[2]

قال في موضع آخر: ((وهذا التفريق الذي حصل من الأمة علمائها ومشايخها؛ وأمرائها وكبرائها هو الذي أوجب تسلط الأعداء عليها. وذلك بتركهم العمل بطاعة الله ورسوله، كما قال تعالى: ڇ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ڇ[3] .

فمتى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به وقعت بينهم العداوة والبغضاء وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا.

وهكذا أهل البدع لا تجد أحداً ترك بعض السنة التي يجب التصديق بها والعمل إلا وقع في بدعة، ولا تجد صاحب بدعة إلا ترك شيئا من السنة، فلما تركوا حظاً مما ذكروا به اعتاضوا بغيره فوقعت بينهم العداوة

---

1 (?) المائدة آية: (14).

2 (?) مجموع الفتاوى ج1/14، 15، 16.

3 (?) المائدة آية: (14).

والبغضاء قال تعالى: ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭼ[1] .

وكذلك من لم يفعل المأمور فعل بعض المحظور، ومن فعل المحظور لم يفعل جميع المأمور فلا يمكن الإنسان أن يفعل جميع ما أمر به مع فعله لبعض))[2]

فقد ظهر بذلك أن المفترقين المختلفين من الأمة إنما ذلك بتركهم بعض الحق الذي بعث الله به نبيه، وأخذهم باطلاً يخالفه، واشتراكهم في باطل يخالف ما جاء به الرسول ، وهو من جنس مخالفة الكفار للمؤمنين، كما قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖﭼ إلى قوله: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ[3] فإذا اشتركوا في باطل خالفوا به المؤمنين المتبعين للرسل نسوا حظاً مما ذكروا به فألقي بينهم العداوة والبغضاء، واختلفوا فيما بينهم في حق آخر جاء به الرسل، فآمن هؤلاء ببعضه، وكفروا ببعضه، والآخرون يؤمنون بما كفر به هؤلاء ويكفرون بما يؤمن به هؤلاء.

وهنا كلا الطائفتين المختلفتين المفترقتين مذمومة. وهذا شأن عامة الافتراق والاختلاف في هذه الأمة وغيرها. وهذا من ذلك[4] .

فكان تركهم سبباً لوقوع العداوة والبغضاء المحرّمين، وكان هذا دليلاً على أن ترك الواجب يكون سبباً لفعل المحرم، كالعداوة والبغضاء، والسبب أقوى من المسبب[5] .

وأمثلة ذلك كثيرة في الأمـة من الرافضة والخوارج والقدرية والمرجئة والمعتزلة والصوفية وغيرهم من الفرق الأمة المتفرقة والمتناحرة تجد كل واحدة منهم

---

1 (?) الزخرف 36.

2 (?) مجموع الفتاوى ج3/421، وج7/173.

3 (?) البقرة آية (253).

4 (?) مجموع الفتاوى ج16/245.

5 (?) مجموع الفتاوى ج20/109.

ترك بعض الحق الذي آمنت به الأخرى،فصارت بهذا مؤمنة بعض النصوص دون بعض الأخرى، أثبت بعضها ونفت البعض الأخرى، فإما ينكرها أو أولها، ثم لا يرى غير ها على الحق وغيرها كذلك تكذب ببعض الحق عندهم فتقع العداوة والبغضاء والفرقة والتباين فهكذا.

وقد جاء توضيح ذلك في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية الآتي وضرب فيه أمثلة كثيرة يبين فيها أن تمسك بعض الطوائف الأمة ببعض النصوص دون البعض والإيمان ببعض الحق دون بعض يورث العداوة والبغضاء والتفرق والاختلاف وأن أثر ذلك في الأمة ظاهر وباين لكل من عرف نصوص الكتاب والسنة وما كان عليه سلف، وأن أكثر ما أوقع هذه الأمة في التفرق من هذا الباب.

1- من ذلك تمسك الخوارج والمعتزلة بنصوص الوعيد وترك نصوص الوعد، وكذلك تمسك المرجئة نصوص الوعد دون نصوص الوعيد.وكذلك القدرية في نفيهم القدر من شابههم في ذلك.

2- وكذلك إيمان المعتزلة بأسماء الله تعالى دون صفاته، وإنكار الجهمية جميع الأسماء إلا اسم ((القادر)) وإنكارهم كل الصفات، ومن ذلك إيمان الأشاعرة ببعض الصفات وإنكارهم البعض الأخرى أو تأويلها ونحو ذلك.

3- وكذلك محبة الرافضة وغيرهم لبعض الصحابة وإثبات فضلهم وإنكار ما لغيرهم وتكفيرهم أو الطعن فيهم وفي دينهم، وكذلك محبة بعض الأئمة والمشايخ دون بعض فكل هـذا يدخل في هذا الباب.ويدخل في قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ[1]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((وهكذا إذا تأملت أهل الضلال والخطأ من هذه الأمة تجد الأصل ترك الحسنات لا فعل السيئات، وأنهم فيما يثبتونه أصل أمرهم صحيح، وإنما أتوا من جهة ما نفوه، والإثبات فعل

---

[1] (?) المائدة آية : (14).

حسنة والنفي ترك سيئة، فعلم أن ترك الحسنات من فعل السيئات، وهو أصله.

مثال ذلك: أن الوعيدية من الخوارج وغيرهم فيما يعظمونه من أمر المعاصي، والمنهي عنها، واتباع القرآن وتعظيمه أحسنوا، لكن إنما أتوا من جهة عدم اتباعهم للسنة، وإيمانهم بما دلت عليه من الرحمة للمؤمن وإن كان كبيرة.

وكذلك المرجئة فيما أثبتوه من إيمان أهل الذنوب والرحمة لهم أحسنوا، ولكن إنما أصل إساءتهم من جهة ما نفوه من دخول الأعمال في الإيمان وعقوبات أهل الكبائر.

فالأولون بالغوا في النهي عن المنكر؛ وقصروا في الأمر بالمعروف. وهؤلاء قصروا في النهي عن المنكر وفي الأمر بكثير من المعروف.

وكذلك القدرية وهم في تعظيم المعاصي وذم فاعلها وتنزيه الله تعالى عن الظلم وفعل القبيح محسنون، وإنما أساءوا في نفيهم مشيئة الله الشاملة، وقدرته الكاملة وعلمه القديم أيضًا.

وكذلك الجهمية؛ فإن أصل ضلالهم إنما هو التعطيل وجحد ما جاءت به الرسل عن الله عز وجل من أسمائه وصفاته.

والأمر فيهم ظاهر جداً. ولهذا قلنا غير مرة أن الرسل جاءوا بالإثبات المفصل والنفي المجمل، والكفار من المتفلسفة الصابئين والمشركين جاءوا بالنفي المفصل والإثبات المجمل،

والإثبات فعل حسنات مأمور بها إيجابا واستحباباً، والنفي ترك سيئات أو حسنان مأمور بها، فعلم أصل ضلالهم من باب ترك الواجب وترك الإثبات)) [1] .

وكما هو الحال أيضا بين الخوارج والرافضة ؛ فهؤلاء يكذّبون بما ثبت من فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي

[1] (?) مجموع الفتاوى ج20/110-112.

طالب ،ويصدقون بما روي في فضائل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ويصدّقون بما ابتدعوه من تكفيره وتكفير من يتولاه ويحبه. وهؤلاء يصدّقون بما روي في فضائل علي بن أبي طالب، ويكذبون بما روي في فضائل أبي بكر وعمر، ويصدقون بما ابتدعوه من التكفير والطعن في أبي بكر وعمر وعثمان[1] .

فالخارجي يقول: ليس الشيعي على شيء. والشيعي يقول : ليس الخارجي على شيء. والقدري النافي يقول: ليس المثبت على شيء. والقدري الجبري المثبت يقول: ليس النافي على شيء. و الوعيدية تقول: ليست المرجئة على شيء . والمرجئة تقول: ليست الوعيدية على شيء.

بل ويوجد شيء من هذا بين أهل المذاهب الأصولية والفروعية المنتسبين إلى السنة. فالكلابي يقول: ليس الكرامي على شيء. والكرامي يقول: ليس الكلابي على شيء. والأشعري يقول: ليس السالمي[2] على شيء. والسالمي يقول: ليس الأشعري على شيء.

وكذلك أهل المذاهب الأربعة وغيرها، لاسيما وكثير منهم قد تلبّس ببعض المقالات الأصولية، وخلط هذا بهذا.

1 (?) منهاج السنة ج5/168.

2 (?) **السالمية** هم أتباع الشيخ أبي الحسن بن سالم صاحب سهل بن عبد الله التستري قالوا : بأن صفاته قديمة قائمة بذات الرب تعالى لم يزل ولا يزال لا يتعلق بقدرته ومشيئته، مع ذلك حروف وأصوات وسور وآيات سمعه جبريل منه وسمعه موسى بلا واسطة، ويسمعه سبحاتنه من يشاء وإسماعه نوعان: بواسطة وبلا واسط٬ ومع ذلك فحروفه وكلماته لايسبق بعضها بعضاً، ببل هي مقترنة(الباء مع السين مع الميم) في آن واحد، ثم لم تكن معدوم٬ في وقت دون وقت من الأوقات ولا تعدم، بل لم تزل قائمة بذاته سبحانه قيام صفة الحياة والسمع والبصر/انظر:الفرق بين الفرق ص 247 والتبصيرة في الدين ص133 ومجموع الفتاوى ج 5/483 وج6/219، 223 وج12/527. ومعارج القبول ج 1/379.

فالحنبلي والشافعي والمالكي يخلط بمذهب مالك والشافعي وأحمد شيئا من أصول الأشعرية والسالمية وغير ذلك. ويضيفه إلى مذهب مالك والشافعي وأحمد. وكذلك الحنفي يخلط بمذهب أبي حنيفة شيئاً من أصول المذهب المعتزلة والكراميَة والكلابية، ويضفيه إلى مذهب أبي حنيفة.

وهذا من جنس الرفض والتشيع، لكنه تشيع في تفضيل بعض الطوائف والعلماء، لا تشيع في تفضيل بعض الصحابة[1].

وكذلك حب الغلاة لشيوخهم وأئمتهم مثل من يوالي شيخاً أو إماماً وينفر عن نظيره، وهما متقاربان في الرتبة ، فهذا من جنس أهل الكتاب الذين آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض، وحال الرافضة الذين يوالون بعض الصحابة، ويعادون بعضهم، وحال أهل العصبية من المنتسبين إلى فقه وزهد، الذين يوالون بعض الشيوخ والأئمة دون البعض،

وذلك لأنهم ابتدعوا بدعًا خلطوها بما جاءت به الرسل، وفرقوا دينهم وكانوا شيعاً، فصار في كل فريق منهم حق وباطل، وهم يكذبون بالحق الذي مع الآخر، ويصدقون بالباطل الذي معهم.

فيمسك كل فريق ببعض من الحق،فيصيرون بمنزلة الذين أوتوا من الكتاب مختلفين في الكتاب، كل منهم بمنزلة الذي يؤمن ببعض ويكفر ببعض وهم عامتهم في جهل وظلم، جهل بحقية الحق، ظلم الخلق، ويقع بسببها بين الأمة من التكفير والتلاعن ما يفرح به الشيطان ويغضب له عبد الرحمن ويدخل به من فعل ذلك فيما نهى الله عنه من التفرق والاختلاف، ويخرج عما أمر الله به من الاجتماع والائتلاف.

---

[1] (?) منهاج السنة ج5/260، 261.

ومن هنا تتبين الضلالات المبتدعة في هذه الأمة في الإيمان ببعض الحق دون بعض فيما أنزله الله على رسوله.

فإذا ترك الناس بعض ما أنزل الله وقعت بينهم العداوة والبغضاء، إذ لم يبق هنا حق جماع يشتركون فيه، بل تقطعوا أمرهم بينهم زبراً ، كل حزب بما لديهم فرحون، وهؤلاء كلهم ليس معهم من الحق إلا ما وافقوا فيه الرسول، وهو ما تمسكوا به من شرعه مما أخبر الله به، وما أمروا به، وأما ما ابتدعوه فكله ضلالة كما قال : ((وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة))[1] .

فلأجل هذا حث –رحمه الله- جميع الأمة بالإيمان بكل مما جاء من عند الله والتمسك به كله: ((ما جاءت به النصوص فعلينا أن نؤمن بكل ما جاء من عند الله ونقر بالحق كله، ولا يكون لنا هوى، ولا نتكلم بغير علم، بل نسلك سبل العلم والعدل، وذلك هو إتباع الكتاب والسنة فأما من تمسك ببعض الحق دون بعض فهذا منشأ الفرقة والاختلاف

فالواجب على كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله أن يكون أصل قصده توحيد الله بعيادته وحده لا شريك له وطاعة رسول،يدور على ذلك، ويتبعه أين وجده[2] .

فقد ظهر من هذه النصوص أن التمسك ببعض النصوص دون بعض من أعظم الأسباب التي أدت إلى تفرق هذه الأمـة. وسبب لإغراء العداوة والبغضاء بين الناس كما نص به الكتاب والسنة، وكذلك هجر بعض المشروع من السنن الصحيحة.

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج11/ 525ج12/15، 431، وج13/227، ومنهاج السنةج5/284، 285، 287.

2 (?) منهاج السنة ج5/261-262، ومجموع الفتاوى ج4/450، وج20/290.(

وأنه يجب على المسلم أن يصدق ويؤمن بكل ما جاء به الرسول وأن يقبل الحق من حيث جاء ,وأن يكون قصده طاعة الله وجمع الكلمة على الحق كما أمر به تعالى وحث عليه.

- المبحث الثـــاني: الانحـــراف عن التوحيد وأثره في الفرقـة

ويقصد بالانحراف عن التوحيد هنا هو العدول عن التوحيد الصحيح الواضح الذي بينه الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله وكان عليه الصحابة والتابعين لهم بإحسان ورضي به الله عنهم، والميل إلى الاعتقادات الباطلة الذي هو الإشراك به ونفي صفاته الثابتة بالكتاب والسنة.

فبين شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله – أن من أعظم الأسباب في تفرق هذه الأمة واختلافها الانحراف عن العقيدة الصحيحة وأن أهل الفرقة ما تفرقوا إلا بابتداعهم الآراء والمفاهيم الباطلة والمقالات الفاسدة في أصل التوحيد الذي خلقت الخليقة كلهم لأجله بل أصلوا أصولا متناقضة فتفرقوا واختلفوا بعد أن خرجوا عما كان عليه الصحابة من التوحيد الحق واتبعوا غير سبيلهم فتشتت شملهم أوانقسموا إلى فِرقٍ شتى تمسَّكت كل فرقة بباطلها وسماه توحيداً وتكفِّر الطائفة الأخرى وتفسِّقها وسبب ذلك كله الانحراف عن التوحيد وعن الاعتقاد الحق الذي كان عليه السلف فصار اضطراب واختلاف وفرقة وفساد .

وهذه الأمـة لا تجتمع إلا على الاعتقاد الحق، فبه يصلح أمر دينهم ودنياهم فإن صحة الاعتقاد لها أهميتها ودورها في إصلاح الأمة فهو سبب في الاهتداء والاستقامـة وحسن التصرف .

كما أشار إليه شيخ الإسلام بقوله: ((وذلك لأن اعتقاد الحق الثابت يقوى الإدراك ويصححه قال تعالى: ﭽ   ﭼ[1] وقال: ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻﭼ[2]

---

[1] (?) محمد آية (17).
[2] (?) النساء آية (66-68).

وهذا يعلم تارة بموارد النزاع بينهم وبين غيرهم فلا تجد مسألة خولفوا فيها إلا وقد تبين أن الحق معهم وتارة بإقرار مخالفيهم ورجوعهم إليهم دون رجوعهم إلى غيرهم أو بشهادتهم على مخالفيهم بالضلال والجهل وتارة بشهادة المؤمنين الذين هم شهداء الله في الأرض وتارة بأن كل طائفة تعتصم بهم فيما خالفت فيه الأخرى وتشهد بالضلال على كل من خالفها أعظم مما تشهد به عليهم

فأما شهادة المؤمنين الذين هم شهداء الله في الأرض فهذا أمر ظاهر معلوم بالحس، والتواتر لكل من سمع كلام المسلمين، لا تجد في الأمة عظم أحد تعظيما أعظم مما عُظّموا به، ولا تجد غيرهم يُعظَّم إلا بقدر ما وافقهم فيه، كما لا ينقص إلا بقدر ما خالفهم، حتى إنك تجد المخالفين لهم كلهم وقت الحقيقة يقر بذلك))[1]

قال في موضع آخر : ((كما قال تعالى ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ[2] فلا يوجد من شنأ الرسول إلا بتره الله، حتى أهل البدع المخالفون لسنته، قيل لأبى بكر بن عياش[3] : إن بالمسجد قومًا يجلسون للناس ويتكلمون بالبدعة، فقال : من جلس للناس جلس الناس إليه؛ لكن أهل

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج4/10، 11.

2 (?) الكوثر.

3 (?) **أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي**، مولاهم الكوفي الحنَّاط_ بالنون- المقرئ/ الفقيه، المحدث، شيخ الإسلام، وبقية الأعلام، مولى واصل الأحدب. قال هارون بن حاتم: سمعته يقول: وُلدتُ سنة خمس وتسعين. قرأ أبو بكر القرآن، وجوَّده ثلاث مراتٍ على عاصم بن أبي النجود، وعرضه أيضا فيما بلغني على عطاء بن السائب.
وقال ابن مبارك: ما رأيتُ أحداً أسرعَ إلى السنة من أبي بكر بن عياش. مات أبو بكر سنة 193هـ / انظر: تقريب التهذيب ص551ت(7985) والسير ج8/495_507.

السنة يبقون ويبقى ذكرهم، وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم))[1].

فالحذر الحذر أيها الرجل من أن تكره شيئاً مما جاء به الرسول أو ترده لأجل هواك أو انتصاراً لمذهبك، أو لشيخك أو لأجل اشتغالك بالشهوات، أو بالدنيا، فإنَّ الله لم يوجب على أحد طاعة أحدٍ إلاّ طاعة رسوله، و الأخذ بما جاء به، بحيث لو خالف العبد جميع الخلق، و اتبع الرسول ما سأله الله عن مخالفة أحد فإن من يطيع أو يطاع إنما يطاع تبعًا للرسول و إلا لو أمر بخلاف ما أمر به الرسول ما أطيع. فاعلم ذلك و اسمعْ و أطعْ و اتبعْ و لا تبتدعْ تكن أبتر مردودا عليك عملك بل لا خير في عمل أبتر من الإتباع و لا خير في عامله و الله أعلم))[2] .

وذلك لأن أهل السنة ثبتوا على الحق الذي جاء به الرسول ولم يعارضوه بالعقول لم ينحرفوا عن القول السديد الذي هو تحقيق الوحيد فبقي ذكرهم، وأما غيرهم انحرفوا عن التوحيد فتفرقوا ولم تكن لهم لسان صدق في الأمة.

وقد أشار إلى هذا شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- وبينه في غير موضع من كتبه وبين فيها كيف أصل هؤلاء المتفرقين هذه البدع وسموها توحيداً وفارقوا بها الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمـة وجماعة المسلمين وقد سبق أن تحدثنا عن أصول بدعتهم بالتفصيل في غير هذا الموضع[3] .

هذا ((فلما حدث في الأمة ما حدث من التفرق والاختلاف صار أهل التفرق والاختلاف شيعاً, وصار هؤلاء

---

[1] (?)أخبار المكيين من كتاب التاريخ الكبير لابن أبي خيثمة أحمد بن زهير بن حرب المتوفى: 279هـ ج1/433 دار الوطن - الرياض - 1997 ، الطبعة : 1. تحقيق : إسماعيل حسن حسين.

[2] (?) مجموع الفتاوى ج13/127، 128 وج16/528-529.

[3] (?) يراجع كلامه في تاريخ ابتداء ظهور أصول الفرق قد بينا أصول انحرافهم عن التوحيد.

عمدتهم في الباطن ليست على القرآن والإيمان، ولكن على أصول ابتدعها شيوخهم عليها يعتمدون في التوحيد والصفات والقدر والإيمان بالرسول وغير ذلك، ثم ظنوا ما يوافقها من القرآن احتجوا به، وما خالفها تأولوه)) [1] .

فلما أحدثوا هذه الأصول وابتدعوا مفهوما بدعياً للتوحيد غير ما كان عليه مفهوم السابقين الأولين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، تفرقوا واختلفوا في أصول كثيرة من أصول دينهم وفسر كل طائفة التوحيد بما يراه عقله وهواه نفسه بما يستلزم الشرك ونفي صفات الله العليا، وعلوه على عرشه، وإنكار القدر، والقول بالاتحاد ووحدة الوجود والإقرار بالربوبية فقط، والاستغاثة بالأموات و نحو ذلك.

فإن التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه هو أن يعبد الله لا يشرك به شيئاً، ولا يجعل له نداً كما قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰﭼ[2]

ومن تمام التوحيد أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصف به رسوله، ويصان ذلك عن التحريف والتعطيل والتكييف والتمثيل كما قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ[3].

أيضا ومن تدبَّر كلام أئمة السنة المشاهير في الباب علم أنهم أدق الناس نظراً وأعلم الناس في هذا الباب بصحيح المنقول وصريح المعقول، وأن أقوالهم موافقة للنصوص والمعقول، **ولهذا تأتلف ولا تختلف وتتوافق ولا تتناقض، والذين خالفوهم لم يفهموا حقيقة أقوال السلف والأئمة، فلم يعرفوا حقيقة المنصوص والمعقول، فتشعبت بهم الطرق، وصاروا مختلفين في الكتاب مخالفين للكتاب،** وقد قال الله تعالى: ﭽ

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج13/58-59.
[2] (?) الكافرون.
[3] (?) الإخلاص.

ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ   ﭼ[1] ومن أعظم أصول التفريق بينهم مسألة أفعال الله تعالى وكلام الله ونحو ذلك مما يقوم بنفسه، ويتعلق بمشيئته وقدرته- فإن هذا الأصل لما أنكره من أنكره من أهل الكلام الجهمية والمعتزلة ونحوهم وظنوا أنه لا يمكن إثبات حدوث العالم وإثبات الصانع إلا بإثبات حدوث الجسم، ولا يمكن إثبات حدوثه إلا بإثبات حدوث ما يقوم به من الصفات والأفعال المتعاقبة، ألجأهم ذلك إلى أن ينفوا عن الله صفاته، وأفعاله القائمة به المتعلقة بمشيئته، وقدرته أو ينفوا بعض ذلك وظنوا أن الإسلام لا يقوم إلا بهذا النفي، وأن الدهرية من الفلاسفة وغيرهم لا يبطل قولهم إلا بهذا الطريق وأخطأوا في هذا وهذا[2] .

فالجهمية من المعتزلة وغيرهم أدرجوا نفي الصفات في مسمى التوحيد، فصار مَنْ قال إن لله علماً أو قدرة أو أنه يُرَى في الآخرة أو أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق يقولون: إنه مشبه ليس بموحد.

وزاد عليهم غلاة الفلاسفة والقرامطة، فنفوا أسماءه الحسنى، وقالوا: من قال إن الله عليم قدير، عزيز حكيم: **فهو مشبه ليس بموحد.**

وزاد عليهم غلاة الغلاة وقالوا: لا يوصف بالنفي ولا الإثبات؛ لأن في كل منهما تشبيهاً له، وهؤلاء كلهم وقعوا من جنس التشبيه فيما هو شر مما فروا منه، فإنهم شبهوه بالممتنعات، والمعدومات، والجمادات، فراراً من تشبيههم – بزعمهم- له بالأحياء. ومعلوم أن هذه الصفات الثابتة لله لا تثبت له على حد ما يثبت لمخلوق أصلاً، وهو سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فلا فرق بين إثبات الذات وإثبات الصفات؛ فإذا لم يكن في إثبات الذات مماثلة للذوات:

---

1 (?) البقرة.
2 (?) درء تعارض العقل والنقل ج1/284 وج2/ 301، 302، 303.

لم يكن في إثبات الصفات مماثلة له في ذلك، فصار هؤلاء الجهمية المعطلة ويجعلون هذا توحيدًا؛ ويجعلون مقابل ذلك التشبيه ويسمون نفوسهم الموحدين[1] .

هذا مع دعواهم أنهم أعظمُ علماً وإيماناً وتحقيقاً لأصول الدين وجهاداً لأعدائه بالحجج من الصحابة، وإن هم في ذلك إلا كبعض الملوك الذين لم يجاهدوا العدوَّ، بل أخذوا منهم بعضَ البلاد ولا عدلوا في المسلمين العدلَ الذي شرعه الله للعباد إذا ادعى أنه أمكنُ وأعدلُ من عمر بن الخطاب وأصحابه رضوان الله عليهم.

ثم إنهم بسبب ذلك تفرقوا في أصول كثيرة من أصول دينهم كتفرقهم في كلام الله من القرآن وغيره؛ فإنهم تفرقوا فيها شيعاً: شيعاً فتارة ينفون الكلام، وتارة يقولون: يتكلم بكلام مخلوق، وحقيقة قولهم: لم يتكلم به، وهذا في الحقيقة تكذيب للرسل الذين إنما أخبروا الأمم بكلام الله الذي أنزله إليهم[2]

((**وعامة المتكلمين الذين يقررون التوحيد في كتب الكلام والنظر:** غايتهم أن يجعلوا التوحيد(ثلاثة أنواع).

فيقولون:

1- هو واحد في ذاته لا قسيم له.

2-وواحد في صفاته لا شبيه لـه.

3-وواحد في أفعاله لا شريك لـه.

وأشهر هذه الأنواع الثلاثة عندهم هو الثالث، وهو((توحيد الأفعال)) وهو أن خالق العالم واحد، وهم يحتجون بما يذكرونه من دلالة التمانع[3] وغيرها، ويظنون

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج3/99-100.

2 (?) درء تعارض العقل والنقل ج2/304.

3 (?) دليل التمانع المشهور عند المتكلمين: أنه لو كان للعالم صانعان، لكان أحدهما إذا أراد أمرا، وأراد الآخر خلافه، مثل: أن يريد أحدهما إطلاع الشمس من مشرقها، ويريد الآخر إطلاعها من مغربها، أو من جهة أخرى، امتنع أن يحصل مرادهما؛ لأن ذلك جمع بين الضدين، فيلزم إما أن لا يحصل

أن هذا هو التوحيد المطلوب، وأن هذا هو معنى قولنا لا إله إلا الله،حتى يجعلوا معنى الإلهية القدرة على الاختراع)) [1] .

وهذا كل ما عند هؤلاء من مفهوم التوحيد، وهو عامة ما يسعون إلى إثباته وغاية ما يريدون تحقيقه وهو توحيد الربوبية الذي أقربه المشركون كما فهمه شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله -.

فبتحقيق التوحيد تجتمع القلوب وتتوحد وبالانحراف عنه تتباعد وتتناقض معتقاتها وتتفرق قال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ الشورى: ١٣

وقرر –رحمه الله- ((أن المشركين من العرب الذين بعث الله إليهم محمد أولا: لم يكونوا يخالفونه في هذا، بل كانوا يقرون بأن الله خالق كل شيء، حتى إنهم كانوا يقرون بالقدر أيضًا، **وهم مع هذا مشركون**.

مراد واحد منهما فلا يكون واحد منهما ربًا، وإما أن يحصل مراد أحدهما دون الآخر، فيكون الذي حصل مراده هو الرب دون الآخر)). منهاج السنة ج3/304-305. وقد رد شيخ الإسلام على استدلالهم بهذا في أكثر من موضع من كتبه ، انظر مجموع الفتاوى ج20/177 ومنهاج السنة ج3/319، 328 ودرء تعارض العقل والنقل ج5/156.

[1] (?) مجموع الفتاوى ج3/97-98. ودرء تعارض العقل والنقل ج1/129 وبيان تلبيس الجهمية ج1/269. والملل والنحل للشهرستاني ج1/40 وجاء فيه : ((أما التوحيد فقد قال أهل السنة وجميع الصفاتية: إن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له.
وقال أهل العدل: إن الله تعالى واحد في ذاته لا قسمة له ولا صفة، و واحد في أفعاله لا شريك له فلا قديم غير ذاته ولا قسيم له في أفعاله، ومحال وجود قديمين غير ذاته و مقدورين بين قادرين وذلك هو التوحيد)). قلت : فقد اعتمدوا على هذا في إثبات هذا التوحيد بزعمهم ونفي صفات الله تعالى.

وهم كانوا مقرين بتوحيد الربوبية كما قال الله تعالى : ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﮊ[1] وقال : ﮋ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﮊ إلى قوله: ﮋ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﮊ[2] وما اعتقد أحد منهم قط أن الأصنام هي التي تنزل الغيث وترزق العالم وتدبره، وإنما كان شركهم كما ذكرنا اتخذوا من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله، وهذا يدل على أن من أحب شيئاً من دون الله كما يحب الله تعالى فقد أشرك.

وكانوا مقرين بأن آلهتهم مخلوقة ولكنهم كانوا يتخذونهم شفعاء، ويتقربون بعبادتهم إليه كما قال تعالى: ﮋ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﮊ[3]))[4] .

أن هذا التوحيد الذي قرروه لا ينازعهم فيه المشركون، بل يقرون به مع أنهم مشركون، كما ثبت بالكتاب والسنة والإجماع، وكما علم بالاضطرار من دين الإسلام[5] .

وكذلك ((النوع الثاني)) - وهو قولهم ((لا شبيه له في صفاته)) - فإنه ليس في الأمم من أثبت قديما مماثلا له في ذاته، سواء قال إنه يشاركه. أو قال: إنه لا فعل له؛ بل من شبَّه به شيئاً من مخلوقاته فإنما يشبهه به في بعض الأمور.

وقد علم بالعقل امتناع أن يكون له مثل في المخلوقات يشاركه فيما يجب أو يجوز أو يمتنع عليه؛ فإن ذلك يستلزم الجمع بين النقيضين.

وعلم أيضاً بالعقل أن كل موجودين قائمين بأنفسهما فلا بد بينهما من قدر مشترك كاتفاقهما في مسمى الوجود، والقيام بالنفس، والذات ونحو ذلك، فإن نفي

---

1 (?) سورة لقمان آية: (25).
2 (?) المؤمنون آيات 84-89.
3 (?) سورة يونس.
4 (?) مجموع الفتاوى ج1/155 وج3/97، و7/75،152 وج10/156، وج27/257.
5 (?) مجموع الفتاوى ج3/98، 99.

ذلك يقتضي التعطيل المحض، وإنه لابد من إثبات خصائص الربوبية)).[1]

وكذلك ((النوع الثالث))- وهو قولهم : لا قسيم له في ذاته أو لا بعض له- لفظ مجمل فإن الله سبحانه: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ[2] فيمتنع عليه أن يتفرق أو يتجزّأ أو يكون ركب من أجزاءٍ، لكنهم يدرجون في هذا اللفظ نفي علوه على عرشه، و مباينته لخلقه أو امتيازه عنهم أو نحو ذلك من المعاني المستلزمة لنفيه وتعطيله، ويجعلون ذلك من التوحيد.

فقد تبين أن ما يسمونه توحيدًا: فيه ما هـو حق، وفيه ما هو باطل، ولو كان جميع حقًا؛ فإن المشركين إذا أقروا بذلك كله لم يخرجوا من الشرك، الذي وصفهم به القرآن، وقاتلهم عليه الرسول ؛ بل لابد أن يعترفوا أنه لا إله إلا الله.

وليس المراد ((بالإله)) هو القادر على الاختراع، كما ظنه من ظنه من أئمة أهل المتكلمين، حيث ظن أن الإلهية هي القدرة على الاختراع دون غيره، وأن من أقر بأن الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أن لا إله إلا هـو.

بل الإله الحق هو الذي يستحق بأن يعبد، فهو إله بمعنى مألوه؛ لا إله بمعنى آله؛ والتوحيد أن يعبد الله وحده لا شريك له، والإشراك أن يجعل مع الله إلهـا آخر[3] .

قال في موضع آخر: ((وكثير من المتكلمة الصفاتية يريدون بالتوحيد والتنزيه نفي الصفات الخبرية أو بعضها، وبالتجسم والتشبيه إثباتها أو بعضها.

---

1 (?) نفس المصدر.

2 (?) الإخلاص.

3 (?) مجموع الفتاوى ج3/100،101.

والفلاسفة تعني بالتوحيد ما تعنيه المعتزلة وزيادة، حتى يقولون ليس له إلا صفة سلبية أو إضافية أو مركبة منهما)) [1] . تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

وبهذا يظهر بطلان عامة ما يقررونه من هذا النوع من التوحيد ويتوسلون به إلى نفي صفات الله تعالى وتعطيلها.

وانحرافهم عن التوحيد المطلوب وضلوا عن الطريق كما ضل أمثالهم.

وكذلك فرق المتصوفة أنهم قد انحرفوا عن التوحيد وتفرقوا فيه إلى فرق شتى ومذاهب متباينة وقرر شيخ الإسلام أن هؤلاء أيضا غاية ما يسعون لتحقيقه هو التوحيد الربوبية ولكن بطرق أخرى**.**

فقال -رحمه الله- : ((والاتحادية تعني بالتوحيد أنه هو الوجود المطلق ولغير هؤلاء فيه اصطلاحات أخرى)) [2]

((وكذلك طوائف من أهل التصوف، والمنتسبين إلى المعرفة، والتحقيق والتوحيد: غاية ما عندهم من التوحيد هو شهود هذا التوحيد، وأن يشهد أن الله رب كل شيء، ومليكه وخالقه، لاسيما إذا غاب العارف بموجوده عن وجــوده، و بمشهوده عن شهوده وبمعروفه عن معرفته، ودخل في فناء توحيد الربوبية بحيث يفنى من لم يكن، ويبقى من لم يزل، فهذا عندهم هو الغاية التي لا غاية وراءها**.**

ومعلوم أن هذا هو تحقيق ما أقر به المشركون من التوحيد، ولا يصير الرجل بمجرد هذا التوحيد مسلماً، فضلا عن أن يكون ولياً لله، أو من سادات الأولياء[3] .

وقال أيضا: ((وطائفة من أهل التصوف والمعرفة: يقررون هذا التوحيد مع إثبات الصفات، فيفنون في

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج4/150.

2 (?) مجموع الفتاوى ج4/150، 151.

3 (?) مجموع الفتاوى ج3/103.

توحيد الربوبية مع إثبات الخالق للعالم، المباين لمخلوقاته، وآخرون يضمون هذا إلى نفي الصفات، فيدخلون في التعطيل مع هذا، وهذا شر من حال كثير من المشركين[1]

وهذا الضلال قد كثر في كثير من أهل التصوف والزهد والعبادة، لاسيما إذا قرنوا به توحيد أهل الكلام، وهؤلاء يدعون التحقيق والفناء في التوحيد، ويقولون إن هذا نهاية المعرفة، وأنّ العارف إذا صار في هذا المقام لا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة لشهوده الربوبية العامة و القيومية الشاملة.

وهذا الموضع وقع فيه من الشيوخ الكبار من شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله[2] .

وهؤلاء غاية توحيدهم هو توحيد المشركين الذين كانوا يعبدون الأصنام.

الذين قال الله فيهم : ﭽ [illegible] ﭼ[3] .

وهذا الموضع قد كثر فيه الأوهام زلّت فيه الأقلام، وضلت فيه الأفهام عند كثير ممن يدعون نهاية التوحيد والتحقيق والمعرفة والكلام.

ومعلوم عند كل من يؤمن بالله و رسوله أن المعتزلة و الشيعة القدرية المثبتين للأمر و النهي و الوعد و الوعيد خير ممن يسوي بين المؤمن و الكافر، و البر و الفاجر، و النبي الصادق و المتنبىء الكاذب و أولياء الله و أعدائه[4] ، و يجعل هذا غاية التحقيق و نهاية التوحيد و

---

1 (?) نفس المصدر والصفحة.

2 (?) وقد ذكر عددا كبيرا من هؤلاء في مواضع عدة وكثير منهم يدّعي أنه من أهل الحقيقة والعلم والتوحيد، وهذا دليل على جهلهم واتباعهم للشيطان في هذا الأمر.

3 (?) المؤمنون.

4 (?) كما جاء في ((فصوص الحكم)) لابن عربي الضال وبينه شيخ الإسلام في ج2/186: حيث قال: ((وهذا المعنى قد ذكره ابن عربي في غير موضع من ((الفصوص)) وذكر أن

هؤلاء يدخلون في مسمى القدرية الذين ذمهم السلف بل هم أحق بالذم من المعتزلة.

وطائفة من الصوفية المدعين للتحقيق يجعلون هذا تحقيقاً وتوحيداً كما فعله صاحب منازل السائرين[4] وابن العريف[5] وابن عربي الطائي في ((فصوص الحكم))وكما يقوله ابن سبعين[3] و أمثاله، وفي قصيدة ابن الفرض ((نظم السلوك)) يقولون بالوحدة

إنكار الأنبياء على عباد الأصنام إنما كان لأجل التخصيص، وإلا فالعارف المكمل من عبده في كل مظهر وهو العابد والمعبود، وأن عباد الأصنام لو تركوا عبادتهم لتركوا من الحق بقدر ما تركوا منها، وأن موسى إنما أنكر على هارون لكون هارون نهاهم عن عبادة العجل لضيق هارون، وعلم موسى بأنهم ما عبدوا إلا الله، وأن هارون إنما لم يسلط على العجل ليعبدوا الله في كل صورة وإن أعظم مظهر عبد فيه هو الهوى، فما عبد أعظم من الهوى. لكن ابن عربي يثبت أعيانا ثابتة في العدم)) ومن العجب أن كثيرا من الجهال يرون أن ابن عربي مع ضلاله وفساد عقيدته أنه شيوخ العارفين وأنه قد حقق التوحيد.

1 (?) هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو إسماعيل عبد الله الأنصاري الهروي كان بكر الزمان في فنون الفضائل، صنف كتاب((ذم الكلام)) وكتاب ((الأربعين)) وله في التصوف كتاب ((منازل السائرين)) وقصيدة في مذهبه ومناقب أحمد بن حنبل. توفي سنة 481هـ/ الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل الصفدي ج17/307 – دار إحياء التراث- بيروت. ونزهة الألباب في الألقاب لابن حجر العسقلاني ج1/410. مكطتبة الرشد. ط:1. 1990م.

2 (?) **ابن العريف أحمد** بن أحمد بن موسى بن عطاء الله، أبو العباس ابن العريف الصنهاجي الأندلسي المريِّيُّ المقرئ، صاحب المقامات والإشارات. توفي بمراكش ليلة الجمعة الثالث والعشرين من رمضان سنة 536هـ / انظر: السير ج 20/111-114.

3 (?) **ابن سبعين** هو عبد الحق بن إبراهيم بم محمد بن سبعين بن نصر بن فتح بن سبعين العتكبي الغافقي المريسي المربوطي أبو محمد، وكان له بلاغة وتصوف وغلو وشرك

الوجود والحلول أو الاتحاد ، ويقولون بالحلول المطلق،والاتحاد المطلق، بخلاف من يقول بالمعين كالنصارى وغالية الشيعة.

يوجد في كلام كثير من الناس غير هؤلاء مبني على هذا المذهب - مذهب الحلول والاتحاد، ووحدة الوجود-.

وكثير من أهل السلوك، الذين لا يعتقدون هذا المذهب: يسمعون شعر ابن الفارض وغيره، فلا يعرفون أن مقصوده هذا المذهب، فإن هذا الباب وقع فيه من الاشتباه والضلال، ما حير كثيراً من الرجال خاصة))[1] .

وإنما الغرض أن يتفطن المؤمن للفرق بين هؤلاء الزنادقة الذين ضاهوا النصارى، وسلكوا سبيل أهل ((الحلول، والاتحاد)) وكذبوا على الله ورسوله. وكذَّبُوا اللهَ ورسولَه، وبين العالمين بالله والمحبين له أولياء الله، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فإنه قد يشتبه هؤلاء بهؤلاء، كما اشتبه على كثير من الضالين حال مسيلمة الكذاب المتنبي بمحمد بن عبد الله رسول الله حقًا، حتى صدَّقوا الكاذب، وكذبوا الصادق. **والله قد جعل على الحق آيات وعلامات وبراهين ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور**[2] .

وقد ظهر من كلام شيخ الإسلام هذا ضلال هؤلاء المتحيرين عن التوحيد متفرقين إلى سبل متناقضة وكل هذا كان سببه الاكتفاء بالعقول في مخالفة الرسول فحرموا من الوصول إلى ما دعا إليه الرسول واتبعوا غير سبيل المؤمنين فوقعوا في الشرك فتفرقوا فإن الشرك والبدع مقرونة بالفرقة والاختلاف.

وإلحاد وسحر وفلسفة/انظر: لسان الميزان ج3/392 ومجموع الفتاوى ج2/306، 366، وج7/588.

[1] (?) مجموع الفتاوى ج2/296، 297، 299، وج8/101، 103، 104.

[2] (?) مجموع الفتاوى ج11/77

((والشرك بدعة والمبتدع يؤول إلى الشــرك، ولا يوجد مبتدع إلا وفيه نوع من الشرك كما قال تعالى ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭼ[1]

وكان من إشراكهم بهم: أنهم أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم، وحرموا علهم الحلال فأطاعوهم))[2] .

((فأهل الشرك متفرقون، وأهل الإخلاص متفقون، ولهذا تجد ما أحدث من الشرك والبدع، يفترق أهله، فكان لكل قوم من مشركي العرب طاغوت، يتخذونه نداً من دون الله، وهؤلاء ينفرون عن طاغوت هؤلاء، وهؤلاء و هؤلاء ينفرون عن طاغوت هؤلاء، فيكون لطاغوت هؤلاء شريعة ليست للآخرين.

وهكذا من يتخذ شيئًا من نحو هذا الشرك، كالذين يتخذون القبور وآثار الأنبياء والصالحين مساجد، تجد كل قوم يقصدون بالدعاء والاستغاثة والتوجه عند مَنْ لا يعظّمه الطائفة الأخرى.

بخلاف أهل التوحيد، فإنهم يعبدون الله لا يشركون به، في بيوته التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، مع أنه قد جعلت لهم الأرض مسجداً وطهوراً.

وإن حصل بينهم نزاع في شيء مما يسوغ فيه الاجتهاد، لم يوجب ذلك تفرقاً ولا اختلافاً، بل هم يعلمون أن المصيب منهم له أجران، وأن المجتهد المخطئ له أجر على اجتهاده، وخطؤه مغفور له.

والله معبود هم، إياه يعبدون وعليه يتوكلون، وله يخشون ويرجون، و به يستعينون ويستغيثون، وله يدعون ويسألون، فإن خرجوا إلى الصلاة في المساجد، كانوا مبتغين فضلاً من الله ورضواناً كما قال تعالى في نعتــهم ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼ[3] وكذلك إذا سافروا

---

1 (?) التوبة(31)

2 (?) اقتضاء الصراط ج2/375،376.

3 (?) الفتح آية(29).

أحد المساجد الثلاثة يسافرون، لاسيما المسجد الحرام الذي أُمروا بالحج إليه[1] .

فهذا باب عظيم يجب التنبه له وهو أن أهل الشرك متفرّقون وأهل الإخلاص متفقون

وأن هموم الأمة ومشاكلها لا تنحل ولا تنفرج إلا بالتمسك بعقيدة التوحيد الخالص الصحيح والواضح البين فالاختلاف والتفرق في الأصول يحرم القلوب الائتلاف والاتفاق.

وقد تبين لك من خلال هذا البيان أن هؤلاء قد انحرفوا عن التوحيد بجميع أنواعه (توحيد الإلهية وهو إخلاص العبادة لله وحده لا شريك، وتوحيد أسماء الله الحسنى وصفاته العليا) بدليل أن أكثر ما يقررونه لم ينطق به كتاب ولا سنة ولا أحد من سلف الأمة وأئمتها وباطله أكثر من حقه فإن التوحيد هو أصل كل خير وصلاح وأساس كل سعادة.

وقد كان لبدع هؤلاء وانحرافهم عن التوحيد الذي جاء الرسول صلى الله عليه وسلم أثر كبير في تمزيق شمل الأمة، والخروج عما كان عليه سلف الأمة وأمتها، ويباينون أهل الحق المتبعين للكتاب والسنة، والمتمسكين بما كان عليه سلف الأمة، فيسمون أنفسهم أهل الحق والمعرفة وأهل الدين والإيمان والتحقيق، ومن خالفهم ذموه ورموه بالجهل أو الكفر والضلال ووصفوه بالمحجوب عن الحق والخير والله المستعان.

[1] (?) اقتضاء الصراط ج2/380، 381، 382 وانظر أيضاً مجموع الفتاوى ج8/140

- المبحث الثـــالث: تقـــديم الآراء وتحكيم العقـول على الكتـاب والسـنة وأثـره في تفريق الأمة

بين شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- في هذا الموضع أن الأصل الذي كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله عليه أفضل الصلاة والتسليم كما أمرهم الله به فاجتمعت كلمتهم وتآلفت قلوبهم وقويت شوكتهم، إذ جعلوا كتاب الله وسنة رسوله نبراسا لهم في أموريهم ودنياهم يقدمونهما على أقوالهم وآراءهم ولم يقدم أحد منهم رأيه أو ذوقه على نصوص الكتاب والسنة فتحقق لهم خيري الدنيا والآخرة، ثم جاء من بعدهم من المتأخرين من أهل الضلال قدموا عقولهم وآراءهم على نصوص الشرع فتناقضوا وتحيروا واضطربوا فوقع بينهم العداوة والبغضاء وتفرقوا واختلفوا إلى فرق وأحزاب متجانبة متباعدة وكل حزب بما لديهم من آراء فاسدة وعقول ضعيفة ضالة فرحون.

قال شيخ الإسلام : ((إنه لم يكن قط طائفة أعظم اتفاقاً على الهدى والرشد، وأبعد عن الفتنة والتفرق والاختلاف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذين هم خير الخلق بشهادة الله لهم بذلك.

وكان من أعظم ما أنعمهم الله به اعتصامهم بالكتاب والسنة، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعـارض القرآن، لا برأيه ولا ذوقه، ولا معقوله، ولا قياسه، ولا وجده، فإنهم ثبت عنهم البراهين القطعيات والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق، والقرآن يهدي للتي هي أقوم.

فكان القرآن هو الإمام الذي يقتدى به؛ ولهذا لا يوجد في كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل ورأي وقياس، ولا بذوق ووجد ومكاشفة، ولا قال قط قد تعارض في هـذا العقل والنقل، فضلا عن أن يقول:

فيجب تقديم العقل. والنقل- يعني القرآن والحديث وأقوال الصحابة والتابعين- إما أن يفوض وإما أن يؤول. ونحو ذلك من مقالات أهل الإلحاد، فإن هذه الأقوال لم تكن حدثت بعد في المسلمين.

ولم يكن السلف يقبلون معارضة الآية إلا بآية أخرى تفسرها وتنسخها؛ أو بسنة الرسول تفسرها. فإن سنة رسول الله تبين القرآن وتدل عليه وتعبر عنه وكانوا يسمون ما عارض الآية نسخا))[1] .

((فكانوا في ذلك من العدل والاستقامة وموافقة المعقول الصريح والمنقول الصحيح بحال آخر، فالعصمة وإن كانت شاملة لجماعتهم فآحادهم مع ذلك لا يجترئون في مخالفة النصوص المشهورة، و المعقولات المعروفة، على ما يجترئ عليه هؤلاء المسفسطون، وكانوا يستعملون القياس العقلي على النحو الذي ورد به القرآن في الأمثال التي ضربها الله تعالى للناس، فإن الله ضرب للناس في القرآن من كل مثل وبين بالأقيسة العقلية المقبولة بالعقل الصريح، من المطالب الإلهية، والمقاصد الربانية مالا تصل إليه آراء هؤلاء المتكلمين في المسائل والوسائل في الأحكام والدلائل كما قد تكلمنا على ذلك في غير موضع))[2]

فلهذا كان السلف أكمل علماً وإيماناً، وخطؤهم أخف وصوابهم أكثر.

وكان الأصل الذي أسسوه هو ما أمرهم الله به في قوله: ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﭼ[3] .

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج13/28، 29. ومنهاج السنة ج6/364.

2 (?) بيان تلبيس الجهمية ج1/326-327.

3 (?) الحجرات.

إذ المقصود أنهم كانوا متفقين على أن القرآن لا يعارضه إلا قرآن لا رأي ولا معقول ولا قياس، ولا ذوق ووجد وإلهام ومكاشفة[1] .

وقد بين -رحمه الله- في هذه النصوص موقف السلف الصالح من نصوص الكتاب والسنة وأنه لم يكن أحد منهم يقدم عقله أو رأيه على نصوص الوحيين، وأن أهل البدع والأهواء والمعقولات العليلة قد أخذوا فكرة تقديم المعقولات على نصوص الشرع من اليهود ولم يكن أحد من المسلمين من يعود إلى العقل في معرفة نصوص الشرع ولم يوضع القانون الكلي المشهور عند بعض المتكلمين ويعارض به كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم إلا بعد الصحابة والتابعين لهم حسان وعند من قدّس عقله على الشرع من أهل الكلام أفراخ الفلاسفة ولهذا كثر تناقضهم.

جاء في قانونهم الكلي الذي عند أهل الكلام والذي قرره الرازي[2] وجعله عمدة في الطعن على نصوص القرآن والسنة قوله:

((إذا تعارضت الأدلة السمعية والعقلية، أو السمع والعقل، أو النقل والعقل، أو الظاهر النقلية والقواطع العقلية، أو نحو ذلك من العبارات، فإما أن يجمع بينهما، وهو محال، لأنه جمع بين النقيضين ؛ وإما أن يُرداًّ جميعًا.

وإما أن يُقدّم السمع، وهو محال، لأن العقل أصل النقل، فلو قدمناه عليه كان ذلك قدْحـًا في العقل الذي هو أصل النقل، والقدح في أصل الشيء قدح فيه، فكان

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج13/30، 60 ودرء تعارض العقل والنقل ج5/244.

[2] (?) **هو: محمد بن عمر** المتكلم الأصولي الأشعري صاحب التفسير الكبير ولد سنة 544 هـ وتوفي سنة 606 هـ قال الذهبي عنه : " وقد بدت في تواليفه بلايا وعظائم وسحر وانحرافات عن السنة والله يعفو عنه " سير أعلام النبلاء 21 / 500 وانظر : طبقات الشافعية للسبكي 8 / 81

تقديم النقل قدحـاً في النقل والعقل جميعاً، فوجب تقديم العقل، ثم النقل إما أن يتأول، وإما أن يُفَوَّضَ.

وأما إذا تعارضا تعارض الضدين امتنع الجمع بينهما، ولم يمتنع ارتفاعهما")) [1].

وهذا القانون الكلي كما ذكر شيخ الإسلام في غاية الفساد والقبح وقلة الأدب مع القرآن كلام الله ونصوص سنة رسول الله الصحيحة المبلغ البلاغ المبين، كما أنه قد أفسد دين كثير من الناس وسبَّب فرقة بين الأمـة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((وقد جعله الرازي وأتباعه قانوناً كليا فيما يستدل به من كتب الله تعالى وكلام أنبيائه عليهم السلام وما يستدل به، ولهذا ردوا الاستدلال بما جاءت به الأنبياء والمرسلين في صفات الله تعالى، وغير ذلك من الأمور التي أنبأوا بها، وظن هؤلاء أن العقل يعارضها؛ وقد يضم بعضهم إلى ذلك أن الأدلة السمعية لا تفيد اليقين.

وهذا القانون قد سبق إليه طائفة منهم أبو حامد[2] وغيره، ووضع كل فريق لأنفسهم قانوناً فيما جاء به

---

[1] (?) انظر:أساس التقديس في علم الكلام لفخر الدين الرازي ص130. مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت-1415هـ ط:1.

[2] (?) **هو أبو حامد الغزالي أبو حامد** محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، صاحب التصانيف، والذكاء المفرط لازم إمام الحرمين فبرع في الفقه، ومهر في الكلام والجدل، حتى صار عين المناظرين، ومما نُقم عليه خوضه في الكلام والتصوف . والمنطق والفلسفة وإن كان قد ذمَّ الفلاسفة في كتابه((التهافت))، وفي كتابه ((الإحياء)) من الأحاديث الباطلة جملة وفيه خير كثير لو لا فيه من آداب ورسم وزُهد من طرائق الحكماء ومنحرفي الصوفية، نسأل الله علماً نافعاً وهو ما نزل به القرآن وفسره الرسول ﷺ قولاً وفعلاً. قال أبو الفرج ابن الجوزي: صنَّف أبو حامد((الإحياء))، وملأه بالأحاديث الباطلة ، ولم يعلم بطلانها، وتكلم على الكشف، وخرج عن قانون الفقه.

الأنبياء عن الله، فيجعلون الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه هو ما ظنوا أن عقولهم عرفته، ويجعلون ما جاءت به الأنبياء تبعًا له؛ فما وافق قانونهم قبلوه، وما خالفه لم يتبعوه[1] .

وفي الجملة، هذه طريق خلق كثير من المتكلمين وغيرهم، وعليها بنى سائر المتكلمين المخالفين لبعض النصوص مذاهبهم من المعتزلة والكلابية و السالمية والكرامية والشيعة وغيرها[2] .

((وهذا شبه ما وضعته النصارى من أما نتهم التي جعلوها عقيدة إيمانهم، وردوا نصوص التوراة والإنجيل إليها)) [3] .

وقال شيخ الإسلام في موضع آخر: ((ومعلوم أن عصر الصحابة وكبار التابعين لم يكن فيه من يعارض النصوص بالعقليات، ولكن لما حدثت الجهمية في أواخر عصر التابعين، كانوا هم المعارضين للنصوص برأيهم، ومع هذا فكانوا قليلين مقموعين في الأمة. وإنما صار لهم ظهور وشوكة في أوائل المائة الثالثة.

ثم قد وضعت الجهمية من المعتزلة وغيرهم من ذلك في الكتب ما شاء الله، وأكثر المؤمنين لا يعلمون ذلك، وما من أحدٍ من النفاة إلا وقد يذكر على النفي من

وكانت خاتمة أمره إقبالَه على طلب الحديث، ومجالسة أهله، ومطالعة((الصحيحين)) / انظر السير و ج19/ 322_346.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة ج5/268 :
((وكذلك أبو حامد في آخر عمره استقر أمره على الوقف والحيرة، بعد أن نظر فيما كان عنده من طرق النظار: أهل الكلام والفلسفة، وسلك ما تبين له من طرق العبادة والرياضة والزهد، وفي آخر عمره اشتغل بالحديث: بالبخاري ومسلم)).

1. (?) درء تعارض العقل والنقل ج1/4 ، 5، 6.
2. (?) درءج1/13.
3. (?) درء ج1/6.

حججه العقلية ما لا يذكره الآخر، ولا تجد طائفتين يتفقان على طريقة واحدة عقلية، لأنه ليس لها ضابط، ولا هي منحصرة في نوع معيّن، بل ما من أمة إلا ولهم ما يسمونه معقولات.

وما من مدة إلا وقد يبتدع بعض الناس بدعـاً، يزعم أنها معقولات))[1].

هذا وقد فنّد شيخ الإسلام ابن تيمية هذه البدعة الإبليسية السفسطائية في مواضع كثيرة من كتبه؛ بل ألف في إبطالها مجلدات، وبين أنها ليست بمعقولات إنما هي بدع وضلالات، وجهالات، ومن أقوال الملا حدة، وعامة الخائضين فيها مختلفون متفرقون في دينهم، متناقضون في أقوالهم ومعقولاتهم الذي سببه ترك الاعتصام بالكتاب نصوص الشرع وتعظيمها، وجعل العقـل هو الميزان فضلوا وأضلوا.

فقال -رحمه الله-: ((وعامة هذه الضلالات إنما تطرق من لم يعتصم بالكتاب والسنة كما كان الزهري يقول كان علماؤنا يقولون" الاعتصام بالسنة هو النجاة وقال مالك السنة سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق".

والعجب أن من هؤلاء من يصرح بأن عقله إذا عارضه الحديث لا سيما في أخبار الصفات حمل الحديث على عقله، وصرح بتقديمه على الحديث، وجعل عقله ميزانا للحديث، فليت شعري هل عقله هذا كان مُصرَّحًا بتقديمه في الشريعة المحمدية، فيكون من السبيل المأمور باتباعه؟ أم هو عقل مبتدع جاهل ضال حائر خارج عن السبيل فلا حول ولا قوة إلا بالله)).[2]

وقرر شيخ الإسلام أن هؤلاء كلهم يجمعهم الطعن في بيان الرسول لنصوص الوحي وأن جميع نصوص الصفات وغيرها التي جاءت في الكتاب والسنة مشكلة

---

1 (?) درء تعارض العقل والنقل ج5/243، 244

2 (?) مجموع الفتاوى ج4/56،57، 58.

وبيان الرسول ناقص وعقولهم هي المحكمة والكاملة وهي التي يجب أن ينقاد لها لا ما جا به الرسل وبينوه ، لاشك أ ن هذا جهل وضلال بقدر الرسول واتباع لبسل الشيطان.

كما بين شيخ الإسلام هذا في موضع الآتي قال: ((وهؤلاء الفرق مشتركون في القول بأن الرسول لم يبين المراد بالنصوص التي يجعلونها مشكلة أو متشابهة، ولهذا يجعل كل فريق المشكل من نصوصه غير ما يجعل الفريق الآخر مشكلا، فمنكر الصفات الخبرية يقول: "إنها لا تعلم بالعقل"يقول نصوصها مشكلة متشابهة، بخلاف الصفات المعلومة بالعقل[-عنده بعقله-] فإنها - عنده- مُحْكمةٌ بيِّنةٌ، كذلك يقول من ينكر العلو والرؤية: نصوص هذه مشكلة.

ومنكر الصفات مطلقاً يجعل ما يثبتها مشكلا دون ما يثبت أسماء الحسنى، ومنكر معاني الأسماء يجعل نصوصها مشكلة، ومنكر المعاد الأبدان وما وُصفت به الجنة والنار يجعل ذلك مشكلا أيضاً؛ ومنكر القدر يجعل ما يثبت أن الله خالق كل شيء وما شاء كان مشكلا، دون آيات الأمر والنهي والوعد والوعيد، والخائض في القدر بالجبر يجعل نصوص الوعيد، بل ونصوص الأمر والنهي مشكلة، فقد يستشكل كـل فريق ما لا يستشكله غيره، ثم يقول فيما يستشكله: إن معاني ونصوصه لم يبينها الرسول))[1] .

فهذا يبين أثر تقديم العقل والآراء على نصوص الشرع ونتيجته في تفرق أصحابه واختلافهم كما عرضه شيخ الإسلام ابن تيمية نجد كل طائفة مضطربة متناقضة في أقوالها مخالفة لكتاب ربها ومختلفة مع غيرها تثبت ما نفت غيرها بمعقولاتها، وغيرها تنفى ما تثبتها بمعقولاتها فتضاربت أقوالهم وتباينت اعتقاداتهم

---

1 (?) درء تعارض العقل والنقل ج1/16-17.

وتناقضت عقولهم الضعيفة القاصرة وظهر قول الله تعالى فيهم : ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ[1]

ولهذا وصفهم الإمام أحمد –رحمه الله- بالذين "" عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عنان الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، متفقون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهَّال الناس بما يلبسون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلين""[2] .

قال شيخ الإسلام : ((ففي الجملة: النصوص الثابتة في الكتاب والسنة لا يعارضها معقول بين قط، ولا يعارض إلا ما فيه اشتباه واضطراب، وما عُلم أنه حق لا يعرضه ما فيه اضطراب واشتباه لم يعلم أنه حق.

بل نقول قولا عاماً كلياً: إن النصوص الثابتة عن رسول الله لم يعارضها قط صريح معقول، فضلاً عن أن يكون مقدماً عليها، وإنما الذي يعارضها شبه وخيالات، مبناها على معان متشابهة وألفاظ مجملة، فمتى وقع الاستفسار والبيان ظهر أن ما عارضها شبه سفسطائية، لا براهين عقلية)).[3]

و تقديم المعقول على الأدلة الشرعية ممتنع متناقض، أما تقديم الأدلة الشرعية فهو ممكن مؤتلف، فوجب الثاني دون الأول، وذلك لأن كون الشيء معلوما بالعقل، أو غير معلوم بالعقل، ليس هو صفة لازمة لشيء من الأشياء، بل هو من الأمور النسبية الإضافية، فإن زيداً قد يعلم بعقله ما لا يعلمه بكر بعقله، وقد يعلم الإنسان في حال بعقله ما يجهله في وقت آخر.

---

1 (?) النساء .

2 (?) ذكره في كتابه الرد على الزنادقة والجهمية لإمام أحمد بن حنبل ص6.

3 (?) انظر مجموع الفتاوى ج13/68، 146 ودرء تعارض العقل والنقل ج1/155، وج5/131.

والمسائل التي يقال إنه قد تعارض فيها العقل و الشرع جميعها مما اضطرب فيه العقلاء، لم يتفقوا فيها على أن موجب العقل كذا، بل كل من العقلاء يقول: إن العقل أثبت، أو أوجب، أو سوّغ ما يقول الآخر: إن العقل نفاه، أو أحاله، أو منع منه، بل آل الأمر بينهم إلى التنازع فيما يقولون إنه من العلوم الضرورية، فيقول هذا: نحن نعلم بالضرورة العقلية ما يقول الآخر: إنه غير معلوم بالضرورة العقلية..[1] .

فعلى المسلم الاعتصام بالكتاب والسنة، وأن يجتهد في أن يعرف ما أخبر به الرسول وأمر به علمًا يقينيًا؛ وحينئذٍ فلا يدع المحكم المعلوم للمشتبه المجهول، فإن مثال ذلك مثل مَنْ كان سائرًا إلى مكة في طريق معروفة لا شك أنها توصله إلى مكة إذا سلكها فعدل عنها إلى طريق مجهولة لا يعرفها ولا يعرف منتهاها، وهذا مثال من عدل عن الكتاب والسنة إلى كلام من لا يدري هل يوافق الكتاب والسنة أو يخالف ذلك.

وأما من عارض الكتاب والسنة بما يخالف ذلك فهو بمنزلة من كان يسير على الطريق المعروفة إلى مكة، فذهب إلى طريق قبرص يطلب الوصول منها إلى مكة ، فإن هذا حال من ترك المعلوم من الكتاب والسنة، إلى ما يخالف ذلك من كلام زيدٍ وعمروٍ كائنًا مَنْ كان، فإن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ، وقد رأيت في هذا الباب من عجائب الأمور ما لا يحصيه إلا العليم بذات الصدور[2] .

((**ولهذا تجد من تعوَّد معارضة الشرع بالرأي لا يستقر في قلبه الإيمان، بل يكون كما قال الأئمة عن علماء الكلام زنادقة،** وقالوا: "" قلَّ أحد نظر في الكلام إلا وفي قلبه غل لأهـل الإسلام"" مرادهم بأهل الكلام من تكلم في الله بما يخالف الكتاب والسنة.

---

1 (?) درء تعارض العقل والنقل ج1/144_145.

2 (?) مجموع الفتاوى ج13/258-259.

ولا يكون الرجل مؤمناً حتى يؤمن بالرسول إيماناً جازماً ليس مشروطاً بعدم معارض، فمتى قال: أؤمـن بخبره إلا أن يظهر له معارض يدفع خبره لم يكن مؤمنا به، فهذا أصل عظيم يجب معرفته، فإن الكلام هو ذريعة الإلحاد والنفاق)) [1] .

فمن هنا يتبين خطورة معارضة نصوص الشرع بالآراء و المعقولات إذ ينتهي بصاحبه إلى الإلحاد والنفاق والشك والريب وبغض المسلمين كما أكدته الآيات البينات وحجج السنة الواضحات وأن كل من تكلم في الله أو في دين الله بما يخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهو من أهل الكلام مسرف مرتاب وكلامه كله سراب.

كما قال شيخ الإسلام في موضع آخر: ((ومن عارض ما جاء ت به الرسل برأيه فله نصيب من قوله تعالى: ﭽ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ [2] وقوله تعالى: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ [3] وقوله تعالى: ﭽ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ [4] والسلطان: هو الكتاب المنزَّل من السماء، فكل من عارض كتاب الله المنزل بغير كتاب الله الذي قد يكون ناسخاً له أو مفسراً له، كان قد جادل في آيات الله بغير سلطان أتاه.

وأمثال هذه الآيات في كتاب الله كثيرة مما يذم به الذين عارضوا رسل الله بما عندهم من الرأي والكلام.

والبدع مشتقة من الكفر، فمن عارض الكتاب والسنة بآراء الرجال كان قوله مشتقاً من أقوال هؤلاء الضلال،

---

[1] (?) درء تعارض العقل والنقل ج1/178.

[2] (?) غافر.

[3] (?) غافر.

[4] (?) غافر آية(56).

كما قال مالك: أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد ﷺ لجدل هذا؟[1] .

ومن هنا يتبين حتما أنه يجب على جميع الخلق الإيمان بالرسول إيمانا مطلقاً جازماً: بتصديقه في كل ما أخبر، وطاعته في ما أوجب وأمر، وأنَّ كلَّ ما عارض ذلك فهو باطل، وأن من قال: يجب تصديق ما أدركتُه بعقلي، وَرَدِّ ما جاء به الرسول لرأيي وعقلي، وتقديم عقلي على ما أخبر به الرسول، مع تصديقي بأن الرسول صادق فيما أخبر به، فهو متناقض فاسد العقل، ملحد في الشرع.

وأما من قال: لا أصدق ما أخبر به حتى أعلمه بعقلي، فَكُفرُه ظاهر، وهو ممن قيل فيه : چ [illegible] چ[2] [3]

فقد دحض شيخ الإسلام حجج هؤلاء وبين تناقضهم في أقوالهم وتعدد طرقهم ومسالكهم وفسادها ، بل إنه -رحمه الله- قد ألَّف في ذلك كتابا ضخما مستقلا في مجلدات وسماه بـ ((درء تعارض العقل والنقل)) هتك فيها أستارهم بأسلوب علمي موزون بنصوص الكتاب والسنة .

1- أن الواجب على كل متبع للرسل الاعتصام بالكتاب وبما جاءت به الرسل وتقديمه على كل شيء.

2- أن اغترار أصحاب المعقولات بعقولهم وتقديمها على أقوال رب العقول قد أضرها وأفسدها وعطّل وظائفها ورسالتها التي هي استنارتها بما جاء الرسل عليهم السلام.

3-أن تقديم المعقولات على نصوص الرسول طعن في بيان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

---

1 (?) درء تعارض العقل والنقل ج1/190، 191.

2 (?) الأنعام آية (124).

3 (?) درء تعارض العقل والنقل ج1/189

4-أن تقديم العقول على النقل سبب في التناقض في الأقوال والمعتقدات والتفرق والاختلاف ويجر إلى استعمال القياس الفاسد الذي وضع إبليس أصله.

المبحث الرابع: المقاييس الفاسدة وآثارها السيئة في تفريق الأمة

والمقاييس الفاسدة هي كل قياس خالف آية من كتاب الله أو نصاًّ من سنة رسول الله فهو تأويل فاسد؛ وهو القياس المعارض للنص الصحيح.

و ذكر-رحمه الله- أن المقاييس الفاسدة هي منشأ الشر والفرقة والضلال، وعامة البدع والأهواء التي وقعت فيها الأمة سببها وأصلها من القياس الفاسد والتأويلات الباطلة.

و عامة الاختلاف والفرقة التي وقعت في الأمة وغيرها منشؤها من القياس الفاسد والتأويل الباطل.

وآفة أهل البدع والضلال : التمسك بالظواهر و الأقيسة مع الإعراض عن النصوص والآثار فوقعوا في الغلط [1] .

قال: ((والغلط في القياس يقع من تشبيه الشيء بخلافه، وأخذ القضية الكلية باعتبار القدر المشترك من غير تمييز بين نوعها فهذا هو القياس الفاسد، كقياس الذين قالوا: ﭽ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭽ[2] وقياس إبليس ونحو ذلك من الأقيسة الفاسدة التي قال فيها بعض السلف: أول من قاس إبليس[3] ، وما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس، يعني قياس من يعارض النص، ومن قاس قياسا فاسدا.

وكل قياس عارض النص، فإنه لا يكون إلا قياسـاً فاسدا، وأما القياس الصحيح فهو الميزان الذي أنزله الله، ولا يكون مخالفاً للنص قط بل موافقاً له))[4] .

---

1 (?) انظر مجموع الفتاوى ج7/392.

2 (?) سورة البقرة آية: (275).

3 (?) ذكره ابن سيرين/انظر: سنن الدارمي ج1/76 ومصنف ابن أبي شيبة ج7/253.

4 (?) مجموع الفتاوى ج6/299، 300.

فهذا أمر واضح وبين لكل من تأمل في تقريراتهم لأصول دينهم واعتقاداتهم فقد بنوا أكثرها على المقاييس الفاسدة والتأويلات الباطلة.

وقد فصل شيخ الإسلام القول في بيان خطورة هذا الأمر وقرر أن المقاييس الفاسدة والتأويلات الباطلة مصدر الشر ومنبع الفتن وأصلها.

فقال –رحمه الله-: ((**وعامة البدع والأهواء إنما تنشأ من هذين الأصلين.**

أما الأول فشبه التأويل الفاسد أو القياس الفاسد:إما حديث بلغه عن الرسول لا يكون صحيحاً، أو أثر عن غير الرسول قلده فيه ولم يكن ذلك القائل مصيباً، أو تأويل تأوله من آية من كتاب الله أو حديث عن رسول الله صحيح أو ضعيف،أو أثر مقبول مردود ولم يكن التأويل صحيحاً، وإما قياس فاسد أو رأي رآه اعتقده صواباً وهو خطأ.

فالقياس والرأي والذوق هو عامة خطأ المتكلمة والمتصوفة وطائفة من المتفقهة.

وتأويل النصوص الصحيحة أو الضعيفة عامة خطأ طوائف المتكلمة والمحدثة والمقلدة والمتصوفة والمتفقهة))[1] .

وأكثر الطوائف اعتمادا على الأقيسة الفاسدة أهل الكلام والمتصوفة وقد أشار إلى هذا شيخ الإسلام ابن تيمية وذكره في أكثر من موضع وبين أن هذه الطوائف كثيراً ما يعارضون كتاب الله وسنة رسوله بالمقاييس الفاسدة والشبهات المضلةٍ.

قال –رحمه الله-: ((والقياس الفاسد: إنما هو من باب الشبهات، لأنه تشبيه للشيء في بعض الأمور بما يشبهه فيه. فمن عرف الفصل بين الشيئين اهتدى للفرق الذي يزول به الاشتباه والقياس الفاسد؛ وما من شيئين إلا ويجتمعان في شيء ويفترقان في شيء،

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج19/74.

فبينهما اشتباه من وجه وافتراق من وجه، فلهذا كان ضلال بني آدم من قبل التشابه، والقياس لا ينضبط، كما قال الإمام أحمد : " أكثر ما يخطئ الناس من جهة التأويل والقياس؛ فالتأويل في الأدلة السمعية، والقياس في الأدلة العقلية".

وهو كما قال، والتأويل الخطأ إنما يكون في الألفاظ المتشابهة، والقياس الخطأ إنما يكون في المعاني المتشابهة.

وقد وقع بنو آدم في عامة ما يتناوله هذا الكلام من أنواع الضلالات، حتى آل الأمر إلى من يدّعي التحقيق والتوحيد والعرفان منهم إلى أن اشتبه عليهم وجود الرب بوجود[1] كل موجود، فظنوا أنه هو، فجعلوا وجود المخلوقات عيْن وجود الخالق، مع أنه لاشيء أبعد عن مماثلة شيء، أو أن يكون إياه، أو متحداً به، أو حالاًّ فيه، من الخالق مع المخلوق.

وذلك أن الموجودات تشترك في مسمى الوجود، فرأوا الوجود واحداً ولم يفرقوا بين الواحد بالعين والواحد بالنوع))[2] .

وهذا فيه بيان سبب وقوع هؤلاء في هذا هو الاشتباه في المعاني المتشابهة فاشتبه عليهم وجود الرب بوجود كل موجود فقاسوا وجود الخالق بوجود المخلوق فغلطوا فجعلوا عين الوجود واحدا ولا فرق بين الخالق والمخلوق.

والطائفة الأخرى أيضاً ضلت من جهة القياس الفاسد إذ أنهم: ((توهموا أنه إذا قيل: الموجودات تشترك في مسمى الوجود لزم التشبيه والتركيب، فقالوا: لفظ الوجود مقول بالاشتراك اللفظي، فخالفوا ما اتفق عليه العقلاء مع اختلاف أصنافهم: من أن الوجود

---

1 (?) وهم أهل الحلول والاتحاد.

2 (?) مجموع الفتاوى ج3/63.

ينقسم إلى قديم ومحدث، ونحو ذلك من أقسام الموجودات.

وطائفة ظنت أنه إذا كانت الموجودات تشترك في مسمى الوجود لزم أن يكون في الخارج عن الأذهان موجود مشترك فيه، وزعموا أن في الخارج عن الأذهان كليات مطلقة، مثل وجود مطلق، وحيوان مطلق، وجسم مطلق ونحو ذلك، فخالفوا الحس والعقل و الشرع، وجعلوا ما في الأذهان ثابتاً في الأعيان وهذا كله من نوع الاشتباه))[1] فقد كثر في الأمة ممن تأثر بهذه البدع الاعتقادية فصاروا أصنافا وطوائف كثيرة متباينة وعمدة كل طائفة وأصل ضلاله هذه الأقيسة.

قال: ((وإنما عمدة الكلام عندهم، ومعظمه: هو تلك القضايا التي يسمونها العقليات، وهي أصول دينهم. وقد بنوها على مقاييس تستلزم رد كثير مما جاءت به السنة؛ فلحقهم الذم من جهة ضعف المقاييس التي بنوا عليها، ومن جهة ردهم لما جاءت به السنة.و هم قسمان:

القسم الأول بنوا على هذه العقليات القياسية: الأصول العلمية، دون العملية كالأشعرية.

والقسم الآخر: بنوا عليها الأصول العملية، والعلمية كالمعتزلة، حتى إنّ هؤلاء يأخذون القدر المشترك في الأفعال بين الله وبين عباده، فما حسن من الله حسن من العبد، وما قبح من العبد قبح من الله؛ ولهذا سماهم الناس مشبهة الأفعال.

ولا شك أن هؤلاء هم المتكلمة المذمومون عند السلف لكثرة بنائهم الدين على القياس الفاسد الكلامي، وردهم لما جاء الكتاب والسنة.

والآخرون لما شاركوهم في بعض ذلك لحقهم من الذم، والعيب، بقدر ما وافقوهم فيه؛ وهو موافقتهم في كثير من دلائلهم؛ التي يزعمون أنهم يقررون بها أصول

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج3/63،64.

الدين، والإيمان، وفي طائفة من مسائلهم التي يخالفون بها السنن والآثار، وما عليه أهل العقل والدين))[1] .

ولهذا كان الغالب على أهل القياس من أهل الفلسفة, والكلام, في جانب الربوبية: إنما هي المعارف السلبية. ثم لم يقتصروا على مقدار ما يعلمه العقل من القياس، بل تعدوا ذلك؛ فنفوا أشياء مشبهة القياس الفاسد، مثل نفي الصفات النبوية، الخبرية: بل ونفى الفلاسفة؛ والمعتزلة للصفات التي يثبتها متكلموا أهل الإثبات، ويسمونها الصفات العقلية؛ لإثباتهم إياها بالقياس العقلي.

ومعلوم أن العقل لا ينفي بالقياس إلا القدر المشترك؛ الذي هو مدلول القضية الكلية التي لا بد منها في القياس؛ مثل أن ينفي الإرادة أو الرحمة أو العلم المشترك بين مسميات هذا الاسم، والقدر المشترك في المخلوقين تلحقه صفات لا تثبت لله[2] تعالى، فينفون المعنى المشترك المطلق، على صفات الحق وصفات الخلق- تبعاً لانتفاء ما يختص به الخلق- فيعطلون، كما أن أهل التمثيل يثبتون ما يختص به الخلق- تبعاً للقدر المشترك- وكلاهما قياس خطأ.

ففي هذه الصفات، بل وفى الذوات ثلاث اعتبارات:

أحدها: ما تختص به ذات الرب وصفاته.

والثاني: ما يختص به ذات المخلوق وصفاته.

والثالث: المعنى المطلق الجامع .

فاستعمال القياس الجامع في نفى الأول خطأ، وكذلك استعماله في إثبات الثاني، وأما استعماله في إثبات الثالث، فيحتاج إلى إدراك العقل لثبوت المعنى الجامع الكلى، وهذا أصل القياس والدليل، فإن لم يعرف

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج2/7،8.

2 (?) مثل الجهل والنسيان أو نحوه فهذه الصفات تلحق المخلوقين، فأما الرب فله الكمال المطلق والمثل الأعلى.

العقل بنفسه- أو بواسطة قياس آخر- ثبوت هذا، وإلا لم يستقم القياس)) [1] .

فالقياس الشمولي لا يستعمل في حق الله تعالى فله المثل الأعلى كما ثبت في نصوص الكتاب والسنة وإنما يستعمل القياس الأولى كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية.

((ومما يوضح هذا أن العلم الإلهي لا يجوز أن يستدل فيه بقياس تمثيل يستوي فيه الأصل والفرع، ولا بقياس شمولي تستوي أفراده؛ فإن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء، فلا يجوز أن يمثل بغيره، ولا يجوز أن يدخل هو وغيره تحت قضية كلية تستوي أفرادها - ولهذا لما سلك طوائف من المتفلسفة والمتكلمة مثل هذه الأقيسة في المطالب الإلهية لم يصلوا بها إلى يقين بل تناقضت أدلتهم، وغلب عليهم بعد التناهي الحيرة والاضطراب؛ لما يرونه من فساد أدلتهم،. أو تكافئها)) [2].

قال: ((كل ما يسمى قياسًا ينقسم إلى قياس تمثيل، وقياس شمول، **فالأول**: إلحاق الشيء بنظيره. **والثاني**: إدخال الشيء تحت حكم المعنى العام الذي يشمله، ثم كل منهما متصل بالآخر لأنه لابد بين المثلين من معنىً مشترك يكون شاملاً لهما، ولابد في المعنى الشامل لاثنين فصاعدًا من تسوية أحد الاثنين بالآخر في ذلك المعنى، فالقياس ثابت فيهما وهو التقدير والاعتبار والحسبان)) [3] .

ولا يستعمل في حق الله بهذين القياسين فله المثل الأعلى وليس كمثله شيء وإنما يستعمل في حق الله تعالى القياس الأولى.

كما بينه شيخ الإسلام فقال:((وأما "قياس الأولى" الذي كان يسلكه السلف اتباعًا للقرآن: فيدل

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج2/ 62، 63.

[2] (?) مجموع الفتاوى ج3/287.

[3] (?) مجموع الفتاوى ج9/259.

على أنه يثبت له من صفات الكمال التي لا نقص فيها أكمل مما علموه ثابتا لغيره، مع التفاوت الذي لا يضبطه العقل، كمالا يضبط التفاوت بين الخالق وبين المخلوق بل إذا كان العقل يدرك من التفاضل الذي بين مخلوق ومخلوق ما لا ينحصر قدره، وهو يعلم أن فضل الله على كل مخلوق أعظم من فضل مخلوق، على مخلوق كان هذا مما بين له أن ما يثبت لرب أعظم من كل ما يثبت لكل ما سواه بما لا يدرك قدره.

فكان قياس الأولى يفيده أمرا يختص به الرب مع علمه بجنس ذلك الأمر))[1] .

((فأما ما يفعله طوائف من أهل الكلام من إدخال الخالق والمخلوقات تحت قياس أو تمثيل يتساويان فيه، فهذا من الشرك والعدل بالله، وهو من الظلم، وهو ضرب الأمثال لله، وهو من القياس والكلام الذي ذمه السلف وعابوه، ولهذا ظن طوائف من عامة أهل الحديث والفقه والتصوف أنه لا يتكلم في أصول الدين ولا يتكلم في باب الصفات بالقياس العقلي وأن ذلك بدعة))[2] .

((والقرآن إذا استعمل في الآيات الإلهيات: استعمل قياس الأولى لا القياس الذي يدل على المشترك، فإنه ما وجب تنزيه مخلوق عنه من النقائص والعيوب التي لا كمال فيها. فالباري تعالى أولى بتنزيهه عن ذلك، وما ثبت للمخلوق من الكمال الذى لا نقص فيه كالحياة، والعلم، والقدرة: فالخالق أولى بذلك منه، فالمخلوقات كلها آيات للخالق والفرق بين الآية وبين القياس: أن الآية تدل على عين المطلوب الذي هي آية وعلامة عليه، فكل

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج9/145.

2 (?) بيان تلبيس الجهمية 2/536.

مخلوق فهو دليل. وآية على الخالق نفسه كما قد بسطناه في مواضع)).[1]

وكذلك أصحاب الرياضة والتجرد: فإن صفوتهم الذين يشتغلون بذكر بسيط مثل لا إله إلا الله إن لم يغلوا فيقتصروا على مجرد الله، الله، ويعتقدون أن ذلك أفضل وأكمل. كما فعله كثير منهم، وربما اقتصر بعضهم على هُوْ، هُوْ. أو على قوله: لا هو إلا هو، لأن هذا الذكر المبتدع الذي لا يفيد بنفسه إلا أنه مطلقاً، ليس فيه بنفسه ذكر لله إلا بقصد المتكلم.

فقد ينضم إلى ذلك اعتقاد صاحبه أنه [لا] وجود إلا هو، كما يصرح به بعضهم ويقول: لا هو إلا هو، أو لا موجود إلا هو، وهذا عند الاتحادية أجود من قول لا إلا إله إلا هو))[2]

((وقد تنعقد في قلبه مقاييس فاسدة، ومواجيد فاسدة، يحكم بمقتضاها في الربوبية أحكاماً فاسدة مثل: أحكام المنحرفة إلى صابئية، أو يهودية أو نصرانية، من الفلاسفة والمتكلمين والمتصوفة، الذين انحرفوا إما إلى تعطيل للصفات وتكذيبها.

وإما إلى تمثيل لها وتشبيه.

وإما إلى اعتقاد أن الرب هو الوجود المطلق الذي لا يتميز، وأن عين الوجود: هو عين الخالق، وأنه ليس وراء السموات والأرض شيء آخر؛ وإنما هذه الأشياء كلها مراتب للصفات، وأن الربوبية والإلهية: مراتب ذهنية شكوكية. وأما في الحقيقة: فليس إلا عين ذاته، فالمحجوبون يرون المراتب, والمكاشف ما ترى إلا عين الحق))[3] .

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج1/48.وانظر أيضا ج3/297 وج 9/141،145 وج12/349، وج13/164 وبيان تلبيس الجهمية ج1/327 وج2/535.

2 (?) مجموع الفتاوى ج2/63.

3 (?) مجموع الفتاوى ج2/65-66.

وهذا الموضع قد أوسعنا القول فيه في مواضع غير هذا، وهو منشأ الإشراك والضلال في طوائف من الفلاسفة، والاتحادية، وسائر الملاحدة الذين يعمهم معنى الجهمية، وإن كان لبعضهم عن بعض في ذلك مزية.

ومنشأ هذا من القياس الفاسد والتمثيل برب العالمين، والتسوية بينه وبين غيره، كما قال تعالى :ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﭼ[1]. وأصل الإشراك الذي هو من القياس الفاسد هو إبليس أول من قاس قياسا فاسدا، وهو إمام المشركين وقائدهم، ولا ينجو منه إلا المخلصون، الذين أثبتوا لله ما يختص به من الصفات والعبادات، كما قالﭽ ﭼ[2]وقال تعالى ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ[3] وهذا باب واسع ليس هذا موضعه))[4] .

والمقصود أن أولئك المبتدعة من أهل الكلام لما فتحو ((باب القياس الفاسد في العقليات،والتأويل الفاسد في السمعيات))؛ صار دهليزاً للزندقة الملحدين إلى ما هو أعظم من ذلك من السفسطة في العقليات، والقرمطة في السمعيات، وصار كل من زاد في ذلك شيئا دعاه إلى ما هو شر منه؛ حتى انتهى الأمر بالقرمطة إلى إبطال الشرائع المعلومة كلها، بل كان ما أفسدوا به حقيقة الإسلام على من اتبعهم، عقله واعتدوا به على من نازعهم من المسلمين، وفتحوا لعدو الإسلام بابًا إلى مقصوده[5] .

وهذا كما قال شيخ الإسلام باب واسع وبيانه يحتاج إلى مجلدات، إذْ أكثر من ضل من بني آدم في حق الله

---

1 (?) سورة الشعراء.
2 (?) سورة ص.
3 (?) سورة النحل.
4 (?) بيان تلبيس الجهمية ج2/381.
5 (?) مجموع الفتاوى ج2/544، 552.

وحق أنبيائه ورسله واتبع غير سبيل المؤمنين فمن جهة الأقيسة الفاسدة والمقاييس الباطلة. وأن تقديم العقول على نصوص الكتاب والسنة سبب في تفرق الأمة.

ويدخل في هذا الباب أيضا قياس الأولياء والصالحين وغيرهم بالأنبياء والرسل أو قياس ما ينزل من وحي الشيطان من المواجيد والمنامات بوحي الله المنزل على رسله أو قياس أنفسهم بهؤلاء أو قياس حياة الأنبياء والرسل والأولياء في البرزخ على حياتهم في الدنيا.

فإن هذا من أفسد القياس وأبطله قد وقع فيه كثير من عامة المسلمين كما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية وله أثر سيئ في تفريق الأمة وتشتيت شملها فوقعوا بسببه في الضلالات كما وقع فيها غلاة الصوفية وغيرهم , كما كان الأمر عند المشركين وغيرهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((وقد ظن طائفة غالطة أن ((خاتم الأولياء)) أفضل الأولياء قياسًا على خاتم الأنبياء، ولم يتكلم أحد من المشايخ المتقدمين بخاتم الأولياء، إلا محمد بن علي الحكيم الترمذي[1] فإنه صنف مصنفًا غلط فيه في مواضع، ثم صار طائفة من المتأخرين يزعم كل واحد منهم أنه خاتم الأولياء، ومنهم من يدعى أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء من جهة العلم بالله، وأن الأنبياء يستفيدون العلم بالله من جهته كما يزعم ذلك ابن عربي صاحب ((كتاب الفتوحات

---

[1] (?) **محمد بن الحكيم الترمذي** الزاهد أبو عبد الله، محمد بن علي بن الحسن بن بشر، الحكيم الترمذي قال السُلمي: هُجر لتصنيفه كتاب: ((ختم الولاية)) و((علل الشريعة)) وليس فيه ما يوجب ذلك، ولكن لبعد فهمهم عنه. قال الذهبي: كذا تُكُلِّم في السُّلمي من أجل تأليفه كتاب: ((حقائق التفسير))، فياليته لم يؤلفه، فنعوذ بالله من الإشارات الحلاجية، والسطحات البسطامية، وتصوف الاتحادية، فوا حزناه على غربة الإسلام والسنة، قال الله تعالى: (**وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**..) (الأنعام: 153)/ انظر: السـير ج 13/439_442.

المكية)) و ((كتاب الفصوص)) فخالف الشرع والعقل مع مخالفة جميع أنبياء الله تعالى وأوليائه كما يقال لمن قال: فخر عليهم السقف من تحتهم لا عقل ولا قرآن)).[1]

وقال شيخ الإسلام في موضع آخر: ((فإذا عرف أن حقيقة قول هؤلاء المشركية الصابئة، أن القرآن قول البشر كغيره، لكنه أفضل من غيره، كما أن بعض البشر أفضل من بعض، وأنه فاض على نفس النبي ﷺ من المحل الأعلى كما تفيض سائر العلوم والمعارف على نفوس أهلها، فاعلم أن هذا القول كثر في كثير من المتأخرين المظهرين للإسلام، وهم منافقون وزنادقة، وإن ادعوا كمال المعارف, من المتفلسفة والمتكلمة والمتصوفة والمتفقهين، حتى يقول أحدهم –كالتلمساني- :((كلامنا يوصل إلى الله والقرآن يوصل إلى الجنة)). وقد يقول بعضهم -كابن عربي - : ((إن الولي يأخذ من حيث ما يأخذ الملك الذي يوحى إلى النبيﷺ)). ويقول كثير منهم إن القرآن للعامة، وكلامنا للخاصة.

فهؤلاء جعلوا القرآن عضين، وضربوا له الأمثال؛ مثل ما فعل المشركون قبلهم، كما فعلوا بالنبيﷺ، فإن هؤلاء منهم من يفضل الولي الكامل، والفيلسوف الكامل على النبيﷺ، ومنهم من يفضل الأولياء على زعمه، أو بعض الفلاسفة: - مثل نفسه أو شيخه أو متبوعه- على النبيﷺ. وربما قالوا هو أفضل من وجه، والنبي أفضل من وجه، فلهم من الإلحاد والافتراء في رسل الله نظير ما لهم من الإلحاد والافتراء في رسالات الله،

فيقيسون الكلام الذي بلغته الرسل عن الله بكلامهم، ويقيسون رسل الله بأنفسهم، وقد بين الله حال هؤلاء في قوله تعالى: چ ... ٿ ٿ چ إلى أن قال : چ گ گ ں ں ڻ ڻ ٹ ... ۀ ۀ ہ ہ ... چ[2] ثم ذكر تعالى حال الكذاب والمتنبئ. فجمع في هذا بين من أضاف ما يفتريه إلى

[1] (?) مجموع الفتاوى ج11/223

[2] (?) الأنعام آية(92- 93).

الله، وبين من يزعم أنـه يـوحى إليـه ولا يعين من أوحـاه، فإن الذي يدعي لا يخرج عن هذين القسمين.

ويـدخل في ((القسـم الثـاني)) من يُـرِي عينيـه في المنـام مـا لا تريـا، ومن يقـول: ألقي في قلـبي وألهمت ونحو ذلك إذا كان كاذبا.

ويدخل في ((القسم الأول)) من يقول: قـال الله لي أو أمرني الله أو وافقـني أو قـال لي ونحو ذلك؛ بخيـالات أو إلهامـات يجـدها في نفسه ولا يعلم أنها من عند الله، بل قد يعلم أنها من الشيطان، مثل مسيلمة الكذاب ونحـوه. ثم قال تعالىچ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ چ[1]

فهـذه حـال من زعم أن البشر يمكنهم أن يـأتوا بمثل كلام الله، أو أن هذا الكلام كلام البشر بفضـيلةٍ وقـوةٍ من صاحبه، فإذا اجتهد المرء أمكن أن يـأتي بمثله. وهـذا يعم من قال إنه يمكن معارضة القرآن، كابن أبى سرح[2] في حال ردّته، وطائفة متفرقين من الناس، ويعم المتفلسـفة الصـابئة المنـافقين والكـافرين؛ ممن يـزعم أن رسـالة الأنبيـاء كلام فـاض عليهم قد يفيض على غـيرهم مثله، فيكون قد أنزل مثل ما أنزل الله في دعـوى الرسل؛ لأن القائل سـأنزل مثل ما أنـزل الله قد يقوله غـير معتقد أن الله أنزل شيئا؛ وقد يقوله معتقدًا أن الله أنزل شيئا))[3] .

((وهؤلاء الملاحدة يدعون أن ((الولاية)) أفضل من ((النبوة)) و يُلبِّسون على الناس

وهؤلاء قد يقولون -كما يقول صاحب ((الفصوص)) ابن عربي- إنهم يأخذون من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به إلى الرسول؛ وذلك أنهم اعتقدوا ((عقيدة

---

1 (?)الأنعام آية(93).

2 (?) **هو عبد الله بن سعد بن أبي سرْح**، بن الحـارث، بن حـبيب بن حذافة بن مالـك، بن لـؤي القرشي العـامري وكان أخا عثمان من الرضاعة كانت أمه أشـعرية الإصـابة في تمييز الصحابة ج5/100ت(4702.

3 (?) مجموع الفتاوى ج12/24،25، 26.

المتفلسفة)) ثم أخرجوها في قالب المكاشفة كما يقوله أرسطو وأتباعه))[1]

والمقصود هنا أن هؤلاء قد ضلوا ضلالا مبينا وخرجوا على الكتاب والسنة وعلى جماعة المسلمين وخالفوا العقل. والذي جرهم إلى هذا الضلال والإلحاد هم وأتباعهم هو القياس الفاسد مع هذا فقد وجدوا القبول عند أصحاب العقول المريضة وأفسدوا عقولهم وعطلوها بهذه الأقيسة الفاسدة والمقاييس الباطلة لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما كان عليه أصحابه والتابعين لهم بإحسان.

ويدخل في هذا الباب قياس دين الإسلام الذي جاء به محمد على الأديان السماوية الأخرى المحرفة والقول بأن المعبود واحد هذا دين الله وهذا دين الله وهذا نبي الله وهؤلاء أنبياء.

وهذا باب واسع لا يمكن حصرها في هذا الموضع فالمهم أن يعرف أن القياس الفاسد قد جر كثيرا من المسلمين إلى الضلال والفرقة والتفريط في حق الله ورسله والخروج على الكتاب والسنة وعلى جماعة المسلمين كما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الموضع.

((ولما كـان القيـاس والاعتبـار يحصل فيه الظلم والبغي بتسوية الشيء بما ليس مثله في الشرع والعقل، أمر بالعدل والقسط، وقال تعالى ﮋ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﮊ[2] فبين تعالى أن سبب الاختلاف هو البغي الذي هو خلاف العدل، فالشبهة الفاسـدة من هـذا النمط وهي من أسباب الاختلاف بعد بيان الكتاب والسنة للحق المعلـوم))[3]

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج11/226، 227.

2 (?) الشورى آية(14).

3 (?) بيان تلبيس الجهمية ج1/137.

وكل هذا يعود إلى عدم الاعتصام بالكتاب وبما جاء به الرسل من الهدى والبينات.

((فمن اعتـبر ما عند الطوائف الـذين لم يعتصـموا بتعليم الأنبياء وإرشادهم وأخبارهم وجـدهم كلهم حـائرين ضـالين شـاكين مرتـابين، أو جـاهلين جهلاً مركبا، فهم لا يخرجون عن المثلين اللذين في القـرآن چـ ڃـ ڄـ ڃـ ڇ

ڇ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ۇ ۇ چ[1]))[2].

---

[1] (?) سورة النور.

[2] (?) مجموع الفتاوى ج13/141.

المبحث الخامس: الاعتماد على الكشف والمنامات وأثره في تفريق الأمة

بين شيخ الإسلام أن الاعتماد على الكشوف والمنامات قد جرَّ كثيرا من غلاة الصوفية وغيرهم إلى ترك الاعتصام بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة ومتابعة الحق والعلم الشرعي والتسليم له.

((والكشف هو في اللفظ: رفع الحجاب، وفي الاصطلاح: هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية، وجوداً وشهوداً))[1] .

فالصوفي يزعم أن الحجاب قد رفعت من أمام قلبه وبصره، ليعلم ما في السماوات والأرض، بل ما يُكتب في اللوح المحفوظ، وما يخط بيد5 وما كان في الأزل، وما يكون إلى الأبد[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((هؤلاء يزعمون أنه يثبت عندهم في الكشف ما يناقض صريح العقل, وأنهم يقولون بالجمع بين النقيضين وبين الضدين, وأن من سلك طريقهم يقول بمخالفة المعقول والمنقول, ولا ريب أن هذا من أفسد ما ذهب إليه أهل السفسطة**:**

ومعلوم أن الأنبياء عليهم السلام: أعظم من الأولياء, والأنبياء جاءوا بما تعجز العقول عن معرفته, ولم يجيئوا بما تعلم العقول بطلانه, فهم يخبرون بمحارات العقول, لا بمحالات العقول, وهؤلاء الملاحدة يدعون أن محالات العقول صحيحة, وأن الجمع بين النقيضين صحيح, وأن ما خالف صريح المعقول وصحيح المنقول صحيح.

ولا ريب أنهم أصحاب خيال وأوهام, يتخيلون في نفوسهم أمورًا يتخيلونها ويتوهمونها, فيظنونها ثابتة في

---

1 (?) التعريفات للجرجاني مادة (ك ش ف). وانظر أيضا إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ج2/292، 293.

2 (?) تأويل القرآن ومذاهب الفرق فيه للدكتور محمد بديع موسى ص484.

الخارج, وإنما هي من خيالاتهم, والخيال الباطل يتصور فيه ما لا حقيقة له.

ولهذا يقولون: أرض الحقيقة هي أرض الخيال, كما يقول ذلك ابن عربي وغيره.

وهذا حال كثير من أهل التوجهات الفاسدة أصحاب الكشوفات والتصرفات المخالفة لأمر الله ورسوله)) [1]

فهم يقدمون الكشف على الكتاب والسنة، ويرى بعضهم أنه أنفع من الرواية والنقل.

ولهذا فقد وضَّحَ شيخ الإسلام أن هذا الموضع - في الكلام في الكشف والأمور الغيبية – حارت فيه أحلام وضلت فيه أفهام وهم مخطئون شرعا وعقلا، وبسببه وقع من الخلل في كلام طوائف ما لا يحصيه إلا الله تعالى كملاحدة الباطنية، وملاحدة النساك المنتسبين إلى التصوف وكل من هؤلاء وهؤلاء يؤول به الأمر إلى مخالفة صريح العقل والنقل[2] .

قال: ((كان من أعظم ما أنعم الله به على السلف اعتصامهم بالكتاب والسنة فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان، متفقين على أن القرآن لا يعارضه إلا قرآن لا رأي ومعقول وقياس، ولا ذوق ووجد وإلهام ومكاشفة))[3] .

قال شيخ الإسلام: ((ولهذا كان مشايخ الصوفية العارفون أهل الاستقامة يوصون كثيرا بمتابعة الشرع؛ لأن كثيرًا منهم سلكوا في العبادة لله مجرد محبة النفس وإرادتها وهواها, من غير اعتصام بالعلم الذي جاء به الكتاب والسنة, فضلوا بسبب ذلك ضلالاً يشبه ضلال النصارى.

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج2/311، 312 والفتاوى الكبرى ج 5/245.

2 (?) انظر درء تعارض العقل والنقل ج5/171، 173.

3 (?) مجموع الفتاوى ج13/28، 30.

وكثير من هؤلاء يظن أنه يصل برياضته واجتهاده في العبادة، وتصفية نفسه إلى ما وصلت إليه الأنبياء, من غير اتباع لطريقهم.

والمقصود ذكر من عَدَلَ عن العبادات التي شرعها الرسول , إلى عبادات بإرادته وذوقه، ووجده، ومحبته وهواه، وأنهم صاروا في أنواع من الضلال، من جنس ضلال النصارى. ففيهم من يدَّعي إسقاط وساطة الأنبياء, والوصول إلى الله بغير طريقهم, ويدعي ما هو أفضل من النبوة. ومنهم من يدَّعي الاتحاد والحلول الخاص: إما لنفسه, أو لشيخه، وإما لطائفته الواصلين إلى حقيقة التوحيد بزعمه.

وهذا قول النصارى)) [1].

وهذا كله من باب حب نيل الدرجة والعلو والمكانة من غير الطريق التي رسم بها الله تعالى ومن غير الأبواب التي أمر بها الله تعالى وهو الاعتصام بالكتاب والسنة فإن الله تعالى أمرنا بطلب الاستقامة والاهتداء إلى سبيله فيما جاء به رسوله صلى الله وسلم لابالطرق الشيطانية المخالفة ولا بالطرق البدعية الفلسفية التي يقود الإنسان إلى الضلال والإلحاد والهلاك والغواية كما بين شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله-.

فقال –رحمه الله- في بيان طرق الناس في طلب العلم والدين والمرتبة:

((والناس لهم في طلب العلم والدين طريقان مبتدعان، وطريق شرعي، **فالطريق الشرعي** هو النظر فيما جاء به الرسول والاستدلال بأدلته والعمـل بموجبها فلا بد من علم بما جاء به وعملٍ به لا يكفي أحدهما.وهذا هو الصراط المستقيم.

وأما الطريقان المبتدعان:

فأحدهما: طريق أهل الكلام البدعي والرأي البدعي؛ فإن هذا فيه باطل كثير، وكثير من أهله يفرِّطون فيما أمر الله به ورسوله من الأعمال، فيبقى هؤلاء في فساد

[1] (?) منهاج السنة ج5/331 -332 ،333 .

علم وفساد عمل. وهؤلاء هم منحرفون إلى اليهودية الباطلة.

والثاني: طريق أهل الرياضة والتصوف والعبادة البدعية. وهؤلاء منحرفون إلى النصرانية الباطلة. فإن هؤلاء يقولون: إذا صفىَّ الإنسان نفسه على الوجه الذي يذكرونه، فاضت عليه العلوم بلا تعلم. وكثير من هؤلاء تكون عبادته مبتدعة، بل مخالفة لما جاء به الرسول ، **فيبقون في فساد من جهة العمل، وفساد من نقص العلم، حيث لم يعرفوا ما جاء به الرسول، وكثيراً ما يقع من هؤلاء وهؤلاء، وتقدح كل طائفة في الأخرى**، وينتحل كل منهم اتباع الرسول.

والرسول ليس ما جاء به موافقاً لما قال هؤلاء ولا هؤلاء ﭽ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ﭼ[1] وما كان رسول الله ولا أصحابه على طريقة أهل البدع من أهل الكلام والرأي، ولا على طريقة أهل البدع من أهل العبادة والتصوف، بل كان على ما بعثه الله من الكتاب والحكمة))[2] .

قال أبو حامد[3] : "" وبترقيهم إلى هذا الحد زاد الفلاسفة فأوَّلوا كل ما ورد في الآخرة إلى أمور عقلية روحانية ولذات عقلية" **إلى أن قال**: " وهؤلاء هم المسرفون في التأويل. وحد الاقتصاد بين هذا وهذا دقيق غامض لا يطلع عليه إلا الموفَّقون، الذين يدركون الأمور بنور إلهي، لا بالسماع. ثم انكشفت لهم أسرار الأمور على ما هم عليه، ونظروا إلى السمع والألفاظ الواردة فيه، فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرّروه، وما خالف أوّلوه. فأما من يأخذ هذه الأمور كلها من السمع فلا يستقر له قدم))[4] .

---

1 (?) آل عمران.

2 (?) منهاج السنة ج5/428، 429. ودرء تعارض العقل والنقل ج5/345،346.

3 (?) في إحياء علوم الدين ج1/ 104.

وقال شيخ الإسلام في الرد عليه: ((هذا الكلام مضمونه أنه لا يستفاد من خبر الرسول شيء من الأمور العلمية[1]، بل إنما يدرك ذلك كل إنسان بما حصل له من المشاهدة والنور والمكاشفة.

وهذان أصلان للإلحاد، فإن كل ذي مكاشفة إن لم يزنها بالكتاب والسنة، وإلا دخل في الضلالات.

وأفضل أولياء الله من هذه الأمة أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وأفضل من كان محدَّثا من هذه الأمة عمر، للحديث[2] وللحديث الآخر: ((إن الله ضرب الحق على لسان عمر وقلبه))[3] ومع هذا فالصديق أفضل منه، لأن الصديق إنما يأخذ من مشكاة الرسالة لا من مكاشفته ومخاطبته، وما جاء به الرسول معصوم لا يستقر فيه الخطأ، وأما ما يقع لأهل القلوب من جبس المخاطبة والمشاهدة ففيه صواب وخطأ، وإنما يفرقّ بين صوابه وخطئه بنور النبوة، **كما كان عمر -رضي الله عنه- يَزِن ما يَرِدُ عليه بالرسالة، فما وافق ذلك قبله، وما خالفه ردّه))**[4] .

---

4 (?) هذا كلام أبو حامد الغزالي يشير إلى أنهم يقدمون الطرق الكشفية على أدلة الشرع, أن العمدة عند الصوفية هو الكشف وهو الميزان. /انظر : إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ج1/104.

1 (?) وقد جاء في إحياء علوم الدين ج4/265 نقلا عن بعض مشايخهم : ((فإن الكشف أنفع من الرواية والنقل))

2 (?) هو قول النبي تقدم ذكره.

3 (?) رواه الترمذي في سننه ج1/576 ح(3682) كتاب المناقب. باب في مناقب عمر بن الخطاب وأبو داود في سننه ج3/364 ح(2961) كتاب الخراج والإمارة والفيء باب في تدوين العطاء. وأحمد في مسنده ج1/40 والحاكم في المستدرك ج3/93 وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم (1736).

4 (?) درء تعارض العقل والنقل ج5/348،349.

قال في موضع آخر: ((فليس في المحدَّثين الملهمين أفضل من عمر، كما قال : ((أنه قد كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي منهم أحد فعمر منهم))[1] وقد وافق عمر ربه في عدة أشياء، ومع هذا فكان عليه أن يعتصم بما جاء به الرسول ولا يقبل ما يرد عليه حتى يعرضه على الرسول ولا يتقدم بين يدي الله ورسوله؛ بل يجعل ما ورد عليه إذا تبين له من ذلك أشياء خلاف ما وقع له فيرجع إلى السنة، وكان أبو بكر يبين له أشياء خفيت عليه فيرجع إلى بيان الصديق وإرشاده وتعليمه، كما جرى يوم الحديبية، ويوم مات الرسول ويوم ناظره في مانعي الزكاة وغير ذلك، وكانت المرأة ترد عليه ما يقوله وتذكر الحجة من القرآن، فيرجع إليها كما جرى في مهور النساء، ومثل هذا كثير.

فكل من كان من أهل الإلهام والخطاب والمكاشفة لم يكن أفضل من عمر، فعليه أن يسلك سبيله في الاعتصام بالكتاب والسنة تبعًا لما جاء به الرسول لا يجعل ما جاء به الرسول تبعًا لما ورد عليه، وهؤلاء الذين أخطأوا وضلوا وتركوا ذلك واستغنوا بما ورد عليهم، وظنوا أن ذلك يغنيهم عن اتباع العلم المنقول.

وصار أحدهم يقول: أخذوا علمهم ميتًا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت، فيقال له: أما ما نقله الثقات عن المعصوم فهو حق، ولولا النقل المعصوم لكنتَ أنتَ وأمثالك إما من المشركين، وإما من اليهود والنصارى، وأما ما ورد عليك فمِنْ أين لك أنه وحي من الله؟ ومن أين لك أنه ليس من وحي الشيطان؟

و ((الوحي)) وحيان: وحي من الله، ووحي من الشيطان، قال تعالى: ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ

---

[1] (?) رواه مسلم في صحيحه ص616 ح(2397) كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم. باب من فضائل عمر .

ک ک ک ک چ[1] وقال تعالى:چ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ چ[2]))[3]

قال في موضع آخر: ((فإن كثيرا ممن يظن به أنه حصل له هذا الكشف يكون ظانًا في ذلك ظنًا لا يغنى من الحق شيئًا، وأهل المكاشفات والمخاطبات يصيبون تارة؛ ويخطئون أخرى؛ كأهل النظر والاستدلال في موارد الاجتهاد؛ ولهذا وجب عليهم جميعهم أن يعتصموا بكتاب الله وسنة رسوله وأن يزنوا مواجيدهم ومشاهدتهم وآرائهم ومعقولاتهم بكتاب الله وسنة رسوله ولا يكتفوا بمجرد ذلك؛ فإن سيد المحدثين والمخاطبين الملهمين من هذه الأمة هو عمر بن الخطاب وقد كانت تقع له وقائع فيردها عليه رسول الله أو صديقه التابع له الآخذ عنه الذي هو أكمل من المحدث الذي يحدثه قلبه عن ربه.

ولهذا وجب على جميع الخلق اتباع الرسول وطاعته في جميع أموره الباطنة والظاهرة، ولو كان أحد يأتيه من الله ما لا يحتاج إلى عرضه على الكتاب والسنة لكان مستغنيًا عن الرسول في بعض دينه. ولهذا من أقوال المارقين الذين يظنون أن من الناس من يكون مع الرسول كالخضر مع موسى، ومن قال هذا فهو كافر))[4] .

ومن سلك طريق الإرادة والعبادة والزهد والرياضة من غير متابعة للسنة ولا علم ينبني العمل عليه كان ضالاً غاويا، ومن كان معه علم صحيح مطابق لما جاء به الرسول بلا عملٍ به كان غاوياً ومن كان معه عمل موافق للسنة بدون العلم المأمور به كان ضالاًّ،فمن خرج عن موجب الكتاب والسنة من هؤلاء وهؤلاء كان ضالاًّ، وإذا لم يعمل بعلمه، أو عمل بغير علم، كان ذاك فسادًا

---

1. (?)الأنعام آية: (121).
2. (?) الأنعام الآية (112),
3. (?) مجموع الفتاوى ج13/74.
4. (?) مجموع الفتاوى ج11/65، 66.

ثانياً، والذين لم يعتصموا بالكتاب والسنة من أهل الأحوال والعبادات، و الرياضات والمجاهدات، ضلالهم أعظم من ضلال من لم يعتصم بالكتاب والسنة من أهل الأقوال والعلم، وإن كان قد يكون في هؤلاء من الغي ما ليس فيهم، فإنهم يدخلون في أنواع من الخيالات الفاسدة، والأحوال الشيطانية المناسبة لطريقهم كما قال تعالى: ﭽ   ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ   ﭼ[1]

والإنسان همَّامٌ حارث، فمن لم يكن همه وعمله ما يحبُّه الله ورسوله ، كان همه وعمله مما لا يحبه الله ورسوله .

والأحوال نتائج الأعمال، فيكون ما يحصل لهم بحسب ذلك العمل، وكثيرًا ما تتخيل له أمور يظنها موجودة في الخارج ولا تكون إلا وفي نفسه، فيسمع خطابًا يكون من الشيطان أو من نفسه، يظنه من الله تعالى، حتى أن أحدهم يظن أنه يرى الله بعينه، وأنه يسمع كلامه بأُذُنه من خارج، كما سمعه موسى بن عمران، ومنهم من يكون ما يراه شياطين وما يسمعه كلامهم، وهو يظنه من كرامات الأولياء، وهذا باب واسع بسطه موضع آخر.

ولهذا قال النبي في الحديث الصحيح : ((الرؤيا ثلاثة : رؤيا من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدِّث به المرء نفسه في اليقظة فيراه في المنام))[2] .

وكثيرًا ما يرى الإنسان صورة اعتقاده، فيكون ما يحصل له بمكاشفته ومشاهدته هو ما اعتقده من الضلال، حتى أن النصراني يرى في كشفه التثليث الذي اعتقده، وليس أحد من الخلق معصومًا أن يُقرَّ على خطأ إلا الأنبياء، فمن أين يحصل لغير الأنبياء نور إلهي تُدرك به حقائق الغيب وينكشف له أسرار هذه الأمور على ما هي

[1] (?) الشعراء.
[2] (?) تقدم تخريجه.

عليه، بحيث يصير بنفسه مدركًا لصفات الرب وملائكته، وما أعده الله في الجنة والنار لأوليائه وأعدائه ؟![1] .

فهذا يبين مدى بعد ضلال أقوال هؤلاء وغيرهم من هذه الأمة ممن أشرب هذه الكشوف والأذواق والمخاطبات وجعلها عمدة دينه، وترك الاعتصام على الكتاب والسنة بل قدمها عليهما وكيف انحرف عن طريق الحق الذي جاء به الرسول.

فلهذا يجب الاعتماد على الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة في أمور الدين كلها، وترك الاعتماد على هذه المواجيد والأذواق والمكاشفات والمنامات ، فإنها قد تكون من وحي الشيطان لا من وحي الرحمن.

ومن تأمل في كثرة طرق سالكيها من الصوفية وغيره وتباين آراء أهلها وتضارب أقوالهم وتفرقهم في أمرهم واختلافهم وبغضهم لأهل الحديث والسنة يزيد شكره لله ويعلم أن سبب هذا كله ترك الاعتصام بالكتاب والسنة، والتمسك بهدي الصحابة والتابعين لهم بإحسان, وجعل هذه المكاشفات والمنامات والأذواق والمخاطبات عمدة لدينهم يوالون بها ويعاد عليها. وأعجب من ذلك من اغتر بهم ويصحح مذهبهم ويعظمهم على أهل السنة والحديث المستمسكين به.

كما قال شيخ الإسلام: ((فقد عدل كثير من المنتسبين إلى الإسلام أن نبذ القرآن وراء ظهره، واتبع ما تتلو الشياطين، فلا يعظم أمر القرآن ونهيه ويوالي من أمر القرآن بموالاته، ولا يعادي من أمر القرآن بمعاداته، بل يعظم من يأتي ببعض الخوارق))[2] .

والأمر كما قال –رحمه الله- فقد حمل ذلك بعضهم إلى القول بعدم جواز زيارة من لم يكن في طريقهم ولم

---

[1] (?) درء تعارض العقل والنقل ج5/351-353. وانظر أيضا مجموع الفتاوى ج11/320، 398، 429، 431، وج13/68، 71، 73، 332، وج19/274، وج22/307، 308، وج 24/377، 378، وج27/499.

[2] (?) مجموع الفتاوى ج14/227.

يعتقد اعتقادهم، ولم يقبل قول شيخ طريقهم في الكشف والمنامات والحقيقة وغيرها وجعله شرطا من شروط طريقهم فلا حول ولا قوة إلا بالله.

المبحث السادس: في بيان الإفتاء أو التكلم بغير علم أو التصدي والتسرع للإفتاء في قضايا الأمة المصيرية من غير أهلها وأثره في تمزيق شمل الأمة

هذا المبحث من أعظم مسائل هذا الباب وأكثرها خطورة؛ لأن الكلام في هذه القضايا بغير علم يهوي المتكلم إلى سخط الله ومقته ويقود الأمة إلى الشر والفتن وتعطيل المصالح، وأخطر من هذا كله كونه توقيعا عن رب العالمين ورسوله الأمين، وبيان الأحكام الشرعية للأمة؛ وهو الإفتاء في الدين عامة وفي قضايا الأمة المصيرية خاصـة.

ولخطورته كان السلف الصالح يود كل واحد منهم أن أخاه كفاه الأمر، وفي هذا العصر كثر التساهل في الفتوى والتجرؤ على الدين من بعض من ليس له قدم صدق في الأمة ورسوخ في العلم سفهاء الأحلام من جهة و حدثاء أسنان من جهة أخرى بل حتى العوام وبعض من يسمى بالمثقفين والمفكرين من غير فقه وتريث وإسناد الأمر إلى أهله فصار بذلك فتنة للأمة وشر عظيم وفرقة وفساد كبير، فسُفكت بأقوالهم الدماء وهُتكت بها الأعراض وسلبت بها الحقوق وأُهدرت الأموال والممتلكات وقتل بها الأبرياء بغير أن يُستشعر عظم تلك المسؤولية أمام الله يوم القيامة.

فالخوض في مثل هذا يستوجب التعقل والتأني والفهم الصحيح للعالم والرسوخ في العلم وبعد النظر في النتائج والعواقب ومعرفة وتقدير ظروف الأمة في حال قوتها وضعفها وكل هذا يحتاج إلى علم صحيح وفهم عميق للكتاب والسنة وأحوال سلف الأمة ومواقفهم في الفتن والشبهات والبدع بعلم

ولهذا بين شيخ الإسلام ابن تيمية أن الله تعالى حرم القول بغير علم في أكثر من موضع

قال: ((فإن الله حرَّم القول بلا علم عمومًا وحرَّم القول عليه بلا علم خصوصا، فقال تعالى ﭼ ﭽ ﭾ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ

ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ چ[1]

فهذه الأنواع الأربعة هي التي حرمها تحريما مطلقا لم يبح منها شيئا لأحدٍ من الخلق ولا في حال من الأحوال)) [2] .

و في قوله تعالى چ ى ى ى ي ي چ[3]

قال : إن هذا مذموم في القضاء، و الفتيا، والتفسير، وفي جميع الأمور وفي كل حال، كما أنه قد ينهى عن الكلام الذي لا يفهمه المستمع, أو الذي يضر المستمع, وعن المناظرات التي تورث شبهات وأهواء فلا تفيد علمًا ولا دينًا[4]

وقال ابن القيم في الآية: ((وقد حرم الله سبحانه القول بغير علم في الفتيا والقضاء، وجعله من أعظم المحرمات، بل جعله في المرتبة العليا، وهذا يعم القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله، وفي دينه وشرعه))[5]

فأمر الفتيا عظيم وخطر الخوض فيها جسيم ولذلك كان سلف الصالح يأخذون حذرهم منها ولا يتسرعون في أمرها خوفا من الله تعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً: ((ولهذا كان أئمة المسلمين لا يتكلمون في شيء أنه عبادة وطاعة وقربة إلا بدليل شرعي، وإتباع لمن قبلهم لا يتكلمون في الدين بلا علم، فإن الله حرم ذلك بقوله.

وقد اتفق أهل الملل على أن القول على الله بغير علم حرام، والله سبحانه نهاهم أن يقولوا على الله

---

1 (?) الأعراف.

2 (?) مجموع الفتاوى ج3/346 وج15/331 والجواب الصحيح ج6/33.

3 (?)الإسراء .

4 (?) انظر درء تعارض العقل والنقل ج7/183، 184.

5 (?) زاد المعاد ج5/304.

إلا الحق، فكان هذا نهيًا أن يقولوا الباطل سواء علموا أنه باطل أو لم يعلموا))[1]

فقد تبين من هذه النصوص التي ذكرها شيخ الإسلام خطورة القول على الله بلا علم مطلقا سواء في الفتيا أو القضاء أوفي غيره.

ومن هذا المنطلق يرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن تولي منصب الفتوى أو الإفتاء في أمر الدين يحتاج إلى العلم والبصيرة، والفهم الصحيح للكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة، وإلى التعقل وبعد النظر والتريث في الحكم، وبخاصة عند حلول الشبهات والفتن في قضايا الأمة المصيرية بتقدير ظروفها وأحوالها .

كما بين أن من الخطر على الأمة أن يفتي في قضاياها المصيرية ولهذا وضع شيخ الإسلام ابن تيمية قواعد عظيمة لهذا الباب لو رجع إليها العلماء لوضعوا النقاط على الحروف، وأن الميزان الصحيح في الأمر موافقة الكتاب والسنة لا النفس والهوى .

- خوض صغار طلاب العلم في قضايا الأمة المصيرية

في عهد الصحابة رضوان الله عليهم لم يكن صغارهم يفتون في مثل هذه القضايا والمسائل الكبيرة كالجهاد والولاء والبراء والإمامة أو يتسرعون في الخوض فيها وإنما كان ذلك لأكابرهم.

فقد وصف الرسول ﷺ الخوارج بأنهم حدثاء الأسنان وسفهاء الأحلام، وهذا قد ذكره على وجه الذم بأنهم لم ينضجوا علما ولا عقلا ويتكلمون في القضايا الكبيرة والحساسة كعدالة الأئمة والحكام والتكفير والجهاد وغيرها بلا فقه ولا أهلية فلذلك أحدثوا بلبلة وفتنة وفوضى وفساد وظلم.

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج27/374.والجواب الصحيح 4/294.

كما قال شيخ الإسلام في أصل ضلالهم: ((اعتقادهم في أئمة الهدى وجماعة المسلمين أنهم خارجون عن العدل، وأنهم ضالون، وهذا مأخذ الخارجين عن السنة، ثم يعدُّون ما يرونه أنه ظلم عندهم كفرا ثم يرتبون على الكفر أحكاماً ابتدعوها))[1] .

فهؤلاء لم يبنوا أصولهم على علم صحيح ولا قواعد سليمة، بل حملهم الحماس والجهل فتكلموا في مثل هذه فجروا الأمة إلى الفتنة والفرقة .

ونجد في عصرنا الحاضر أن كثيرا من يتكلم في قضايا الأمة المصيرية ويفتي فيها هم من هذا النحو إما صغار طلاب العلم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام أو أصحاب الآراء والأفكار الفاسدة والتأويلات الباطلة المخالفة لقواعد الدين الصحيحة وأصول علمية محكمة كما سيأتي بيان هذا أكثر إن شاء الله.

ولهذا بين شيخ الإسلام أن الكلام والإفتاء يحتاج إلى معرفة وفقه وعلم وبصيرة وعقل وبعد نظر والدراية في جمع الأدلة وذكر لهذا قاعدة جامعة, وعظيمة الفائدة لسائر الأمة.

قال -رحمه الله-: ((ونحن نذكر "قاعدة جامعة" في هذا الباب لسائر الأمة فنقول:

لابد أن يكون مع الإنسان أصولٌ كليةٌ تُردُّ إليها الجزئيات ليتكلم بعلمٍ وعدلٍ، ثم يعرف الجزئيات كيف؟ وقعتْ وإلا فيبقى في كذبٍ وجهلٍ في

[1] (?) مجموع الفتاوى ج28/ 497.

الجزئيات وجهلٍ وظلمٍ في الكليات، فيتولد فساد عظيم)) [1] .

فهذا يستلزم الفهم الصحيح للأصول الكلية ومعرفة المسائل وبصيرة تامة لنصوص الكتاب والسنة لإنزال كل حاثة في موضعه كما وضح ذلك في موضع آخر:

فقال : ((ولا بد أن يكون المفتي من يحسن أن يضع الحوادث على القواعد و يُنَزِّلها عليها.

والشريعة فإنها كما قال النبي : ((بُعثتُ بجوامع الكلم)) [2] . والكلمة الجامعة هي القضية الكلية، والقاعدة العامة التي بُعث بها النبي ، فمن فهم كَلِمَهُ الجامع، علم اشتمالها لعامة الفروع وانضباطها بها.

وأن النصوص دالة على عامة الفروع الواقعة، كما يعرفه من يتحرى ذلك ويقصد الإفتاء بموجب الكتاب والسنة ودلا لتها، وهذا يعرفه **من يتأمل**، كمن يفتي بمائة فُتيا أو مائتين أو ثلاثة وأكثر أو أقل، وأنا قد جربت ذلك. ومن تدبر ذلك رأى أهل النصوص دائماً أقدر على الإفتاء وأنفع للمسلمين في ذلك من أهل الرأي المحدث، وسبب هذا أن الأعمال الواقعة يحتاج المسلمون فيها إلى **معرفة النصوص**)) [3] .

فعلى هذا يجب التوقي الحذر من الكلام في المسائل والقضايا التي تتوقف عليها مصير هذه الأمة وعدم التسرع في الإفتاء فيها ممن ليس من أهل العلم والبصيرة.

- ومن تلك القضايا المصيرية مسائل الإمامة وولاة الأمور وطريقة مناصحتهم وجهاد الكفار والمنافقين والهجر والولاء والبراء ونحوه.

أخبر شيخ الإسلام ابن تيمية أن هذه المسائل من كبار المسائل التي خاض فيها جهال العلم وحدثاء الأسنان

[1] (?) مجموع الفتاوى ج19/ 203.

[2] (?) رواه مسلم في صحيحه ص127 ح(523) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

[3] (?) الاستقامة ج1/11، 12.

وسفهاء الأحلام خوضاً وأفتوا فيها بغير علم ولا بصيرة وحصل بذلك فرقة وشر و فساد عظيم ما الله به عليم من تسفيه علماء الفقه ذوي العلم والبصيرة في الدين وهجر أقوالهم والطعن في الحكام والقول بالخروج عليهم إذا جاروا وجواز قتالهم إذا لم يكفوا، وإراقة الدماء المعصومة بدعوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتحليل والتحريم بلا فقه في الدين و لا فهم لمقاصد ه العظيمة فتولد عنها مفاسد لم تحمد عقاباه إلى يومنا هذا بسبب التصدي والسر والتجرؤ على الإفتاء بغير علم من غير أهله والذي قاد الأمة إلى المهالك والشر والفرقة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((ولهذا كان المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف وإن كان فيهم ظلم كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي ، لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة، فلا يدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما، ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته))[1] .

وقال في موضع آخر: ((ولهذا من كان حالفاً على ما أمر الله به ورسوله من طاعة ولاة الأمور ومنا صحتهم أو الصلاة أو الزكاة أو صوم رمضان أو أداء الأمانة والعدل ونحو ذلك لا يجوز لأحد أن يفتيه بمخالفته ما حلف عليه والحنث في يمينه، ولا يجوز له أن يستفتي في ذلك، ومن أفتى مثل هؤلاء بمخالفة ما حلفوا عليه والحنث في أيمانهم فهو مفتر على الله الكذب مفتٍ بغير دين الإسلام .

وأما أهل العلم والدين والفضل فلا يرخصون لأحد فيما نهى الله عنه من معصية ولاة الأمور وغشهم

---

1 (?) منهاج السنة ج3/391

والخروج عليهم بوجه من الوجوه كما عرف من عادات أهل السنة والدين قديماً وحديثًا ومن سير غيرهم))[1] .

فقد تبين لك من هذا أن من أفتى الناس بالخروج على الأئمة بجورهم فهذا لا يلتفت إلى ما يفتي به وهو سبب للفتنة والفرقة وزيادة الفساد وكل ما يجر الأمة إلى الفتن والشر والتنافر وتعطيل المصالح فلا يفتي فيها بما يخالف الكتاب والسنة وكان عليه سلف الأمة.

وهذا الأمر قد تكلم فيه شيخ الإسلام ابن تيمية كلاماً علميا دقيقًا وبسطه في مواضع كثيرة ومتفرقة في كتبه لأهميته وخطورته، وكما حذر من الخوض فيه بالظن والهوى ومن غير فقه في الدين.

قال: ((ولا ينبغي لأحد أن يخرج في هذا عما مضت به السنة وجاءت به الشريعة ودل عليه الكتاب والسنة وكان عليه سلف الأمة، وما علمه قال به وما لم يعلمه أمسك عنه، ولا يقفوا ما ليس به علم، ولا يقول على الله مالم يعلم فإن الله تعالى قد حرم ذلك))[2]

قال في موضع آخر إذ فصل القول في المسألة وقعّد لها قواعد عظيمة ونافعة:

((فصل جامع في تعارض الحسنات؛ أو السيئات أو هما جميعا؛ إذا اجتمعا ولم يمكن التفريق بينهما؛ بل الممكن إما فعلهما جميعا؛ وإما تركهما جميعا.

وقد كتبت ما يشبه هذا في " قاعدة الإمارة والخلافة" وفى أن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وأنها ترجح خير الخيرين وشر الشرين، وتحصيل أعظم المصلحتين، بتفويت أدناهما، وتدفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما، فنقول:

قد أمر الله ورسوله بأفعال واجبة ومستحبة؛ وإن كان الواجب مستحبا وزيادة. ونهى عن أفعال محرمة أو

---

1. (?) مجموع الفتاوى ج35/10، 12 وانظر أيضا مجموع الفتاوى ج28/128 وأيضا ج33/146.
2. (?) مجموع الفتاوى ج1/334.

مكروهة، والدين هو طاعته وطاعة رسوله، وهو الدين والتقوى؛ والبر والعمل الصالح؛ والشرعة والمناهج، وإن كان بين هذه الأسماء فروق. وكذلك حمد أفعالاً هي الحسنات ووعد عليها، **وذمَّ أفعالاً هي السيئات وأوعد عليها، وقيد الأمور بالقدرة والاستطاعة والوسع والطاقة، فقال** : ﭽ   ﮬ ﭼ[1] [2]

ثم قال : ((كما يقال: ليس العاقل الذي يعلم خير من شر إنما العاقل الذي يعلم خير الخيرين وشر الشرين، وينشد:

إِن اللَّبِيبَ إذا بَدَى من جسمه ... مرضان مختلفان داوى الأخطر

وهذا ثابت في سائر الأمور، فإن الطبيب مثلا يحتاج إلى تقوية القوة ودفع المرض؛ والفساد أداة تزيدهما معا؛ فإنه يرجح عند وفور القوة تركه إضعافاً للمرض، وعند ضعف القوة فعله، لأن منفعة إبقاء القوة والمرض أولى من إذهابها جميعا؛ فإن ذَهاب القوة مستلزمٌ للهلاك ولهذا استقر في عقول الناس أنّه عند الجدب يكون نزول المطر لهم رحمة، وإن كان يتقوى بما ينبته أقوام على ظلمهم، لكن عدمه أشد ضررا عليهم ويرجحون وجود السلطان مع ظلمه على عدم السلطان، كما قال بعض العقلاء: ((ستون سنة من سلطانٍ ظالمٍ خيرٌ من ليلةٍ واحدة بلا سلطانٍ)).

ثم السلطان يؤاخذ على ما يفعله من العدوان ويفرط فيه من الحقوق مع التمكن، لكن أقول هنا؛ إذا كان المتولي للسلطان العام أو بعض فروعة كالإمارة والولاية والقضاء ونحو ذلك، إذا كان لا يمكنه أداء واجباته وترك محرماته، ولكن يتعمد ذلك على مالا يفعله غيره قصدًا وقدرةً: جازتْ له الولاية، وربما وجبت! وذلك لأن الولاية

---

[1] (?) التغابن آية: (16).

[2] (?) مجموع الفتاوى ج20/48-49. وذكر لهذا أمثلة كثيرة ونافعة يراجع.

إذا كانت من الواجبات التي يجب تحصيل مصالحها، من جهاد العدو، وقسم الفيء، وإقامة الحدود، وأمن السبيل: كان فعلها واجبًا، فإذا كان ذلك مستلزما لتولية بعض من لا يستحق وأخذ بعض مالا يحل وإعطاء بعض من لا ينبغي؛ ولا يمكنه ترك ذلك: صار هذا من باب مالا يتم الواجب أو المستحب إلا به، فيكون واجبًا أو مستحبًا إذا كانت مفسدته دون مصلحة ذلك الواجب أو المستحب، بل لو كانت الولاية غير واجبة وهي مشتملة على ظلم؛ ومن تولاها أقام الظلم حتى تولاها شخصٌ قصده بذلك تخفيف الظلم فيها، ودفع أكثره باحتمال أيسره: كان ذلك حسنا مع هذه النية، وكان فعله لما يفعله من السيئة بنية دفع ما هو أشد منها جيدا.

وهذا باب يختلف باختلاف النيات والمقاصد))[1] .

فتقدير هذه الأمور يحتاج إلى فقه دقيق وعقل صريح وعلم صحيح لنصوص الكتاب والسنة وهذا ما لا يتوفر عند حدثاء الأسنان وسفهاء الأحلام فكيف يخوضون في مثل هذه المسائل ويفتون فيها بغير علم؟!

ثم قال شيخ الإسلام: ((وهذا باب التعارض باب واسع جداً، لاسيما في الأزمنة والأمكنة التي نقصت فيها آثار النبوة وخلافة النبوة، فإن هذه المسائل تكثر فيها، وكلما ازداد النقص ازدادت هذه المسائل، **ووجود ذلك من أسباب الفتنة بين الأمة**، فإنه إذا اختلطت الحسنات بالسيئات وقع الاشتباه والتلازم، فأقوام قد ينظرون إلى الحسنات فيرجحون هذا الجانب وإن تضمن سيئات عظيمة، وأقوام قد ينظرون إلى السيئات فيرجحون الجانب الآخر وإن ترك حسنات عظيمة، والمُتوسِّطون الذين ينظرون الأمرين قد لا يتبين لهم أوْ لأكثرهم مقدار المنفعة والمضرة، أو يتبين لهم فلا يجدون من يعنيهم العمل بالحسنات وترك السيئات؛ **لكون الأهواء قارنت الآراء**، ولهذا جاء في الحـديث: ((إن

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج20/54، 55.

الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات، ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات)) [1] .

فينبغي للعالم أن يتدبر أنواع هذه المسائل، وقد يكون الواجب في بعضها- كما بينتُه فيما تقدم-: العفو عند الأمر والنهي في بعض الأشياء؛ لا التحليل والإسقاط. مثل أن يكون في أمره بطاعةٍ فعلاً لمعصيةٍ أكبر منها، فيترك الأمر بها دفعًا لوقوع تلك المعصية، مثل أن ترفع مذنبًا إلى ذي سلطانٍ ظالمٍ فيعتدي عليه في العقوبة ما يكون أعظم ضررًا من ذنبه، ومثل أن يكون في نهيه عن بعض المنكرات تركًا لمعروف هو أعظم منفعة من ترك المنكرات، فيسكت عن النهي خوفًا أن يستلزم ترك ما أمر الله به ورسوله مما هو عنده أعظم من مجرد ترك ذلك المنكر.

فالعالم تارة يأمر, وتارة ينهي, وتارة يبيح, وتارة يسكت [2] **عن الأمر أو النهي أو الإباحة، كالأمر بالصلاح الخالص أو الراجح أو النهي عن الفساد الخالص أو الراجح، وعند التعارض يرجح الراجح -كما تقدم- بحسب الإمكان** فأما إذا كان المأمور والمنهي لا يتقيد بالممكن: إما لجهله، وإما لظلمه، ولا يمكن إزالة جهله وظلمه، **فربما كان الأصلح الكف والإمساك عن أمره ونهيه**، كما قيل: إن من المسائل مسائل جوابها السكوت، كما سكت الشارع في أول الأمر عن الأمر بأشياء والنهي عن أشياء، حتى علا الإسلام وظهر.

---

1 (?) رواه...

2 (?) قلت: وهنا يسقط الكثير في هذا الموضع إلا من رحم الله يرى أن الحق لابد من القول به في كل وقت وزمان وحال وكيف ما كان وإن أدى إلى فتنة ولا يسكت للمصلحة ويصعب عليه السكوت لموقفه أو مكانته وهذا غلط, وقد يكون في ظنه أنه على حق وهو على باطل وفتح باب شر على الأمة فالحكمة فقول الحق واجب فكذلك الحكمة مطلوبة, وهذا في القول الحق فكيف في القول بغير علم؟!!

فالعالم في البيان والبلاغ كذلك؛ قد يؤخر البيان والبلاغ لأشياء إلى وقت التمكن، كما أخر الله سبحانه إنزال آيات وبيان أحكام إلى وقت تمكن رسول الله تسليما إلى بيانها.

يبين حقيقة الحال في هذا أن الله يقول: ﴿...﴾[1] والحجة على العباد إنما تقوم بشيئين:

1- بشرط التمكن من العلم بما أنزل الله.

2- والقدرة على العمل به.

فأما العاجز عن العلم كالمجنون أو العاجز عن العمل فلا أمر عليه ولا نهي، وإذا انقطع العلم ببعض الدين، أو حصل العجز عن بعضه: كان ذلك في حق العاجز عن العلم أو العمل بقوله كمن انقطع عن العلم بجميع الدين أو عجز عن جميعه كالمجنون مثلاً، وهذه أوقات الفترات، فإذا حصل من يقوم بالدين من العلماء أو الأمراء أو مجموعهما كان بيانه لما جاء به الرسول شيئًا فشيئًا بمنزلة بيان الرسول لما بعث به شيئًا فشيئًا، ومعلوم أن الرسول لا يُبَلِّغُ إلا ما أمكن علمه والعمل به[2] ، ولم تأت الشريعة جملة، كما يقال: إذا أردتَ أن تُطاع فأمر بما يستطاع.

فكذلك المجدد لدينه والمحيي لسنته، لا يُبَلِّغُ إلا ما أمكن علمه والعمل به، كما أن الداخل في الإسلام لا يمكن حين دخوله أن يُلَقَّن جميع شرائعه، ويؤمر بها كلها.

وكذلك التائب من الذنوب؛ والمتعلم، والمسترشد، لا يمكن في أول الأمر أن يؤمر بجميع الدين ويُذكر له جميع العلم، فإنه لا يطيق ذلك، وإذا لم يطقه لم يكن واجبًا عليه في هذه الحال، وإذا لم يكن واجبا لم يكن للعالم والأمير أن يوجبه جميعه ابتداء، بل يعفو عن الأمر والنهي

---

[1] (?) الإسراء آية : (15).

[2] (?) قلت: فهذه النصوص تضم مسائل كثيرة تهمنا في هذا العصر وتحل مشاكل كثيرة نعاني منها بسبب الأفكار الضالة التي سببت للأمة مشاكل كثيرة وأضرارًا جسيمة في دينها ودنياها بسبب قلة العلم وعدم الفهم.

بما لا يمكن علمه وعمله إلى وقت الإمكان، كما عَفَى الرسول عما عَفَى عنه إلى وقت بيانه، **ولا يكون ذلك من باب إقرار المحرمات وترك الأمر بالواجبات** لأن الوجوب والتحريم مشروط بإمكان العلم والعمل، وقد فرضنا انتفاء هذا الشرط. **فتدبر هذا الأصل فإنه نافع.**

ومن هنا يتبين سقوط كثير من هذه الأشياء وإن كانت واجبة أو محرمة في الأصل لعدم إمكان البلاغ الذي تقوم به حجة الله في الوجوب أو التحريم فإن العجز مُسْقِطٌ للأمر والنهي وإن كان واجبًا في الأصل والله أعلم)) [1] .

وجهاد الكفار بالسيف والمنافقين أيضا من هذا الباب يحتاج إلى قدرة وإمكان؛ وهو تقدير الظروف لا بالتهور والتهلكة، وللضرورة والاحتياج لا دائما في كل حين ووقت، ويكون بإذن ولي أمر المسلمين لا بالفوضى والهوى وقتال المسلمين وأهل الذمة باسم الجهاد، فإن الجهاد بالحجة والبيان والعلم والبرهان مقدم على السيف والقتال كما قرره شيخ الإسلام في نصوص كثيرة وأماكن متفرقة من كتبه.

فقال -رحمه الله- تعالى:

((وإذا كان كذلك فمعلوم أن الجهاد منه ما يكون بالقتال باليد ومنه ما يكون بالحجة والبيان والدعوة.

قال الله تعالى: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ   ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ [2] .

فأَمَره الله سبحانه وتعالى أن يجاهد الكفارَ بالقرآن جهادًا كبيرًا، وهذه السورة مكيةٌ نزلتْ بمكة قبل أنْ يهاجر النبي ﷺ وقبل أن يؤمر بالقتال ولم يؤذن له، وإنما

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج20/57، 58، 59-61. وانظر أيضاً مجموع الفتاوى ج28/128، 129، 130، 131، 132. وج1/264، 265 وج8/93، وج10/365، 366 ، 619وج 13/96، وج23/342، 343.

2 (?) الفرقان.

كان هذا الجهاد بالعلم والقلب والبيان والدعوة لا بالقتال، وأما القتال فيحتاج إلى التدبير والرأي، ويحتاج إلى شجاعة القلبِ وإلى القتال باليد، وهو إلى الرأي والشجاعة في القلب **في الرأس المطاع** أحوج منه إلى قوة البدن)) [1] .

والرأس المطاع هو الإمام ولي أمر المسلمين وليس كل من هب ودبّ، فولي أمر المسلمين هو الذي يأمر ويأذن وإذا ترك الأمر لأي زيد من الناس صار فوضى في الأمـة. وبهذا يعرف الفرق بين الجهاد الشرعي والجهاد البدعي الانتحاري التفجيري [2] وبين الشهيد في سبيل الله وغيره.

---

[1] (?) منهاج السنة ج8/86-87.

[2] (?) قال عبد الله بن الإمام أحمد –رحمهما الله : ((سمعتُ أبي يقول: إذا أذن الإمام، القوم يأتيهم النفير فلا بأس أن يخرجوا.
قلتُ لأبي: فإن خرجوا بغير إذن الإمام؟
قال: لا، إلا أن يأذن الإمام، إلا أن يفاجئهم أمرٌ من العدو، ولا يمكنهم أن يستأذنوا الإمام؛ فأرجو أن يكون ذلك دفعاً من المسلمين))/ مسائل عبد الله لأبيه ج2/ 258. وقال ابن قدامة- رحمه الله- : ((لأن أمر الحرب موكول إليه، وهو أعلم بكثرة العدو وقلتهم، ومكَامن العدو وكيدهم، فينبغي أن يُرجع إلى رأيه؛ لأنه أحوط للمسلمين؛ إلا أن يتعذر استئذانه لِمُفاجأة عدوهم لهم؛ فلا يجب استئذانه: لأن المصلحة تتعين في قتالهم، والخروج إليهم لتعين الفساد في تركهم؛ لذلك لما أغار الكفار على لقاح النبي ، فصادفهم سلمة بن الأكوع خارجاً من المدينة تبعهم، فقاتلهم من غير إذن، فمدحه النبي ، قال : ((خير رجالتنا سلمة بن الأكوع)) وأعطاه سهم فارس وراجل))/ المغني لابن قدامة ج8/367.
وقال أيضا: ((لا يجوز عقد الهدنة ولا الذمة إلا من الإمام أو نائبه؛ ولأنه يتعلق بنظر الإمام وما يراه من المصلحة على ما قدمناه؛ ولأن تجويزه من غير الإمام يتضمن تعطيل الجهاد بالكلية، أو إلى تلك الناحية، وفيه افتيات على الإمام))/ المرجع السابق ج8/468.

ولهذا قال شيخ الإسلام في موضع آخر: ((لا ريب أن الجهاد والقيام على من خالف الرسل والقصد بسيف الشرع إليهم، وإقامة ما يجب بسبب أقوالهم نصرة للأنبياء والمرسلين، والقرآن والسنة مملوءان بالأمر بالجهاد وذكر فضيلته؛ **لكن يجب أن يعرف الجهاد الشرعي الذي أمر به الله ورسوله من الجهاد البدعي: جهاد أهل الضلال الذين يجاهدون في طاعة الشيطان وهم يظنون أنهم مجاهدون في طاعة الرحمن، كجهاد أهل الأهواء والبدع كالخوارج ونحوهم الذين يجاهدون في أهل الإسلام**، وفيمن هو أولى بالله ورسوله منهم من السابقين الأولين والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين... وكذلك من خرج من أهل الأهواء على أهل السنة، واستعان بالكفار من أهل الكتب والمشركين و التتر وغيرهم عند أنفسهم مجاهدون في سبيل الله، بل كذلك النصارى هم عند أنفسهم مجاهدون.

وإنما المجاهد في سبيل الله من جاهد لتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله، كما في الصحيحين عن أبي موسى قال : ((جاء رجل إلى النبي الله فقال : الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل رياءً فأي ذلك في سبيل الله؟ قال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله))[1] .

وقد قال الله تعالى: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ[2].

والجهاد باللسان هو مما جاهد به الرسول، وإذا كان كذلك فالجهاد أصله ليكون الدين كله لله، بحيث تكون عبادته وحده هو الدين الظاهر، وتكون عبادة ما سواه مقهورًا مكتوماً أو باطلاً معدوماً، كما قال في المنافقين وأهل الذّمة؛ **إذ لا يمكن الجهاد حتى تصلح جميع القلوب**[3]، فإن هدى القلوب إنما بيد الله، وإنما يتمكن

---

1 (?) صحيح البخاري مع الفتح ج1/234ح(100) كتاب العلم باب كيف يقبض العلم.

2 (?) الأنفال آية: (39).

حين يكون الدين ظاهراً: كما قال تعالى: ﭽ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ[1] .

ومعلوم أن أعظم الأضداد لدين الله هو الشرك، فجهاد المشركين من أعظم الجهاد، كما جاهد السابقين الأولين..))[2] .

((**إنَّه من المعلوم أن القتال إنما شرع للضرورة**، ولو أن الناس آمنوا بالبرهان والآيات لما احتيج إلى القتال، **فبيان آيات الإسلام وبراهينه واجب مطلقًا وجوبًا أصليًّا**.

وأما الجهاد: فمشروع للضرورة، فكيف يكون هذا مانعًا من ذلك؟.

فإن قيل: الإسلام قد ظهرت أعلامه وآياته فلم يبق حاجة إلى إظهار آياته وإنما يحتاج إلى السيف[3] .

قيل: معلوم أن الله وعد بإظهاره على الدين كله ظهور علم وبيان وظهور سيف وسنان فقال تعالى: ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ[4]

وقد فسّر العلماء ظهوره بهذا وهذا. ولفظ الظهور يتناولهما فإن ظهور الهدى بالعلم والبيان وظهور الدين باليد والعمل، والله –تعالى- أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.

ومعلوم أن ظهور الإسلام بالعلم والبيان قبل ظهوره باليد والقتال؛ فإن النبي ﷺ مكث بمكة ثلاث عشرة سنة، يظهر الإسلام بالعلم والبيان والآيات والبراهين، فآمنت به المهاجرون والأنصار طوعًا واختيارًا بغير سيفٍ؛ لما بَانَ لهم من الآيات البينات، والبراهين

---

3 (?) بالتوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له فتكون القلوب خالية من الشرك والبدع والأهواء.

1 (?) التوبة.

2 (?) الرد على الأخنائي ص326-329.

3 (?) هذا كما يقول به أهل الأهواء في الكفار وفي العصاة من هذه الأمة.

4 (?) الصف.

والمعجزات، ثم أظهره بالسيف **فإذَا وجب علينا جهاد الكفار بالسيف ابتداء ودفعًا، فلأن يجب علينا بيان الإسلام وإعلامه ابتداء ودفعًا لمن يطعن فيه بطريق الأولى والأحرى**.

فإن وجوب هذا قبل وجوب ذاك ومنفعته قبل منفعته، ومعلوم أنه يحتاج كل وقتٍ إلى السيف، فكذلك هو محتاج إلى العلم والبيان وإظهاره بالعلم والبيان من جنس إظهاره بالسيف وهو ظهور مجمل علا به على كل دين، مع أن كثيرًا من الكفار لم يقهره سيفُه فكذلك كثير من الناس لم يظهر لهم آياته وبراهينه، بل قد يقدحون فيه ويقيمون الحجج على بطلانه، لا سيما -والمقهور بالسيف- فيهم منافقون كثيرون، فهؤلاء جهادهم بالعلم والبيان دون السيف والسنان.

يؤكد هذا أن القتال لا يكون إلا لظالم، فإن من قاتل المسلمين لم يكن إلا ظالمًا معتديًا، ومن قامت عليه الحجة فشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى واتبع غير سبيل المؤمنين لم يكن إلا ظالما.

وأما المجادلة فقد تكون لظالم: إما طاعن في الدين بالظلم، وإما من قامت عليه الحجة الظاهرة. فامتنع من قبولها، وقد تكون لمسترشد طالب حق لم يبلغه.

وأما من بلغه بعض أعلام نبوة محمد ﷺ ودلائل نبوته ولكن عورض ذلك عنده بشبهات تنافي ذلك فاحتاج إلى جواب تلك المعارضات.

وأما طالب لمعرفة دلائل النبوة على الوجه الذي يعلم به ذلك. فإذا كان القتال الذي لا يكون إلا لدفع ظلم المقاتل مشروعا، فالمجادلة التي تكون لدفع ظلمه ولانتفاعه وانتفاع غيره مشروعة بطريق الأولى.

والأمر الآخر: **أن كثيرا من أهل الكتاب يزعم أن محمدًا ﷺ وأمته إنما أقاموا دينهم بالسيف** لا بالهدى والعلم والآيات، فإذا طلبوا العلم والمناظرة فقيل لهم: **ليس لكم جواب إلا السيف**،

كان هذا مما يقرر ظنهم الكاذب، وكان هذا من أعظم ما يحتجون به عند أنفسهم على فساد الإسلام، وأنه ليس دين رسول من عند الله، وإنما هو دين ملك أقامه بالسيف[1].

أيضاً أنه من المعلوم أن السيف- لا سيما سيف المسلمين وأهل الكتاب- **هو تابع للعلم والحجة،** بل وسيف المشركين هو تابع لآرائهم واعتقادهم، والسيف من جنس العمل، والعمل –أبدًا- تابعٌ للعلم والرأي.

وحينئذ فبيان دين الإسلام بالعلم وبيان أن ما خالفه ضلالٌ وجهلٌ هو تثبيتٌ لأصل دين الإسلام، واجتناب لأصل غيره من الأديان التي يقاتل عليها أهلها، ومتى ظهر صحته وفساد غيره كان الناس أحد رجلين:

إما رجل تبين له الحق فاتبعه، فهذا هو المقصود الأعظم من إرسال الرسل.

وإما رجل لم يتبعه، فهذا قامت عليه الحجة: إما لكونه لم ينظر في أعلام الإسلام، أو نظر وعلم فاتبع هواه، أو قصر.

وإذا قامت عليه الحجة كان أرضى لله ولرسوله وأنصر لسيف الإسلام وأذل لسيف الكفار، وإذا قدر أن فيهم من يعجز عن فهم الحجة، فهذا إذا لم يكن معذورًا مع عدم قيامها فهو مع قيامها أولى أن لا يعذر وإن كان معذورًا مع قيامها فهو مع عدمها أعذر، فعلى التقديرين قيام الحجة أنصر وأعذر، وقد قال تعالى: ﭽ ﯾ ﯿ

[1] (?) وهذا القول قد وجد في عصرنا الحاضر ممن قال بهذا القول لما يرونه من تفجيرات واغتيالات وتهديدات من قبل الخوارج والتكفيريين الذين يقو مون بهذه الأعمال الإجرامية وينسبونها إلى الإسلام مع براءة الإسلام منها براءة الذئب من دم يوسف.

ڇ[1] وقال تعالىڇ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڇ[2] ([3])

قال تعالى ڇ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ڇ[4] وقال تعالى ڇ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺڇ[5]

والشجاعة ليست هي قوة البدن وقد يكون الرجل قوى البدن ضعيف القلب، وإنما هي قوة القلب وثباته[6] فإن القتال مداره على قوة البدن وصنعته للقتال، وعلى قوة القلب وخبرته به، والمحمود منهما[7]ما كان بعلم ومعرفة دون التهور الذي لا يفكر صاحبه، ولا يميز بين المحمود والمذموم))[8] .

وقد استشهد شيخ الإسلام لهذا بأحاديث وآثار ما يؤكد خطورة هذا الأمر وعظم مسؤولية وما يترتب عليه:

منها ما رواه عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله يقول: ((إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاهموه ولكن ينزعه منهم مع قبض العلماء فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون فيضلوا ويضلون)) [9] والحديث مشهور

---

1 (?) الإسراء آية: (15).

2 (?) النساء آية: (165).

3 (?) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج1/ 238،239، 240، 244، 245، 246 وانظر أيضا مجموع الفتاوى ج10/ 372 و ج28 /38

4 (?) البقرة.

5 (?) الأنفال.

6 (?) ثباته على الحق.

7 (?) وهو المشروع الموافق لأمر الله ورسوله.

8 (?) مجموع الفتاوى ج28/158.

9 (?)صحيح البخاري ج6/ 2665 ح(6877)كتاب العلم باب كيف يقبض العلم. وصحيح مسلم ص679 ح(2673) كتاب العلم باب رفع العلم وقبضه، وظهور الجهل والفتن، في آخر الزمان.

في الصحيحين وغيرهما لكن اللفظ المشهور: ((فأفتوا بغير علم)) .

فقال شيخ الإسلام في تعليقه: ((..فإن فتوى من مفت في الحلال والحرام برأي يخالف السنة أضر عليهم من أهل الأهواء ، وقد ذكر هذا المعنى الإمام أحمد وغيره فإن مذاهب أهل الأهواء قد اشتهرت الأحاديث التي تردها واستفاضت، وأهل الأهواء مقموعون في الأمر الغالب عند الخاصة والعامة بخلاف الفتيا فإن أدلتها من السنة قد لا يعرفها إلا الأفراد، ولا يميز ضعيفها في الغالب إلا الخاصة، وقد ينتصب للفتيا والقضاء من يخالفها كثير.

وقد جاء مثل معناه محفوظا من حديث عبد الله بن مسعود أنه قال ((ليس عامٌ إلا الذي بعده شر منه، لا أقول عام أمطر من عام، ولا عام أخصب من عام، ولا أمير خير من أمير؛ ولكن ذهاب خياركم وعلمائكم، ثم يحدث قوم يقيسون الأمور برأيهم فيتهدم الإسلام و ينثلم))[1] وهذا الذي في حديث ابن مسعود وهو بعينه الذي في حديث النبي حيث قال: ((ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون)).

المقصود فيبقى مع من يستفتيه صورة الإسلام وأسماعه آياته دون معانيه وحقائقه. وهذا هو الضال، لأنّ الضال الذي يحسب أنه على حق وهو على باطل، كالنصارى، وهو هدم الإسلام))[2] .

فصحة الفهم وحسن القصد، من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده، بل ما أُعطي عبدٌ عطاء بعد الإسلام أفضل ولا أجل منهما، بل هما ساقا الإسلام وقيامه عليهما، وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين

---

1 (?) رواه الطبراني في الكبير ج9/105 وج12/230ح(1551). والسنن الواردة في الفتن لعثمان سعيد المقرئ ج 3/517 والبدع لابن وضاح ص81

2 (?) الفتاوى الكبرى ج6/ 143، 145.وانظر مجموع الفتاوى ج18/114.

فسد قصدهم، وطريق الضالين الذين فسدت فهومهم، ويصير من المنعم عليهم الذين حسنت أفهامهم وقصودهم وهم أهل الصراط المستقيم الذين أمرنا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم في كل صلاة[1].

وأيضاً فصحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد يميز به بين الصحيح والفاسد والحق والباطل والهدى والضلال والغي والرشاد، ويمده حسن القصد وتحري الحق وتقوى الرب في السر والعلانية، ويقطع مادته اتباع الهوى وإيثار الدنيا وطلب محمدة الخلق وترك التقوى.

ولا يتمكَّن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم:

أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات حتى يحيط به علما.

والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع؛ وهو فَهْمُ حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان رسوله في هذا الواقع ثم يطبق أحدهما على الآخر[2] .

فالعالم الحق الرباني المتفقه في الدين لا يتسرع في إصدار الأحكام حتى يدرسها من جميع جوانبها المصلحي والمفسدي، ولهذا كان كبار الصحابة يأخذون حذرهم منها

قال البراء[3] لقد رأيت ثلاثمائة من أصحاب بدر ما فيهم من أحد إلا وهو يحب أن يكفيه صاحبه الفتيا، وقال ابن أبي ليلى: أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله يسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول)). وفي

---

1 (?) إعلام الموقعين ج1/78

2 (?) إعلام الموقعين ج1/87 -88.

3 (?) **البراء بن عازب** بن الحارث بن عدي الأنصاري الأوسي صحابي بن صحابي نزل الكوفة استصغر يوم بدر وكان هو وابن عمر لدة مات سنة اثنتين وسبعين / انظر التاريخ الكبير ج2/117 و تقريب التهذيب ص60 ت(648).

رواية: ((ما من أحد يحدث بحديث أو يسأل عنه)) وفي رواية : ((عن شيء إلا وَدَّ أن أخاه كفاه إياه، ولا يستفتي في شيء إلا ودّ أن أخاه كفاه الفتيا))[1]

وقال ابن مسعود : ((من أفتى الناس في كل ما يسألونه عنه فهو مجنون))[2] وعن ابن عباس نحوه. وقال أبو حصين الأسدي : ((إن أحدكم ليفتي في المسألة لو وَرَدتْ على عمر بن الخطاب لجمع لها أهل بدر)) [3] .

وكان مالك رحمه الله يقول: من سئل عن مسألة فينبغي له قبل أن يجيب فيها أن يعرض نفسه على الجنة والنار، وكيف يكون خلاصه في الآخرة، ثم يجيب فيها"[4] .

هؤلاء العلماء وهؤلاء ممن لهم قدم صدق في الأمة جهابذة الأمة وحُفَّاظها علمهم خير العلوم وقرنهم خير القرون، إذا كان هذا موقفهم من الفتوى مع نضجهم علما وعقلا فمن بعدهم كان من باب أولى ألا يحرص عليها ويتسرّع في إصدار الأحكام.

" وأن مجرد حفظ النصوص وسردها دون الفقه في مدلولاتها وأحوالها من الفساد والجناية على الشريعة بمكان، وهل ما فعله الخوارج وهل تلوث التاريخ باسم الإسلام إلا من جراء التمسك بظواهر نصوص والتحمس لها دون فهم وبصيرة، وهل ما حصل من الخروج على الأئمة وشق عصا الطاعة وهيجان السيوف إلا من جراء

---

1 (?) الطبراني في الكبير ج9/166. وكتاب الآثار ليعقوب إبراهيم الأنصاري ص200.- دار الكتب العلمية- بيروت- 1355هـ تحقيق :أبو الوفا.وصفة الفتوى والمفتي والمستفتي لأحمد بن حمدان الحراني ص8.

2 (?) نفس السابق.

3 (?) المصدر السابق.

4 (?) أدب المفتي والمستفتي لابن الصلاح ج1/ 13، والموافقات في أصول الفقه لإبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي ج4/286 وصفة الفتوى والمفتي والمستفتي لأحمد بن حمدان النميري الحراني ص 8 وبدائع الصنائع ج3/793.

ذلك فالحذر الحذر من شباب الإسلام، فحفظ النصوص وسردها شيء، وفهم مدلولاتها شيء آخر، وهذا محط الركب وبيت القصد والشاهد من القول، فرب حامل فقه ليس بفقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه"[1] .

ولهذا يجد المتأمل في واقع الأمة أن أكثر المشاكل والفتن التي وقعت بينها سببها الجهل بالدين والكلام في الله وعلى الله بغير علم إما بالرأي الباطل وإما بالقياس الفاسد أو الغلو والتحمس والتنطع الزائد في الدين من قبل أناس جهال بنصوص الشرع يحفظونها ولا يفقهون معناها وبمد لولاتها، ثم ينزلونها في غير موضعها؛ كرؤساء جهال أو حدثاء أسنان سفهاء أحلام يستفتون فيفتون فضلوا وأضلوا فصارت فتنة فرقة.

أما كبار أهل العلم أولي النهى وذوي الخبرة والتجربة المتمسكين بهدي الصحابة والتابعين لهم بإحسان لا تجدهم يتسرعون في الإفتاء، بل يستحضرون آيات وأحاديث التي جاءت في الوعيد الشديد في التكلم في الدين بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير يتدبرون وينظرون إلى ما يتولد عن ذلك من درء المفاسد وجلب المفاسد وفق أدلة شرعية صحيحة وفي قضايا الأمة المصيرية بخاصة. كالجهاد والبيعة والإمامة والولاء والبراء والتكفير والتفسيق والتبديع والهجر وغيرها من المسائل الكبار.

نسأل الله أن يلهم هذه الأمة رشدها وأمنها وقوتها واستقرارها والالتفاف حول علمائها المتبعين للكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة من الصحابة التابعين لهم بإحسان.

[1] (?) معالم في أوقات الفتن والنوازل فضيلة الشيخ عبد العزيز بن محمد عبد الله السدحان ص147، 148.

المبحث السابع: تعليق الحمد والذم والموالاة والمعاداة بغير الأسماء التي علق الله بها ذلك وأثره في تفريق الأمة

يريد شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- أن يقرر في هذا الموضع أنه يجب تعليق الحمد والذم والموالاة والمعاداة والمحبة والبغض على الأسماء التي علقها بها الشارع وأن تعليق الحمد والموالاة والمعاداة بغير الأسماء التي علق بها الله ورسوله نوع من ترك الاعتصام بالكتاب والسنة وسبب من أسباب تفرق ا لأمة وهذا قد ظهر جلياً في أهل البدع المنشقين عن جماعة المسلمين ؛ إذ تنافرت قلوب بعضهم بعضا ولم يتولى بعضهم بعضا بل تباغضوا وتحزبوا إلى طرق وطوائف متفرقة وكل تدعي لنفسها الحمد والفضل ولمخالفها الذم والانحراف .

فبين رحمه الله_ أن الميزان الحق والحكم العدل في طاعة الله ورسوله ظاهرا وباطنا إخلاصا واتباعا:

فقال :((إن الذم والحمد والحب والبغض والو عد والوعيد والموالاة والمعاداة ونحو ذلك من أحكام الدين لا يصلح إلا بالأسماء التي أنزل الله بها سلطانه، فأما تعليق ذلك بأسماء مبتدعة فلا يجوز بل ذلك من باب شرع دين لم يأذن الله به، وأنه لابد من معرفة حدود ما أنزل الله على رسوله.

وهو سبحانه علق الوعد والوعيد والثواب والعقاب والحمد والذم بالإيمان به وتوحيده وطاعته، فمن كان أكمل في ذلك كان أحق بتولي الله له بخير الدنيا والآخرة))[1] .

وقد ذكر الأدلة من الكتاب والسنة ما يبين هذا الأمر في مواضع كثيرة وبأساليب مختلفة وأن تعليق الحمد والموالاة بغير أسماء يؤدي

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج4/154، وج27/441.

إلى التفرق والانشقاق وقد نهى الشارع عن ذلك.

فقال -رحمه الله- : ((قال الله تعالى: ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ[1] .

وقال النبي ﷺ في الحديث الصحيح : ((إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية، وفخرا بالآباء مؤمن تقي وفاجر شقي أنتم بنو آدم وآدم من تراب))[2] . وفي حديث آخر رويناه بإسناد صحيح عن أبي نضرة[3] حدثنا من شهد خطبة النبي ﷺ بمنى في وسط أيام التشريق، وهو على بعير، فقال: ((يأيها الناس إن ربكم عز وجل واحد، ألا وإن أباكم واحد، لا فضل لعربي على عجمي، ألا لا فضل لأسود على أحمر إلا بالتقوى، ألا قد بلغت؟))، قالوا: نعم. قال: ((ليبلغ الشاهد الغائب))[4] . وفي الصحيحين عن عمرو بن العاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((إن آل فلان ليسوا لي بأولياء، إنما وليّي الله وصالحو المؤمنين))[5] . فأخبر ﷺ عن بطن قريب النسب: أنهم ليسوا بمجرد النسب أولياء، إنما وليه الله وصالحو المؤمنين من جميع الأصناف.

---

1 (?) الحجرات.

2 (?) رواه الترمذي في سننه ج1/363 ح(3270) كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الحجرات. وأبو داو في سننه ج 5/338ح(5116) كتاب الأدب باب في التفاخر بالأحساب. وأحمد في المسند ج2/361 وصحيح ابن حبان ج9/137 وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم(5482).

3 (?) **أبو نضرة هو المنذر بن مالك** بن قطعة العبدي العوفي، البصري، أبو نضرة، /تقرب التهذيب ص598 .

4 (?) الطبراني في الكبير ج18/16 والبيهقي في شعب الإيمان ج4/289 وقد صححه شيخ الإسلام.

5 (?) صحيح مسلم ص67 ح(215) كتاب الإيمان باب موالاة المؤمنين.

ومثل ذلك كثير بيّن في الكتاب والسنة، أن العبرة بالأسماء التي حمدها الله وذمها، كالمؤمن والكافر، والبر والفاجر، والعالم والجاهل.

والفضل إنما هو بالأسماء المحمودة في الكتاب والسنة مثل: الإسلام، والإيمان، والبر، والتقوى، والعلم، والعمل الصالح، والإحسان، ونحو ذلك، لا مجرد كون الإنسان عربياً أو عجمياً، أو أسود، أو أبيض، ولا بكونه قروياً، أو بدويا)) [1] .

يبين شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه النصوص أن العبرة في المدح والحمد والذم بالأسماء التي حمدها الله ورسوله وهو الميزان الحقيق لا عبرة بما ابتدعه الناس بل إنه لا يجوز تعليق الحمد والذم من الأسماء بغير ما علق بها الشارع الحكيم ولما ذلك من تفريق هذه الأمة.

بل يرى أن ذلك إساءة إلى نصوص الشرع التي جاءت لهذا الشأن وتعدٍ صريح لحدودها وتفريق بين الأمة وتشتيت لكلمتها وتخلي بعضهم عن بعض وتحز يبهم إلى فرق وطوائف بتسميات مبتدعة ما أنزل الله بها من سلطان.

وقرر شيخ الإسلام أنه يجب تعليق الحمد والذم بمحبة الله ورسوله، والوقوف عند حد الشرع، والحذر من الخروج عليه بأي وجه من الوجوه، وأن الخروج عنه خلاف الشرع وذلك سبب للفرقة والاختلاف ويتبين هذا أكثر في نصوصه الآتية.

قال -رحمه الله-: ((وإذا كانت الشهادتان هي أصل الدين. وفرعه، وسائر دعائمه، وشعبه داخلة فيهما. فالعبادة متعلقة بطاعة الله ورسوله، كما قال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏﮐ ﭼ [2] وقال في الآية المشروعة في خطبة الحاجة: ﭽ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ [3] .

---

1 (?) اقتضاء الصراط ج1/411، 412، 413، 415.

2 (?) النساء آية (69).

3 (?) الأحزاب.

وفي الخطبة: ((من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعْصِهما فإنه لا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئا))[1]

وقال: ﭽ □ □ □ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ □ □ □ ﮊ □ ﭼ[2] **وقال:** ﭽ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ □ ﯟ ﯠ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ[3] .

وكذلك علق الأمور بمحبة الله ورسوله كقوله: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎﭼ[4]

وبرضا الله ورسوله، كقوله: ﭽ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼ[5]

وتحكيم الله ورسوله كقوله **:** ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ □ ﭼ[6]

وقوله: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﭼ[7] ونظائر هذا متعددة.

فتعليق الأمور من المحبة والبغض، والموالاة، والمعاداة، والنصرة، والخذلان، والموافقة والمخالفة، والرضا والغضب، والعطاء والمنع ؛ بما يخالف هذه الأصول المنزلة من عند الله))[8].

ويظهر من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية أنه لا يجوز تعليق الحمد والذم والمحبة والموالاة والمعاداة بغير ما نص عليه الكتاب والسنة وليس لأحد أن يبدع غيره ويفرق بين الأمة فإن هذه الأمور توقيفية مصدرها الشرع.

((**وليس لأحد أن يعلق الحمد والذم والحب، والبغض، والموالاة، والمعاداة والصلاة، واللعن بغير الأسماء التي علق الله بها ذلك مثل أسماء القبائل**

---

1 (?) صحيح مسلم ص205 ح(870) كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة.

2 (?) النور.

3 (?) النساء.

4 (?) التوبة آية: (24).

5 (?) التوبة آية : (26).

6 (?) النور آية: (48).

7 (?) النساء آية: (61).

8 (?) مجموع الفتاوى ج3/341-342.

والمدائن، والمذاهب والطرائق المضافة إلى الأئمة والمشايخ ونحو ذلك مما يراد بها التعريف منا قال تعالى : ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁﮂ[1] [2] **.**

فمن بنى على ذلك الحمد والذّم ومن علق الحمد والذمّ بأسماء ليست مما أنزل الله بها سلطان بين فيه ما يحمده وما يذمه، فقد ابتدع من الدين ما لم يأذن به الله تعالى.

هذا وقد جرت عادة هؤلاء المتكلمين أنهم يسمون بدعواهم منازعهم بالأسماء المذمومة، ويسمون أنفسهم بالأسماء المحمودة؛ فإن كانوا مشتركين في جهة الحمد والذم ويقول أحدهم : قال((أهل الحق)) وقال ((أهل التوحيد)) ونحو ذلك، حتى قد يدعون الإيمان أو ولاية الله تعالى لأنفسهم خاصة، كما يفعل ذلك الرافضة والمعتزلة، وطوائف من غلاة الصوفية، وهؤلاء فيهم شبه من أهل الكتاب الذين قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى. وقالوا : إن الدار الآخرة خالصة لهم عند الله يوم القيامة. والذين ادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه، ويسمي أحدهم من أثبت صفة الله مشبها ومجسماً[3] ، مع كونه قد أثبت نظيرها أو أبلغ منها، ويسمي النافي معطلاً ويكون قد نفى ما نفاه ذلك[4]

فينبغي التقيد بما جاء به الشارع الحكيم الذي سمانا بالمسلمين وألا يفرق الأمة بالأسماء المبتدعة التي لم ينزل الله بها من سلطان.

---

1 (?) الحجرات آية: (13).

2 (?) مجموع الفتاوى ج28/227.

3 (?) ومن هذا الباب تسمية الصوفية وغيرهم من اعقد اعتقاد السلف بالوهابية وتسمية الرافضة أهل السنة بالنوا صب أو العوام أو الجمهور، أو علماء الكتاب والسنة بعلماء الحيض والنفاس، أو بأهل الجمود والتقليد، والتسمية الجديدة للملتزمين وآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بالمطوع استهزاء وهذه كلها تدخل في هذا الباب.

4 (?) بيان تلبيس الجهمية ج1/70.

وأيضا بين شيخ الإسلام أنه حتى وإن كانت التسمية في الأصل صحيحة ومشروعة ولها أصل في الكتاب والسنة إذا قصد بها التعصب و التفاخر أو التعالي على الغير فإنها تصير تسمية جاهلية تؤدي إلى تفريق الأمة

وقد استشهد شيخ الإسلام لهذا بما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي الزبير[1] عن جابر قال: " اقتتل غلامان غلام من المهاجرين، وغلام من الأنصار، فنادى المهاجر يا للمهاجرين، و نادى الأنصاري: يا للأنصار، فخرج رسول الله فقال: ((ما هذا؟ أدعوى الجاهلية!))، قالوا: يارسول الله، إلا أن غلامين اقتتلا، فكسع[2] أحدهما الآخر، فقال: ((لا بأس، ولينصرن الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً: إن كان ظالماً فلينهه، فإنه له نصرٌ، وإن كان مظلوماً فلينصره))[3] .

قال شيخ الإسلام: ((فهذان الاسمان: المهاجرون والأنصار، اسمان شرعيان، جاء بهما الكتاب والسنة، وسماهما الله بهما، كما سمانا: المسلمين من قبل، وفي هذا.

وانتساب الرجل إلى المهاجرين أو الأنصار، انتساب حسن محمود، عند الله وعند رسوله، ليس من المباح الذي يقصد به التعريف فقط، كالانتساب إلى القبائل والأمصار، ولا من المكروه أو المحرم، كالانتساب إلى ما يفضي إلى بدعة، أو معصية أخرى.

---

1 (?) **محمد بن مسلم بن تَدْرُس** بفتح المثناة وسكون الدال المهملة وضم الراء الأسدي مولاهـم أبو الزبير المكي صدوق إلا أنه يدلس، من الرابعة مات سنة ست وعشرين/ تقريب التهذيب ص440ت(6291).

2 (?) كسع: أي ضرب دبره و عجيزته بيد أو رجل أو سيف أو غيره/شرح النووي للسلم ج15/113.

3 (?) صحيح مسلم ص659 ح(2584). كتاب البر والصلة والآداب.

ثم -مع هذا- لما دعا كل واحد منهما طائفة منتصرًا بها؛ أنكر النبي ذلك وسماها: (دعوى الجاهلية) حتى قيل له: إن الداعي بها إنما هما غلامان لم يصدر ذلك من الجماعة؛ فأمر بمنع الظالم، وإعانة المظلوم، ليبين النبي أن المحذور إنما هو تعصب الرجل لطائفته

مطلقًا، فِعل أهل الجاهلية، فأما نصرها بالحق من غير عدوان: فحسن؛ واجب، أو مستحب.

فإذا كان هذا التداعي في الأسماء وفي هذا الانتساب الذي يحبه الله ورسوله، فكيف بالتعصب مطلقًا والتداعي للنسب والإضافات التي ما هي: إما مباحة أو مكروهة؟

وذلك: أن الانتساب إلى الاسم الشرعي أحسن من الانتساب إلى غيره))[1] .

فيجب على المسلمين جميعا التعاون على البر والتقوى وأن لا يتعاونوا على الإثم والعدوان وأن يعتصموا جميعا بالكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ويتجنبوا التسميات الباطلة وأن تكون الموالاة بينهم في الله ولله كما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية ودلت عليه أدلة الكتاب والسنة.

[1] (?) اقتضاء الصراط ج1/241، 244.

الفصل الثاني: جهوده في بيان أن من أسباب التفرق الابتداع في الدين وآثار ذلك

وفيه تمهيد ومبحثان:

التمهيد : في تعريف البدعة والابتداع وخطورتها وفيه مطلبان:

المطلب الأول : تعريف البدعة والابتداع

المطلب الثاني : بين خطورة البدعة

المبحث الأول : الأدلة في بيان كمال الدين وتمامه والنهي عن الابتداع

المبحث الثاني : أنواع الابتداع التي تسبب الفرقة والاختلاف

وتحته خمسة مطالب:

المطلب الأول : استعمال الألفاظ المجملة والمعاني المشتبهة وأثارها في تفريق الأمة.

المطلب الثاني : إلزام الناس بطريقة أو مقالة معينة أو شعار معين.

المطلب الثالث : التعصب الطائفي أو المذهبي أو الحزبي وأثره في تفريق الأمة

المطلب الرابع : ترجيح بعض الأئمة والمشايخ على بعض تعصباً

المطلب الخامس : القدح في السابقين الأولين والعلماء الربانيين من السلف وآثاره في تفريق الأمة.

التمهيد: في تعريف البدعة وخطورتها وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: في تعريف البدع والابتداع**

أ- تعريف البدعة لغة:

أصل الكلمة: قال ابن الفارس: الباء والدال والعين أصلان: أحدهما ابتداء الشيء وصنعُه لا عن مثال، والآخر الانقطاع والكلال.

فالأول قولهم: أبْدَعْتُ الشيء قولاً أو فعلاً، إذا ابتدأتَه لا عن مثال سابق. والله بديع السماوات والأرض. والعرب تقول: ابتدع فلان الرَّكِيَّ إذا استنبطه. وفلان بَدعٌ في هذا الأمر. قال الله تعالى: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ[1] أي ما كنت أول.

والأصل الآخر قولهم: أُبْدِعت الراحلةُ، إذا كلَّت وعطِبت؛ وأُبدِع بالرجُل، إذا كلَّتْ ركابه أو عطبت وبقي منقطعاً به. ويقال الإبداع لا يكون إلا بظَلْعٍ. ومن بعض ذلك اشتُقت البدعة[2] .

تصاريفها: والبدعة بالكسر الأمر الذي يكون أولا وكذلك البديع، من بدع الشيءَ يبتدعه وابتدعه وأبدع أ ي أنشأه وبدأه. وأبدع وابتدع وتبدَّع: أتى ببدعة قال تعالى : ﭽ ﮒ ﮓ ﭼ[3] [4] .

معانيها: ولهذه الكلمة استعمالات متنوعة في لغة العرب منها**:**

البدعة الحدث وما ابتدع من الدين بعد الإكمال.

البديع والبدْع: الشيء الذي يكون أولا. ويقال: جئت بأمر بديع أي محدث عجيب لم يعرف قبل ذلك.

---

1 (?) الأحقاف آية: (9).

2 (?) معجم مقاييس اللغة لابن الفارس ج1/209-210 مادة(بدع).

3 (?) الحديد آية: (27).

4 (?) اللسان مادة (بدع)

وبدع الشيء كمنعه بدعاً:أنشأه وبدأه كابتدعه ومنه البديع في أسمائه تعالى.

بدع الركِيّة بَدْعاً: استنبطها وأحدثها وأبدع،، وأبدع وأبدأ بمعنى واحداً.

وأبدع الشاعر: أتى بالبديع من القول المخترع على غير مثالٍ سابقٍ.

وأبدع وابتدع: أتى ببدعة قال تعالى: ﭽﮕ ﮖ ﭼ[1] .

وأبدعت الإبل:بركت في الطريق من هزال، وأداء، أو كلال.

والمبتدع الذي يأتي أمراً على شبه لم يكن ابتدعه أباه. وأكثر ما يستعمل المبتدع عُرْفاً في الذم.

والبدعــة كل محدثة.[2]

الخلاصة: إذا لاحظنا هذه المعاني نجد أنها متقاربة وتنصب كلها في معنى واحد وهو: الإنشاء ، والحدث، والانقطاع، والاختراع، والبدء، والخلق، والإبداع والإحداث.

ب- **تعريف البدعة في الاصطلاح**:

أما البدعة في الاصطلاح فقد عرفت بتعريفات كثيرة ومتعددة، وليس هنا موضع سردها إلا أن شيخ الإسلام ابن تيمية قد عرفها في هذا الموضع تعريفاً جامعاً ومانعا يفي الغرض ويؤدي المقصود.

فقال -رحمه الله تعالى: ((وقد قررنا في القواعد في قاعدة السنة والبدعة أن البدعة:هي الدين الذي لم يأمر الله به ورسوله، فمن دان ديناً لم يأمر الله ورسوله به فهو مبتدع بذلك، وهذا معنى قوله تعالى: ﭽﮬ   ﯁ ﯂ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ[3]

ولا ريب أن هذا يشكل على كثير من الناس لعدم علمهم بالنصوص ودلالتها على المقاصد، ولعدم علمهم

---

1 (?) الحديد آية: (27).

2 (?) انظر: اللسان ج1/341، 342 مادة (بدع) ومختار الصحاح مادة (بدع) وتاج العروس مادة (ب د ع) وقاموس المحيط مادة (بدع).

3 (?) الشورى آية : (21).

بما أحدث من الرأي والعمل وكيف يرد ذلك إلى السنة كما قال عمر بن الخطاب: " ردوا الجهالات إلى السنة" [1] (([2] .

وعلى هذا ((**فمن جعل شيئاً ديناً وقربةً بلا شرعٍ من الله فهو مبتدعٌ ضالٌ وهو الذي عناه النبي بقوله : ((كل بدعة ضلالة))** [3] فالبدعة ضد الشرعة، والشرعة ما أمر الله به ورسوله أمر إيجابٍ أو استحبابٍ، وإن لم يفعل على عهده كالاجتماع في التراويح على إمامٍ واحدٍ وجمع القرآن في المصحف، وقتل أهل الردة والخوارج ونحو ذلك.

وما لم يشرعه الله ورسوله. فهو بدعة وضلالة مثل: تخصيص مكان أو زمان باجتماعٍ على عبادةٍ فيه كما خص الشارع أو قات الصلوات وأيام الجمع والأعياد . وكما خص مكة بشرفها والمساجد الثلاثة وسائر المساجد بما شرعه فيها من الصلوات وأنواع العبادات كل بحسبه؛ وبهذا التفسير يظهر الجمع بين أدلة الشرع من النصوص والإجماعات، فإن المراد بالبدعة ضد الشرعة وهو ما لم يشرع في الدين، فمتى ثبت بنصٍ أو إجماعٍ في فعل أنه مما يحبه الله ورسوله خرج بذلك عن أن يكون بدعة)) [4] .

وقال في موضع آخر: ((والبدعة: ما خالفت الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة من الاعتقادات، والعبادات كأقوال الخوارج والرافض والقدرية و الجهمية، وكالذين يتعبدون بالرقص والغناء في المساجد والذين يتعبدون بحلق اللحى، وأكل الحشيشة وأنواع ذلك من البدع التي يتعبد بها طوائف من المخالفين للكتاب والسنة والله أعلم)) [5] .

---

1 (?) السنن الكبرى للبيهقي ج7/442(1326).

2 (?) كتاب الاستقامة ج1/5.

3 (?) تقدم تخريجه.

4 (?) مجموع الفتاوى ج23/133-134.

5 (?) مجموع الفتاوى ج18/346.

فتبين من هذا أن كل اعتقاد أو قول أو فعل خالف الكتاب والسنة ولم يؤمر به أمر إيجاب أو استحبابٍ بالأدلة الشرعية واتخذ قربة أو عبادة أو نحوه فهو بدعة وضلالة وقد أطال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيانه ورد على الذين قسموا البدعة إلى حسنة وسيئة ردا علميا ليس هنا موضع تفصليه.

المطلب الثاني: بيان خطورة البدعة.

بين شيخ الإسلام ابن تيمية في كتبه البدعة وخطورتها في دين الأمة ودنياها وأنه كان يكفي في خطورتها كونها مخالفة لكتاب الله وأمر رسوله ﷺ وما كان عليه سلف الأمة وتحذيرهم منها أن الله تعالى ورسوله حذرا منه في أكثر من موضع، وأنه تعالى لا يقبل عبادةً مبتدعةً.

ويتبين خطورتها وشرها في نصوص شيخ الإسلام الآتية :

1- أنه شرع في دين الله بما لم يأذن به الله ولا رسوله ﷺ

وهذا في غاية الخطورة حيث إن المبتدع زاد في الدين ما لم يأمر الله سبحانه به ولا نبيه ﷺ وأضل أقواماً وصدَّهم عن سبيل الله الحق هذا من أخطر الأمور.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((فمن ندب إلى شيء يتقرب به إلى الله، أو أوجبه بقوله أو فعله، من غير أن يشرعه الله فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله، ومن اتبعه في ذلك فقد اتخذ شريكًا لله وشرع في الدين ما لم يأذن به الله، وقد يغفر له لأجل تأويل إذا كان مجتهدًا: الاجتهاد الذي يعفى معه عن المخطئ؛ **لكن لا يجوز اتباعه في ذلك** كما قال تعالى ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ[1] .

فمن أطاع أحدًا في دين لم يأذن الله به: من تحليل، أو تحريم، أو استحباب، أو إيجاب: فقد لحقه من هذا الذم نصيب، كما يلحق الآمر الناهي. ثم قد يكون كل منهما معفوًا عنه. فيتخلف الذم لفوات شرطه، أو وجود مانعه. و إن كان المقتضي له قائما، ويلحق الذم من تبين له الحق؛ فتركه أو قصر في طلبه فلم يتبين له، أو أعرض عن طلبه، لهوى أو كسلٍ ونحو ذلك.

وأيضًا: فإن الله عاب على المشركين شيئين:

---

[1] (?) التوبة (31).

أحدهما: أنهم أشركوا به ما لم ينزل به سلطانا.

الثاني: تحريمهم ما لم يحرمه الله، كما بينه في حديث عياض ، وقال تعالى : ﭽ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ[1] فجمعوا بين الشرك والتحريم، والشرك يدخل فيه كل عبادة لم يأذن الله بها، فإن المشركين يزعمون أن عبادتهم إما واجبة؛ وإما مستحبة: ثم منهم من عبد غير الله ليتقرب به إلى الله، ومنهم من ابتدع دينا عبد به الله، كما أحدثت النصارى من العبادات.

وأصل الضلال في أهل الأرض إنما نشأ من هذين **إما اتخاذ دين لم يشرعه الله أو تحريم ما لم يحرمه.**

ولهذا كان الأصل الذي بنى عليه أحمد وغيره مذاهبهم: **أن الأعمال " عبادات وعادات"؛ فالأصل في العبادات لا يشرع منها إلا ما شرعه الله؛ والأصل في العادات لا يحظر منها إلا ما حظره الله))**[2] .

ولهذا خرج اليهود والنصارى عن دين الإسلام فإنهم تركوا طاعة الله وتصديق رسوله واعتاضوا عن ذلك بمبدَّلٍ أو منسوخ. وهكذا كل مبتدعٍ ديناً خالف به سنة الرسول[3].

و قد يقع من خلقه العبادة المطلقة والترغيب فيها في أن شرع من الدين ما لم يأذن به الله، كما قد يقع من خلقه العلم المجرد في النهي عن بعض المستحب أوترك الترغيب . ولهذا عاب الله على المشركين أنهم شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله، وأنهم حرموا ما لم يحرمه الله. وهذا كثير في المتصوفة من يصل ببدع الأمر لشرع الدين، وفي المتفقهة من يصل ببدع التحريم إلى الكفر[4] .

---

1 (?) الأنعام (148).

2 (?) مجموع الفتاوى ج4/194، 195، 196.

3 (?) مجموع الفتاوى ج19/181.

4 (?) مجموع الفتاوى ج20/197. وج1/86 وانظر أيضا :الرد على البكري ج1/225 والاستقامة ج1/307 ومنهاج السنة ج 1/32.

والمبتدع من شرع ديناً لم يأذن به الله ، لا من أمر بما أمر الله به ونهى عما نهى الله عنه، ومن أعظم المبتدعين مَنْ جوَّز أن يستغاث بالمخلوق الحي والميت في كل ما يستغاث فيه بالله عز وجل، بل من جوز أن يسأل الميت ويدعى على أي وجهٍ كان، بل من حمل ألفاظ الاستغاثة بالنبي وعلى أن المراد بها التوسل به، وجعل توسل الصحابة هو توسلهم بذاته و الإقسام به على الله تعالى، ولم يعلم أن المراد بها التوسل بشفاعته، ومن أعظم المبتدعين من جعل التوحيد كفرًا، والشرك إيمانًا، وكفَّر من هو أحق بالإيمان من طائفته ، ونفى الكفر عن طائفته الذين هم أحق بالكفر ممن كفروه[1] .

إن الابتداع والإحداث في الدين شرع في دين الله بما لم يأذن به وقد حذر الله تعالى منه في كتابه وعلى لسان رسوله وطعن في إبلاغه ومشاقة له، وأن هذا شره عظيم وخطره جسيم كما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية.

2- من خطورة البدعة أن النبي وصفها بأنها ضلالة وأنها شر الأمور وحذر منها بشدة وأن أهل البدع في خطر عظيم.

فقد حذر النبي من الابتداع والإحداث في دين الله وذم ذلك ووصف بأن البدعة شر الأمور وأن كل بدعة ضلالة كما جاء في الأحاديث الصحيحة عنه واستدل بها شيخ الإسلام على قبح البدعة وخطرها على دين المسلمين.

وبين أن النبي حذر من البدعة ووصها بأنها شر وضلالة

وقال ((روى مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه قال كان رسول الله يقول في خطبته: ((إن أصدق

---

[1] (?) الرد على البكري ج2/594.

الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة))[1] .

وكما جاء أيضا في سنن الترمذي وصححه عن العرباض بن سارية قال : وعظنا رسول الله موعظة بليغةً ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقلنا يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فما تعهد إلينا ؟ فقال: ((أوصيكم بتقوى الله وعليكم بالسمع والطاعة وإن كان حبشياً فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة)) وفي رواية : ((فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة))[2]

أما قوله صلى الله عليه وسلم: ((إن شر الأمور محدثاتها وأن كل بدعةٍ ضلالةٌ وكل ضلالة في النار هذا فيه تحذير من الأمور المحدثات فهذا نص رسول الله لا يحل لأحد أن يدفع دلالته على ذم البدع ومن نازع في دلالته فهو مراغم.

وهو قد أمر المسلمين باتباعه وأن يعتقدوا وجوب ما أوجبه واستحباب ما أحبه وأنها أفضل من ذلك، فمن لم يعتقد هذا فقد عصى أمره[3] .

ولا يحل لأحد أن يقابل هذه الكلمة الجامعة من رسول الله الكلية، وهو قوله: ((كل بدعة ضلالة)) بسلب عمومها، وهو أن يقال: ليست كل بدعة ضلالة. فإن هذا إلى مشاقة الرسول أقرب منه إلى التأويل.

وقد علم أن قول النبي : ((كل بدعة ضلالة)) لم يُرِدْ به كل عمل مبتدأ، فإن دين الإسلام، بل كل دين جاءت

---

1 (?) رواه مسلم في صحيحه ص204 ح(867) كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة.

2 (?) تقدم تخريجه.

3 (?) مجموع الفتاوى ج22/224. واقتضاء الصراط ج2/88

به الرسل فهو مبتدأ، وإنما أراد: ما ابتُدِئ من الأعمال التي لم يشرعها هو . [1] .

فهذه النصوص تدل دلالة واضحةً على أن كل بدعة ضلالة وأن شر الأمور محدثاتها والأقوال والأعمال المحدثات المبتدعة على المسلمين لأنها شر يفسد الأديان ويغير معالمها يقلب الحقائق ويجعل الخير شراًّ والشر خيراً.

3- أنه يؤدي إلى تكفير المسلمين وتفريقهم وبغضهم ومعاداتهم وسفك دمائهم بغير حق وإفساد دينهم ودنياهم.

كما هو الحال عند الخوارج وغيرهم ممن فرق جماعة المسلمين وكفَّرهم ببدعتهم وسفك دماءهم وطعن في أئمتهم

قال شيخ الإسلام في بيان خطر البدع وطريقة أهلها وبلائهم أنهم ((يجمعون بين الجهل و الظلم، فيبتدعون بدعة مخالفة للكتاب و السنة و إجماع الصحابة، و يكفرون من خالفهم في بدعتهم.

كالخوارج المارقين، الذين ابتدعوا ترك العمل بالسنة المخالفة في زعمهم للقرآن، و ابتدعوا التكفير بالذنوب، وكفروا من خالفهم، حتى كفروا عثمان بن عفان و علي بن أبي طالب ومن والاهما من المهاجرين و الأنصار وسائر المؤمنين، نقل الأشعري في كتاب ((المقالات)) [2] أن الخوارج مجمعة على تكفير علي ر .

وكذلك الرافضة، ابتدعوا تفضيل علي على الثلاثة، و تقديمه في الإمامة و النص عليه، و دعوى العصمة له، و كفروا من خالفهم، وهم جمهور الصحابة و جمهور المؤمنين، حتى كفروا أبا بكر و عمر و عثمان ومن تولاهم، هذا هو الذي عليه أئمتهم.

وكذلك الجهمية، ابتدعت نفي الصفات المتضمن في الحقيقة لنفي الخالق ولنفي صفاته وأفعاله وأسمائه،

---

1 (?) اقتضاء الصراط ج2/ 93، 96.

2 (?) انظر مقالات الإسلاميين للأشعري ج1/86.

وأظهرت القول بأنه لا يرى، وأن كلامه مخلوق، خلقه في غيره، لم يتكلم هو بنفسه، وغير ذلك، ثم إنهم امتحنوا الناس؛ (فدعوهم إلى هذا، وجعلوا يكفرون من لم يوافقهم على ذلك.

وكذلك القدرية، ابتدعت التكذيب بالقدر، وأنكرت مشيئة الله النافذة، وقدرته التامة، وخلقه لكل شيء، وكفروا أو منهم من كفر من خالفه.

وكذلك الحلولية والمعطلة للذات والصفات، يكفر كثير منهم من خالفهم.

ونظائر هذا متعددة)) [1] .

وأول من ضل في هذا الباب هم الخوارج المارقون حيث حكموا لنفوسهم بأنهم المستمسكون بكتاب الله وسنته وأن عليا ومعاوية هم أهل المعصية والبدعة، فاستحلوا ما استحلوه من المسلمين [2].

وقد تقدم ذكر خطر بدعتهم على الأمة من استحلال دماء وقتل أبرياء وإفساد أموالٍ وممتلكات وتعطيل مصالح وتكفير وظلم.

4_ أن الابتداء في الدين يؤدي إلى نزع حلاوة حديث رسول الله من قلب صاحب البدعة

من خطر البدعة والمحدثات في الدين أنها تؤدي إلى كره حديث رسول الله وكتمان نصوصه، وتورث الجهل والضلال وعمي القلب عن الحق المخالف لهواه وصرف الهمة عن المشروع.

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية - : ((فلا تجد قط مبتدعاً إلا وهو يحب كتمان النصوص التي تخالفه ويبغضها، ويبغض إظهارها وروايتها والتحدث بها، ويبغض من يفعل ذلك، كما قال بعض السلف: ما ابتدع أحد بدعة إلا نزعت حلاوة الحديث من قلبه)) [3] .

---

1 (?) الرد على البكري ج2/487 ، 488.وانظر أيضا : مجموع الفتاوى ج4/12.

2 (?) الاستقامة ج1/13.

3 (?) مجموع الفتاوى ج20/161-162.

فالعبد إذا أخذ من الأعمال المشروعة بعض حاجته، قلَّتْ رغبته في المشروع وانتفائه به، بقدر ما اعتاض من غيره، بخلاف من صرف نهمته وهمته إلى المشروع، فإنه تعظم محبته له ومنفعته به، ويتم دينه به، ويكمل إسلامه.

ولهذا تجد من أكثر من سماع القصائد لطلب صلاح قلبه؛ تنقص رغبته في سماع القرآن، حتى ربما يكرهه، ومن أكثر السفر إلى زيارة المشاهد ونحوها؛ لا يبقى لحج البيت المحرم في قلبه من المحبة والتعظيم ما يكون في قلب من وسعته السنة، ومن أدمن على أخذ الحكمة والآداب من كلام حكماء فارس والروم، لا يبقى لحكمة الإسلام وآدابه في قلبه ذاك الموقع، ومن أدمن على قصص الملوك وسيرهم لا يبقى لقصص الأنبياء وسيرهم في قلبه ذاك الاهتمام؛ ونظائره كثيرة

ولهذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ: ((ما ابتدع قوم بدعة إلا نزع الله عنهم من السنة مثلها)) رواه الإمام أحمد[1] .

وهذا أمر يجده من نفسه من نظر في حاله من العلماء، والعباد، والأمراء، والعامة وغيرهم؛ ولهذا عظمت الشريعة النكير على من أحدث البدع، وكرهتها؛ وحذر منها، لأن البدع لو خرج الرجل منها كفافًا لا عليه ولاَ لهُ لكان الأمر خفيفاً، بل لا بد أن يوجب له فساداً، منه:نقص منفعة الشريعة في حقه، إذ القلب لا يتسع للعوض والمعوض منه.

ولهذا قال ﷺ في العيدين الجاهليين: ((إن الله قد أبدلكم بهما يومين خيراً منها))[2] فيبقى اغتذاء قلبه من

---

1 (?) مسند الإمام أحمد ج4/105 بلفظ: ((ما أحدث قوم بدعة)) وسنن الدارمي ج1/58ح(98) ومصنف عبد الرزاق ج 151 وصحح الألباني لفظ: ((ما ابتدع..) في المشكاة رقم(49) 188.

2 (?) رواه أبو داود في سننه ج1/675 ح(1134) كتاب الصلاة باب صلاة العيدين. وأحمد في مسنده ج3/178 والحاكم في المستدرك ج1/434 وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة

هذه الأعمال المبتدعة مانعاً عن الاغتذاء،- أو مِن كمال الاغتذاء – بتلك الأعمال الصالحة النافعة الشرعية، فيفسد عليه حاله من حيث لا يشعر، كما يفسد جسد المتغذي بالأغذية الخبيثة من حيث لا يشعر، **وبهذا يتبين لك بعض ضرر البدع**[1].

5_ ومن خطر البدع والمحدثات أنها أحب إلى إبليس من المعاصي وأن أهلها شر من أهل المعاصي ويدل على هذا أمور منها :

أولا: أمر النبي بقتال أهل البدع والأهواء ونهيه عن قتال أئمة الجور

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((إن أهل البدع شر من أهل المعاصي الشهوانية بالسنة والإجماع ، فإن النبي أمر بقتال الخوارج ونهى عن قتال أئمة الظلم[2] . وقال في الذي يشرب الخمر: لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله)) [3] وقال في ذي الخويصرة : ((يخرج من ضئضئ هذا أقوام يقرؤون القرآن لا يجاور حناجر هم يمرقون من الدين)) وفي رواية: ((من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامه وقراءته مع قراءتهم أينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم يوم القيامة))[4] .

ثانيا: أن أهل الأهواء والبدع خطرهم ترك واجب وأهل المعاصي ذنوبهم فعل بعض ما نهوا عنه.

قال شيخ الإسلام : ((وقد قررت هذه القاعدة بالدلائل الكثيرة مما تقدم من القواعد ثم إن أهل

رقم(2021).

1 (?) اقتضاء الصراط ج1/543-544.

2 (?) وقد تقدم ذكر في ذلك أدلة كثيرة.في باب التحذير من الفرقة.

3 (?) رواه البيهقي في الكبرى ج9/103، ومصنف عبد الرزاق ج9/246.

4 (?) تقدم تخريجه.

المعاصي ذنوبهم فعل بعض ما نهوا عنه من سرقة أو زنا أو شرب خمر أو أكل مال بالباطل.

وأهل البدع ذنوبهم ترك ما أمروا به من اتباع السنة وجماعة المؤمنين فإن الخوارج أصل بدعتهم أنهم لا يرون طاعة الرسول و اتباعه فيما خالف ظاهر القرآن عندهم وهذا ترك واجب.

والرافضة لا يرون عدالة الصحابة ومحبتهم والاستغفار لهم وهذا ترك واجب. وكذلك القدرية لا يؤمنون بعلم الله تعالى القديم ومشيئته الشاملة وقدرته الكاملة، وهذا ترك واجب. وكذلك الجبرية لا تثبت قدرة العبد ومشيئته وقد يدفعون الأمر بالقدر وهذا ترك واجب.

وكذلك مقتصدة المرجئة، مع أن بدعتهم من بدع الفقهاء ليس فيها كفر بلا خلاف عند أحد من الأئمة، ومن أدخلهم من أصحابنا في البدع التي حكي فيها التكفير ونصره فقد غلط في ذلك، وإنما كان لأنهم لا يرون إدخال الأعمال والأقوال في الإيمان، وهذا ترك واجب، وأما غالية المرجئة الذين يكفرون بالعقاب ويزعمون أن النصوص خوفت بما لا حقيقة له، فهذا القول عظيم، وهو ترك واجب.

وكذلك الوعيدية، لا يرون اعتقاد خروج أهل الكبائر من النار، ولا قبول الشفاعة فيهم، وهذا ترك واجب[1] .

فتبين من هذا خطر بدعة هؤلاء وخطورتها على الأمة، وكونهم شرا من أهل المعاصي وأنهم تركوا الواجب وذلك أضر من فعل بعض المعاصي كما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية.

ثالثاً: أن البدع والمحدثات أحب إلى إبليس من المعاصي والشيطان لا يريد لبني آدم إلا ما هو شر له في دينه ودنياه.

وفي الحديث الذي رواه ابن أبي عاصم وغيره ((يقول الشيطان : أهلكت الناس بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك بثثتُ فيهم الأهواء

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج20/103- 104.

فهم يذنبون ولا يتوبون لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً)) [1] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((من أعرض عن اتباع الحق الذي يعلمه تبعاً لهواه فإن ذلك يورثه الجهل والضلال حتى يعمى قلبه عن الحق الواضح كما قال تعالى: ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﭼ [2] [3]

((ولهذا قال أئمة الإسلام كسفيان الثوري [4] وغيره: إن البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، لأن البدعة لا يتاب منها، والمعصية يتاب منها)) [5] .

ومعنى قولهم إن البدعة لا يتاب منها: أن المبتدع الذي يتخذ ديناً لم يشرعه الله ولا رسوله قد زين له سوء عمله فرآه حسناً فهو لا يتوب ما دام يراه حسنا، لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيء ليتوب منه، أو بأنه ترك حسناً مأموراً به أمر إيجاب أو استحباب ليتوب ويفعله. فما دام يرى فعله حسناً وهو سيء في نفس الأمر فإنه لا يتوب.

ولكن التوبة منه ممكنة وواقعة بأن يهديه الله ويرشده حتى يتبين له الحق كما هدى سبحانه وتعالى من هدى من الكفار والمنافقين وطوائف من أهل البدع ، وهذا يكون بأن يتبع من الحق ما علمه، فمن عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم كما قال تعالى : ﭽ ﯿ ﰀ ﰁ

---

1 (?) رواه أبو يعلى في مسنده ج1/ 123ح(136) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير رقم(3795)

2 (?) الصف (5).

3 (?) مجموع الفتاوى ج10/10.

4 (?) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي ثقة حافظ فقيه عابد إمام عابد حجة من رؤوس الطبقة السابعة وكان ربما دلّس، مات سنة إحدى وستين وله أربع وستون، روى له الجماعة/ تقريب التهذيب ص184ت(2445).

5 (?) مجموع الفتاوى ج20/10.

ﭽ[1] وقال تعالى: ﭽ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭽ[2]. وشواهد هذا كثيرة في الكتاب والسنة))[3] .

وهذا كله يبين خطورة البدعة والأهواء والمحدثات وأنها شر في الدين وعلى أهله وضلال لصاحبه. وأهل البدع ((أهل شبهات في آرائهم وأهـواء في إراداتهم))[4] .

((ومعلوم أن المذنب إنما ضرره على نفسه، وأما المبتدع فضرره على النوع، وفتنة المبتدع في أصل الدين، وفتنة المذنب في الشهوة، والمبتدع قد قعد للناس على صراط الله المستقيم يصدهم عنه، والمذنب ليس كذلك، والمبتدع مناقض لما جاء به الرسول والعاصي ليس كذلك، والمبتدع يقطع على الناس طريق الآخرة والعاصي بطيء السير بسبب ذنوبه))[5] .

رابعًا: أن هذه البدع والأهواء قد تكون أعظم قدراً عند أهلها من الشرعة والسنة الصحيحة ، بل يقدمونها أحيانا على الشرع.

كما بين شيخ الإسلام قال رحمه الله : ((وقد تكون تلك البدعة أعظم عندهم مما أخذوا به من الشرعة يجعلون تلك هي ((الأصول العقلية)) كالقدرية المجبرة والنفاة فكلاهما يجعل ما أحدثوه من الكلام في الأصول- وهو الذي يسمونه العقليات- أعظم عندهم مما تلقوه من الشرع؛ فالمعتزلة يجعلون العقليات هي الخبريات و الأمريات جميعا كالواجبات الشرعية لكن يقولون أيضا إن الشرع أو جبها، ولكن لهم فيها تخليط ليس هنا موضعه.

وكذلك ما ابتدعوه في الخبريات كإثبات حدوث العالم بطريقة الأعراض واستلزامها للأجسام، وهم ينفون الصفات والقدر، ويسمون ذلك ((التوحيد، والعدل)).

---

1 (?) سورة محمد آية(17).

2 (?) النساء آية(66).

3 (?) مجموع الفتاوى ج10/9-10 وج11/684.وج16/ 25وما بعدها.

4 (?) درء تعارض العقل والنقل ج2/196.

5 (?) الجواب الكافي لابن القيم ص100، 101.

وكذلك جهم وكذلك الصوفية هذا الذي ابتدعوه هو أعظم عندهم من الشرعة ومما وافقوا فيه الرسل، وكثير من العباد يفضل نوافله على أداء الفرائض، وهذا كثير والله أعلم))[1]

ومن هنا يعرف خطورة البدعة وضلال من ابتدع البدعة في الدين فإنه خالف أمر الله وخالف سنة رسول الله وأوقع الشر والفتنة والفرقة في الأمة وصد العباد عن دين الله وادعى بأنه أعلم وأرحم من الرسول وأن ما جاء به من عند الله فيه نقص يحتاج إلى زيادة وو أوقع الأمة في الآصار والأغلال.

ولا بد أن يعلم ((أن حجة الرسول قائمة على من بلغه ما جاء به، ليس لأحد أن يعارض شيئاً من كلامه برأيه وهواه، بل على كل أحد أن يكون معه كما قال الله تعالى: ﭽ ... ﭼ[2][3] .

وليس لأحد أن يعبد الله بما سنح له وأحبه ورآه، بل لا يعبده إلا بالعبادة الشرعية.

فالعبادات كلها مبناها على الاتباع لا على الابتداع، فليس لأحد أن يشرع من الدين ما لم يأذن به الله .

فعلى العبد أن يسلم للشريعة المحمدية الكاملة البيضاء الواضحة، ويعلم أنها جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليها، وإذا رأى من العبادات والتقشفات وغيرها التي يظنها حسنة، ونافعة ما ليس بمشروع، على أن ضررها راجح على نفعها ومفسدتها راجحة على مصلحتها، إذ الشارع الحكيم لا يهمل المصالح[4]

وأن هذا الدين الذي جاء به النبي ﷺ شامل وكامل وتام بشهادة الله تعالى وما من خير يقرب العباد إلى الله إلا وقد دل عليه، وما من شر يبعدهم عن الله إلا

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج13/227،228 بتصرف بسيط فيه.

[2] (?) النساء آية(65).

[3] (?) درء تعارض العقل والنقل ج7/141.

[4] (?) الرد على البكري ج1/166، 166، 167.

وقد حذر منه ﷺ. ودل كله على كمال هذا الدين وتمامه ودلت عليه أدلة الكتاب والسنة.

- المبحث الأول: الأدلة في بيان كمال الدين وتمامه والنهي عن الابتداع

بين شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الموضع أدلة من الكتاب والسنة في كمال هذا الدين الذي جاء به الرسول محمد وأنه شامل كامل وتام لايحتاج إلى زيادة وأنه مستغن عن كل رأي أو حكاية أو ومنامة أحد وعقل مفكر بشهادة رب العالمين، وأن الرسول قد بلغ البلاغ المبين وأن الله تعالى قد شهد له بذلك في أكبر محفل من محافل الإسلام وأن ما لم يكن دينا في ذلك الوقت لا يكون دينًا بعده؛ إذ وما من خير يقرب العباد إلى الله تعالى إلا وقد دل عليه الأمة، وما من شر يبعدهم عن الله إلا وقد حذر منه .

وأن كل من دعا إلى شيء من الدين بلا أصل من كتاب الله وسنة رسوله **فقد دعا إلى بدعة وضلالة** مهما استحسنه رأيه وزين له عقله على أنه صلاح وقربة ودين.

ومن الأدلة التي استدل بها شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- ما يلي:

1- قوله تعالى في سورة أ5 ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒﮓ ﭼ[1]

هذه الآية بين شيخ الإسلام أنها أعظم دليل وأظهر برهان في بيان كمال هذا الدين وتمامه والنهي عن الإحداث في الدين وأنه مستغن عن كل ما سواه من الأديان والآراء وغيرها

فليس لأحد أن يجعل شيئاً عبادة أو قربةً إلا بدليل شرعي من الكتاب والسنة. .

فقال- رحمه- الله: ((وإن ما بعث الله به نبيه محمداً من الكتاب والحكمة يجمع مصالح العباد في المعاش والمعاد على أكمل وجهن فإنه خاتم النبيين ولا نبي بعده، وقد جمع الله في شريعته ما فرقه في شرائع من قبله من الكمال؛ إذ ليس بعده نبي، كما كمل به

---

[1] (?) المائدة آية(3).

الدين فكتابه أفضل الكتب وشرعه أفضل الشرائع ومنهاجه أفضل المناهج، وأمته أفضل الأمم وقد عصمها الله على لسانه فلا تجتمع على ضلالة)) [1] .

قال في موضع آخر: ((فقد أكمل الله لنا الدين وأتم علينا النعمة ورضي لنا الإسلام ديناً؛ بل أكمل لجميعهم طرق الدين، وأغناهم بها عن التطلع إلى غيرها من البراهين كما دلت عليه الآية، وليس يجوز أن يخبر الله عز وجل عن إكمال الدين، مع الحاجة إلى غير ما أكمل لهم الدين به، وبين النبي معنى ذلك في حجة الوداع [2] ، لمن كان بحضرته من الجمِّ الغفير من أمته، عند اقتراب أجله، ومفارقته لهم؛ بقوله: ((اللهم هل بلغت؟))

فلو كنا نحتاج مع ما كان منه- عليه السلام- في معرفة ما دعا إليه، إلى ما رتبه أهل البدع لما كان مبلغا.

ويزيد هذا وضوحاً قوله : ((إني تركتكم على مثل الواضحة: ليلها كنهارها)) [3]

وإذا كان هذا على ما وصفنا عُلم أنه لم يبق بعد ذلك عتب لزائغ، ولا طعن لمبتدع، إذ كان- عليه السلام- قد أقام الدين، بعد أن أرسى أو تاده، وأحكم أطنابه، ولم يدع النبي لسائر من دعاه إلى توحيد الله حاجةً إلى غيره، ولا لزائغ طعناً عليه، ثم مضى- - محموداً بعد إقامة الحجة، وتبليغ الرسالة، وأداء الأمانة، والنصيحة لسائر الأمة، حتى لم يُحْوِج أحداً من أمته إلى البحث عن شيء قد أغفله هو مما ذكره لهم، أو معنىً أسرَّه إلى أحدٍ من أمته.

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج33/159.

2 (?) رواه الترمذي في سننه ج5/622ح(3788) كتاب المناقب باب مناقب أهل بيت النبي . والطبراني في الكبير ج3/88 وفي الصغيرج1/232. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم(3232).

3 (?) رواه الدار قطني في سننه ج4/245ح(149) والبيهقي في الكبرى ج10/114 وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم(3232).

بل قد قال – عليه السلام- في المقام الذي لم ينكتم قوله فيه، لاستحالة كتمانه على من حضره، أو طيّ شيء منه على من شهده: ((إني خلّفت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله وسنتي))[1] ولعمري إن فيهما الشفاء من كل أمر مشكل، والبرء من كل داء مُعضل، وإن في حراستهما من الباطل- على ما تقدم ذِكْرُنَا له – آية لمن نصح نفسه، ودلالة امن كان الحق قصده))[2]

2- ومن الأدلة أيضا قوله تعالى: ﭽ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ[3] .

3- وقوله تعالى : ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ[4]

وفي هذه الآيات دلالة واضحة على أن الرسول قد بلغ جميع الرسالة وهذا يدل على كمال هذا الدين وتمامه إلى قيام الساعة كما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية في أكثر من موضع.

فقال رحمه الله : ((ومعلوم أنه قد بلغ الرسالة كما أمر ولم يكتم منها شيئًا؛ فإن كتمان ما أنزل الله إليه يناقض موجب الرسالة؛ كما أنّ الكذب يناقض موجب الرسالة.

ومن المعلوم من دين المسلمين أنه معصوم من الكتمان لشيء من الرسالة كما أنه معصوم من الكذب فيها. والأمة تشهد له بأنه بلغ الرسالة كما أمر الله، وبين ما أنزل إليه من ربه؛ وقد أخبر الله تعالى بأنه قد أكمل

---

1 (?) رواه ابن ماجه في سننه ج1/12ح(5) كتاب السنة بابا اتباع سنة رسول الله. بلفظ: (على مثل البيضاء)) وأخرجه أحمد في مسنده ج4/126. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم(688).

2 (?) درء تعارض العقل والنقل ج7/ 215 ، 216، 217، 218، ومجموع الفتاوى ج28/122

3 (?) التوبة آية(115).

4 (?) المائدة.

الدين؛ وإنما كمل بما بلغه؛ إذ الدين لم يعرف إلا بتبليغه، فعلم أنه بلّغ جميع الدين الذي شرعه الله لعباده.

وكان الذي أنزل عليه من الوحي، وأمر بتبليغه، **هو كمال الدين وتمامه**، لقوله تعالىﭽ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ[1] فلم يترك شيئاً من أمور الدين: قواعده، وأصوله، وشرائعه، وفصوله- إلا بينه، وبلّغه عن كماله وتمامه، ولم يؤخر بيانه عن وقت الحاجة إليه، إذ لا خلاف بين فرق الأمة: أن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز بحال.

ومعلوم أن أمر التوحيد وإثبات الصانع لا تزال الحاجة ماسة إليه أبداً في كل وقتٍ وزمانٍ، ولو أُخِّر عنه البيان لكان التكليف واقعاً بما لا سبيل للناس إليه، وذلك فاسد غير جائز.

وكما قال : ((تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك))[2] وقال : ((ما تركتُ من شيء يقربكم إلى الجنة إلا وقد حدثتكم به وما من شيء يبعدكم عن النار إلا وقد حدثتكم به))[3] .

وقال أبو ذر: ((لقد توفي رسول الله ما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا وقد ذكر لنا منه علماً))[4]))[5] .

---

1 (?) المائدة (3).

2 (?) رواه ابن ماجه في سننه ج1/32 ح(43) كتاب السنة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين. وأحمد في المسند ج 4/126 والحاكم في المستدرك ج1/175 والطبراني في الكبير ج18/247 وصححه الألباني في الصحيحة رقم(937).

3 (?) رواه مصنف ابن أبي شيبة ج7/79 ومصنف عبد الرزاق ج11/125. وصححه الألباني في الصحيحة رقم(2866).

4 (?) صحيح ابن حبان ج1/267 والطبراني في الكبير ج 2/155.

5 (?) مجموع الفتاوى ج5/155، 156، وج12/129، وج 13/255 ودرء تعارض العقل والنقل ج7/296، 297.

2- **وكذلك قوله ﷺ :** ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)) أخرجــاه في الصحيحين[1] ، **وقال**ﷺ في حديث العرباض بن سارية-ﭬ-الذي رواه أهل السنن وصححه الترمذي: ((إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة))[2]

3- وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره أنه كان يقول في خطبته((خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة))[3] [4] .

إذا تبن هذا فقد وجب على كل مسلم تصديقه فيما أخبر به عن الله من أسمائه وصفاته مما جاء في القرآن وفي السنة الثابتة كما كان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه.

فإن الله خلق الخلق لعبادته كما قال تعالى: ﭽ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼﭽ[5] . وإنما تعبّدهم بطاعته وطاعة رسوله، فلا عبادة إلا ما هو واجبٌ أو مستحب في دين الله؛ وما سوى ذلك فضلال.

وقد ذكر الله طاعة الرسول و اتباعه في نحو من أربعين موضعاً من القرآن كقوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕﭖ ﭽ[6]

وقوله: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ

[1] (?) صحيح مسلم ص448 ح(1718).
[2] (?) تقدم تخريجه.
[3] (?) تقدم تخريجه.
[4] (?) مجموع الفتاوى ج1/4.
[5] (?) الذاريات.
[6] (?) النساء (80).

چ[1] وقال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ چ[2] [3].

فبمحمد تبين الكفر من الإيمان، والربح من الخسران والهدى من الضلال، والنجاة من الوبال، والغي من الرشاد والزيغ من السداد، وأهل الجنة من أهل النار، والمتقون من الفجار وإيثار سبيل من أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، من سبيل المغضوب عليهم والضالين.

فالنفوس أحوج إلى معرفة ما جاء به و اتباعه منها إلى الطعام والشراب، فإن هذا إذا فات حصل الموت في الدنيا. وذاك إذا فات حصل العذاب.

فحق على كل أحد بذل جهده واستطاعته في معرفة ما جاء به وطاعته، هذا طريق النجاة من العذاب الأليم والسعادة في دار النعيم. والطريق إلى ذلك الرواية والنقل. إذ لا يكفي من ذلك مجرد العقل. بل كما أن نور العين لا يرى إلا مع ظهور نور قدامه، فكذلك نور العقل لا يهتدي إلا إذا طلعت عليه شمس الرسالة. فلهذا كان تبليغ الدين من أعظم فرائض الإسلام. وكان معرفة ما أمر الله به ورسوله واجباً على جميع الأنام.

والله سبحانه بعث محمداً بالكتاب والسنة، و بهما أتم على أمته المنة. قال تعالى: ﭽ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ چ[4] [5]

وَفِي الْجُمْلَةِ : فَإِنَّ النَّبِيَّ قَدْ أَكْمَلَ اللَّهُ لَهُ وَلأُمَّتِهِ الدِّينَ، وَأَتَمَّ بِهِ عَلَيْهِمْ النِّعْمَةَ، فَمَنْ جَعَلَ عَمَلا وَاجِبًا مَا لَمْ يُوجِبْهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَوْ [مَكْرُوهًا] لَمْ يَكْرَهْهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَهُوَ غالط . فَإِجْمَاعُ أَئِمَّةِ الدِّينِ أَنَّهُ لَا حَرَامَ إلَّا مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا دِينَ إلَّا مَا شَرَعَهُ اللَّهُ

---

1 (?) النساء.
2 (?) آل عمران (31).
3 (?) مجموع الفتاوى ج1/ 4 وج5/156.
4 (?) البقرة.
5 (?) مجموع الفتاوى ج1/4، 5، 6.

وَرَسُولُهُ، وَمَنْ خَرَجَ عَنْ هَذَا وَهَذَا **فَقَدْ دَخَلَ فِي حَرْبٍ مِنْ اللَّهِ،** فَمَنْ شَرَعَ مِنْ الدِّينِ ما لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ، وَحَرَّمَ مَا لَمْ يُحَرِّمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَهُوَ مِنْ دِينِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، الْمُخَالِفِينَ لِرَسُولِهِ، الَّذِينَ ذَمَّهُمْ اللَّهُ فِي سُورَةِ الأنعام، وَالأَعْرَافِ وَغَيْرِهِمَا مِنْ السُّوَرِ، حَيْثُ شَرَعُوا مِنْ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ . فَحَرَّمُوا مَا لَمْ يُحَرِّمْهُ اللَّهُ، وَأَحَلُّوا مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ فَذَمَّهُمْ اللَّهُ وَعَابَهُمْ عَلَى ذَلِكَ .

فَلِهَذَا كَانَ دِينُ الْمُؤْمِنِينَ بِاَللَّهِ وَرَسُولِهِ أَنَّ الْأَحْكَامَ الْخَمْسَةَ : الْإِيجَابُ وَالِاسْتِحْبَابُ وَالتَّحْلِيلُ وَالْكَرَاهِيَةُ وَالتَّحْرِيمُ لاَ يُؤْخَذُ إلاَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ فَلا وَاجِبَ إلاَّ مَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا حَلالَ إلاَّ مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ .

فَمِنْ ذَلِكَ مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ أَئِمَّةُ الدِّينِ وَمِنْهُ مَا تَنَازَعُوا فِيهِ فَرَدُّوهُ إلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ قَالَ تَعَالَى : ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﭼ[1] .

فَمَنْ تَكَلَّمَ بِجَهْلٍ، وَبِمَا يُخَالِفُ الأَئِمَّةَ فَإِنَّهُ يَنْهَى عَنْ ذَلِكَ، وَيُؤَدَّبُ عَلَى الْإِصْرَارِ، كَمَا يُفْعَلُ بِأَمْثَالِهِ مِنْ الْجُهَّالِ، وَلاَ يُقْتَدَى فِي خِلاَفِ الشَّرِيعَةِ بِأَحَدٍ مِنْ أَئِمَّةِ الضَّلاَلَةِ، **وَإِنْ كَانَ مَشْهُورًا عَنْهُ الْعِلْمُ** . كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : لاَ تَنْظُرُ إلَى عَمَلِ الْفَقِيهِ، وَلَكِنْ سَلْهُ يُصَدِّقْك وَاَللَّهُ أَعْلَمُ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ[2] .

الخـلاصة:

فهذه جملة من النصوص والأدلة من الكتاب والسنة التي تبين كمال هذا الدين العظيم وتمامه واستغناءه عن التنطع والغلو و التعبدات المحدثة والآراء المحدثة والعقول المريضة المحدِثة والسياسات المحدثة، والأهواء المضلة. وأن الخير كل الخير في اتباع المصطفى

---

1 (?) النساء.

2 (?) مجموع الفتاوى ج22/226-227، وانظر أيضا ج3/364، وج5/6 وج11/162 وج27//371.

وطاعته فإن الله تعالى قد أكمل لنا الدين وأتم به النعمة وبلّغ البلاغ المبين .

وأن البدع والإحداث في الدين منهي عنه بالكتاب والسنة قد فرقت الأمة ومزقت شملها وسببت العداوة والبغضاء بين أبنائها.

المبحث الثاني: أنواع الابتداع التي تسبب الفرقة والاختلاف

تحته خمسة مطالب:

المطلب الأول: استعمال الألفاظ المجملة والمعاني المشتبهة وآثارها في تفريق الأمة

يريد شيخ الإسلام ابن تيمية أن يبين في هذا الموضع خطورة ترك الألفاظ الشرعية التي تبين مقصود الشارع والتمسك بالألفاظ المجملة والمبتدعة والمعاني المشتبهة من أسباب تفرق هذه الأمة وهو منشأ البدعة والضلال قديمًا وحديثًا. والتشكيك في الدين وتلبيس للحق بالباطل وغش وتدليس في الدين وسبب للهلاك.

فبين رحمه الله أنه يجب التمسك بالألفاظ الواردة في الشرع ومراعاة المعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والتقيد بها

فقال: « إن معرفة ما جاء به الرسول وما أراده بألفاظ القرآن والحديث هو أصل العلم والإيمان والسعادة والنجاة، ثم معرفة ما قاله الناس في هذا الباب لينظر المعاني الموافقة للرسول والمعاني المخالفة لها.

والألفاظ نوعان:

نوع يوجد في كلام الله ورسوله ، ونوع لا يوجد في كلام الله ورسوله، فيعرف معنى الأول ويجعل ذلك المعنى هو الأصل، ويعرف ما يعنيه الناس بالثاني ويرد إلى الأول, هذا طريق الهدى والسنة.

فطريق السلف والأئمة أنهم يراعون المعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل، ويراعون أيضا الألفاظ الشرعية فيعبرون بهما ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً، ومن تكلم بما فيه معنى باطلاً يخالف الكتاب والسنة ردوا عليه، ومن تكلم بلفظ مبتدع يحتمل حقاً وباطلا نسبوه إلى البدعة.

وطريق أهل الضلال والبدعة بالعكس؛ يجعلون الألفاظ التي أحدثوها ومعانيها هي الأصل، ويجعلون ما

قاله الله ورسوله تبعًا لهـم فيردونها بالتأويل والتحريف إلى معانيهم، ويقولون: نحن نفسر القرآن بالعقل واللغة، يعنون أنهم يعتقدون معنى بعقلهم ورأيهم ، ثم يتأولون القرآن عليه بما يمكنهم من التأويلات والتفسيرات المتضمنة لتحريف الكلم عن مواضعه. ولهذا قال الإمام أحمد : أكثر ما يخطئ الناس من جهة التأويل والقياس. وقال : يجتنب المتكلم في الفقه هذين الأصلين : المجمل والقياس. وهذه الطريق يشترك فيها جميع أهل البدع الكبار والصغار))[1] .

وذلك ((أن الذين يعارضون الكتاب والسنة بما يسمونه عقليات من الكلاميات والفلسفات ونحو ذلك إنما يبنون أمرهم في ذلك على أقوال مشتبهة مجملة تحتمل معاني متعددة، ويكون ما فيها من الاشتباه لفظاً ومعنى يوجب تناولها لحقٍ وباطلٍ، فبما فيها من الحق يقبل ما فيها من الباطل، لأجل الاشتباه والالتباس، ثم يعارضون بما فيها من الباطل نصوص الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم. وهذا منشأ الضلال من الأمم قبلنا وهو منشأ البدع، فإن البدعة لو كانت باطلة محضاً لظهرت وبانت وما قبلت، ولو كانت حقاً محضاً لا شوب فيه، لكانت موافقةً للسنة، فإن السنة لا تناقض حقًا محضاً لا باطل فيه؛ ولكن البدعة تشتمل على حق وباطل. ولهذا قال تعالى فيما يخاطب به أهل الكتاب على لسان محمد ﷺ : ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ[2] فنهاهم عن لبس الحق بالباطل وكتمانه، ولبسه به حتى يلتبس أحدهما بالآخر)).[3]

وقد أفاد هذا أن أهل البدع لما عجزوا عن فهم نصوص الكتاب والسنة إما جهلا أو تكبرا وتطاولاً شرعوا

---

1. (?) مجموع الفتاوى ج17/355 ودرء تعارض العقل والنقل ج 1/254
2. (?) البقرة.
3. (?) درء تعارض العقل والنقل ج1/208.

في استعمال الألفاظ المجملة والمعاني المشتبهة لتضليل الناس وتقليب معاني نصوص الحق وتلبيس عقولهم وأظهروا المعاني الباطلة لنفي الحق تارة وإثبات الباطل ترة أخر فخدعوا بهذا عقول كثير من أتباعهم بهذه الطرق المبتدعة فصارت فتنة وفرقة.

ولهذا قال الإمام أحمد فيهم: ((يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم))[1] .

وقال شيخ الإسلام في تعليقه عليه: ((وهذا الكلام المتشابه الذي يخدعون به جهال الناس هو الذي يتضمن الألفاظ المتشابهة المجملة التي يعارضون بها نصوص الكتاب والسنة، وتلك الألفاظ تكون موجودة مستعملة في الكتاب والسنة وكلام الناس، لكن بمعان أخر غير المعنى التي قصدوها هم بها، فيقصدون هم معاني أخر، فيحصل الاشتباه والإجمال))[2]

وقال في موضع آخر: ((فإن هؤلاء عبروا عن المعاني التي أثبتها القرآن بعبارات أخرى ليست في القرآن، وربما جاءت في القرآن بمعنى آخر، فليست تلك العبارات مما أثبته القرآن، بل قد يكون معناها المعروف في لغة العرب التي نزل بها القرآن منتفياً باطلاً، نفاه الشرع والعقل، **وهم اصطلحوا بتلك العبارات على معان غير معانيها في لغة العرب، فتبقى إذا أطلقوا نفيها لم تدل في لغة العرب على باطلٍ، ولكن تدل في اصطلاحهم الخاص على باطل؛ فمن خاطبهم بلغة العرب** قالوا: إنه لم يفهم مرادنا، ومن خاطبهم باصطلاحهم أخذوا يظهرون عنه أنه قال ما يخالف القرآن، وكان هذا من جهة كون تلك الألفاظ مجملة مشتبهة))[3] .

---

1 (?) الرد على الزنادقة والجهمية ص6.

2 (?) درء تعارض العقل والنقل ج1/222.

3 (?) درء تعارض العقل والنقل ج1/223.

وقد ضرب شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- لهذا أمثلة كثيرة، وبين مقصودهم بهذه الألفاظ ومخالفته لمقصود الشرع ومرادهم عند الإطلاق.

ومن أمثلة تلك الألفاظ المجملة والمعاني المشتبهة ما يلي:

1- كلفظ ((العقل))[1]

قال شيخ الإسلام: ((فإن لفظ العقل في لغة المسلمين إنما يدل على عرض إما مسمى المصدر عقل يعقل عقلاً، وإما يكون بها العقل وهي الغريزة، وهم يريدون بذلك جوهراً مجردًا قائما بنفسه.

2- وكذلك لفظ ((**التوحيد**))و ((**الواحد**))

هذا اللفظ قد صار لفظاً مجملا إذا أطلقها أهل البدعة والفرقة ويقصدون به معنى آخر غير المعنى الذي أراد به الشرع.

قال شيخ الإسلام: ((و اسم ((التوحيد)) اسم معظم جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، فإذا جعل تلك المعاني التي نفاها من التوحيد ظن من لم يعرف مخالفة مراده لمراد الرسول أنه يقول بالتوحيد الذي جاء به الرسل، ويسمي طائفته الموحدين كما يفعل الجهمية، والمعتزلة ومن وافقهم على نفي شيء من الصفات؛ ويسمون ذلك توحيداً، وطائفتهم الموحدين، ويسمون علمهم علم التوحيد كما تسمي المعتزلة ومن وافقهم نفي القدر عدلاً، ويسمون أنفسهم العدلية، وأهل العدل، ومثل هذه البدع كثير جداً يعبر بألفاظ الكتاب والسنة عن معانٍ مخالفة لما أراده الله ورسوله بتلك الألفاظ، ولا يكونً أصحاب تلك الأقوال تلقوها ابتداءً عن الله عز وجل ورسوله؛ بل عن شُبَهٍ حصلت لهم ولأئمة لهم وجعلوا التعبير عنها بألفاظ الكتاب والسنة حجةً لهم وعمدةً لهم

---

[1] (?) وكذلك لفظ ((المادة والصورة)) وكذلك لفظ((الجوهر والعرض)) و((الجسم)) والتحيز))و ((التركيب)) و((الجزء)) و((العلة)) و((المعلول)) و((العاشق و العشق)) والحدوث والقدم و((الوجود)) و((الموجود)) و((الذات)) وغيرها كثير.

بذلك أنهم متابعون للرسول لا مخالفون له، وكثير منهم لا يعرفون أن ما ذكروه مخالف للرسول ، بل يظن أن هذا المعنى الذي أراده هو المعنى الذي أراده الرسول وأصحابه[1] .

((فهم يريدون بلفظ ((**التوحيد**)) و((**الواحد**)) في اصطلاحهم: ما لا صفة له ولا يُعلم منه شيء دون شيءٍ ولا يُرى، والتوحيد الذي جاء به الرسول لم يتضمن شيئاً من هذا النفي ، وإنما تضمن إثبات الإلهية لله وحده، بأن يشهد أن لا إله إلا هو، ولا يعبد إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يوالى إلا له، ولا يعادى إلا فيه، ولا يعمل إلا لأجله، وذلك يتضمن إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات.

قال جابر بن عبد الله في حديث الصحيح في سياق حجة الوداع: ((فأهلَّ رسول الله بالتوحيد: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، عن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك))[2] ، وكانوا في الجاهلية يقولون : لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك) فأهلَّ النبي بالتوحيد كما تقدم.

قل تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ[3] .

وأخبر عن كل نبي من الأنبياء أنهم دعوا الناس إلى عبادة الله وحده لا شـريك له. وهذا في القرآن كثير.

وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية، وهو اعتقاد أن الله وحده خلق العالم، كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف، ويظن هؤلاء أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل فقد أثبتوا غاية التوحيد. ويظن هؤلاء أنهم إذا شهدوا هذا وفنوا فيه فقد فنوا في غاية التوحيد.

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج17/352-353.

2 (?) رواه أبو داود في سننه ج2/455 ح(1905) كتاب المناسك باب صفة حجة النبي . صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم(1905).

3 (?) النحل آية(36).

وكثير من أهل الكلام يقول: التوحيد له ثلاث معان، وهو: واحد في ذاته لا قسيم له، أو لا جزء له؛ وواحد في صفاته لا شبيه له؛ وواحد في أفعاله لا شريك له.

وهذا المعنى الذي تناوله هذه العبارة فيها ما يوافق ما جاء به الرسول، وفيها ما يخالف ما جاء به الرسول، وليس الحق الذي فيها هو الغاية التي جاء بها الرسول، بل التوحيد الذي أَمَرَ به أَمْرٌ يضمن الحق الذي في هذا الكلام وزيادة أخرى، فهذا من الكلام الذي لُبِس فيه الحق بالباطل وكُتم الحق.

وذلك أن الرجل لو أقر بما يستحقه الرب تعالى من الصفات، ونزَّهه عن كل ما ينزه عنه، وأقر بأنه وحده خالق كل شيء- لم يكن موحِّداً، بل ولا مؤمناً حتى يشهد أن لا إله إلا الله، فيقر بأن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة، ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له.

وهم لا يدخلون في مسمى التوحيد الذي اصطلحوا عليه، وأدخلوا في ذلك نفي صفاته.

وكما فعلت الجهمية بمن لبسوا عليه من الخلفاء حتى أدخلوه في بدعتهم من القول بخلق القرآن وغير ذلك)) [1] .

فبهذا أدخلوا كثيرا من الناس في نفي صفات الله الثابتة بالكتاب والسنة تحت مسمى التوحيد وغيروا المعنى المراد به وجعلوه لفظا مجملا ومعنى مشتبها ولبسوا فيه الحق الباطل.كما بين شيخ الإسلام.

3- وكذلك لفظ ((**أصول الدين**))

صار لفظاً مجملا بما أدخل فيه من المعاني الباطلة المشتبهة مما كان سببا في تفريق الأمة وتلبيسها في دينها كما بين شيخ الإسلام ابن تيمية .

قال: ((كلفظ ((**أصول الدين**)) حيث أدخل فيه قوم من المسائل والدلائل ما ظنوه هم من أصول دينهم وإن لم يكن من أصول الدين الذي بعث الله به رسوله، وأنزل

---

[1] (?) درء تعارض العقل والنقل ج1/224، 225، 226، 227.

به كتبه كما ذكرنا، وأنه إذا منع إطلاق هذه المجملات المحدثات في النفي والإثبات ووقع الاستفسار والتفصيل تبين سواء السبيل))[1] .

و في بيان مقصود المبتدعة في مسمَّى ((أصول الدين)) تلبيسا وتمويهاً قال: ((وإنما الغرض التنبيه على أن في القرآن والحكمة النبوية عامة أصول الدين من المسائل والدلائل التي تستحق أن تكون أصول الدين.

وأما ما يُدخله بعض الناس في هذا المسمَّى من الباطل فليس ذلك من أصول الدين، مثل المسائل والدلائل الفاسدة، مثل: نفي الصفات، والقدر، ونحو ذلك من المسائل، ومثل الاستدلال على حدوث العالم بحدوث الأعراض التي هي صفات الأجسام القائمة بها: إما الأكوان، وإما غيرها.

وتقرير المقدمات التي يحتاج إليها الدليل: من إثبات الأعراض – التي هي الصفات – كقولهم أصل دينهم المبني على مقدمتين :

إحداهما: أن الجسم لا يخلو عن الأعراض التي الصفات.

والثانية: أن ما لا يخلو عن الصفات التي هي الأعراض فهو محدث، لأن الصفات- التي هي الأعراض- لا تكون إلا محدثة، وقد يفرضون ذلك في بعض الصفات التي الأعراض، كالأكوان، وما لا يخلو عن جنس الحوادث فهو حادث، لامتناع حوادث لا تتناهى.

فهذه الطريقة مما يعلم بالاضطرار أن محمداً ﷺ لم يدع الناس بها إلى الإقرار بالخالق ونبوة أنبيائه.

ثم التزم طوائف منهم حدوث كل موصوف بصفة قائمة به، وهو في غاية الفساد والضلال، ولهذا التزموا القول بخلق القرآن ،بنفي صفات الرب مطلقا، أو بعضها أو إنكار رؤية الله في الآخرة، وعلوه على عرشه، إلى

---

[1] (?) درء تعارض العقل والنقل ج1/73.

أمثال ذلك من اللوازم التي التزمها من طردِ مقدمات هذه الحجة التي جعلها المعتزلة ومن اتبعهم أصلَ دينهم.

فهذه داخلة فيما سمَّاه هؤلاء أصول الدين، ولكن ليست في الحقيقة من أصول الدين الذي شرعه الله ورسوله لعباده.

وأما الدين الذي قال الله فيه: ﭽ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗﭼ[1] فذاك له أصـول وفروع بحسبه.

وإذا عُرف أن مسمَّى أصول الدين في عرف الناطقين بهذا الاسم فيه إجمال وإبهام لما فيه من الاشتراك بحسب الأوضاع والاصطلاحات، تبين أن الذي هو من عند الله ورسوله وعباده المؤمنين أصول الدين فهو موروث عن الرسولﷺ.

وأما من شرع دينا لم يأذن به الله فمعلوم أن أصوله المستلزمة له لا يجوز أن تكون منقولة عن النبي ﷺ، إذ هو باطلٌ، وملزوم الباطل باطل، كما أن لازم الحق حق))[2] .

وقد اخترع هؤلاء هذه الطرق البدعية الموروثة عن الفلاسفة إلى المسلمين وسموها أصول الدين ولبسوا بها على عقول الناس وأفسدوا بها دينهم وفرقوا بها كلمتهم بسبب الإجمال والاشتباه والتمويه والغش والتدليس.

4- وكذلك لفظ((**الجبر**))

فإنه لما ظهرت القدرية النفاة للقدر وأنكروا أن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وأن يكون خالقاً لكل شيء وأن يكون أفعال العباد من مخلوقاته، أنكر الناس هذه البدعة، فصار بعضهم يقول في مناظرته: هذا يلزم منه أن يكون الله مجبراً للعباد على أفعالهم، وأن يكون قد كلفهم ما لا يطيقونه؛ فالتزم بعض من ناظرهم من المثبتة إطلاق ذلك، وقال: نعم يلزم الجبر، والجبر حق، فأنكر الأئمة- كالأوزاعي وأحمد بن حنبل – ونحوهما ذلك على الطائفتين.

---

1 (?) الشورى آية(21).

2 (?) درء تعارض العقل والنقل ج1/38، 39، 41.

وقال الأوزاعي وأحمد ونحوهما: من قال إنه جبر فقد أخطأ، ومن قال لم يجبر فقد أخطأ، بل يقال: إن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ونحو ذلك.

وقالوا : ليس للجبر أصل في الكتاب والسنة، وإنما الذي في السنة لفظ ((الجَبْل)) لا لفظ ((الجبر)) فإنه قد صح عن النبي أنه قال لأشج عبد القيس[1] : ((إن فيك لخلقين يحبهما الله: الحلم والأناة. فقال: أخلقين تخلقت بهما، أم خلقين جبلت عليهما؟ فقال: ((بل خلقين جبلت عليهما)) فقال: الحمد لله الذي جَبَلني على خلقين يحبهما الله))[2]

وقالوا: إن لفظ((الجبر)) لفظ مجمل فإن الجبر إذا أطلق في الكلام فهم منه إجبار الشخص على خلاف مراده، كما تقول الفقهاء: إن الأب يَجْبر ابنته عـلى النكـاح أو لا يجبرها.

ومعلوم أن الله سبحانه وتعالى إذا جعل في قلب العبد إرادة للفعل ومحبة له حتى يفعله- كما قال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉﮊﮋﭼ[3] لم يكن هذا جبراً بهذا التفسير، ولا يقدر ذلك إلا الله تعالى، فإنه هو الذي جعل الراضي راضياً، والمحب محباً، والكاره كارهاً.

---

1. (?) **الأشج العبدي:** يقال له أشجع عبد القيس/ ويقال له أشج بني عَصَرَ، مشهور بلقبه هذا، واسمه المنذر بن عمرو، أو ابن الحارث. قال الواقدي: كان قدوم الأشجع ومن معه سنة عشر من الهجرة/ الإصابة في تمييز الصحابة ج1/79ت(199).
2. (?) صحيح مسلم ص18ح(17) كتاب الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله وشرائع الدين، والدعاء إليه، والسؤال عنه، وحفظه، وتبليغه من لم يبلغه. والبخاري في الأدب المفرد ص205ح(584).
3. (?) الحجرات آية (7).

وقد يراد بالجبر نفس جَعْل العبد فاعلاً، ونفس خلقه متصفاً بهذه الصفات، كما في قوله: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﭼ[1] .

فالجبر بهذا التفسير حقٌ. فالأئمة منعت من إطلاق القول بإثبات لفظ الجبر أو نفيه لأنه بدعة يتناول حقاً وباطلا[2] .

5- وكذلك لفظ ((الجسم)).

لفظ مجمل لم يرد في الكتاب ولا السنة إطلاقها في حق الله تعالى ولكن هؤلاء المبتدعة أخلوه فيها للتلبيس والتجهيل وإثارة الفتن والفرقة به ونفي صفات الله تعالى وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في قولهم ((ليس بجسم)):

((وأما لفظ ((الجسم والجوهر والمتحيز والجهة)) و نحو ذلك فلم ينطق كتاب ولا سنة بذلك في حق الله لا نفياً ولا إثباتًا، وكذلك لم ينطق بذلك أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين من أهل البيت وغير أهل البيت فلم ينطق أحد منهم بذلك في حق الله لا نفيتً ولا إثباتاً.

وأول من عرف عنه التكلم بذلك نفياً وإثباتاً أهل الكلام المحدث من النفاة الجهمية والمعتزلة ومن المثبتة كالمجسمة من الرافضة وغير الرافضة.

فالنفاة نفوا هذه الأسماء وأدخلوا في النفي ما أثبته الله ورسوله من صفات كعلمه، وقدرته، ومشيئته، ومجيئه ورضاه وغضبه، وعلوه ولا يتكلم بالقرآن ولا غيره، ولكن معنى كونه متكلماً أنه خلق كلاماً في جسم من الأجسام غيره ونحو ذلك.

---

1 (?) المعارج.

2 (?) درء تعارض العقل والنقل ج1/254، 255، 256.

والمثبتة أدخلوا في ذلك من الأمور ما نفاه الله ورسوله حتى قالوا ك إنه يرى في الدنيا بالأبصار ويصافح ويعانق)) [1] .

من جهة أخرى ((لفظ الجسم))

((فيه إجمال قد يراد به المركب الذي كانت أجزاؤه مفردة أو ما يقبل التفريق والانفصال أو المركب من مادة وصورة أو المركب من الأجزاء المفردة التي تسمى الجواهر الفردة، والله تعالى مُنَزَّهٌ عن ذلك كله؛ ‘ن أن يكون كان متفرقا فاجتمع أو أن يقبل التفريق أو التجزئة التي هي مفارقة بعض الشيء بعضا وانفصاله عنه أو غير ذلك من التركيب الممتنع عليه.

وقد يراد بالجسم ما يشار إليه أو ما يُرى أو ما يقوم به الصفات. والله تعالى يرى في الآخرة وتقوم به الصفات ويشير إليه الناس عند الدعاء بأيديهم وقلوبهم ووجوههم وأعينهم[2] .

وهؤلاء المتكلمون قصدوا بهذا المعنى وبهذه الألفاظ والمعاني المشتبهة نفي صفات الله الثابتة في كتابه وعلى لسان رسول فقالوا : ليس بجسم ولا جوهر ونحو ذلك من الألفاظ التي تفهم منها العامة تنزيه الله تعالى من النقائص ومقصودهم غير وهو نفي علو الله ونفي كلامه ونفي اتصافه بصفات يليق بجلاله وعظمته وأنه ليس على العرش استوى وأنه لا يرَى ولا يُرى في الآخرة وأن لا يحب، ولا يغضب.

6- وكذلك لفظ : ((**ناصبة**)).

هذا اللفظ يستعمله الرافضة ويسمون أهل السنة ناصبة فيوهم أنهم نصبوا العداوة لأهل البيت رضي الله عنهم[3] .

---

1 (?) منهاج السنة ج2/521.

2 (?) منهاج السنة ج2/135، ودرء تعارض العقل والنقل ج 6/131.

3 (?) درء تعارض العقل والنقل ج1/283.

ليس من منهج علماء الأمة الكبار استعمال الألفاظ المجملة والمعاني المشتبهة في تقرير أصول الدين ومسائل الاعتقاد وغيرها بل كانوا يمنعون عن ذلك مطلقاً لبدعيته ولتضمنه الشر والفتنة والضلال .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: ((إن الأئمة الكبار كانوا يمنعون من إطلاق الألفاظ المبتدعة المجملة المشتبهة، **لما فيها من لبس الحق بالباطل، مع ما توقعه من الاشتباه والاختلاف والفتنة،** بخلاف الألفاظ المأثورة والألفاظ التي بُيِّنَتْ معانيها، فإن ما كان مأثورا حصلت به الألفة، وما كان معروفاً حصلت به المعرفة، كما يروى عن مالك رحمه الله أنه قال: ((**إذا قل العلم ظهر الجفاء، وإذا قلت الآثار كثرت الأهواء**))[1] . **فإذا لم يكن اللفظ منقولاً ولا معناه معقولاً ظهر الجفاء والأهواء، ولهذا تجد قوماً كثيرين يحبون قوماً ويبغضون قوماً لأجل أهواء لا يعرفون معناها ولا دليلها، بل يوالون على إطلاقها أو يعادون، من غير أن تكون منقولة نقلاً صحيحاً عن النبي وسلف الأمة، ومن غير أن يكونوا هم يعقلون معناها، ولا يعرفون لازمها ومقتضاها. وسبب هذا إطلاق أقوال ليست منصوصة، وجَعْلها مذاهب يُدعى إليها، ويوالى ويعادى عليها.**

وقد ثبت في الصحيح أن النبي كان يقول في خطبته: ((إن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة))[2] .

فدين المسلمين مبني على اتباع كتاب الله وسنة رسوله وما اتفقت عليه الأمة، فهذه الثلاثة هي أصـول معصومة، وما تنازعت فيه الأمة ردوه إلى الله والرسول، **وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصا يدعو إلى طريقته، ويوالي عليها ويعادي، غير النبي ، ولا ينصب لهم كلاماً يوالى عليه ويعادى غير كلام الله تعالى ورسوله وما اجتمعت عليه الأمة،**بل

---

[1] (?) لم أقف عليه.

[2] (?) تقدم تخريجه.

هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصاً أو كلاماً يفرقون بين الأمـة، يوالون على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون.

ولهذا كان أصحاب رسول الله والتابعون لهم بإحسان- وإن تنازعوا فيما تنازعوا فيه من الأحكام- فالعصمة بينهم ثابتة، وهم يردّون ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول[1] .

والإمام أحمد –رحمه الله- ((لما ناظره أبو عيسى محمد بن عيسى برغوث، وكان من أحذقهم بالكلام: ألزمه التجسيم، وأنه إذا أثبت لله كلاماً غير مخلوق لزم أن يكون جسما.

فأجابه الإمام أحمد بأن هذا اللفظ لا يُدرى مقصود المتكلم به، وليس له أصل في الكتاب والسنة والإجماع، فليس لأحد أي يلزم الناس أن ينطقوا به، ولا مدلوله، وأخبره أني أقول: هو أحد، صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد؛ فبين أني لا أقول: هو جسم ولا ليس بجسم، لأن كلا الأمرين بدعة محدثة في الإسلام، فليست هذه من الحجج الشرعية التي يجب على الناس إجابة من دعا إلى موجبها، فإن الناس إنما عليهم إجابة الرسول فيما دعاهم إليه، وإجابة من دعاهم إلى ما دعاهم إليه الرسول ، لا إجابة من دعاهم إلى قول مبتدع، ومقصود المتكلم بها لا يُعرف إلا بعد الاستفصال والاستفسار، فلا هي معروفة في الشرع، ولا معروفة بالعقل إن لم يستفسر المتكلم بها))[2]

وقد امتنع الإمام أحمد- رحمه الله- من موافقة محمد بن عيسى برغوث على النفي والإثبات وقال هو أحد الصمد لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد تمسكاً بما ورد في الكتاب دون الألفاظ المبتدعة المجملة.

كذلك شيخ الإسلام ابن تيمية أيضا في مواقفه ومناظراته مع أهل البدع كان يتحرى الألفاظ الواردة

---

[1] (?) درء تعارض العقل والنقل ج1/271_272.
[2] (?) درء تعارض العقل والنقل ج1/230-231.

بالكتاب والسنة كما جاء ذلك في إحدى مناظراته حيث قال:

((**فقلت:** إني عدلتُ عن لفظ التأويل إلى لفظ التحريف لأن التحريف؛ اسم جاء القرآن بذمه؛ وأنا تَحَرَّيْتُ في هذه العقيدة اتباع الكتاب والسنة، فنفيت ما ذمه الله من التحريف، ولم أذكر فيها لفظ التأويل؛ لأنه لفظ له عدة معان؛ كما بينتُه في موضعه من القواعد.

فإن معنى لفظ التأويل في كتاب الله غير لفظ التأويل في اصطلاح المتأخرين من أهل الأصول والفقه. وغير معنى لفظ التأويل في اصطلاح كثير من أهل التفسير والسلف.

وقلت لهم ذكرت في النفي التمثيل، ولم أذكر التشبيه؛ لأن التمثيل نفاه الله بنص كتابه حيث قال: ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ[1] .

وأخذوا يذكرون نفي التشبيه والتجسيم، ويطنبون في هذا؛ ويعرضون بما ينسبه بعض الناس إلينا من ذلك.

فقلت قولي من غير تكييف ولا تمثيل ينفي كل باطل؛ وإنما تحريت هذين الاسمين: لأن التكييف مأثور نفيه عن السلف كما قال ربيعة، ومالك، وابن عيينة، وغيرهم المقالة- التي تلقاها العلماء بالقبول- الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة فاتفق هؤلاء السلف على أن الكيف غير معلوم لنا؛ فنفيت ذلك اتباعاً لسلف لأمـة.

وهو أيضا منفي بالنص؛ فإن تأويل آيات الصفات يدخل فيها حقيقة الموصوف. وحقيقة صفاته غير معلومة. وهذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله))[2] .

فنجد أن أئمة السلف كلهم كانوا يتجنبون الألفاظ المجملة والمعاني المشتبهة في تقرير قواعد الدين

---

1 (?) الشورى آية(11).

2 (?) مجموع الفتاوى ج3/195-196.، 166وج4/146، 147.

وأصـوله ويتحرون الألفاظ والمعاني الشرع فرارا من الفتنة والإيهام والتدليس.

فلا بد من الاستفسار و الاستفصال عن مراد المتكلم بهذه الألفاظ عند الإطلاق وإلا قد يسهل الوقوع في فخهم وضلالهم.

«وسبب ذلك ما أوقعه أهل الإلحاد والضلال من الألفاظ المجملة التي يظن الظان أن لا يدخل فيها إلا الحق، وقد دخل فيها الحق والباطل، فمن لم ينقّب عنها أو يستفصل المتكلم بها- كما كان السلف والأئمة يفعلون.- صار متناقضاً أو مبتدعاً ضالاً من حيث لا يشعر.

وكثير ممن تكلم بالألفاظ المجملة المبتدَعة كلفظ الجسم والجوهر والعَرَض وحلول الحوادث ونحو ذلك، كانوا يظنون أنهم ينصرون الإسلام بهذه الطريقة وأنهم بذلك يثبتون معرفة الله وتصديق رسول، فوقع منهم من الخطأ والضلال ما أو جب ذلك، وهذه حال أهل البدع كالخوارج وأمثالهم، فإن البدعة لا تكون حقاًّ موافقاً للسنة، إذ لو كانت لم تكن باطلاً، ولا تكون باطلاً محضاً لاحق فيه، إذ لو كانت كذلك لم تخْفَ على الناس، ولكن تشتمل على حق وباطل، فيكون صاحبها قد لبَّسَ الحق بالباطل: إما مخطئاً غالطاً، وإما متعمداً لنفاق فيه إلحاد. **كما قال تعالى:** ﴿ ... ﴾[1] [2]

وإنما المقصود هنا التنبيه على هذا الأصل:
وهو أن من أعرض عن هدى الله علمًا وعملاً؛ فإنه لا يحصل له مطلوب، ولا ينجو من مرهوب؛ بل يلحقه من المرهوب أعظم مما فر منه، ويفوته من المطلوب أعظم مما رغب فيه.

وأما المتبعون لهداه فإنهم على هدًى من ربهم وهم المفلحون، الذين أدركوا المطلوب ونجوا من المرهوب.

---

1 (?) التوبة آية(47).
2 (?) درء تعارض العقل والنقل ج2/104.105.

وهذا الذي شهد الله تعالى به في كتابه وكفى به شهيدا، قد يري العباد آياته في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق، فتتفق عليه الأدلة المسموعة والمشهودة، هي أصل العلوم الضرورية والنظرية والقياسية، التي ينتحلها أهل النظر وأهل الذوق، فتكون الأدلة الحسية والضرورية والقياسية موافقة للأدلة السمعية من الكتاب والسنة وإجماع المؤمنين، والمخالفون لهذا مخالفون لهذا، وإن ادعوا في الأول من الأقيسة العقلية، وفي الثاني من التأويلات السمعية، ما إذا تأمله اللبيب وجد مآلهم في تلك الأقيسة العقلية إلى السفسطة التي هي جحود الحقائق الموجودة، بالتمويه، والتلبيس، ومآلهم في تلك التأويلات إلى القرمطة، التي هي تحريف الكلم عن مواضعه، **وإفساد الشرع، واللغة، والعقل، بالتمويه، والتلبيس؛ وهذا أيضا سفسطة والله يهدينا وسائر إخواننا المؤمنين لما اختلف فيه من الحق بإذنه إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم**[1] .

ونستخلص من هذه النصوص العظيمة التي قررها شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله ما يلي:

1- ضرورة وجوب التمسك بألفاظ الشرع التي جاء بها الكتاب والسنة نفياً وإثباتاً فإنها مصونة ومعصومة.

2- أن النبي قد بين الشريعة وأصول الدين بها وفهم الصحابة مقصوده ومراده بها فقبلوها وعملوا بها ورضي الله عنهم و رضوا عنه.

3- أن في أقوال أهل البدعة والضلال وعمدتهم وتقريراتهم اشتباه وإجمال، فإذا وقع الاستفسار و الاستفصال تبين الهدى من الضلال والحق من الباطل.

4- أنه قد صار كل من أراد نفي شيء مما أثبته الله لنفسه والأسماء والصفات عبر ها بالألفاظ المجملة والمعاني المشتبهة عن مقصوده.

---

1 (?) بيان تلبيس الجهمية ج1/150.

5- كما أنه قد صار لكل من أراد أن يطعن في الإسلام أوفي أهله أو ينال منهم أو تفريق كلمتهم اللجوء إلى مثل هذه الألفاظ المجملة والمعاني المشتبهة فيعبر بها عن مقصوده ومراده -من أعداء الإسلام وغيرهم- للتشكيك والتلبيس.

6- كما أنه قد أفسد كثير ممن ينتسب إلى هذا الدين سمعته وانخدع أناس بدعواتهم المشبوهة وأهداهم المجهولة، ففتنوا الأمة وفتنوا أنفسهم بمثل هذه الألفاظ المجملة والمعاني المشتبهة. وصار يحصل بسبب كثرة الخوض في تلك الألفاظ المشتركة أهواء النفوس حصل بسبب ذلك فتنة وفرقة.

7- كما أنه قد كثر الطعن في العلماء وتنفير الناس عنهم، والخروج على ولاة الأمر وقتالهم وغشِّهم وتدليسهم على حقوقهم بالألفاظ المجملة والمعاني المشتبهة.

8- فهذا وغيره جعلنا نحن في هذا العصر في أَمَسِّ الحاجة إلى التمسك بألفاظ الشرع والاعتصام بمعاني الكتاب والسنة وباستفسار و الاستفصال عن مراد المتكلمين بألفاظهم المجملة ومقصودهم لكثرة ما لبس فيها الحق بالباطل وتفرق بسببها الأمة كلفظ (الجهاد، والإرهاب، والهجر، ووجوب الحاكمية، والأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وحتى القول بوجوب موالاة أهل البيت وغيرها قد دخل فيه حق وباطل وباطله أكثر من حقه، والله يهدينا إلى الصراط المستقيم.

المطلب الثاني: إلزام الناس بطريقة أو مقالة معينة أو شعار معين

بين شيخ الإسلام ابن تيمية أنه لا ينبغي إلزام أحدٍ أحداً من الناس بطريقة معنية أو طائفة معينة أو حزب معين أو شعار أو نحوه مما لم يلزم به الشرع فإن ذلك من أسباب تفريق هذه الأمـة والتباغض و التعادي، وأن الواجب قبول الحق الموافق للكتاب والسنة بالاتفاق وأنه لم يكن للصحابة رضوان الله عليهم طريقا يلتزمونها غير طريق رسول الله المعصوم وهو الصراط المستقيم وأن إلزام الناس بطريقة أو شعار أو مقالة معينة بدعة وجهل وضلال وفرقة وعذاب وأنه يجب قبول الحق الموافق لكتاب الله وسنة الرسول مطلقاً من أي شخص كان وأي طائفة كانت.وتفريق الناس وتشتيتهم بين الطرق الصوفية والشعارات المبتدَعة وغيرها وإلزام الناس بها جهل بالدين وظلم للأمة المحمدية.

**أن الطريقة التي يجب إلزام كل الناس بها هي طريق واحدة وهو ما جاء به الكتاب والسنة على لسان رسول الله **

فقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((فالأمـور المشتركة بين الأمة لا يحكم فيها إلا الكتاب والسنة، ليس لأحد أن يلزم الناس بقول عالم ولا أمير ولا شيخ ولا ملك))[1]

وتفصيل هذا كما يأتي من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- قال : ((وقد أوجب الله طاعة الرسول على جميع الناس في قريب من أربعين موضعاً من القرآن، وطاعته طاعة الله: وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وذلك هو دين الله وهو الإسلام. وكل من أمر الله بطاعته من عالم وأمير ووالد وزوج؛ فلأن طاعته طاعة لله. وإلا فإذا أمر بخلاف طاعة الله فإنه لا طاعة له[2] .

---

1 (?) منهاج السنة ج5/132.

2 (?) مجموع الفتاوى ج19/260

وأن إلزام الناس بما لم يلزمهم الله ورسوله ومنعهم أن يتبعوا ما جاء به الكتاب والسنة حرام بإجماع المسلمين والحكم به باطل بإجماع المسلمين[1].

كثير من أرباب العبادة والتصوف يأمرون بملازمة الذكر ويجعلون ذلك هو باب الوصول إلى الحق، وهذا حسن إذا ضموا إليه تدبر القرآن والسنة واتباع ذلك، وكثير من أرباب النظر والكلام يأمرون بالتفكر، والنظر، ويجعلون ذلك هو الطريق إلى معرفة الحق.

والنظر صحيح إذا كان في حق ودليل كما تقدم؛ فكل من الطريقين فيها حق لكن يحتاج إلى الحق الذي في الأخرى، ويجب تنزيه كل منهما عما دخل فيها من الباطل. وذلك كله باتباع ما جاء به المرسلون وقد بسطنا الكلام في غير هذا الموضع، وبينا طرق أهل العبادة والرياضة والذكر وطريق أهل النظر والاستدلال وما في كل منهما من مقبول ومردود، وبينا ما جاءت به الرسالة من الطريق الكاملة الجامعة لكل حق وليس هذا موضع بسط ذلك [2] .

((وَإِنَّمَا يَنْجُو الْعَبْدُ بِمُلَازَمَةِ أَمْرِ اللَّهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ رَسُولَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ . كَمَا قَالَ الزُّهْرِيُّ : كَانَ مَنْ مَضَى مِنْ سَلَفِنَا يَقُولُونَ : ((الاعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ)) . وَذَلِكَ أَنَّ السُّنَّةَ - كَمَا قَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ - مِثْلُ سَفِينَةِ نوح مَنْ رَكِبَهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ . وَالْعِبَادَةُ وَالطَّاعَةُ وَالِاسْتِقَامَةُ وَلُزُومُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنْ الأسماء مَقْصُودُهَا وَاحِدٌ وَلَهَا أَصْلانِ : " أَحَدُهُمَا " ألا يُعْبَدَ إلا اللَّهُ .

وَ " الثَّانِي " أَنْ يُعْبَدَ بِمَا أَمَرَ وَشَرَعَ لَا بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْبِدَعِ . **قَالَ تَعَالَى :** ﭽ ﭼ[3] **وَقَالَ تعالى:** ﭽ ﯼ ﯽ ﯾ

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج27/308.

2 (?) مجموع الفتاوى ج4/40.

3 (?) الكهف.

چ[1] **وقال تَعَالَى** چ ک ڪ گ گ ڳ ڳ ڱ
ڱ ڱ ڲ ڳ ڳ ڴ ڴ ڵ ڵ ں ں ڻ ڻ ڼ ڽ چ[2] .

فَالْعَمَلُ الصَّالِحُ هُوَ الإِحْسَانُ وَهُوَ فِعْلُ الْحَسَنَاتِ . و " الْحَسَنَاتُ " هِيَ مَا أَحَبَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَهُوَ مَا أَمَرَ بِهِ أَمْرَ إيجَابٍ أَوْ اسْتِحْبَابٍ فَمَا كَانَ مِنْ الْبِدَعِ فِي الدِّينِ الَّتِي لَيْسَتْ مَشْرُوعَةً فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّهَا وَلا رَسُولُهُ فَلا تَكُونُ مِنْ الْحَسَنَاتِ وَلا مِنْ الْعَمَلِ الصَّالِحِ))[3].

فكلام شيخ الإسلام هذا يبين أن النجاة والفلاح في الاستقامة على أمر الله ورسوله وتقديم منهج الرسول في الاعتقاد والسلوك والأخلاق على ما ابتدعه غيره . وأنه يجب تلقي هذا كله من جهة الرسول والاستغناء بها عن العقليات و الكلاميات والذوقيات والسلوكيات المتكلفة المحدثة .

قال: ((وكثير من الفقهاء المتأخرين أو أكثرهم يقولون: إنهم عاجزون عن تلقي جميع الأحكام الشرعية من جهة الرسول، فيجعلون نصوص أئمتهم بمنزلة الرسول ويقلدونهم**.**

وَلا رَيْبَ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ يَحْتَاجُ إلَى تَقْلِيدِ الْعُلَمَاءِ فِي الأُمُورِ الْعَارِضَةِ الَّتِي لا يَسْتَقِلُّ هُوَ بِمَعْرِفَتِهَا، **وَمِنْ سَالِكِي طَرِيقِ الإرادة وَالْعِبَادَةِ وَالْفَقْرِ وَالتَّصَوُّفِ مَنْ يَجْعَلُ شَيْخَهُ كَذَلِكَ،** بَلْ قَدْ يَجْعَلُهُ كَالْمَعْصُومِ ! وَلاَ يَتَلَقَّى سُلُوكَهُ إلاَّ عَنْهُ، وَلاَ يَتَلَقَّى عَنْ الرَّسُولِ سُلُوكَهُ، مَعَ أَنَّ تَلَقِّي السُّلُوكِ عَنْ الرَّسُولِ أَسْهَلُ مِنْ تَلَقِّي الْفُرُوعِ الْمُتَنَازَعِ فِيهَا ؛ **فَإِنَّ السُّلُوكَ هُوَ بِالطَّرِيقِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا وَرَسُولُهُ مِنْ الاعْتِقَادَاتِ وَالْعِبَادَاتِ وَالأَخْلاَقِ وَهَذَا كُلُّهُ مُبَيَّنٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ** ؛ فَإِنَّ هَذَا بِمَنْزِلَةِ الْغِذَاءِ الَّذِي لاَ بُدَّ لِلْمُؤْمِنِ مِنْهُ . وَلِهَذَا كَانَ جَمِيعُ الصَّحَابَةِ يَعْلَمُونَ السُّلُوكَ بِدَلاَلَةِ الْكِتَابِ

---

[1] (?) البقرة.
[2] (?) النساء.
[3] (?) مجموع الفتاوى ج 10/127

وَالسُّنَّةِ وَالتَّبْلِيغِ عَنْ الرَّسُولِ، لاَ يَحْتَاجُونَ فِي ذَلِكَ إلَى فُقَهَاءِ الصَّحَابَةِ، وَلَمْ يَحْصُلْ بَيْنَ الصَّحَابَةِ نِزَاعٌ فِي ذَلِكَ كَمَا تَنَازَعُوا فِي بَعْضِ مَسَائِلِ الْفِقْهِ الَّتِي خَفِيَتْ مَعْرِفَتُهَا عَلَى أَكْثَرِ الصَّحَابَةِ وَكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ فِي الْفُتْيَا وَالأَحْكَامِ ؛ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَسْتَفْتُونَ فِي ذَلِكَ»[1] .

ثم قال أيضاً: و« كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْعِبَادَةِ وَ الزَّهَادَةِ أَعْرَضَ عَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ النَّبَوِيِّ الَّذِي يَعْرِفُ بِهِ طَرِيقَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَاحْتَاجَ لِذَلِكَ إلَى تَقْلِيدِ شَيْخ .

وَفِي السُّلُوكِ مَسَائِلُ تَنَازَعَ فِيهَا الشُّيُوخُ، لَكِنْ يُوجَدُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ النُّصُوصِ الدَّالَّةِ عَلَى الصَّوَابِ فِي ذَلِكَ مَا يَفْهَمُهُ غَالِبُ السَّالِكِينَ، فَمَسَائِلُ السُّلُوكِ مِنْ جِنْسِ مَسَائِلِ الْعَقَائِدِ كُلُّهَا مَنْصُوصَةٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، **وَإِنَّمَا اخْتَلَفَ أَهْلُ الْكَلَامِ لَمَّا أَعْرَضُوا عَنْ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَلَمَّا دَخَلُوا فِي الْبِدَعِ وَقَعَ الاخْتِلافُ، وَهَكَذَا طَرِيقُ الْعِبَادَةِ عَامَّةُ مَا يَقَعُ فِيهِ مِنْ الِاخْتِلَافِ إنَّمَا هُوَ بِسَبَبِ الْإِعْرَاضِ عَنْ الطَّرِيقِ الْمَشْرُوعِ فَيَقَعُونَ فِي الْبِدَعِ فَيَقَعُ فِيهِمْ الْخِلافُ»**[2]

فظهر من كلام شيخ الإسلام أن سبب وقوع أهل الكلام والصوفية وغيرهم من أصحاب الطرق هو تركهم الاعتصام بالكتاب والسنة بإعراضهم عنهما وهذا أصل عظيم يجب معرفتها.

وأيضا أنه لا حلال إلا ما أحله الله ورسوله ولا حرام إلا ما حرمه الله ورسوله ولا دين إلا ما شرعه الله.

قال شيخ الإسلام : « وأصل الدين أن الحلال ما أحله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله، والدين ما شرعه الله ورسوله، ليس لأحد أن يخرج عن الصراط المستقيم الذي بعث الله به رسوله **قال**

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج19/272، 273

2 (?) مجموع الفتاوى ج10/273، 274.

تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ[1] .

وفي حديث ابن مسعود عن النبي أنه خط خطا، وخط خطوطاً عن يمينه وشماله ثم قال «هذه سبيل الله وهذه سبل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ وﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌﮍ ﭼ[2] .

«وهذا أصل عظيم من أصول سبيل الله وطريقه يجب الاعتناء به، وذلك أن كثيراً من الأفعال قد يكون مباحاً في الشريعة، أو مكروهاً، أو متنازعاً في إباحته وكراهته، وربما كان محرماً أو متنازعًا في تحريمه، فتستحبُّه طائفة من الناس يفعلونه على أنه حسن مستحب، ودين وطريق يتقربون به، حتى يعدُّون ذلك أفضل ممن لا يفعله، وربما جعلوا ذلك من لوازم طريقتهم إلى الله، أو جعلوه شعار الصالحين وأولياء الله، ويكون ذلك خطأً وضلالاً وابتداع دين لم يأذن به الله.

مثال ذلك: حلق الرأس في غير الحج والعمرة لغير عذر، فإن الله ذكر في كتابه حلق الرأس وتقصيره في النسك، وذكر حلقه لعذرٍ في قوله: ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ[3] .

وأما حلقه لغير ذلك فقد تنازع العلماء في إباحته وكراهته نزاعاً معروفاً على قولين هما روايتان عن أحمد. ولا نزاع بين علماء المسلمين وأئمة الدين أن ذلك لا يُشرع ولا يستحب، ولا هو من سبيل الله وطريقه، ولا من الزهد المشروع للمسلمين، ولا مما أثنى الله به على أحد من الفقراء.

ومع هذا فقد اتخذه طوائف من النساك الفقراء والصوفية ديناً، حتى جعلوه شعاراً وعلامةً على أهل الدين والنسك والخير والتوبة[4] والسلوك إلى الله المشير إلى الفقر والصوفية، حتى أن من لم يفعل ذلك

---

1 (?) الأنعام.

2 (?) الأنعام (153) والحديث تقم تخريجه.

3 (?) البقرة آية(196).

يكون منقوصاً عندهم خارجاً عن الطريقة المفضَّلة المحمودة عندهم، ومن فعل ذلك دخل في هديهم وطريقهم.

وهذا ضلال عن طريق الله وسبيله باتفاق المسلمين، واتخاذ ذلك ديناً وشعاراً لأهل الدين من أسباب تبديل الدين، بل جعله علامةً على المروق من الدين أقرب، فإن الذي يكرهه- وإن فعله صاحبه عادة لا عبادة-يحتج بأنه من سيماء الخوارج المارقين الذين جاءت الأحاديث الصحاح عن النبي بذمهم من غير وجه، ورُوى عنه : ((سيماهم التحليق))[1] .

فإذا كان هذا سيماء أولئك المارقين- وفي المسند والسن عن النبي أنه قال: ((من تشبه بقوم فهو منهم))[2] – كان هذا على بعده من شعار أهل الدين أوْلى من العكس.

ولهذا لما جاء صبيغ بن عسل التميمي إلى عمر بن الخطاب وسأله عما سأله من المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وضربه ضرباً عظيما، كشف رأسه فوجده ذا ضفيرتين، فقال: لو وجدتك محلوقاً لضربت الذي فيه عيناك، لأنه لو وجده محلوقاً استدل على أنه من الخوارج المارقين، وكان يقتله لأمر النبي بقتالهم.

ولا ريب أن الخوارج كان فيهم من الاجتهاد في العبادة والورع ما لم يكن في الصحابة، كما ذكره النبي ، لكن لما كان على غير الوجه المشروع أفضى بهم إلى المروق من الدين.

---

4 (?)ولا زال هذا يُتخذ شعاراً وطقوساً عند أصحاب الطرق وقد شهدتُ مراراً من أراد الدخول إلى الإسلام يوجبون عليه الغسل وحلق شعره أولا قبل النطق بالشهادتين ونحو هذا .

1 (?) تقدم الكلام عنه وتخريجه.

2 (?) رواه أبو داود في سننه ج4/314 كتاب اللباس باب في لبس الشهرة.والطبراني في الأوسط ج8/179 ومصنف ابن أبي شيبة ج4/212. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم(2831) وفي الإرواء رقم(2384).

وكانوا يتشددون في أمر الذنوب والمعاصي حتى كفَّروا المسلمين و أوجبوا لهم الخلود في النار.

ولا ريب أن كثيرا من النساك والعباد والزهاد قد يكون فيه شعبة من الخوارج، وإن كان مخالفاً لهم في شعب أخرى. فلزوم زيٍّ معيّنٍ من اللباس، سواء كان مباحاً أو كان مما يقال: إنه مكروه، بحيث يجعل ذلك ديناً ومستحباً وشعاراً لأهـل الدين، هو من البدع أيضاً، فكما أنه لا حرام إلا ما حرمه الله، فلا دين إلا ما شرعه الله[1] .

وذلك أن الأمور التي ليست مستحبة في الشرع لا يجوز التعبد بها باتفاق المسلمين، ولا التقرب بها إلى الله ولا اتخاذها طريقاً إلى الله وسبباً لأن يكون الرجل من أولياء الله وأحبائه، ولا اعتقاد أن الله يحبها أو يحب أصحابها كذلك، أو اتخاذها يزداد به الرجل خيراً عند الله وقربة إليه، ولا أن يجعل شعارًا للتائبين المريدين وجه الله، الذين هم أفضل ممن ليس مثلهم.

فهذا أصل عظيم تجب معرفته والاعتناء به، وهو أن المباحات إنما تكون مباحة إذا جعلت مباحات، فأما إذا اتخذت واجبات أو مستحبات كان ذلك ديناً لم يشرعه الله، وجعل ما ليس من الواجبات والمستحبات منها بمنزلة جعل ما ليس من المحرمات منها، فلا حرام إلا ما حرم الله؛ ولا دين إلا ما شرعه الله؛ ولهذا عظم ذم الله في القرآن لمن شرع ديناً لن يأذن الله به، ولمن حرم ما لم يأذن الله بتحريمه فإذا كان هذا في المباحات فكيف بالمكروهات أو المحرمات؟! ولهذا كانت هذه الأمور لا تلزم بالنذر، فلو نذر الرجل فعل مباح أو مكروه أو محرم لم يجب عليه فعله كما يجب عليه إذا نذر طاعة الله أن يطيعه؛ فلا يصير بالنذر ما ليس بطاعة ولا عبادة طاعـة وعبادة[2] .

---

1 (?) كتاب الاستقامة ج1/255، 256، 257، 258، 259، 260.

2 (?) مجموع الفتاوى ج11/ 450،451.

وقد كثر اتخاذ مثل هذه الشعارات دينا وقربة وصفات يتميز بها أهلها عن باقي المسلمين، بل لقد صار لكل طريقة من الطرق الصوفية وغيرها شعارات وطقوس تتميز بها عن باقي المسلمين, ومن التزمها فهو المؤمن الحقيقي المقرب.

وكما أن لكل طائفة أو أهل طريقة طريقتها الخاصة في العبادة ويجب على المريد التزامها هي تعاليم من وضع شيخ الطريقة مثلا : كأوراد وأذكار معينة تقال في أوقات معينة يلتزمها المريد يقدمها إليه شيخ الطريقة أو من يقوم مقامه من أهل الطريقة ، وكذلك نوع خاص من الصلاة على النبي ولا بد من التزام بها في حاجة وعبادة **أو نوع** معين من اللباس أو البرنس أو العمامــة وغيرها يوالي عليها ويعادي ، مما لها أثر كبير في تفريق الأمـة

فبين شيخ الإسلام أنه : ((ليس لأحد أن ينصب للأمة شخصاً يدعو إلي طريقته ويوالي عليها ويعادي غير النبي ، ولا ينصب لهم كلاما يوالي عليه ويعادي غير كلام الله تعالى ورسوله وما اجتمعت عليه الأمـة، بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصاً أو كلاما يفرقون به بين الأمة يوالون على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون))[1] .

((ولا يلتفت إلى ما أحدثه بعض المتصوفة من الآداب التي لا أصل لها في الدين من التزام شكل مخصوص في اللبسة ونحوها مما لا يستحب في الشريعة، فإن مبنى الآداب على اتباع لسنة))[2]

((وليس لأحد أن ينكر على الناس إلا بحجةٍ وبيان، إذ ليس لأحد أن يلزم أحداً بشيء ولا يحظر على شيء بلا حجة خاصة إلا رسول الله المبلغ عن الله الذي أو جب على الخلق طاعته فيما أدركته عقولهم وما لم تدركه، وخبره مصدق فيما علمناه وما لم نعلمه.

---

1 (?) درء تعارض العقل والنقل ج1/272.

2 (?) مجموع الفتاوى ج31/55.

فليس لأحد من خلق الله كائناً من كان أن يبطل قولا أو يحرم فعلا إلا بسلطان الحجة))[1]

((فمحمد أرسل إلى كل أحد وإلى جميع الخلق من الإنس والجن كتابيهم وغير كتابيهم،عربهم و عجمهم، وفرسهم و هندهم، وبربرهم وورومهم، وسائر أصناف العجم أسودهم وأبيضهم، - المراد بالعجم من ليس بعربي على اختلاف ألسنتهم-في كل ما يتعلق بدينه من الأمور الباطنة والظاهرة، في عقائده وحقائقه، وطرائقه وشرائعه، فلا عقيدة إلا عقيدته ولا حقيقة إلا حقيقته، ولا طريقة إلا **طريقته ولا شريعته إلا شريعته** ولا يصل أحد من الخلق إلى الله وإلى رضوانه وجنته وكرامته وولايته إلا بمتابعته باطناً وظاهراً في الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة في أقوال القلب وعقائده، وأحوال القلب وحقائقه، وأقوال اللسان وأعمال الجوارح**.**

وليس لله ولي إلا من اتبعه باطنًا وظاهراً فصدقه فيما أخبر به من الغيوب والتزام طاعته فيما فرض على الخلق من أداء الواجبات وترك المحرمان، فمن لم يكن له مصدقاً فيما أخبر به ملتزماً طاعته فيما أو جب وأمر به في الأمور الباطنة التي في القلوب والأعمال الظاهرة التي على الأبدان لم يكن مؤمناً فضلاً عن أن يكون وليّاً لله ولو حصل له من خوارق العادات ما ذا عسى أن يحصل))[2] .

ولهذا تجد أرباب الحروف والكلام المبتدع كالمعتزلة يوجبون طريقتهم ويحرمون ما سواها، ويعتقدون أن العقوبة الشديدة لاحقة من خالفها، حتى إنهم يقولون: بتخليد فُسّاق أهل الملل، ويكفِّرون من خرج عنهم من فرق الأمة، وهذا التشديد و الآصار والأغلال شبه دين اليهود.

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج3/245.

[2] (?) مجموع الفتاوى ج10/341.

وتجد أرباب الصوت والعمل المبتدع لا يوجبون ولا يحرمون؛ وإنما يسحبون ويكرهون، فيعظمون طريقهم، ويفضلونه ويرغبون فيه يرفعوه فوق قدره بدرجات.

فطريقهم رغبة بلا رهبة إلا قليلا، كما أنَّ الأول رهبة في الغالب برغبة يسيرة، وهذا شبه عليه النصارى من الغلو في العبادات التي يفعلونها من انحلالهم من الإيجاب والاستحباب يتعبدون بعبارات كثيرة ويبقون أزماناً كثيرة على سبيل الاستحباب. والفلاسفة يغلب عليهم هذا الطريق كما أن المتكلمين يغلب عليهم الطريق الأول[1]. **ومن نظر في أمر هؤلاء نظرة تأمل وجد أن كل طائفة من هذه الطوائف قد ترك حظا مما ذكر بها وهو الاعتصام بالكتاب والسنة فوقعت في الفرقة والاختلاف** فصارت كل طائفة تُكَفِّر من خالف طريقها وتفضل طريقها على غيرها كما قرر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

والخلاصة:

1- **أنه لا يجوز إلزام الناس بشيء لم يلزمهم الله به ولا رسوله من الاعتقادات والعبادات والأخلاق و السلوك.**

2- **أن الطريق التي يجب على الجميع سلوكه ولزوم كل ما جاء به من التزام أوامره وانتهاء نواهيه هو طريق رسول الله المعصوم**.

3- **أنه يجب مجانبة كل طريق تخالف طريق رسول الله وتحذير الناس منها.**

4- **أن تفريق الأمـة بهذه الطرق والسبل وما تتضمنها من الشعارات والعهـود لا يجوز بحال من الأحوال فإن الله ورسوله قد حذرا من ذلك.**

5- **يجب أن يعلم جميع المسلمين أنه لم يكن لأحد من الصحابة إلى الله طريق إلا متابعة رسول الله وطاعته وأفضلهم أقومهم بالمتابعة. وأن هذه الطرق كلها ظهرت بعد انقراض عصرهم.**

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج8/259- 260.

6- أن كل من جعل طريق أحد من العلماء والفقهاء أو المشايخ أو طريق من العلماء والعُبَّاد والنساك أفضل من طريق الصحابة فهو مخطئ ضال مبتدع.

المطلب الثالث: التعصب الطائفي أو المذهبي أو الحزبي وأثره في تفريق الأمة

من الصفات التي ذمها الشارع الحكيم ونهى عنها وعن أسبابها التعصب لغير دين الله ولغير لرسوله صلى الله عليه وسلم و لما وافق ما جاء به من عند الله، وبين شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- أنّ الله تعالى ورسوله قد ذما التعصب والتقليد الأعمى بلا دليل ولا برهان من الله ورسوله، وبين أن المؤمن إذا تبين له الحق يجب عليه قبوله واتباعه من أي طائفة كانت ومن أي شخص كان، وأمر بالجماعة والائتلاف والتعاون على البر والقوى ونهى عن الفرقة والاختلاف والتعاون عن الإثم والعدوان، ومن تعصب لطائفة أو مذهب معين ففيه شبه من اليهود وهو من فعل الجاهلية المفرقة بين الأمـة.

التعصب الطائفي وأثره في التفرق والاختلاف

بين شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- أنّ التعصب والتقليد الأعمى من دين اليهود وصفاتهم وقد ذمَّ الله تعالى ذلك في كتابه وذلك أن اليهود

((كانوا يعرفون الحق قبل ظهور الناطق به، والداعي إليه، فلما جاءهم الناطق به من غير طائفة يهوونها لم ينقادوا له، وأنهم لا يقبلون الحق إلا من الطائفة التي هم منتسبون إليها، مع أنهم لا يتبعون ما لزمهم في اعتقادهم.

قال الله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ[1] .

ومن كان لا يقبل الحق إلا من طائفة معينة، ثم لا يتمسك بما جاءت به من الحق ففيه شبه من اليهود كما في الآية

---

[1] (?) البقرة (170).

فإن اليهود قالوا: لا نؤمن إلا بما أُنزل علينا قال الله تعالى لهم ﭽ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ[1] إن كنتم مؤمنين بما أنزل عليكم، يقول سبحانه وتعالى: لا لما جاءتكم به أنبياؤكم تتبعون، ولا لما جاءتكم به سائر الأنبياء تتبعون، ولكن إنما تتبعون أهواءكم، فهذا حال من لم يقبل الحق، لا من طائفته ولا من غيرها، مع كونه يتعصب لطائفته بلا برهان من الله ولا بيان.

وهذا يبتلى به كثير من المنتسبين إلى طائفة معينة في العلم أو الدين، من المتفقهة، أو المتصوفة، أو غيرهم. أو إلى رئيس معظم عندهم في الدين- غير النبي ﷺ- فإنهم لا يقبلون من الدين رأيًا ولا روايةً إلا ما جاءت به طائفتهم، ثم إنهم لا يعلمون ما توجبه طائفتهم، مع أن دين الإسلام يوجب اتباع الحق مطلقاً: رواية ورأياً، من غير تعيين لشخصٍ أو طائفة – غير الرسول ﷺ -))[2] .

وهذا التعصب الطائفي قد أوجب بين الأمة التفرق والاختلاف والتباين كما أوجب التحزُّبات والتباغض واتباع غير ما أنزل الله وكثير من الطوائف يتعصب على غيره ولا يقبل منه شيئاً من القول لا رأياً ولا روايةً حقاً أو باطلاً.

و((كما يفعل ذلك من يجمع الآثار ويتأولها في كثير من المواضع بتأويلات يبين فسادها لتوافق القول الذي ينصره.

كل ذلك من أمور الجاهلية المفرقة بين الأمة وأهلها خارجون عن السنة والجماعة، داخلون في البدع والفرقة، بل دين الله تعالى: أن يكون رسوله ﷺ: هو المطاع أمره ونهيه، المتبوع في محبته وعصيته، ورضاه،

---

[1] (?) البقرة .

[2] (?) اقتضاء الصراط ج1/86-87. ومجموع الفتاوى ج5/ 100.

وسخطه، وعطائه، ومنعه، وموالاته، ومعاداته، ونصره، وخذلانه))[1] .

فقد أوقع التعصب الطائفي بين الأمة العداوة والبغضاء والفرقة والاختلاف كما أشار إليه شيخ الإسـلام ابن تيمية – رحمه الله-.

قال: ((لكن أعظم المهم في هذا الباب وغيره تمييز السنة من البدعة ، إذ السنة ما أمر به الشارع، والبدعة ما لم يشرعه من الدين، فإن هذا الباب كثر فيه اضطراب الناس في الأصول والفروع حيث يزعم كل فريق أن طريقه هو السنة وطريق مخالفه هو البدعة، ثم يحكم على مخالفه بحكم المبتدع، فيقوم من ذلك من الشر ما يحصيه إلا الله.

وأول من ضل في ذلك هم الخوارج المارقون حيث حكموا لنفوسهم بأنهم المتمسكون بكتاب الله وسنته، وأن عليا ومعاوية والمعسكرين هم أهل المعصية والبدعة، فاستحلوا ما استحلوه من المسلمين))[2] .

وهذا الشر الذي وقع في الأمة من العداوة والبغضاء والفرقة واستحلال دماء بعضهم البعض كل هذا سببه التعصب الطائفي .

من أسباب تفرق هذه الأمـة التعصب المذهبي

بين شيخ الإسلام ابن تيمية أن التعصب لمذهب أحد من العلماء أو الأئمة أو لأحد من الصحابة من أسباب الفرقة والاختلاف ويوقع بين الأمة العداوة والبغضاء، بل الشر العظيم وقد نهى الله عن ذلك وبين شيخ الإسلام أيضا أن التعصب المذهبي قد أوقع في الأمة الفرقة والاختلاف والعداوة و البغضاء كما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتبه وحذر من ذلك ، فقال – رحمه الله-:

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج3/343. وج24/154.

2 (?) الاستقامة ج1/13.

((قد أمر الله تعالى المؤمنين بالاجتماع والائتلاف، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف فقال تعالى: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶﭷ ﭼ[1]

فأئمة الدين هم على منهاج الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، والصحابة كانوا مؤتلفين متفقين، وإن تنازعوا في بعض فروع الشريعة في الطهارة أو الصلاة أو الحج أو الطلاق أو الفرائض أو غير ذلك فإجماعهم حجة قاطعة.

ومن تعصب لواحد بعينه من الأئمة دون الباقين فهو بمنزلة من تعصب لواحد بعينه من الصحابة دون الباقين. كالرافضي الذي يتعصب لعلي دون الخلفاء وجمهور الصحابة. وكالخارجي الذي يقدح في عثمان وعلى علي رضي الله عنهما. فهذه طرق أهل البدع والأهواء الذين ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أنهم مذمومون، خارجون عن الشريعة والمنهاج الذي بعث الله به رسوله □. فمن تعصب لواحد من الأئمة بعينه ففيه شبه من هؤلاء، سواء تعصب لمالك أو الشافعي أو أبي حنيفة أو أحمد أو غيرهم.

ثم غاية المتعصب لواحد منهم أن يكون جاهلاً بقدره في العلم والدين، وبقدر الآخرين، فيكون جاهلاً ظالما، والله يأمر بالعلم والعدل، وينهى عن الجهل والظلم. قال تعالى: ﭽ □ □□ □ □ □ □ □ ﭼ[2] .

وبلاد الشرق من أسباب تسليط الله التتر عليها كثرة التفرق والفتن بينهم في المذاهب وغيرها، حتى تجد المنتسب إلى الشافعي يتعصب لمذهبه على مذهب أبي حنيفة حتى يخرج عن الدين، والمنتسب إلى أبي حنيفة يتعصب لمذهبه على مذهب الشافعي وغيره حتى يخرج عن الدين، والمنتسب إلى أحمد يتعصب على مذهب هذا أو هذا.

---

1 (?) آل عمران)102-103)
2 (?) الأحزاب.

وفي المغرب حتى تجد المنتسب إلى مالك يتعصب لمذهبه على هذا أو هذا . وكل هذا من التفرق والاختلاف الذي نهى الله ورسوله عنه))[1] .

فالواجب على كل مؤمن موالاة المؤمنين، وعلماء المؤمنين، وأن يقصد الحق ويتبعه حيث وجده، ويعلم أن من اجتهد منهم فأصاب فله أجران، ومن اجتهد منهم فأخطأ فله أجر لاجتهاده، وخطؤه مغفور له. وعلى المؤمنين أن يتبعوا إمامهم إذا فعل ما يسوغ؛ وليس لأحد أن يتخذ قول بعض العلماء شعاراً يوجبه، وينهى عن غيره مما جاءت به السنة، وإذا كان الرجل متبعاً لأبي حنيفة أو مالك أو الشافعي أو أحمد: ورأى في بعض المسائل أن مذهب غيره أقوى فاتبعه كان قد أحسن في ذلك، ولم يقدح ذلك في دينه ولا عدالته بلا نزاعٍ؛ بل هذا أولى بالحق، وأحب إلى الله ورسوله ممن يتعصب لواحد معين، غير النبي كمن يتعصب لمالك أو الشافعي أو أحمد أو أبي حنيفة، ويرى قول هذا المعين هو الصواب الذي ينبغي اتباعه، دون قول الإمام الذي خالفه.

فمن فعل هـذا كان جاهلا ضالاً؛ بل قد يكون كافراً؛ فإنه متى اعتقد أنه يجب على الناس اتباع واحد بعينه من هؤلاء الأئمة دون الإمام الآخر فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا قتل. بل غاية ما يقال: إنه يسوغ أو ينبغي أو يجب على العامي أن يقلد واحداً لا بعينه، من غير تعيين زيد ولا عمرو.

وأما أن يقول: إنه يجب على العامة تقليد فلان أو فلان، فهذا لا يقوله مسلم.

وجمهور المتعصبين لا يعرفون من الكتاب والسنة إلا ما شاء الله، بل يتمسكون بأحاديث ضعيفة، أو آراء فاسدة أو حكايات عن بعض العلماء والشيوخ قد يكون صدقاً، وقد يكون كذباً، وإن كانت صدقاً فليس صاحبها معصوماً يتمسكون بنقل غير مصدق، عن قائل غير

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج 2/251، 252، 254.

معصوم، ويدعون النقل المصدق عن القائل المعصوم وهو ما نقله الثقات من أهل العلم ودونوه في الكتب الصحاح، عن النبي .

وكل هؤلاء المتعصبين بالباطل، المتبعين الظن، وما تهوى الأنفس المتبعين لأهوائهم بغير هدى من الله، مستحقون للذم والعقاب. فإن الاعتصام بالجماعة والائتلاف من أصول الدين، والفرع المتنازع فيه من الفروع الخفية، فكيف يقدح في الأصل بحفظ الفرع[1]

وأيضاً ((قد يقول كثير من علماء المسلمين أهل العلم والدين من الصحابة والتابعين وسائر أئمة المسلمين كالأئمة الأربعة وغيرهم أقوالاً باجتهادهم؛ فهذه يسوغ القول بها، ولا يجب على كل مسلم أن يلتزم إلا قول رسول الله ؛ فهذا هو شرع دخل فيه التأويل والاجتهاد، وقد يكون في نفس الأمر موافقاً للشرع المنزل فيكون لصاحبه أجران، وقد لا يكون موافقاً له؛ لكن لا يكلف الله نفساً إلا وسعها؛ فإذا اتقى العبد الله ما استطاع آجره الله على ذلك، وغفر له خطأه.

ومن كان هكذا لم يكن لأحد أن يذمه ولا يعيبه ولا يعاقبه ولكن إذا عرف الحق بخلاف قوله لم يجز ترك الحق الذي بعث الله به رسوله لقول أحدٍ من الخلق، وذلك هو الشرع المنزل من عند الله، وهو الكتاب والسنة وهو دين الله ورسوله لتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله لا يجاهدون على قول عالم[2] ولا شيخ ولا متأول؛ بل يجاهدون ليعبد الله وحده [3] ويكون الدين له، كما في المسند عن ابن عمر قال: قال رسول

[1] (?) مجموع الفتاوى ج22/248، 254، 255.

[2] (?) هذا رد على الفئات الضالة الذين ينادون إلى الجهاد المشبوه بدون ضوابظ شرعية صحيحة مبنية على فهم العلماء الربانيين أويتعصبون لأقوال بعض من ليس من أهل العلم والفقه ولاذوي البصيرة أو نحو ذلك.

[3] (?) لا لأجل الرياسة والمال أو المناصب الدنيوية ولا لأجل إقامة البدع والخرافات ودمج الحق بالباطل.

الله ﷺ: ((بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم))[1] [2] .

فيجب على الناس جميعاً التعصب لدين الله ولكتابه ولرسوله ﷺ وللحق الذي جاء به دون غيرها.

وليس لأحد كائنا من كان أن يتعصب لمذهب معين من المذاهب بل يجب عليه اتباع الحق وكل واحد من الناس يؤخذ من أقواله ويترك إلا المعصوم ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا يوحي .

ومن المعلوم أن التعصب المذهبي له آثار سلبية في تحقيق الجماعة والائتلاف، بل له أثره البالغ في تفريق الأمة وتخريبها وإثارة الفتن و النعرات الجاهلية، وقطع العلاقات الأخوية الإيمانية.

التعصب الحزبي

بين شيخ الإسلام أن الدين الإسلامي مبني على الوحدانية فربنا واحد ونبينا واحد وكتابنا واحد وغايتنا هو الحق واحد والمؤمنون جماعة واحدة لا جماعات متفرقة إلا أن التعصب الحزبي فرق الأمـة حتى تقطع أمرهم بينهم وجعلهم شيعاً متناحرين متعادين ومتقاطعين ومتفرقين إلى فرق وأحزاب شتى وتحالفوا وكل يوالي من وافقه ويعادي من خالفه ويراه مقصراً بل ضالا منحرفاً وهالكـاً فنهى عن ذلك وحذر منه.

النهي عن التحزب والتعصب لغير دين الله ولعباده المؤمنين ووجوب موالاة جميع المؤمنين قال تعالى :

---

1 (?) مسند أحمد ج1/2 وج2/50 وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم(2831).

2 (?) مجموع الفتاوى ج35/366- 367.

ﭽ ﯖ ﯗ ﮱ ﮲ ﮳ ﮴ ﮵ ﮶ ﮷ ﮸ ﮹ ﮺ ﮻ ﮼ ﮽ ﮾ ﮿ ﯀ ﯁ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ
ﯓ ﯔ ﯕ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ
ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﭼ[1].

قال شيخ لإسلام: ((أخبر الله أن ولي المؤمن هو الله ورسوله وعباده المؤمنين. وهذا عام في كل مؤمن موصوف بهذه الصفة سواء كان من أهل نسب، أو بلدة، أو مذهب، أو طريقة أولم يكن، وقال تعالى: ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ[2] وقال: ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ[3]

وقال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ[4] فكيف يجوز مع هذا لأمة محمد ﷺ أن تختلف حتى يوالي الرجل طائفة ويعادي طائفة أخرى بالظن والهوى بلا برهان من الله تعالى، وقد برأ الله تعالى نبيه ممن كان هكذا.

فهذا فعل أهل البدع كالخوارج الذين فارقوا جماعة المسلمين واستحلوا دماء من خالفهم.

وأما أهل السنة والجماعة فهم معتصمون بحبل الله وأقل ما في ذلك أن يفضل الرجل من يوافقه على هواه وإن كان غيره أتقى لله منه))[5]

وكالرافضة سلكوا في الصحابة مسلك التفرق، فوالوا بعضهم وغلوا فيه، وعادوا بعضهم وغلوا في معاداته.

وقد يسلك كثير من الناس ما يشبه هذا في أمرائهم وملوكهم وعلمائهم وشيوخهم، فيحصل بينهم رفض في الصحابة: تجد أحد الحزبين يتولى فلاناً ومحبيه، ويبغض فلاناً ومحبيه، وقد يسب ذلك بغير حق.

---

1 (?) المائدة.

2 (?) التوبة.

3 (?) آل عمران آية(103).

4 (?) الأنعام.

5 (?) مجموع الفتاوى ج3/418، 419، 420.

وهذا من التفرق والتشيع الذي نهى الله عنه ورسوله فقال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﭼ[1] [2]

فعلى الخلق كلهم اتباع محمد ﷺ فلا يعبدون إلا الله، يعبدونه بشريعة محمد ﷺ لا بغيرها قال الله تعالى: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ[3] ويجتمعون على ذلك ولا يتفرقون كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ قال: ((إن الله يرضى لكم ثلاثاً أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تتفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم))[4] .

فعلى هذا الأساس العظيم والأصل المتين يجب أن تتم الموالاة والتحالف والتعاهد لا بغيره.

((والله سبحانه وتعالى أمر أن لا يكون الدين إلا له، وأن تكون الموالاة فيه والمعاداة فيه، وأن لا يتوكل إلا عليه، ولا يستعان إلا به.

فالمؤمن المتبع للرسل يأمر الناس بما أمرتهم به الرسل ليكون الدين كله لله لا له. وإذا أمر أحد غيره بمثل ذلك أحبه وأعانه وسُرَّ بوجود مطلوبه.

وإذا أحسن إلى الناس فإنما يحسن إليهم ابتغاء وجه ربه الأعلى، فيرى أن عمله لله وأنه بالله))[5] .

ولهذا كان المؤمنون متميزين بكتاب الله وسنة رسولﷺ فالقول الذي يدعون إليه هو كتاب الله، والإمام الذي يوجبون اتباعه هو رسول الله ﷺ وعلى هذا بني وبذلك وجب الموالاة والمعاداة كما قال تعالى: ﭽ ﭤ ﭥ ﭦ

---

1 (?) الأنعام آية: (159).

2 (?) منهاج السنة ج5/133.

3 (?) الجاثية.

4 (?) تقدم تخريجه.

5 (?) مجموع الفتاوى ج14/329-330.

ـ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي
چ[1] [2]

ولا يجوز التحزب على خلاف هذا الأصل العظيم الذي قرره شيخ الإسلام ابن تيمية مما ذكره سبحانه في كتابه.

وليس لأحد من الناس أن يؤسس حزباً ويوالي على من يوافقه فيه ويعادي من يخالفه فيه من المسلمين ويتعصب لمن دخل في حزبه بالحق والباطل والإعراض عمن لم يدخل في حزبه سواء كان على الحق أو على الباطل ، فهذا من التفرق الذي ذمه الله تعالى ورسوله[3] .

كما أنه ليس لعالم من العلماء أن يتعصب ، وليس للمعلم أن يحزِّب الناس على أساس من الرأي والمصلحة الشخصية.

قال شيخ الإسلام في موضع آخر: ((وليس للمعلمين أن يحزِّبوا الناس ويفعلوا ما يلقي بينهم العداوة والبغضاء، بل يكونون مثل الإخوة المتعاونين على البر والتقوى كما قال تعالى: چ□ □ □ □ □□ □ □ □ □ □□
چ[4] .

وليس لأحد منهم أن يأخذ على أحدٍ عهداً بموافقته على كل ما يريده؛ وموالاة من يواليه؛ ومعاداة من يعاديه، بل من فعل هذا كان من جنس جنكيز خان[5] وأمثاله الذين يجعلون من وافقهم صديقاً موالياً، ومن خالفهم عدوا باغياً؛ بل عليهم وعلى أتباعهم عهد الله ورسوله بأن يطيعوا الله ورسوله؛ ويفعلوا ما أمر الله به

---

1 (?) المائدة.

2 (?) بيان تلبيس الجهمية ج1/243

3 (?) انظر: مجموع الفتاوى ج11/93.

4 (?) المائدة (2).

5 (?) **جنكزخان** أحد ملوك الترك و التتر كان كافرا مشركا ومفسداً استولوا على بلاد المسلمين قتلوا العباد وأفسدوا البلاد/انظر أحداثهم وجرائمهم في الوافي في الوفيات ج 1/1142_ 2291.

ورسوله؛ ويحرموا ما حرم الله ورسوله؛ ويراعوا الحقوق كما أمر الله ورسوله. فيكون المقصود عبادة الله وحده وطاعة رسوله؛ واتباع الحق والقيام بالقسط، قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ[1] . يقال: لوى لسانه: فيخبر بالكذب. والإعراض: أن يكتم الحق؛ فإن الساكت عن الحق شيطان أخرس[2] .

ومن مال مع صاحبه- سواء كان الحق له أو عليه- فقد حكم بحكم الجاهلية وخرج عن حكم الله ورسوله، والواجب على جميعهم أن يكونوا يداً واحداً مع الحق على الباطل، فهذا هو الأصل الذي عليهم اعتماده. وحينئذ فلا حاجة إلى تفرقهم وتشيعهم؛ فإن الله تعالى قال: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼ[3] وإذا كان الرجل قد علَّمه أستاذ عرف قدر إحسانه إليه وشكره.[4]

وليس لأحد أن يأمر أحداً بما يريده فيوالي من يواليه ويعادي من يعاديه مطلقاً؛ وهذا حرام؛ ولا يجيب عليه أحداً؛ بل تجمعهم السنة وتفرقهم البدعة؛ يجمعهم فعل ما أمر الله به ورسوله وتفرق بينهم معصية الله ورسوله، حتى يصير الناس أهل طاعة الله أو أهل معصية الله، فلا تكون العبادة إلا لله عز وجل ولا الطاعة المطلقة إلا له سبحانه ولرسوله ﷺ. فإذا كان المشايخ والعلماء في أحوالهم وأقوالهم: المعروف والمنكر، والهدى والضلال، والرشاد والغي، عليهم أن يردوا ذلك إلى الله والرسول، فيقبلوا ما قبله الله ورسوله، ويردوا ما رده الله ورسوله

---

1 (?) النساء.

2 (?) كما ورد في الحديث.

3 (?) آل عمران آية: (105).

4 (?) يحترمه و لا يجرحه، ويدعو له ولا يحقره ولا يحرف أقواله أو يتعصب لرأيه في الحق والباطل.

قد قال الله تعالى: چ   ى ى يي ى
                  چ[1] [2].

فلا يفرق بين المؤمنين لأجل ما يتميز به بعضهم عن بعض، مثل الأنساب والبلدان والتحالف علي المذاهب والطرائق، والمسالك والصداقات وغير ذلك؛ بل يعطى كل من ذلك حقه، كما أمر الله ورسوله ولا يجمع بينهم وبين الكفار الذين قطع الله الموالاة بينهم وبينه، فإن دين الله هو الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا[3] .

إنما التعاون والتحالف والتحزب والتعاقد ونحوها يجب أن تقوم على أساس البر والتقوى وبما يرضي الله ورسوله، لا على الإثم والعدوان ومخالفة النصوص و اتباع الهوى والإعراض عن الحق والتعصب للباطل وبهذا يتم الاجتماع ويقوم الائتلاف ويعم السلام كما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية وهذا يدل على سعة العلم وحب العدل و الإنصاف وجمع الكلمة على الحق وبذل السلام للعالم .

وخلاصــة القول من هذا ما يلي:

1- الواجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه الله ورسوله، ويبغض ما أبغضه الله ورسوله ويحلل ما أحله الله ورسوله، ويحرم ما حرمه الله ورسوله واتباع الدين الذي شرعه.

2- ليس لأحد من الناس أن يجعل الأصل الطاعة التامة لشخص إلا لرسول الله ، ولا القول إلا لكتاب الله تعالى.

---

1 (?) النساء.

2 (?) مجموع الفتاوى ج28/25.

3 (?) قاعدة في المحبة لشيخ الإسلام ص133.

2- لا يجوز لأحد أن يضع طائفة أو حزباً أو مذهباً بعينه يتعصب له ويوالي من والاه ويعادي من عاده سواء على الحق أوعلى الباطل.

4- لا يجوز الانتماء إلى حزب أو طائفة أو فرقة ويتعصب لها إلا إذا كانت مجتمعة على ما أمر الله به ورسوله.

5- على المشايخ وجميع العلماء والمعلمين وسائر الخلق الاعتصام بالكتاب والسنة في حركاتهم وسكناتهم وأقوالهم وأفعالهم، وأن لا يحزبوا على التعصب المذموم الذي يلقي بينهم العداوة والبغضاء والفرقة.

6- على الجماعات الإسلامية والطوائف والفرق المعاصرة نبذ التعصب والكراهية لمن خالفهم في حق أو باطل، ولزوم الاعتصام بالكتاب والسنة في جميع شؤونهم، ورد المنازعات إلى الله والرسول ذلك خير وأحسن تأويلاً.

المطلب الرابع: ترجيح بعض الأئمة والمشايخ على بعض تعصباً

قرر شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- في هذا الموضع أن من أسباب الفرقة والاختلاف ترجيح بعض الأئمة أو بعض المشايخ على بعض تعصباً واتباعاً لهوى النفس وهذا كثيرا ما يوقع في الفرقة والعداوة والبغضاء، وأكثر الناس الذين يقومون بهذا ليس قصدهم اتباع الحق والعمل به وإنما إثارة الفتن والنعرات الجاهلية.

وفي النهي عن ترجيح قول أو فعل أو غيره بلا حجة وبرهان

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: ((ولا يجوز لأحد أن يرجح قولاً على قولٍ بغير دليل، ولا يتعصب لقول على قولٍ ولا قائل على قائلٍ بغير حجة؛ بل من كان مقلداً لزم حكم التقليد؛ فلم يرجح؛ ولم يزيف؛ ولم يصوب؛ ولم يخطئ: ومن كان عنده من العلم والبيان ما يقوله سمع ذلك منه، فقبل ما تبين أنه حق، ورد ما تبين أنه باطلٌ، ووقف ما فيه أحد الأمرين. والله تعالى قد فاوت بين الناس في قوى الأذهان، كما فاوت بينهم في الأبدان.

وهذا لا يعرفه إلا من عرف أقاويل العلماء ومآخذهم، فأما من لم يعرف إلا قول عالم واحدٍ وحجته دون قول العالم الآخر وحجته فإنه من العوام المقلدين؛ لا من العلماء الذين يرجحون ويزيفون)) [1] .

ويفهم من كلامه – رحمه الله- أو ترجيح أي قول من الأقوال أو فعل من الأفعال أو شخص من الأشخاص أو شيخ أو إمام أو عالم من العلماء يحتاج إلى دليل ومعرفة وفقه وحجة وبرهان لا بالهوى والتشهي.

ترجيح بعض المشايخ والأئمة على بعض تعصبا

وشيخ الإسلام من دقة فهمه وعدله ومعرفته لقدر الأئمة ومكانتهم لما سئل عن الشيخ عبد القادر أنه أفضل

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج35/233. مع تصرف بسيط.

المشايخ، والإمام أحمد أنه أفضل الأئمة، فهل هذا صحيح؟

قال: ((أما ترجيح بعض الأئمة والمشايخ على بعض؛ مثل من يرجح إمامه الذي تفقه على مذهبه؛ أو يرجح شيخه الذي اقتدى به على غيره؛ كمن يرجح الشيخ عبد القادر[1] أو الشيخ أبا مدين[2]؛ أو أحمد[3] أو غيرهم: فهذا الباب أكثر الناس يتكلمون فيه بالظن وما تهوى الأنفس؛ فإنهم لا يعلمون حقيقة مراتب الأئمة والمشايخ، ولا يقصدون اتباع الحق المطلق، بل كل إنسان تهوى نفسه أن يرجح متبوعه فيرجحه بظن يظنه، وإن لم يكن معه برهان على ذلك، وقد يفضي ذلك إلى تحاجهم وقتالهم وتفرقهم، وهذا مما حرمه الله ورسوله، كما قال تعالى:
ﭽ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭼ

---

1 (?) **الشيخ الإمام العالم الزاهد محي الدين، أبو محمد، عبد القادر** بن أبي صالح عبد الله بن جنكي دورست الجيلي الحنبلي، شيخ بغداد. مولده بجيلان في سنة إحدى وسبعين وأربعمائة. قدم بغداد شاباً، فتقه على أبي سعد المُخَرِّمي. سمع من : أبي غالب الباقلاني، وأحمد بن المظفر بن سوس وطائفة. وحدّث عنه: السمعاني، والحافظ عبد الغني، والشيخ موفق الدين ابن قدام'. وخلق، كان صالحاً، كثير الذكر،دائم الفكر، سريع الدمع،، وقد نسبت إليه المتصوفة خرافات كثيرة وهو بريء منها ومع هذا فهو ليس بمعصوم كما قال الذهبي : الشيخ عبد القادر في الجملة كبير الشأن، وعليه مآخذ في بعض أقواله و دعاويه، والله المَوْعَد، وبعض ذلك مكذوب عليه./ انظر: السير ج20/439_451

2 (?) **هو شعيب بن حسيً الأندلسي الزاهد**، شيخ أهل المغرب، كان من أهل حصن منتُوجت من عمل إشبيلية. جال وساح، واستوطن بجايةَ مدةً، ثم تِلمسسان. كان من أهل العمل والاجتهاد والزهد والنسك وكان يقول : من علامات صدق المريد في بدايته انقطاعه عن الخلق، وفراره، ومن علامات صدق فراره عنهم وجوده للحق، ومن علامات صدق وجوده للحق رجوعه إلى الخلق/ انظر: السير ج21/219_220.

3 (?) لعله أحمد الرفاعي.

ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ
ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ
ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ[1] .

قال ابن عباس: تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدع والفرقة[2] .

فما دخل في هذا الباب مما نهى الله عنه ورسوله من التعصب والتفرق والاختلاف والتكلم بغير علم: فإنه يجب النهي عنه، فليس لأحد أن يدخل فيما نهى الله عنه ورسوله، وأما من ترجح عنده فضل إمام على إمام أو شيخ على شيخ بحسب اجتهاده، كما تنازع المسلمون: أيهما أفضل الترجيع في الأذان أو تركه؟ أو إفراد الإقامة أو تثنيتها؟ وصلاة الفجر بغلس أو الإسفار بها أو القنوت في الفجر أو تركه؟ والجهر بالتسمية؛ أو المخافتة بها، أو ترك قراءتها[3] ؟ ونحو ذلك: فهذه مسائل الاجتهاد التي تنازع فيها السلف والأئمة، فكل مهم أَقَرَّ الآخر على اجتهاده، من كان فيها أصاب الحق فله أجران، ومن كان قد اجتهد فأخطأ فله أجر، وخطؤه مغفور له، فمن ترجح عنده تقليد الشافعي، لم ينكر على من ترجح عنده تقليد مالك، ومن ترجح عنده تقليد أحمد لم ينكر على من ترجح عنده تقليد الشافعي، ونحو ذلك.

ولا أحد في الإسلام يجيب المسلمين كلهم بجواب عام: أن فلاناً أفضل من فلان، فيقبل منه هذا الجواب؛ لأنه من المعلوم أن طائفة ترجح متبوعها، فلا تقبل جواب من يجيب بما يخالفها فيه[4]، كما أن من يرجح قولاً أو عملاً لا يقبل قول من يفتي بخلاف ذلك، لكن إن كان

---

1 (?) آل عمران (102-106).

2 (?) تقدم تخريجه.

3 (?) التعصب في هذه المسائل قد سبب فرقـة وعداوة بين بعض أتباع المذاهب في كثير من الدول مع أن الأمر كما قال شيخ الإسلام فيه سعة.

4 (?) لأن ذلك قد يجر إلى فتن لا يعلم نهايتها إلا الله كما هو الواقع في بعض البلدان ونحو ذلك.

الرجل مجتهداً اجتهد واتبع ما ترجح عنده أنه الحق، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وقد قال الله تعالى: ﭽ   ﮬ ﭼ[1]، لكن عليه أن لا يتبع هواه ولا يتكلم بغير علم، قال الله تعالى: ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ   ﮬ ﭼ[2]

وما من إمام إلا له مسائل يترجح فيها قوله على قول غيره، ولا يعرف هذا التفاضل إلا من خاض في تفاصيل العلم .

فأئمة الدين هم على منهاج الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، والصحابة كانوا مؤتلفين متفقين وإن تنازعوا في بعض فروع الشريعة))[3].

والبعض الآخر قد يرجح بعض المشايخ على المتمسكين بالكتاب والسنة و الذابين عنهما الداعين إليهما ويتعصب لهم بلا علم ولا دليل شرعي، ويشهد لهم بالفلاح والجنة بل قد يتمنى أن يحشر معهم يوم القيامة، وخصوما في هذه الأزمنة المتأخرة كما ذكر شيخ الإسلام.

قال: ((وإذا علم هذا فكثير من المشهورين بالمشيخة في هذه الأزمان[4] ، فيكون فيهم من الجهل والضلال والمعاصي والذنوب ما يمنع شهادة الناس لهم بذلك[5] ، بل قد يكون فيهم المنافق والفاسق، كما أن فيهم من هو من أولياء الله المتقين، وعباد الله الصالحين، وحزب الله المفلحين، كما أن غير المشايخ فيهم هؤلاء، وهؤلاء في الجنة، والتجار والفلاحون وغيرهم من هذه الأصناف.

إذا كان كذلك فمن طلب أن يحشر مع شيخ لم يعلم عاقبته كان ضالاً؛ بل عليه أن يأخذ بما يعلم؛ فيطلب أن

---

1 (?) التغابن آية: (16).
2 (?) آل عمران آية: (66).
3 (?) مجموع الفتاوى ج20/ 291-293 وج22/ 252.
4 (?) خاصة في عصرنا هذا.
5 (?) بالجنة .

يحشره الله مع نبيه والصالحين من عباده كما قال الله تعالى: ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ[1] .

وعلى هذا فمن أحب شيخاً مخالفاً للشريعة كان معه؛ فإذا دخل النار كان معه. ومعلوم أن الشيوخ المخالفين للكتاب والسنة أهل الضلال والجهالة، فمن كان معهم كان مصيره مصير أهل الضلال والجهالة، وأما من كان من أولياء الله المتقين: كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم؛ فمحبة هؤلاء من أوثق عرى الإيمان، وأعظم حسنات المتقين.

أما من أحب شخصاً لهواه، مثل أن يحبه لدنياً يصيبها منه، أو لحاجة يقوم له بها، أو لمال يتآكله به. أو بعصبية فيه. ونحو ذلك من الأشياء فهذه ليست محبة لله؛ بل هذه محبة لهوى النفس، وهذه المحبة هي التي توقع أصحابها في الكفر والفسوق والعصيان. وما أكثر من يدعي حب مشايخ لله، ولو كان يحبهم لله لأطاع الله الذي أحبهم لأجله، فإن المحبوب لأجل غيره تكون محبته تابعة لمحبة ذلك الغير.

وكيف يحب شخصاً لله من لا يكون محباً لله، وكيف يكون محباً لله من يكون معرضًا عن رسول الله ﷺ وسبيل الله.

وما أكثر من يحب شيوخاً أو ملوكاً أو غيرهم فيتخذهم أنداداً. فعلى الخلق كلهم اتباع محمدﷺ))[2] .

ولا طاعة لأحد من الناس في خلاف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإن كان عظيما في الدين والدنيا. ولا يتعصب لأحد على أحد أو يرجح قول أحد على أحد من أئمة المسلمين بالهوى والتشهي.

وإن كان أمراً قد تنازع فيه المسلمون، فينبغي أن يستخرج من كل منهم رأيه ووجه رأيه، فأي الآراء كان أشبه بكتاب الله وسنة رسوله عمل به، كما قال تعالى: ﭽ

---

1 (?) التحريم (4).

2 (?) مجموع الفتاوى ج11/519، 520، 521.

[illegible] چ[1][2]

فبهذا يتبين أنه لا يجوز تفريق الناس بمثل هذه الأمور: من ترجيح بعض المشايخ على بعض وتفضيل بعض العلماء على بعض تعصبا و اتباعا للهوى وإثارة الفتن بين الناس ونحوها.

فقد ظهر من هذا دقة فهم شيخ الإسـلام ابن تيمية وحسن مراعاته لشعور المسلمين وفي جرح مشاعرهم فهذا أسلوب حكيم ومنهج سليم في هذا الباب، فقد خاض قوم في هذه المسائل تعصباً بغير حكمة فأفسدوا أكثر مما أصلحوا.

فعلى المرء أن يعتصم بالكتاب والسنة ويزن جميع أفعاله وأقواله بميزان الكتاب والسنة وعلى وفق فهم السلف الصالح ولا يكون سببا في تفرق الأمة بإثارة الفتن والاختلاف بين علمائها وأتباعهم والطعن فيهم.

---

1 (?) النساء آية(59)..

2 (?) انظر مجوع الفتاوى ج28/387، 388.

المطلب الخامس: القدح في السابقين الأولين والعلماء الربانيين من السلف وآثاره في تفريق الأمة

أولا: القدح في الصحابة أو في أحد منهم

شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- بين في هذا الموضع أن الرافضة سلكوا في حق صحابة رسول الله محمد ﷺ مسلك الطعن واللعن والتكفير والقدح والغل والبغض والكره وغير ذلك ففارقوا به جماعة المسلمين، وكذلك الخوارج ومن شايعهم يطعنون في بعض الصحابة وصار بهذا فتن بين الأمة وصراع، وفرقة بين المسلمين.

صحابة رسول الله خيار الأمة

هذا سبق بيانه في ذكر فضلهم وأنهم خيار المؤمنين

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((ومن أعظم خبث القلوب أن يكون في قلب العبد غل لخيار المؤمنين، وسادات أولياء الله بعد النبيين، ولهذا لم يجعل الله تعالى في الفيء نصيبا لمن بعدهم، إلا الذين يقولون: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ[1] [2]

وذلك أن أول هذه الأمة هم الذين قاموا بالدين تصديقاً وعلماً، وعملاً وتبليغاً، فالطعن فيهم طعن في الدين، موجب الإعراض عما بعث الله به النبيين.

وهذا كان مقصود أول من أظهر بدعة التشيع، فإنما كان قصده الصد عن سبيل الله، وإبطال ما جاءت به الرسل عن الله. ولهذا كانوا يُظهرون ذلك بحسب ضعف الملة[3] ، فظهر في الملاحدة هذه البدع المضلة، لكن

---

1 (?) الحشر.

2 (?) منهاج السنة ج1/22.

3 (?) والآن بسبب تفرق المسلمين واختلافهم وضعف قوتهم بدأ نشاط الرافضة في جميع أنحاء العالم بقوة ونشر معتقاداتهم المسمومة وإن كانت بعض الدول بحمد الله بدأت تتفهم على نواياهم الخبيثة وهو إثارة الفتن وزحزحة الأمن والاستقرار وتكفير الصحابة والأئمة الأربعة ومن أحبهم

راج كثير منها على من ليس من المنافقين الملحدين، لنوع من الشبهة والجهالة المخلوطة بهوى، فقبل معه الضلالة، وهذا أصل كل باطل. وهذا حال أهل البدع المخالفة للكتاب والسنة، فإنهم إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس، ففيهم جهل وظلم. لاسيما الرافضة، فإنهم أعظم ذوي الأهواء جهلاً وظلماً، يعادون خيار أولياء الله تعالى من بعد النبيين، من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه، ويوالون الكفار والمنافقين من اليهود والنصارى والمشركين وأصناف الملحدين، كالنصيرية[1] والإسماعيلية[2] وغيرهم من الضالين. فتجدهم، أو كثيراً

ووالاهم ،فقامت هذه الدول بطردهم وهتك أستارهم فإنهم إذا دخلوا قرية أسدوها وجعلوا أهلها مشركين ومتناحرين متباغضين كمافعلوا ذلك في كثير من الدول.

1 (?) تقدمت التعريف بها.

2 (?) الإسماعيلية هم فرقة من الفرق الرافضة الباطنية التي تزعم أنها تنتسب إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق ظاهرها التشيع لآل البيت وحقيقتها الكفر والإلحاد. وهم يزعمون أن الإمامة صارت من جعفر إلى ابنه إسماعيل وكذبهم في هذه المقالة جميع أهل التواريخ، لما صح عندهم من موت إسماعيل قبل أيه جعفر، والإسماعيلية والقرامطة هما طائفتان مجاهرتان بترك الإسلام جملة، قائلتان بالمجوسية المحضة. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ولهذا كانت الإسماعيلية أخذت ما يقوله هؤلاء [الفلاسفة]في العقل والنفس وما تقوله المجوس من النور والظلمات فركَّبوا من ذلك ومن التشيع وعبَّروا عن ذلك بالسابق والتالي. ويقولون بإلهية الحاكم ونحوه من أئمتهم ويقولون إن محمد بن إسماعيل نسخ شريعة محمد بن عبد الله، ويقولون بعصمة بني عبيد الملاحدة، وغير ذلك من المقالات التي هي مقالات الغالية من الرافضة فهؤلاء شر من أكثر الكفار من اليهود والنصارى والمشركين وهم ينتسبون إلى الشيعة يتظاهرون بمذهبهم/ انظر: التبصير في الدين ص38، والفصل وفي الملل ج2/91. ومنهاج السنة ج1/410، 482. والموسوعة الميسرة ج1/386_ 392.

منهم، إذا اختصم خصمان في ربهم من المؤمنين والكفار، واختلف الناس فيما جاءت به الأنبياء، فمنهم من آمن ومنهم من كفر- سواء كان الاختلاف بقولٍ أو عملٍ كالحروب التي بين المسلمين وأهل الكتاب والمشركين- تجدهم يعاونون المشركين وأهل الكتاب على المسلمين أهل القرآن.

كما قد جرَّبه الناس منهم[1] غير مرة، وكانوا من أعظم الناس عداوة للمسلمين، ومعاونة للكافرين، وهكذا معاونتهم لليهود أمر شهير[2] .

وهذه العداوة التي ذكرها شيخ الإسلام بدؤوها في الصحابة سبوهم ولعنوهم وطعنوا في إسلامهم واتهموهم بالخيانة والذين هم سلف الأمـة كما بين شيخ الإسلام في موضع آخر وفتحوا باب الفتنة على الأمة هم وغيرهم وتكلموا بجهل وظلم

فقال: ((إنه إذا وجب فيما شجر بين عموم المؤمنين أن لا يتكلم إلا بعلم وعدل، ويردّ ذلك إلى الله والرسول، فذاك في أمر الصحابة أظهر. فلو طعن في بعض ولاة الأمور، ومن ملك وحاكم وأمير وشيخ ونحو ذلك، وجعله كافراً معتدياً على غيرها، وجعل غيره هو العالم العادل المبرأ من كل خطأ وذنب، وجعل كل من أحب الأول وتولاّه كافراً أو ظالما مستحقاً للسبِّ وأخذ يسبُّه، فإنه يجب الكلام في ذلك بعلم وعدل.[3]

والرافضة سلكوا في الصحابة مسلك التفرق، فوالوا بعضهم وغلوا فيه وعادوا بعضهم وغلوا في معاداته. وقد سلك كثير من الناس ما يشبه هذا في أمرائهم وملوكهم وعلمائهم وشيوخهم، فيحصل بينهم رفض في غير

---

1 (?) وخير شاهد الآن ما في العراق حالياً من الفتن أكثرها من قبلهم من أفواه أهلها.

2 (?) منهاج السنة ج1/ 18، 20 ، 21.

3(?) كما قال تعالى: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ المائدة: ٨

الصحابة: تجد أحد الحزبين يتولى فلانا ومحبيه، ويبغض فلاناً ومحبيه، وقد يسبّ ذلك بغير حق))[1]

قال في موضع آخر: ((وسائر أهل السنة والجماعة وأئمة الدين لا يعتقدون عصمة أحد من الصحابة ولا القرابة ولا السابقين ولا غيرهم؛ بل يجوز عندهم وقوع الذنب منهم والله تعالى يغفر لهم بالتوبة، ويرفع بها درجاتهم، ويغفر لهم بحسناتٍ ماحيةٍ، أو بغير ذلك من الأسباب، قال تعالى: ﭽﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ[2] .

وأهل الضلال يجعلون الخطأ والإثم متلازمين: فتارة يغلون فيهم؛ ويقولون: إنهم معصومون. وتارة يجفون عنهم؛ ويقولون: إنهم باغون بالخطأ.

وأهل العلم والإيمان لا يعصمون، ولا يؤثمون.

ومن هذا الباب تولد كثير من فرق أهل البدع والضلال. فطائفة سبَّت السلف ولعنتهم؛ لاعتقادهم أنهم فعلوا ذنوباً، وأن من فعلها يستحق اللعنة، بل قد يُفسّقونهم؛ أو يكفِّرونهم، كما فعلت الخوارج الذين كفروا علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، من تولاهما، ولعنوهم، وسبُّوهم، واستحلوا قتالهم))[3] .

وهذا أصل ((مذهب الرافضة)) ولهذا كان الرفض أعظم أبواب النفاق والزندقة، فإنه يكون الرجل وَاقِفاً، ثم يصير مُفَضِّلاً، ثم يصير سابّاً، ثم يصير غالياً ثم يصير جاحداً معطِّلاً. ولهذا انضمت إلى الرافضة((أئمة الزنادقة)) من الإسماعيلية و النصيرية، وأنواعهم من القرامطة والباطنية،والدرزية وأمثالهم من طوائف الزندقة[4] .

---

1 (?) منهاج السنة ج5/133.

2 (?) الزمر.

3 (?) مجموع الفتاوى ج35/69، 70

4 (?) مجموع الفتاوى ج4/428، 429.

فالرافضة سبّوا الصحابة ولعنوهم وقدحوا فيهم وكَفَّروهم وكان لفعلهم الشنيع هذا أثر كبير في تفريق الأمة لأمور:

1- أن هؤلاء الصحابة هم سلف هذه الأمة وخيارهم وهم خير القرون وقدوتهم فلا يتصور لأحد من المسلمين يشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله وأن هؤلاء أصحابه، أن يوافق هؤلاء الذين يسبونهم يلعنونهم أو يكفرونهم في مذهبهم الخبيث. لما في هذا من جرح مشاعر المسلمين والتشكيك في دينهم.

2- كما ذكر شيخ الإسلام وغيره من السلف ((فإنَّ القدح في خير القرون الذين صحبوا الرسول قدح في الرسول عليه السلام، كما قال مالك[1] وغيره من أئمة العلم: هؤلاء طعنوا في أصحاب رسول الله إنما طعنوا في أصحابه لقول القائل: رجل سوء كان له أصحاب سوء، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين[2] .

3- وأيضاً فهؤلاء الذين نقلوا القرآن، والإسلام، وشرائع النبي ، وهم الذين نقلوا فضائل علي وغيره فالقدح فيهم يوجب أن لا يُوثق بما نقلوه من الدين وحينئذ فلا تثبت فضيلة لعلي، ولا لغيره، و ((الرافضة)) جهال ليس لهم عقل، ولا نقل ولا دين، ولا دنياً منصورة[3] **.**

ثانياً: القدح في علماء الأمة الربانيين من التابعين وغيرهم ممن سلك مسلك السلف الصالح و الأئمة الأربعة بإحسان إلى يوم الدين

وذلك رميهم بالألقاب الشنيعة المنفرة لينفر منهم الناس فيحتقرونهم ولا يقدرونهم ولإبطال الحق الثابت بالكتاب والسنة من الإيمان بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا.

---

1 (?) هو إمام مالك إمام دار الهجرة.

2 (?) مجموع الفتاوى ج4/429.

3 (?) نفس المصدر .

فلكل مبتدع مبطل مفرق للجماعة معاد للحق وأهله ألقاب شنيعة وأسماء قبيحة منفرة يلقبونها بهم.

من ذلك القول بأنهم((حشوية)) و((جمهور))و ((العوام)) ((والمشبهة)) ونحو ذلك من الألقاب الشنيعة والتي يطلقها أهل البدع على أهل السنة والجماعة المتمسكين بما كان عليه النبي وأصحابه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((والمعتزلة أيضاً تفسق من الصحابة والتابعين طوائف، وتطعن في كثير منهم وفيما رووه من الأحاديث التي تخالف آراءهم وأهواءهم، بل تكفر أيضاً من يخالف أصولهم التي انتحلوها من السلف والخلف، **فلهم من الطعن في علماء السلف وفي علمهم ما ليس لأهل السنة والجماعة.** وليس انتحال مذهب السلف من شعائرهم وإن كانوا يقرون خلافة الخلفاء الأربعة. ويعظمون من أئمة الإسلام وجمهورهم ما لا يعظمه أولئك فلهم من القدح في كثير منهم ما ليس هذا موضعه.

وإن كان من أسباب انتقاص هؤلاء المبتدعة للسلف ما حصل في المنتسبين إليهم من نوع تقصير وعدوان، وما كان من بعضهم من أمور اجتهادية الصواب في خلافها، فإن ما حصل من ذلك صار فتنة للمخالف لهم: ضل به ضلالاً كبيراً))[1]**.**

قال في موضع آخر: ((وحتى إن جل المعتزلة تدخل عامة الأئمة: مثل مالك وأصحابه، والثوري وأصحابه، و الأوزاعي وأصحابه، والشافعي وأصحابه، وإسحاق بن راهويه[2] وأصحابه في قسم المشبهة.

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج4/154، 155.

[2] (?) إسحا**ق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي** أبو محمد ابن راهويه المروزي: ثقة حافظ مجتهد قرين أحمد بن حنبل ذكر أبو داود أنه تغيَّر قبل موته بيسير، مات، سنة ثمان وثلاثين، وله اثنتان وسبعون هـ ./تقريب التهذيب ص39ت(332).

وقد صنف أبو إسحاق((إبراهيم بن عثمان بن درباس[1])) الشافعي جزءاً سماه: ((تنزيه أئمة الشريعة عن الألقاب الشنيعة ذكر فيه كلام السلف وغيرهم في معاني هذا الباب، وذكر أن أهل البدع كل صنف منهم يلقب((أهل السنة)) بلقب افتراه- يزعم أنه صحيح على رأيه الفاسد- كما أن المشركين كانوا يلقبون النبي بألقاب افتروها.

فالرافضة تسميهم **نواصب**، والقدرية يسمونهم **مجبرة**، والمرجئة تسميهم **شكاكاً**، والجهمية تسميهم **مشبهة**، وأهل الكلام يسمونهم **حشوية**، **و نوابت**، و**غثاء**[2] ، و**غثراء**، إلى أمثال ذلك. كما كانت قريش تسمي النبي تارةً مجنوناً، وتارةً شاعراً، وتارة كاهناً، وتارة مفتريا.

قالوا فهذه علامة الإرث الصحيح والمتابعة التامة، فإن السنة هي ما عليه رسول الله وأصحابه، اعتقاداً واقتصاداً وقولا وعملاً؛ فكما أن المنحرفين عنه يسمونهم بأسماء مذمومة مكذوبة- وإن اعتقدوا صدقها بناء على عقيدتهم الفاسد- فكذلك التابعون لهم على بصيرة الذين هم أولى الناس به في المحيا والممات؛ ظاهراً وباطنًا[3] .

---

1 (?) **هو ابن دِرْباس الإمام المحدّث جلال الدين أبو إسحاق** إبراهيم بن عثمان بن عيسى بن درباس الماراني الكردي المصري.
أجاز له السِّلفي، وسمَع فاطمة بنت سعد الخير، وكتب الكثير. وري عنه الحافظ عبد العظيم وغيره. كان خيِّراً صالحاً زاهداً قانعاً مُقِلاًّ مقْبِلاً على شأنه. توفي بين الهند واليمن سنة 622ه، وله خمسون سنة/ انظر: السير ج22/29.

2 (?) كما يسمع من بعض المعاصرين ممن لهم نصيب في هذا يسمي علماء أهل السنة الربانيين بـ((الوهابية))، و((أهل الجمود الفكري))، و((علماء الحيض والنفاس)) و((المقلـدون)) و((علمـاء السـلطان)) وغيرهـا من الألقـاب مقصـودهم منهـا التشـنيع والتنفير والاحتقار والإذلال.

3 (?) مجموع الفتاوى ج5/111، وبيان تلبيس الجهمية ج1/105

وأرادوا بهذه الألقاب القدح في الصحابة وانتقاص قدرهم وحرمتهم والطعن في علم أئمة السلف الصالح، وتقليل شأنهم. ((فقد ينصر المتكلمون أقوال السلف تارة وأقوال المتكلمين تارة، كما يفعله غير واحد مثل الجويني[1] ، وأبي حامد[2]، والرازي[3] ، وغيرهم. ولازم المذهب الذي ينصرونه تارةً أنه هو المعتمد. فلا يثبتون على دين واحد، وتغلب عليهم الشكوك. وهذا عادة الله في من أعرض عن الكتاب والسنة.

وتارة يجعلون إخوانهم المتأخرين أحذق وأعلم من السلف، ويقولون:((طريقة السلف أسلم، وطريقة هؤلاء أعلم وأحكم))[4] ، ويصفون إخوانهم بالفضيلة في العلم

---

1 (?) **هو إمام الحرمين الإمام الكبير**، شيخ الشافعية، إمام الحرمين أبو المعالي، عبد الملك ابن الإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني، ثم النسيابوري، ضياء الدين صاحب التصانيف. وُلد في أول سنة تسع عشرة وأربع مائة. قال الذهبي: هذا الإمام مع فرْط ذكائه وإمامته في الفروع وأصل المذهب وقوة مناظرته لا يدري الحديث كما يليق به لامتناً ولا إسناداً.
قال المازري في شرح ((البرهان)) في قوله: إن الله يعلم الكليات لا الجزئيات: وِدِدْتُ لو محَوْتُها بدمي. وقيل: لم يقل بهذه المسألة تصريحاً، بل أُلزم بها لأنه قال بمسألة الاسترسال فيما ليس بمتناهٍ من نعيم أهل الجنة، فالله أعلم. قال الذهبي: هذه هفوة اعتزال، هُجِر أبو المعالي عليها، وحلف أبو القاسم القشيري لا يكلمه، ونُفي بسببها، فجاور وتعبّد، وتاب_ ولله الحمد_ منها كما أنه في الآخر رجَّح مذهب السلف في الصفات وأقرَّه. توفي في الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ودفن في داره/انظر : السير ج18/ 468_ 477.

2 (?) تقدمت ترجمته.

3 (?) تقدمت ترجمته.

4 (?) ولا زال بعض المعاصرين يقدحون في علم سلف الأمة ويطعنون فيهم بهذه الطريقة. يدعون أنهم أكثر فهماً للواقع والتفاصيل من السلف.

والبيان، والتحقيق والعرفان، والسلف بالنقص في ذلك والتقصير فيه، أو الخطأ والجهل. وغايتهم عندهم: أن يقيموا أعذارهم في التقصير والتفريط.

ولا ريب أن هذا شعبة من الرفض، فإنه لم يكن تكفيرا للسلف- كما يقوله من يقول من الرافضة والخوارج- ولا تفسيقاً لهم- كما يقوله من يقوله من المعتزلة والزيدية كان تجهيلا لهم وتخطئة وتضليلاً، ونسبة لهم إلى الذنوب والمعاصي، وإن لم يكن فسقاً فزَعْماً: أن القرون المفضولة في الشريعة أعلم وأفضل من أهل القرون المفضلة[5] .

ثالثاً: جاء بعض المتأخرين يقدحون في العلماء خصوصا المجتهدين أو أهل البصيرة وذوي العلم والإيمان بعد النظر يتهمونهم بالتقصير، والمداهنة، وحب الدنيا، وعدم الفقه وفهم الواقع ونحوه من الكلام الذي فيه رائحة الطعن والقدح وشعبة من الرفض كما **أشار إليه شيخ الإسلام في مواضع كثيرة ليس هنا موضع استقصائها.**

فكل هذا سببه ترك الاعتصام بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

((**ومتى تركوا الاعتصام بالكتاب والسنة، فلابد أن يختلفوا، فإن الناس لا يفصل بينهم إلا كتابٌ منزَّل من السماء كما قال تعالى** ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﭼ[6]))[7].

نسأل الله رب العرش الكريم أن يهدينا إلى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

---

5 (?) مجموع الفتاوى ج4/157.

6 (?) البقرة.

7 (?) درء تعارض العقل والنقل ج5/284.

الفصل الثالث: جهوده في بيان أن من أسباب الفرقة شهوات النفوس وآثار ذلك

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : الظلم وبغي البعض وأثره في الفرقة

المبحث الثاني : طلب الرئاسة والانتصار للنفس وحب الشهرة وأثره في الفرقة

المبحث الثالث : الجدال بغير حق وأثره في التفرق والاختلاف

المبحث الأول: الظلم وبغي البعض على بعض وأثره في الفرقة

قرر شيخ الإسلام ابن تيمية أن أكثر ما يوقع الناس في الاختلاف والتفرق اتباع الشهوات، وأنه ما ظهر في العالم من الغي والظلم والبغي والفساد وسفك دماء بعضهم البعض والعداوة والبغضاء والكبر والحسد إلا من آثار شهوات النفوس ودعواتها التي يزين لها الحياة العاجلة وتجهل عواقب السوء العاجلة وهذا من أكثر ما يوقع بين الناس الاختلاف والتفرق وتضييع الحقوق **كما قال تعالى:** ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ[1] .

فقال شيخ الإسلام: ((**وأخبر أنهم ما تفرقوا إلا بغيا، والبغي مجاوزة الحد، كما قال ابن عمر: ((الكبر والحسد))**[2] ؛ وهذا خلاف التفرق عن اجتهاد ليس فيه علم، ولا قصد به البغي، كتنازع العلماء السائغ، والبغي إما تضييع للحق، وإما تعد للحد؛ فهو إما ترك واجب، وإما فعل محرم؛ فعلم أن موجب التفرق هو ذلك، وهكذا هو الواقع في أهل ملتنا مثلما نجده بين الطوائف المتنازعة في أصول دينها، وكثير من فروعه، من أهل الأصول والفروع، ومثلما نجده بين العلماء، وبين العبَّاد.

ومن تدبر الفتن الواقعة رأى سببها ذلك، ورأى أن ما وقع بين أمراء الأمة وعلمائها، ومن دخل في ذلك من ملوكها ومشايخها، ومن تبعهم من العامة، من الفتن هذا أصلها يدخل في ذلك أسباب الضلال والغي التي هي الأهواء الدينية والشهوانية، هي البدع في الدين، والفجور في الدنيا مشتركة تعم بني آدم لما فيهم الظلم

---

1 (?) الشورى (14).

2 (?) لم أقف عليه.

والجهل، **فبذنب بعض الناس يظلم نفسه وغيره**)) [1].

قال في موضع آخر: ((وتقع العداوة بين الطائفين بسبب بالبغي إما تفريطاً وتضييعاً للحق، وإما عدواناً وفعلا للظلم، والبغي تارة يكون من بعضهم على بعض، وتارة يكون في حقوق الله، وهما متلازمان ولهذا قالﭽ ﮉ ﮊ ﭼفإن كل طائفة بغت على الأخرى، فلم تعرف حقها الذي بأيديها، ولم تكف عن العدوان عليها ، وكان هذا كله بعد مجيء العلم والبينات، لا لأجل اشتباه الحق بالباطل عليهم، بل بعد أن يظهر الحق، ويجيئهم العلم، فيبغى بعضهم على بعض، فيكذب بما معه من الحق، مع علمه أنه حق، ويصدق بما مع نفسه من الباطل، مع العلم أنه باطل، وهذا حال أهل الاختلاف المذموم من أهل الأهواء كلهم)) [2].

وفي هذا بيان أن اتباع شهوات النفوس يقود إلى الظلم والبغي بجميع أنواعه ويؤدي إلى التعادي والاختلاف والتفرق، وأن الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله والاعتصام بهما ورد جميع الخلافات و المنازعات صغيرها وكبيرها إليهما واجب على الأمة جميعهم.

قال –رحمه الله-: ((وهكذا مسائل النزاع التي تنازع فيها الأمة في الأصول والفروع إذا لم ترد إلى الله والرسول لم يتبين فيها الحق، بل يصير فيها المتنازعون على غير بينة من أمرهم، فإن رحمهم الله أقر بعضهم بعضاً، ولم يبغ بعضهم على بعض، كما كان الصحابة في خلافة عمر وعثمانٍ يتنازعون في بعض مسائل الاجتهاد فيقر بعضهم بعضاً، ولا يعتدي عليه وإن لم يرحموا وقع بينهم الاختلاف المذموم، فبغى بعضهم على بعض، إما

---

1. (?) الاستقامة ج2/241، 242. ومجموع الفتاوى ج1/14، 15.
2. (?) انظر: مجموع الفتاوى ج1/14، 15، 16 ومنهاج السنة ج5/262، 263، 264.

بالقول مثل تكفيره وتفسيقه، وإما بالفعل مثل حبسه وضربه وقتله.

وهذه حال أهل البدع والظلم كالخوارج وأمثالهم، يظلمون الأمة ويعتدون عليهم، إذا نازعوهم في بعض مسائل الدين، وكذلك سائر أهل الأهواء، فإنهم يبتدعون بدعة، ويكفرون من خالفهم فيها، كما تفعل الرافضة والمعتزلة و الجهمية وغيرهم))[1] .

وكما أنه: ((إذا انقطع عن الناس نور النبوة وقعوا في الفتن، وحدثت البدع والفجور، ووقع الشر بينهم.

فالناس إذا خفي عليهم بعض ما بعث الله به الرسول إما عادلون، وإما ظالمون، فالعادل فيهم الذي يعمل بما وصل إليه من آثار الأنبياء ولا يظلم غيره، والظالم الذي يعتدي على غيره، وهؤلاء ظالمون مع علمهم أنهم ظالمون، كما قال تعالى: ﭽ   ﮬ ﮭ ﮮ ﮯﭼ[2] .

وإلا فلو سلكوا ما علموه من العدل أقر بعضهم بعضاً، كالمقلدين لأئمة الفقه الذين يعرفون من أنفسهم أنهم عاجزون عن معرفة حكم الله ورسوله في تلك المسائل، فجعلوا أئمتهم نُوَّاباً عن الرسول، وقالوا هذه غاية ما قدرنا عليه، فالعادل منهم لا يظلم الآخر، ولا يعتدي عليه بقول ولا فعل، مثل أن يدعي أن قول متبوعه هو الصحيح بلا حجة يبديها، ويذم من يخالفه مع أنه معذور))[3] .

فهذا يبن أهمية المعرفة والعلم والعدل وهو الذي قام به هذا الدين الحنيف ومن أسسه وخصائصه فإن علم الكتاب والسنة باب كل خير وفلاح وأن العدل باب كل أمن واستقرار والجهل والظلم أساس كل شر وفساد في العالم فنهى الله ورسوله عن الظلم وذَمَّاه ولأن أهله لا يقر لهم قرار وحثَّا على العلم

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج17/311.

2 (?) الشورى آية(14).

3 (?) مجموع الفتاوى ج17/312 وما بعدها.

والعدل الذين بهما قامت السموات والأرض هو الدين كله.

وأن مشاكل الناس لا تنحل إلا بالتمسك بآثار النبوة والعمل بها، وأن المستمسكين بهدي السلف الصالح الصحابة والتابعين لهم بإحسان هم أهل الحق وخير الناس للناس فهديهم معصوم ومنهجهم محفوظ ومبني على العلم والعدل والإنصاف والرحمة والإحسان واحترام الحقوق والصبر على أذى الخلق لله؛ وسعادة العباد كلهم في الاستمساك بهدي خير العباد وأصحابه.

((وأصل ذلك العلم؛ فإنه لا يعلم العدل والظلم إلا بالعلم. فصار الدين كله العلم والعدل؛ وضـد ذلك الظـلم والجهل[1]. قال الله تعالى: ﭽ ﯢ ﯣﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﭼ[2] ولما كان ظلوماً جهولاً- وذلك يقع من الرعاة تارة، ومن الرعية تارة، ومن غيرهم تارة- كان من العلم والعدل المأمور به الصبر على ظلم الأئمة وجورهم[3]،كما هو من أصول أهل السنة والجماعة، وكما أمر به النبي ﷺ في الأحاديث المشهورة عنه لما قال: ((إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض))[4] وقال: ((أدوا إليهم الذي لهم، واسألوا الله الذي لكم))[5] ونهوا عن قتالهم.

وأما ما يقع من ظلمهم وجورهم بتأويل سائغ، أو غير سائغ، فلا يجوز أن يزال لما فيه من ظلم وجور، كما هو عادة أكثر النفوس تزيل الشر بما هو شر منه، وتزيل

---

1 (?) فالخوارج وجميع أهل الأهواء والبدع حملهم على ظلم المسلمين الجهل وقلة معرفتهم وتفقههم في الدين.

2 (?) الأحزاب.

3 (?) وكثيراً ما ينتقد الرعية ولاة الأمور والطعن فيهم ونسب الظلم إليهم وجعل ذلك حديث الساعة وخاصة في عصرنا الحاضر فهذا ليس من منهج أهل السنة والجماعة

4 (?) تقدم تخريجه.

5 (?) تقدم تخريجه.

العدوان بما هو أعدى منه؛ فالخروج عليهم يوجب من الظلم والفساد أكثر من ظلمهم، فيصبر عليه.

وهذا علم في ولاة الأمور وفي الرعية، فعلى كل من الراعي والرعية للآخر حقوقاً يجب أداؤها، وعليه أن يصبر للآخر ويحلم عنه في أمور؛ فلا بد من السماحة والصبر في كل كما قال تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ[1][2] .

فيجب على جميع الأمة الرعاة والرعية الاستسلام لأمر الله ومراعاة هذه الأصول العظيمة في الأصول والفروع وهو من أساس هذا الدين ليسود الأمن والمحبة والإخاء والرحمة كما بينه شيخ الإسلام: العلم والعدل والصبر وقبول الحق ورحمة الخلق.

بناء على هذا ينبغي معرفة الأمور الآتية:

الأمر الأول: أن الاجتهاد السائغ لا ينبغي أن يؤدي إلى التظالم والتباغض و التعادي والفتنة بين الأمة كما بين شيخ الإسلام –رحمه الله-

قال: ((ومن هذا الباب ما هو من باب التأويل والاجتهاد الذي يكون الإنسان مستفرغاً فيه وسعه علماً وعملاً، ثم الإنسان قد يبلغ ذلك ولا يعرف الحق في المسائل الخبرية الاعتقادية، وفي المسائل الاقتصادية والله سبحانه قد تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان يقول تعالى: ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢﯣ ﭼ[3] . وقد ثبت في صحيح مسلم[4] عن أبي هريرة عن النبي أن الله استجاب لهم الدعاء وقال : ((قد فعلتُ)).

وقوله دليل على أن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، وغير ذلك دليل على أن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها.

---

1 (?) العصر.

2 (?) مجموع الفتاوى ج17/179، 180.

3 (?) البقرة آية(268)

4 (?) صحيح مسلم ص40 ح(125) كتاب الإيمان باب بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق.

وقال النبي في الحديث المتفق عليه لمعاذ وأبي موسى لما أرسلهما إلى اليمن : ((يسِّرا ولا تعسِّرا وبشِّرا ولا تنفرا وطاوعا ولا تختلفا))[1] .

وإذا كان كذلك فما عجزٍ الإنسان عن عمله واعتقاده حتى يعتقد ويقول ضده خطأً أو نسياناً، فذلك مغفورٌ له. كما قال : ((إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر))[2] .

وإذا كان كذلك فقد يكون المختلفون قد اجتهد أحدهم فأصاب، ويكون الآخر اجتهد فأخطأ؛ فيكون للأول أجران وللثاني أجر؛ مع أن خطأه مغفور له. وقد يكون كلاهما اجتهدا فأخطأ فيغفر لهما جميعا مع وجود الأجر))[3] .

وهنا إذا قام أحدهما بالإنكار على الآخر تعصباً فلعنه أو كفّره أو فسّقه فيكون هذا من الظلم وان اعتدى عليه يكون قد بغى عليه فتقع بغضاء وعداوة وفرقة وهذا كثر في أهل الأهواء والبدع.

ومن هنا يعلم ((أن الاجتهاد السائغ لا يبلغ مبلغ الفتنة والفرقة إلا مع البغي، لا لمجرد الاجتهاد. كما قال تعالى: ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﭺ[4] . فلا يكون فتنة وفرقة مع وجود الاجتهاد السائغ، بل نوع بغي. ولهذا نهى النبي عن القتال في الفتنة، وكان ذلك من أصول السنة. وهذا مذهب أهل السنة والحديث، وأئمة أهل المدينة من فقهائهم وغيرهم))[5] .

والأمر الثاني: أن وجود بغي وظلم من إمام أو طائفة لا يوجب ذلك قتالهم ولا استباحة دمائهم ولا التحامل عليهم.

---

1 (?) صحيح مسلم ص524ح(2001). كتاب الأشربة باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام.

2 (?) تقدم تخريجه.

3 (?)الاستقامة ج1/26، 27، 28، 30.

4 (?) آل عمران (19).

5 (?) الاستقامة ج1/31-32.

هذا من أصول هذا الباب كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- قال: ((من أصول هذا الموضع أن مجرد وجود البغي من إمام أو طائفة لا يوجب قتالهم، بل لا يبحه، بل من الأصول التي دلت عليها النصوص أن الإمام الجائر الظالم يؤمر الناس بالصبر على جوره وظلمه وبغيه ولا يقاتلونه، كما أمر النبي بذلك في غير حديث. فلم يأذن دفع البغي مطلقاً بالقتال، بل إذا كانت فيه فتنة نهى عن دفع البغي به بالصبر))[1] .

الثالث: قوله سبحانه: ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ[2]

قال شيخ الإسلام: ((فهو سبحانه قد بين مراده، ولكن من الناس من يضع الآية على غير موضعها، فإنه سبحانه قال: ﭽ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ[3] .

فهو لم يأذن ابتداءً في قتال بين المؤمنين، بل إذا اقتتلوا فأصلحوا بينهما، والاقتتال هو فتنة، وقد تكون إحداهما أقرب إلى الحق، فأمر سبحانه في ذلك بالإصلاح.

وكذلك فعل النبي لما اقتتل بنو عمرو بن عوف، فخرج ليصلح بينهم، وقال لبلال: ((إن حضرت الصلاة فقدِّم أبابكر))[4] .

ثم قال سبحانه: ﭽ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﭼ[5]

فهو بعد اقتتالهم، إذا أصلح بينهم بالقسط، فلم تقبل إحداهما القسط بل بغت، فإنها تُقاتَل، لأن قتالها هنا يُدفع به القتال الذي هو أعظم منه، فإنها إذا لم تُقاتَل حتى

---

[1] (?) الاستقامة ج1/32.
[2] (?) الحجرات(9).
[3] (?) الحجرات.
[4] (?) مسند أحمد ج5/332.
[5] (?) الحجرات(9).

تفيء إلى أمر الله، بل تُركتْ حتى تقتتل هي والأخرى، كان الفساد في ذلك أعظم.

والشريعة مبناها على دفع الفساد ين بالتزام أدناهما، وفي مثل هذا يُقاتَلون حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كلُّه لله، لأنه إذا أُمروا بالصلاح والكف عن الفتنة فبغت إحداهما قُوتِلتْ حتى لا تكون فتنةٌ والمأمور بالقتال هو المبغى عليه، أُمر بأن يقاتل الباغية حتى ترجع إلى الدين، فقاتلها من باب الجهاد وإعانة المبْغِيِّ عليه.

أما إذا وقع بغيٌ ابتداءً بغير قتال؛ مثل أخذ مالٍ، أو مثل رئاسةٍ بظلم- فلم يأذن الله في اقتتال طائفتين من المؤمنين على مجرد ذلك، لأن الفساد في الاقتتال في مجرد رئاسة أو أخذ مال فيه نوع ظـلم.

فلهذا نهى النبي عن قتال الأئمة إذا كان فيهم ظلم، لأن قتالهم فيه فساد أعظم من فساد ظلمهم.

وعلى هذا فما ورد في صحيح البخاري من حديث أم سلمة أن النبي قال ذلك، ليس هو مخالفاً لما تواتر عنه من أنه أمر بالإمساك عن القتال في الفتنة، وأنه جعل القاعد فيها خيراً من القائم، والقائم خيرا من الماشي، والماشي خيراً من الساعي[1] وقال ((يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه الفتن))[2] وأمر فيها بأن يلحق الإنسان بإبله وبقره وغنمه، لأن وصفه تلك الطائفة بالبغي هو كما وصف به من وصَفَ به مِن الولاة بالأَثَرة والظلم.

فأمر مع ذكره لظلمهم بالصبر وإعطاء حقوقهم وطلب المظلوم حقه من الله، ولم يأذن للمظلوم المبغي عليه بقتال الباغي في مثل هذه الصور التي يكون [3]

---

[1] (?) هذا تقدم تخرجه .

[2] (?) تقدم.

[3] (?) هذا هو الصواب الذي دلت عليه السنة والآثار الصحيحة بخلاف ما يفهمه البعض الذين يحاولون دفع ظلم الحكام ونحوهم بالغضب والجزع والمظاهرات والتخريب وإثارة الشر والفتن وزعزعة أمن العباد وترك الصبر واللجوء إلى

القتال فيها فتنة، كما أَذِن في دفع الصائل بالقتال، حيث قال : ((من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد))[1] فإن قتال اللصوص ليس قتال فتنة، إذ الناس كلهم أعوان على ذلك، فليس فيه ضرر عامٌ على غير الظالم، بخلاف قتال ولاة الأمور ، فإن فيه فتنةً وشرًّا عامًّا أعظم من ظلمهم، فالمشروع فيه الصبر.

وإذا وصف النبي طائفةً بأنها باغية، سواء كان ذلك بتأويل أو غير تأويل، لم يكن مجرد ذلك موجباً لقتالها، ولا مبيحاً لذلك إذا كان قتال فتنة.

فتدبر هذا، فإنه موضع عظيم يظهر فيه الجمع بين النصوص، ولأنه الموضع الذي اختلف فيه اجتهاد علماء المؤمنين قديماً وحديثاً.

حيث رأى قوم قتال هؤلاء مع من هو أولى بالحق منهم، ورأى آخرون ترك القتال إذا كان القتال فيه من الشر أعظم من ترك القتال كما كان الواقع، فإن أولئك كانوا لا يبدأون البغاة بقتالٍ حتى يجعلوهم صائلين عليهم، وإنما يكون ذنبهم ترك واجب مثل الامتناع من طاعة معين والدخول في الجماعة. فهذه الفرقة إذا كانت باغية وفي قتالهم من الشر- كما وقع- أعظم من مجرد الاقتصار على ذلك، كان القتال فتنة، وكان تركه هو المشروع، وإن كان المقاتل أولى بالحق وهو مجتهد.

وكل ما أوجب فتنة فليس من الدين سواء كان قولا أو فعلا، ولكن المصيب العادل عليه أن يصبر.

فأمور القلوب لها أسباب كثيرة، ولا يعرف كل أحد حالَ غيره من إيذاء له بقول أو فعل، قد يحسب المؤذَى

الله ونحو ذلك مما قد نهى الله عنه ورسوله صلى الله عليه وسلم الأمور التي حرمها الله ورسوله. .

[1] (?) رواه الترمذي في سننه ج 4/22// ح(1421) كتاب الديات باب ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد أبو داود في سننه ج5/128ح(4772) كتاب السنة باب في قتال اللصوص وأحمد في المسند ج 1/190 وصححه الألباني في الإرواء رقم(708) وفي المشكاة رقم(20) 3529.

-إذا كان مظلوماً لا ريب فيه- أن ذلك المؤذِي محض باغٍ عليه، ويحسب أنه يدفع ظلمه بكل ممكن. ويكون مخطئاً في هذين الأصلين، إذ قد يكون المؤذي متأولاً مخطئاً.

وإن كنا ظالما لا تأويل له فلا يحل دفع ظلمه بما فيه فتنة بين الأمة، وبما فيه شر أعظم من ظلمه. بل يؤمر المظلوم هاهنا بالصبر، فإن ذلك في حقه محنة وفتنة.

وإنما يقع المظلوم في هذا لجزعه وضعف صبره، أو لقلة علمه وضعف رأيه. فإنه قد يحجب أن القتال ونحوَه من الفتن يدفع الظلم عنه، ولا يعلم أنه يضاعف الشر كما هو الواقع، وقد يكون جزعه يمنعه من الصبر.

والله سبحانه وصف الأئمة بالصبر واليقين، فقال: ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ[1] .

وذلك أن المظلوم، وإن كان مأذوناً له في دفع الظلم عنه بقوله تعالى: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ[2] .

فذلك مشروط بشرطين:

أحدهما: القدرة على ذلك.

والثاني: ألا يعتدي.

فإذا كان عاجزا، أو كان الانتصار يُفضي إلى عدوان زائد، لم يَجز. وهذا هو أصل النهي عن الفتنة؛ فكان المنتصر عاجزا، وانتصاره فيه عدوان، فهذا هذا.

ومع ذلك فيجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب إظهار السنة والشريعة، والنهي عن البدعة والضلال بحسب الإمكان. كما دل على وجوب ذلك الكتاب والسنة وإجماع الأمة[3] .

الرابعة: أن أمور الناس لا تستقيم مع الظلم أو الفوضى وقلة الأدب وإنما بالعلم والعدل والصبر والتسامح

---

1 (?) السجدة.

2 (?) الشورى.

3 (?) الاستقامة ج2/32، 33، 34، 35، 36، 37.

قال شيخ الإسلام ((وأمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم: أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم؛ ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة؛ ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة. ويقال : الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام . وقد قال النبي ﷺ: ((ليس أسرع عقوبة من البغي وقطيعة الرحم))[1] ؛ فالباغي يصرع في الدنيا وإن كان مغفورا له مرحوما في الآخرة، وذلك أن العدل نظام كل شيء؛ فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة))[2] .

فهذا من رحمة الله على عباده حيث لم يترك الناس كالبهائم يقتل بعضهم بعضا ويظلم بعضهم بعضا بل أمر بالعدل والعلم، ونهن عن الظلم والبغي، وهذا من محاسن هذا الدين العظيم وعدله.

ويظهر لمن تأمل هذه النصوص والقواعد دقة علم شيخ الإسلام وبعد نظره ونهيه عن الأسباب المؤدية إلى التفرق والعداوة والبغضاء بين الأمـة.

فتبين ما يلي:

1- **أن الظلم والبغي له سبب في قطع العلاقات والروابط الأخوية ووقوع الشر والعدوان والفتنة والتفرق.**
2- **أن الله تعالى قد حرم الظلم مطلقا دقه وجله وحرمه على نفسه وجعله محرما بين الناس ونهى عن الظلم مطلقاً.**
3- **أن من الظلم والبغي دفع الشر بما هو شرمنه سواء في الأقوال أو الأقوال.**

---

[1] (?) رواه البخاري في الأدب المفرد ص37ح(67) صحيح ابن حبان ج2/201 و الحاكم في المستدرك ج4/201 وعبد الرزاق في مصنفه ج11/170 وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم(5705).

[2] (?) مجموع الفتاوى ج28/146.

4- أن من صفات أهل البدع والأهواء قديما وحديثا الظلم والبغي يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم فيها ويستبيحون دمه وماله وهذا من الظلم.

5- أن هذا الدين الإسلامي مبني على أساس متين وأصول قويمة من تحقيق العبودية لله وحده، وإقامة العدل بين الناس بإعطاء كل ذي حق حقه من الرعاة والرعية والسماحة والرحمة بالخلق.

المبحث الثـــاني: طلب الرئاسة والانتصـــار للنفس وحب الشهرة وأثره في الفرقة

من طبع الإنسان حب الرئاسة والعلو والمكانة والجاه والشرف والسيطرة والاستيـلاء و الغبلة والملك والمدح وغيرها من شهوات النفوس فإذا لم يصاحب هذا الحب صحة الاعتقاد المؤصل بالكتاب والسنة كان شرا وفتنة ووبالا على الفرد والمجتمع وقل من ينجو من هذا أو يتوسط فيه إلا من رحم الله؛ ولهذا بين شيخ الإسلام ابن تيمية أن السعي في الحصول على ذلك بأي طريقة وبأي وسيلة يؤدي إلى الشر والفرقة والاختلاف وذكر نصوصا كثيرة تبين أثر ذلك في تفرق الأمة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((ولا ريب أن الحرص والرغبة في الحياة الدنيا وفي الدار الدنيا مضر، كما روى الترمذي عن كعب بن مالك[1] قال : قال رسول الله ﷺ: ((ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه))[2] قال الترمذي حديث حسن صحيح.

فذم النبي ﷺ الحرص على المال والشرف وهو الرئاسة والسلطان، وأخبر أن ذلك يفسد الدين مثل أو فوق إفساد الذئبين الجائعين لزريبة الغنم.

وهذا دليل على أن هذا الحرص إنما ذم لأنه يفسد الدين الذي هو الإيمان والعمل الصالح، فكان ترك هذا

---

1 (?) **كعب بن مالك** بن أبي بن كعب بن القين، بن كعب بن سواد أبو عبد الله الأنصاري السّلمي، بفتحتين، ؓ ويقال: أبو بشير ويقال: أبو عبد ارحمن. شهد العقبة وبايع بها، وتخلف عن بدر؛ وشهد أُحداً وما بعدها وتخلّف في تبوك، وهو أحد الثلاثة الذين تيب علهيم، مات أيام قُتل علي بن أبي طالب/ الإصابة في تمييز الصحابة ج8/304 رقم(7428.

2 (?) سنن الترمذي ج4/508 ح(2376) كتاب الزهد باب ما جاء في أخذ المال . وقال هذا حديث حسن صحيح ورواه أحمد في مسنده ج3/456 والحاكم في المستدرك ج3/474. وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم(5620).

الحرص لصالح العمل، وهذان هما اللذان ذكرهما الله في سورة القصص حيث افتتحها بأمر فرعون، وذكر علوه في الأرض، وهو الرياسة والشرف والسلطان، ثم ذكر في آخرها قارون وما أوتيه من الأموال، وذكر عاقبة سلطان هذا وعاقبة مال هذا، ثم قال: ﴿ ﴾[1] كحال فرعـون و قارور؛ فإن جمع الأموال من غير إنفاقها في مواضعها المأمور بها وأخذها من غير وجهها هو من نوع الفساد.

وكذلك الإنسان إذا اختار السلطان لنفسه بغير العدل والحق لا يحصل إلا بفساد وظلم، وأما نفس وجود السلطان والمال الذي يبتغى به وجه الله والقيام بالحق والدار الآخرة، ويستعان به على طاعة الله، ولا يفتر القلب عن محبة الله ورسوله والجهاد في سبيله، كما كان النبي ﷺ وأبو بكر وعمر، ولا يصده عن ذكر الله، فهذا من أكبر نعم الله تعالى على عبده إذا كان كذلك. ولكن قل أن تجد سلطان أو مال إلا وهو مبطأ مثبط عن طاعة الله ومحبته، متبع هواه فيما آتاه الله، وفيه نكول الحرب والقتال في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فبهذه الخصال يكتسب المهانة والذم دنياً وأخرى.

وقد قال تعالى: ﴿ ﴾[2]، فأخبر أنهم هم الأعلون وهم مع ذلك لا يريدون علواً في الأرض ولا فسادًا)).

فالشرف والمال لا يحمدان مطلقا ولا يذمان مطلقاً، بل يحمد منه ما أعان على طاعة الله، وقد يكون ذلك واجباً، وهو ما لابد منه في الواجبات. وقد يكون مستحبا. وإنما يحمد إذا كان بهذه النية. ويذم ما استعين به على معصية الله أو صد عن الواجبات، فهذا حرام))[3] .

---

1. (?) القصص (83).
2. (?) آل عمران (139).
3. (?) مجموع الفتاوى ج20/142-144.

وقد قسَّم الناس –رحمه الله- في هذا الباب إلى أربعـة أقسام:

القسم الأول: يريدون العلو على الناس والفساد في الأرض وهو معصية الله وهؤلاء الملوك والرؤساء المفسدين، كفرعون وحزبه. وهؤلاء هم شرار الخلق. قال الله تعالى: ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﭼ[1] . ورى مسلم في صحيحه عن ابن مسعود قال : قال رسول الله: ((لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان))[2] فقال رجل يا رسول الله: إني أحب أن يكون ثوبي حسناً، ونعلي حسناً. أفمن الكبر ذاك؟ قال: ((لا، إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس)) فبطر الحق دفعه وجحده. و غمط الناس، احتقارهم وازدراؤهم، وهذا حال من يريد العلو والفساد.

القسم الثاني: الذين يريدون الفساد، بلا علو، كالسراق والمجرمين من سفلة الناس.

القسم الثالث: يريدون العلو بلا فساد، كالذين عندهم دين يريدون أن يعلوا به على غيرهم من الناس.

القسم الرابع: فهم أهل الجنة، الذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فساداً، مع أنهم قد يكونون أعلى من غيرهم، كما قال الله تعالى: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼ[3] وقال تعالى: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ[4] .

فكم ممن يريد العلو، ولا يزيده ذلك إلا سفولاً، وكم ممن جعل من الأعلين وهو لا يريد العلو ولا الفساد؛ وذلك لأن إرادة العلو على الخلق ظلم؛ لأن الناس من

---

1 (?) القصص.

2 (?) رواه مسلم في صحيحه ص33 ح(91) كتاب الإيمان باب تحريم الكبر وبيانه.

3 (?) آل عمران.

4 (?) سورة محمد.

جنس واحد، فإرادة الإنسان أن يكون هو الأعلى ونظيره تحت ظلم، ومع أنه ظلم فالناس يبغضون من يكون كذلك ويعادونه؛ لأن العادل منهم لا يحب أن يكون مقهوراً لنظيره، وغير العادل منهم يؤثر أن يكون هو القاهر، ثم إنه مع هذا لا بد لهم – في العقل والدين- من يكون بعضهم فوق بعض، كما قدمناه، كما أن الجسد لا يصلح إلا برأس. قال تعالى: ﴿ ... ﴾[1] [2] .

فالحرص على حب الزعامة وطلب الرئاسة والعلو والسعي للحصول عليه سبب للفتن والشرور والعداوة والفساد في الأرض وتضييع الحقوق وتعطيل المصالح وقلَّ أن يسلم صاحبه من الظلم والعدوان واستخدام الوسائل المحرمة.

قال: ((ومن شأن النفوس أنها لا تحب اختصاص غيرها بها؛ لكن تريد أن يحصل لها ما حصل له، وهذا هو الغبطة التي هي أدنى نوعي الحسد. فهي تريد الاستعلاء على الغير والاستئثار دونه؛ أو تحسده وتتمنى زوال النعمة عنه وإن لم يحصل؛ ففيها من إرادة العلو والفساد والاستكبار والحسد ما مقتضاه أنها تختص بها بالشهوات؛ فكيف إذا رأت الغير قد استأثر عليها[3] بذلك واختص بها دونها؟ فالمعتدل منهم في ذلك الذي يحب اشتراك والتساوي، وأما الآخر فظلوم حسود))[4] .

ولهذا قال الله تعالى في وصف الأنصار وأثنى عليهم : ﴿ ... ﴾[5] أي مما أوتي إخوانهم

---

[1] (?) الأنعام (165).
[2] (?) مجموع الفتاوى ج28/393،394.
[3] (?) فغالب نظرة الخوارج من هذا الباب حتى قالوا للنبي ﷺ: ((اعدل)) وهو سبب خروجهم على ولاة الأمور وعلى جماعة المسلمين كما سيأتي بيانه.
[4] (?) مجموع الفتاوى ج28/143. والاستقامة ج2/242- 243.
[5] (?) الحشر (9).

المهاجرون، قال المفسرون لا يجدون في صدورهم حاجة أي حسدا وغيظاً مما أوتي المهاجرون،فهم لا يجدون حاجة مما أوتوا من المال ولا من الجاه، والحسد يقع في هذا وهذا.

وكان بين الأوس والخزرج منافسة على الدين فكان هؤلاء إذا فعلوا ما يفضلون به عند الله ورسوله أحب الآخرون أن يفعلوا نظير ذلك، فهو منافسة فيما يقربهم إلى الله كما قال: ﴿ ﴾[1] .[2]

فالخارجون على الجماعـة المسلمين وعلى ولاة أمـورهم من أهل البدع والأهواء واستحلوا دماءهم وأموالهم وفرقوا كلمتهم من أكثر دوافع ذلك حب الرياسة والانتصار للنفس وترك الصبر والجزع.

وقد تأثر بهذا الداء طوائف وفرق كثيرة تنتسب إلى هذه الأمـة تحت غطاء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جهلاً وقد يكون بحسن نية وحماس بلا فقه للكتاب والسنة، وقد يكون سوء قصدٍ فيقع بذلك شر وفتنة وبلاء وضرر عظيم على الأمة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « والأمر بالسنة والنهي عن البدعة أمر بمعروف ونهي منكر، وهو من أفضل الأعمال الصالحة، فجب أن يبتغى به وجهة الله، وأن يكون مطابقاً للأمر.

قال تعالى: ﴿ ﴾[3] **.**

وقد أمر الله نبيه بالصبر على أذى المشركين في غير موضع، وهو إمام الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر. **فإن الإنسان عليه أولاً أن يكون أمره لله، وقصده طاعة الله فيما أمر به. وهو يحب صلاح المأمور، أو إقامة الحجة عليه، فإن فعل ذلك لطلب الرياسة لنفسه ولطائفته، وتنقيص غيره،**

---

1 (?) المطففين.

2 (?) مجموع الفتاوى ج10/120.

3 (?) لقمان.

كان ذلك حميّة لا يقبله الله، وكذلك إذا فعل ذلك لطلب السمعة والرياء كان عمله حابطاً. ثم إن رُدَّ عليه وأُوذِي أو نسب إلى أنه مخطئ وغرضه فاسد، **طلبت الانتصار لنفسه**، وأتاه الشيطان، فكان مبدأ عمله لله، ثم صار له هوىً يطلب به أن ينتصر على من آذاه، وربما اعتدى على ذلك المؤذي.

وهكذا يصيب أصحاب المقالات المختلفة، إذا كان كل منهم يعتقد أن الحق معه، وأنه على السنة؛ فإن أكثرهم قد صار لهم في ذلك هوىً أن ينتصر جاههم أو رياستهم وما نسب إليهم، لا يقصدون أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون الدين كله لله، بل يغضبون على من خالفهم، وإن كان مجتهداً معذوراً لا يغضب الله عليه، ويرضون عمن يوافقهم، وإن كان جاهلاً سيء القصد، ليس له علم ولا حسن قصد، فيفضي هذا إلى أن يحمدوا من لم يحمده الله ورسوله. ويذموا من لم يذمه الله ورسوله، وتصير موالاتهم ومعاداتهم على أهوائهم لا على دين الله ورسوله.

وهذا حال الكفار الذين لا يطلبون إلا أهواءهم، ويقولون: **هذا صديقنا وهذا عدونا، وبلغة المُغل: هذا بالٍ، هذا باغى**[1]**، لا ينظرون إلى موالاة الله ورسوله، ومعاداة الله ورسوله.**

ومن هنا تنشا الفتن بين الناس. قال الله تعالى: ﴿ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ﴾[2] **فإذا لم يكن الدين كله لله كانت فتنة.**

وأصل الدين أن يكون الحب لله، والبغض لله، والموالاة لله، والمعاداة لله. والإعطاء لله، والمنع لله. وهذا إنما يكون بمتابعة رسول الله الذي أَمْرُه أمر الله،

---

1. (?) هذا في لغة هؤلاء والآن تغيرت فصار يقال: كل من لم يكن معنا فهو ضدنا فكل من لم يهاجر إلينا فهو في دار كفر وعداوة. فحكمه حكم الكفار.
2. (?) الأنفال (39).

ونهيه نهي الله، ومعاداته معاداة الله، وطاعته طاعة الله، ومعصيته معصية الله.

وصاحب الهوى يعميه الهوى ويصمّه، فلا يستحضر ما لله ورسوله في ذلك، ولا يطلبه، ويرضى لرضا الله ورسوله، ولا يغضب لغضب الله ورسوله، بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهــواه، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه، ويكون مع ذلك معه شبهة دين: أن الذي يرضى له ويغضب له أنه السنة، وهو الحق، وهو الدين، فإذا قدر أن الذي معه هو الحق المحض دين الإسلام، ولم يكن قصده أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، بل قصد الحمية لنفسه وطائفته أو الرياء ، ليُعظَّم هو ويُثنى عليه، أو فعل ذلك شجاعةً وطبعاً، أو لغرض من الدنيا- لم يكن لله، ولم يكن مجاهداً في سبيل الله. فكيف إذا كان الذي يدَّعي الحق والسنة هو كنظيره، معه حق وباطل، وسنة وبدعة، ومع خصمه حق وباطل، وسنة وبدعة؟!

وهذا حال المختلفين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا، وكفر بعضهم بعضاً، وفسَّق بعضهم بعضاً))[1] .

وقال في موضع آخر بعد تقسيم الناس إلى ثلاث فرق: ((وفريق عندهم خوف من الله تعالى، ودين يمنعهم عما يعتقدونه قبيحاً من ظلم الخلق، وفعل المحرم. فهذا حسن واجب؛ ولكن قد يعتقدون مع ذلك: أن السياسة لا تتم إلا بما يفعله أولئك من الحرام، فيمتنعون عنها مطلقاً؛ وربما كان في نفوسهم جبن أو بخل، أو ضيق خلق ينضم إلى ما معهم من الدين، فيقعون أحياناً في ترك واجب، يكون تركه أضر عليهم من بعض المحرمات، أو يقعون في النهي عن واجب، يكون النهي عنه من الصد عن سبيل الله. وقد يكونون متأولين. **وربما اعتقدوا أن إنكار ذلك واجب ولا**

---

[1] (?) منهاج السنة ج5/254-255، 256. وانظر. مجموع الفتاوى ج7/ 193 وج8/ 218 ج14/324.

يتم إلا بالقتال، فيقاتلون المسلمين كما فعلت الخوارج، وهؤلاء لا تصلح بهم الدنيا ولا الدين الكامل؛ لكن قد يصلح بهم كثير من أنواع الدين وبعض أمور الدنيا. وقد يعفى عنهم فيما اجتهدوا فيه فأخطأوا، ويغفر لهم قصورهم، وقد يكونون من الأخسرين أعمالاً، الذي ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً. **وهذه طريقة من لا يأخذ لنفسه، ولا يعطي غيره، ولا يرى أنه يتألف الناس من الكفار والفجار؛ لا بمالٍ ولا بنفعٍ، ويرى أن إعطاء المؤلفة قلوبهم من جورٍ والعطاء محرم**[1] .

ومن أسباب ذلك أن الظالم الذي يستأثر بالمال والولايات لا يُقاتل في العادة إلا لأجل الدنيا ، يقاتله الناس حتى يعطيهم المال والولايات، وحتى لا يظلمهم، فلم يكن أصل قتالهم ليكون الدين كله لله، ولتكون كلمة الله هي العليا، ولا كان قتالهم من جنس قتال المحاربين قطّاع الطريق.

وبالجملة العادة المعروفة أن الخروج على ولا ة الأمور يكون لطلب ما في أيديهم من المال والإمارة، وهذا قتال على الدنيا[2] .

بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين فبالصبر تدفع الشبهات، وباليقين تُدفع الشبهات.

- أن حب الرياسـة والسعي في طلبه بأي وسيلة ممكنة يؤدي إلى العداوة والبغضاء والفرقة بل هو أصل البغي والظلم والشر وهو الشهوة الخفية كما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية.
- وأن الانتصار للنفس والجزع من قلة الصبر من موجبات التفرق والاختلاف يؤدي إو زيادة الفتنة وقد يقود الفرد أو المجتمع إلى ويلات وإلى شر عظيم

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج28/293، 294.

2 (?) منهاج السنة ج5/ 151، 152 .

فعلى المسلم الصبر والدعوة إلى الله بالتي هي أحسن.

- أن الانتصار للنفس لا يكون إلا عند البغي على الشخص أو الجماعــة قال تعالى: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ الشورى: ٤١
- بالصبر واليقين تتحقق مصالح الدنيا والدين وتنال الإمامة في الدين كما بينه شيخ الإسلام.
- إن حب الشهرة والظهور فيه من المفاسد ما لا يعلمه إلا الله تعالى من البغي والظلم والحسد والانتقام للنفس والعداوة والبغضاء والفرقة.
- أن الواجب في الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون قصده إعلاء كلمة الله ويكون الدين كله لله ويلزم الصبر والرفق والحلم ابتغاء وجه الله.

-و الواجب اتباع الكتاب والسنة والاعتصام بهما ورحمة الخلق وبذل الخير و الحسن لهم عند الأمربالمعروف والنهي عن المنكر.

المبحث الثالث: الجدال بغير حق وأثره في التفرق والاختلاف

من الأمور المهمة التي قررها شيخ الإسلام ابن تيمية أن الجدال إذا لم يكن القصد منه البحث عن الحق للعمل به وإعلاء كلمة الله فهو الجدال بغير حق وبغير علم الذي نهى عنه الشارع كالجدال بآيات الله ومعارضة نصوص الشرع بالعقل للتشكيك وإلقاء الشبه التي تورّث الريب في القلوب و العداوة والبغضاء والتفرق والاختلاف.

هذا قد أشار إليه شيخ الإسلام في عدة مواضع من كتبه وبين الحق والباطل منه، ووضح أن المراء في الدين والمجادلة بغير حق وبغير علم سمة من سمات أهل البدع وهدفهم إما رد النصوص الصحيحة وإما التشويش والتشكيك أو طلب العلو والفساد وتفريق الكلمة لا طلب العلم والعمل به فكان جدالهم بغير علم وبغير حق وجدال بالباطل وليحضوا به الحق.

قال -رحمه الله-: و((أما قوله تعالى: چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ چ[1] فهو أمر للمؤمنين أن يقولوا الحق الذي أوجبه الله عليهم، وعلى جميع الخلق ليرضوا به الله، تقوم به الحجة على المخالفين، فإن هذا من الجدال بالتي هي أحسن، وهو أن تقول كلاماً حقاً يلزمك، ويلزم المنازع لك أن يقوله، فإن وافقك وإلا ظهر عناده وظلمه.

كما قال تعالى: چ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ چ[2] .

ويمكن القول بأن الناس في هذا الأمر ثلاثة أقسام:

إما أن يعترف بالحق ويتبعه، فهذا صاحب الحكمة.

وإما أن يعترف به؛ لكن لا يعمل به، فهذا يوعظ حتى يعمل.

---

[1] (?) العنكبوت آية: (46).

[2] (?) البقرة آية: (139)

وإما أن لا يعترف به، فهذا يجادَل بالتي هي أحسن، لأن الجدال في مظنة الإغضاب، فإذا كان بالتي هي أحسن: حصلت منفعة بغاية الإمكان، كدفع الصائل.

الأمر الآخر أن كلام الله لا يشتمل إلا على حق يقين؛ لا يشتمل على ما تمتاز به الخطاب والجدل عن البرهان: بكون المقدمة مشهورة، أو مسلمة غير يقينية، بل إذا ضرب الله مثلاً مشتملاً على مقدمة مشهورة، أو مسلمة، فلا بد وأن تكون يقينية. فإما الاكتفاء بمجرد تسليم المنازع من غير أن تكون المقدمة صادقة، أو بمجرد كونها مشهورة، وإن لم تكن صادقة فمثل هذه المقدمة لا يشتمل عليها كلام الله، الذي كله حق وصدق، وهو أصدق الكلام، وأحسن الحديث)) [1].

((فمن كان قصده الحق وإظهار الصواب اكتفى بما قدمناه، ومن كان قصده الجدال والقيل والقال والمكابرة لم يزده التطويل إلا خروجاً عن سواء السبيل)). [2]

والجهمية النفاة المعطلة قلبوا حقائق الأدلة والبراهين العقلية والسمعية، ثم ادعوا أن معهم دلالات عقلية تعارض الآيات السمعية فحرفوا الآيات وبدلوها بالتأويل، بعد أن أفسدوا العقول بزخرف الأباطيل [3].

وأغلب الفتن التي وقعت بين الأمة ولُبِّس فيها الحق بالباطل وتأثرت بها العقول الضعيفة من الطوائف المنتسبة إلى هذه الأمة قد جاءتْ مِن هذا الباب المراء في الدين والجدال بغير علم وحق والمناظرات الباطلة، إذ أورث العداوة والبغضاء والاختلاف والفرقة والتشكيك في نصوص الشرع إما جهلاً وتفريطاً أو قصدا كما ذكر شيخ الإسلام:

---

1 (?) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج3/82 ومجموع الفتاوى ج2/45، 46. بتصرف بسيط

2 (?) مجموع الفتاوى ج4/7.

3 (?) درء تعارض العقل والنقل ج7/84.

*** القدرية وغيرها من** الطوائف **قد أُتوا من هذا الباب**

فـ ((القدرية قصدوا تنزيه الله عن السفه، وأحسنوا في هذا القصد. فإنه سبحانه مقدس عما يقول الظالمون_ من إبليس وجنوده_ علواً كبيراً، حكمٌ، عدلٌ. لكن ضاق ذرعهم وحصل عندهم نوع جهل اعتقدوا معه أن هذا التنزيه لا يتم إلا بأن يسلبوه قدرته على أفعال العباد، وخلقه لها، وشمول إرادته لكل شيء. فناظروا إبليس وحزبه في شيء، واستحوذ عليهم إبليس من ناحية أخرى.

وهذا من أعظم آفات الجدال في الدين بغير علم أو بغير الحق. وهو الكلام الذي ذمه السلف، فإن صاحبه يرد باطلا بباطل وبدعة ببدعة.

فجاء طوائف ممن ناظرهم من أهل الإثبات ليقرروا أن الله خالق كل شيء، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه على كل شيء قدير. فضاق ذرعهم وعلمهم، واعتقدوا أن هذا لا يتم إن لم تنكر محبة الله، ورضاه، وما خص به بعض الأفعال دون بعض من الصفات الحسنة والسيئة؛ وتنكر حكمته، ورحمته،_ فيجوز عليه كل فعل، لا ينزه عن ظلم ولا غيره من الأفعال.

وزاد قوم في ذلك حتى عطلوا الأمر والنهي والوعد والوعيد رأساً. ومال هـؤلاء إلى الإرجاء، كما مال الأولون إلى الوعيد. فقالت الوعيدية : كل فاسق في النار_ لا يخرج منها أبداً؛ وقالت الخوارج: هو كافر. وغالية المرجئة أنكرت عقاب أحد من أهل القبلة. ومـن صرح بالكفر أنكر الوعيد في الآخرة رأساً. كما يفعله طوائف من الاتحـادية، و المتفلسفة، والقرامطة، والباطنية. وكان هؤلاء الجبرية المرجئة أكفر بالأمر والنهي والوعد والوعيد من المعتزلة الوعيدية القدرية)).[1]

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج16/241- 242.

وهذا شأن عامــة الافتراق ولاختلاف في هذه الأمـة وغيرها. وهذا من ذلك. فإنهم اشتركوا في أن كون الرب خالقاً لفعل العبد ينافي كون فعله منقسماً إلى حسن وقبيحٍ. وهذه المقدمة فيها جدلا من غير أن تكون حقاً في نفسها أو عليها حجة مستقيـمة[1] .

وكذالك الجهمية:

جادلوا المتكلمين من المشركين ولبسوا عليهم بجدالهم الباطل بغير حق ولا برهان صحيح فتأثروا عليهم، فصاروا من رؤوس الفتنة و الضلال.

كما ذكر شيخ الإسـلام –رحمه الله- قال: ((فأولئك المتكلمون من المشركين و السمنية الذين ناظروا الجهم قد غالطوا الجهم ولبسوا عليه في الجدل حيث أوهموه أن ما لا يحسه الإنسان بنفسه لا يقره، وهذا هو الأصل الذي ضل به جهم وشيعته، حيث زعموا أن الله لا يمكن أن يرى، ولا يحس به شيء من الحواس.

والمقصود هنا: أن أولئك المشركين المناظرين قالوا كلاما مجملاً، فجعلوا الخاص عاماً، والمعين مطلقاً؛ حيث قالوا: أنت لم تحسه وما لم تحسه أنت لا يكون موجوداً. والمقدمة الثانية باطلة، لكن موّهوها بالمعنى الصحيح وهو: أن ما لم يمكن إحساسه لا يكون موجوداً، فناظرهم المناظرون من الصابئة والمقتدي بهم جهم وأصحابه، بحال في هذه المقدمة حتى أنكروا الذي عليه أولئك الذين موّهوه بالباطل، وزعم أنه قد يكون موجوداً ما لا يمكن إحساسه بحالٍ في وقت من الأوقات شيء من الموجودات، وزعموا أن الروح كذلك، ثم أخذوا هذه المقدمة الباطلة التي نازعوا فيها ألئك المشركين فنازعوا فيها إخوانهم المؤمنين،فصاروا مجادلين للمؤمنين بمثل ما جادلوا به المشركين، كمن قاتل

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج16/245-246.

المشركين زعماً أنه لم يقاتل ذلك القتال استولى عليه المشركون..)) [1] .

قال في موضع آخر مخاطباً للجهمية:

((...ومن هنا تسلّط عليكم القرامطة، والفلاسفة والمعتزلة، ونحوهم من النفاة، وكلام أئمتكم معهم كلام قاصر، يظهر قصوره لمن كان خبيراً بالعقليات، وسبب ذلك تقصيرهم في مناظرتهم، حيث سلّموا لهم مقدمات عقلية ظنونها صحيحة وهي فاسدة، فاحتاجوا إلى إثبات لوازمها، فاضطروا إما إلى موافقتهم على الباطل، وإما إلى التناقض الذي يظهر به فساد قولهم، وإما إلى العجز الذي يظهر به قصورهـم وانقطاعهم.

ثم أخذوا يناظرون أهل الإثبات للعلو ونحوه، بما به ناظرهم أولئك، ويتسلّطون على العاجز عن مناظرتهم من المثبتين، كما تسلّط عليهم أولئك، فصاروا بمنزلة من قصَّروا في جهاد من يليهم من الكفار حتى غلبوهم وهزموهم، حتى ظهر الباطل والكفر والضلال، بتفريطهم أولاً في جهاد من يليهم من الكفار، وعداوتهم ثانياً على من يليهم من المسلمين.

وصاروا على ضدِّ ما وصف الله به المؤمنين حيث قال: ﭽﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝﭞ ﭼ[2]ﭽﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ[3] فصاروا أعزة على المؤمنين أذلة على الكافرين. كما نعت النبي ﷺ الخوارج حيث قال: ((يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان)) [4].

وحال الجهمية والروافض شر من حال الخوارج، فإن الخوارج كانوا يقاتلون المسلمين ويدَعُون قتال الكفار، وهؤلاء أعانوا الكفار على قتال المسلمين وذلوا للكفار، فصاروا معاونين للكفار أذلاء لهم، معاندين للمؤمنين

---

1 (?) الفتاوى الكبرى ج5/45، 46.
2 (?) الفتح آية(29).
3 (?) المائدة آية (54).
4 (?)تقدم تخريجه.

أعزاء عليهم، كما قد وُجد مثل ذلك في طوائف القرامطة والرافضة والجهمية النفاة والحلولية. ومن استقرأ أحوال العالم رأى من ذلك عِبَراً، وصار في هؤلاء شبهٌ من الذين قال الله فيهم: ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ[1] .

ولهذا تجد كثيراً من هؤلاء النفاة يصنّف في الشرك والسحر وعبادة الكواكب والأوثان وفي النفاق والزندقة التي توجد في كلام كثير من الفلاسفة وغيرهم، بل يخضع لهؤلاء الكفار والمنافقين ويذل لهم، ويريد أن يعلو على المؤمنين ويقهرهم، وإن كان هذا بسبب ضعف من قاتله من المؤمنين وتفريطهم وعداوتهم، كما أن قهر أولئك الكفار له كان بسبب ضعفه الحاصل من تفريطه وعدوانه، فالذم لا حقٌ له بقدر ما فرّط فيه من حقوق الله وتعدّاه من حرماته، كما أن هؤلاء يلحقهم أيضا الذم بقدر ما فرطوا فيه من حقوق الله وتعدوه من حرماته)) [2] .

وإن كان كذلك، في هذا بيان أن لا يجوز لأحد أن يعارض كتاب الله بغير كتاب الله، فمن عارض كتاب الله وجادل فيه بما يسميه معقولات وبراهين و أقيسة أو ما يسميه مكاشفات ومواجيد وأذواق من غير أن يأتي على ما يوله بكتاب منزل فقد جادل في آيات الله بغير سلطان، هذه حال الكفار الذين قال فيهم: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ[3] . فهذه حال من يجادل في آيات الله مطلقاً.

ومن المعلوم أن الذي يجادل في جميع آيات الله لا يجادل بسلطان.فإن السلطان من آيات الله.

فأما معارضة القرآن بمعقول أو قياس فهذا لم يكن يستحله أحد من السلف وإنما ابتدع لما ظهرت الجهمية

---

1. (?) النساء (51-52).
2. (?) درء تعارض العقل والنقل ج7/137 -139.
3. (?) غافر(4).

والمعتزلة ونحوهم ممن بنوا أصول دينهم على ما سموه معقولات، وردوا القرآن إليه: وقالوا إذا تعارض العقل والشرع إما أن يفوض أو يتأول، فهـؤلاء من أعظم المجادلين في آيات الله بغير سلطان أتاهم[1] .

وهذا من أعظم الفتن لأن القرآن مهيب جدًّا، فإن جادل به منافق على باطل أحاله حقاً، وصار مظنة للأتباع على تأويل ذلك المجادل، ولذلك كان الخوارج فتنة على الأمـة إلا من ثبت الله، لأنهم جادلوا به على مقتضى آرائهم الفاسدة ووثقوا تأويلاتهم بموافقة العقل لها فصاروا فتنة على الناس، وكذلك الأئمة المضلون[2].

فلهذه الأسباب وغيرها جاء النهي عن مثل هذه الأنواع من الجدال والمناظرات وذمّ أهلها والتحذير منهم في أكثر من موضع في كتاب الله تعالى لأنهم من أهل الشر والفساد والتشكيك والتلبيس والتضليل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((ولهذا قال تعالى في هؤلاء ومن في حكمهم: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ[3] **.**

أي كبُر مقتهم، أو كبُر هذا المقت_ أو كبر هذا الجدال، أو هذا الفعل_ مقتًا أي ممقوتاً. كما قال تعالى: ﭽ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭼ[4] **.**

فالمخصوص بالمدح والذم في هذا الباب كثيراً ما يكون مضمرًا إذا تقدم ما يعود الضمير إليه والمدح يراد به الرجل: كما تقول: نعم رجلاً زيدٌ. ونعم رجلاً، وزيدٌ نعم رجلاً.

---

1 (?) كتاب الاستقامة ج1/22، 23..

2 (?) الموافقات للشاطبي ج3/318.

3 (?) غافر(35).

4 (?) الكهف آية: (5).

والمقتُ البغض الشديد، وهو من جنس الغضب المناسب لحال هؤلاء. كما قال في اليهود: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ[5] .

وقد وصفهم بنحو ما وصف به عدوَّهم فرعون، فقوله: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ[2] فوصفهم بالفساد في الأرض والعلو: كما أن قال ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﭼ[3] وختم السورة بقوله: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ[4] .

وهذا مما يبين أن قوله : ﭽ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ[5] مبتدأ، ليس بدلاً من قوله: ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ[6] .

فإنه سبحانه وصف هؤلاء بغير ما وصف هؤلاء. ويؤيد هذا أنه ابتداءً قد قال في الأخرى: ﭽ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ. وقال قبل هذه الآية: ﭽ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ[7] [8] .

قال في موضع آخر: « فالذي جاء به الكتاب والسنة النهي عن أمور:

1- الجدل بغير علم، كقوله تعالى: ﭽ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ[9] **.**

2- الجدل في الحق بعد ظهوره كقوله تعالى: ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ[10] **.**

---

5 (?) النساء آية: (155).

2 (?) الإسراء آية:ة (4).

3 (?) القصص آية: (4).

4 (?) القصص (83).

5 (?) غافر آية: (35).

6 (?) غافر(34).

7 (?) غافر آية (4).

8 (?) الاستقامة ج1/17، 18، 19

9 (?) آل عمران آية : (66).

10 (?) الأنفال آية(6).

3-الجدل بالباطل كقوله تعالى: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ[11] .

4-الجدل في آياته كقوله تعالى: ﭽ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ[2] .

وقوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ[3] **وكقوله تعالى:** ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﭼ[4] **وقوله:** ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭼ[5] وكقوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ[6] **وكقوله:** ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼ[7] [8] .

وكذلك ما جاء في السنة النبوية تحذر من الجدال الذي يقود إلى الاختلاف والفرقة كالحديث المشهور عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ: ((خرج على أصحابه وهم يناظرون في القدر، ورجل يقول: ألم يقل الله كذا؟ ورجل يقول: ألم يقل الله كذا؟ فكأنما فُقئ في وجهه حبُّ الرمان، فقال : أبهذا أمرتم؟ إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضاً، لا ليكذب بعضه بعضاً، انظروا ما أمرتم به فافعلوه، وما نهيتم عنه فاجتنبوا))[9]

---

11 (?) غافرآية(5).
2 (?) غافر آية (4).
3 (?) غافر(35).
4 (?) غافرآية: (56).
5 (?) الشورى آية: (35).
6 (?) الشورى آية:(16).
7 (?) الحج (8).
8 (?) درء تعارض العقل والنقل ج1/47،46
9 (?) تقدم تخريجه.

وكما قال في حديث آخر((إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فألئك الذين سمى الله، فاحذروهم))[1] [2]

قال شيخ الإسـلام قال الخطابي[3] : ((فلا تشتغل -رحمك الله- بكلامهم ولا تغتر بكثرة مقالاتهم، فإنها سريعة التهافت، كثيرة التناقض، وما من كلام تسمعه لفرقة منهم إلا ولخصومهم عليه كلام يوازيه، أو يقاربه، فكلٌّ بكلٍّ معارَضٌ، وبعضٌ ببعضٍ مقابَلٌ، وإنما يكون تقدم الواحد منهم، وفَلْجُه[4] على خصمه بقدر حظّه من البيان، وخذ قه في صنعة الجدل والكلام، وأكثر ما يظهر به بعضهم على بعض إنما هو إلزام من طريق الجدل، على أصول مؤصّلة لهم، ومناقضاتٍ على مقالات حفظوها عليهم، فهم يطالبونهم بقودها[5] وطردها، فمن تقاعد عن شيء منها سمّوه من طريق الجدل منقطعاً، وجعلوه مبطلاً، وحكموا بالفَلَج لخصمه عليه، والجدل لا يبين به حق، ولا تقوم به حجة. وقد يكون الخصمان على مقاتلين مختلفتين كلتاهما باطل ويكون الحق في ثالث غيرهما، فمناقضة أحدهما صاحبه غير مصححٍ مذهبه وإن كان

---

1 (?) تقدم تخريجه.

2 (?) درء تعارض العقل والنقل ج1/46، 47، 48.

3 (?) **هو الإمام العلامة، الحافظ اللغوي، أبو سليمان، حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي**، صاحب التصانيف. ولد سنة عشرة وثلاث مئة. أخذ الفقه على مذهب الشافعي عن أبي بكر القفال الشاشي، وأبي علي بن أبي هريرة، ونظرائهما. روى عن أبي عمرو بن السَّمّاك فقد ألّف وصنّف التصايف في فنون من العلم، ومنها : ((شرح السنن)) و((شرح الأسماء الحسنى)). وكتاب ((الغنية عن الكلام وأهله)) وغير ذلك. مات سنة 3888هـ/ انظر: السير ج17/23_28.

4 (?) فلج: الظفر والفوز. وقد فلج الرجل على خصمه يفلج فلجاً./ اللسان ج1/314 (فلج).

5 (?) وفي الغنية :بعودها.

مفسدا به قول خصمه، لأنهما مجتمعان معاً في الخطأ، مشتركان فيه كقول الشاعر:

حُجَجٌ تهافَتُ كالزجاج تخالها حقًّا، وكلٌّ كاسرٌ مكسور.

وإنما كان الأمر كذلك لأن واحداً من الفريقين لا يعتمد في مقالته التي ينصرها أصلاً صحيحاً، وإنما هي أوضاع تتكافأ وتتقابل، فيكثر المقال، ويدوم الاختلاف، ويقل الصواب.

قال لله تعالى: ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﭿ [1] فأخبر سبحانه أن ما كثُر فيه الاختلاف فليس من عنده. وهذا من أدلِّ الدليل على أن مذاهب المتكلمين مذاهب فاسدة، لكثرة ما يوجد فيها من الاختلاف المُفضي بهم إلى التكفير والتضليل، وكذلك صفة الباطل الذي أخبر الله عنه. ثم قال سبحانه في صفة الحق: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ[2] [3] .

هذا الجدال بغير الحق وبغير علم وبغير سلطان بين، هذه آثاره هي سفسطة تورث الشبهات وتقدح في الحق وتفسد العقول والنقول الصحيحة وتحيرها وتنشر الفتن وتصد عن سبيل الله وتسبب التفرق والشقاق وتلقي بين الناس العداوة والبغضاء كما بين شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله-.

فتبين من هذا أنه لا يجوز الجدال بغير حق وبغير علم بمعارضة الكتاب والسنة بالبدعة والرأي أو تقديمها عليهما وأن هذا من فعل أهل البدعة والأهواء الذين لم يعتصموا بالكتاب والسنة بل اتبعوا الباطل والمتشابهات لتضليل الناس وتشكيكهم في دينهم وعلمهم كما بينه شيخ الإسـلام ابن تيمية فكل من اتبع المتشابه على هذا الوجه فهو مذموم وهو حال من يريد أن يشكك الناس

---

1 (?) السناء آية: (82).

2 (?) الأنبياء آية (18).

3 (?) رسالة الغنية ج1/146 ودرء تعارض العقل والنقل ج 7/313ـ315.

فيما علموه من الحق المنزل من عند الله ، وهذا أصل الفتنة التي تورث الشبهات والقدح في نصوص الكتاب والسنة.

وأنه يجب أن تحرس هذه النصوص بالحق وأن يتكلم فيها بعلم وصدق وتصان من الآراء والأقيسة الفاسدة.

الفصل الرابع: جهوده في بيان النصوص الدالة على وقوع الفرقة في الأمة وابتداء ظهور الفرق.

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول : جهوده في بيان حديث تفرق هذه الأمة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول : جهوده في دراسة حديث الافتراق رواية ودراية

المطلب الثاني : موقفه من تعيين الفرق بعينها والجزم بأنها الهالكة وأول من تكلم في تعيين الفرق الهالكة

المطلب الثالث : جهوده في بيان الفرقة الناجية وصفاتها.

المطلب الرابع : جهوده في بيان أحق الناس بهذا الوصف بعد الصحابة رضوان الله عليهم.

المبحث الثاني : جهوده في بيان حديث ((لتتبعن سنن من كان قبلكم))

المبحث الثالث : بيان ابتداء تفرق هذه الأمة وظهور أصول الفرق

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : بيان أول تفرق وقع في هذه الأمة

المطلب الثاني : ابتداء ظهور أصول الفرق

المبحث الرابع: بيان شعار أهل البدع والتفرق

المبحث الخامس : بيان حكم هذه الفرق

المبحث الأول: تأثيرات اليهود والنصارى في تفرق الأمة

بين شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- أن من أسباب الخارجية في تفرق الأمة وانشقاقها حتى صارت فرقا وأحزاباً شتى تأثير أديان اليهود والنصارى المحرفة، هذا قد شهد له التاريخ وصدقه الواقع في حقدهم على الإسلام وعداوتهم وكيدهم للمسلمين، حسدا من عند أنفسهم لما رأوا في المسلمين من الخير والعزة والائتلاف والألفة والمحبة فيما بينهم وغيرها من النعم ما لم يحصل لهم مثلها فقاموا بإثارة الفتن والحروب والعصبية والنعرة الجاهلية بين المسلمين حسدًا من عند أنفسهم ولن يزالوا كذلك في تمني لهم الشر والفرقة والاختلاف والضعف والذلة والهوان.

وهذا كله يعود إلى

- عداوتهم المتأصلة للمسلمين، منذ هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كما قال تعالى:
ﭽ ﮬ □ □ □ □ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗﯘ ﭼ[1]

-وطبيعة الغدر والحسد المتمكنة فيهم والملازمة لهم في اغتيالهم الأنبياء والصالحين المصلحين. وحب الفوضى وبغض الاتفاق واجتماع الكلمة بين الناس والاستقرار لهم خاصة هذه الأمة المحمدية.

كما قال تعالى في محكم تنزيله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه:
ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ
ﮡ ﮢ ﮣ □ □ □ □ □ □ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ □ □ □ □ ﭼ[2] .

قال شيخ الإسلام : ((يودون أي يتمنون ارتدادكم حسداً، فجعل الحسد هو الموجب لذلك من بعد ما تبين

---

1 (?) المائدة آية:(82).

2 (?) البقرة (109).

لهم الحق، لأنهم لما رأوا أنكم قد حصل لكم من النعمة ما حصل[1]، بل ما لم يحصل لهم مثله حسدوكم))[2] .

وذلك أن كثيرا من أهل الباطل يحبون من يوافقهم على باطلهم ويشاركهم فيه و من لم يوافقهم ولم يشاركهم يبغضونه أو يؤذونه أو يسعون في إفساد ما عنده أو يتمنون زواله ويكيدون له كيداً، وهذا ظاهر في ديانتهم واعتقاداتهم الفاسدة التي هم فيها[3]

وإن أكثر الفتن والفرقة التي وقعت بين المسلمين قديماً وحديثاً كان لليهود أو النصارى دور فيها وفي إشعال نارها أو نفخها، بشكل مباشر أو غير مباشر كما سيثبته لك ما يأتي من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وشهد له التاريخ.

1- حاولوا التأثير في الصحابة في عهد النبي ففشلوا وخاب ظنهم وانقلبوا خاسرين

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((وقد وقع نزاع بين الأنصار مرة بسبب يهودي كان يذكّرهم حروبهم في الجاهلية التي كانت بين الأوس والخزرج، حتى اختصموا وهمّوا بالقتال، حتى أنزل الله تعالى: ﭽ
ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ
ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ[4]))[5] هذه بداية المحاولة من اليهود في إثارة نار الفتنة والفرقة بين المسلمين، فقد غاظ هذا اليهودي ما رأى من ألفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على هذا الدين الذي جاء به النبي محمد بعد ما كان بينهم من العداوة والبغضاء فأراد بهذا انتهاز الفرصة لإشعال نار الحرب بين الأوس والخزرج ولكن الأمر باء بالفشل وهذا كان في عهد النبي .

---

1 (?) من الفضل الخير والمحبة والألفة.

2 (?) مجموع الفتاوى ج10/120.

3 (?) انظر مجموع الفتاوى ج28/551 والاستقامة ج2/257.

4 (?) آل عمران (100-101).

5 (?) منهاج السنة ج5/312.

فعداوة اليهود للمسلمين ليس لها حد ولا يرقبون فيهم إلاً ولا ذمة

كما بينه الله تعالى: چﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ چ[1]

قال شيخ الإسلام: فهو كما أخبر -سبحانه وتعالى- فإن عداوة المشركين واليهود للمؤمنين أشد من عداوة النصارى. والنصارى أقرب مودة لهم، وهذا معروف من أخلاق اليهود، فإن اليهود فيهم من البغض والحسد والعداوة، وفي النصارى من الرحمة والمودة ما ليس في اليهود، والعداوة أصلها البغض. فاليهود كانوا يبغضون أنبياءهم، فكيف ببغضهم للمؤمنين.

وأما النصارى فليس في الدين الذي يدينون به عداوة ولا بغض لأعداء الله الذين حاربوا الله ورسوله وسعوا في الأرض فساداً، فكيف بعداوتهم وبغضهم للمؤمنين المعتدلين أهل ملة إبراهيم، المؤمنون بجميع الكتب؟.

وليس في هذا مدح للنصارى بالإيمان بالله، ولا وعد لهم بالنجاة من العذاب، واستحقاق الثواب، وإنما فيه أنهم أقرب مودة، وقوله -تعالى: چ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ چ[2] أي بسبب هؤلاء، وسبب ترك الاستكبار يصير فيهم من المودة ما يصير بذلك خيرا من المشركين[3] وأقرب مودة من اليهود والمشركين ثم قال: چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ چ[4] فهؤلاء الذين مدحهم بالإيمان ووعدهم بثواب الآخرة، والضمير عاد إلى المتقين،فالمراد جنس المتقين لا كل واحد منهم))[5] .

---

1 (?) المائدة(82).
2 (?) المائدة.
3 (?) وهنا يظهر الخطأ فيمن يساوي المسلمين باليهود أو النصارى أو يقول هذا الشخص اليهودي أفضل منه كما يقوله بعض المتشددين المتنطعين.
4 (?) المائدة (83).
5 (?) الجواب الصحيح ج3/109- 110).

2- مؤامرات ومحاولات كعب بن الأشرف اليهودي الفاشلة[1]

فقد نزل فيه قوله تعالى: ﭽ   ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ   ﭼ[2].

قال شيخ الإسلام :(فإن سبب هذه الآية ما فعله كعب بن الأشرف رئيس اليهود من تقديمه لدين المشركين على دين المؤمنين لما كان بينه وبين المؤمنين من العداوة، ورجح دين المشركين على دين محمد وأصحابه وكان يؤذي النبي بالشعر حتى ندب النبي بقتله فقتله محمد بن مسلمة وأصحابه[3]

وكعب بن الأشرف كان من رؤوس اليهود وكان شاعراً فاجراً، وقد كان يؤذي النبي والمسلمين بشعره ويؤذي نساء المؤمنين، قد خرج إلى مكة ليوطد علاقة اليهود بمشركي قريش للوقوف ضد المسلمين، وجعل يحرض على النبي بالشعر ويبكي أصحاب القليب من قريش الذين أصيبوا ببدر، ثم رجع وشبب بنساء المسلمين، وكان هدفه القضاء على الإسلام بالتعاون مع مشركي قريش آن ذاك فأمر الرسول بقتله.

ثم استمر اليهود في مؤامرتهم ضد الإسلام والمسلمين وحاولوا أن يدسوا للرسول السم فلم ينجحوا.

3- اللجوء إلى بناء مسجد الضرار للتأثير على الصحابة فانهارت بهم سقفهم في النار وتصدعت بيانهم وتقطعت قلوبهم فلم ينالوا خيرا

---

1 (?) **كعب بن الأشرف اليهودي** كان شاعرا، وكان يهجو رسول الله ويحرض عليه كفار قريش في شعره فأمر النبي بقتله فقتله الصحابي الجليل محمد بن مسلمة في سرية/ انظر: تاريخ الإسلام ج2/161، 341.

2 (?) النساء.

3 (?) بيان تلبيس الجهمية ج1/4449 ومجموع الفتاوى ج 28/199، ومنهاج السنةج4/142.

فقد تعاون النصارى مع المنافقين في بناء مسجد الضرار لإحداث الفرقة في صفوف المسلمين، وقد صار من ضمن خططهم تفريق المسلمين ببناء هذا المسجد ،فاستجاب لهم بعض المنافقين فنهى الله نبيه عن الصلاة والقيام فيه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((وذلك أن الله تعالى نهاه عن القيام في مسجد الضرار فقال تعالى: ﭽ
ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ
ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ
ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ
ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ
   ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ[1] .

وكان مسجد الضرار قد بني لأبي عامر الفاسق، الذي يقال له: أبو عامر الراهب، وكان قد تنصر في الجاهلية، وكان المشركون يعظمونه، فلما جاء الإسلام حصل له من الحسد ما أوجب مخالفته للنبي ، فقام طائفة من المنافقين يبنون هذا المسجد، وقصدوا أن يبنوه لأبي عامر هذا، فلم يبنوه لأجل فعل ما أمر الله به ورسوله، بل لغير ذلك.

فدخل في معنى ذلك: من بنى أبنية يضاهي بها مساجد المسلمين لغير العبادات المشروعة، من المشاهد وغيرها، لا سيما إذا كان فيها من الضرر والكفر والتفريق بين المؤمنين، والإرصاد لأهل النفاق والبدع المحادين الله ورسوله، ما يقوى بها شبههم،كمسجد الضرار[2] .

قال في موضع آخر: ((وأما المسلمون المظهرون للإسلام فقد كان فيهم منافقون وفي المؤمنين سمَّاعون لهم يتعلقون بأدنى شبهة يوقعون بها الشك والريب في قلوب المؤمنين، وكان فيهم من له معرفة وذكاء وفضيلة وقراءة للكتب، ومدارسة لأهل

---

1 (?) التوبة(107-110).

2 (?) اقتضاء الصراط المستقيم ج2/440، 341.

الكتاب مثل أبي عامر الفاسق الذي يقال له: عامر الراهب الذي اتخذ له المنافقون مسجد الضرار)) [1] .

فقد ظهر أنهم بنوا هذا المسجد للتفريق بين المسلمين وإلقاء الشبه والشك والريب في قلوب المؤمنين وكمكان للتجمع فأمر الله تعالى بهدمه ونهى رسوله عن الإقامة فيه.

- تأثير اليهود في مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان

فقد كان لعبد الله بن سبأ اليهودي دور في فتنة مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان

فقد نشط هذا الخبيث في حبك خيوط المؤامرة متعاوناً مع الناقمين في تكوين جمعية ومنظمة سرية مجهولة لإحداث الفرقة والفتنة في صفوف المسلمين واستعمل أصحاب القلوب المرضى من الأمصار فشقوا عصى المسلمين.

و ((عبد الله بن سبأ كان يهودياً دخل في الإسلام نفاقاً فأراد بذلك فساد دين المسلمين، كما فعل بولص صاحب الرسائل التي بأيدي النصارى، حيث ابتدع لهم بدعاً أفسد بها دينهم، وكان يهودياً فأظهر النصرانية لقصد إفسادها.

وكذلك كان ابن سبأ يهودياً فقصد ذلك وسعى في الفتنة لقصد إفساد الملة فلم يتمكن، لكن حصل بين المؤمنين تحريش وفتنة قتل فيها عثمان وجرى من الفتنة ..)) [2]

قال في موضع آخر: ((وجرى في آخر أيامه أسباب ظهر بالشر فيها على أهل العلم أهل الجهل والعدوان، وما زالوا يسعون في الفتن حتى قتل الخليفة مظلوماً شهيداً بغير سبب يبيح قتله، وهو صابر محتسب، لم يقاتل مسلماً.

---

1 (?) درء تعارض العقل والنقل ج7/67.

2 (?) الفتاوى الكبرى ج1/397، 398.

وكما كان مقتل عثمان من أعظم الأسباب التي أوجبت الفتن بين الناس، وبسببه تفرقت الأمة إلى اليوم)) [1]

وعبد الله بن سبأ يهودي من يهود صنعاء وأمه أمة سوداء، فسمي بابن السوداء، تظاهر بالإسلام في أول خلافة عثمان مبطناً الكفر وأخذ يتنقل في بلدان المسلمين، فبدأ باليمن موطنه، ثم بالحجاز فالبصرة والكوفة والشام يريد امتلاك الناس، فلم يقدر منهم ذلك، فأخرجه أهل الأمصار فأتى مصر فأقام بها.

وكان الرجل على غاية من الذكاء والنظر البعيد والحيلة الواسعة، والنفاذ إلي نفسية الجماهير، فمكنته هذه الصفات أن يكون أحد أبطال جمعية سرية غايتها تقويض الدولة الإسلامية، والقضاء على الإسلام، تعمل لمصلحة اليهودية متعاوناً مع القوى الأخرى، سعوا في الفتنة حتى قتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان وكان لمقتله أثر كبير في تفرق المسلمين واختلافهم وظهور الفتن بين المسلمين[2] .

((ومن الثابت أن ابن سبأ كان مع ثوار مصر عند مجيئهم من الفسطاط إلى المدينة، وهو في كل الأدوار التي مثلها كان شديد الحرص على أن يعمل من وراء ستار، فلعل(الموت الأسود)اسم له أراد أن يرمز به إليه، ليتمكن من مواصلة دسائسه لهدم الإسلام))[3][4]

والحاصل أن هذا اليهودي عبد الله بن سبأ ومن معه استطاعوا بمؤامراتهم الخبيثة قتل الخليفة الراشد عثمان

---

[1] (?) مجموع ا لفتاوى ج25/303، 304.

[2] (?) انظر تاريخ الطبري ج4/340 والخطط المقريزي ج 14/340، والكامل ج3/77

[3] (?) العواصم من القواصم، الحاشية(201،ص141.

[4] (?) وقد رجح هذا القول الدكتور محمد عبد الله غبان الصبحي حفظه الله في كتابه ((فتنة مقتل عثمان ابن عفان)) ج1/254وهذا الكتاب مهم في هذا الباب فقد أحسن فيه المؤلف وأجاد وقد ذكر الكثير من التفاصيل.

بن عفان وقد كان لقتله تأثير كبير على تفرق القلوب ونشوب الحروب وظهور الفتن بين المسلمين إلى يومنا هذا كما ذكر شيخ الإسلام وهو كذلك.

4- تأثير اليهود السبئية في الفتن بعد مقتل عثمان

فقد شاركت السبئية اليهودية أيضا في مؤامرات أخرى ضد المسلمين بعد مقتل الخليفة وسعوا في توسيع دائرة الشر والفتنة في صفوفهم وبخاصة في معركتي الجمل وصفين كما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية -

قال -رحمه الله-: ((فلما قتل عثمان تفرقت القلوب، وعظمت الكروب، وظهرت الأشرار، وذل الأخيار، وسعى في الفتنة من كان عاجزاً عنها[1]، وعجز عن الخير والصلاح من كان يحب إقامته، فبايعـوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكن كانت القلوب متفرقة، ونار الفتنة متوقدة، فلم تتفق الكلمة، ولم تنتظم الجماعة، ولم يتمكن الخليفة وخيار الأمة من كل ما يريدونه من الخير، ودخل في الفرقة والفتنة أقوام،وكان ما كان))[2].

قال في موضع آخر: ((لما قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان وسار علي بن أبي طالب إلى العراق وحصل بين الأمة من الفتنة والفرقة يوم الجمل، ثم يوم الصفين خرجت الخوارج المارقون على الطائفتين جميعاً؛ وكان عامة السابقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزبير، وعلى رضي الله عنهم أجمعين، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في الاقتتال، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم، فإنه لما تراسل علي وطلحة والزبير، وقصدوا الاتفاق على المصلحة، وأنهم إذا تمكَّنوا طلبوا قَتَلَةَ عثمان أهل الفتنة، وكان علي غير راض

---

1 (?) كأمثال عبد الله بن سبأ وجماعته.

2 (?) الفتاوى الكبرى ج2/298.

بمقتل عثمان ولا معيناً عليه، كما كان يحلف فيقول: ((والله ما قتلتُ عثمان ولا مالأتُ على قتله)) ، وهو الصادق البار في يمينه، فخشي القتلة أن يتفق عليٌّ معهم على إمساك القتلة، فحملوا على طلحة والزبير، فظن طلحة والزبير أن علياً حمل عليهم، فحملوا دفعاً عن أنفسهم، فظن عليٌّ أنهم حملوا عليه، فحمل دفعاً عن نفسه، فوقعت الفتنة بغير اختيارهم، وعائشة رضي الله عنها راكبة: لا قاتلت، ولا أمرتْ بالقتال

هكذا ذكره أهل المعرفة بالأخبار[1] .

فأثاروا الفتنة لما أحسوا باتفاق الأكابر، و بدأوا بالحملة على عسكر طلحة والزبير وقالوا لعلي: إنهم حملوا قبل ذلك، فقاتل كل من هؤلاء وهؤلاء دفعاً عن نفسه، ولم يكن لعلي ولا لطلحة والزبير غرض في القتال أصلاً، وإنما كان الشر من قتلة عثمان[2] .

والأمر كما ذكر شيخ الإسلام إنما الشر من قتلة عثمان أما علي وطلحة والزبير لم يكن لهم غرض في القتال، عبد الله بن سبأ اليهودي وجماعته قد سبق أن دبروا هذا الشر من قبل واتفقوا على عدم ترك الفرصة لهم للاتفاق وأن ذلك ليس لصالحهم

((فقد تنادى السبئية إلى اجتماع سري ضم أقطابهم منهم: علبان بن الهيثم، وعدي بن حاتم، وسالم بن ثعلبة العبسي، وشريح بن أوفى بن ضبيعة، والأشتر في عدة من سار إلى عثمان واجتمع معهم المصريون منهم: ابن السوداء ، وخالد بن الملجم. وتشاوروا في الطريقة التي تمنع الصلح بين المسلمين فاستقر رأيهم على رأي بن السوداء الذي تكلم فقال:

((يا قوم إن عزكم في خلطة الناس فصانعوهم، وإذا التقى الناس غداً فانبشوا القتال، ولا تفرغوهم للنظر، فإذا من أنتم معه لا يجد بُداً من أن يمنع ويشغل الله

---

1 (?) منهاج السنة ج4/317

2 (?) منهاج السنة ج4/466.

علياً وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون)) . فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون.

وهكذا أحكم السبئيون خططهم ، في القوت الذي كادوا ينفردون فيه، فاجتمعوا على إنشاء الحرب في السر واستسروا بذلك خشية أن يفطن بما حاولوا أحد من البشر مع الغلس وانسلوا انسلالا وعليهم ظلمة الليل، فخرج مضريهم إلى مضريهم، وربــيعيهم إلى ربيعيهم، ويمانيهم إلى يمانيهم فوضعوا فيهم السلاح، فثار أهل البصرة، وثار قوم في وجوه أصحابهم الذين بهتوهم..))[1] .

والحاصل من هذا أن عليا وطلحة والزبير رضي الله عنهم كادوا أن يتفقوا على المصالحة التي فيها مصلحة للأمة ولكن عبد الله ابن سبأ اليهودي وجماعته ممن كان قد شارك في قتل عثمان لم يتركوا لهم الفرصة للصلح والاتفاق، بل بدأوا بالقتال تنفيذا لخطتهم المدبرة وصارت فتنة وفرقة وشر وبلاء.

وهكذا تتبعوا المسلمين في إفساد جماعتهم وتفريق كلمتهم حتى خرجت الخوارج على الطائفتين جميعاً وكونوا فرقتهم وابتدعوا بدعتهم وكفروا من خالفهم كما تقدم.

كما غير عبد الله بن سبأ وفرقته اليهودية الحاقدة أسلوب التأثير في دين الأمـة كعادة اليهود والنصارى في معرفة طريقة الإفساد والمكر.

قلت: من هنا يتأكد ضرورة الاعتصام بالكتاب والسنة وأهميته، والرجوع إلى أولي العلم والبصيرة الربانيين والالتفاف حولهم عند حلول الحوادث والفتن بين المسلمين ، فلا بد من التريث وعدم التسرع في الحكم

---

[1] (?) انظر: تاريخ الطبري ج4/493، 494، 315، 506، والكامل في التاريخ ج3/120 والفصل في الملل والنحل ج 4/158، والعواصم من القواصم ص157، وتاريخ ابن عساكر ج7/85، وكتاب أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية ص277، 278، 279.

ورمي سهام الاتهام والهجر، ونسبة الأقوال إلى معينين قبل البينة أو الخوض فيها بلا برهان، وذلك أنه قد يكون من اختلاق أعداء الإسلام وكيدهم لإلقاء الفتن والفرقة بين المسلمين كما فعل بن سبأ اليهودي خاصة في هذا العصر الذي كثر فيه ((قالوا، وفعلوا واختلاق الكلام وتأويله بهذه الوسائل المتطورة وخاصة بين المسلمين فقد يكون سببها من كيد أعداء الله ورسوله ومؤامراتهم فلا بد من التثبت و التَّبيُّن.

قال تعالى : ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ[1]

فإن الله يحب البصر الناقد عن حلول الشبهات، ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات)) ولا بد للعبد من معرفة الحق وقصده.

5- تأثيرهم على نشوء الفرق والاعتقادات المخالفة للكتاب والسنة ودين المسلمين

يقال بعد نجاح بن سبأ اليهودي في التغلغل في صفوف خيار الأمة وتستره بالشر ضد الإسلام والمسلمين؛ حيث دخل في الإسلام نفاقاً وتمكن من الاختلاط بالمسلمين وإظهار الولاء والصلاح بنية الإفساد والتفريق توسع دائرة المكر والإفساد ليشمل الاعتقادات.

أ_ ومن تأثيرات اليهود وظهورالتشيع والرفض

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((وأول ما ابتدعت مقالة الغالية من جهة بعض من كان قد دخل في الإسلام وانتحل التشيع، وقيل أول من أظهر ذلك عبد الله بن سبأ الذي كان يهودياً فأسلم وكان ممن أقام الفتنة والفرقة.

ومن هنا أدخل النفاق في الإسلام ما أدخلوه، وكان عبد الله بن سبأ زنديقاً يهودياً أظهر الإسلام وأبطن الكفر ليحتال في إفساد دين المسلمين كما احتال بولص

---

[1] (?) الحجرات.

في إفساد دين النصارى، سعى في الفتنة بين المسلمين حتى قتل عثمان وفي المؤمنين من يستجيب للمنافقين كما قال تعالى: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ[1]
ثم إنه لما تفرقت الأمـة ابتـدع ما ادعاه في الأمـة مـن ((**النص**))، و((**العصمة**)) وأظهر ((**التكلم في أبي بكر وعمر**))، وصادف ذلك قلوباً فيها جهل وظلم، وإن لم تكن كافرة، فظهرت بدعة التشيع التي هي مفتاح باب الشرك، لما تمكنت الزنادقة أمروا ببناء المشاهد، وتعطيل المساجد محتجين بأنه لا تصلى الجمعة والجماعة إلا خلف المعصوم))[2] .

وقد بين شيخ الإسلام هنا أن عبد الله بن سبأ اليهودي كان أول من ابتدع الرفض في دين المسلمين لتفريق كلمتهم واستجاب له قوم انشقوا عن جماعة المسلمين ووضع لهم مبادئ مبتدعة يخالفون بها المسلمين وتقع الفتنة والفرقة والعداوة والبغضاء منهـا:

1_ القول بالنص. 2- القول بعصمة الأئمة. 3- سب أبابكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ولعنهم ومن والاهم. 4- القول بالرجعة وغيرها. 5- بناء المشاهد على القبور والحج إليها.

فقد أسس لهم عبد الله بن سبأ هذه الأصول ((أن النبي ﷺ نص على علي ؓ نصاً قاطعاً للعذر؛ وأنه إمام معصوم ومن خالفه كفر؛ وأن المهاجرين والأنصار كتموا النص وكفروا بالإمام المعصوم؛ واتبعوا أهواءهم وبدلوا الدين وغيروا الشريعة وظلموا واعتدوا؛ بل كفروا إلا نفراً قليلا: بضعة عشر أو أكثر، ثم يقولون: إن أبابكر وعمر ونحوهما ما زالا منافقين. وقد يقولون: بل آمنوا ثم كفروا))[3] .

---

[1] (?) التوبة(47).
[2] (?) مجموع الفتاوى ج27/161، 162.
[3] (?) مجموع الفتاوى ج3/356.

فكان ابن سبأ يقول: العجب ممن يصدق أن عيسى يرجع ويكذب أن محمدا يرجع وقد قال الله عز وجلچ
ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝﭞ چ[1] .

قال أيضا: إنه كان لكل نبي وصي وعلي وصي محمد، فمن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ووثب على وصيه، وإن عثمان أخذها بغير حق فانهضوا في هذا الأمر وابدأوا بالطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا به الناس. **.**

وقولهم بالرجعة فقد نقل شيخ الإسلام ما ذكره الأشعري في كتابه[2] قال: أصحاب عبد الله بن سبأ يزعمون أن علياًّ لم يمت وأنه سيرجع إلى الدنيا قبل يوم القيامة فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وذكروا عنه أنه قال لعلي: أنت أنت. والسبئيون يقولون بالرجعة، وأن الأموات يرجعون إلى الدنيا[3].

وهكذا وضع عبد الله بن سبأ اليهودي هذه المبادئ وهذه الأصول لظهور الفرقة وقررها الرافضة في عقيدتهم، وصار من أصول دينهم التي بها يوالون ويعادون، كما قام بإشعال نار الفتن والشر والبلاء ضد الخليفة عثمان بن عفان حتى خرج الناقمون من الأمصار ضده.

ب _ تأثيرات اليهود وظهور القول بالحلول والإتحاد

بعد تأثير مدارس الفلاسفة على دين اليهود والنصارى وصرفهم عن الكتب السماوية وتجريدهم عن متابعة الأنبياء باعتناقهم المذهب الفلسفي ومن ذلك على سبيل

1 (?) القصص (85).
2 (?) المقالات ج1/85.
3 (?) منهاج السنةج2510.

المثال: **النسطورية**[4] من النصارى الذين يقولون **بالحلول**

تأثر بعض فرق الإسلام بهذه الاعتقادات الباطلة والمخالفة بالكتاب والسنة كما بين شيخ الإسلام أنهم استوردوا هذا المعتقد من النصارى وغيرهم وفارقوا بها جماعة المسلمين وضاهوا بها دين اليهود والنصارى المحرف واختلفوا وتفرقوا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((واختلاف أهل الكتاب في دين الله الذي هو الإسلام قد تكلمنا عليه في غير هذا الموضع.

ومن ذلك أن اليهود يغلب عليهم الاستكبار والقسوة، فهم يعرفون الحق ولا يتبعونه، وبذلك وصفهم الله في القرآن. ومن فسد من أهل العلم والكلام كان فيه شبه منهم؛ ولهذا يوجد في متكلمة الجهمية من المعتزلة ونحوهم شبه كثير، حتى أن من أحبار اليهود من يقرر الأصول الخمسة التي للمعتزلة، ويجد فيهم من التكذيب بالقدر والصفات وتأويل ما في التوراة وغير ذلك مما فيه مضاهاة للمعتزلة.

وأما النصارى فيغلب عليهم الإشراك والجهل، فهم يتعبدون ويرحمون لكن بضلالة وإشراك، وبذلك وصفهم الله في القرآن، ولهذا يوجد في متعبدة الجهمية من الاتحادية وغيرهم منهم شبه كثير، **حتى قد رأيت من هؤلاء الاتحادية من أخذ كلام النصارى النسطورية يزنه بكلامهم، و**حتى إن من النصارى من يأخذ (فصوص الحكم) لابن عربي فيعظمه تعظيماً شديداً ويكاد يغشى عليه من فرحه به، ولهذا يوجد في

---

[4] (?) والنسطورية نسبة إلى نسطور ولد في مرقش بسورية (380-451م) وأصبح بطريكا على القسطنطينية سنة 428م وأعلن آراء جديدة كأوريجين وقالوا إن المسيح صلب من جهة ناسوته لا من جهة لا هوته))/ انظر الفصل في الملل ج 1/48_52.

شيوخ الاتحادية موالون للنصارى، ولعلهم يوالونهم من المسلمين)) [1] .

وقال شيخ الإسـلام ابن تيمية: ((ودخل كثير من أقوال أهل الكتاب اليهود والنصارى في طائفة هم أمثل من هؤلاء، إذ أهل الكتاب كانوا خيرًا من غيرهم [2] .

ولما فتح المسلمون البلاد كانت الشام ومصر ونحوهما مملوءة من أهل الكتاب، النصارى واليهود، فكانوا يحدثونهم عن أهل الكتاب بما بعضه حق وبعضه باطل؛ فكان من أكثرهم حديثاً عن أهل الكتاب كعب الأحبار[3] . وقد قال معاوية-- ما رأينا في هؤلاء الذين يحدثونا عن أهل الكتاب أصدق من كعب، وإن كنا لنبلو عليه الكذب أحياناً.

ومعلوم أن عامة ما عند كعب أن ينقل ما وجده في كتبهم، ولو نقل ناقل ما وجده في الكتب عن نبينا لكان فيه من الكذب كثير، فكيف بما في كتب أهل الكتاب مع طول المدة، وتبديل الدين، وتفرق أهله، وكثرة أهل الباطل فيه[4] .

مع هذا فقد تأثر بعض الفرق الإسلامية ببعض آرائهم المبتدعة وأدخلوها في دين المسلمين مع جهلهم بأن هذا أصله من كلام النصارى النسطورية في الاتحاد والحلول كما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية.

فقال : قالت النسطورية: إنّ مريم لم تلد الإله، وإنما ولدت الإنسان وأن الله لم يلد الإنسان وإنما ولد

---

1 (?) بيان تلبيس الجهمية ج3/295-296.

2 (?) أي من غير أهل الكتاب كأهل الهند واليونان.

3 (?) **كعب بن ماتع الحميري أبو إسحاق المعروف بكعب الأحبار** ثقة من الثامنة، مخضرم، كان من أهل اليمن فسكن الشام، مات في آخر خلافة عثمان، وقد زاد على المائة، وليس له في البخاري رواية إلا حكاية لمعاوية فيه، وله في مسلم رواية لأبي هريرة عنه، من طريق الأعمش، عن أبي صالح./ تقريب التهذيب ص397ت(5648).

4 (?) مجموع الفتاوى ج15/151-152.

الإله- تعالى الله عن كفرهم- وهذه الفرقة غلبة على الموصل والعراق وفارس وخراسان، وهم منسوبون إلى نسطور وكان بطريركاً بالقسطنطينية.

والنسطورية قالت: بل هما جوهران وطبيعتان ومشيئتان، لكن حل اللاهوت في الناسوت حلول الماء في الظرف[1].

وقال النسطور: هذا الإنسان الذي نقول إنه المسيح متوحد بالمحبة مع ابن إله ويقال له إله وابن إله ليس بالحقيقة ولكن موهبه)) [2] .

وكان لآراء النساطرة تأثير كبير على المسلمين لأن السريان كانوا على هذا المذهب فتأثرت الشيعة بعقائدهم وعلى الأخص حلول اللاهوت في الإمام أو أن الإمام له طبيعة إلهية، ولما كانت النسطورية منتشرة في المشرق في العراق والموصل والفرات والجزيرة كان ظهور الفرق الإسلامية الغالية في هذه المواطن[3] .

وقد تناولت النسطورية مشكلة الجبر والاختيار واعتنقوا مبدأ الاختيار فكان لهم أثر على أصحاب النظر العقلي في الإسلام القائلين بحرية الإرادة الإنسانية .

وكذلك اليعقوبية من النصارى قالت: لما اتحدا صارا الجوهر القديم والجوهر المحدث واحدا.

وقالت الملكانية إن المسيح جوهران أقنوم واحد[4]

وقد تبين هذا أن الذين يقولون بالحلول والاتحاد وأهل وحدة الوجود من هذه الأمـة تأثروا بالنصارى وبمقالاتهم الباطلة ومن هنا أصل قولهم .

قال شيخ الإسلام: ((ويقول ابن سبعين: فهو الوجود كله، ولا وجود لشيء معه إلا لعلمه به، وأنت علمه، فأنت به ثابت من حيث تغايره وعلمه إياه وهو

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج17/274 ومنهاج السنة ج5/382.

2 (?) الجواب الصحيح ج4/87.

3 (?) الشهرستاني ج2/53 ابن البطريك ص125 الفرق بين الفرق ص97 وأثر أهل الكتاب ص300، 301.

4 (?) الجواب الصحيح ج4/82.

التعيين وبه هو موجود من حيث أن علمه عين ذاته وهي أن لا تعيين، وأنت العين من حيث أنت صورة في العلم، لا من حيث إطلاق العلم)) [1] .

فهذا يتضمن أن الأشياء التي جعلها موجودة ووجودها عين الحق هي علم الحق [2]

ولهذا قال شيخ الإسلام : ((واعلم أن هذه المقالات: لا أعرفها لأحد من أمة قبل هؤلاء على هذا الوجه؛ ولكن رأيت في بعض كتب الفلسفة المنقولة عن أرسطو أنه حكى عن بعض الفلاسفة قوله: إن الوجود واحد ورد ذلك، وحسبك بمذهب لا يرضاه متكلمة الصابئين.

وإنما حدثت هذه المقالات بحدوث دولة التتار، وإنما كان الكفر والحلول العام، أو الاتحاد، أو الحلول الخاص؛ وذلك أن القسمة رباعية لأن من جعل الرب هو العبد حقيقة [3] ، فإما أن يقول بحلوله فيه؛ أو اتحاده به، وعلى التقديرين فإما أنه يجعل ذلك مختصاً ببعض الخلق، كالمسيح، أو يجعله عاما لجميع الخلق. فهذه أربعة أقسام:

(الأول) هو الحلول الخاص، وهو قول النسطورية من النصارى ونحوهم ممن يقول إن اللاهوت حل في الناسوت وتدرع به كحلول الماء في الإناء، وهؤلاء حققوا كفر النصارى؛ بسبب مخالطتهم للمسلمين، وكان أولهم في زمن المأمون؛ **وهذا قول من وافق هؤلاء النصارى من غالية هذه الأمة، كغالية الرافضة الذين يقولون: إنه حل بعلي بن أبي طالب وأئمة أهل بيته، وغالية النساك** الذين يقولون

---

1 (?) رسالة الألواح لابن سبعين ص192.

2 (?) بغية المرتاد 441-442.

3 (?) هذا قول ابن عربي وأصحابه.

بالحلول في الأولياء ومن يعتقد فيه الولاية، أو في بعضهم: كالحلاج[1] ويونس[2] والحاكم ونحو هؤلاء.

(الثاني) هو الاتحاد الخاص وهو قول يعقوبية النصارى وهو أخبث قولاً، وهم السودان والقبط، يقولون: إن اللاهوت و الناسوت اختلطا وامتزجا كاختلاط اللبن بالماء، وهو قول من وافق هؤلاء من غالية المنتسبين إلى الإسلام.

(الثالث) هو الحلول العام، وهو قول الذي ذكره أئمة أهل السنة والحديث عن طائفة من الجهمية المتقدمين ، وهو قول غالب متعبدة الجهمية؛ الذين يقولون: إن الله بذاته في كل مكان؛ ويتمسكون بمتشابه من القرآن كقوله: ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸﭹﭼ[3]

وقوله: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭼ[4] والرد على هؤلاء كثير مشهور في كلام أئمة السنة، وأهل المعرفة، وعلماء الحديث.

(الربع) الاتحاد العام وهو قول هؤلاء الملاحدة، الذين يزعمون أنه عين وجود الكائنات، **وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى من وجهين:**

---

1. (?) هو أبو مغيث بن الحصين بن منصور الحلاج الصوفي الغالي في التصوف من أهل بيضاء فارس ونشأ بواسط العراق. صحب الجنيد والنوري ذهب إلى بلاد الهدند وتعلم أنواعا من السحر صاحب مذهب الحلول والاتحاد بل ادعى ارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية وكان له أقوال شيطانية ومخاريق بهتانية وكلام كفرية قتل على الزندقة سنة بضع وثلامائة. عما كونه عند الموت تاب فيما بينه وبين الله أو لم يتب فذا غيب يعلمه الله منه زكان من أقواله: أنا الله وأنا الحق.ونحوذلك من الأقوال الكفرية/ انظر مجموع الفتاوى ج 2/368، 480، 486 والاستقامة ج1/116، 120، والطبقات الكبرى للشعراني ج1/107 ط1، 1988 دار الجيل بيروت.
2. (?) لم أقف عليه لعله يونس القنيني أوالعنيني شيخ اليونسية صاحب القول بالحلول.
3. (?) الأنعام (2).
4. (?) الحديد(4).

الأول: من جهة أن أولئك قالوا إن الرب يتحد بعبده الذي قربه واصطفاه، بعد أن لم يكونا متحدين، وهؤلاء يقولون: مازال الرب هو العبد وغيره من المخلوقات ليس هو غيره.

والثاني: من جهة أنّ أولئك خصوا ذلك بمن عظموه كالمسيح، وهؤلاء جعلوا ذلك ساريا في الكلاب، والخنازير، والأقذار، والأوساخ، وإذا كان الله تعالى قد قال: ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠﮡ ﭼ[1] الآية.

فكيف بمن قال: إن الله هو الكفار، والمنافقين والصبيان، والمجانين، والأجناس، والأنتان وكل شيء؟!.

وإذا كان الله قد رد قول اليهود والنصارى لما قالوا: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔﭕ ﭼ[2] وقال لهم: ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠﭡ ﭼ[3] الآية.

فكيف بمن يزعم أن اليهود والنصارى هم أعيان وجود الرب الخالق ليسوا غيره ولا سواه؟ ولا يتصور أن يعبد الله إلا نفسه؟ وأن كل ناطق في الكون فهو عين السامع؟.[4]

وهذا باب ينبغي للمسلم أن يعتني به، ينظر ما كان عليه أصحاب رسول الله ، الذين هم أعلم الناس بما يخالف ذلك من دين أهل الكتاب والمشركين والمجوس والصابئين. فإن هذا أصـل عظيم.

ولهـذا قال الأئمة – كأحمد بن حنبل وغيره- أصول السنة هي التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله [5] .

لقد تبين من كلام شيخ الإسـلام خطورة هذا الاعتقاد المستورد من اليهود والنصارى ومدى تأثيره في الأمة

---

1 (?) المائدة(17).
2 (?) المائدة (18).
3 (?) المائدة(18).
4 (?) مجموع الفتاوى ج2/171-183.
5 (?) مجموع الفتاوى ج15/152.

وما آل إليه أهله من الخروج على جماعة المسلمين وما جاء به الكتاب والسنة.

لقد تأثروا في فرق كثيرة كالباطنية، والصوفية، و النصيرية، و الأحمدية، والرفاعية، والقادرية وغيرها من الفرق. لا يمكن حصرها في هذا الموضع. ومن راجع كتب المقالات ونظر إلى ما عند اليهود والنصارى يتعجب ويرد يده على فمه.

فكثير من الفرق الإسلامية قد تلوثت مقالاتهم وتأثرت بمقالات اليهود والنصارى بتجاورهم معهم وكان من أسباب زيادة تفرق هذه الأمة وبعدها عن كتاب ربها وسنة نبيها والعداوة والبغضاء كل هذا بسبب ترك الاعتصام بالكتاب والسنة، باتباع شهوات النفوس فتفرقت الأمـة.

المبحث الثاني: تأثيرات الثقافات الفلسفية في تفريق الأمة

قرر شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-أنه تأثر كثير من المسلمين بآراء وثقافات زنادقة الفلاسفة اليونانية والصابئة القديمة وترك تأويلاتهم الباطلة بمجاورتهم والاتصال بهم فتداخلت الثقافات وتأثر بعض ممن ينتسب إلى الإسلام بتلك الثقافات، وكان هذا سببا في ظهور بعض المقالات الباطلة المخالفة لكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين كظهور التجهم في صفات الله والشرك في عبادة الله والسلوك المبتدع، لأن الثقافة قد تنتشر وتتطور عناصرها من مجتمع إلى مجتمع بالاتصال المباشر أو غير المباشر بين الأفراد والجماعات أو الجماعات بالجماعات مما يبين خطر انتقالها من مجتمع إلى مجتمع آخر إن كانت فاسدة. وتنتقل بتأثير بعضها البعض نتيجة للاتصال بينهما.

فبين -رحمه الله- أن لكل قوم ومجتمع ثقافتهم الخاصة بهم وأمة الإسلام قد جمعهم كتاب الله وسنة رسوله الرابط الأساسي الذي يربط بين قلوبهم فبالتمسك بهما تصان المجتمعات وتحفظ المعتقدات والعقول من الهدم والدمار، ومتى تركوهما والتمسوا الهدى من غيرهما تفرقوا بل ضلوا وأضلوا.

وهذا ما يريد شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه اله- أن يبينه في هذا الموضع.

وذكر ما يلي.

أولا: قال –رحمه الله تعالى-: ((عامة هذه الشبهات التي يسمونها دلائل: إنما تقلدوا أكثرها عن طاغوت من طواغيت المشركين، أو الصابئين، أو بعض ورثتهم الذين أمروا أن يكفروا بهم، مثل فلان وفلان، أو عمن قال كقولهم؛ لتشابه قلوبهم.

ثم رسول الله قد أخبر أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، فقد علم مـا

سيكون، ثم قال: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا؛ كتاب الله))[1] وروي عنه أنه قال في صفة الفرقة الناجية ((هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي))[2]

ثم بين -رحمه الله- كيفية تأثير ثقافات الفلاسفة على بعض الطوائف المنتسبة إلى الأمة حتى تفرقت واختلفت وظهرت مقالات التجهم والتعطيل والتجهيل والتضليل أصلها ومنشؤها من ثقافات تلك الأمم فقال:

((ثم أصل هذه المقالة- مقالة التعطيل للصفات- إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين، وضلال الصابئين؛ فإنّ أولَ من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام- أعني أن الله سبحانه وتعالى ليس على العرش حقيقة، وإأن معنى استوى بمعنى استولى ونحو ذلك- هو الجعد بن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان؛ وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية إليه.

وقد قيل إنّ الجعد أخذ مقالته عن إِبَّانَ بن سمعان، وأخذها إبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم: اليهودي الساحر الذي سحر النبي.

وكان الجعد بن درهم هذا- فيما قيل- من أهل حران[3]، وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة- بقايا أهل دين نمرود والكنعانيين ، الذين صنَّف بعض المتأخرين في سحرهم- ونمرود هو ملك الصابئة

---

1 (?) تقدم تخريجه.

2 (?) تقدم تخريجه.

3 (?) حران: بالضم صار حروناً والاسم الحارن وحران اسم بلد وهو فعال، ويجوز أن يكون فعلان، والنسبة إليه حرنابي والقياس حراني على ما عليه العام، وقيل: بفتح أوله وتثقيل ثانيه كورة من كور ديار معروفة، سميت بحران بن آذر أخي إبراهيم/ انظر معجم البلد ج1/56 ومعجم ما استعجم ج 1/435.

الكلدانيين المشركين، كما أن كسرى ملك الفرس المجوس، وفرعون ملك مصر، والنجاشي ملك الحبشة، وبطلموس ملك اليونان، وقيصر ملك الروم. فهو اسم جنس لا اسم علم.

فكانت الصابئة- إلا قليلاً منهم- إذ ذاك على الشرك، وعلماؤهم هم الفلاسفة؛ وإن كان الصابئي قد لا يكون مشركاً؛ مؤمنًا بالله واليوم الآخركما قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭼ[1] .

لكن كثيراً منهم أو أكثرهم كانوا كُفَّاراً أو مشركين؛ وأن كثيراً من اليهود والنصارى بدلوا وحرفوا وصاروا كفاراً أو مشركين، وكانوا يعبدون الكواكب ويبنون لها هياكل.

ومذهب النفاة من هـؤلاء[2] في الرب: أنَّه ليس له إلا صفات سلبية أو إضافية أو مركبة منها، وهم الذين بعث الله إليهم الخليل ، فيكون الجعد قد أخذها عن الصابئة الفلاسفة.

وكذلك أبو نصر الفارابي[3] دخل حران، وأخذ عن فلاسفة الصابئين تمام فلسفته، وأخذها الجهم أيضاً فيما ذكره الإمام أحمد وغيره- لما ناظر «السمنية»[4] بعض

---

1 (?) البقرة.

2 (?) الفلاسفة والصابئة المشركين.

3 (?) تقدمت ترجمته.

4 (?) نسبة إلى سمني، قالوا بقدم العالم، وكانوا قبل الإسلام، وزعموا لا معلوم إلا من جهة الحواس الخمس، وأنكر أكثرهم المعاد والبعث بعد الموت، وقال فريق منهم : بتناسخ الأرواح في الصور المختلفة، وأجازوا أن ينقل روح الإنسان إلى كلب وروح الكلب إلى إنسان ومن أعجب الأشياء دعواهم في التناسخ، الذي لا يعلم بالحواس، حيث يزعمون أنه لا معلوم إلا من جهة الحواس/الفرق بين الفرق للبغدادي ص253-254. ولكن شيخ الإسلام ابن تيمية قال: « إنه لا توجد أمة لا تقر إلا بالمحسوسات، ولا تقر بشيء من المعقولات، ومن نقل ذلك عن البراهمة السمنية فقد غلط، فإن حقيقة

فلاسفة الهند- وهم الذين يجحدون من العلوم ما سوى الحسيات- فهذه أسانيد جهم ترجع إلى اليهود والصائبين والمشركين، والفلاسفة الضالون))[1]

تأثر جهم بن صفوان بآراء السمنية ذكرها شيخ الإسلام عن الإمام أحمد قائلا: ((وكذلك قولهم: ((ليس بداخل العالم ولا خارجه)) وأمثال هذه العبارات السالبة.

وكذلك وصف الإمام أحمد وأمثاله قول الجهمية النفاة.قال أحمد: ((وكذلك الجهم وشيعته، دعوا الناس إلى المتشابه من القرآن والحديث، وأضلوا بكلامهم بشراً كثيراً. فكان مما بلغنا من أمر الجهم عدو الله: أنه كان من أهل خراسان، من أهل الترمذ، وكان صاحب خصوماتٍ وكلام، وكان أكثر كلامه في الله، فلقي أناسًا يقال لهم ((السمنية))، فعرفهم الجهم، فقالوا: نُكلِّمُك، فإن ظهرتْ حجّتُنا عليك دخلتَ في ديننا، وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك. فكان مما كلّموا به الجهم أن قالوا: ألست تزعم أنَّ لك إلهاً؟ قال الجهم: نعم. فقالوا له: فهل رأيت إلهك؟ قال: لا. قالوا: فهل سمعت كلامه؟ قال: لا. قالوا: فشممت له رائحة؟ قال: لا. قالوا: فوجدتَ له حساًّ؟ قال: لا. قالوا: فوجدت له مجسًّا؟ قال: لا. قالوا له: فما يدريك أنه إله؟ قال: فتحيَّر الجهم، فلم يدر من يعبد أربعين يوماً؛ ثم استدرك حجةً مثل حجة زنادقة النصارى، وذلك أن زنادقة النصارى يزعمون أن الروح الذي في عيسى هو روح الله، من ذات الله، فإذا أراد أن يحدث أمراً في بعض خلقه تكلم على لسان خلقه، فيأمر بما شاء، وينهى عما شاء، وهو روح غائبة عن الأبصار.

مذهبهم أنه لا يكون شيء موجوداً لا يمكن معرفته بشيء من الحواس))/ بيان تلبيس الجهمية ج1/318-320 وانظر أيضا: درء تعارض العقل والنقل ج5/130.

[1] (?) مجموع الفتاوى ج5/20-22.

فاستدرك الجهم حجة مثل هذه الحجة، فقال للسمني : ألست تزعم أن فيك روحاً؟ قال : نعم. قال: فهل رأيت روحك؟ قال: لا. قال: فسمعت كلامه؟ قال: لا. قال : فشممت له ريحاً؟ قال: لا. قال: فوجت له حسًّا أو مجسًّا؟ قال: لا. قال: فكذلك الله لا يرى له وجه، ولا يُسمع له صوتٌ. ولا تُشم له رائحة، وهو غائب عن الأبصار، ولا يكون في مكانٍ دون مكانٍ.

ووجد ثلاث آيات في القرآن من المشابه: قوله: ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨﭼ[1] ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯﭼ[2] ﭽ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶﭼ[3] فبنى أصل كلامه على هؤلاء الآيات، وتأول القرآن على غير تأويله، وكذّب بأحاديث رسول الله، وزعم أن من وصف من الله شيئاً مما يصف به نفسه في كتابه، أو حدّث عنه رسوله، كان كافراً، وكان من المشبهة، فأضل بكلامه بشراً كثيراً، واتبعه على قوله رجالٌ من أصحاب أبي حنيفة، وأصحاب عمرو بن عبيدة بالصرة، ووضع دين الجهمية))[4].

قلت:[5] فهذا الذي ذكره الإمام أحمد من مناظرة جهم لأولئك السمنية، هم الذين يحكي أهل المقالات عنهم أنهم أنكروا من العلم ما سوى الحسيات، ولهذا سألوا جهماً: هل عرفه بشيء من الحواس الخمس؟ فقال: لا. قالوا: فما يدريك أنه إله ؟ فإنهم لا يعرفون إلا المحسوس، وليس مرادهم أن الرجل لا يعلم إلا ما أحسه، بل لا يثبتون إلا ما هو محسوس للناس في الدنيا.

وهؤلاء كالمعطلة الدهرية الطبائعية من فلاسفة اليونان ونحوهم، الذي ينكرون ما سوى هذا الوجود الذي يشاهده الناس ويحسونه، وهو وجود الأفلاك وما فيها.

---

1 (?) الشورى(11).
2 (?) الأنعام (3).
3 (?) الأنعام (103).
4 (?) كتاب الرد على الزنا دقة والجهمية ص20.
5 (?) شيخ الإسلام ابن تيمية.

وهؤلاء الذين ذكر ابن سينا قولهم في ((إشاراته)) حيث قال: ((قال قوم: إن هذا الشيء المحسوس موجود لذاته واجب لنفسه. لكنك إذا تذكرت ما قيل في واجب الوجود لم تجد هذا المحسوس واجباً))[1].

ثم شيخ الإسلام بين أن الجهم بن صفوان لم يعتمد على القرآن والحديث في الرد على هؤلاء السمنية لأن بضاعته فيهما مزجاة وإنما

((ردّ عليهم كرد أرسطو وابن سينا من المشّائين على الطبيعيين منهم، وهؤلاء يثبتون وجوداً عقلياًّ غير الوجود المحسوس، ويعتقدون أنهم بهذا الرد أبطلوا قول أولئك.

والحجة التي ذكرها أحمد عن الجهم أنه احتج بها على السمنية، هي من أعظم حجج هؤلاء النفاة الحلولية منهم، ونفاة الحلول والمباينة جميعاً، فإن النفاة تارةً يقولون بالحلول والاتحاد أو نحو ذلك، تارة يقولون: لا مباين للعالم، ولا داخل فيه.

والشخص الواحد منهم يقول هذا تارةً، وهذا تارة، فإنهم في حيرة، والغالب على متكلميهم نفي الأمرين، والغالب على عبّادهم وفقهائهم وصوفيتهم وعامتهم الحلول، فمتكلموهم لا يعبدون شيئاً، ومتصوفهم يعبدون كل شيء))[2].

والأمر الثاني : تعريب الكتب الفلاسفة إلى العربية ومحاولة التوفيق بين الدين والفلسفة وتفسير نصوص الكتاب والسنة بآراء الفلاسفة

قال شيخ الإسلام في خطر تعريب كتب الفلاسفة وأثر ذلك في تفريق كلمة الأمة وإفساد دينهم وما نتج عن ذلك من إهانة أهل العلم وامتحانهم ورفع أهل الجهل والظلم والإلحاد الصريح في دين الله وفي أسمائه وصفات بسبب ذلك فقال:

---

1 (?) درء تعارض العقل والنقل ج5/165، 166، 167، 168،174، 175 وبيان تلبيس الجهمية ج1/324 ، ومجموع الفتاوى ج4/218 وج8/416.

2 (?) درء تعارض العقل والنقل ج5/169.

((ثم إنه لما عرِّبتْ الكتب اليونانية في حدود المائة الثانية وقبل ذلك وبعد ذلك، وأخذها أهل الكلام وتصرفوا فيها من أنواع الباطل في الأمور الإلهية، ما ضل به كثير منهم، وفيها من أمور الطب، والحساب ما لا يضر كونه في ذلك، وصار الناس فيها أشتاتاً: قوم يقبلونها، وقوم يحكون ما فيها- وقوم يعرضون ما فيها على أصولهم وقواعدهم فيقبلون ما وافق ذلك دون ما خالفه، وقوم يعرضونها على ما جاء ت به الرسل من الكتاب والحكمة، **وحصل بسبب تعريبها أنواع من الفساد والاضطراب**[1] .

ظهرت ((الخرمية))[2] ونحوهم من المنافقين، وعرّب من كتب الأوائل المجلوبة من بلاد الروم ما انتشر بسببه مقالات الصابئين، وراسل ملوك المشركين من الهند ونحوهم حتى صار بينه وبينهم مودة.

فلما ظهر ما ظهر من الكفر والنفاق في المسلمين، وقوي ما قوي من حال المشركين وأهل الكتاب؛ كان من أثر ذلك: ما ظهر من استيلاء الجهمية؛ والرافضة؛ وغيرهم من أهل الضلال، وتقريب الصابئة ونحوهم من المتفلسفة. وذلك بنوع رأي يحسبه صاحبه عقلاً وعدلا، وإنما هو جهل وظلم، إذ التسوية بين المؤمن والمنافق؛ والمسلم والكافر أعظم الظلم، وطلب الهدى عند أهل الضلال أعظم الجهل، فتولد من ذلك محنة الجهمية، حتى امتحنت الأمـة بنفي الصفات والتكذيب بكلام الله ورؤيته، وجرى من محنة الإمام أحمد وغيره ما جرى، مما يطول وصفه[3] .

---

1 (?) بيان تلبيس الجهمية ج2/338-339. وانظر أيضا: مجموع ج5/ 553، 554، وج8/229.

2 (?) تقدمت.

3 (?) مجموع الفتاوى ج4/21.

وأظهر القول بأن القرآن مخلوق وأن الله لا يرى في الآخرة، ونفوا أن يكون لله علم أو قدرة أو كلام أو مشيئة أو شيء من الصفات القائمة بذاته.

وصار كل من وافقهم على هذا التعطيل عصموا دمه وماله وولوه الولايات وأعطوه الرزق من بيت المال وقبلوا شهادته[1].

((وأما النبوات والرسل: فليس لهؤلاء[2] فيها كلام معروف؛ لا نفيا ولا إثباتا. وأما المتأخرون فهم، لما ظهرت الملة الحنفية- الإبراهيمية، التوحيدية- تارة بنبوة عيسى- لما ظهرت النصارى على مملكة الصابئين بأرض الشام، ومصر، والروم، وغيرها- ثم نبوة خاتم المرسلين، وأظهر الله من نور النبوة شمساً طمست ضوء الكواكب، وعاش السلف فيها برهةً طويلة ثم خفي بعض نور النبوة؛ فعرب بعض كتب الأعاجم الفلاسفة، من الروم، والفرس والهند، في أثناء الدولة العباسية.

ثم طلبت كتبهم في دولة المأمون[3] من بلاد الروم، فعُرِّبتْ، ودرسها الناس، وظهر بسبب ذلك من البدع ما ظهر، وكان أكثر ما ظهر من علومهم الرياضيات كالحساب والهيئة، أو الطبيعة كالطب، أو المنطقية، فأمّا الإلهية: فكلامهم فيها نزر وهو مع نزارته ليس غالبه عندهم يقيناً؛ وعند المسلمين من العلوم الإلهية الموروثة عن خاتم المرسلين ما ملأ العالم نوراً وهدى، بل متكلموهم الذين ينسبون إلى البدع عندهم من العلم الإلهي بمقاييسهم المستخرجة أضعاف أضعاف أضعاف ما عند حذاق المتفلسفة.

ثم بعد ذلك لما صار فيهم من يتحذق على طريقتهم في علم ما بعد الطبيعة، كالفارابي[4]، وابن سيناء[5]

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج11/478.

2 (?) المتفلسفة ونحوهم.

3 (?) تقدمت ترجمته.

4 (?) تقدمت ترجمته.

5 (?) تقدمت ترجمته.

وصنف ابن سيناء كتباً زاد فيها بمقتضى الأصول المشتركة أشياء لم يذكرها المتقدمون، وسمى ذلك العلم الإلهي، وتكلم في النبوات، والكرامات، ومقامات العارفين، بكلام فيه شرف ورفعة، بالنسبة إلى كلام المتقدمين، وإن كان عند العلوم الإلهية النبوة فيه من القصور والتقصير والنفاق والجهل، والضلال والكفر، ما لا يخفى على من له أدنى بصيرة بالعلم والإيمان، وإنما راج على من سلك طريق المتفلسفة؛ لأنه قرب إليهم معرفة الله، والنبوات، والمعجزات، والولايات، بحسب أصول الصابئة الفلاسفة- لا بحسب الحق في نفسه-..))[1].

وقال أيضاً في بيان أثر تأثير هذا التعريب في ظهور الشرك بالقبور وبناء المشاهد على القبور وتعظيمها واتخاذ العلويات وسائط بين الله وبين خلقه في الدعاء وطلب قضاء الحاجات أو التأثير فقال:

((ولم يكن قد ظهر في المسلمين شيء من آثار اليونان والهند إلى أن عُرِّبت بعض كتب هؤلاء وهؤلاء؛ حدث في الناس من التشبه بأولئك ما كان أعظم من التشبه بأهل الكتاب، حتى آل الأمر إلى دولة العبيديين، وهم ملاحدة في الباطن، أخذوا من مذهب الفلاسفة والمجوس فأخلطو به أقوال الرافضة، فصار خيار ما يظهرونه من الإسلام دين الرافضة، وأما في الباطن فملاحدة، شر من اليهود والنصارى، وإلا من لم يصل منهم إلى منتهى دعوتهم؛ فإنه قد يبقى رافضياً داخلاً في الإسلام، ولهذا قال فيهم العلماء: ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض، وهم من أشد الناس تعظيماً للمشاهد، ودعوة الكواكب، ونحو ذلك من دين المشركين وأبعد الناس عن تعظيم المساجد))[2] .

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج2/84-85.

2 (?) الرد على البكري ج2/582

ومن ذلك أن هؤلاء المشركين من الصابئة ونحوهم لما كانوا يعبدون الكواكب والملائكة، وربما سموها العقول والنفوس، وجعلوها وسائط بين الله وبين خلقه، وأهل التوحيد لا يعبدون إلا الله تعالى ويطيعون رسله الذين أمروا بعبادته وحده لا شريك له، فقالت: الصابئة المشركون للحنفاء: نحن نتخذ الروحانيين وسائط وأنتم تتخذون البشر وسائط؛ فديننا أفضل من دينكم. فأخذ يعارضهم طائفة من النظار، كالشهرستاني[1] في كتابه المعروف بـ ((الملل والنحل)) وغيره، ويذكرون أن توسط البشر أولى من توسط الروحانيات العلوية، وناظروهم مناظرة يعرف تقصيرهم فيها، لأنهم بنوها على أصل فاسد، وهو مقايسة وسائط المشركين بوسائط الموحدين الحنفاء، وهذا جهل بدين الحنفاء؛ فإنّ الحنفاء ليس بينهم وبين الله تعالى واسطة في العبادة والدعاء والاستغاثة، بل يناجون ربهم ويدعونه ويعبدونه بلا واسطة، وإنما الرسل بلغتهم عن الله تعالى ما أمر به وأحبه من العبادات وغيرها وما نهى عنه، فهم وسائط في التبليغ والدلالة، وهم يُعرِّفون الناس طريق الله تبارك وتعالى كما يعرف دليل الحاج طريق مكة شرفها الله

---

1 (?) **محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني**، أبو الفتح شيخ أهل الكلام والحكمة، وصاحب التصانيف. برع في الفقه على الإمام أحمد الخوافي الشافعي، وقرأ الأصول على أبي نصر بن القشيري، وصنف كتاب((نهاية الإقدام))، وكتاب ((الملل والنحل)).
قال ابن أرسلان في ((تاريخ خُوارزم)): عالم كيِّس مُتَفَنِن، ولولا ميلُه إلى أهل الإلحاد وتَخُبُّطه في الاعتقاد، لكان هو الإمام، وكثراً ما كنا نتعجب من وفور فضله كيف مال إلى شيء لا أصل له؟! نعوذ بالله من الخذلان، وليس ذلك لإعراضه عن علم الشرع، واشتغاله بظلمات الفلسفة، وقد كانت بننا محاورات، فكيف يبالغ في نصرة مذهب الفلاسفة والذب عنهم، حضرتُ وعظه مراتٍ، فلم يكن في ذلك فالله ولا قال رسوله)) ./مات سنة 125هـ انظر: السير ج 20/286_288.

تعالى ثم الناس يعبدون الله تعالى كما أن الحجاج يقيمون مناسكهم، والرسل أيضا يقتدى بهم في الأفعال التي يتأسى بهم فيها كما يقتدي المأمون بالإمام في الصلاة، وكل مصل يعبد ربه منه إليه بلا واسطة.

وأولئك الصابئة من الفلاسفة غاية سعادة النفوس عندهم أن تصل العقل الفعال، وأصحاب ((**رسائل إخوان الصفا**)) صنفوا رسائلهم على أصول هؤلاء، ممزوجة بما أخذوه من دين الحنفاء، وأرادوا أن يجمعوا بين الحنفية و الصابئية، فضلوا وأضلوا.

وأما الحنفاء؛ فعندهم أنه ما من عبد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه حاجب ولا ترجمان، وعندهم أن الملائكة عباد الله يفعلون ما أمرهم الله به[1]

قال: وقد بسطت الكلام على هذه الأمور في موضع آخر، وهذا قد يوجد في كلام أبي حامد وكثير من متأخري المتصوفة والمتكلمين، أدخلوه في دين الحنفاء من دين المشركين، حتى صنف بعضهم تصنيفاً في ذلك مثل مصنف الرازي[2] ((السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم))، وآخرون صنفوا في الحروف و طبائعها والدعاء بأسماء ذكروها في أوقات.

ودعاء المقبور من أعظم الوسائل إلى ذلك، وقد قدم بعض الشيوخ المشرق وتكلم معي في هذا؛ فبينت له فساد هذا، فقال أليس قد قال النبي: ((إذا أعيتكم الأمور؛ فعليكم بأصحاب القبور))[3] ؟ فقلت: هذا مكذوب باتفاق أهل العلم لم يروه عن النبي أحد من علماء الحديث.

وبسبب هذا وأمثله ظهر مصداق قول النبي في الحديث الصحيح: ((لتسلكن أمتي مسالك الأمم قبلها

---

1 (?) كتاب الاستغاثة ج2/572، 573.
2 (?) تقدمت ترجمته.
3 (?)هذا موضوع وباطل فلفظه ومعناه يبين فساده.

شبراً بشبر وذراعاً بذراع)). قالوا: يا رسول الله! فارس والروم؟ قال: ((ومن الناس إلا هؤلاء))[1] .

فاتخاذ القبور مساجد من فعل اليهود والنصارى، وأما الخروج عن الملة بالكلية إلى دعوى الكواكب واتخاذ العلويات وسائط في العبادة؛ كمقالات الفلاسفة؛ فهذا ليس من دين اليهود والنصارى، ولا فارس والروم المنتصرة، فهذا من دين الصابئة والمشركين كالفلاسفة الذين بمقدونية[2] وغيرها، وهؤلاء كانوا مشركين؛ وكانت الصابئة من النبط[3] الذين بالعراق والجزيرة كالبطائح[4] وحران وغيرهما من الصابئة المشركين من أئمة الفلاسفة، و بها آثار الصابئة كالهياكل التي للعلة الأولى والعقل والنفس والكواكب، (وقد ذكر عبد اللطيف بن

---

1 (?) تقدم تخريجه.

2 (?) مقدونية وهي جزيرة هؤلاء الفلاسفة اليونان الذين يسمون المشائين وهي اليوم خراب أو غمرها الماء وإليها ينتسب وزير الأسكندر بن فليبس المقدوني نسبة إلى مقدونية ومنها ابتداء ملوكهم وهي من بلاد الروم/انظر: معجم البلدان ج3/99، 137. تاريخ ابن خلدون ج2/149 ومجموع الفتاوى ج17/332.

3 (?) النبط بالفتح ثم السكون، والنبط بفتح الباء وهو الماء المستخرج بالحضر. والنبط جيل ينزلون بالبطائح بين العراقين وهم الأنباط جمع وقيل: أيضاً جمع أنباط؟ وهو نبطي/ انظر: تاج العروس ج1/5014 (نبط) والنهاية في غريب الحديث والأثر ج5/19.

4 (?) البطائح جمع بطيحة، تبطّح السيل: اتسع في البطحاء. والبطيحة بالفتح ثم الكسر وجمعها البطائح والبطيحة والبطحاء واحد وتبطيح، السيل إذا اتسع في الأرض، وبذلك سميت بطائح واسط، لأن المياه تبطخت فيها، وهي أرض بين واسط والبصرة، وكانت قديمة قرى متصلة وأرضاً عامرة، فاتفق في أيام كسرى إبرويز أن زادت دجلة زيادة مفرطة، وزاد الفرات، أيضا بخلاف العادة فعجز عن سدها فتبطّح الماء في تلك الديار والعمارات./وانظر: تاج العروس ج 1/1554(بطح) ومعجم البلدان ج1/450.

يوسف [1] أن الفارابي[2] كان قد تعلق بالفلسفة في بلاده، فلما دخل حرَّان؛ وجد بها الصابئة من أحكمها عليه). وابن سينا إنما حذق فيها بما وجده من كتب الفارابي[3] .

ومن هذا الباب أيضا القول بالمكاشفة

لم يكن أحد في عهد الصحابة والتابعين لهم بإحسان يعتمد على الكشف ونحوه في العبادات ولا في الاعتقادات ولا التابعين لهم بإحسان ولكن جاء بعدهم الطوائف بعض المنتسبين إلى هذه الأمة تأثرت عقيدتهم بثقافات الفلاسفة الصابئة و أفكارهم الباطلة التي تأثروا بها فأدخلوها في الأمـة، و أخرجوها في قالب المكشفات والمشاهدات وأوقع في الأمـة فتنة وشراًّ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((وهؤلاء قد يقولون كما يقول صاحب ((صاحب الفصوص)) ابن عربي: إنهم يأخذون من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي

---

1 (?) **عبد اللطيف بن يوسف بن محمد** بن علي العلامة موفق الدين أبو محمد البغدادي، أصله من الموصل ،وولد ببغداد في أحد الربيعين، سمع من جماعة كثيرين وحفظ كتبا كثيرة وتفقه على أبي القاسم بن فضلان، وأقام بحلب وصنف التصانيف الكثيرة في أنواع العلوم منها: ((شرح بانت سعاد)) و((الجامع الكبير في المنطق والطبيعي والإلهي)) في عشر مجلدات و((الرد على اليهود والنصارى))، و((غريب الحديث)) في ثلاث مجلدات، واختصره و((شرح أحاديث ابن ماجه)) وحدث ببلدان كثيرة قال الذهبي صنف تصانيف كثيرة في اللغة والطب وعلم الأوائل توفي ببغداد في المحرم سنة تسع بتقديم التاء وعشرين وستمائة/ طبقات الشافعية ج 2/78.

2 (?) تقدمت ترجمته.

3 (?) كتاب الاستغاثة ج2/576، 577، 578، 579.

يوحى به إلى الرسول؛ وذلك أنهم اعتقدوا ((عقيدة المتفلسفة)) ثم أخرجوها في قالب ((المكاشفة))[1].

قال في موضع آخر: ((.. وأخذوا من المذاهب ما هو من شرها وأفسدها؛ ومنهم من يصدق بها مع قوله بقدم العالم، كابن سينا، وأمثاله، لكنهم يجعلون النبي بمنزلة ملك عادل، فيجعلون النبوة كلها من جنس ما يحصل لبعض الصالحين **من الكشف والتأثير والتخيل**، فيجعلون خاصة النبي ((ثلاثة:

1-أن يكون له قوة قدسية ينال بها العلم بلا تعلم وهو قوة الحدس الصائب.

2-أن يكون له قوة التأثير في العالم، وهي قوة نفسانية يؤثر بها في هيولي العالم.

3-أن يرى ويسمع في نفسه بطريق التخيل ما يتمثل له من الحقائق، أي قوة الحس، التي يسمع ويبصر المعقولات متخيلة في نفسه.

فكلام الله عندهم هو ما في نفسه من الأصوات، وملائكته هي ما في أنفسهم من الصور والأنوار وهذه الخصال تحصل لغالب أهل الرياضة والصفا؛ فلهذا كانت النبوة عندهم مكتسبة.

وصار كل من سلك سبيلهم – كالسهروردي المقتول وابن سبعين والمغربي[2] وأمثالهما- يطلب النبوة ويطمع أن يقال له قُمْ فأنذرْ، هذا يقول: لا أموت حتى يقال لي: (قم فأنذر) وهذا يجاور بمكة و يعمد إلى غار حراء، ويطلب أن ينزل عليه فيه الوحي، كما نزل على المزمل والمدثر مثله، وكل منهما ومن أمثلهما يسعى بأنواع السيماء التي هي من السحر، ويتوهم أن معجزات الأنبياء كانت من جنس السحر السيمائي.

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج11/227.

2 (?) تقدمت ترجمته.

ومن لم يمكنه طلب النبوة وادعاؤها – لعلمه بقول الصادق المصدوق: ((لا نبي بعدي))[3] أو غير ذلك- كابن عربي وأمثاله طلب ما هو أعلى من النبوة وأن خاتم الأولياء أعظم من خاتم الأنبياء، وأن الولي يأخذ عن الله بلا واسطة، والنبي يأخذ بواسطة الملَك، وبنى ذلك على أصل متبوعيه الفلاسفة، فإن عندهم ما يتصور في نفس النبي أو الولي هي الملائكة: من الأشكال النورانية الخيالية، ((فالملائكة)) عندهم ما يتخيله في نفسه، و((النبي)) عندهم ما يتلقى بواسطة هذا التخيل، و ((الولي)) يتلقى المعارف العقلية بدون هذا التخيل، ولا ريب أن من تلقى المعارف بلا تخيل، كان أكمل ممن تلقاها بتخيل.

فلما اعتقدوا في النبوة ما يعتقده هؤلاء المتفلسفة صاروا يقولون: إن الولاية أعظم من النبوة، كما يقول كثير من الفلاسفة: إن الفيلسوف أعظم من النبي؛ فإن هذا قول الفارابي[2] ، ومبشر بن فاتك[3] وغيرهما، وهؤلاء يقولون النبوة أفضل الأمور عند الجمهور؛ لا عند الخاصة. ويقولون خاصة النبي جودة التخييل. فجاء هؤلاء الذين أخرجوا الفلسفة في قالب الولاية، وعبَّروا عن المتفلسف بالولي، وأخذوا معاني الفلاسفة وأبرزوها في صورة الكاشفة والمخاطبة وقالوا: إن الولي أعظم من النبي، لأن المعاني المجردة بأخذها عن الله بلا واسطة تخيل الشيء في نفسه والنبي يأخذها بواسطة ما يتخيل في نفسه من الصور والأصوات، ولم يكفهم هذا البهتان،

---

3 (?) صحيح مسلم ص485 ح(1842) كتاب الإمارة باب وجوب الوفاء بيعة الخلفاء الأول فالأول.

2 (?) تقدمت ترجمته.

3 (?) مبشر بن فاتك من الإسماعيلية وأحد أمراء المتفلسفة، وهو مبشر بن فاتك أبو الوفاء أحد أدباء مصر العارفين بالأخبار، والتواريخ، المصنفين فيها، وكان في أيام الظاهر و المستصر، وله من التصانيف كتاب: ((سيرة المستنصر))/ انظر معجم الأدباء ج5/53.

حتى ادعوا أن جميع الأنبياء والرسل يستفيدون العلم من مشكاة خاتم هؤلاء الأولياء الذي هو من أجهل الخلق بالله وأبعدهم عن دين الله والعلم بالله هو عندهم بأنه((الوجود الطلق)) الساري في الكائنات، فوجود كل موجود هو عين وجود واجب الوجود.

وكان كثير من أهل التصوف والسلوك والطالبين لطريق التحقيق والعرفان- مع أنهم يظنون أنهم متابعون للرسل، وأنهم متقون للبدع المخالفة له- يقولون هذا الكلام ويعظمونه ويعظمون ابن عربي لقوله مثل هذا، ولا يعلمون أن هذا الكلام بناه على أصله الفاسد في الإلحاد، الذي يجمع بين التعطيل والاتحاد؛ فإنّ حقيقة الربّ عنده وجود مجرد لا اسم له ولا صفة، ولا يمكن أن يرى في الدنيا ولا في الآخرة ولا له كلام قائم به ولا علم ولا غير ذلك، ولكن يرى ظاهراً في المخلوقات متجلياً في المصنوعات، وهو عنده غير وجود الموجودات وشبهه تارة بظهور الكلي في جزئياته كظهور الجنس في أنواعه والنوع في الخاصة، كما تظهر الحيوانية في حيوان، والإنسانية في كل إنسان.

وهذا بناه على غلط أسلافه((المنطقيين اليونانيين)) حيث ظنوا الموجودات العينية يقارنها جواهر عقلية بحسب ما تحمل لها من الكليات، فيظنون أن في الإنسان المعين إنساناً عقلياً وحيواناً عقليًا وناطقاً عقلياً وحساساً عقلياً وجسماناً عقلياً، وذاك هو الماهية التي يعرض لها الوجود، وتلك الماهية مشتركة بين جميع المعينات وهذا الكلام له وقع عند من لم يفهمه ويتدبره[1] .

وهؤلاء الملاحدة ركَّبُوا مذهباً من دين المجوس ودين الصابئة ودين رافضة هذه الأمـة، فطافوا على أبواب

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج7/588، 589، 590، 519. ودرع تعارض العقل والنقل ج5/354-363. وانظر مجموع الفتاوى أيضا: ج8/351 وج10/613 وج11/227، 336، 422، 458، وج13/325 وج19/156-158.

المذاهب وفازوا بأخس المطالب، فهم يبطنون من مناقضة الرسل وإبطال ما جاؤوا به، ما لم يبطنه أتباع بولص وأمثاله من النصارى، ومن لم يصل إلى هذا الحد من ملاحدة المتكلمين والمتعبدين ونحوهم فقد شاركهم في الأصل بتفضيل أئمته وشيوخه على الأنبياء، ومن لم يقر منهم بتفضيل أئمته وشيوخه لزمه ذلك لزوماً لا محيد عنه؛ كما إذا جعل (العلم) بالله وملائكته وكتبه ورسله المعارف لا يستفاد من خطاب الأنبياء، وكلامهم وبيانهم، وطريقهم التي بنوها إنما يستفاد من كلام شيوخه وأئمته[1] .

فقد ظهر من خلال هذا العرض مدى قوة تأثير آراء الفلاسفة وثقاتهم ومعقولاتهم على الجهمية المعطلة النفاة وعلى كافة الفرق المتكلمة والمؤولـة للصفات، وكثرة ظهور الطوائف الصوفية المتباينة في الاعتقاد والسلوك وكل طائفة تدعي لنفسها الحق والصلاح كما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية وأن كل هؤلاء قد أخذوا أصول دينهم عن الفلاسفة الصابئة والقرامطة الملاحدة الباطنية أو عمن أخذ عنهم.

وحتى وصل الأمر عند بعضهم إلى محاولة التوفيق بين الدين الإسلامي وبين الفلسفة الوثنية، بل إلى تفسير نصوص الكتاب بمعقولات الفلاسفة الصابئة .

فساعد كل هذا على ظهور مقالة الفرق ونفي صفات الله وتعطيلها، ووصفه بالسلوب المحضة، وإنكار علوه سبحانه على خلقه، ونفي كلامه و محبتة ورضاه وعلمه وقدرته ومشيئته.

فظهر هذا التأثير ظهور جليا على:

1- القول بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود.
2- القول بتناسخ الأرواح.
3- القول بالظاهر المخالف للباطن.

---

[1] (?) درء تعارض العقل والنقل ج5/363.

4- القول بالمكاشفات والمخاطبات والمشاهدات والأذواق ونحو ذلك.
5- القول بوحدة الأديان وتوحيدها وتسويتها.
6- القول بتقديم العقل على نصوص الكتاب والسنة
7- القول بخلق القرآن
8- تقديس المشاهد وتعطيل المساجد، واتخاذ الوسائط بين الله وبين خلقه في الدعاء وقضاء الحاجات.
9- الإعراض عن الكتاب والسنة وعدم رد المنازعات و الجهالات إليهما.

المبحث الثالث: تأثير الوثنية الهندية في تفريق الأمة

لقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن بعض الطوائف المنتسبة إلى الإسـلام قد تأثرت ببعض الوثنيات الهندية وأنه قد تداخلت كثير من معتقداتهم الشركية بمعتقدات هؤلاء ؛ وذلك بعد حركة ترجمة الكتب الأجنبية (كتب فلاسفة الهند واليونان الصابئة) وكانت الكتب مليئة بالشرك والوثنية ونحو ذلك.كالحج إلى الأماكن المعظمة التي لم يعظمها الشرع، وعقيدة وحدة الوجود، والحلول والاتحاد، ووحدة الأديان، وتعطيل الحق واتخاذ الغناء والرقص قربة وديناً ما قد وقعت بسببها العداوة والبغضاء والفرقة والاختلاف بين هذه الأمـة.

« وتجد الإسلام والإيمان كلما ظهر وقوى كانت السنة وأهلها أظهر وأقوى، وإن ظهر شيء من الكفر والنفاق ظهرت البدع بحسب ذلك، مثل: دولة المهدي[1] ، والرشيد[2] ونحوهما

---

[1] (?) **هو الخليفة أبو عبد الله محمد بن المنصور** أبي جعفر عبد الله بن محمد ابن علي ، الهاشمي العباسي. ولد من أرض الفارس سنة 27هـ وقيل: 26هـ. وكان جواداً معطاعاً محبباًّ إلى الرعية، قصَّاباً في الزنادقة، باحثا عنهم، مليح الشكل،
ولما اشتد، ولاّه أبوه مملكة طبرستان، وقرأ العلم، وتأدب وتميز، وقيل: إنه أثني عليه بالشجاعة، فقال: لم لا أكون شجاعاً؟ وما خفتُ أحداً إلا الله تعالى.
وذكر ابن أبي الدنيا أن المهدي كتب إلى الأمصار يزجُر أن يتكلم أحد من أهل الأهواء في شيء منها. وعن يوسف الصائغ قال: رفعَ أهل البدع رؤوسهم، وأخذوا في الجدل، فأمر بمنع الناس من الكلام، وأن لا يخاض فيه. تملك عشر سنين وشهراً ونصفاً، وعاش ثلاثاً وأربعين سنة، ومات بماسبذان في المحرم سنة تسع وستين ومائة، وبويع ابنه الهادي./ انظر السير ج7/400_403.

[2] (?) الخليفة، أبو جعفر هارون بن المهدي محمد بن المنصور أبي جعفر عبد الله، بن محمد بن علي، بن عبد الله بن عباس

ممن كان يعظم الإسلام والإيمان، ويغزو أعداءه من الكفار والمنافقين. كان أهل السنة في تلك الأيام أقوى وأكثر، وأهل البدع أذل وأقل. فإن المهدي قتل من المنافقين الزنادقة من لا يحصي عدده إلا الله، والرشيد كان كثير الغزو والحج.

وذلك أنه لما انتشرت الدولة العباسية وكان في أنصارها من أهل المشرق والأعاجم طوائف من الذين نعتهم النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: ((الفتنة ههنا))[1] ظهر حينئذٍ كثيرٌ من البدع، وعُرِّبت أيضًا إذ ذاك طائفة من كتب الأعاجم - من المجوس الفرس، والصابئين الروم، والمشركين الهند-))[2] .

وفي موضع آخر: قال: ((ثم بعد انقراض أكابر التابعين ظهر الجهمية، ثم عربت كتب الفرس والروم ظهر التشبه بفارس والروم. وكتب الهند انتقلت بتوسط الفرس إلى المسلمين، وكتب اليونان انتقلت بتوسط الفرس إلى المسلمين، فظهرت الملاحدة الباطنية الذين ركبوا مذهبهم من قول المجوس واليونان مع ما أظهروه من التشيع، وكانت قرامطة البحرين أعظم تعطيلاً وكفراً كفرهم من جنس كفر فرعون؛ بل شر منه، وقد ذكرنا في غير هذا الموضع أن مبدأ التجهم في هذه الأمـة كان أصله من المشركين ومبدلة الصابئين من الهند))[3].

الهاشمي العباسي.
استُخلف بعهدٍ معقودٍ له بعد الهادي من أبيهما المهدي في سنة سبعين ومائة بعد الهادي. وكان من أنبل الخلفاء، وأحشم الملوك، ذا حجٍّ، وغزوٍ وشجاعة، ورأيٍ.ومات سنة 254هـ/ انظر: السير ج9/286_295.

1 (?) صحيح البخاري مع الفتح ج7/701 ح(4389) كتاب المغازي باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن.

2 (?) مجموع الفتاوى ج4/20

3 (?) بيان تلبيس الجهمية ج2/472، 478.

ولهذا ظهرت تأثير المعتقدات الوثنيات الهندية وأفكارهم الهندوسية وغيرها على الأمـة وتوّلد عن هذا ظهور التعطيل والقول بالفناء والحلول والاتحاد ووحدة الوجود وتناسخ الأرواح وشد الرحال إلى البقاع غير المقدسة كالقبور والحج إليها واتخاذ الغناء والرقص عبادة وقربة وديناً وكان لهذا أثر كبير في تفرق كلمة الأمـة واضطرابها

أولا: الحج إلى الأماكن غير المعظمة في الشرع

المقصود به الحج إلى قبور الأولياء والصالحين وأماكن وجود أثر من آثارهم وشد الرحال إليها كما يسافر للحج

قال شيخ الإسلام: ((والسفر إلى البقاع المعظمة هو من جنس الحج، ولكل أمة حج؛ والمشركون في هذه الأزمان من الهند **وغيرهم يحجون إلى آلهتهم كما يحجون إلى سمناة**[1] وغيره من آلهتهم. وكذلك النصارى يحجون إلى قمامة[2] ويحجون إلى القونة[3]

---

1. (?) سمناة...
2. (?) قمامـة بالضم أعظم كنيسة للنصارى بالبيت المقدس وهي في وسط البلد ولسور يحيط بها، ولهم فيها مقبرة يسمونها القيامة، لاعتقادهم أن المسيح قامت قيامته فيها، والصحيح أن اسمها ((قمامة)) لأنها كانت مذبلة أهل البلد وكان في ظاهر المدينة يقطع بها أيدي المفسدين ويصلب بها اللصوص، فلما صلب المسيح بزعمهم في هذا الموضع عظموه، وهذا مذكور في إنجيلهم المحرف، وفيه صخرة يزعمون أنها انشقت وقام آدم من تحتها، ولهم فيها بزعمهم بسني يوسف الصديق عليه السلام يزورونه، ولهم في موضع منها قنديل يزعمون أن النور ينزل من السماء في يوم معلوم فيشعله/انظر: معجم البلدان ج4/396.
3. (?) القونة بالفتح وآخره نون، والقونة الحديد أو الصفر الذي يرقع به الإناء ، وهو اسم موضع كان ومن أعظم مدن الإسلام بالروم، قال ابن الهروي: بها قبر أفلاطون الحكيم بالكنيسة التي في جنب الجامع /انظر: معجم البلدان ج

التي بصيدنايا، والقونة الصورة وغير ذلك من كنائسهم التي بها الصور التي يعظمونها ويدعونها ويستشفعون بها[1] .

وهذا الذي ذكر من أن السفر إلى الأماكن المعظمة- القبور وغيرها- عند أصحابه كالحج عند المسلمين هو أمر معروف عند المتقدمين والمتأخرين لفظاً ومعنىً، فإنهم يقصدون من دعاء المخلوق والخضوع له والتضرع إليه نظير ما يقصده المسلمون من دعاء الله والخضوع له والتضرع إليه؛ لكن كما قال تعالى: ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ[2] وهم يسمون ذلك حجاً إليها، وهذا معروف عند متقدميهم ومتأخريهم.

وكذلك أهل البدع والضلال من المسلمين كالرافضة وغيرهم يحجون إلى المشاهد وقبور شيوخهم وأئمتهم ويسمون ذلك حجاً))[3] .

ثانيا: القول بالفناء عن وجود السِّوَى[4]

القول بالفناء عن الوجود السِّوَى من أقوال ملاحدة الصوفية وغلاتهم كابن عربي وابن سبعين والحلاج وغيرهم ممن تأثروا بوثنية الفلاسفة الهند

قال شيخ الإسلام: ((وهو فناء أهل الوحدة الملاحدة وهو أن يجعل الوجود واحداً. وهو قول الملاحدة أهل الوحدة كصاحب ((الفصوص)) وأتباعه الذين يقولون:

4/415.

1 (?) مجموع الفتاوى ج27/354، 355.

2 (?) البقرة (165)

3 (?) مجموع الفتاوى ج27/367. وقد سبق الإشارة إلى هذا في تأثير اليهود والنصارى ولا تنسى أن دين اليهود والنصارى المحرف تأثر بالوثنيات الهندية أيضا مثل التثليث وغيره.

4 (?) وهذا المصطلح معروف عند أصحاب وحدة الوجود يريدون به تحقيق وحدة الخلق بنفي الغير والسِّوَى وكل ما يدل على التباين كما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية.

وجود الخالق هو وجود المخلوق، وما ثَمَّ غير، ولا سوى في نفس الأمر.

وقد سلك ابن عربي وبن سبعين وغيرهما هذه الطريق الفاسدة وأورثهم ذلك الفناء عن وجود السِّوَى؛ فجعلوا الموجود واحداً ووجود كل مخلوق هو عين وجود الحق. وحقيقة الفناء عندهم أن لا يرى إلا الحق: وهو الرائي والمرئي ، والعابد والمعبود، والذاكر والمذكور، والناكح والمنكوح، وهو المتصف بكل ما يوصف به الوجود من مدح وذم، وعباد الأصنام ما عبدوا غيره، وما ثم موجود مغاير له البتة عندهم، وهو منتهى سلوك هؤلاء الملحدين))[1].

ثالثا: الحلول والاتحاد والقول بوحدة الوجود

وعقيدة وحدة الوجود أو الحلول والاتحاد وثنية هندوسية هندية الأصل والمنشأ أي مأخوذة من أديان الهند الفلسفية الوثنية، وقد تسربت إلى الأمـة بتأثير الوثنيات الهند انتقلت إلى الأمـة بواسطة بعض المنتسبين إلى الصوفية كالحلاج وابن عربي وابن سبعين والسهروردي المقتول وغيرهم واضطربوا فيه اضطراباً كبيرا وأضلوا به ممن اتبعهم بعلم أو بجهل.

وقد أشار شيخ الإسلام إلى أن أول من تأثر بهذه الفكرة ممن انتسب إلى الأمـة وظهر في زمنه هو أبو الحسين الحلاج ويكاد يتأكد أنه الذي جاء به من الهند إلى الأمـة حتى قتل على هذا المعتقد الفاسد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- في الحلاج : ((فإن المسلمين إنما قتلوه على الحلول والاتحاد ونحو ذلك من مقالات أهل الزندقة والإلحاد كقوله (أنا الله) وقوله (إله في السماء وإله في الأرض)

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج2/313، 314، 369، والرد على المنطقيين ج1/521.

وكانت له مخاريق وأنواع من السحر وله كتب منسوبة إليه من السحر))[1] .

قال: ((وكان قد ذهب إلى بلاد الهند، وتعلم أنواعاً من السحر، وصنف كتاباً في السحر معروفاً، وهو موجود إلى اليوم، وكان له أقوال شيطانية، ومخاريق بهتانية.

وأن كثرًا من المشايخ ذموه وأنكروا عليه، ولم يعدوه من مشايخ الطريق؛ وأكثرهم حط عليه))[2].

((وكان السهروردي المقتول يطلب أن يصير نبياً، وكان قد جمع بين النظر والتأله، وسلك نحواً من مسلك الباطنية، وجمع بين فلسفة الفرس واليونان، وعظّم أمر الأنوار وقرَّب دين المجوس الأول، وهي نسخة الباطنية الإسماعيلية، فقتل على الزندقة بحلب في زمن صلاح الدين.

وكذلك ابن سبعين، الذي جاء من المغرب إلى مكة، وكان يطلب أن يصير نبياً، وجد غار حراء الذي نزل فيه الوحي على النبي ابتداء، وكان بارعاً في الفلسفة وفي تصوف المتفلسفة وما يتعلق بذلك.

وهو، وابن عربي، وأمثالهما، كالصدر القونوي، وابن الفارض، والتلمساني: منتهى أمرهم القول بوحدة الوجود، وأن الوجود الواجب القديم الخالق هو الوجود الممكن المحدَث المخلوق، ما ثَمَّ لا غير ولا سوى، لكن لما رأوا تعدد المخلوقات صاروا تارة يقولون: مظاهر ومجالي .

فأئمة هـؤلاء هم شيوخ المشركين الذين يعبدون الأصنام مثل الكهان، والسحرة الذين كانوا للعرب المشركين، ومثل الكهان الذين هم بأرض الهند والترك وغيرهم)) [3]

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج2/480، 481.
[2] (?) مجموع الفتاوى ج35/108، 109.
[3] (?) منهاج السنة ج8/25.ومجموع الفتاوى ج35/115.

قال: ((**وكذلك أصحاب الرياضة والتجرد**: فإن صفوتهم الذين يشتغلون بذكرٍ بسيطٍ مثل **لا اله إلا الله** إن لم يغلوا فيقتصروا على مجرد **الله، الله،** ويعتقدون أن ذلك أفضل وأكمل. كما فعله كثير منهم، وربما اقتصر بعضهم على **هُوْ، هُوْ.** أو على قوله**: لا هو إلا هو،** لأن هذا الذكر المبتدع الذي هو لا يفيد بنفسه إلا أنه مطلقا، ليس فيه بنفسه ذكر لله إلا بقصد المتكلم.

فقد ينضم إلى ذلك اعتقاد صاحبه **أنه لا وجود إلا هو** كما يصرح به بعضهم ويقول: **لا هو إلا هو أو لا موجود إلا هو** وهذا عند الاتحادية أجود من قول لا إله إلا الله، لأنه مصرح بحقيقة مذهبهم الفرعوني القرمطي، حتى يقول بعضهم: لا إله إلا الله ذكر العابدين، والله! الله ذكر العارفين، و(**هو**) ذكر المحققين، ويجعل ذكره **يا من هو لا هو إلا هو** ! وإذا قال الله! الله! إنما يفيد مجرد ثبوته، فقد ينضم إلى ذلك نفي غيره لا نفي إلهية غيره، فيقع صاحبه في [وحدة الوجود] وربما انتفى شهود القلب للسوي إذا كان في مقام الفناء فهذا قريب، أما اعتقاد أن وجود الكائنات هي هو فهذا ضلال.

ويضمون إلى ذلك نوعاً من التصفية، مثل ترك الشهوات البدنية من الطعام والشراب والرياسة والخلوة، وغير ذلك من أنواع الزهادة المطلقة، والعبادة المطلقة فيصلون أيضا إلى تأله مطلق، ومعرفة مطلقة بثبوت الرب ووجوده ونحو ذلك، من نحو ما يصل إليه أرباب القياس.

ثم قد تتوارى هذه المعرفة والعلم بملابسة الأمور الطبيعية، من الطعام، والاجتماع بالناس، فإن سببها إنما هو ذلك التجرد فإذا زال زال؛ ...))[1] .

ويرى شيخ الإسلام أن كل هذه وسيلة من وسائل تعطيل الخالق كما هو عند الجهمية المعطلة.

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج2/63.

((ومذهبهم منتهى مذهب الجهمية، وهو في الحقيقة تعطيل الخالق، والقول بأن هذا الوجود هو الوجود. كما ذكر ذلك أبو حامد عن دهرية الفلاسفة؛ فإن قول هؤلاء هو قول فرعون الذي أظهره، لكن فرعون وغيره من الدهرية لا يقولون هذا الوجود هو الله، وهؤلاء بجهلهم يقولون إن الوجود هو الله ، وقد أضلوا طوائف من الشيوخ الذين لهم عبادة وزهادة، حتى أنه كان ببيت المقدس رجل من أعبد الناس وأزهدهم، وكان طوال ليله يقول: الوجود واحد وهو الله، ولا أرى الواحد ولا أرى الله.

وهـؤلاء سلكوا في كثير من أصولهم ما ذكره أبو حامد، وبنوا على ما في كتابه ((المضنون به)) وغيره من أصول الفلاسفة المكسوة عبادة الصوفية، فالأمور التي أنكرها عليه علماء المسلمين ما عليه هؤلاء حتى جعل ابن سبعين الناس خمس طبقات: أدناها ((الفقيه)) ثم ((المتكلم)) ثم ((الفيلسوف)) ثم ((الصوفية)) الخامس هو ((المحقق))[1]

رابـعاً: اتخاذ الغناء والرقص وضرب الدفوف والطبول والمواجيد قربة وديناً.

هذا قد بين شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- أن هذا أمر مستورد من الأديان الأخرى، لم يأمر به الله ولا رسله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن في عهد النبي ولا كان أحد من الصحابة يتقرب إلى الله تعالى برقص أو ضرب دُفٍّ فضلاً عن أن يتخذه دينا، وإنما وقع فيمن جاء بعدهم في أواخر المائة الثانية وهي طريقة عبادة فلسفية وصابئية إسماعيلية باطنية الأصل والمنشأ.

قال: ((و قد عرف بالاضطرار من دين الإسلام : أنَّ النبي لم يشرع لصالحي أمته وعُبَّادِهم وزُهَّادهم أن يجتمعوا على استماع الأبيات الملحنة، مع ضرب بالكفِّ أو ضرب بالقضيب، أو الدفّ. كما لم يبح لأحد أن يخرج

[1] (?) العقيدة الأصفهانية ص162.

عن متابعته. واتباع ما جاء به من الكتاب والحكمة، لا في باطن الأمر، ولا في ظاهره، ولا لعامي ولا لخاصي، ولكن رخص النبي في أنواع من اللهو في العرس ونحوه، كما رخص للنساء أن يضربن بالدف في الأعراس، والأفراح وأما الرجال على عهده فلم يكن أحد منهم يضرب بدف ولا يصفق بكف، بل قد ثبت عنه في الصحيح أنه قال: ((التصفيق للنساء والتسبيح للرجال ولعن المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء))[1] ولما كان الغناء والضرب بالدف والكف من عمل النساء، كان السلف يسمون من يفعل ذلك من الرجال مخنثاً، ويسمون الرجال المغنين مخانيث، وهذا مشهور في كلامهم))[2] .

وقد صار هذا ديناً وقربة عند بعض المتأخرين من متنسكة الصوفية وغيرهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((فإن أصل سماع القصائد كان تلحيناً بإنشاد قصائد مرقِّقة للقلوب تحرك تحريك المحبة والشوق، أو الخوف والخشية، أو الحزن والأسف، وغير ذلك. وكانوا يشترطون له المكان والإمكان والخلان، فيشترطون أن يكون المجتمعون لسماعها من أهل الطريق المريدين لوجه الله والدار الآخرة، وأن يكون الشعر المنشَد غير متضمن لما يُكره سماعه في الشريعة، وربما ضموا إليه آلةً تقوِّي الصوت، وهو الضرب بالقضيب على جلد مخدة أو غيرها، وهو التغبير.

ومن المعلوم أن استماع الأصوات يوجب حركة النفس بحسب ذلك الصوت الذي يوجب الحركة، وهو يوجب الحركة.

---

[1] (?) صحيح مسلم ص109 ح(422) كتاب الصلاة باب تسبيح الرجل وتصفيق المرأة إذا نابهما شيء في الصلاة.

[2] (?) مجموع الفتاوى ج11/565، 566.

وللأصوات طبائع متنوعة، وتتنوع آثارها في النفس. وكذلك للكلام المسموع: نظمه ونثره، فيجمعون بين الصوت المناسب والحروف المناسبة لهم.

وهذا الأمر يفعله بنو آدم من أهل الديانات البدعية كالنصارى والصابئة، وغير أهل الديانات ممن يُحرِّك بذلك حُبَّه وشوقَه ووجده، أو حزنه وأسفه أو حميته وغضبه، أو غير ذلك. فخلف بعد ذلك أولئك من صار يجمع عليه أخلاطاً من الناس، ويرون اجتماعهم لذلك شبكة تصطاد النفوس- بزعمهم- إلى التوبة والوصول في طريق أهل الإرادة.

وأحدث بعد أولئك أيضاً الاستماع من المخانيث المعروفين بالغناء لأهل الفسوق، وكثيرا ما يحضر فيه أنواع المردان، وقد يكون ذلك من أكبر مقاصد أهل السماع، وربما أرقصوهم في طابق الرقص والدوران.

وكذلك زادوا في الابتداع في إنشاد القصائد، فكثيراً ما ينشدون أشعار الكفار والفسّاق.

وزادوا أيضا في الآلات تُستثار بها الأصوات- مما يصنع بالأفواه والأيدي، كأبواق اليهود ونواقيس النصارى- من بليغ المنكرات، كأنواع الشبَّابات والصفارات وأنواع الصلاصل والأوتار المصوتات – ما عظمت به الفتنة، حتى ربا فيها الصغير، وهرم فيها الكبير. وحتى اتخذوا ذلك ديناً وديْدناً، فجعلوه من الوظائف الراتبة بالغداة والعشي، كصلاة الفجر والعصر، وفي الأوقات والأماكن الفاضلات، واعتاضوا به عن القرآن والصلوات.

وصدق فيهم قوله:ﭽ [illegible] ﭼ[1]

بل أفضى الأمر إلى أن يُجتمع في هـذا السـماع على الكفـر بـالرحمن، والاسـتهزاء بـالقرآن، والـذم للمسـاجد والصـلوات، والطعن في أهـل الإيمـان والقربـات، والاستخفاف بالأنبياء والمرسلين، والتحضـيض على جهـاد

---

[1] (?) مريم(59).

المؤمنين، ومعاونة الكفار والمنافقين، وجعل ذلك من أفضل أحوال العارفين، ورفع الأصوات المنكرات، حتى يوجب للنفوس أحوالاً عجيبة، يظن أصحابها أن ذلك من جنس كرامات الأولياء، وإنما هو من الأمور الطبيعية الباطلة المبعدة عن الله، إذ الشياطين تمدُّهم في هذا السماع بأنواع الإمداد.ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ[1].

وصار في أهل هذا السماع المحدَث، الذين اتخذوا دينهم لغواً ولعباً، ضد ما أحبه الله وشرعه في دين الحق، فصار فيه من الفواحش الظاهرة و الباطنة، والإثم والبغي بغير الحق، والإشراك بالله ما لم ينزل الله به سلطاناً، والقول على الله بغير علم، ما لا يحصيه إلا الله، فإنه تنوَّع وتعدّد وتفرقَّ أهله فيه، وصاروا شيعاً، لكل قومٍ ذوق ومشروب وطريق يفارقون به غيرهم، حتى في الحروف المنشدَة، والأصوات الملحنة، والأذواق الموجودة، والحركات الثائرة، والقوم المجتمعين))[2] .

وأما ((**الرقص**)) فلم يأمر الله به ولا رسوله، ولا أحد من الأئمة بل قد قال الله في كتابه: ﭽ   ﭼ[3] وقال في كتابه: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ   ﯝﭼ[4] أي بسكينة، ووقار.

وإنما عبادة المسلمين الركوع والسجود؛ بل الدف والرقص في الطابق لم يأمر الله به ولا رسوله، ولا أحد من سلف الأمة؛ بل أمروا بالقرآن في الصلاة، والسكينة[5]

وسبب هذا الاضطراب أنه ليس من عند الله، وما كان من عند غير الله وجدوا فيه اختلافاً كثيرًا: ﭽ ﮂ ﮃ ﮄ

---

1. (?) الأعراف (202).
2. (?) كتاب الاستقامة ج1/305ـ 306ـ 307،3ـ 309ـ 310، 311. ومجموع الفتاوى ج11/587-601
3. (?) لقمان (19). لاشك أن في الرقص الحركات والتمايل والدوران والتكسر والتشبه بالنساء ونحوها مما تخل بالمرءوة والعزة والكرامة.
4. (?) الفرقان (63).
5. (?) مجموع الفتاوى ج11/599.

ۇۆ ۈ ۈ ۉ ۋ ۋ □ ۋۆ □ □ □ ىٍ □ ې ې ۍ ۍ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى يى □ □ □ □ □
□ چ [1] .

ثم اشتماله على المحرمات كلها أو بعضها يرون أنه من أعظم القربات، بل أعظمها وأجلها قدراً، وأن أهله هم صفوة أولياء الله وخيرته من خلقه، ولا يرضون بمساواة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وسلف الأمة حتى يتفضلوا عليهم، وفيــهم

من يساوون أنفسهم بالأنبياء والمرسلين، وفيهم من يتفضل أيضاً على الأنبياء والمرسلين، على أنواع من الكفر التي ليس هذا موضعها[2] .

وصار على تمادي الأيام يزداد المحدَث من السماع، ويزداد التغليظ في أهل الإنكار، حتى آل الأمر من أنواع البدع والضلالات والتفرق والاختلاف إلى ما هو من أعظم القبائح المنكرات، التي لا يشك في عظيم إثمها وتحريمها من له أدنى علم وإيمان.[3]

فظهر من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية أن هذه الأحوال الفاسدة والعبادات الشيطانية- التقرب إلى الله- بالغناء والرقص والطبول والأبواق والأصوات المثيرة من تأثرات أديان الوثنية من فلاسفة الهند والصابئة والمجوس وأصحاب الديانات المحرفة.يورث العداوة والبغضاء والفرقة وصد خلق الله عن دين الله.

و(("الفارابي" كان بارعاً في الغناء الذي يسمونه((الموسيقى)). وله فيه طريقة عند أهل صناعة الغناء، وحكايته مع ابن حمدان مشهورة. لما ضرب فأبكاهم، ثم أضحكهم، ثم نومهم ثم خرج.

و"ابن سينا" ذكر في إشاراته، في((مقامات العارفين)) في الترغيب فيه، وفي عشق الصور، ما يناسب طريقة أسلافه الفلاسفة، والصابئين المشركين،

---

1. (?) الروم (30-32).
2. (?) كتاب الاستقامة ج1/311، 312.
3. (?) الاستقامة ج1/305.

الذين كانوا يعبدون الكواكب، والأصنام. كأرسطو وشيعته من اليونان- ومن اتبعه.

و"ابن سينا" أحدث فلسفة ركبها من كلام سلفه اليونان، ومما أخذه من أهل الكلام المبتدعين الجهمية، ونحوهم. وسلك طريق الملاحدة الإسماعيلية في كثير من أمورهم العلمية والعملية، ومزجه بشيء من كلام الصوفية، وحقيقته تعود إلى كلام إخوانه الإسماعيلية القرامطة الباطنية، ودينهم دين أصحاب ((رسائل إخوان الصفا))، وأمثالهم من أئمة منافقي الأمم ليسوا مسلمين، ولا يهود ولا نصارى.

وكان " الفارابي" قد حذق في حروف اليونان التي هي تعاليم أرسطو وأتباعه من الفلاسفة المشائين، وفي أصواتهم صناعة الغناء، **ففي هؤلاء الطوائف من يرغب فيه ويجعله مما تزكو به النفوس، وترتاض به وتهذب به الأخلاق**[1] .

وهذه أحوال أهل الرياضة والتصفية والترقي والتزكية ما أصحاب أديان الهند الوثنية كالهندوسية والبوذية وغيرها القائلين بوحدة الوجود والحلول والاتحاد وتناسخ الأرواح.

فهذه بعض نصوص القوم في تقرير عقيدة وحدة الوجود والحلول والاتحاد والفناء وتناسخ الأرواح وتأثرت بها الصوفية وغيرهم من الفرق الباطنية الإسماعيلية القرامطة

كشواهد على قول ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية

- فكرة القول بالفناء الحلول والاتحاد في أديان الهند الوثنية:

- فكرة القول بوحدة الوجود وتناسخ الأرواح في أديان الهند الوثنية:

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج11/570، 571.

هذه الفكرة موجودة ومدونة في الهندوسية وبنفس العبارات التي عبر بها الحلاج وابن عربي وابن سبعين وغيرهم من الجهمية المعطلة مما يؤكد تأثير هذه الوثنية على هؤلاء وأنهم قد أخذوا أقوالهم طبق الأصل.

-((الفِيدَانت)) (vedant)

ويعتبر" **الفيدانت**" من الكتب الفلسفية والأخلاقية لدى الهندوس. وهو أصغر حجماً، وأكثر تأثيرا على الفكر الهندي الفلسفي والصوفي من أي كتاب آخر من الكتب الهندوسية.

وهذا الكتاب يقال له"**برهما سوترا**" من تأليف "**بادارايان**" (badarayan) الذي عاش في فترة بين بوذا والمسيح عليه السلام، لأنه كان ينتقد كثيراً من تعليمات البوذا الإلحادية.

واتجه مفسرو الفيدانت اتجاهين مختلفين: أحدهما: وحدة الوجود **وسموه: أدويت واد.**

والثاني: الاعتراف بحقيقتين وسموه: دويت واد.

دعا إلى الاتجاه الأول العالم الهندوسي الفلسفي المعروف"شنكرا جاريا"

ودعا إلى الثاني العالم الهندوسي"رامنج"

1-وشنكرا جاريا ينفي جميع الصفات الذاتية والوصفية من براهما ويسميه "**نرنكار**" يعني الإله المطلق[1] **، بينما يثبت رامنج الصفات الذاتية".**

2- يقول شنكراجاريا: "" يجب أن يفهم الإنسان أن شخصه الخارجي الذي شبه غيره في شيء، ويختلف عنه في شيء، والذي يولد ويموت، ويأكل ويشرب ليس في الحقيقة شيئاً مذكوراً، **وإنما الذي يجب أن ينظر إليه في شخصه هو الحقيقة الإلهية**. ولهذا يقال

---

[1] (?) هذه آراء الجهم بن صفوان ومن معه.

له: **أنت الإنسان والإله، وأنت الخالق والمخلوق، والعابد والمعبود""** [1] .

وقال أيضا""إن الإنسان لا يصل إلى " برهما" إلا إذا تحققت لديه المعرفة الكاملة، وتخلص من جميع علائق المادة، إذ هو في هذه الحالة وحدها يصل إلى درجة الغيبوبة الكاملة، أو **التفاني في الإله**، أو السعادة الأبدية""[2] .

هذه نفس مقالات المعطلة والصوفية ابن عربي وأتباعه من الغلاة كما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله:

((..ولهذا لما كان صاحب الفصوص ونحوه من القسم الأول جعلوه نفس الموجودات، وجوزوا كل شرك في العالم، وجعلوه نفس العابد والمعبود، والناكح والمنكوح، والشاتم والمشتوم، وقالوا ما عبد أحد الله، ولا يمكن أن يعبد إلا الله؛ بل لا يتصور أن يكون العابد والمعبود عندهم إلا الله، ولما كان صاحب التأسيس ونحوه من القسم الثاني جعلوه كالمعدومات المحضة .

ولهذا يقال فيهم: متكلمة الجهمية لا يعبدون شيئا، وهذا هو نهاية التعطيل.

و متصوفتهم يعبدون كل شيء وهذا نهاية الإشراك. ولهذا ذكر أئمة الإسلام والسنة أن هذا السلب أول من ابتدعه في الإسلام هم الجهمية، وليس له أصل في دين المسلمين ولا غيرهم))[3] .

---

1 (?) وهذا هو القول المنقول عن ابن عربي في كتابه الفتوحات المكية ج2/604.

2 (?) كتاب ((فصول في أديان الهند الهندوسية والبوذية والجينية والسيخية وعلاقة التصوف بها)) تأليف د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي. ص47، 48 وانظر أيضا في نفس الكتاب ص113 قولهم وعقيدتهم في تناسخ الأرواح. وص124، 125 عقيدتهم في الفناء والحلول والاتحاد.ترى العجب كيف نشأ القول بوحدة الوجود والحلول والاتحاد.

3 (?) بيان تلبيس الجهمية ج2/197.

فقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((وهذا كما أن النبي لما نهى أمته عن مشابهة فارس المجوس والروم النصارى اليونان المشركين والهند المشركين أعظم وأعظم، وإذا كان ما دخل في بعض المسلمين من مشابهة اليهود والنصارى وفارس والروم مذموماً عند الله ورسوله فما دخل من مشابهة اليونان والهند والترك المشركين وغيرهم من الأمم الذين هم أبعد عن الإسلام من أهل الكتاب ومن فارس والروم أولى أن يكون مذموماً عند الله، وأن يكون ذمه أعظم من ذاك.

فهؤلاء الأمم الذين هم أبعد عن الإسلام الذين ابتلى بهم أواخر المسلمين شر من الأمم الذين ابتلي بهم أوائل المسلمين؛ وذلك لأن الإسلام كان أهله أكمل وأعظم علماً وديناً، فإذا ابتلي بمن هو أرجح من هؤلاء غلبهم المسلمون لفضل علمهم ودينهم، وأما هؤلاء المتأخرون فالمسلمون وإن كانوا أنقص من سلفهم فإنه يظهر رجحانهم على هؤلاء لعظم بعدهم على الإسلام، ولكن لما كثرت البدع من متأخري المسلمين استطال عليهم من استطال من هـؤلاء، ولبسوا عليهم دينهم، وصار شبه الفلاسفة أعظم عند هؤلاء من غيرهم، كما صار قتال الترك الكفار أعظم من قتال من كان قبلهم عند أهل الزمان، لأنهم ابتلوا بسيوف هؤلاء، وألسنة هؤلاء، وكان فيهم من نقص الإيمان ما أورث ضعفاً في العلم والجهاد، وكما كان كثير من العرب في زمن النبي فهذا هـذا)) [1] .

ومن وجد من هذه الأمـة محتاجاً إلى شيء غير ما جاء به الرسول فلضعف معرفته واتباعه لما جاء به الرسول، مثل كثير: منهم من يقول إنه محتاج إلى الإسرائيليات وغيرها من أحوال أهل الكتاب، وآخرون منهم من يقول: إنهم محتاجون إلى حكمة فارس والروم والهند واليونان وغيرهم من الأمم، وآخرون: إنهم

---

[1] (?) مجموع الفتاوى ج17/291-292.

محتاجون إلى ذوقهم أو عقلهم أو رأيهم بدون اعتبار ذلك بالكتاب والسنة، ولا تجد من يقول إنه محتاج إلى غير آثار الرسول إلا من هو ضعيف المعرفة والاتباع لآثاره، و إلا فمن قام بما جاء به الكتاب والسنة أشرف على علم الأولين والآخرين وأغناه الله بالنور الذي بعث به محمدا مما سواه.

قال تعالى: ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﭼ[1] وقال تعالى: ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ[2] قال تعالى: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ[3] [4]

وهذا والله تعالى أعلم.

وظهر من هذا أن فكرة القول بوحدة الوجود والحلول والاتحاد، وكذلك فكرة القول بنفي صفات الله وتعطيلها، وعبادة القبور وبناء المشاهد والمساجد على قبور الأولياء والصالحين، والغناء في المساجد والرقص والتصفيق وغيرها مستوردة من أديان اليهود والنصارى والصابئة المبدّلة المشركة والوثنيات الهندية انتقلت إلى المسلمين عن طريق:

1- رسائل إخوان الصفا.
2- ترجمة كتب الثقافات القديمة
3- فرق الشيعة كالإسماعيلية والقرامطة الباطنية.
4- الذين كانوا يحالون الجمع والتوفيق بين الشريعة والفلاسفة.
5- أهل الكتابين اليهود والنصارى.
6- أن تأثير هذه الوثنيات والثقافات الدخيلة على هؤلاء قد أسهم كثيرا في إضعاف الأمة وتفرقها

---

1 (?) الأعراف (157).
2 (?) المائدة(15-16).
3 (?) الحديد.
4 (?) الرسالة الصفدية ص260-261. وانظر أيضا الجواب الصحيح ج5/443-445. وبيان تلبيس الجهمية ج1/445.

وتشتيت شملها إذ أدخلوها على المسلمين وأفسدوا بها عقول كثير من العوام وضعاف الإيمان فيجب التحذير منها.

- المبحث الرابع: تأثيرات كيد أعداء الأمــة

وقد سبق أن بين شيخ الإسلام الأسباب التي أدت إلى تفرق هذه الأمـة، و أن من تلك الأسباب ما هو داخلية، ومنها ما هو خارجية، وأن من الأسباب الخارجية تأثير أصحاب الأديان السماوية المحرفة وكذلك الأصحاب الأديان الغير السماوية كالديانات الوثنية الهندية وغيرهم من عبدة الأصنام، والفلاسفة الملاحدة مما كان له أثر كبير في تفرق الأمــة.

وكذلك ذكر – رحمه الله- هنا أيضا دور كيد أعداء هذه الأمة من اليهود والنصارى والمنافقين وتأثير ذلك على زعزعة استقرار الأمة فذكر بعض مكايد أهل الكتاب واليهود بصفة خاصة فهم أشد الناس عداوة لهذه الأمة وأكثرهم تآمراً ضدها.

فهؤلاء قد ظهر تأثير كيدهم على المسلمين في أمور كثيرة وفي صور كثيرة ومتنوعة بحسب ظهور الدين وغيره وبحسب ضعف أحوال المسلمين وقوتها قديماً وحديثاً.

منها :

أولا: إثارة الفتن و الحروب بين المسلمين وتأجيج نارها و التآمر ضد هم بشتى أنواع لمكائد

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- أنه منذ بزوغ الإسلام وظهوره على الدين كله ـ ما زال أعداء هذه الأمة يكيدونها ويتآمرون ضدها لخلق الفرقة والاختلاف بينها، هذا بعد عجزهم عن استئصال هذا الدين وأهله ؛ ولكن كاد بهم عدو الداخل والخارج وعلى رأسهم اليهود كما تقدم الإشارة إليه ،فلم يخمد الحقد في قلوبهم ولم تطفأ نار الفتنة التي كانوا يشعلونها بين المسلمين.

أ- إثارة الفتنة بين قبيلتي الأوس والخزرج بعد أن آخى النبي بينهم واستل الحمية الجاهلية من قلوبهم.

وإلى هذا يشير شيخ الإسلام ابن تيمية ويقول:

((قد وقع النزاع بين الأنصار مرة، بسبب يهودي كان يذكر حروبهم في الجاهلية التي كانت بين الأوس والخزرج حتى اختصموا وهموا بالقتال حتى أنزل الله تعالى:

ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ[1] و هذا كان سبب نزول هـذه الآية أنه أراد طائفة من اليهود إلقاء الفتنة بين المسلمين))[2]

ولو تتبعنا تاريخ الحروب والفتن التي تقع بين الأمـة ودرسنا الأسباب الخفية التي وراءها لوجدنا أنها من دسائس أعداء الإسلام اليهود والنصارى أو أصابع عملائهم سواء كانت فتنة دينية أو مذهبية أو قبلية منذ بداية الإسلام إلى يومنا هذا كما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- فكل فرقة وفتنة وقعت في الأمـة تجدهم وراءها بأيد خفية.

ب- تأليب القبائل الوثنية و تحزيبهم على الأمة وتقديم يد العون لهم لاستئصال المسلمين على وجه الأرض ونقض العهود معهم.

يقول شيخ الإسلام في قوله تعالى : ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼ[3] :

((إن المسلمين تحزب عليهم عامة المشركين الذين حولهم، وجاءوا بجموعهم إلى المدينة ليستأصلوا المؤمنين. فاجتمعت قريش وحلفاؤها من بني أسد، وأشجع، و فزارة، وغيرهم من قبائل نجد. واجتمعت أيضا اليهود: من قريظة، والنضير. فإن بني النضير كان النبي ﷺ

---

1. (?) آل عمران (100).
2. (?) الجواب الصحيح ج2/355، 356، ومنهاج السنة ج 6/312.
3. (?) الأحزاب (9).

قد أجلاهم قبل ذلك، كما ذكره الله تعالى في ((سورة الحشر))[1] . فجاءوا في الأحزاب إلى قريظة وهم معاهدون للنبي ﷺ، ومجاورون له، قريباً من المدينة- فلم يزالوا بهم حتى نقضت قريظة العهد، ودخلوا في الأحزاب. فاجتمعت هذه الأحزاب العظيمة، وهم بقدر المسلمين مرات متعددة، وكانوا شديدي العداوة، لو تمكنوا من المؤمنين لكانت نكايته فيهم أعظم النكايات.

وفي هذه الحادثة[2] تحزب هذا العدو من مغول[3] وغيرهم من أنواع الترك، ومن فرس ومستعربة، ونحوهم من أجناس المرتدة، ومن نصارى الأرمن وغيرهم. ومقصودهم الاستيلاء على الدار، و اصطلام أهلها..))[4] .

والشاهد أن شيخ الإسلام يشير هنا إلى أن كيد أعداء الأمـة بها لا يزال، وهنا قد قام هؤلاء اليهود بتأليب القبائل المشركة، وتقديم الدعم المادي والمعنوي لهم لغزو المسلمين وتشتيتهم وهدفهم الأول القضاء على قائدهم .

قد حاولوا قتل الرسول ﷺ فرد الله كيدهم مما يبين خبثهم وشدة عداوتهم.

((وقد كانوا يتنوعون في عهد رسول الله ﷺ بأنواع الحيل والكيد والمكر عليه وعلى أصحابه ويرد الله سبحانه وتعالى ذلك كله عليهم:

---

1 (?) وهو قوله تعالى: ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﭼ الحشر: ٢ - ٣

2 (?) يعني حاثة حرب التتار للمسلمين في عهد شيخ الإسلام لما تكالبوا عليهم كما تكالبوا على الصحابة فكل هذا يبين استمرار كيد العدو على الأمة والسعي في تنكيلها مهما سنحت له الظروف والأحوال.

3 (?) مغول:هم التتار والأتراك الذي هاجموا على المسلمين في بلادهم وأفسدوا.

4 (?) مجموع الفتاوى ج28/443، 444.

- فتحيلوا عليه وأرادوا قتله مراراً، والله تعالى ينجيه من كيدهم.

- فتحيلوا عليه وصعدوا فوق سطح، وأخذوا رحا أرادوا طرحها عليه وهو جالس في ظل حائط، فأتاه الوحي، فقام منصرفاً وأخذ في حربهم.

-ومكروا به وأخذوا في جمع العدو له، فظفر الله تعالى برئيسهم فقتله.

- ومكروا به وأرادوا قتله بالسُّمِّ فأعلمه الله تعالى ونجاه منه.

ومكروا به في قولهم: ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ[1] يريدون بذلك تشكيك المسلمين في نبوته؛ فإنهم إذا أسلموا أول النهار اطمأن المسلمون إليهم وقالوا: قد اتبعوا الحق، وظهرت لهم أدلته، فيكفرون آخر النهار، ويجحدون نبوته،ويقولون: لم نقصد إلا الحق واتباعه؛ فلما تبين لنا أنه ليس به رجعنا عن الإيمان به، وهذا من أعظم خبثهم، ولم يزالوا موضعين مجتهدين في المكر والخبث إلى أن أخزاهم الله بيد رسوله ﷺ وأتباعه عنهم أعظم الخزي ومزقهم كل ممزق وشتت شملهم كل مشتت.

ولما سلب الله تعالى هذه الأمة ملكها، وعزها وأذلها، وقطعهم في الأرض؛ انتقلوا من التدبير بالقدرة والسلطان إلى التدبير بالمكر، والدهاء، والخيانة والخداع.

وكذلك كل عاجز جبان سلطانه في مكره وخداعه، وبهته وكذبه، ولذلك كان النساء بيت المكر، والخداع، والكذب، والخيانة، كما قال الله تعالى عن شاهد يوسف عليه السلام أنه قال: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ[2]))[3]

---

1 (?) آل عمران (72).

2 (?) يوسف آية(28).

3 (?) إغاثة اللهفان لابن القيم ج2/335، 336، 337.

ج- تأثير كيد العدو اليهود في مقتل الخليفة عثمان بن عفان ؛ إذ قام عبد الله بن سبأ في إثارة الرعاء على الخليفة الراشد عثمان حتى قتل وتفرقت الأمـة، وكذلك في عهد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب وقد تقدم الحديث عنه بالتفصيل.

فهم وراء كل هذه الفتن وغيرها ويعرفون أن بمثل هذه الحروب والفتن تقوم العداوة والبغضاء وتتقطع الروابط وتضعف القوة ؛ ولهذا صرفوا كل جهودهم لإثارة مثل هذه الحروب بكل ما أوتوا من مكر ودهاء لزعزعة أمن الأمة واستقرارها قديما وحديثا**.**

ثانـيا: فتـن الباطنية في العصر العباسي، ميمون القداح، القرامطة، الفاطميون، الإسماعيليون، والطوائف الباطنية الأخرى في بلاد المسلمين وغيرها كلها من بذور اليهودية وغيرها وتخطيطها لتدمير هذه وحدة هذه الأمة والتغلغل في صفوفها بالفتن والشر.

وإلى هذا يشير شيخ الإسـلام ابن تيمية فقال:

((الذي ابتدع التشيع لم يكن قصده الدين، بل كان غرضه بذلك التوسل إلى هدم الإسلام ، ولهذا كان الرفض باب الزنادقة والإلحاد، فالصابئة المتفلسفة ومن أخذ ببعض أمورهم، أو زاد عليهم- من القرامطة و النصيرية و الإسماعيلية و الحاكمية وغيرهم- إنما يدخلون إلى الزندقة والكفر بالكتاب والرسول، وشرائع الإسلام من باب التشيع والرفض ، فإنهم يفتحون الباب لكل عدو للإسلام من المشركين وأهل الكتاب والمنافقين، وهم أبعد الناس عن القرآن والحديث))[1]

((.. ومن هنا أدخل النفاق في الإسلام ما أدخلوه، فإن الذي ابتدع دين الرافضة كان زنديقاً يهودياً أظهر

[1] (?) مجموع الفتاوى ج7/410، وج13/210، 263، وج 22/367،

الإسلام وأبطن الكفر ليحتال في إفساد دين المسلمين- كما احتال((بولص)) في إفساد دين النصارى- سعى في الفتنة بين المسلمين حتى قتل عثمان، وفي المؤمنين من يستجيب للمنافقين، كما قال تعالى: ﭽ ۆ ۈ ۈ ۉ ۋ ۋ ې ې ې ې ې ﯿ ﯿ ﯿ ﯿ ﭼ[1] ثم إنه لما تفرقت الأمة، ابتدع ما ادعاه في الإمامة، من النص والعصمة وأظهر التكلم في أبي بكر وعمر. وصادف ذلك قلوباً فيها جهل وظلم وإن لم تكن كافرة؛ فظهرت بدعة التشيع التي هي مفتاح باب الشر، ثم لما تمكنت الزنادقة أمروا ببناء المشاهد وتعطل المساجد، محتجين بأنه لا تصلى الجمعة والجماعة إلا خلف المعصوم.

ورووا في إنارة المشاهد وتعظيمها والدعاء عندها من الأكاذيب ما لم أجد مثله فيما وقفت عليه من أكاذيب أهل الكتاب؛ حتى صنف كبيرهم ابن النعمان[2] كتاباً في ((مناسك حج المشاهد)) وكذبوا فيه على النبي ﷺ وأهل بيته أكاذيب بدلوا بها دينه، وغيَّروا ملَّته. وابتدعوا الشرك المنافي للتوحيد، فصاروا جامعين بين الشرك والكذب، كما قرن الله بينهما في غير موضع، كقوله: ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﭼ[3] [4]

وأن أصل كل فتنة وبليّة هم الشيعة ومن انضوى إليهم، وكثير من السيوف التي سلّت في الإسلام إنما

---

1 (?) التوبة(47).

2 (?) هو محمد بن النعمان الملقب بالمفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبري يعرف بابن المعلم، شيخ الرافضة كان أحد أئمة الضلال، هلك به خلق كثير من الناس إلى أن أراح المسلمين منه، وهو محقق إمامي عند الرافضة، انتهت إليه رئاسة الشيعة في وقته، كثير التصانيف أكثر من الطعن على السلف وكانت له صولة في دولة عضد الدولة ولد سنة 336هـ و توفي سنة 413هـ/ الأعلام ج7/21 وميزان الاعتدال ج4/30، 26.

3 (?) الحج(30-31.

4 (?) مجموع الفتاوى ج27/161-162.

كانت من جهتهم، وعلم أن أصلهم ومادتهم منافقون، اختلقوا أكاذيب، وابتدعوا آراء فاسدة، ليفسدوا بها دين الإسلام، و يستزلّوا بها مَن ليس مِن أولي الأحلام، فسعوا في قتل عثمان، وهو أول الفتنة، ثم انزووا إلى عليٍّ، لا حباً فيه ولا في أهل البيت، لكن ليقيموا سوق الفتنة بين المسلمين.

وبهم تستّرت الزنادقة، فهم منشأ كل فتنة، والصحابة منشأ كل علم وصلاح، وهدى ورحمة في الإسلام.

ولهذا تجد الشيعة ينتصرون لأعداء الإسلام المر تدين، كبَني حنيفة أتباع مسيلمة الكذاب، ويقولن: إنهم كانوا مظلومين، وينتصرون لأبي لؤلؤة[1] الكافر المجوسي. ومنهم من يقول: اللهم ارض عن أبي لؤلؤة واحشرني معه.

وأبو لؤلؤة كان كافراً باتفاق أهل الإسلام، كان مجوسيا من عبّاد النيران. فقتل عمر بُغضاً في الإسلام وأهله، وحباً للمجوس، وانتقاما للكفار، لِمَا فعل بهم عمر حين فتح بلادهم، وقتل رؤساءهم، وقسَّم أموالهم.

كما أخبر النبي عن ذلك في الحديث الصحيح يقول: ((إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده. والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله))[2] وعمر هو الذي أنفق كنوزهما.

فلينظر كل عاقل فيما يحدث في زمانه[3] ، وما يقرب من زمانه من الفتن والشرور والفساد في

---

[1] (?) هو أبو لؤلؤة فيروز المجوسي فارسي مجوسي، أسره (الروم) صغيراً في إحدى الحروب بين الفريقين، فنشأ نصرانيا، اشتراه(المغيرة بن شعبة) رضي الله عنه وقدم به المدينة،ليعمل صانعاً، وكان حاقدا على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قتله، وقد انتحر أبو لؤلؤة/تاريخ الأمم والملوك للطبري ج4/239.

[2] (?) صحيح مسلم ص737 ح(2918) كتاب الفتن و أشراط الساعة باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل...)

[3] (?) وليس ما يحدث بالعراق حاليا عنا ببعيد!!!

الإسلام، فإنه يجد معظم ذلك من قبل الرافضة، وتجدهم من أعظم الناس فتناً وشراً، وأنهم لا يقعدون عمَّا يمكنهم من الفتن والشر وإيقاع الفساد بين الأمـة.

ونحن نعرف بالعيان والتواتر العام وما كان في زماننا، من حين خرج جنكزخان ملك الترك الكفار، وما جرى في الإسلام من الشر.

فلا يشك عاقل أن استيلاء الكفار المشركين، الذين لا يقرون بالشهادتين ولا بغيرها من المباني الخمس، ولا يصومون شهر رمضان، ولا يحجون البيت العتيق، ولا يؤمنون بالله، ولا بملائكته، ولا بكتبه ورسله واليوم الآخر.

فلا يشك عاقل أن استيلاء مثل هـؤلاء على بلاد الإسـلام، وعلى أقارب رسول الله من بني هاشم، كذرية العباس وغيرهم، بالقتل وسفك الدماء، وسبي النساء واستحلال فروجهم، وصبي الصبيان واستعبادهم وإخراجهم عن دين الله وإلى الكفر، وقتل أهل العلم والدين من أهل القرآن والصلاة، وتعظيم بيوت الأصنام- التي يسمونها البذخانات والبِيع- والكنائس- على المسلمين، بحيث يكون المشركون وأهل الكتاب أعظم عِزًّا، وأنفذ كلمة، وأكثر حرمة من المسلمين، إلى أمثال ذلك مما لا يشك عاقل أن هذا أضر على المسلمين من قتال بعضهم بعضاً.

ثم مع هذا الرافضة يعاونون أولئك الكفار على المسلمين، فهذا و-أمثاله- قد عاينه الناس، وتواتر عند من لم يعاينه. ولو ذكرت أنا ما سمعته ورأيته من آثار ذلك لطال الكتاب، وعند غيري من أخبار ذلك وتفاصيله ما لا أعلـمه[1].

فأعداء المسلمين من المشركين وأهل الكتاب بطريقهم وصلوا، واستولوا بهم على بلاد الإسلام، وسبوا الحريم وأخذوا الأموال وسفكوا الدماء الحرام، وجرى

---

[1] (?) منهاج السنة ج1/ 11وج3/ 452 ،وج 6/370، 372، 373، 374، 375.ومجموع الفتاوى ج35/136.

على الأمة بمعاونتهم من فساد الدين والدنيا، ما لا يعلمه إلا رب العالمين[1] .

والمقصود أن من تأثير كيد العدو على الأمـة الاستعانة بالرافضـة وغيرهم من أهل الأهواء والبدع للوصول إلى سفك دماء الأمـة والاستيلاء على مدائن المسلمين وإفساد دينهم ودنياهم وإشعال نار الفتنة بينهم وإلقاء العداوة والبغضاء فيما بينهم قديماً وحديثا.ما زالوا ولا يزالون منذ ظهور الإسلام إلى يومنا هذا يكيدون ويخططون .

قال تعالى: ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔﮕ ﭼ[2] وقال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭼ[3] وقال تعالى: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ[4]

فكيد العدو مستمر وأشدهم كيدا بالمسلمين اليهود فهم أضمروا لهم العداوة الشديدة، والمكايد المستمرة نبه عليه الكتاب والسنة لتكون الأمـة على حذر من مكائدهم.

ثالثاً: تأسيس الجمعيات والأحزاب السرية والعلنية كالماسونية وغيرها لخلق التوتر والاختلاف والفرقة بين المسلمين.

رابعاً: المنصرون وتأثير كيدهم

فإن أهـدافهم محدودة ومكايدهم مستمرة وأهدافهم دقيقة ومحكمة وخبيثة والغرض من وراء ذلك كله:

أ- تفتيت وحدة المسلمين وتفريق كلمتهم وتمزيق جماعتهم وتضعيف قوتهم.

يقول لورانس بروان في كتابه ((الإسلام والإرسـاليات)): " إذا اتحد المسلمون في إمبرطورية

---

1 (?) منهاج السنة ج1/11 ومجموع الفتاوى ج35/136

2 (?) البقرة (217).

3 (?) البقرة.

4 (?) المائدة (82).

عربية واحدة، أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرا... وإذا بقوا متفرقين فسيظلون بلا قوة ولا تأثير "[1] .

ب- تشكيك المسلمين في عقيدتهم:

يقول زويمر: " إن الغاية التي نرمي إليها، هي إخراج المسلمين من الإسلام، ليكون أحدهـم إما ملحداً، أو مضطرباً في دينه، وعندها لا يكون مسلماً، له عقيدة يدين بها، ولا يكون له من الإسـلام إلا الاسم"[2] .

فهذا وغيره كله يبين ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- وعلماء السلف الصالح وأن المكائد مستمرة.

ج- علمنة المسلمين وانتقاص أمر الكتاب والسنة والغض من السلف الصالح الصحابة والتابعين لهم بإحسان، والاهتمام بشخصيات منحرفة ضالة وملحدة كالحلاج وأبي نواس وأرسطو وابن سينا وابن سبعين، كما اهتموا بالدراسات الفلسفية والصوفية كآراء ابن عربي والسهر وردي وغيرهم، وكان لهذا وغيره نتائج عكسية على الأمـة وما تزال آثارها ممتدة وسيئة للأمـة.

د- تأثير النعرات القومية العنصرية: nationalism

لقد تغلغلت الأفكار القومية في ديار المسلمين وتمكنت من خرق صفوف وحدة الأمـة وتفريق بين أبنائها بوحدة اللغة أو الجنس أو المنطقة الجغرافية أو الصفات المشتركة أو اللون أو العرق البشري أو شيعة الرجل وقبيلته أو غير ذلك ودفعت عجلتها أعداء الإسلام وهدفهم تمزيق وحدة الأمة وتأثر بها كثير من المسلمين

---

1 (?) كتاب لورانس بروان أصدره عـام 1944م. نقلا عن الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي د. محمد البهي ص423 وعن التيارات الفكرية والعقدية في النصف الثاني من القرن العشرين محمد فاروق الخالدي ص64-65.

2 (?) الإسلام في وجه الغريب /أنور الجندي ص72 والمصدر السابق.

ودعوا إليها إلا من رحم الله. فتسمع ((القومية العربية)) ((أمة العرب)) ((القضية العربية)) ((القومية التركية))

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في تعليقه على حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: ((من سمعتموه يتعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا)) [1]

فمعنى قوله((من تعزى بعزاء الجاهلية) يعني يعتزي بعزاوتهم وهي الانتساب إليهم.

وكل ما خرج عن دعوة الإسلام والقرآن من نسبٍ أو بلدٍ، أو جنسٍ، أو مذهب، أو طريقة فهو من عزاء الجاهلية.

فهذا من جنس أهل الكتاب الذين آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض، وحال الرافضة الذين يوالون بعض الصحابة ويعادون بعضهم، وحال أهل العصبية من المنتسبين إلى فقه وزهدٍ، يوالون بعض الشيوخ والأئمة دون البعض، وإنما المؤمن من يوالي جميع أهل الإيمان قال الله تعالى: ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼوقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)) [2].

ومما يميّز الحب لله والحب لغير الله أنّ أبَا بكر كان يحب النبي صلى الله عليه وسلم، وأبو طالب عمّه كان يحبه وينصره لهواه، لا لله، عَمَلُ أبي بكر أنزل فيه (ﭯ ﭰ ﭽ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ[3].

وأما أبو طالبٍ فلم يتقبل عمله، بل أدخله النار؛ لأنه كان مشركاً عاملاً لغير الله، وأبو بكر لم يطلب أجره من الخلق لا من النبي ولا من غيره، بل آمن به وأحبّه وكلأه وأعانه بنفسه، وماله متقرّباً بذلك إلى الله، وطالباً الأجر

---

[1] (?) رواه الطبراني في الكبير ج1/198 والبيهقي في السنن الكبرى ج6/242 وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته رقم(567)..

[2] (?) تقدم تخريجه.

[3] (?) الليل آية(17-21).

من الله. ورسوله يبلغ عن الله أمره، ونهيه، ووعده، ووعيده. والله هو الذي يخلق ويرزق، ويعطي، ويمنع، ويخفض ويرفع، ويعز)) [1].

ولقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((المؤمنون تتكافؤ دماؤهم، وهم يد على من سواهـم، ويسعى بذمة أدناهم. ألا لا يقتل مسلم بكافر، ولا ذو عهد في عهده)) [2]. فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن المسلمين تتكافؤ دماؤهم- أي تتساوى وتتعادل- فلا يفضل عربي على عجمي، ولا قرشي أو هاشمي على غيره من المسلمين. ولا حر أصلي على نولى عتيق، ولا عالم أو أمير، على أمي أو مأمور.

وهذا متفق عليه بين المسلمين؛ بخلاف ما كان عليه أهل الجاهلية وحكام اليهود وقال تعالى: ﭽ [3] ... فحكم الله سبحانه في دماء المسلمون أنها كلها سواء، خلاف ما عليه أهل الجاهلية. وأكثر سبب الأهواء الواقعة بين الناس في البوادي والحواضر إنما هو البغي، وترك العدل.

فمن تعصّب لأهل بلدته أو مذهبه أو طريقته أو قرابته أو لأصدقائه دون غيرهم كان فيه شعبة من الجاهلية، حتى يكون المؤمنون كما أمرهم الله تعالى معتصمين بحبله وكتابه وسنة رسوله.

فإنَّ كتابهم واحد، ودينهم واحد، ونبيهم واحد، وربهم إله واحد لا إله إلا هو له الحمد في الأولى ﭽ

---

1 (?) مجموع الفتاوى ج11/525-526 وج28/328، 329، 422.

2 (?) رواه أبو داود في سننه ج3/183ح(2751) كتاب الجهاد باب في السرية(ترد على على أهل المكر) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم(6666).

3 (?) المائدة آية(50).

ﭽ[1] ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ
ﮑ ﭼ[2].

فالله! الله! عليكم بالجماعة والائتلاف على طاعة الله ورسوله، والجهاد في سبيله؛ يجمع الله قلوبكم، ويكفِّر عنكم سيئاتكم، ويحصل لكم خير الدنيا والآخرة. أعاننا الله وإياكم على طاعته وعبادته، وصرف عنا وعنكم سبيل معصيته، وآتانا وإياكم في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، ووقانا عذاب النار، وجعلنا وإياكم ممن رضي الله عنه وأعد له جنات النعيم، إنه على كل شيء قدير، هو حسبنا ونعم الوكيل.

والحمد لله وحده وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[3]**.**

فالمسلمون كلهم من مشارق الأرض ومغاربها أمة واحدة تربطهم الروابط الإيمانية عربهم وعجمهم أحمرهم وأبيضهم وأسودهم، فالواجب نبذ كل الأفكار الدخيلة المخالفة لأمر الله ونهيه وتفرق بين هذه الأمـة المحسودة.

((وعلى الحكام أن لا يحكموا إلا بالعدل. ((والعدل)) هو ما أنزل الله، كما قال **تعالى:** ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ
ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﭼ[4] **ثم قال تعالى:** ﭽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ
ﭼ[5].

فأوجب الله طاعة أولي الأمر مع طاعة الرسول، وأوجب على الأمة إذا تنازعوا أن يردوا إلى الله ورسوله –أي- إلى كتاب الله وسنة رسوله.

فعلى جميع الخلق اتباع ما شرعه من الدين وهو ما أتى به من الكتاب والسنة، فما جاء به الكتاب والسنة

---

1 (?) القصص آية(70).
2 (?) الحجرات آية(13).
3 (?) مجموع الفتاوى ج28/ 375، 377،422،423.
4 (?) النساء آية(58).
5 (?) النساء آية(59).

وهو الشرع الذي يجب على جميع الخلق اتباعه؛ وليس لأحد الخروج عنه.

فالكتاب والعدل متلازمان، والكتاب هو المبين للشرع؛ فالشرع هو العدل، والعدل هو الشرع، ومن حكم بالعدل فقد حكم بالشرع، ولكن كثيراً من الناس ينسبون ما يقولونه إلى الشرع وليس من الشرع؛ بل يقولون ذلك إما جهْلاً وإما غلطاً وإما عمداً وافتراء، وهذا هو لشرع المبدل الذي يستحق أصحابه العقوبة؛ ليس هو الشرع المنزل الذي جاء به جبريل من عند الله إلى خاتم المرسلين فإن هذا الشرع المنزل كله عدل ليس فيه ظلم ولا جهل، قال تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ[1] .

وقد يقول كثير من علماء المسلمين أهل العلم والدين من الصحابة والتابعين وسائر أئمة المسلمين كالأئمة الأربعة وغيرهم أقوالاً باجتهادهم؛ فهذه يسوغ القول بها، ولا يجب على كل مسلم أن يلتزم إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فهذا شرع دخل فيه التأويل والاجتهاد، وقد يكون في نفس الأمر موافقاً للشرع المنزل فيكون لصاحبه أجران، وقد لا يكون موافقاً له لكن لا يكلّف الله نفساً إلا وسعها؛ فإذا اتقى العبد الله ما استطاع آجره الله على ذلك، وغفر له خطأه.

ومن كان هكذا لم يكن لأحد أن يذمه ولا يعيبه ولا يعاقبه ولكن إذا عرف الحق بخلاف قوله لم يجز ترك الحق الذي بعث الله به ورسوله لقول أحد من الخلق، وذلك هو الشرع المنزل من عند الله، وهو الكتاب والسنة وهو دين الله ورسوله لتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله.

فالمقصود بالجهاد أن لا يعبد إلا الله؛ فلا يدعو غيره، ولا يصلى لغيره ولا يسجد لغيره؛ ولا يصام لغيره، ولا

---

[1] (?) المائدة آية(42).

يعتمر ولا يحج إلا إلى بيته، ولا يذبح القرابين إلا له، ولا ينذر إلا له، ولا يحلف إلا به، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يخاف إلا إياه. فهو الذي لا يأتي بالحسنات إلا هو؛ ولا يدفع السيئات إلا هو، ولا يهدي الخلق إلا هو، ولا ينصرهم إلا هو، ولا يرزقهم إلا هـو، ولا يغنيهم إلا هو، ولا يغفر الذنوب إلا هو.

وهو تعالى عليم بأحوال عباده رحيم بهم ودود.

و((الود)) اللطف والمحبة؛ فهو يود عباده المؤمنين، ويجعل لهم الود في القلوب، كما قال تعالى ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭼ[1]. قال ابن عباس وغيره: يحبهم ويحببهم إلى عباده[2].

هذا ونسأل الله أن يعيد لهذه الأمــة مجدها وشرفها وقوتها ووحدتها على الحق. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

1 (?) مجموع الفتاوى ج35/361، 362، 363، 365، 366، 367، 368، 369

2 (?) مريم (96).

الخاتمة

وفيها: أهم النتائج والاقتراحات والتوصيات العلمية

أحمد الله جل جلاله وأشكره كثيراً على ما منَّ به علي من النعم الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى إذ وفقني لدراسة هذا الموضوع المهم الذي هو: ((جهود شيخ الإسلام في الحث على لزوم الجماعة والتحذير من الاختلاف والفرقة)) وعلى توفيقه لإتمام هذا البحث وإكماله فله الشكر والحمد أولاً و آخرًا بكرةً وعشياًّ، وفي ختام هذا الجهد القليل أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها من جهود شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله - وهي كما يلي:

أولا:

1- أن هذه الأمـة عزتها وكرامتها في تمسكها بالعقيدة الصحيحة التي بها أعزَّ الله أوَّلها وبها يعز آخرَها لا بغيرها من الشعارات والطقوس والتعددية الحزبية، و التَّحزُّباتِ والاتفاقيات التي على البدع والأهواء .

وأن من أعظم ما أمر الله تعالى به هذه الأمة هي الجماعة والائتلاف والتناصر والتراحم والتعاون على البر والتقوى، ومن أعظم ما نهاهم عنه هو التفرق والاختلاف لم يرض به لهم بأي وجه من الوجوه.

2- أن في الجماعة والائتلاف المأمور به تحقيق صلاح العباد في المعاش والمعاد، وأن ما نهى الله عنه من التفرق فيه فساد المعاش والمعاد.

3- أن هـذه الأمة لا تجتمع إلا على الحق، وأن الحق الذي يجمع بين أبنائها ويؤلف قلوبهم **هو** الاعتقاد الصحيح الذي جاء به النبي وهو عبادة الله الخالصة من جميع شوائب الشرك والبدع والآراء الفاسدة.

4- ولتحقيق هذا الأمر وهذا الهدف النبيل يحتاج إلى توحيد مصدر تلقي الاعتقادات والغايات؛ وهذا يستلزم أخذ جميع الاعتقادات والعبادات والسلوكيات من الكتاب والسنة ووفق فهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

5- أن البدعـة مقرونة بالفرقة والاختلاف، وأن السنة مقرونة بالجماعة والرحمــة. وأن أهل السنة هم أهل الجماعة والرحمة ولائتلاف وأهل البدع هم أهل الفرقة والشدة والاختلاف.

6- أن السبب الرئيسي في تفرق هذه الأمـة ترك الاعتصام بالكتاب والسنة مطلقاً بالإيمان ببعض النصوص دون بعض، والانحراف عن التوحيد.

7- أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يختلفوا في أصل من أصول الدين الكبار ولا تفرقوا فيه، وهذا ينبغي أن يحرر ويوضح.

8- وأنهم قد تنازعوا في بعض المسائل العلمية والعملية وتناظروا فيها مناظرة مشاورة و مناصحةٍ، و مع بقاء الألفة والمحبة والعصمة وأخوة الدين.

9- أنَّ الصحابة رضوان الله عليهم كانوا إذا تنازعوا في الأمـر اتبعوا أمر الله تعـالى: ﭽ   ﭼ.

10- أنّ الكتاب والسنة قد دلا على وجوب متابعة الصحابة والتمسك بهديهم وعدم مخالفتهم في هديهم، وأن سنة الخلفاء الراشدين سنة معصومة.

ثانيا:

1-أنّ بني البشر أجمع مصلحتهم لا تتم ولا تتحقق على الوجه الصحيح إلا بالاجتماع، وأنه لابد أن يكون بينهم ائتمارٌ، وتناهٍ عن أمر، والتعاون على جلب المنافع والتناصر لدفع مضارهـم وإلا يعم الفوضى ولا بد من مطاع.

2- وأن القضايا التي عليها عقلاء بني آدم لا تكون إلا حقاً كمدح الصدق والعدل، وذم الكذب والظلم. وأن الشريعة جامعة لكل ولايةٍ وعمل فيه صلاح الدين والدنيا.

ثالثا:

1-أن الوعد المطلق والتكفير المطلق والتفسيق المطلق في الكتاب والسنة مشروطٌ بثبوت شروط وانتفاء موانع، فلا يلحق التائب من الذنب، ولا من له حسناتٌ تمحو سيئاته، ولا يلحق المشفوع له والمغفور له باتفاق.

2- خطورة تكفير المسلم وتفسيقه بذنب أو تبديعه بلا برهان واضح و التبرؤ منه اتباعا لهوى النفس، سبب للشرور والفتن والفرقة.

3- رحمة الإسلام وصحة اعتقاد مذهب أهل السنـة والجماعة في هذا الباب وامتيازهم بالجماعة فهم أرحم الخلق بالخلق وأنفعهم لهم.

4- أن أبرز ما يتميز به منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على المخالف اتصافه بالإنصاف والعدل والرحمة وحسن القصد؛ إذ يأخذ من كل ما يجد أنه الحق الموافق للكتاب والسنة ويطرح منه ما يخالف ذلك، و يعترف لكل عالمٍ بما فيه من خير، مع ذلك أن يبين ما عليه من باطلٍ بأسلوبٍ علميٍّ مستند بالكتاب والسنة بعيدٍ عن الهوى والتعصب.

5- وشيخ الإسلام ابن تيمية عندما يناقش فإنما يناقش الفكرة نفسها ويردها إلى أصولها، ويبين القائلين بها ومدى بعدها ومخالفتها للكتاب والسنة ثم يحكم على فساد الفكرة ومع التمييز بين ذلك وبين القول بكفر القائل بها، وهذا هو الأسلوب البناء الذي ينبغي سلوكه.

6- وعلى هذا فإنه يجب العدل والإنصاف وحسن القصد في الرد على المخالفين، و يكون القصد من ذلك إظهار دين الله الحق وإعلاء كلمة الله دون الهوى .

رابعــا:

1-وجوب طاعة ولاة الأمر والأئمة والحكام في المعروف براً كانوا أو ظلمةً،:
أ- العلماء. ب- والأمراء والملوك والحكام ونوابهم.
فكل واحد من هؤلاء يجب طاعته فيما يأمر وينهى موافقاً لدين الله وسنة رسوله ، وأن كل من كان متبوعاً يجب طاعته فهو من أولي الأمر، ويجب عليه أن يأمر بما أمر الله به ورسوله، وينهى عما نهى الله عنه ورسوله.
2-أن الإفتاء بالخروج على أئمة الجور ونقد بيعتهم خطأ كبير وسبب للفتنة، وترك لأمر الله ورسوله، واتباع لغير سبيل المؤمنين.
3- أن الخروج على الحُكَّام وأئمة الجور وقتالهـم مفسدته أعظم وأشد من مفسدة ظلمهم.
4- أن الخوارج هم أول من خرج على الأمة وهم أول من فرّق بين الأمة، وأن من أبرز سماتهم: الطعن في الأئمة والعلماء والولاة، والطعن في السنة، فإن أولهم طعن في عدالة النبي .
5- أن آراء الخوارج القدماء ما زالت آثارها تسري في وتصدع جدار وحدتها، وتشق عصا جماعتها، وتزحزح أمن الأمة واستقرارهـا.
6- ضرورة الالتفاف حول علماء الكتاب والسنة ذوي العلم والبصيرة والفقه في الدين خاصة عند حلول الفتن والشبهات وفي قضايا الأمة المصيرية.
7- أن الجهاد بالحجة والبيان وبالعلم والبرهان والدعوة مقدم على السيف والقتال، وأن سيف المسلمين تابع للعلم والحجة، بخلاف سيف المشركين.
8- أن القتال يحتاج إلى القدرة والرأس المطاع، وإنما شرع للضرورة.

خامـساً:

1- أن المؤمنين كلهم إخوة في الدين ويجب موالاة جميع المؤمنين وحبهم والإحسان إليهم، كلٌّ بحسب وأنهم في الإيمان درجات.
2- أن من أخطر الأمراض التي تعاني منها الأمة وتهدد وحدة صفّها داء العصبية والعنصرية القومية البغيضة والتحالف والتناصر عليها.
3- أن الاختلاف المذموم هو الذي يؤدي إلى التهاجر والتباغض والتقاتل والتفرق.
4- أن كثيراً من الفرق والطوائف المنتسبة إلى الأمة قد تأثروا تأثيرا قوياً بالفلاسفة اليونانية وخرافات أهل الكتاب من اليهود والنصارى والأديان الوثنية الهندية، كالقول بوحدة الوجود والحلول والاتحاد، وتناسخ الأرواح والشرك بأهل القبور واتخاذ القبور مساجد، وتقديم الآراء والمنامات والكشوفات على كتاب الله وسنة رسوله.
5- أن قول النبي في حديث الافتراق: ((كلها في النار)) لا يدل على خروجهم من الإسلام ولا فيه تخليدهم في النار، لم يخرجهم النبي صلى الله عليه وسلم من الإسلام ولم يقل إنهم يُخلّدون في النار، فمن كفّرهم كلهم فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة.
فلا يشهد لمعَيَّنٍ بالنار لإمكان أنه قد تاب أو كانت له حسنات محتْ سيئاته أو كفَّر الله عنه بمصائب أو غير ذلك.
6- أن محاولة عدِّ الفرق الهالكة وحصرها وتعيينها تكلُّفٌ، لأنه في كل عصر وزمان تولد فرقة وتخرج أفكارٌ جديدة ولا زال منذ زمن من حاول العدَّ، فإن حصرها على فرق معينة والجزم بذلك يحتاج إلى دليل، والأحسن طلب النجاة من الهلاك والرجوع إلى الجماعة.
7- أن ما وقع بين هذه الأمة من الاختلاف والقتال والذنوب لم يكن دليلاً على نقصها؛ بل هي أفضل الأمم وخيرها وأقلها فرقة واختلافاً.

8- أن أحق الناس بوصف الفرقة الناجية هم أهل الحديث والسنة الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أي قطر وفي زمان ومكان كانوا.

9- أن نتيجة الجماعة الرحمة ورضوان الله ونتيجة الفرقة الهلاك والضعف والهوان.

10- بطلان القول: ((إختلاف أمتي رحمة)) والاستدلال به في تجويز الاختلاف في الأصول.

سادساً:

من الأصول المشتركة بين مبتدعة أهل الكتاب اليهود والنصارى ومبتدعة هذه الأمة:

1-ترك الاعتصام بالكتب السماوية وما جاء بها الأنبياء والرسل مطلقاً.

2-الإيمان ببعض نصوص الحق دون البعض.

3-تحكيم عقولهم وآرائهم على نصوص كتاب الله وأنبيائه.

4-التعصب للباطل ونصرته بأي وسيلة.

5-ترك التحاكم إلى كتاب الله ورد المنازعات إليه والرضا والتسليم له.

6-كتمان الحق وتلبيسه بالباطل أو تأويله أوتحريفه.

7-كراهة أتباع الأنبياء والرسل المستمسكين بتعاليمهم وبغضهم والكيد لهم.

8-كثرة التفرق والاختلاف في الدين وتكفير كل مخالفيهم، وتكفير بعضهم بعضاً.

سابعا:

من الأصول المهمة التي يجب مراعاتها التأليف بين القلوب والبعد عن كل ما يؤدي إلي التنفير في مسائل الفاضل و المفضول وأن مصلحة تأليف القلوب في هذا مقدمة على مصلحة فعل الأفضل إذا كان فعله يؤدي إلى البغضاء والتفرق وبناء على ذلك:

1- يسوغ للإنسان أن يترك الأفضل لتأليف القلوب واجتماع الكلمة خوفاً من التنفير كما ترك النبي صلى

الله عليه وسلم البناء على قواعد إبراهيم، ورأى أن مصلحة الاجتماع والتأليف مقدَّمة على مصلحة البناء على قواعد إبراهيم عليه السلام.
ويكون إذا كُرِهِ الأفضل في حال حصوله مفسدة، كان المفضول هناك أفضل؛ بل هو المشروع.

2-قد أكمل الصحابي الجليل ابن مسعود الصلاة خلف عثمان بن عفان في منى وقال لما سئل: الخلاف شر. مع أن عثمان أيضاً أكمل لمصحة.

3- فالعمل الواحد يكون فعله مستحباً تارة، وتركه تارة، باعتبار ما يترجح من مصلحة فعله وتركه بحسب الأدلة الشرعية.
فيستحب للإمام أن يدع ما هو أفضل إذا كان فيه تأليف المأمومين، وأن أكثر ما يقع بين أهل السنة من الاختلاف والفرقة والعداوة والبغضاء في مثل هذه الأمور بين الفاضل و المفضول فكل يبدّع الآخر أو يبغضه أو يهجره أو ينفّر الناس عنه، فيجب على الجميع الرد إلى الكتاب والسنة.كما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-.

ثامنًا:

كما أقترح البحث في موضوع ((الصبر ومفهومه وأهميته وآثاره في جمع الكلمة وتوحيد القلوب وأدلة ذلك في الكتاب والسنة ومظاهر ذلك في أقوال سلف الأمة وأفعالهم)) من خلال كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة علمية في قسم العقيدة.

-**وكذلك** ((المسائل العقدية المتعلقة برحمة النبي صلى الله عليه وسلم للخلق ومظاهر ذلك وآثارها الطيبة في هذه الأمة وفي غيرها وأنه صلى الله عليه وسلم بعث رحمة للعالمين)).

و-كذلك ((حقيقة المحبة بين أهل السنة والمخالفين من خلال كلام شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-)) هذا وصل اللهم على نبينا وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

ص

چ ب ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ (1-4)
چ

+فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الآثار

فهرس الأعلام

فهرس الفرق

فهرس المصادر والمراجع

1. **الإبانة عن شـــــــــريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفـرق المذمومة**، للشـيخ الإمـام أبو عبد الله محمد بن بطة العكبري الحنبلي (ت 387هـ)، دار الراية، ط: 2، 1418هـ.
2. **أثر أهل الكتــاب في الفتن والحــروب الأهليــة،** للدكتور جميل عبد الله المصري، مكتبة الدار - المدينة المنــورة، ط: 1، 1410هـ/1989م.
3. **اجتمـاع الجيـوش الإسـلامية على غـزو المعطلة والجهمية،** لابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب الـزرعي أبو عبد الله، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 1، 1404هـ/1984م.
4. **أحاديث في ذم الكلام وأهلـه،** لأبي الفضل المقـرئ (ت 454هـ)، تحقيق: د. ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجـديع، دار أطلس – الرياض، ط: 1، 1996م.
5. **إحياء علوم الـدين،** لمحمد بن الغـزالي أبو حامـد، دار المعرفة - بيروت.
6. **أدب المفتي والمسـتفتي،** لعثمـان بن عبد الـرحمن بن عثمان الشهرزوي أبو عمـرو، تحقيـق: د. موفق عبد الله عبد القــادر، مكتبة العلــوم والحكم، عــالم الكتب – بــيروت، ط: 1، 1407هـ.
7. **الأدب المفـــــرد،** لمحمد بن إســــماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيـق: محمد فـؤاد عبد البـاقي، دار البشـائر الإسلامية – بيروت، ط: 3، 1409هـ/1989م.
8. **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل في شــرح الــدليل**، تــأليف: المحــدث العلامة محمد ناصر الــدين الألبـاني، المكتب الإســلامي بـيروت – الطبعة الثانية 1405هــ-1985.
9. **الاســتذكار،** لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد الــبر النمري، تحقيـق: سـالم محمد عطـاء، ومحمد علي معـوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1421هـ/2000م.
10. **الاستقامة،** لشـيخ الإسـلام ابن تيمية أبي العبـاس تقي الــدين أحمد بن عبد الحليم، تحقيــق: محمد رشــاد ســالم، دار الهدي النبوي - دار الفضيلة، ط: 1، 1420هـ/2000م.
11. **الإصابة في تمييز الصـحابة،** للإمـام الحافظ شـهاب

الدين أبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، (ت 852هـ)، وبذيله كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد البر، تحقيق: د. طه محمد الزيتي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة.

12. **إصلاح المساجد من البدع والعوائد**، للعلامة جمال الدين القاسمي، خرج أحاديثه وعلق عليه: الشيخ ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط: 5، 1403هـ.
13. **أصول السنة**، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الله (ت 241هـ)، دار المنار – الخرج، ط: 1، 1411هـ.
14. **أضواء على المسيحية**، لمتولي يوسف شلبي، الدار الكويتية، ط: 2، 1973م.
15. **الإعتصام**، للعلامة المحقق الأصولي الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي، دار الفكر – مكتبة الرياض الحديثة – البطحاء – الرياض.
16. **الاعتقاد والهادية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث**، لأحمد بن الحسين البيهقي (ت 458)، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط: 1، 1401هـ.
17. **الأعلام العلية**، لعمر بن علي بن موسى البزاز أبو حفص (ت 749هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، ط: 3، 1400هـ.
18. **إعلام الموقعين،** لابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل – بيروت، 1973هـ.
19. **إغاثة اللهفان** من مصائد الشيطان، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (ت 751هـ) دار المعرفة- بيروت، ط:2، 1395هـ 1975م .
تحقيق: محمد حامد الفقي.
20. **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، لشيخ الإسلام ابن تيمية أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت 728هـ)، تحقيق وتعليق: د. ناصر بن عبد الكريم العقل، دار العاصمة، ط: 6، 1419هـ/1998م.
21. **أمرض القلوب وشفاؤها،** لشيخ الإسلام ابن تيمية أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت 728هـ)، المطبعة السلفية – القاهرة، ط: 2، 1399هـ.
22. **الانتصار لأصحاب الحديث**، لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي، تحقيق: محمد بن حسين

بن حسن الجيزاني، مكتبة أضـواء المنـار – المدينة المنـورة، ط: 1، 1996م.
23. **الإيمان**، لمحمد بن إسحاق بن يحـيى بن منـده، تحقيـق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مؤسسة الرسالة – بـيروت، ط: 3، 1406هـ.
24. **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبـار الأئمة الأطهـار**، لمحمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفا - بيروت - لبنان.
25. **بدائع الصنائع،** لعلاء الدين الكاسـاني (ت 587هــ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط: 2، 1982م.
26. **البداية والنهايـــة،** لأبي الفـــداء الحافظ ابن كثـــير الدمشـقي (ت 774هــ)، دار الريـان للـتراث - القـاهرة، ط: 1، 1408هـ/1988م.
27. **بيــان تأســيس الجهمية في تأســيس بــدعهم الكلامية**، لشيخ الإسلام ابن تيمية أبي العباس تقي الـدين أحمد بن عبد الحليم الحــراني (ت 728هـــ)، تحقيــق: محمد بن عبد الــرحمن بن قاســم، مطبعة الحكومة – مكة المكرمــة، ط: 1، 1392هـ.
28. **بيــان تأســيس الجهمية في تأســيس بــدعهم الكلامية**، لشيخ الإسلام ابن تيمية أبي العباس تقي الـدين أحمد بن عبد الحليم الحــراني (ت 728هــ)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1426هـ.
29. **تاج العروس،** محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية
30. **التــــاج والإكليل**، لمحمد بن يوسف بن أبي القاسم العبـدري أبو عبد الله (ت 897هــ)، دار الفكر - بـيروت، ط: 2، 1398م.
31. **تاريخ ابن خلدون**، لعبد الـرحمن بن محمد بن خلـدون الحضرمي، دار القلم - بيروت، ط: 5، 1984م.
32. **تـاريخ الأمم والملـوك،** لمحمد بن جرير الطـبري أبو جعفر، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1407هـ.
33. **التاريخ الكبير،** لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت 256هـ)، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر- بيروت
34. **تاريخ مدينة دمشق**، لأبي القاسم بن عســاكر علي بن الحسين بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت 576هـ)، تحقيـق: محب الــدين أبي ســعيد عمر بن غرامــة، دار الفكر - بــيروت،

1995م.

35. **تأويل القرآن ومذاهب الفرق منه،** للدكتور بديع موسى، دار الأعلام، ط: 1، 1429هـ/2008م.
36. **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية**، لطاهر بن محمد أبو المظفر الإسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب - لبنان، ط: 1، 1403هـ/1983م.
37. **تذكرة الحفاظ**، لأبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي (ت748)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 1.
38. **التعريفات،** للشريف علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان، 1416هـ/1995م.
39. **التعليقات الرضية على الروضة الندية**، لمحمد ناصر الدين الألباني، تحقيق: علي بن حسين الحلبي، دار ابن عفان - القاهرة، ط: 1، 1999م.
40. **تفسير القرآن العظيم**، للإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت 774هـ)، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، 1413هـ/1993م.
41. **تقريب التهذيب،** للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852)، بعناية: عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1423هـ/2002م.
42. **تلخيص كتاب الاستغاثة،** للمعروف بالرملي البكري، لشيخ الإسلام ابن تيمية أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت 728هـ)، تحقيق: أبو عبد الرحمن محمد بن علي عجال، مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة المنورة، ط: 1، 1417هـ.
43. **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النميري (ت 463هـ)، تحقيق: مصطفى أحمد العلوي، ومحمد عبد الكريم البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، 1387هـ.
44. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، للإمام العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي ، ط:1، 1424هـ.
45. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، لمحمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر(ت 310هـ) دار الفكر- بيروت-1405.
46. **جامع الرسائل**، لشيخ الإسلام ابن تيمية أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار المدني – جدة، ط: 1، 1405هـ.

47. **جـامع العلـوم والحكم**، لأبي الفـرج عبد الـرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار المعرفة - بيروت، ط: 1، 1408هـ.
48. **الجامع لأحكـام القـرآن**، لمحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، أبو عبد الله .
دار الشعب- القاهرة.
49. **الجرح والتعديل**، لعبد الـرحمن بن أبي حـاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي (ت 327هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: 1، 1271هـ/1952م.
50. **الجـواب الصـحيح عمن بـدل دين المسـيح**، لشـيخ الإسـلام ابن تيمية أبي العبـاس تقي الـدين أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت 728هـ)، تحقيـق: د. علي بن حسـين بن ناصـر، دار العاصمة - المملكة العربية السعودية، ط: 2، 1419هـ/1999م.
51. **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**، لابن القيم محمد بن أبي بكر أيـــوب الـــزرعي أبو عبد الله (ت 751)، دار الكتب العلمية - بيروت.
52. **حـــديث افـــتراق الأمة إلى نيف وســبعين فرقة**، للإمـام المحـدث محمد بن إسـماعيل الأمـير الصـنعاني، تحقيـق: ســعد بن عبد الله بن ســعد الســعدان، دار العاصــمة للنشر والتوزيع
53. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،** لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت 430هــ)، دار الكتـاب العـربي – بـيروت، ط: 4، 1405هـ.
54. **درء تعارض العقل والنقل**، لشـيخ الإسـلام ابن تيمية أبي العبـــاس تقي الـــدين أحمد بن عبد الحليم الحـــراني (ت 728هـ)، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية - الرياض، 1391هـ.
55. **درء تعارض العقل والنقل**، لشـيخ الإسـلام ابن تيمية أبي العبـــاس تقي الـــدين أحمد بن عبد الحليم الحـــراني (ت 728هـ)، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسـلامية، ط: 1، 1399هـ/1979م.
56. **دراســات في الأهـواء والفـرق والبـدع وموقف السلف منها**، للدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل، دار إشبيليا، ط: 1، 1418هـ/1997م.
57. **ذم التأويــل،** لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد (ت 620هـ)، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، الدار السلفية - الكويت، ط: 1، 1409هـ.

58. **الرد على الزنادقة والجهمية**، للإمــام أحمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الله (ت 241هـ)، تحقيـق: محمد حسن راشـد، المطبعة السلفية - القاهرة، 1393هـ.
59. **الـرد على المنطقـيين**، لشـيخ الإسـلام ابن تيمية أبي العبـاس تقي الـدين أحمد بن عبد الحليم الحـراني (ت 728هــ)، دار المعرفة – بيروت
60. **رســالة المغنية في الســكوت ولــزوم الــبيوت**، للحسن بن أحمد بن عبد الله أبو علي، تحقيــق: عبد الله يوسف الجديع،، دار العاصمة - الرياض، ط: 1، 1409هـ.
61. رسالة في قنوت الأنبياء، *لشيخ الإسلام ابن تيميـة، جـامع الرسائل، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد رفيق سالم، مصر.*
62. **الرســالة**، لمحمد بن إدريس أبو عبد الله الشــافعي (ت 204هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، 1358هـ/1939م.
63. **سبل الســلام**، لمحمد بن إســماعيل الصـنعاني الأمـير، تحقيق: محمد عبد العزيز الخـولي، دار إحيـاء الـتراث – بـيروت، ط: 4، 1379هـ.
64. **سلسـلة الأحـاديث الضـعيفة والموضـوعة وأثرها السيئ في الأمة**، العلامة محمد ناصر الدين الألبــاني، المكتبة الإسلامية – عمان، مكتبة المعارف – الرياض، ط: 3، 1406هـ.
65. **سلسـلة الأحـاديث الصـحيحة وشـيء من فقهها وفوائـــدها**/ للعلامة محمد ناصر الـــدين الألبـــاني، المكتبة الإسلامية – عمان، الدار السلفية – الكويت، ط: 3/ 1406هـ.
66. **الســنة**، لأحمد بن محمد بن هــارون بن يزيد الخلال أبو بكر، تحقيق: د. أحمد عطية الزهراني، دار الراية – الريــاض، ط: 1، 1410هـ.
67. **الســنة**، لعبد الله بن أحمد بن حنبل الشـــيباني، دار ابن القيم – الدمام، ط: 1، 1406هـ.
68. **ســنن ابن ماجة**، بشــرح الإمــام أبي الحســين الحنفي المعـروف بالسـندي (ت 1138هــ)، وبحاشـيته تعليقـات مصـباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، دار المؤيد – الريـاض، دار المعرفة – بيروت – لبنان، ط: 2، 1418هـ/1997م.
69. **ســنن أبي داود**، للإمــام الحافظ المصـنف المتقن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، (202 – 275هـ) ومعه كتاب معالم السنن للخطابي. دار الحديث . طباعـة. نشـر. توزيع. إعداد وتعليق: عزّت عُبيد الدعّاس، عادل السيد.
70. **سنن البيهقي الكبرى**، لأحمد بن الحسين بن علي بن

موسى أبو بكر البيهقي، مكتبة دار الباز، 1414هـ/1994م.

71. **سنن الترمذي، (الجامع الصحيح)،** لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (209 – 279هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

72. **سنن الدار قطني**، لعلي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة - بيروت، 1386هـ/1966م.

73. **سنن الدارمي،** لعبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: 1، 1407هـ.

74. **سنن النسائي (المجتبى من السنن)** لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب، ط: 2، 1406هـ/1986م.

75. **سير أعلام النبلاء،** للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748)، مؤسسة الرسالة، ط: 11، 1417هـ/1996م.

76. **السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار**، لمحمد بن علي ين محمد الشوكاني، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 1، 1405هـ، تحقيق: محمود إبراهيم زايد.

77. **شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم**، للشيخ الإمام العالم الحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي، تحقيق: الدكتور أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، ط: 5، 1418هـ.

78. **شرح السنة**، لحسين بن علي بن خلف البربهاري أبو محمد، تحقيق: سعيد سالم القحطاني، دار ابن القيم – الدمام، ط: 1، 1408هـ.

79. **الشرح الكبير على الفقهين الأبسط والأكبر**، لأبي حنيفة بن النعمان.

80. **الشريعة**، للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري (ت 360هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي.

81. **شعب الإيمان،** لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 1، 1410هـ.

82. **الصارم المسلول على شاتم الرسول**، لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس ابن تيمية، تحقيق: محمد بن عبد

الله بن عمر الحلوان، ومحمد كبير أحمد شودري، رمـادي للنشر - الدمام، ط: 1، 1417هـ/1997م.

83. **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**/ محمد بن حبـان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيـق: شـعيب الأرنـاؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: 2، 1314هـ.

84. **صـحيح الـترغيب والـترهيب**، لحمد ناصر الـدين الألباني، مكتبة المعارف – الرياض، ط: 5.

85. **صـحيح الـترغيب والـترهيب**، لمحمد ناصر الـدين الألباني، مكتبة المعارف – الرياض، ط: 1، 1412هـ.

86. **صـحيح الجـامع الصـغير وزيادته (الفتح الكبـير)**، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، 1408هـ.

87. **صـحيح سـنن ابن ماجه**، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (الشهير بـابن ماجـه)، حكم على أحاديثه وآثـاره وعلق عليـه: العلامة المحـدث محمد ناصر الـدين الألبـاني، مكتبة المعارف – الرياض، ط: 2، 1429هـ/2008م.

88. **صحيح سـنن أبي داود**، تصـنيف: أبو داود سـليمان بن الأشـعث السجسـتاني، حكم على أحاديثه وآثـاره وعلق عليه العلامة المحدث: محمد ناصر الدين الألباني.

89. **صـحيح سـنن الترمـذي،** للإمـام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (279هــ)، تـأليف: محمد ناصر الـدين الألباني، مكتبة المعارف – الرياض، ط: 21، 1422هـ/2002م.

90. **صحيح مسلم**، للإمام أبي الحسين بن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (206 – 261هـ)، مكتبة الراشد – الرياض، 1422هـ/2001م.

91. **صحيح مسلم**، للإمـام أبي الحسـين مسـلم بن الحجـاج القشـيري النيسـابوري، بشـرح الإمـام يحـيى بن شـرف النـووي الدمشقي الشافعي (ت 677هـ)، ضبط: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط: 1، 1415هـ/1995م.

92. **طبقـات الشـافعية**، لأبي بكر أحمد بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي بن شبهة، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب – بيروت، ط: 1، 1407هـ.

93. **صـفة صـلاة النـبي صـلى الله عليه وسـلم من التكبير إلى التسليم كأنك تراها**، الألباني، مكتبة المعارف – الرياض.

94. **الصـواعق المحرقة على أهل الـرفض والضـلال والزندقة**، لأبي العبـاس أحمد بن محمد بن محمد بن علي أبي

حجر الهيثمي (ت 973هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي، وكامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة – لبنان، ط: 1، 1417هـ/1997م.

95. **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، لابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (ت 751هـ)، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة - الرياض، ط: 3، 1418هـ/1998م.

96. **ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)**، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط: 3، 1410هـ/1990م.

97. **الضوابط الشرعية لموقف المسلم في الفتن**، للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ.

98. **الطبقات الكبرى**، لمحمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري (ت 130هـ)، دار صادر - بيروت.

99. **طبقات المفسرين للداودي**، لأحمد بن محمد الأدنوي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم – السعودية، ط: 1، 1417هـ/1997م.

100. **العبادات في الأديان السماوية اليهودية – المسيحية – الإسلام**، لعبد الرزاق رحيم صلال الموحي، الأوائل للنشر والتوزيع – دمشق، ط: 1، 2001م.

101. **العقيدة الأصفهانية**، لشيخ الإسلام ابن تيمية أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت 728هـ)، تحقيق: إبراهيم سعيداي، مكتبة الرشد – الرياض، ط: 1، 1415هـ.

102. **العواصم من القواصم في تحقيق موقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم**، لمحمد بن عبد الله بن محمد المعافري المالكي، تحقيق: د. محمد جميل غازي، دار الجيل - بيروت، ط: 2، 1407هـ.

103. **الفائق**، للزمخشري محمود بن عمر، تحقيق: علي محمد علي البخاري، ومحمد الفضل إبراهيم، دار المعرفة – لبنان، ط: 2.

104. **الفتاوى الكبرى**، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس (661 – 728هـ)، تحقيق: حسينين محمد مخلوف، دار المعرفة – بيروت، ط: 1، 1386هـ.

105. **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (773 – 852هـ)، تحقيق:

محمد فؤاد الباقي، محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، ط: 2، 1407هـ/1987م.

106. **الفرق بين الفرق**، لعبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور (ت 429هـ)، دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط: 2، 1977م.

107. **الفصل في الملل والنحل**، لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد (ت 548هـ)، مكتبة الخانجي – القاهرة.

108. **فصول في أديان الهند الهندوسية والبوذية والجينية والسيخية وعلاقة الصوفية بها**، للدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي. دار البخاري للنشؤر والتوزيع . ط:1، 1417هـ 1997م.

109. **فكر العنف والإرهاب في المملكة العربية السعودية (مصدره – أسباب انتشاره – وعلاجه)**، لعبد السلام بن سالم السحيمي.

110. **الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة اليونانية**، لعلي سامي النشار، وعباس أحمد الشربيني. الاسكندرية للطباعة، 1972م.

111. **قاعدة في المحبة**، لشيخ الإسلام ابن تيمية أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (661 – 728هـ)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مكتبة التراث الإسلامي - القاهرة.

112. **القاموس المحيط**، للفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، مؤسسة الرسالة، ط: 6.

113. **الكامل في التاريخ**، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت 630هـ)، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 2، 1415هـ.

114. **كتاب الرسالة**، لمحمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي (150 – 204هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة. 1358هـ 1939م.

115. **كتاب الزهد**، لأحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني أبو بكر (ت 287هـ)، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، دار الريان للتراث - القاهرة، ط: 2، 1408هـ.

116. **كتاب النبوات**، لابن تيمية، المطبعة السلفية - القاهرة، 1386هـ.

117. **كتاب دلائل النبوة**، لإسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصفهاني (ت 301هـ)، تحقيق: محمد محمد الحداد، دار

طيبة – الرياض، ط: 1، 1409هـ.
118. **الكفاية في علم الرواية،** لأحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي، تحقيق: أبو عبد الله السورقي، وإبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية – المدينة المنورة.
119. **لسان العرب**، لابن منظور (630 – 711هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط: 3، 1419هـ/ 1999م.
120. **لسان الميزان،** لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني (ت 852هـ)، تحقيق: دائرة المعارف النظامية الهند، مؤسسة الأعلى للمطبوعات - بيروت، ط: 3، 1406هـ/1986م.
121. **لسان الميزان،** لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: دائرة المعرفة النظامية الهند، مؤسسة الأعلى للمطبوعات - بيروت، ط: 3، 1406هـ/1986م.
122. **لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد**، لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، الدار السلفية – الكويت، ط: 1، 1406هـ.
123. **المجروحين والضعفاء والمتروكين**، لمحمد بن حبان بن أبي حاتم البستي، تحقيق: محمود إبراهيم زايد دار الوعي - حلب، ط: 1، 1396هـ.
124. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،** لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت 807هـ)، دار الفكر – بيروت، 1412هـ.
125. **مجموع الفتاوى،** لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
126. **مختار الصحاح**، امحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت 726هـ)، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، 1415هـ/1995م.
127. **مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، لابن قيم الجوزية، اختصره: الشيخ الفاضل محمد بن الموصلي، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط: 1، 1405هـ/1985م.
128. **المدخل إلى مذهب الإمام أحمد**، لعبد الله القادر الدمشقي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط: 2، 1401هـ.
129. **المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة**، للدكتور إبراهيم البريكان
130. **مسائل عبد الله لأبيه**، جزء في مسائل عن أبي عبد

الله أحمد بن حنبل الشيباني.
131. **المستدرك على الصحيحين**، لمحمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 1، 1411هـ/1990م.
132. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، لأحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة قرطبة – القاهرة.
133. **مشكاة المصابيح،** لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، ط: 1، 1985م.
134. **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية – بيروت.
135. **المصنف في الأحاديث والآثار**، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، ط: 1، 1409هـ.
136. **المصنف**، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط: 2، 1403هـ.
137. **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**، للحافظ الحكمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم - الدمام، ط: 1، 1410هـ/1990م.
138. **معالم في أوقات الفتن والنوازل**، لفضيلة الشيخ عبد العزيز بن محمد عبد الله السدحان.
139. **معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة**، للدكتور عبد السلام بن برجس العبد الكريم، مكتبة الفرقان، ط: 6، 1422هـ/2001م.
140. **المعجم الأوسط**، لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسني، دار الحرمين – القاهرة، 1415هـ.
141. **معجم البلدان**، لياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله (ت626هـ)، دار الفكر - بيروت.
142. **المعجم الصغير**، لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: محمد شكور الحاج، المكتب الإسلامي، دار عمان – بيروت، عمان، ط: 1، 1405هـ/1985م.
143. **المعجم الكبير**، لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم

والحكم – الموصل، ط: 2، 1404هـ/1983م.

144. **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، لعبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي أبو عبيد، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب – بيروت، ط: 3، 1403هـ.

145. **معجم مقاييس اللغة**، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، (ت 395هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت، ط: 1/1411هـ/ 1991م.

146. **المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني**، لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، دار الفكر – بيروت، ط: 1، 1405هـ.

147. **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الكتب العلمية - بيروت.

148. **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت 330هـ)، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية - صيدا - بيروت، 1411هـ/1990م.

149. **مفردات ألفاظ القرآن**، للعلامة الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم – دمشق، ط: 3، 1423هـ/2002م.

150. **الملل والنحل**، لمحمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة – بيروت، 1404هـ.

151. **منهاج السنة في نقض كلام الشيعة القدرية**، لابن تيمية أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط: 1، 1406هـ/1986م.

152. **الموافقات في أصول الفقه**، لإبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي الشاطبي، تحقيق: عبد الله دراز، دار المعرفة – بيروت.

153. **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، دار الندوة العالمية - الرياض، ط: 2، 1418هـ.

154. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، لأبي السعادات المبارك بن الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناجي، المكتبة العلمية – بيروت، 1399هـ/1979م.

155. **الوافي بالوفيات**، لصلاح الدين خليل بن أبيك

الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، 1420هـ/2000م.

156. **وجوب لزوم الجماعة وترك الفرقة**، لجمال بن أحمد بن بشيربادي، دار الوطن – الرياض، ط: 2، 1416هـ.

157. **وسم الفقيه وسمت المتفقه**، لأحمد بن صالح الزهراني، مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1424هـ.

158. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت 681هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة – لبنان.

159. **اليهود في تاريخ الحضارات الأولى**، لعادل زعتير، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه – مصر، 1970م.

فهرس الموضوعات